

البداية والنهاية

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي المحدثي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء التاسع

منطبعة النفاذ بدار محافظة تبصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

فها عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمارة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ،
 فقدمها فأقام بها أشهرا ثم خرج معتمرا ثم عاد إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر ، وبنى في بني
 سلمة مسجدا ، وهو القتي ينسب إليه اليوم ، ويقال إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة شتم جابرا
 وسهل بن سعد وقرعهما لم لا نصرا عثمان بن عفان ، وخطبهما خطبا غليظا قبحه الله وأخزاه ،
 واستغضى أبا إدريس ^(١) الخولاني أظنه على اليمن والله أعلم . قال ابن جرير : وفيها نقض الحجاج
 بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بنه وأعادها على بنياتها الأول ، قلت : الحجاج لم ينقض بنيان
 الكعبة جميعه ، بل إنما هدم الخائط الشامي حتى أخرج الحجر من البيت ثم سدده وأدخل في جوف
 الكعبة ما فضل من الأحجار ، وبقية الحيطان الثلاثة بحلها ، ولهذا بقي البنيان الشرقي والغربي وهما
 ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ، ولكن سد الغربي بالكعبة ودم أسفل الشرقي حتى
 جله مرتعا كما كان في الجاهلية ، ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوي
 الذي كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله ﷺ كما تقدم ذلك من قوله : « لولا أن قومك
 حديث عهدكم بكنفر - وفي رواية - بجاهلية لتقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر ، وجعلت لها بابا
 شرقيا وبابا غربيا ، ولأنصقتها بالأرض ، فان قومك قصرت بهم الثقة فلم يدخلوا فيها الحجر ولم

يتمسوها على قواعد إبراهيم ورضوا بابها ليدخلوا من شأواً ويعنوا من شأواً ، فلما تمكن ابن الزبير بنائها كملك ، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال : ودداً لو تركناه وما تولى من ذلك وفي هذه السنة ولي المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك لأخيه بشر بن مروان أن يجهز المهلب إلى الخوارج في جيوش من البصرة والكوفة ، ووجد بشر على المهلب في نفسه حيث عينه عبد الملك في كتابه : فلم يجد بداً من طاعته في تأميره على الناس في هذه العزوة ، وما كان له من الأمر شيء ، غير أنه أوصى أمير الكوفيين عبد الله بن مخنف أن يستبدي بالأمر دونه ، وأن لا يقبل له رأياً ولا مشورة ، فصار المهلب بأهل البصرة وأمرأه الأرباع معه على منازلهم حتى نزل بامرهم ، فلم يبق عليها إلا عشر آحق جاء نبي بشر بن مروان ، وأنه مات بالبصرة واستخلف عليها خالد بن عبد الله ، فأرعى بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبعثوا في آكارهم من يردم ، وكتب خالد ابن عبد الله إلى الفارين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم ، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك ، فمضوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة فكتب إليهم : إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين ، وليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان ، فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحلم فركبوا ثم ساروا إلى بعض البلاد فلم يزالوا مخنفين بها حتى قدم الحجاج واليا على العراق مكان بشر بن مروان كما سيأتي بيانه قريباً .

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح التميمي عن إمرة خراسان وولاه أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد القرشي ليجتمع عليه الناس فإنه قد كادت الفتنة تتفاقم بخراسان بعد عبد الله ابن خازم ، فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان عرض على بكير بن وشاح أن يكون على شرطته فأبى وطلب منه أن يوليّه طخارستان فخوفوه منه أن يخلعه هناك فتركه مقبياً عنده . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها الحجاج وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن والحجامة . قال ابن جرير : وقد قيل إن عبد الملك اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك .

(ذكر من توفي فيها من الأعيان)

رافع بن خديج بن رافع الأنصاري ، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها ، وصفيين مع علي وكان يتعاطا المزارع والفلاحة ، توفي وهو ابن ستة وثمانين سنة ، وأسنده ثمانية وسبعين حديثاً . وأحاديثه جيدة ، وقد أصابه يوم أحسبهم في ترقوته فخير رسول الله ﷺ بين أن ينزعه منه وبين أن يترك فيه المطبة ويشهد له يوم القيامة ، فاختار هذه ، وانتقض عليه في هذه السنة فمات منه رحمه الله .

(أبو سعيد الخدري)

هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل من قهات الصحابة استصغر

يوم أحد ، ثم كان أول مشاهدته الخندق ، وشهد مع رسول الله ﷺ ثلثي عشرة غزوة ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة ، كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم . قال الواقدي وغيره : مات سنة أربع وسبعين وقيل قبلها بمسنتين فله أعلم .

قال الطبراني : حدثنا المقدم بن داود ثنا خالد بن نزار ثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري . قال : قلت لرسول الله ﷺ أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « النبيون قلت : ثم أي ؟ قال ثم الصالحون ، إن كان أحدم لينتلي بالقرح حتى ما يجد إلا السرة - وفي رواية - إلا العباءة أو نحوها ، وإن كان أحدم لينتلي بالقلح حتى يفيد القمل ، وكان أحدم بالبلاء أشد فرحاً منه بالرخاء . » وقال قتبية بن سعيد : ثنا الليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري : أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله ﷺ يسأل لهم شيئاً ، فواقه على المنبر وهو يقول : « أيها الناس قد آن لكم أن تستغنوا عن المسألة فانه من يستغنى يعفه الله ومن يستغن يفته الله ، والذي نفس محمد بيده ما رزق الله عبداً من رزق أوسع له من الصبر ، ولئن أبيتم إلا أن تسألوني لأعطيتكم ما وجبت . » وقد رواه الطبراني عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد نحوه .

(عبد الله بن عمر)

ابن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم وهاجرا وعمره عشرة سنين ، وقد استنصر يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق أجازوه وهو ابن خمس عشرة سنة فشبهوا وما بعدها ، وهو شقيق حفصة بنت عمر أم المؤمنين ، أمهما زينب بنت مظلون أخت عثمان بن مظلون ، وكان عبد الله بن عمر ربة من الرجال آدم له حمة تضرب إلى منكبيه جسيماً يخضب بالصفرة ويحني شاربته ، وكان يتوضأ لكل صلاة ويدخل الماء في أصول عينيه ، وقد أرادته عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه ، وشهد اليرموك والقادسية وجولاء وما بينهما وقائم الفرس ، وشهد فتح مصر ، واختط بها داراً ، وقسم البصرة وشهد عز و فارس وورد المدائن مراراً وكان عمره يوم مات النبي ﷺ ثنتين وعشرين سنة ، وكان إذا أعجبه شيء من ماله يقربه إلى الله عز وجل ، وكان عبيده قد عرفوا ذلك منه ، فربما أزم أحدهم المسجد فآذراه ابن عمر على تلك الحال أعتقه ، فيقال له : إنهم يخدعونك ، فيقول : من خدعنا الله نخدعنا له ، وكان له جارية يحبها كثيراً فأعتقها وزوجها لمولاه نافع ، وقال : إن الله تعالى يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما يحبون) واشترى مرة بعبيراً فأعجبه لما ركبته فقال : يا نافع أدخله في إبل الصدقة ، وأعطاه ابن جعفر ثلثي عشرة آلاف قال : أو خيراً من ذلك ؟ هو حر لوجه الله ، واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً وأعتقه فقال النلام :

يامولاي قد أعنتني فهب لي شيئاً أعيش به فأعطاه أربعين ألفاً، واشترى مرة خمسة عبيد قام يصلّي قاموا خلفه يصلون فقال: لمن صليتم هذه الصلاة؟ قالوا: لله! فقال: أنتم أحرار لمن صليتم له، فأعنتهم. والمقصود أنه مالمات حتى أعنت ألف رقبة، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً، وكانت تعضى عليه الأيام الكثيرة والشهر لا ينفق فيه لحماً إلا وعلى يديه يقيم، وبعث إليه معاوية بمائة ألف لما أراد أن يبايع يزيد، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء، وكان يقول: إني لأسال أحداً شيئاً، وما رزقني الله فلا أردّه، وكان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه، وأدى إليه زكاة ماله، وكان أعلم الناس بمناسك الحج، وكان يقتبص آثار رسول الله ﷺ يصلّي فيها، حتى أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة وكان ابن عمر يتماهدا ويصب في أصلها الماء، وكان إذا فاتته العشاء في جماعة أحياناً تلك الليلة، وكان يقوم أكثر الليل، وقيل إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه، وكان يوم مات خير من بقي، ومكث ستين سنة يقضي الناس من سائر البلاد، وروى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، وروى عن الصديق وعن عمر وعثمان وسعد وابن مسعود وحفصة وعائشة وغيرهم، وعنه خلق منهم بنوه حمزة وبلال وزيد وسالم وعبد الله وعبيد الله وعمر إن كان محفوظاً، وأسلم مولى أبيه وأنس بن سيرين والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاوس وعروة وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن سيرين والزهرى ومولاه نافع.

وثبت في الصحيح عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال: «إن عبد الله رجل صالح لو كان يقوم الليل». وكان بعد يقوم الليل، وقال ابن مسعود: إن من أملك شباب قريش نفسه عن الدنيا ابن عمر. وقال جابر: ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها، إلا ابن عمر، وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كرماء، وقال سعيد بن المسيب: مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن لقي الله بمثل عمله منه، وقال الزهرى لا يمدل برأيه فانه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه رضي الله عنهم. وقال مالك: بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة وأفنى في الاسلام ستين سنة، تقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض، قال الواقدي وجماعة: توفي ابن عمر سنة أربع وسبعين، وقال الزبير بن بكار وآخرون: توفي سنة ثلاث وسبعين والأول أثبت والله أعلم.

(عبيد بن عمير)

ابن قتادة بن سعد بن طمر بن خندع بن ليث، الليثي ثم الخندعي، أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة، قال مسلم بن الحجاج: ولد في حياة النبي ﷺ، وقال غيره ورآه أيضاً، وروى عن أبيه، وله صحبة، وعن عمر وعلى وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمر وأُمّ سلمة وغيرهم،

وعنه جماعة من التابعين وغيرهم ، ووثقة ابن معين وأبو زرعة وغير واحد . وكان ابن عمر يجلس في حلقته ويبيح وكان يصحبه تذكيره ، وكان بليفاً ، وكان يبيح حتى يبل الحصى بدموعه . قال مهدي ابن ميمون عن غيلان بن جبر قال : كان عبيد بن عمر إذا آتى أحداً في الله استقبل به القبلة فقال اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك ، واجعل محمداً شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحسنى غير متطاوّل علينا الأمد ، ولا قاسية قلوبنا ولا فائلين ماليش لنا بحق ، ولا سائلين ماليش لنا به علم . وحكى البخاري عن ابن جريج أن عبيد بن عمر مات قبل ابن عمر رضى الله عنه .

(أبو جحيفة)

وهب بن عبد الله السوائي ، صحابي رأى النبي ﷺ ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي ﷺ لكن روى عنه عدة أحاديث ، وعن علي والبراء بن عازب ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم إسماعيل بن أبي خالد ، والحكم وسلمة بن كهيل والشعي وأبو إسحاق السبيعي ، وكان قد نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي في هذه السنة ، وقيل في سنة أربع وتسعين فله أعلم . وكان صاحب شرطة علي ، وكان على إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره .

(سلمة بن الأكوع)

ابن عمرو بن سنان الأنصاري وهو أحد من بايع تحت الشجرة ، وكان من فرسان الصحابة ومن علمائهم ، كان يقى بالمدينة ، وله مشاهد معروفة في حياة النبي ﷺ وبعد ، توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين سنة .

(مالك بن أبي عامر)

الأصبغي المدني وهو جد الإمام مالك بن أنس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان فاضلاً علماً ، توفي بالمدينة .

(أبو عبد الرحمن السلمي)

مقرئ أهل الكوفة بلا مدافعة واسمه عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود ، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الجعاج ، قرأ عليه عاصم بن أبي النجود وخلق غيره ، توفي بالكوفة .

(أبو معرض الأسدي)

اسمه مغيرة بن عبد الله الكوفي ، ولد في حياة النبي ﷺ ، وفد على عبد الملك بن مروان وامتدحه ، وله شعر جيد ، ويعرف بالأقطشي ، وكان أحمر الوجه كثير الشعر ، توفي بالكوفة في هذه السنة ، وقد غارب الثمانين سنة .

﴿ بشر بن مروان ﴾

الأموي أخو عبد الملك بن مروان ، ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الملك ، وله دار بدمشق عند عقبة البلب ، وكان ممحاً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان عند حجير ، وهو اتقى قتل خالد بن حصين الكلبي يوم مرج راهط ، وكان لا ينفق دونه الأبواب ويقول : إنما يحتجب النساء ، وكان طليق الوجه ، وكان يميز على الشعر بألوف ، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل ، والجمجمة تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء بيئت الأخطل .

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مہراق

وليس فيه دليل ، فإن هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانيا ، وكان سبب موت بشر أنه وقفت القرحة في عينه ثقيل له يقطعها من المفصل فخرع فسا أحس حتى خالطت الكنف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات ، ولما احتضر جمل يبكي ويقول : والله لو ددت أني كنت عبداً أرغى النعم في البادية لبعض الأعراب ولم آل ما وليت ، فقد كر قوله لابي حازم - أو لسعيد بن المسيب - ، فقال : الحمد لله اتقى جملهم عند الموت يفرون إلينا ولم يجهلنا نفر إليهم ، إنا نرى فيهم عبراً ، وقال الحسن : دخلت عليه فإذا هو يتململ على سريره ثم نزل عنه إلى صحن القار ، والاطباء حوله . مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها ، ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشراء أن يرثوه والله سبحانه وقمالي أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين ﴾

ففيها غزا محمد بن مروان - أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحمار - صائفة الروم حين خرجوا من عند مرعش ، وفيها ولي عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بن أبي العاص ، وهو عمه ، وعزل عنها الحجاج . وفيها ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار ، وذلك بعد موت أخيه بشر ، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسلطوته وقهره وقسوته وشهامته ، فكتب إليه وهو بالمدينة ولاية العراق ، فسار من المدينة إلى العراق في اثني عشر راكباً ، فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وكان تحتهم النجائب ، فقتل قريب الكوفة فاعتسل واخضب وليس ثيابه وقطعه سيفه وألقى عذبة العملة بين كتفيه ، ثم سار فقتل دار الامارة ، وذلك يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة ، فخرج عليهم وهم لا يلطون ، فصعد المنبر وجلس عليه وأمسك عن الكلام طويلاً ، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب وتناولوا الحصى ليحذفوه بها ، وقد كانوا حصبوا اتقى كان قبله ، فلما سكت أبتهتهم وأحبوا أن يسموا كلامه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق

والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، والله إن كان أمركم إليّ قبل أن آتي إليكم ، ولقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بي ، ولقد سقط مني الباردة سوطي الذي أؤدبكم به ، فأنفخت هذا مكانه - وأشار إلى سيفه - ، ثم قال : والله لا آخذن صغيركم بكبيركم ، وحرك ببعذك ، ثم لآرصنكم رصع الحداد الجديدة ، والغياز المجينة . فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم ، وقيل إنه دخل الكوفة في شهر رمضان ظهرآ فأقي المسجد وصعد المنبر وهو مستعرج بجملة حمراء مثلهم بطرفها ، ثم قال : على بالناس ! فظننه الناس وأصحابه من الخوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه القمام وقال : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
ثم قال : أما والله إني لأحمل الشيء بحمله ، وأحنوه بنه ، وأحزمه بفنله ، وإني لأرى رؤسآ قد أينست وأن اقطانها ، وإني لأنظر إلى الفداء تفرق بين العائم والحي ، قد شمرت عن ساقها فشمري ، ثم أأنشد : -

هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لغها الليل بسوان حطم
ليست براعي ليل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وض
قد لغها الليل بعصلي اروع إخراج من الدوى
مهجر ليس بأهراي

ثم قال : إني والله يا أهل العراق ما أغمر بشماز ، ولا يقنع لي بالشنان ، ولقد فررت عن ذكاه وجررت من الغاية القصوى ، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نشر كنانته ثم عجم عيدانها عودآ عودآ فوجدني أمرها عودآ وأصلبها مضمزآ فوجهني إليكم ، فأنتم طلالا رنتم في أودية القتن ، وسلكنتم سبيل النى ، واخترتم جسد الضلال ، أما والله لأخونكم على العود ، ولأعصبنكم عصب السلطة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل ، إني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أحلق إلا فريت ، فأبى وهذه الجماعات وقبلا وقالا ، والله لتستقيمن على سبيل الحق أولأدعن لكل رجل منكم شتلا في جسده . ثم قال : من وجبت بعد ثالثة من بثث المهلب - يعنى الذين كانوا قد رجوا عنه لما سمعوا بموت بشر ابن مروان كما تقدم - سفكت دمه وانتهت ماله ، ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك ، وقال إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطال السكوت حتى أن محمد بن عمر أخذ كفا من حصى وأراد أن يمحبه بها ، وقال : قبحه الله ما أعياء وأذمه ! فلما نهض الحجاج وتكلم بما تكلم به جعل الحصى يتناثر من يده وهو لا يشعر به ، لما برى من فصاحته وبلاغته . ويقال إنه قال في خطبته هذه : شأنت الوجه إن الله ضرب (مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وأنتم أولئك طامتوا

واستقيمو ، فوالله لأذيقنكم الموان حتى تمروا ، ولأعصبنكم عصب السلة حتى تتقادوا ، وأقسم بالله لتقبلن على الانصاف وتلدعن الارجاف وكلن وكلن ، وأخبرني فلان عن فلان ، وإيش الخبر وما الخبر ، أو لأخبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيلى والاولاد يتامى ، حتى تمشوا السنهي وتقلعوا عن هاوها . فى كلام طويل بليغ غريب يشتغل على وعيد شديد ليس فيه وعد بخير .

فلما كان فى اليوم الثالث سمع تكبيرا فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والتفاق ، ومساوى الأخلاق ، إني سمعت تكبيرا فى الأسواق ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب ، ولكنه تكبير يراد به التهريب : وقد عصفت عجلة تحنها قصف ، يابى الحكمة وعبيد العسا وأبناء الأماء والأياى ، ألا ربيع كل رجل منكم على ظلمه ، ويمسح حن دمه ويصبر موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدبا لما بعدها . قال فقام إليه عمير بن ضائب التميمي ثم الخنظلي فقال : أصلى الله الأمير إنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا ابني هو أشب مني . قال : ومن أنت ؟ قال عمير بن ضائب التميمي ، قال : اسمعت كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم . قال : ألسنت ائني غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا ، قال أوليس هو ائني هو يقول :

هممت ولم أفعل وكنت وليتي فقلت ووليت البكاء حلالا

ثم قال المجاج : إني لأحسب أن فى فلتك صلاح المصيرين ، ثم قال قم إليه يا حرسى فاضرب عنقه ، فقام إليه رجل فاضرب عنقه وانتهب ماله ، وأمر مناديا فنادى فى الناس ألا إن عمير بن ضائب تأخر بعد سماع النداء فلانا فأمر بقتله ، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجرس فضر عليه فى ساعة واحدة أربعة آلاف من مندرج ، وخرجت معهم العرافة حتى وصلوا بهم إلى المهلب ، وأخذوا منه كتابا بوصولهم إليه ، فقال المهلب : قدم العراق والله رجل ذكر ، اليوم قوتل العدو . وروى أن المجاج لم يعرف عمير بن ضائب حتى قال له عنبسة بن سعيد : أيها الأمير ! إن هذا جاء إلى عثمان بعد ما قتل فلطم وجهه ، فأمر المجاج عند ذلك بقتله .

وبعث المجاج الحكم بن أيوب الثقفي نائبا على البصرة من جهته ، وأمره أن يشتد على خالد ابن عبد الله ، وأقر على قضاء الكوفة شريحا ثم ركب المجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يعفور ، وولى قضاء البصرة لزاردة بن أوفى ، ثم عاد إلى الكوفة . وحج بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان ، وأقرعه بجي على نياحة المدينة ، وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله . وفى هذه السنة ومث الناس بالبصرة على المجاج ، وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمير بن ضائب قام فى أهل البصرة فخطبهم فظفر ما خطب أهل الكوفة من الوعيد والتهديد والأكيد ، ثم

أتى برجل من بني يشكر قيل هذا عاص ، قال : إن في هذا وقد عرفتني الله وعرفتني بشر بن مروان ، وهذا عطائي مردود على بيت المال ، فلم يقبل منه وأمر بقتله قتل ، ففرغ أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قطرة رامهرمز ، وعليهم عبد الله بن الجارود ، وخرج إليهم الحجاج - وذلك في شعبان من هذه السنة - في أمراء الجيش فاقتتلوا هناك قتالا شديدا ، وقتل أميرهم عبد الله بن الجارود في رؤس من القبائل معه ، وأمر برؤسهم قطعت ونصبت عند الجسر من رامهرمز ، ثم بحث بها إلى المهلب قوى بذلك وضعف أمير الخوارج ، وأرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف فأمرهما بمناخضة الأزارقة ، فهضبا عن معهما إلى الخوارج الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال ، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور ، وسار الناس وراهم فالتقوا في العشر الأخير من رمضان ، فلما كان الليل بيت الخوارج المهلب من الليل فوجدوه قد تحصن بمخندق حول معسكره ، فجأؤا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير محترز - وكان المهلب قد أمره بالاحتراز بمخندق حوله فلم يفعل - فاقتتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف وطائفة من جيشه وهزموم هزيمة منكورة ، ويقال إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الوقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشرين من رمضان ، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يهد مثله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى معسكره ، فحبل عبد الرحمن يمه بالليل يمه الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن يمه المعسكر فاقتتلوا معه إلى الليل ، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل ، وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، فلما كان الصبح جاء المهلب فعلى عليه ودفنه وكتب إلى الحجاج بمهلكه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يمزيه فيه فعلمه عبد الملك إلى الناس بغي ، وأمر الحجاج مكانه عتاب بن وراق ، وكتب إليه أن يطيع المهلب ، فكره ذلك ولم يجده بدا من طاعة الحجاج ، وكره أن يخالفه ، فسار إلى المهلب فجعل لا يطيعه إلا ظاهرا ، ويمصيه كثيرا ، ثم قالوا فهم المهلب أن يوقع بستان ثم حيز بينهما الناس ، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب فكتب إليه أن يقدم عليه وأغفله من ذلك ، وجعل المهلب مكانه ابنه حبيب بن المهلب .

وفما خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أمير آ على سرية قتله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس ، وكان يرى رأى الصفرية ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان سبب ذلك أنه حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، والبطين وأشباههم من رؤس الخوارج ، واتفق حج أمير المؤمنين عبد الملك فهم شبيب بالفتك به ، فبلغ عبد الملك ذلك من خبره بعد انصرافه من الحج ، فكتب عبد الملك

إلى الحجاج أن يتطلبهم ، وكان صالح بن مسرح هذا يكثر الفحول إلى الكوفة والاطمة بها ، وكان له جماعة يوفون به ويمتدونه ، من أهل دارا وأرض الموصل ، وكان يعلمهم القرآن ويقص عليهم وكان مصتراً كثير العبادة ، وكان إذا قص يحمده الله ويثنى عليه ويصلي على رسوله ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويحث على ذكر الموت ويترحم على الشيخين أبي بكر وعمر ، ويثنى عليهما ثناء حسناً ، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان فيسبه وينال منه وينكر عليه أشياء من جنس ما كان ينكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من فجرة أهل الأمصار ، ثم يحض أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع ، ويهون عليهم القتل في طلب ذلك ، وينم الدنيا ذماً بالناً ، ويصغر أمرها ويحقره ، فالتفت عليه جماعة من الناس ، وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجي يستبطنه في الخروج ويحثه عليه ويندب إليه ، ثم قدم شبيب على صالح وهو بدارا فتواعدوا وتوافقوا على الخروج في مستهل صفر من هذه السنة الآتية - وهي سنة ست وسبعين - وقدم على صالح شبيب وأخوه مصاد والمجلل والفضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مائة وعشرة أنفس ، ثم وثبوا على خيل لمحمد بن مروان فأخذوها ونفروا بها ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما كان ، كما سنذكره في هذه السنة التي بعدها إن شاء الله تعالى وكان ممن توفي فيها في قول أبي مسهر وأبي عبيد (الرباض بن سارية) رضي الله عنه السلمي أبو نجيح سكن حمص وهو صحابي جليل ، أسلم قديماً هو وعمر وبن عتبة ونزل الصفة ، وكان من البكائين المذكورين في سورة براءة كما قد ذكرنا أسماءهم عند قوله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) الآية . وكانوا ، تسعة وهو راوى حديث « خطبنا رسول الله ﷺ خطبة وجلت منها القلوب وزرفت منها الميرون » الحديث إلى آخره . ورواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وغيره ، وروى أيضاً أن النبي ﷺ « كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة » وقد كان الرباض شيخاً كبيراً ، وكان يجب أن يقبضه الله إليه ، وكان يدعو : اللهم كبرت سنن ووهن عظمي فاقبضني إليك ، وروى أحاديث .

(أبو ثعلبة الخشني)

صحابي جليل شهد بيعة الرضوان وغزا حنيناً وكان ممن نزل الشام بدار ياغربي دمشق إلى جهة القبلية ، وقيل ببلاد قرية شرق دمشق فله أعلم . وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة ، والأشهر منها جرهم بن ثامر ، وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث وعن جماعة من الصحابة ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ومكحول الشامي وأبو إدريس الخولاني ، وأبو قلابة الجرمي ، وكان ممن يجالس كعب الأحبار ، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيفكر ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عز وجل ، وكان يقول : إني لأرجو أن لا يمضيني الله عند الموت كما أراكم تمضون ،

فبينما هو ليلة يصلي من الليل إذ قبضت روحه وهو ساجد . ورأت ابنته في المنام كأن أباها قد ماتت فالتبته منزعورة قالت لأبها أين أبي ؟ قالت : هو في مصلاه ، فداته فلم يجبها ، فجاءته فركته فقط بجانبه فإذا هو ميت رحمه الله ، قال أبو عبيدة ومحمد بن سعد وخليفة وغير واحد : كانت وفاته سنة خمس وسبعين ، وقال غيرهم : كانت وفاته في أول إمرة معاوية بالله أعلم . وقد توفي في هذه السنة .

(الأسود بن يزيد)

صاحب ابن مسعود ، وهو الأسود بن يزيد النخعي من كبار التابعين ، ومن أعيان أصحاب ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهب عينه من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمره ، وكان يهل من الكوفة ، توفي في هذه السنة ، وكان يصوم حتى يخضر ويصفر ، فلما احتضر بكى قيل له : ما هذا الجزع ؟ قال : مالي لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أنبتت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه عما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيحذو عنه فلا يزال مستحيًا منه .

﴿ حران بن أبان ﴾

مولى عثمان بن عفان كان من سبي عين التمر اشتراه عثمان ، وهو الذي كان يأذن الناس على عثمان توفي في هذه السنة والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ﴾

كان في أولها في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتماع صالح بن مسرح أمير الصفرية ، وشبيب ابن يزيد أحد شجعان الخوارج ، قام فيهم صالح بن مسرح فأمرهم بتقوى الله وحشم على الجهاد ، وأن لا يقاتلوا أحداً حتى يدعوه إلى الدخول معهم ، ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة فأخنوها ففروا بها ، وأقاموا بأرض دارا ثلاثة عشر ليلة ، ونحس منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار ، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمائة فارس عليهم عدي بن عدي بن حميرة ، ثم زاده خمسمائة أخرى فساروا ألف من حران إليهم ، وكأتما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، لما يعلموا من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم ، فلما التقوا مع الخوارج هزمتهم الخوارج هزيمة شنيعة بالغة ، واحتوا على مافي مسكرهم ، ورجع فلهم إلى محمد بن مروان ، فغضب وبث إليهم ألفاً وخمسمائة مع الحارث بن جثومة ، وألفاً وخمسمائة مع خالد بن الحر ، وقال لهما : أيكما سبق إليهم فهو الأمير على الناس ، فساروا إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل ، والخوارج في نحو من مائة ألف وعشرة آلاف ، فلما انتهوا إلى آمد توجه صالح في شطر الناس إلى خالد بن الحر ، ووجه شبيباً في الباقي إلى الحارث ابن جثومة ، فقتل الناس قتلاً شديداً إلى الليل ، فلما كان المساء انكشف كل من الفريقين عن

الآخر ، وقد قتل من الخوارج نحو السبعين وقتل من أصحاب ابن مروان نحو الثلاثين ، وهرب
الخوارج في الليل فخرجوا من الجزيرة وأخفوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا الكوفة ، فبعث
إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة ، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل وليس مع
صالح سوى تسعين رجلا ، فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس ، فهو في كردوس ،
وشيب عن يمينه في كردوس ، وسويد بن سليمان عن يساره في كردوس ، وحل عليهم الحارث بن
عميرة ، وعلى يمينه أبو الرواح الشكري ، وعلى يساره الزبير بن الأرواح الحميري ، فصبرت
الخوارج على قتلهم صبرا شديدا ، ثم انكشف سويد بن سليمان ، ثم قتل صالح بن مسرح أميرهم ،
وصرع شيب عن فرسه فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فسلخوا به حصنا هاتكا ، وقد بقي
معهم سبعون رجلا ، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا ، ورجع
الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق الباب فيأخذون الخوارج قهرا ، فمارجع الناس وأطاعوا
خرجت عليهم الخوارج على الصعب والقليل من الباب فبيتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم
مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعا إلى المدائن ، واحتاز شيب وأصحابه مافي معسكرهم ، وكان جيش
الحارث بن عميرة أول جيش هزمه شيب ، وكان مقتل صالح بن مسرح في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة
ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفها دخل شيب الكوفة ومعه زوجته غزالة ، وذلك أن شيباً جرت له فصول يطول تفصيلها
بعد مقتل صالح بن مسرح ، واجتمعت عليه الخوارج وبايعوه ، وبعث إليه الحجاج جيشاً آخر قاتلوه
فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك ، ثم سار غاز المدائن فلم يزل منهم شيئا ، فسار فأخذ دوابا للحجاج من
كلواذ ، وفي عزمه أن يبيت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة ، فلما وصل فلمهم إلى
الحجاج جهز جيشا أربعة آلاف مقاتل إلى شيب ، ففروا على المدائن ثم ساروا في طلب شيب
فجعل يسير بين أيديهم قليلا قليلا وهو يريهم أنه خائف منهم ، ثم يكر في كل وقت على القعدة فيكسرهما
وينهب مافيها ، ولا يواجه أحدا إلا هزمه ، والحجاج يلح في طلبه ويجهز إليه السرايا والبموت والمدد
وشيب لا يبال بأحد وإن ما معه مائة وستون فارسا ، وهذا من أعجب العجائب ، ثم سار من طريق
أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها ، فخرج الجيش بكامله إلى السبخة لقتاله ، وبلغه ذلك
فلم يبال بهم بل أترعج الناس له وخلف منه وفرقوا منه ، وهم الجيش أن يدخل الكوفة خوفا منه
ويحتصنوا بها منه ، حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في أكلهم وقد اقترب منهم ، وشيب
نازل بالمدائن بالدير ليس عنده خبر منهم ولا خوف ، وقد أمر بطعام وشواء أن يصنع له قيل له : قد
جاءك الجند فأدرك نفسك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكثر بهم ويقول للمهملان القى يصنع له

الطعام : أجده وأنفضه وعجل به ، فلما استوى أكله ثم ترضاً وضواً تلبأتم صلى بأصحابه صلاة عامة بتطويل وطأئينة ، ثم لبس درعه وتخذ سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال : أسرجوا إلى البغلة ، فركبها فقال له أخوه مصاد : اركب فرساً ، قال : لا ، حارس كل أمر أجله ، فركبها ثم فتح باب الدبر الذي هو فيه وهو يقول : أتا أبو المله لاحكم إلا الله ، وتقدم إلى أمير الجيش الذي يليه بالعمود الحديد قتلته ، وهو سعيد بن المجاهد ، وحمل على الجيش الآخر الكثيف فصرع أميره وهرب الناس من بين يديه وبلغوا إلى الكوفة ، ومضى شبيب إلى الكوفة من أسفل الفرات ، وقتل جماعة هناك ، وخرج الحجاج من الكوفة هارباً إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، ثم أقترب شبيب من الكوفة يريد دخولها ، فأعلم المهاقين عروة بن المغيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يلتمه بذلك فأبصر الحجاج الخروج من البصرة وقصد الكوفة فأمرع السير ، وبادره شبيب إلى الكوفة فسبقه الحجاج إليها فدخلها مصر ، ووصل شبيب إلى المربد عند التروب ، فلما كان آخر الليل دخل شبيب الكوفة وقصد قصر الامارة فضرب بابه بعموده الحديد فأثرت ضربته في الباب ، فكانت تعرف بعد ذلك ، يقال هذه ضربة شبيب ، وسلك في طرق المدينة وتهدم محال القتال ، وقتل رجالاً من رؤساء أهل الكوفة وأشrafهم ، منهم أبو سليم والديث بن أبي سليم ، وعدى بن عمرو ، وأزهر بن عبد الله العامري ، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة ، وكان مع شبيب امرأته غزالة ، وكانت مروفة بالشجاعة ، فدخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وجعلت تدم بني مروان .

ونادى الحجاج في الناس يا خيل الله اركبي ، فخرج شبيب من الكوفة إلى مجال الطمن والضرب ، فجهز الحجاج في أثره ستة آلاف مقاتل ، فساروا وراهم وهو بين أيديهم ينمس ويز رأسه ، وفي أوقات كثيرة يكر عليهم فيقتل منهم جماعة ، حتى قتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً ، وقتل جماعة من الأمراء منهم زائدة بن قدامة ، قتله شبيب [وهو ابن عم المختار ، فوجه الحجاج مكانه لخر به عبد الرحمن بن الأشعث ، فلم يقابل شبيباً ورجع ، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي ، فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهمزت جموعه بعد أن قتل من أصحابه سائة نفس ، فن أعياتهم عقيل بن شداد السلولي ، وخالد بن نهيك الكندي ، والاسود بن ربيعة ، واستغفل أمر شبيب ونزل له عبد الملك بن مروان والحجاج وسائر الأمراء وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً ، فبعث له جيشاً من أهل الشام قدموا في السنة الآتية ، وإن ما مع شبيب شرخمة قليلة ، وقد ملأ قلوب الناس رعباً]^(١) وجرت خطوب كثيرة له معهم ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى استهلكت هذه السنة .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قُتل عبد الملك بن مروان على الدرهم والدينارين وهو أول من

تحتها . [وقال الموردي في كتاب الاحكام السلطانية : اختلف في أول من ضربها بالمرية في الاسلام قتال سعيد بن المسيب : أول من ضرب الهراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان ، وكانت الهراهم والدرهم رومية وكسروية ، قال أبو الزناد : وكان نقشها في سنة أربع وسبعين ، وقال المدائني : خمس وسبعين ، وضربت في الآفاق سنة ستة وسبعين ، وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها الله أحد ، وعلى الوجه الآخر الله الصمد ، قال : وحكى يحيى بن النعمان البغلي عن أبيه أن أول من ضرب الهراهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير ، سنة سبعين على ضرب الأكرسة ، عليها الملك من جانب ، والله من جانب ، ثم غيرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب ، ثم خلصها بدم يوسف بن هبيرة في أيام يزيد بن عبد الملك ، ثم خلصها أجود منها خالد بن عبد الله القسيري في أيام هشام ، ثم يوسف بن عمر أجود منهم كلهم ، ولذلك كان المنصور لا يقبل منها إلا المبيرة والغالية واليوسفية وذكر أنه قد كان للناس قود مختلفة منها الهراهم البعلية ، وكان الدم منها ثمانية دنانق ، والطبرية وكان الدم منها أربعة دنانق ، والنجني دنانق ، فجمع عمر بن الخطاب بين البعل والطبري ثم أخذ بنصفها فجعل الدم الشرعي وهو نصف مثقال وخمس مثقال ، وذكروا أن المثقال لم يغيروا وزنه جاهلية ولا إسلام ، وفي هذا نظر والله أعلم ^(١) .

وفيهما ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو مروان الحمار آخر من تولى الخلافة من بني أمية ، ومنه أخذها بنو العباس . وفيها حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان نائب المدينة ، وعلى إمرة العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله والله أعلم .

[وعن توفى فيها من الأعيان أبو عثمان التيهدي القاضي اسمه عبد الرحمن بن مل أسلم على عهد النبي ﷺ وغز أجولاء والقاحسية وتسمر ، ونهلوته ، وأذر ييجان وغيرها ، وكان كثير العبادة زاهداً عالماً يصوم النهار ويقوم الليل ، توفى وعمره مائة وثلاثين سنة بالكوفة .

(صلة بن أشيم المدوي)

من كبار التابعين من أهل البصرة ، وكان ذا فضل وورع وعبادة وزهد ، كنيته أبو الصبها ، كان يصل حتى ما يستطيع أن يأتي الفراش إلا حبوا ، وله مناقب كثيرة جداً ، منها أنه كان يمر عليه شباب يلهمون ويلعبون فيقول : أخروني عن قوم أرادوا سفرأ فخلدوا في التمار عن الطريق فأمروا الليل فتي يقطعون سفرهم ؟ فقال لهم يوماً هذه المقالة ، فقال شاب منهم : والله يقوم إنه ما يضيئ بهذا غيرنا ، نحن بالتمار نلهو ، وبالإبل ننام . ثم تبع صلة فلم يزل يتبعه معه حتى مات . وروى عليه قتي مجرثوه فهم أصحابه أن يأخذوه بأنسهم فقال : دعوني أكفكم أمره ، ثم دعه قال : يا ابن أخي لي إليك حاجة ،

قال : وما حاجتك ؟ قال أن ترفع إزارك ، قال : نعم ، ونعمت عين ، فرفع إزاره ، وقال صلة : هذا أمثل مما أردتم لو شئتموه لشتكم . ومنهما حكاة جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم قتل الناس عند الغنمة قتل لا رمتن على الليلة ، فدخل غيضة ودخلت في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصعدت أنا في شجرة ، قال قراء التفت أوعد جرواً حتى سجد قلت : الآن يتوسه ، فجلس ثم سلم قال : أيها السبع إن كنت أمرت بشئ فاضل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له لثبيراً فصعد منه الجبال ، فلما كان عند الصبح جلس فحمد الله بحمد لم أسمع مثلهما ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجبرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة . ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشا ، وأصبحت وبني من الغرة شئ الله به عليهم . قال : وذهبت بقلته بتقلها قال : اللهم إني أسألك أن ترد علي بقلتي بتقلها ، فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقينا العدو حل هو وهشام بن عمر فصنمنا بهم طعنا وضربا ، وقال العدو : رجالان من العرب صنما بنا هذا فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم - يعني انزلوا على حكمهم - وقال صلة : جئت مرة في غزاة جوعاً شديداً فبينما أنا أسير أدعوني وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة من خلفي فالتفت فإذا أنا بمنديل أبيض فإذا فيه دوحلة ملاءة رطبة فأكلت منه حتى شبع ، وأدركني المساء فلت إلى دير راهب فحدثته الحديث فاستطعمني من الرطب فأطعمته ، ثم إنني مررت على ذلك الراهب بعد زمان فإذا فخلات حسان قال : إنهن لمن الرطبات التي أطعمتني ، وجاء بذلك المنديل إلى امرأته فكانت تزيه فتنس ، ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت العروس بيتاً مطيباً فقام يصلي فقامت تصلي معه ، فلم يزالا يصلان حتى برق الصبح ، قال : فأنيته قتلته له : أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقامت تصلي وتركها ؟ قال : إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتي فيهما حتى أصبحت ، البيت الذي أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس . وقال له رجل : أدعوا الله لي : قال رغبتك الله فيما بقي ، وزهدك فيما بقي ، ورزقك اليقين الذي لا يركن إلا إليه ، ولا يمول في الدين إلا عليه . وكان صلة في غزاة ومعه ابنة فقال له : أي بني قدم قتلت حتى أحسبك ، فحمل مقاتل حتى قتل ، ثم تقدم صلة مقاتل حتى قتل ، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة المدوية قالت : إن كنتن جنتن لتهينني فرجاً بكن ، وإن كنتن جنتن لتهزبنني فارجعن ، توفي صلة في غزاة هو وابنه نحو بلاد طرس في هذه السنة .

(زهير بن قيس البلوي)

شهد فتح مصر وسكنها ، له حبة ، قتله الروم بيرة من بلاد المغرب ، وذلك أن الصريح أتى

الحاكم بمصر وهو عبد العزيز بن مروان أن الروم نزلوا بركة ، فأمره بالتموض إليهم ، فساق زهير ومعه أربعون قنصا فوجد الروم فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه المسكر ، فقالوا : يا أبا شداد احمل بنا عليهم ، فحملوا فقتلوا جميعا (المنذر بن الجارود) مات في هذه السنة . تولى بيت المال ووفد على معاوية والله أعلم [٩] .

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين)

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفا ، وانضاف عليهم عشرة آلاف ، فصاروا خمسين ألفا ، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء وأمره أن يقصد لشبيب أن كان ، وأن يصمم على قتاله . وكان قد اجتمع على شبيب ألف رجل . وأن لا يضلوا كما كانوا يضلون قبلها من الفرار والمزعة . ولما بلغ شييبا ما بث به الحجاج إليه من المساكر والجنود ، لم يعبأ بهم شيئا ، بل قام في أصحابه خطيبا فوعظهم وذكرهم وحثهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء ، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس ، فأمر شبيب مؤذنه سلام بن يسار الشيباني فأذن المغرب ثم صلى شبيب بأصحابه المغرب صلاة تامة الركوع والسجود ، وصف عتاب أصحابه . وكان قد خندق حوله وحول جيشه من أول النهار . فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب انتظر حتى طلع القمر وأضاء ثم تأمل الميمنة والميسرة ثم حل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول : أنا شبيب أبو المذلة لاحكم إلا الله ، فهزمهم وقتل أميرهم قبيصة بن والقي وجعاعة من الامراء معه ، ثم كر على الميمنة وعلى الميسرة ففرق شمل كل واحداهما ، ثم قصد القلب فإزال حتى قتل الأمير عتاب بن ورقاء وزهرة بن جونة ، وولى عامة الجيش مدبرين وداسوا الأمير عتاب وزهرة فوطئته اغليل . وقتل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي . ثم قال شبيب لأصحابه : لا تتبعوا منهزما ، وانهمز جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة ، وكان شبيب لما احتوى على المسكر أخذ ممن بقى منهم البيعة له بالامارة وقال لهم إلى أي ساعة نهرون ؟ ثم احتوى على ما في المسكر من الأموال والحواصل ، واستدعى بأخيه مصاد من المدائن ، ثم قصد نحو الكوفة ، وقد وفد إلى الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ستة آلاف فارس ومعهما خلق من أهل الشام ، فاستغنى الحجاج بهم عن نصرة أهل الكوفة ، وقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتل عدونا ، الحقوا بلخيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، فلا يقاتلن معنا إلا من كان عملا لنا ، ومن لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء ، وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه وسار شبيب حتى

(١) - سقط من المصرية

بلغ الصراة ، وخرج إليه الحجاج بن منه من الشاميين وغيرهم ، فلما تواجه الفريقان نظر الحجاج إلى شبيب وهو في سنانة فخطب الحجاج أهل الشام وقال : يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يفلن بابل هؤلاء الأراجيس جحكم ، غضوا الأبصار واجثوا على الركب ، واستقبلوا بأطراف الأسنة ، فضلوا ذلك ، وأقبل شبيب وقد عبي أصحابه ثلاث فرق ، واحدة معه ، وأخرى مع سويد ابن سليم ، وأخرى مع الجمل بن وائل ، وأمر شبيب سويداً أن يحمل فحمل على جيش الحجاج فصبروا له حتى إذا دنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة فانهزم عنهم ، فنلدى الحجاج : يا أهل السمع والطاعة هكذا فاضلوا ، ثم أمر الحجاج قديم كرسية الذي هو جالس عليه إلى الأمام ، ثم أمر شبيب الجمل أن يحمل فحمل فثبتوا له وقدم الحجاج كرسية إلى أمام ، ثم إن شبيباً حمل عليهم في كنيته فثبتوا له حتى إذا غشى أطراف الأسنة وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ، ثم إن أهل الشام طاعنوه حتى ألقوه بأصحابه ، فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد احمل في خيلك على أهل هذه السرية لعلك تزيل أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه ، ونحمل نحن عليه من أمامه . فحمل فلم يقد ذلك شيئاً ، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة فارس ردأ له من ورائه لئلا يؤتوا من خلفهم ، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً ، فشد ذلك حرض شبيب أصحابه على الحلة وأمرهم بها ففهم ذلك الحجاج ، قال : يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ، ثم ورب السماء والأرض ماشى دون الفتح ، فجنوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه ، فلما غشبهم نادى الحجاج بمجاعة الناس فوثبوا في وجهه ، فلما زالوا يطعنون ويطعنون وهم مستظهرون على شبيب وأصحابه حتى ردوهم عن مواضعهم إلى ما ورائها ، فنلدى شبيب في أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ، ثم نزل ووزلوا ونلدى الحجاج يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة ، هذا أول النصر والذي نفسى بيده ، وصمد مسجداً هنالك وجعل ينظر إلى الفريقين ، ومع شبيب نحو عشرين رجلاً معهم النبل ، واقتتل الناس قتالاً شديداً طيلة النهار من أشد قتال في الأرض ، حتى أقر كل واحد منهم لصاحبه ، والحجاج ينظر إلى الفريقين من مكانه ، ثم إن خالد بن عتاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة فيأتى الخوارج من خلفهم ، فأذن له ، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف ، فسلح عسكر الخوارج من ورائهم قتل مصاداً أخاً شبيب ، وغزاة امرأة شبيب ، قتلها رجل يقال له فروة بن دقان الكلبي ، وخرق في جيش شبيب ، ففرح بذلك الحجاج وأصحابه وكبروا ، وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج أن ينطلقوا في طلبهم ، فشدوا عليهم فهزمهم ، وتخلف شبيب في حمية الناس ، ثم انطلق وأتبعه الطلب فجعل ينص وهو على فرسه حتى يفتق برأسه ، ودنا منه الطلب فجعل يعض أصحابه ينهله عن النمل في هذه الساعة فجعل لا يكثر ثبهم

ويعود فينشق رأسه ، فظا طال ذلك بمش الحجاج إلى أصحابه يقول دعوه في حرق النار ، فتركوه ورجعوا .
ثم دخل الحجاج الكوفة فخطب الناس فقال في خطبته . إن شيباً لم يهزم قبلها ، ثم قصد شبيب
الكوفة فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج فالتقوا يوم الأربعاء فلا زالوا يبتعدون إلى يوم الجمعة
[وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية التقي في ألف فارس معه ، فحمل شبيب على الحارث
ابن معاوية فكسره ومن معه ، وقتل منهم طائفة ، ودخل الناس الكوفة هاربين ، وحسن الناس
السكك فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في طائفة من الجيش فقاتل حتى قتل ، ثم هرب أصحابه
ودخلوا الكوفة ، ثم خرج إليه أمير آخر فأنكر أيضاً ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد فروا
بمامل الحجاج على تلك البلاد فقتلوه ، ثم خطب أصحابه وقال : اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة ، ثم رمى
بالمال في الفرات ، ثم سار بهم حتى اقتنع بلاداً كثيرة ولا يبرز له أحد إلا قتله ، ثم خرج إليه بعض
الأمراء الذين على بعض المدن فقال له : يا شبيب ابرز إلى وأبرز إليك ، - وكان صديقه - فقال له
شبيب : إني لا أحب قتلك ، فقال له : لكنني أحب قتلك فلا تترك نفسك وما تقدم من الوقائع ،
ثم حمل عليه فضربه شبيب على رأسه فهدس رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه ، ثم كفته
ودفنه ، ثم إن الحجاج أنفق أموالاً كثيرة على الجيوش والساكر في طلب شبيب فلم يلقوه ولم
يقدروا عليه ، وإما سلب الله عليه موتاً قديراً من غير صنهم ولا صنه في هذه السنة ^(١)]

ذكر مقتل شبيب في هذه السنة عند ابن الكلبي

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى قائمه على البصرة - وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن
أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج - يأمره أن يجهز جيشاً أربعة آلاف في طلب شبيب ، ويكونون
تبساً لسفیان بن الأبرد ، ففعل وانطلقوا في طلبه فالتقوا معه ، وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل
الشام ، فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه جيشاً واحداً هم وأهل الشام ، ثم ساروا
إلى شبيب فالتقوا به فاقبلوا قتالاً شديداً وصير كل من الفريقين لصاحبه ، ثم عزم أصحاب الحجاج
فحملوا على الخوارج حملة منكزة والخوارج قليلون ففروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى
جسر هناك ، فوقف عنده شبيب في مائة من أصحابه ، وعجز سفیان بن الأبرد عن مقاومته ، وورده
شبيب عن موقفه هنا بعد أن قاتلوا نهائراً طويلاً كملوا عند أول الجسر أشد قتال يكون ، ثم أمر
ابن الأبرد أصحابه فرشقهم بالنبال رشقاً واحداً ، فزرت الخوارج ثم كرت على الرماة فقتلوا نحو
من ثلاثين رجلاً من أصحاب ابن الأبرد ، وجاء الليل بظلامه فكف الناس بعضهم عن بعض ،
وبات كل من الفريقين مصراً على مناحضة الآخر ، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر ،

فبينما شبيب على متن الجسر راكبا على حصان له وبين يديه فرس أنقى إذ نزا حصانه عليها وهو على الجسر قتل حلف فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء ، وقال ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، ثم انغمر في الماء ثم ارتفع وهو يقول (ذلك تهدير العزيز المليم) ففرق . فلما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كبروا وانصرفوا ذاهبين متفرقين في البلاد ، وجاء أمير جيش الحجاج فاستخرج شبيبا من الماء وعليه دعدة ، ثم أمر به فشق صدره فاستخرج قلبه فاذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة ، وكأنا يضررون به الأرض فيرتفع طمة الانسان . وقيل إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشايرهم ، فلما تخلف في الساقة اشتدوا وأكثروا قطع الجسر به ففعلوا ذلك فالت السفن بالجسر ونفر فرسه فسقط في الماء ففرق ، وقادوا غرق أمير المؤمنين ، فرف جيش الحجاج ذلك فجاءوا فاستخرجوه ، ولما نفي شبيب إلى أمه قالت : صدقتم إني كنت رأيت في المنام وأنا حملت به أنه قد خرج منها شهاب من نار فطلعت أن النار لا يطفئها إلا الماء ، وأنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية اسمها جبهة ، وكانت جميلة ، وكانت من أشجع النساء ، تهافت مع ابنها في الحروب . وذكر ابن خلكان أنها قتلت في هذه الغزوة ، وكذلك قتلت زوجته غزالة ، وكانت أيضا شديدة البأس تهافت قتلا شديداً يمجز عنه الأبطال من الرجال ، وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء :

أسد على وفي الحروب نعلمة * فتخاه تنفر من صغير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغا * بل كان قلبك في جناحي طائر

قال : وقد كان شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل ابن صبرة بن ذهل بن شيان الشيباني ، يدعى الخلافة ويتسمى بأمر المؤمنين ، ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الفرق لثال الخلافة إن شاء الله ، ولما قهر عليه أحد ، وإنما قهره الله على يد الحجاج لما أرسل إليه عبد الملك بمسك الشام لقتاله ، ولما أقام جواده على الجسر في نهر جبل قال له رجل : أفرقا يا أمير المؤمنين ؟ قال (ذلك تهدير العزيز المليم) قال ثم أخرج وحمله إلى الحجاج فأمر قترع قلبه من صدره فاذا هو مثل الحجر ، وكان شبيب رجلاً طويلاً أعظم جداً ، وكان مولده في يوم عيد النحر سنة ست وعشرين ، وقد أمسك رجل من أصحابه فحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له أنت

القاتل : فان بك منكم كل مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فنا حصين والبطين وقنص * ومنا أمير المؤمنين شبيب

قال : إنما قلت ومنا يا أمير المؤمنين شبيب . فأعجبه اعتذاره وأطلقه والله سبحانه أعلم . وفي هذه السنة كانت حروب كثيرة جداً بين المهلب بن أبي صفرة نائب الحجاج ، وبين الخوارج من الأزارقة وأميرهم قطري بن النجاعة ، وكان قطري أيضاً من الفرسان الشجعان المذكورين المشهورين

وقد تفرق عنه أصحابه وضروا في هذه السنة ، وأما هو فلا يدري أحد أين ذهب فانه شرد في الأرض وقد جرت بينهم مناوشات ومجاولات يطول بسطها ، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها في تاريخه . قال ابن جرير : وفي هذه السنة تار بكير بن وشاح ألقى كان نائب خراسان على نائبها أمية بن عبد الله ابن خالد وذلك أن بكيراً استجاش عليه الناس وغدر به وقتله ، وقد جرت بينهما حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير في تاريخه . وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد كما قمنا ، وقد كان من الشجاعة والفروسة على جانب كبير لم ير بعد الصحابة مثله ، ومثل الأشتر وابنه إبراهيم ومصعب بن الزبير وأخيه عبد الله ومن يناط بهؤلاء في الشجاعة مثل قطري بن النجماء من الأزارقة والله أعلم . وفيها توفي من الأعيان (كثير بن الصلت) بن مدي كرب الكندي ، كان كبيراً مطاعاً في قومه ، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصلى ، وقيل إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل ، توفي بالشام .

(محمد بن موسى) بن طلحة بن عبيد الله كانت أخته تحت عبد الملك وولاه سجستان ، فلما سار إليها قيل له إن شبيباً في طريقك وقد أعيأ الناس فاعدل إليه لملك أن تقتله فيكون ذكر ذلك وشهرته لك إلى الأبد ، فلما سار لقيه شبيب فاقتتل معه فقتله شبيب . وقيل غير ذلك والله أعلم .

(عياض بن غم الأشعري)

شهد اليرموك ، وحدث عن جماعة من الصحابة وغيرهم توفي بالبصرة رحمه الله .

(مطرف بن عبد الله)

وقد كانوا إخوة ، عروة ومطرف وحزرة ، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية فاستملمهم الحجاج على أقاليم ، فاستعمل عروة على الكوفة ، ومطرف على المدائن ، وحزرة على همدان .

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين)

ففيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم افتتحوها إرقلية ، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وتلج وبرد فأصيب بسببه ناس كثير . وفيها ولي عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه فسار إلى طنجة وقد جعل على مقدمته طارقاً فقتلوا ملوك تلك البلاد ، وبعضهم قطعوا أنفه ونفوه ، وفيها عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان وأضافها إلى الحجاج مع سجستان أيضاً ، وركب الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب من إمرة الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة المنيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شأن الأزارقة أيضاً ، فأجلسه معه على السرير واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه ، فن أثنى عليه المهلب أجزل الحجاج له العطية ، ثم ولي الحجاج المهلب إمرة سجستان ، وولى عبد الله بن أبي بكر إمرة خراسان ، ثم نقل بينهما قبل خروجهما من عنده وقيل كان ذلك بإشارة المهلب ، وقيل إنه استعان بصاحب

الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق البششى ، حتى أشار على الحجاج بنك فأجابه إلى ذلك ، وأزيم الملب بألف ألف درهم ، لأنه اعترض على ذلك .

قال أبو مشر : وحج بالناس فيها الوليد بن عبد الملك وكان أمير المدينة أبان بن عثمان ، وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج ، وثاقبه على خراسان الملب بن أبي صفرة ، وثاقبه على سجستان عبد الله بن أبي بكرة التقي ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك الأنصارى . وقد توفى في هذه السنة من الأعيان (جابر بن عبد الله) بن عمرو بن حرام ، أبو عبد الله الأنصارى السلى ، صاحب رسول الله ﷺ وله روايات كثيرة ، وشهد العقبة وأراد أن يشهد بدرأ فتمه أبوه وخلفه على إخوانه وأخواته ، وكانوا تسمة ، وقيل إنه ذهب بصره قبل موته . توفى جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة ، وأسند إليه ألف وخمسة وأربعين حديثاً .

(شريح بن الحارث)

ابن قيس أبو أمية الكندى ، وهو قاضى الكوفة ، وقد تولى القضاء لسمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ، ثم عزله على ، ثم ولاء معاوية ثم استقل فى القضاء إلى أن مات فى هذه السنة ، وكان رزقه على القضاء فى كل شهر مائة درهم ، وقيل خمسة آلاف درهم ، وكان إذا خرج إلى القضاء يقول : سيعلم الظالم حظ من نقص ، وقيل إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية (يادادو إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) الآية ، وكان يقول : إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر ، وقيل إنه مكث قاضياً نحو سبعين سنة : وقيل إنه استعفى من القضاء قبل موته بسنة فافقه أعلم . وأصله من أولاد الفرس الذين كانوا يأمين ، وقدم المدينة بعد موت النبى ﷺ ، توفى بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين .

[وقد روى الطبرانى قال : حدثنا على بن عبد العزيز ثنا علم أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن شعيب ابن الحبحاب عن إبراهيم التيمى . قال : كان شريح يقول : سيعلم الظالمون حق من قصوا . إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظلوم ينتظر النصر . ورواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن ابن عون عن إبراهيم به . وقال الأعشى : اشتكى شريح رجله فظلاها بالمسمل وجلس فى الشمس فدخل عليه عواده فقالوا : كيف تهيك ؟ فقال : صالحا . فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : قد فعلت ، قالوا : فإذا قال لك ؟ قال : وعد خيراً : وفى رواية أنه خرج بإهله قرحة فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : هو الذى أخرجه . وقال الأوزاعى : حدثنى عبدة بن أبى لبابة قال : كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين وكان شريح لا يختبر ولا يستخير . ورواه ابن ثوبان عن عبدة عن الشعبي عن شريح قال :

لما كانت الفتنة لم أسأل عنها . قال رجل لو كنت مثلك ما ياليت متى مت ، قال شرح : فكيف بما في قلبي . وقد رواه شقيق بن سلمة عن شرح قال : في الفتنة ما استخبرت ولا أخبرت ولا ظلمت مسلماً ولا معاهداً دينلاً ولا درهما ، قال أبو وائل : لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قدمت ، فأوى إلى قلبه قال : كيف بهداً ، وفي رواية : كيف بما في صدري تلتقي الفتيان وإحداهما أحب إلى من الأخرى . وقال لقوم رآهم يلبسون : مالي أراكم تلبسون ؟ قالوا : فرغنا ! قال : ما بهذا أمر الفارغ . وقال سوار بن عبد الله المنبري : حدثنا الملاة بن جرير المنبري حدثني سالم أبو عبد الله أنه قال : شهدت شرحاً وهم إليه رجل قال : أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : بعيد شقيق ، قال : إني تزوجت امرأة ، قال : بالقاء والبنين ، قال : إني اشتريت لها دارها ، قال : الشرط أمك ، قال : اتص بيئنا ، قال : قد فعلت . وقال سفيان : قيل لشرح بأي شيء أصبت هذا العلم ؟ قال : بمناوذة العلماء ، أخذ منهم وأعطيهم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن محمد بن سالم عن إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن هبيرة أنه سمع علياً يقول : يا أيها الناس ! يأتوني قهلاً كم يسألوني وأسألهم ، فلما كن من الند غدونا إليه حتى امتلأت الرجة ، فجعل يسألهم : ما كننا ما كننا ، ويسألونه ما كننا ما كننا فيخبرهم ويخبرونه حتى إذا ارتفع التهازل تصدعوا غير شرح فانه جث على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا أخبره به ، قال : سمعت علياً يقول : قم يا شرح فأنت أقصى العرب . وأنت شرحاً امرأة أن جنة صبي وأمه ينقصان فيه كل واحدة تقول : أنا أحق به

أيا أمية أتينك وأنت المستعان به ألك جنة ابن وأم وكلنا تافديه
فلو كنت تأبعت لما نازعتك فيه تزوجت فهايه ولا ينهب بك القيه
• ألا أيها القاتلي فهذه قصتي فيه •

قالت الأم : —

ألا أيها القاتلي قد ظلمت الجدة • قولاً فاستمع مني ولا تطردني رده
تقرى النفس من ابني • وكبسي حملت كبد
فلما صار في حجرى • يقيا مفرداً وخله
تزوجت رجاء الخليل • من يكفني قد
ومن يظهر لي الود • ومن يحسن لي رده

قال شرح : —

(١) هذه الايالت طبق الاصل ولم نجد لها نظيراً .

قد سمع القاضي ما قلنا ثم قضى * وعلى القاضي جهد إن غفل
قال للجنة بيني بالصبي * وخذي ابنك من ذات اللعل
إتها لو صبرت كان لها * قبل دعوى ما تبتغيه للبدل

قضى به اللجنة . وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر بن عون عن إبراهيم عن شرح أنه قضى على رجل باعتراه قال : يا أبا أمية قضيت على بنير ينة ، قال شرح : أخبرني ابن أخت خالك . وقال على بن الجهم : أنبأنا المسعودي عن أبي حصين قال : سئل شرح عن شاة تأكل القلب قال : علف بجان ولبن طيب . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن أبي حيان التميمي حدثنا أبي قال : كان شرح إذا مات لأهله سنور أمر بها فألقيت في جوف داره ، ولم يكن له مشعب « شارع » إلا في جوف داره يفعل ذلك اتقاء أن تؤذى المسلمين - يعني أنه يلقي السنور في جوف داره لئلا تؤذى بنتن ويحبها المسلمين - ، وكانت مياذيب أسطحة داره في جوف الدار لئلا يؤذى بها المارة من المسلمين . وقال الرياشي : قال رجل لشرح : إن شألك لشوين . فقال له شرح : أراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها في نفسك . وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى تغلب النحوي حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سمعان . قال : كتب شرح إلى أخ له حرب من الطاعون : أما بعد فانك والمكان الذي أنت فيه والمكان الذي خرجت منه بعين من لا يسجزه من طلب ، ولا يفوته من حرب ، والمكان الذي خلفته لم يعد أمراً لكاهه ومن تظله أيامه ، وإنك وإيهم لعل بساط واحد ، وإن للمتجمع من ذى قعدة قريب .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن الشعبي عن شرح أن عمر كتب إليه : إذا جامك الشيء من كتاب الله فاقض به ولا يلغتنك عنه رجاء ما ليس في كتاب الله ، وانظر في سنة رسول الله ﷺ فاقض بها ، فان جامك ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانظر ما اجتمع عليه الناس غفبه ، وفي رواية : فانظر فيما قضى به الصالحون ، فان لم يكن فان شئت فقدم وإن شئت فأنخر ، وما أرى التأخر إلا خيراً ، والسلام .

وقال شرح : كنت مع علي في سوق الكوفة فأتته إلى قاص يقص فوقف عليه وقال : أيها القاص ! قص ونحن قريبو العهد ؟ أما إني سألك فان تجب فما سألك وإلا أدبتك ، قال القاص : سل يا أمير المؤمنين عما شئت ، فقال علي : ما ثبت الايمان وزواله ؟ قال القاص : ثبت الايمان الورع وزواله الطمع . قال علي : فذاك قص . قيل إن هذا القاص هو نوف البكالي . وقال رجل لشرح : إني لندكر النعمة في غيرك وتساها في نفسك ، قال : إني والله لأحسدك على ما أرى بك . قال : ما فضلك الله بهذا ولا ضرني .

وروى جزي عن الشيباني عن الشعبي قال : اشترى عمر فرسان رجل على أن ينظر إليه ، فأخذ الفرس فسار به فطلب ، فقال لصاحب الفرس : خذ فرسك ، قال : لا ! قال : فاجعل بيني وبينك حكما ، قال الرجل نعم اشريح ، قال عمر : ومن شريح ؟ قال : شريح المراق ، قال : فامتلنا إليه قصا عليه القصة ، قال : يا أمير المؤمنين رد كما أخفت أو خذ بما أبغته ، فقال عمر : وهل القضاء إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة قد وليتك قضاءها ، فانه لأول يوم عرفة يمشد .

وقال هشام بن محمد الكلبي : حدثني رجل من ولد سعد بن وقاص قال : كان لشريح ابن يدعو الكلاب ويهاش بين الكلاب ، فدنا بدواة وقرطاس فكتب إلى مؤذبه قال : -

ترك الصلاة لأكلب يسمى بها طلب المرائش مع النواة الرجس

فاذا أتاك فنه بلامه وعظه من عظة الأديب الأكيـس

فاذا هممت بضربه فبدرة فاذا ضربت بها فلانا فاحبس

واعلم بأنك ما أتيت نفسه مع ما تجر عني أعز الأفس

وروى شريح عن عمر عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « يا عائشة (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب الأهواء والبدع ، أنا منهم يرى وهم مني براء » . وهذا حديث ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى عن بقية عن شعبة - أو غيره - عن مجاهد عن الشعبي ، وإنما تفرد به بقية بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة أيضا . وروى محمد بن كعب القرظي عن الحسن عن شريح عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفرطون حتى تصيروا في خلة من الناس قد مزجت عهودهم وغربت أمانتهم ، قال قال : فكيف بنا يا رسول الله ؟ قال : تعملون بما تعرفون وتتركون ما تنكرون ، وتقولون : أحد أحد ، انصرونا على من ظلمناوا كفننا من بنانا » . وروى الحسن بن سفيان عن يحيى بن أيوب عن عبد الجبار بن وهب عن عبد الله السلمي عن شريح ، قال : حدثني البصريون منهم عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « ما من شاب يدع لغة الدنيا ولهوها ويستقبل بشباهة الله تعالى إلا أعطاه الله تعالى أجرا اثنين وسبعين صدقا ، ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك شهوته من أجل ، المبنتل شبابه لي ، أنت عندي كبعض ملائكتي » . وهذا حديث غريب .

وقال أبو داود : حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن قيس بن زيد - وقال أبو داود أو عن زيد بن قيس - عن غانم الصيرفي عن شريح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول : يا ابن آدم فم أمنت حقوق

الناس ؟ فم أذهبت أموالهم ؟ فيقول : يلرب لم أفسده ولكن أصبت إما غرماً وإما حرماً ، فيقول الله سبحانه أنا أحق من قضى عنك اليوم ، فترجع حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة . . لفظ أبي داود ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به وقال فيه : « فيدع الله بشئ فيضه في ميزانه فيقتل » ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم عن صدقة به ، ورواه الطبراني أيضاً عن حفص بن عمر وأحمد ابن داود المسكي قالوا : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة به ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ عبد الرحمن بن غنم ﴾

الأشعري نزيل فلسطين وقد روى عن جماعة من الصحابة وقيل إن له صحبة وقد بمته عمر بن الخطاب إلى الشام ليقه أهلها في الدين وكان من العباد الصالحين .

﴿ جنادة بن أمية الأزدى ﴾

شهد فتح مصر وكان أميراً على غزو البحر لماوية ، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير ، توفي بالشام وقد قارب الثمانين .

﴿ العلاء بن زياد البصري ﴾

كان من العباد الصالحين من أهل البصرة ، وكان كثير الخوف والورع ، وكان يمتزل في بيته ولا يخالط الناس ، وكان كثير البكاء ، لم يزل يبكي حتى عمى ، وله مناقب كثيرة ، توفي بالبصرة في هذه السنة . قلت : إنما كان معظم بكاء العلاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رآها له رجل من أهل الشام آمن من أهل الجنة ، قال له العلاء : أما أنت يا أخى فجزاك الله عن رؤياك لى خيراً ، وأما أنا فقد تركت رؤياك لا أهدأ بليل ولا نهار ، وكان بعد ما يطوى الأيام لا يأكل فيها شيئاً ويبكى حتى كاد يشارك الدنيا ، ويصلى لا يفتر ، حتى جاء أخوه إلى الحسن البصري فقال : أدرك أخى فإنه قاتل نفسه ، يصوم لا يضر ، ويقوم لا ينام ، ويبكى الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له أنه من أهل الجنة ، فجاء الحسن فطرق عليه بابه فلم يفتح ، فقال له : افتح فاني أنا الحسن ، فلما سمع صوت الحسن فتح له ، وقال له الحسن : يا أخى الجنة وما الجنة للؤمن ، إن للؤمن عند الله ما هو أفضل من الجنة ، فقاتل أنت نفسك ؟ فلم يزل به حتى أكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلاً . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أتاه آت في مقامه فأخذ بنا صيته وقال : يا غلام قم فاذكر الله يذكرك . فما زالت تلك الشجرات التي أخذ بها قائمة حتى مات ، وقد قيل : إنه كان يرفع له إلى الله كل يوم من العمل الصالح بقدر أعمال خلق كثير من الناس كما رأى ذلك بعض أصحابه في المنام . وقال العلاء : نحن قوم وضعت أنفسنا في النار فان شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا . وقال : كان رجل يرأى بفسله فيجمل يشرب ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ ، فجمل لا يأتي على أحد إلا سبه ، ثم رزقه الله الإخلاص واليقين

تغنى من صوته وجعل صلاحه بينه وبين الله ، فجعل لا يأتى على أحد بعد ذلك إلا دعاه بخير [(١)] .
 (سراقه بن مرداس الأندلسي) كان شاعراً مطبقاً ، هجا الحجاج فغناه إلى الشام فتوفي بها
 (الناطقة الجندی) الشاعر . السائب بن يزيد الكندي ، توفي في هذه السنة . سفیان بن سلمة
 الأسدي . معاوية بن قرة البصري . زر بن حبیش .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ﴾

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفتنون من شدته ، ولم يفر فيها أحد من أهل الشام
 لضيقهم وقتهم ، ووصلت الروم فيها أنطاكية فأصابوا خلقاً من أهلها للمهم بضعف الجنود والمقاتلة .
 وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكرة رقيب ملك الترك حتى أوغل في بلاده ، ثم صالحه على مال يحميه
 إليه في كل سنة ، وفيها قتل عبد الملك بن مروان الحارث بن سعيد التنجي الكذاب ، ويقال له
 الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد العمشقي ، مولى أبي الجلاس العبدري ، ويقال مولى الحكم بن
 مروان ، كان أصله من الجولة قتل دمشق وتبعدها وتنفك وترهد ثم مكر به ورجع القهقري على
 عقبيه ، وانسلخ من أيت الله تعالى ، وطارق حرب الله الفلحين ، واتبع الشيطان فكان من الفاوين
 ولم يزل الشيطان يزج في فناه حتى أخسره دينه ودنياه ، وأخزاه وأشقه : فإنا لله وحسبنا الله ولا
 حول ولا قوة إلا بالله

قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا عبد الوهاب نجيعة الجولي حدثنا محمد بن مبارك ثنا الوليد بن
 مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال . كان الحارث الكذاب من أهل دمشق ، وكان مولى لأبي
 الجلاس ، وكان له أب بالجولة ، ففرض له إبليس ، وكان رجلاً متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب
 لرؤيت عليه الزهادة والعبادة ، وكان إذا أخذ بالتحميد لم يسمع السامعون مثل تحميده ولا أحسن من
 كلامه ، فكتب إلى أبيه وكان بالجولة : يا أبناه أعجل على فاني قد رأيت أشياء تخوف أن يكون
 الشيطان قد عرض لي ، قال فزاده أبوه غيا على غيه ، فكتب إليه أبوه : يا بني أقبل على ما أمرت
 به فان الله تعالى يقول (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أذكأ أئيم) ولست بأذكأ
 ولا أئيم ، فاضلما أمرت به ، وكان يجيء إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذاكرهم أمره ويأخذ عليهم
 العهد والميثاق إن هو يرى ما يرضى وإلا كتم عليه .

قال : وكان يريهم الأعاجيب ، كان يأتي إلى رخصة في المسجد فينقرها بيده فتسبح تسبيحاً بليغاً
 حتى يضيئ من ذلك الحضور . قلت : وقد سمعت شيخنا العلامة أبي العباس بن تيمية رحمه الله يقول
 كان ينقر هذه الرخصة الجراء التي في القصور فتسبح ، وكان زنديقاً . قال ابن أبي خيثمة في روايته
 (١) سقط من نسخة طوب قبولاً سنانة .

وكان الحارث يطعمهم فأكلة الشتاء في الصيف ، و فأكلة الصيف في الشتاء ، وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أريكم الملائكة ، فيخرج بهم إلى دير المراق فيبريم رجلا على خيل فيقبضه على ذك بشركثير ، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه ، حتى وصل الأمر إلى القلم بن خيمرة ، قال فرض على القلم أمره وأخذ عليه المهد إن هورضى أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه ، قال فقال له : إني نبي ، فقال القلم : كذبت يا عدو الله ، ما أنت نبي ، وفي رواية ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ : « إن الساعة لا هوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي » وأنت أحسن ولا عهد لك . ثم قام فخرج إلى أبي إدريس . وكان على القضاء بمشقى - فأعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس نرفه ، ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك ، وفي رواية أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زائدة دخلا على الحارث فغصاها إلى نبوته فكنباه وردا عليه ما قال ، ودخلا على عبد الملك فأعلماه بأمره ، فطلبه عبد الملك طلباً حثيثاً ، واختفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس يدعو إلى نفسه سرّاً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلى النصرية فترفا فورد عليه هناك رجل من أهل النصرية بمن كان يدخل على الحارث وهو بيت المقدس فأعلمه بأمره وأين هو ، وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطاقة من الجند الأتراك ليعتاط عليه ، فأرسل معه بطاقة وكتب إلى نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويضل ما يأمره به ، فلما وصل الرجل إلى النصرية بيت المقدس بمن معه اتدب نائب القدس فخلعته ، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشعوب ويجمع مع كل رجل سمعته فإذا أمرهم بأعمالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأرقة حتى لا ينجى أمره ، وذهب الرجل بنفسه فدخل القار التي فيها الحارث فقال لبوابه استأذن على نبي الله ، فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح ، فصاح النصرى أسرجوا ، فأشعل الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ، وهم النصرى على الحارث فاختفى منه في سرب هناك فقال أصحابه هيهات يريدون أن يصلوا إلى نبي الله ، إنه قد رضع إلى السياه ، قال فأدخل النصرى يده في ذلك السرب فإذا بشو به فاجتره فأخرجه ، ثم قال لفرعانيين من أترك الخليفة قال فأخفوه قبيوه ، فيقال إن القيد والجملة سقطت من عنقه مراراً ويبدوها ، وجعل يقول : (قل إن ضللت فإني أضل على نفسي ، وإن اهتديت فإني أوحى إلى دمي إنه سمح قريب) وقال لأولئك الأتراك (أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ؟ فقالوا له بلساتهم ولعنهم : هذا كراتنا فهات كراتك ، أي هذا قرأتنا فهات قرأتك ، فلما انتهوا به إلى عبد الملك أمر بصلبه على خشبة وأمر رجلاً فطعنه بجرمة فانتشت في ضلع من أضلاعه ، فقال له عبد الملك : ويحك أذكرت اسم الله حين طعنته ؟ قال : نسيت ، فقال : ويحك سم الله ثم طعنته ، قال فذكر اسم الله ثم طعنته فأقفه ، وقد كان عبد الملك حبه قبل صلبه وأمر رجلاً

من أهل الفقه والعلم أن يظفوه ويملوه أن هذا الذي به من الشيطان ، فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك ، وهذا من تمام العمل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر تحدثني من مع الأعمور يقول : سمعت العلاء بن زياد المدوي . يقول : ما غبطت عبد الملك بشئ من ولايته إلا بقتله حارثاً حيث إن رسول الله ﷺ قال : « ولا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقتلوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة » . وقال الوليد بن مسلم : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك لو حضرتك ما أمرتك بقتله ، قال : ولم ؟ قال : إنه إما كان به الذهب فلو جوعته لذهب ذلك عنه ، وقال الوليد عن المنذر بن نافع سمعت خالد بن الجلاح يقول لعليان : ويحك يا غيلان ، ألم تأخذك في شبيبتك ترا من النساء في شهر رمضان بالتفاح ، ثم صرت حارثياً تحجب امرأتها وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت فصرت قهراً زنديقاً .

وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكره رقيبيل ملك الترك الأعظم فيهم ، وقد كان يصانع المسلمين قارة ويشرد أخرى ، فكتب الجراح إلى ابن أبي بكره تأخذه بمن ملك من المسلمين حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته ، فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رقيبيل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة بنارة ، وجلس ابن أبي بكره وجنوده خلال ديارهم ، واستحوذ على كثير من أقاليمه ومدنه وأحصاره ، وتبر ما هناك تعبداً ، ثم إن رقيبيل تهاجر منه وما زال يبعثه حتى اقترب من مدينته العظيمة ، حتى كانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً ، وخلف الأتراك منهم خوفاً شديداً ، ثم إن الترك أخذت عليهم الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك حتى غلن كل من المسلمين أنه لا محالة هالك ، فشد ذلك طلب عبيد الله أن يصلح رقيبيل على أن يأخذ منه سبعمائة ألف ، ويفتحوا للمسلمين طريقاً يخرجون عنه ويرجعون عنهم إلى بلادهم ، فانتدب شريح بن هانئ - وكان صحابياً ، وكان من أكبر أصحاب علي وهو المقدم على أهل الكوفة - فندب الناس إلى القتال والمصاهرة والتزال والجلاد بالسيف والرمح والنبال ، قهاه عبيد الله بن أبي بكره فلم يفته ، وأجابه شرفة من الناس من الشجيمان وأهل الحفاظ ، فما زال يقاتل بهم الترك حتى فنى أكثر المسلمين رضى الله عنهم ، قالوا وجعل شريح بن هانئ يرتجز ، ويقول :

أصبحت ذابث أظنى الكبرا • قد عشت بين المشركين أعصرا

ثم أدركت النبي المنفرا • وهدم صدقه وعمرا

ويوم مهران ويوم تسترا • والجمع في صفينهم والتهرا

هملت ما أطول هذا عمرا

ثم قاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وقتل معه خلق من أصحابه ، ثم خرج من خراج من الناس
 محبة عبيد الله بن أبي بكرة من أرض رقبيل ، ومم قليل ، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ما تقدم وما تأخر ،
 وكتب إلى عبد الملك يلمه بذلك ويستشير في بعث جيش كثيف إلى بلاد رقبيل لينتقموا منه بسبب
 ما حل بالمسلمين في بلاده ، فحين وصل البريد إلى عبد الملك كتب إلى الحجاج بالموافقة على ذلك ،
 وأن يجعل ذلك سريعاً ، فحين وصل البريد إلى الحجاج بنفسك أخذ في جمع الجيوش فجهز جيشاً كثيفاً
 لتلك على ماسياتي فصلبه في السنة الآتية بعدها . وقيل إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هاني
 ثلاثون ألفاً واقبوع الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شدائد ، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير
 أيضاً ، فآله وإنا إليه راجعون . وقد قتل المسلمون من الترك خلقاً كثيراً أيضاً قتلوا أضعافهم
 ويقال إنه في هذه السنة استعفى شريح من القضاء فأعفاه الحجاج من ذلك وولى مكانه أبا بردة
 ابن أبي موسى الأشعري ، وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته في السنة الماضية والله أعلم .

قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير : وحج بالناس في هذه السنة أئبن بن عثمان
 أمير المدينة النبوية ، وفيها قتل قطري بن الفجاعة القمي أبو فاعلة الخلاجي ، وكان من الشجعان
 المشاهير ، ويقال إنه مكث عشرين سنة يعلم عليه أصحابه بالخلافة ، وقد جرت له خطوب وحروب
 مع جيش المهلب بن أبي صفرة من جهة الحجاج وغيره ، وقد قتل منها طرفاً صالحاً في أمانه ،
 وكان خروجه في زمن مصعب بن الزبير ، وقلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، ووقائع مشهورة
 وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كثيرة فهزمها ، وقيل إنه برز إليه رجل من بعض الحوذية وهو على
 فرس أعجمي ويده عود حديد ، فلما قرب منه كشف قطري عن وجهه فولى الرجل هارباً فقال له
 قطري إلى أين ؟ أما تستحي أن تفر ولم تر طعناً ولا ضرباً ؟ قال إن الإنسان لا يستحي أن يفر من
 مثلك ، ثم إنه في آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش فاقتلوا بطبرستان ، فشر
 بقطري فرسه فوقع إلى الأرض فتكاثروا عليه فقتلوه وحلوا رأسه إلى الحجاج ، وقيل إن القتي قتل
 سودة بن الحر الهاربي ، وكان قطري بن الفجاعة مع شجاعته المفرطة وإقدامه من خطباء العرب
 المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن ، فن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه
 وغيره ومن سمعها انتفع بها :

أقول لما وقد طارت شامعا * من الأبطال ويحك لن تراعى
 فانك لو طلبت بقاء يوم * على الأجل الذي لك لم تقاوى
 فصبرا في مجال الموت صبراً * فما نيل الخلود بمستطاعى
 ولا ثوب الحياة بثوب عز * فيطوى عن أخى الخلع اليراعى

سبيل الموت غاية كل حي * وداعيه لأهل الأرض داع
فن لا يفتبط يأم ويهرم * وتسله النون إلى اقطاع
وما للرء خير في حياة * إذا ما عد من سقط المتاع

ذكرها صاحب الحماة واستحسنها ابن خلكان كثيراً

وفيها توفي عبيد الله بن أبي بكرة رحمه الله وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وغارتوا
رتبيل ملك الترك ، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هاني كما تقدم ذلك ، وقد دخل
عبيد الله بن أبي بكرة على الحجاج مرة وفي يده خاتم فقال له الحجاج : ولم ختمت بخاتمك هذا ؟
قال علي أربعين ألف دينار ، قال فقيم أفتقها ؟ قال : في اصطناع المروف ، ورد الملهوف
والمسكافة بالصناع وترويح العقائل . وقيل إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد
فأعطاه ثلاثين ألفاً ، وقيل إنه أهدى إليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه
خذهما لك ، ثم فكر وقال : والله إن لإنيار بعض الجلساء على بعض لشح قبيح وذلة رديئة ، ثم قال
يا غلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفاً ووصيفة ، فأحصى ذلك فكانوا ثمانين وصيفاً ووصيفة .
توفي عبيد الله بن أبي بكرة ببست وقيل بنرخ والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ، والحمد لله رب العالمين
(ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية)

ففيها كان السيل الحجاج بمكة لأنه حيف على كل شيء فذهب به ، وحمل الحجاج من بطن مكة
الجمال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يتقدم منه ، وبلغ الماء إلى الحجون ، وغرق
خلق كثير ، وقيل إنه ارتفع حتى كاد أن ينطلي البيت والله أعلم .

وحكى ابن جرير عن الواقدي أنه قال : كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون ، والمشهور أنه كان
في سنة تسع وستين كما تقدم . وفيها قطع المهلب بن أبي صفرة نهر ، وأقام بكش سنتين صابراً مصابراً
للاعداء من الأتراك ، وجرت له معهم هناك فصول يطول ذكرها ، وقد عليه في غضون هذه المدة
كتاب ابن الأشعث بخلفه الحجاج ، فبغته المهلب برمته إلى الحجاج حتى قرأه ثم كان ماسياً بيانه
وتفصيله فيما بعد من حروب ابن الأشعث ، وفي هذه السنة جهز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة
وغيرهما لقتال رتبيل ملك الترك ليقضوا منه ما كان من قتل جيش عبيد الله بن أبي بكرة في السنة
الماضية ، فجهز أربعين ألفاً من كل من المصريين عشرين ألفاً ، وأمر على الجميع عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث مع أنه كان الحجاج ينفذه جداً ، حتى قال مارأيته قط إلا همت بقتله ، ودخل ابن
الأشعث يوماً على الحجاج وعنده طير الشعي فقال انظر إلى مشيته والله قد همت أن أضرب
عنقه ، فأسرهما الشعي إلى ابن الأشعث فقال ابن الأشعث : وأنا والله لأجهدت أن أزيله عن

سلطانة إن طال في وجهه البقاء . والمقصود أن الحجاج أخذ في استعراض هذه الجنود وبذل فيهم
الطعام ثم اختلف رأيهم فيمن يؤمر عليهم ، ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ،
قدمه عليهم ، فأقنعه إسماعيل بن الأشعث فقال للحجاج : إني أخاف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة
إذا جاوز جسر الصراء ، فقال : ليس هو هنالك هو لي حبيب ، ومتى أروى أن يخالف أمرى أو
يخرج عن طاعتي ، فأضاه عليهم ، فسار ابن الأشعث بالجيوش نحو أرض ربيعة ، فلما بلغ ربيعة
جئى ابن الأشعث بالجنود إليه كتب إليه ربيعة يستنصرهما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية ،
وأنه كان لذلك كلاره ، وأن المسلمين هم الذين ألجؤوه إلى قتالهم ، وسأل من ابن الأشعث أن يصلح له
وأن يئذل للمسلمين الخراج ، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك ، وصمم على دخول بلاده ، وجمع
ربيعيل جنوده وتبأ له ولحربه ، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة من بلاد
ربيعيل استعمل عليها قائماً من جنته يحفظها له ، وجعل المشايخ على كل أرض ومكان مخوف ،
فاستحوذ على بلاد ومدن كثيرة من بلاد ربيعة ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، وسعى خلقاً كثيرة ، ثم
حبس الناس عن التوغل في بلاد ربيعة حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد ، ويتقووا بما فيها من
الغلات والحواصل ، ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم فلا يزالون يبورون الأراضي والأقاليم
حتى يحاصروا ربيعة وجنوده في مدينتهم مدينة العطاء على الكنوز والأموال والقراري حتى يقتنموها
ثم يقتلون مقاتلتهم ، وهزموا على ذلك ، وكان هذا هو الرأي ، وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره
بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم ، وبهذا الرأي اتفق رأاه لهم ، وقال بعضهم كان الحجاج قد وجه
هيمان بن عدي السدوسي إلى كرما مسلحاً لأهلها ليمد عمل سجستان والسند إن احتلجوا إلى ذلك ،
فمضى هيمان ومن معه على الحجاج ، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث فهزمه وأقام ابن الأشعث بمن
معه ، ومات عبيد الله بن أبي بكر فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بأمرة سجستان مكان ابن أبي
بكرة وجهر إلى ابن الأشعث جيشاً أخفق عليه ألفى ألف سوى أعطياتهم ، وكان يدعى هذا الجيش
جيش الطواويس ، وأمره بالاقدام على ربيعة فكان من أمره معه ما تقدم .

قال الواقدي وأبو معشر : وسج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وقال غيرهما : بل حج
بهم سليمان بن عبد الملك ، وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وعلى المدينة أبان
ابن عثمان ، وعلى المشرق بكالة الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء
البصرة موسى بن أنس بن مالك

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

(أسلم مولى عمر بن الخطاب)

وهو أبو زيد بن أسلم أسلمه من سبي عين الجمر اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة ،

وتوفي وعمره مائة وأربع عشرة سنة ، وروى عن عمر عدة أحاديث ، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً وله مناقب كثيرة رحمه الله .

(جبير بن نفير)

ابن مالك الحضرمي له محبة ورواية ، وكان من علماء أهل الشام وكان مشهوراً بالمباذة والعلم توفي بالشام وعمره مائة وعشرون سنة ، وقيل أكثر وقيل أقل .

(عبد الله بن جعفر بن أبي طالب)

ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت عيسى ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم وفاة ، سكن المدينة ، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة دأى النبي ﷺ إلى أمهم فقال : اثبتوني بيني وأخي ، فأني بهم كأنهم أفرخ ، فدنا بالخلق فخلق رؤسهم ثم قال : اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صفقته ، فجاءت أمهم فذكرت للنبي ﷺ أنه ليس لهم شيء ، فقال أنا لهم عوضاً من أبيهم ، وقد بايع النبي ﷺ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين ، وهذا لم يتفق لغيرهما ، وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس ، يعطي الجزيل الكثير ويستقبله ، وقد تصدق مرة بألف ألف ، وأعطى مرة رجلاً ستين ألفاً ، ومرة أعطى رجلاً أربعة آلاف دينار ، وقيل إن رجلاً جلب مرة سكرًا إلى المدينة فكسد عليه فلم يشتريه أحد فأمر ابن جعفر قيمه أن يشتريه وأن يهديه للناس . وقيل : إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه : انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلاناً - وعبد جماعة - فخرج فلم ير أحداً ، فقيل له : هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتحدون ، فأني معاوية فأخبره فقال : ما أنا إلا كأحدهم ، ثم أخذ عصاً فتوكل عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه ، فقال له معاوية : أين غداؤك يا ابن جعفر ؟ فقال : وما تشتهي من شيء فأدعوه ؟ فقال معاوية : أطعمنا غداً ، فقال يا غلام هات غداً ، فأني بصحيفة فأكل معاوية ، ثم قال ابن جعفر لتلامه : هات غداً ، فجاء بصحيفة أخرى ملائة غداً إلى أن فعل ذلك ثلاث مرات ، فتنجب معاوية وقال : يا ابن جعفر ما يشبهك إلا الكثير من المطاء ، فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار ، وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية وكان يند عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضى له مائة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد ، فلما قدم ابن جعفر على يزيد قال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة ؟ قال ألف ألف . فقال له : قد أضغنا لك ، وكان يعطيه ألفي ألف كل سنة ، فقال له عبد الملك بن جعفر : بأبي أنت وأمي ما قلتها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، فقال يزيد : ولا أعطاك أحد قبلي ولا يعطيك أحد بعدى ، وقيل إنه كان عند ابن جعفر جارية تغنيه تسمى عمارة ، وكان يحبها محبة عظيمة ، فغضر عنده يزيد

ابن معاوية يوماً ففنت الجارية ، فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه ، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية ، فبث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفا كثيرة ، وأنس به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد . وكان الحسن البصري ينفم ابن جعفر على سماعه النقي والاهو وشراؤه المولات ، ويقول : أما يكفيه هذا الأمر التبييع المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله ﷺ ، وكان الحجاج يقول : إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب ، وقيل إنه لم يصل إليها ، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله ابن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

(أبو إدريس الخولاني)

اسمه عائذ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول : قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دنس في ثياب نقية ، وقد تولى القضاء بدمشق ، وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل .

(معبد الجهني القنري)

يقال إنه معبد بن عبد الله بن عليم ، راوى حديث : « لا تنتفعوا من الميتة بأهاب ولا عصب » . وقيل غير ذلك في نسبه ، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم . وشهد يوم التحكيم ، وسأل أبا موسى في ذلك وصاه ثم اجتمع بعمر بن العاص فوصاه في ذلك فقال له : أيها يا تيس جهنة ما أنت من أهل السر والعلانية ، وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل . وهذا توسم فيه من عمرو بن العاص ، ولهذا كان هو أول من تكلم في القبر ، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصاري من أهل العراق يقال له سوس ، وأخذ غيلان القنري من معبد ، وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ، ووجهه ابن معين وغيره في حديثه ، وقال الحسن البصري : إياكم ومعبد آفاته ضال مضل ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فمات مع الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله . وقال سعيد بن عفير : بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله ، وقال خليفة بن خياط : مات قبل التسعين فافقه أعلم ، وقيل إن الأقرب قتل عبد الملك له والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ثم دخلت سنة إحدى وثمانين)

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة القلقل وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة ، وفيها قتل بكير بن وشاح ، قتله بجير بن ورقاء الصرمي ، وكان بكير من الأمراء الشجعان ، ثم قار لبكير ابن وشاح رجل من قومه يقال له معصمة بن حرب الموفى الصرمي ، وقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيرا ، طمعه بجنجر وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فجعل إلى منزله وهو يأخر رمق ، فبث

المهلب يصنع إله ، فلما تمكن منه بجير بن ورقاء قال ضحوا رأسه عند رجلى ، فوضوه فطعن به بجير بحربة حتى قتله ومات على إثره . وقد قال له أنس بن طارق : اعف عنه فقد قلت بكبير بن وشاح ، فقال : لا والله لا أموت وهذا حتى ثم قتله ، وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته والله أعلم .

(فتنة ابن الأشعث)

قال أبو مخنف : كان ابتداءها في هذه السنة ، وقال الواقدي : في سنة ثنتين وثمانين ، وقد ساقها ابن جرير في هذه السنة فوافقناه في ذلك ، وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج يفضله وكان هو يفهم ذلك ويضره له سوء وزوال الملك عنه ، فلما أمره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رتبيل ملك الترك ، فضى وضع ما قدمناه من أخذه بعض بلاد الترك ، ثم رأى لأصحابه أن يقيموا حتى يتقوا إلى العام المقبل ، فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ويستضعف عقله ويقرعه بلجين والتكول عن الحرب ، ويأمره حتما بدخول بلاد رتبيل ، ثم أردف ذلك بكتاب ثان ثم ثالث مع البريد ، وكتب في جملة ذلك يا ابن الحائك النادر المرتد ، امض إلى ما أمرتك به من الايقال في أرض العدو وإلا حل بك مالا يطلق . وكان الحجاج يفضي ابن الأشعث : ويقول هو أروع أحق حسود ، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقاتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الاسلام وما رأيت قط إلا همت بقتله ، ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشعث بذلك وترادفت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث وقال : يكتب إلى يمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمي تلوره وضف قوته ؟ أما يذكر أباه من تعذيب هذا الجبان صاحب غزالة - يعني أن غزالة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة - ثم إن ابن الأشعث جمع رؤس أهل العراق وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم في الايقال في بلاد العدو ، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأسس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا في أمركم أما أنا فليست مطيع ولا أتخض رأيا رأيت بالأسس ، ثم قام فيهم خطيباً فأعلمهم بما كان رأى من الرأى له ولهم ، وطلب في ذلك من إصلاح البلاد التي فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى يتقوا بغلاها وأموالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسرون في بلاد العدو فيفتحونها بلداً بلداً إلى أن يحصروا رتبيل ملك الترك في مدينة السظاء ، ثم أعلمهم بما كتب إليه الحجاج من الأمر بمحاصرة رتبيل . فثار إليه الناس وقالوا : لا بل نأبى على عبد الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع . قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عاصم بن وائلة الكناني أن أباه كان أول من تكلم في ذلك ، وكان شاعراً خطيباً ، وكان مما قال : إن مثل الحجاج في هذا الرأى ومثلنا كما قال الأول لأخيه أحمك على الفرس فان

هلك هلك ، وإن نجا فلك ، أنتم إذا ظفرتكم كل ذلك زيادة في سلطانه ، وإن هلككم كنتم الأعداء
البنضاء ، ثم قال : اخلعوا عداؤه الحجاج - ولم يذكر خلع عبد الملك - وبأيوا الأمير عبد الرحمن
ابن الأشعث فأتى أشهدكم أتى أول خالع الحجاج . فقال الناس من كل جانب : خلعنا عداؤه الله ،
ووثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبايعوه عوضاً عن الحجاج ، ولم يذكر وا خلع عبد الملك بن
مروان ، وبث ابن الأشعث إلى رتبيل فصلحه على أنه إن ظفروا بالحجاج فلا خراج على رتبيل
أبدأ . ثم سار ابن الأشعث بالجنود الذين معه مقبلاً من سجستان إلى الحجاج ليقاظه ويأخذ منه
العراق ، فلما توسطوا الطريق قالوا : إن خلعنا الحجاج خلع لابن مروان فغلبوا وجددوا البيعة
لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلق أمة الصلابة وجهاد الملحدين ، فإذا قالوا نعم
بأيهم . فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعهم وخلق ابن مروان ، كتب إلى عبد الملك يطلب بذلك
ويستجله في بيته الجنود إليه ، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة ، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث ،
وكتب إليه يدعو إلى ذلك فأتى عليه ، وبث بكتابه إلى الحجاج ، وكتب المهلب إلى ابن
الأشعث يقول له : إنك يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل ، ابن على أمة محمد ﷺ ،
انظر إلى نفسك فلا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تحرقها ، والبيعة فلا تنكسها ،
فإن قلت أخاف الناس على نفسي فإني أحق أن تخافه من الناس ، فلا تعرضوا لله في سفك الدماء ،
أو استئصال الحرم والسلام عليك . وكتب المهلب إلى الحجاج : أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا
إليك مثل السيل المنحدر من علو ليس شيء يرد حتى يذهب إلى قراره ، وإن لأهل العراق شدة
في أول محرجه ، وصباية إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردم حتى يصلوا إلى أهلهم وينبسطوا
إلى نسائهم ويشموا أولادهم . ثم واقصم عندها فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله . فلما قرأ الحجاج
كتابه قال : فضل الله به فضل ، لا والله مالى نظر ولكن لابن عمه نصح . ولما وصل البريد بكتاب
الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن سريره وبث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه
كتاب الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قبل خراسان فخفه ، وإن كان من
قبل سجستان فلا تخفه ، ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج
وتجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث ، وعصى رأى المهلب فيما أشار به عليه ، وكان في شوره النصح
والصدق ، وجعلت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك يخبر ابن الأشعث صباحاً ومساءً ، أين
نزل ومن أين ارتحل ، وأتى الناس إليه أسرع . وجعل الناس يلغون على ابن الأشعث من كل
جانب ، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل ، وخرج الحجاج
في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث ، ففزل تسروا قدم بين يديه مطهر بن حبي الكعبي

أميراً على المقدمة ، ومعه عبد الله بن زميت أميراً آخر ، فأتوها إلى دجيل فإذا مقبلة ابن الأشعث في ثلاثمائة فارس عليها عبد الله بن أبيان الحارثي ، فالتقوا في يوم الأضحي عند نهر دجيل ، فهزمت مقبلة الحجاج وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف وخمسمائة ، واحتازوا مافي معسكرهم من خيول وقلش وأموال ، وجاء الخبر إلى الحجاج بهزيمة أصحابه وأخذه ماذب ودرج . وقد كان قائماً بخطب فقال : أيها الناس ارجعوا إلى البصرة فانه أرفق بالجند ، فرجع بالناس وتبعهم خيول ابن الأشعث لا يدركون منهم شاذاً إلا قتلوه ، ولا فإذا إلا أهلكوه ، ومضى الحجاج هارباً لا يلوى على شيء حتى أتى الزاوية فسكن عندها وجعل يقول : لله در المهلب أي صاحب حرب هذا ، قد أشار علينا بالرأي ولكننا لم قبل ، وأتفق الحجاج على جيشه وهو بهذا المكان مائة وخمسين ألف ألف درهم ، وخندق حول جيشه خندقاً ، وجاء أهل العراق فدخلوا البصرة واجتمعوا بأهلهم وشيوخ أولادهم ، ودخل ابن الأشعث البصرة فخطب الناس بهم وبأبيهم وبأبيهم على خلق عبد الملك وثأبته الحجاج بن يوسف ، وقال لهم ابن الأشعث : ليس الحجاج بشيء ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله ، وواجهه على خلقهما جميع من في البصرة من الفقهاء والقراء والشيوخ والشباب ، ثم أمر ابن الأشعث بخندق حول البصرة فعمل ذلك ، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة . وحج بالناس فيها إسحاق بن عيسى فيما ذكره الواقدي وأبو معشر والله سبحانه وتعالى أعلم . وفيها غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد الاندلس فافتتح مدناً كثيرة ، وأراضى عامرة ، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الزقاق المنبتق من البحر الأخضر المحيط والله أعلم . وعن توفى فيها من الأعيان ببحر بن وقاء الصريمي أحد الأشراف بخراسان ، والقواد والأمراء الذي حارب ابن خازم وقتله ، وقتل بكير بن وشاح ثم قتل في هذه السنة .

﴿سويد بن غفلة بن عوسجة بن طمر﴾

أبو أمية الجعفي الكوفي ، شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة ، وكان من كبار المخضرمين . وقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مولده عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه ، والصحيح أنه لم يره ، وقيل إنه ولد بعده بستين ، وعاش مائة وعشرين سنة لم يربوماً محتنياً ولا متسانداً ، وانقض بكرة عام وفاته في سنة إحدى وعشرين ، قاله أبو عبيد وغير واحد ، وقيل إنه توفى في سنة ثنتين وعشرين والله أعلم .

﴿عبد الله بن شداد بن الهاد﴾

كان من العباد الزهاد ، والملاء وله وصايا وكلمات حسنة ، وقد روى عدة أحاديث عن الصحابة وعن خلق من التابعين

(محمد بن علي بن أبي طالب)

أبو القاسم وأبو عبد الله أيضاً ، وهو المعروف بابن الحنفية ، وكانت سوداء سندية من بني حنيفة اسمها خولة . وقد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ، وقد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان وقد صرع مروان يوم الجمل وقد على صدره وأراد قتله فنشده مروان بالله وتذلل له فأطلقه ، فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك فقال عفواً يا أمير المؤمنين ففعا عنه وأجرل له الجائزة ، وكان محمد ابن علي من سادات قریش ، ومن الشجعان المشهورين ، ومن الاقوياء المذكورين ، ولما بويح لابن الزبير لم يبايحه ، فخرى بينهما شر عظيم حتى تم ابن الزبير به وبأهله كما تقدم ذلك ، فلما قتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك وبايحه ابن عمر تابعه ابن الحنفية ، وقدم المدينة فقات بها في هذه السنة وقيل في التي قبلها أو في التي بعدها ، ودفن بالقيع . والرافضة يزعمون أنه يجبل رضوى ، وأنه حتى يرزق ، وهم ينتظرونه ، وقد قال كثير عزة في ذلك

ألا إن الأئمة من قریش • ولالة الحق أربعة سواء

على والثلاثة من بني • هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسيط سبط إيمان وبر • وسيط غيبة كربلاء

وسبط لاتراه العين حتى • تمرد الخليل يقدمها لواء

ولما م ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي الطفيل وائلة بن الأسقع وعلى الكوفة المختار بن عبيد الله ، وقد كان ابن الزبير جمع لهم حطبا كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار ، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار ، وقد كان المختار يدعو إليه ويسميه المهدي ، فبعث المختار أبا عبد الله الجبلي في أربعة آلاف فاستقنوا بني هاشم من يدي ابن الزبير ، وخرج معهم ابن عباس فقات بالطائف وبقى ابن الحنفية في شيعته ، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه فخرج إلى أرض الشام بأصحابه وكاتبوا نحو سبعة آلاف ، فلما وصل إلى أيلة كتب إليه عبد الملك : إما أن تبايئني وإما أن تخرج من أرضي ، فكتب إليه ابن الحنفية : أباي ملك على أن تؤمن أصحابي ، قال نعم فقام ابن الحنفية في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي حق دماءكم وأحرز دينكم فمن أحب منكم أن يأتي آمنه إلى بلده محفوظاً فليقل ، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعائة رجل ، فأحرم بمررة وقلة هديا وسار نحو مكة ، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلا فنه أن يدخل ، فأرسل إليه : إما لم تأت لحرب ولا قتال ، دعنا ندخل حتى نقضي فسكتا ثم فخرج عنك ، فأبى عليه وكان معه بدن قد قلعها فرجع إلى المدينة فأقام بها محرما حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية في تلك المدة محرما ، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه

وذلك بعد عنة ستين ، وكان القتل يقتل منه في تلك المدة كلها ، فلما قضى نسكه رجع إلى المدينة
أقام بها حتى ملئ ، وقيل إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية : قد قتل عدو الله
فبايع ، فكتب إليه إذا بايع الناس كلهم بايعت ، قال الحجاج : والله لا تقتلك ، قال ابن الحنفية :
إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في الوح المحفوظ ، في كل نظرة ثلاثمائة وستون قضية ، فلمل
الله تعالى أن يجعلني في قضية منها فيكفيك . فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فأعجبه قوله وكتب
إليه قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف فارق به فهو يأتيك وييايلك ، وكتب عبد الملك بكلامه
ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم ، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك
يتهدده بمجموع من الجنود لا يطيقها أحد ، فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم : إن هذا
الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج من بيت نبوة ، ولما اجتمع الناس علىبيعة عبد الملك
قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقي شيء فبايع ، فكتب بيعته إلى عبد الملك ووفد عليه بعد ذلك .
توفي ابن الحنفية في الحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحزرة
وعلى وجعفر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الأصغر وعون ورقية ، وكلهم
لأمهات شقي . وقال الزبير بن بكار : كانت شيعته تزعم أنه لم يميت وفيه يقول السيد

ألا قل للوصى فذلك قضى • أطلت بذلك الجبل القاما
أضر بمشروء والوك منا • وصحوك الخليفة والاماما
وطادوا فيك أهل الأرض طرأ • مقامك فيهم ستين علما
وما ذاق ابن خولة طعم موت • ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمورق شمس رضوى • تراجع الملائكة الكلاما
وإن له به لبقيل صدق • وأندية تحده كراما
هدانا الله اخبرتم لامر • به عليه يلتمس النماما
نعم نوره المهدي حق • تروا راياته تنرى نظاما

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إلمته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان ، كما ينتظر طائفة
أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري ، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامرا ، وهذا من خرافاتهم
وهذليتهم وجهلهم وضلالهم وتوهمهم ، وستزيد ذلك وضوحا في موضعه وإن شاء الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ﴾

في الحرم منها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج في آخره ، وكان أول يوم لأهل
العراق على أهل الشام ، ثم توافقوا يوما آخر فحمل سفيان بن الأبريد أحد أمراء أهل الشام على

فنيمة ابن الأشعث فهزمها وقتل خلقا كثيرا من القراء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم ، وخر
الحجاج لله ساجدا بعد ما كان جثى على ركبتيه وسل شيئا من سيفه وجعل يقرح على مصعب بن
الزبير ويقول : ما كان أكرم حتى صبر نفسه للقتل ، وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث
أبو العليل بن عامر بن وائلة الليثي ، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجوع ابن الأشعث بن بقي معه ومن
تبعه من أهل البصرة ، فسار حتى دخل الكوفة فعد أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عياش بن
ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل الحجاج خمس ليال أشد القتال ، ثم انصرف
فلحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة ، فاستتاب الحجاج على البصرة أبواب بن الحكم
ابن أبي عقيل ، ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن خروان ،
ووافق الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك ، واشتد الحال ، وتفرقت الكلمة جدا وعظم
الخطب ، واقع الخرق على الواقع .

قال الواقدي : ولما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل
عليهم مرة بعد مرة ، وقال القراء - وكان عليهم جيلة بن زحر - : أيها الناس ليس الفرار من أحد
بأقبح منكم قاتلوا عن دينكم ودنياكم . وقال سعيد بن جبير نحو ذلك ، وقال الشعبي : قاتلوا على
جوهر واستلزلهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة ، ثم حملت القراء - وهم الطاء - على جيش الحجاج حملة
صادقة فبرعوا فيهم ثم رجعوا فاذا هم بمقتهم جيلة بن زحر صريحا ، فهدم ذلك فناداهم جيش الحجاج
يا أعداء الله قد قتلنا طاغيتكم ، ثم حمل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على ميسرة ابن
الأشعث وعليها الأبرد بن مرة الحمصي ، فانهزموا ولم يقاتلوا كثير قتال ، فأفكر الناس منهم ذلك ،
وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعا لا يفر ، وغنوا أنه قد خامر ، فنقضت الصفوف
وركب الناس بعضهم بعضا ، وكان ابن الأشعث يمرض يمرض الناس على القتال ، فلما رأى ما الناس فيه
أخذ من أتبعه وذهب إلى الكوفة فبايعه أهلها ، ثم كانت وقعة دير الجلمج في شعبان من هذه السنة .

﴿ وقعة دير الجلمج ﴾

قال الواقدي : وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة خرج إليه أهلها فنلقوه وحفوا به ودخلوا
بين يديه ، غير أن شرفة قليلة أرادت أن تقاتله دون مطر بن تلبية نائب الحجاج فلم يمكنهم من
ذلك ، فدخلوا إلى القصر ، فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة أمر بالسلام فنصبت على قصر الامارة
فأخفه واستنزل مطر بن تلبية وأراد قتله فقال له : استبقني فإني خير من فرسانك ، فحبسه ثم استدله
فأطلقه وبايعه واستوثق لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم إليه من جاء من أهل البصرة ، وكان ممن
قيم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وأمر بالسلح من كل جانب ، وحفظت

التنور والطرق والمسالك . ثم إن الحجاج ركب فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والمذيب وبث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصريين فنعموا الحجاج من دخول القادسية ، فسار الحجاج حتى نزل دير قره ، وجاء ابن الأشعث بن معه من الجيوش البصرية والكوفية حتى نزل دير الجاجم ، ومعه جنود كثيرة ، وفهم القراء وخلق من الصالحين ، وكان الحجاج بعد ذلك يقول : قاتل الله ابن الأشعث ، أما كن يزجر الطير حيث رآني قد نزلت دير قره ، ونزل هو بدير الجاجم . وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل ممن يأخذ البطاء ، ومعهم مثلهم من موالهم ، وقدم على الحجاج في غبون ذلك أمداد كثيرة من الشام ، وخذق كل من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقاً يمنع به من الوصول إليهم ، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتلون قتلاً شديداً في كل حين ، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قریش وغيرهم ، واستمر هذا الحال مدة طويلة ، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان فقالوا له : إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تمرل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم وسفك دماهم ، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ومعهما جنود كثيرة جداً ، وكتب متهما كتاباً إلى أهل المراق يقول لهم : إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزلته عنكم ، وبشت عليكم أعطيانيكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أى بلد شاء يكون عليه أميراً ما علس وعشت ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال في عهده هنا : فان لم تحب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج ونحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق من عزله إن رضوا به شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً وعظم شأن هذا الرأي عنده ، وكتب إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى عنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تروسمع بوثوب أهل العراق مع الأشعث النخعي على ابن عفان ؟ فلما سألهم ماتريدون ؟ قالوا : نزع سميد بن العاص ، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ؟ وإن الحديد بالحديد يفلح ، كان الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك .

قال : فأتى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كأمر ، فتقدم عبد الله ومحمد فتأدى عبد الله : يبعث أهل العراق ، فأعجب الله ابن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وإنه يرضى عليكم كيث وكيت ، فذكر ما كتب به أبوه معه إليهم من هذه الخصال ، وقال محمد بن مروان : وأنا رسول

أخى أمير المؤمنين إليكم بذلك ، فقالوا : ننظر في أمرنا غداً ونرد عليكم الخير عشية ، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً ونسبهم إلى قبول ماعرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك وإيقاع الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج ، فغفر الناس من كل جانب وقالوا : لا والله لا قبل ذلك ، نحن أكثر عدداً وعدداً ، وهم في ضيق من الحال وقد حكنا عليهم ودلوا لنا ، والله لا نجيب إلى ذلك أبداً . ثم جددوا خلع عبد الملك واثابه ثانية ، واتفقوا على ذلك كله .

فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك وعمه محمد آخبر قالاً للحجاج : شأنك بهم إذا ، فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين ، فكأننا إذا بقيه سدا عليه بالأمرة ويسلم هو أيضاً عليهم بالأمرة ، وتولى الحجاج أمر الحرب وتدبيرها كما كان قبل ذلك ، فشد ذلك برز كل من الفريقين لقتال والحرب ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليمان ، وعلى ميسرته عمار بن تميم الهخمي ، وعلى الخليل سفيان بن الأبرد وعلى الرحلة عبد الرحمن بن حبيب الحكي . وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن حلوثة الجشي ، وعلى الميسرة الأبرد بن قرة التميمي ، وعلى الخيلة عبد الرحمن ابن عياش بن أبي ربيعة ، وعلى الرحلة محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، وعلى القراء جيلة بن زحر بن قيس الجعفي ، وكان فيهم سعيد بن جبير وعلمر الشعبي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وكيل بن زياد . وكان شجاعاً فاتكاً على كبر سنه . وأبو البحتري الطائي وغيرهم ، وجعلوا يقتتلون في كل يوم ، وأهل العراق تأتيهم الميرة من الرساتيق والأقاليم ، من الملف والطعام ، وأما أهل الشام الذين مع الحجاج فهم في أضيق حال من العيش ، وقلة من الطعام ، وقد صدوا اللحم بالكلية فلا يجدونه ، وما زالت الحرب في هذه المدة كلها حتى انسلخت هذه السنة وهم على حلقهم وقتلهم في كل يوم أو يوم بعد يوم ، والدارة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام . وقد قتل من أصحاب الحجاج زياد بن غنم يوكسر بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف فجون سيوفهم واستقنلوا وكأوا من أصحاب ابن الأشعث . وفي هذه السنة كانت وفاة المهلب بن أبي صفرة ، وهو المهلب بن أبي صفرة ظالم أبو سعيد الأزدی أحد أشرف أهل البصرة وجوهرهم ودهاتهم وأجوادهم وكرملتهم ، ولعلم الفتح ، وكانوا يتولون فيما بين عمان والبحرين ، وقد اودت قومه قاتلتهم عكرمة بن أبي جهل فظفر بهم ، وبث بهم إلى الصديق وفيهم أبو صفرة وابنه المهلب غلام لم يبلغ الحنث ، ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين ، وولى الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين ، ثم ولى حرب الخوارج أول دولة الحجاج ، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثمانمائة ، فظمت منزلته عند الحجاج . وكان فاضلاً شجاعاً كريماً يحب المدح ، وله كلام حسن ، فنه : نعم الخصلة السخاء تستر عودة الشرف

وتلحق خسيصة الرضيع ويحبب الزهود فيه . وقال : يسجني في الرجل خصلتان أن أرى عقله زاهما على لسانه ، ولأرى لسانه زائداً على عقله

توفي المهلب غازياً بمرو الروذ وعمره ستة وسبعون سنة رحمه الله . وكان له عشرة من الولد هم : يزيد ، وزيد ، والمفضل ، ومدرک ، وحبيب ، والمغيرة ، وقبيصة ، ومحمد ، وهند ، وطلحة . توفي المهلب في ذى الحجة منها ، وكان من الشجائن وله مواقف حميدة ، وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج ، وجعل الأمر من بعده ليزيد بن المهلب على إمرة خراسان فأمنى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان

﴿ أسماء بن خارجة الفزاري السكوفي ﴾

وكان جواداً ممدحا ، حكى أنه رأى يوماً شاباً على باب داره جالساً فسأله عن قعوده على بابه فقال : حاجة لا أستطيع ذكرها ، فألغ عليه فقال : جلوية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي منها ، فأخذ يديه وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال : هذه ، فقال له : أخرج فاجلس على الباب مكانك ، فخرج الشاب فجلس مكانه ، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الخلى ، وقال له : مامعني أن أدفنها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأختي ، وكانت ضئيلة بها ، فاشتريتها لك بثلاثة آلاف ، وألبستها هذا الخلى ، فهي لك بما عليها ، فأخذها الشاب وانصرف .

﴿ المغيرة بن المهلب ﴾

ابن أبي صفرة ، كان جواداً ممدحا شجاعاً ، له مواقف مشهورة .

﴿ الحارث بن عبد الله ﴾

ابن ربيعة الخزومي المعروف بقباع ، ولى إمرة البصرة لابن الزبير .

﴿ محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة ﴾

كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعظمهم ، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع .

﴿ عبد الله بن أبي طلحة بن أبي الأسود ﴾

والد القتيبة إسحاق حملت به أمه أم سليم ليلة مات ابنها فأصبح أبوطلحة فأخبر النبي ﷺ ، فقال ﷺ : « عزستم برك الله لكما في ليلتكما » . ولما ولد حنكه بتمرات .

﴿ عبد الله بن كعب بن مالك ﴾

كان قائداً كعب حين عمى ، له روايات ، توفي بالمدينة هذه السنة .

﴿ عفان بن وهب ﴾

أبو أيمن الخولاني المصري له حجة ورواية، وغزا المغرب، وسكن مصر وبها مات.

﴿ جميل بن عبد الله ﴾

ابن معمر بن صباح بن ظبيان بن الحسن بن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبيد بن كثير بن عنزة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سرهد بن أسلم بن الحالف بن قضاعة، أبو عمرو الشاعر صاحب بئينة، كان قد خطبها فنمت منه، فتنزل فيها واشهر بها، وكان أحد عشاق العرب، كانت إقامته بوادي القرى، وكان عفيفاً حياً دينا شاعرا إسلامياً، من أنصح الشعراء في زمانه، وكان كثير عزة راويته، وهو يروي عن هذبة بن خثرم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى، وابنه كعب، قال كثير عزة كان جميل أشعر العرب حيث يقول :-

وأخبرتني أن تياه منزل * ليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد اهضت * فاقنوى ترى بليلى المراسيا
ومنها قوله وما زلت بي يابتن حتى لو أننى * من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
وما زادنى الواشون إلا صابة * ولا كثرة الناهين إلا تماديا
وما أحدث النأى الفرق بيننا * سلوا ولا طول اجتماع تقاليا
ألم تملى يا عذبة الرقى أننى * أنظر إذا لم ألق وجهك صاديا
لقد خفت أن ألقى المنية بفتة * وفى للنفس حاجات إليك كما هيا
وله أيضا إني لأحفظ غيبكم ويسرنى * لو تملين بصلح أن تذكرى
إلى أن قال ما أنت والوعد الذى تعدينى * إلا كبرق سحابة لم تملر
وقوله وروى لعمرو: ما زلت ابني الحى أتبع فلم * حتى دفعت إلى ربيعة هودج
ابن أبي ربيعة. فدنوت مخفيا ألم بيتها * حتى ولجت إلى خفي الموج
فيا قلله ابن عساكر قالت وعيش أخى ونعمتوالى * لأنهن الحى إن لم تخرج
فتناولت رأسى لتعرف منه * بمخضب الاطراف غير مشنج
فخرجت خيفة أهلها فبست * فقلت أن يمينها لم تخرج
فلثمت فهاأأخذأ بقرونها * فرشفت ريقا بارداً متلجج

قال كثير عزة: لقيني جميل بئينة فقال: من أين أتيت؟ قلت: من عند هذه الحبيبة، قال وإلى أين؟ قلت: وإلى هذه الحبيبة - يعنى عزة - قال: أقسمت عليك لما رجعت إلى بئينة فواعدتها لى فان لى من أول الصيف ما رأيتهما، وكان آخر عهدى بها بوادي القرى، وهى تشمل لى

وأما ثوباً فتحدثنا إلى الثروب ، قال كثير : فرجعت حتى آتخت بهم . فقال أبو بئينة : ما ردك يا ابن أخي ؟ قلت : أبيت قلبها فرجعت لأعرضها عليك . فقال : وما هي ؟ فأنشدته وبئينة تسمع من وراء الحجاب : —

قلت لها يا عز أرسل صاحبي * إليك رسولا والرسول موكل
بأن يجيئني بيني وبينك موعداً * وأن تأمريني ما ألقى فيه أفضل
وأخر عهدي منك يوم لقيتي * بأسفل وادي الدوم والثوب يفضل

فلما كان الليل أقبلت بئينة إلى المسكان ألقى وأعدته إليه ، وجاء جميل وكنت معهم فبا رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن مناديات ، وانفض ذلك المجلس وما أدري أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له : ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزن قط ، ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فن هذا ؟ قال : أنا ، قلت الله : ما أظنك سلت وأنت تشب بالنساء منذ عشرين سنة ، ببئينة . قال : لا تالتي شفاعتي محمد ﷺ ، وإني لأول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريئة ، قال : فما برحنا حتى مات . قلت : كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قسم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن جبه بئينة فقال : شديداً ، واستنشد من أشعاره ومدائحها فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فاجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين .

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جميلاً قال له : هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي ببئينة ولك ماعندي ؟ قال نعم ، قال : إذا أتمت فركب ناقتي واليس حلقى هذه وأمره أن يقول أيتها منها قوله قومي ببئينة فأنادي بمويل * وابكي خليلاً دون كل خليل
فلما انتهى إلى جهم أنشد الأبيات ففرجت ببئينة كأنها بدرسى في جنة وهي تلتقي في مرطها فقالت له : ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتي ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . قلت : بلى والله صادق وهذه حلته وناقته ، فلما تحققت ذلك أنشدت أبيتاً تزييه بها وتأسف عليه فيها ، وأنه لا يطيب لها العيش بعده ، ولا خير لها في الحياة بعد قتله ، ثم ماتت من ساعتها . قال الرجل : فما رأيت أكثر باكياً ولا باكياً من يومئذ .

وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بمسئق : لو تركت الشعر وحفظت القرآن ؟ قال : هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من الشر لحكمة »

﴿ عمر بن عبيد الله ﴾

ابن ممر بن عثمان أبو حفص القرشي التميمي أحد الأجراد والأمرأه الأبحاد، فتحت على يديه بلدان كثيرة، وكان نائباً لابن الزبير على البصرة بوقت فتح كابل مع عبد الله بن خازم، وهو الذي قتل قطري بن النجادة، وروى عن ابن عمر وجابر وغيرهما، وعن عطاء بن أبي رباح، وابن عون، ووفد على عبد الملك فتوفى بدمشق سنة ثنتين وثمانين. قاله المدائني. وحكى أن رجلاً اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فأحبها حباً شديداً وأتفق عليها ماله كله حتى أقبل ولم يبق له شيء سوى هذه الجارية، فقالت له الجارية: قد أرى ما بك من قلة الشيء. فلو يمتنى وانتفعت بمنى صلح حالك، فباعها لعمر بن عبيد الله هذا - وهو يومئذ أمير البصرة - بمائة ألف درهم، فلما قبض المال ندم ونمت الجارية، فأشارت بتخاطب سيدها بأبيات شعر وهي: -

هنيئاً لك المال الذي قد أخذته * ولم يبق في كفي إلا تنكري
أقول لنسئ وهي في كرب عيشة * لئلي قد بان الخليلط أو اكرى
إذا لم يكن في الأمر عندك حيلة * ولم تجدى بداً من الصبر فاصبري
فأجابها سيدها قال: -

ولولا قعود العربي عنك لم يكن * لفرقتنا شيء سوى الموت فاصبري
أأوب يحزن من فراقك موجع * أناجي به قلباً طويلاً التذكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل إلا أن يشاء ابن ممر
فلما سمعها ابن ممر قد شبت قال: والله لا فرق بين محبين أبداً، ثم أعطاه المال - وهو مائة ألف - والجارية لما رأى من توجههما على فراق كل منهما صاحبه، فأخذ الرجل الجارية وثمانها وانطلق. توفي عمر بن عبيد الله بن ممر هذا بدمشق بالطاعون، وصلى عليه عبد الملك بن مروان، ومشى في جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بعد موته، وكان له من الولد طلحة وهو من سادات قریش تزوج طلمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر على صداق أربعين ألف دينار، فأولدها إبراهيم ورملة، فتزوج رملة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس على صداق مائة ألف دينار رحمهم الله.

﴿ كميل بن زياد ﴾

ابن نهيك بن خيثم النخعي الكوفي، روى عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وأبي هريرة، وشهد مع علي صفين، وكان شجاعاً فاكها، وزاهداً عابداً، قتله الحجاج في هذه السنة، وقد عاش مائة سنة قتله صبراً بين يديه، وإتمامهم عليه لأنه طلب من عثمان القصاص من لطمه لطمها إليه، فلما أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه، فقال له الحجاج: أو مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص؟

ثم أمر ف ضربت عنقه ، قالوا : وذكروا الحجاج علياً في غبون ذلك فقال منه وصلى عليه كيل ، فقال له الحجاج : والله لأبئن إليك من يغيض علياً أكثر مما تحبه أنت ، فأرسل إليه ابن آدم ، وكان من أهل حص ، ويقال أبا الجهم بن كنانة ف ضرب عنقه ، وقد روى عن كيل جماعة كثيرة من التابعين وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب القى أوله «القلوب أوعية تغيرها أوعاها» وهو طويل قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواعظ وكلام حسن رضى الله عن قائله .

﴿ ذاذان أبو عمرو والكندي ﴾

أحد التابعين كان أولاً يشرب المسكر ويضرب بالطنبور ، فزرقه الله التوبة على يد عبد الله ابن مسعود وحصلت له إجابة ورجوع إلى الحق ، وخشية شديدة ، حتى كان في الصلاة كأنه خشية . قال خليفة : وفيها توفي زربن حبيش أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة ، وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى وثمانين ، وقد تقدمت له ترجمة (شقيق بن سلمة) أبو وائل ، أدرك من زمن الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في حيلة النبي ﷺ

﴿ أم الدرداء الصغرى ﴾

اسمها هيمة ويقال جبيمة تابعة عابدة عالة قبيصة كان الرجال يقرؤن عليها ويتفقون في الحائط الشمال بجام دمشق ، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقها مع المتفقه يشغل عليها وهو خليفة ، رضى الله عنها .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ﴾

استهل هذه السنة والناس متواظفون لقتال الحجاج وأصحابه بدير قرة ، وابن الأشعث وأصحابه بدير الجلم ، والمبارزة في كل يوم بينهم واقعة ، وفي غالب الأيام تكون النصر لأهل العراق على أهل الشام ، حتى قيل إن أصحاب ابن الأشعث وهم أهل العراق كسروا أهل الشام وهم أصحاب الحجاج بضعا وثمانين مرة يقتضرون عليهم ، ومع هذا الحجاج ثابت في مكانه صابر ومصابر لا يتزعزع عن موضعه القى هو فيه ، بل إذا حصل له ظفر في يوم من الأيام يتقدم بجيشه إلى نحو عدوه ، وكان له خبرة بالحرب ، وما زال ذلك دأبه ودأبهم حتى أمر بالحلة على كثية القراء ، لأن الناس كانوا تيمناً لهم ، وهم الذين يحرضونهم على القتال والناس يقتدون بهم ، فصير القراء لحلة جيشه ، ثم جمع الرماة من جيشه وحمل بهم ، وما أفك حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، ثم حمل على ابن الأشعث وعلى من معه من الجيش فهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه ، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه قتل قليل من الناس ، فأتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن غنم الغنمي ومعه عهد بن الحجاج والامرة لسانة ، فساقوا وراهم يطردونهم لهم يطفرون به قتلاً أو أسراً ، فما زال يسوق ويقتري الأقاليم

والسكود والسابق ، وم في أثره حتى وصل إلى كرمان ، وأتبعه الشاميون فتزولوا في قصر كان فيه أهل العراق قبلهم ، فأذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل السكوفة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا معه من شعر أبي خلافة البشكري يقول :

أيا لها وإحزنا جميعاً • وإحزنا الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعاً • وأسلمنا الحلال والحلينا
فما كنا أناساً أهل دنيا • فتمنينا ولو لم نرج دنيا
تركنا دورنا لعلنا عك • وأنباط القرى والأشعرينا

ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من الفل إلى بلاد رتبيل ملك الترك ، فأكرمه رتبيل وأنزله عنده وأمنه وعظمه

قال الواقدي : وم ابن الأشعث وهو ذاهب إلى بلاد رتبيل على عامل له في بعض المدن كان ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق ، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا وأنزله ، فذل خديعة به ومكراً ، وقال له : ادخل إلى عندي إلى البلد لتتحصن بها من عبوك ولكن لا تدمع أحداً ممن ملك يدخل المدينة ، فأجابه إلى ذلك ، وإما أراد المكربه ، فتمه أصحابه فلم يقبل منهم ، ففرق عنه أصحابه ، فلما دخل المدينة وثب عليه العامل فسكه وأوقعه بالحديد وأراد أن يتخذ به يداً عند الحجلاج ، وقد كان الملك رتبيل سر بقدوم ابن الأشعث ، فلما بلغه ما حدث له من جهة ذلك العامل بمدينة بست ، سار حتى أحاط ببست ، وأرسل إلى عاملها يقول له : والله لئن آذيت ابن الأشعث لأبرح حتى أستترك وأقتل جميع من في بلدك ، تغافه ذلك العامل وسير إليه ابن الأشعث فأكرمه رتبيل ، فقال ابن الأشعث لرتبيل : إن هذا العامل كان علمي ومن جبي ، ففدني بي وفضل مارأيت ، فأذن لي في قله ، فقال : قد أمنتك . وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عياش ابن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هو الذي يصلي بالناس هناك في بلاد رتبيل ، ثم إن جماعة من الفل الذين هربوا من الحجلاج اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليدركوه فيكونوا معه - وم قريب من ستين ألفاً - فلما وصلوا إلى سجستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رتبيل فقتلوا على سجستان وعذبوا عاملها عبد الله بن عمر التمار وإخوته وقرباته ، واستخفوا على ملأها من الأموال ، وانتشروا في تلك البلاد وأخذوها ، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث : أن أخرج إلينا حتى نكون ملك تنصرك على من يخالفك ، وتأخذ بلاد خراسان ، فان بها جنداً وممنعة كثيرة منا ، فنكون بها حتى يهلك الله الحجلاج أو عبد الملك ، قرى بعد ذلك رأينا غرج إليهم ابن الأشعث وسار بهم قليلاً إلى نحو خراسان فاعتزله شرمة من أهل العراق مع عبيد الله بن سمرة ، فقام فيهم ابن الأشعث

خطياً قد ذكر غدوم ونكولهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رقيب
 فأكون عنده . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفة منهم وبقي معظم الجيش . فلما انفصل عنهم ابن
 الأشعث بإيما عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة الهاشمي ، وساروا معه إلى خراسان فخرج إليهم
 أميرها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، فنتهم من دخول بلاده ، وكتب إلى عبد الرحمن بن عياش
 يقول له : إن في البلاد مقبلاً فذهب إلى أرض ليس بها سلطان فأبى أكره قتالاً ، وإن كنت تريد
 مالا بعثت إليك . فقال له : إننا نجيء لقتال أحد ، وإنما جئنا نسرع ونزج خيلنا ثم نذهب وليست
 بنا حاجة إلى شيء مما عرضت . ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ الخراج مما حوله من البلاد من كور
 خراسان ، وخرج إليه يزيد بن المهلب ومعه أخوه المفضل في جيوش كثيفة ، فلما صادفهم اقتتلوا
 غير كثير ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن عياش ، وقتل يزيد منهم مقتلة كبيرة ، واحتاز ما في
 مسكره ، وبعث بالأسارى وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص إلى الحجاج ، ويقال إن محمد بن سعد
 قال ليزيد بن المهلب : أسألك بدعوة أبي لأنيك لما أطلقتني ، فأطلقه .

قال ابن جرير : ولهذا الكلام خبر فيه طول ، ولما قدمت الأسارى على الحجاج قتل أكثرهم
 وعنا عن بعضهم ، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث نادى مناديه في الناس : من رجع
 فهو آمن ومن لحق بمسلم بن قتيبة بالري فهو آمن ، فلحق بمسلم خلق كثير ممن كان مع ابن الأشعث
 فأنهم الحجاج ، ومن لم يلحق به شرع الحجاج في تتبعهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كان آخر
 من قتل منهم سعيد بن جبير على ماسياً في بيته

وكان الشعبي من جملة من صار إلى مسلم بن قتيبة فدكره الحجاج يوماً فقبل له : إنه سار إلى مسلم بن
 قتيبة ، فكتب إلى مسلم : أن ابست لي بالشعبي قال الشعبي : فلما دخلت عليه سلمت عليه بالأمرة
 ثم قلت : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله
 لا أقول في هذا المقام إلا الحق كائن في ذلك ما كان ، قد والله نردنا عليك ، وخرجنا وجهداً كل
 الجهد فأتونا ، فاكنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأحقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأنفرك بنا
 فان سطوت فبثرتنا وماجرت إليك أيدينا ، وإن عفوت عنا فبطلت ، وبمد فك الحجة علينا .
 قال الحجاج : أنت والله يا شعبي أحب إلى من يدخل علينا يقطر سيفه من دماءنا ثم يقول : ما فعلت
 ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شعبي . قال : فانصرفت فلما مشيت قليلاً قال : هل يا شعبي ، قال :
 فوجل تلك قلبي ، ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شعبي فطمانت نفسي ، قال : كيف وجدت الناس
 بمدنا يا شعبي ؟ قال : وكان لي مكروماً قبل الخروج عليه - قلت : أصلح الله الأمير ، قد اكتملت
 بمدك السهر ، واستوعرت السهل ، واستوخت الجنب ، واستعلست الخوف ، واستحللت الهمة ،

وقد صلح الاخوان ، ولم أجد من الأمير خلفا . قال انصرف بشعبي ، فانصرفت ، ذكر ذلك ابن جرير وغيره . ورواه أبو مخنف عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن الشعبي .

وروى البيهقي أنه سأل عن مسألة في الفرائض وهي أم زوج وأخت وما كان قوله فيها الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ، وكان لكل منهم قول فيها ، فنقل ذلك كله الشعبي في ساعة فاستحسن قول علي وحكم بقول عثمان ، وأطلق الشعبي بسبب ذلك . وقيل إن الحجاج قتل خمسة آلاف أسير من سيرم إليه يزيد بن المهلب كما تقدم ذلك ، ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبايع أحداً من أهلها إلا قال : أشهد على نفسك أنك قد كفرت ، فإذا قال نعم بايعة ، وإن أبى قتله ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أبى أن يشهد على نفسه بالكفر ، قال فأتى برجل قال الحجاج : ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصالحه ودينه . وأراد الحجاج مخادعته . فقال : أخادعي أنت عن نفسي ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون وهلمان ونمرود . قال : فضحك الحجاج وخلي سبيله .

وذكر ابن جرير من طريق أبي مخنف أن أعشى همدان أتى به إلى الحجاج . وكان قد عمل قصيدة بها فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ويمدح فيها ابن الأشعث وأصحابه . فاستنشد إليها فأنشده قصيدة طويلة دالية ، فيها ممدح كثير لعبد الملك وأهل بيته ، فجعل أهل الشام يقولون : قد أحسن أيها الأمير ، قال الحجاج : إنه لم يحسن ، وإنما يقول هذا مصافاة ، ثم ألع عليه حتى أنشده قصيدته الأخرى ، فلما أنشدها غضب عند ذلك الحجاج وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه . واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث أبو المصباح الهمداني الكوفي الشاعر ، أحد الفصحاء البلغاء المشهورين ، وقد كان له فضل وعبادة في مبتداه ، ثم ترك ذلك وأقبل على الشر فصرف به ، وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أمير بمحصر فامتدحه ، وكان محصوره في رحلته إليه منه ومن جنده حصي أربعين ألف دينار ، وكان زوج أخت الشعبي ، كما أن الشعبي كان زوج أخته أيضاً ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث ، قتله الحجاج كما ذكرنا رحمه الله .

وقد كان الحجاج وهو موافق لابن الأشعث بمث كينا يأتون جيش ابن الأشعث من ورائه ، ثم توافق الحجاج وابن الأشعث وهرب الحجاج بمن معه وترك مسكره ، فجاء ابن الأشعث فاحتاز ما في المسكر ولبث فيه ، فجاءت السرية إليهم ليلاً وقد وضوا أسلحتهم فمالوا عليهم ميلة واحدة ، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فقتلوا قتلاً شديداً ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث خلق كثير وغرق خلق كثير منهم في دجلة ودجيل ، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجده فيه ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، منهم جماعة من الرؤساء والأعيان ، واحتازوه بكلمة ، وانطلق ابن الأشعث هارباً في ثلاثمائة فركبوا دجيجاً في السفن وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة ، ثم ساروا من هناك

إلى بلاد الترك ، وكان في دخوله بلاد رحيل ما تقدم ، ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم متى وفرأدى ، حتى قيل إنه قتل منهم بين يديه صبراً مائة ألف وثلاثين ألفاً ، قاله النضر ابن شميل عن هشام بن حسان ، منهم عبد بن سعد بن أبي وقاص ، وجماعت من السادات الأخيار ، والطاء الأبرار ، حتى كان آخرهم سعيد بن جبير رحمهم الله ورضى عنهم كما سيأتى ذلك في موضعه .

﴿ بناء واسط ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بنى الحجاج واسط ، وكان سبب بنائه لما أنه رأى راهباً على أن كان قد أجاز دجلة ، فلما مر بموضع واسط وقت أناته فبالت ، فقتل عنها وعمد إلى موضع بها فاحترمه ورمى به في دجلة ، فقال الحجاج : على به ، فأتى به فقال له : لم صنعت هذا ؟ قال : إنا نجد في كتبنا أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبده الله فيه مادام في الأرض أحد يوحده . فمذ ذلك اختط الحجاج مدينة واسط في ذلك المكان وبنى المسجد في ذلك الموضع . وفيها كانت غزوة عطاء بن رافع صقلية . ومن توفى فيها من الأعيان :

﴿ عبد الرحمن بن جعية ﴾

الخلولائي المصري ، روى عن جماعة من الصحابة وكان عبد العزيز بن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصاص وبيت المال ، وكان رزقه في العام ألف دينار ، وكان لا يدخر منها شيئاً .

﴿ طارق بن شهاب ﴾

ابن عبد شمس الأحمسي من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وغزا في خلافة الصديق وعمر رضي الله عنهما بضعا وأربعين غزاة ، توفى بالمدينة هذه السنة .

﴿ عبيد الله بن عدى ﴾

ابن الخياط أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدث عن جماعة من الصحابة (عبد الله بن قيس ابن خزيمة) ، كان قاضى المدينة . وكان من قبهاء قريش وعلمائهم وأبوه عدى من قتل يوم بدر كافراً وتوفى بها في هذه السنة مرتد بن عبد الله أبو الخياط البزني . وفيها قد جماعة من القراء والطباء الذين كانوا مع الأشعث ، منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة ، ومنهم من أسر فضرب الحجاج عنقه ، ومنهم من تبعه الحجاج حتى قتله ، وقد سمى منهم خليفة بن خياط طائفة من الأعيان ، فنهزم مسلم بن يسار المزني ، وأبو مرارة السجلى قتل ، وعقبة بن عبيد الغفار قتل ، وعقبة بن وشاح قتل ، وعبد الله بن خالد الجهضمي قتل ، وأبو الجوزاء الربيعي قتل ، والنضر بن أنس ، وعمران والد أبي حمزة الضبيعي ، وأبو التمهال سيار بن سلامة الراسبي ، ومالك بن دينار ، ومرة بن ذهاب الهذلي وأبو عبيد الجهضمي ، وأبو سبيح الهذلي ، وسعيد بن أبي الحسن ، وأخوه الحسن البصري قال أبو ب :

قيل لابن الأشعث : إن أحييت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هودج عائشة يوم الجمل فأخرج الحسن ملك ، فأخرجه . ومن أهل الكوفة سعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن شداد ، والشعي ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، والمروزي بن سويد ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وأبو البخزري ، وطلحة بن مصرف ، وزيد بن الحارث اليماني ، وعطاء بن السائب . قال أيوب : فامتهم صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه ، ولا نجياً أحد منهم إلا حمد الله الذي سلمه . ومن أعيان من قتل الحجاج عمران بن عصام الضبي ، والد أبي حجرة ، كان من علماء أهل البصرة . وكان صالحاً عابداً ، أتى به أسيراً إلى الحجاج فقال له : أشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك ، فقال : والله إني ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به ف ضربت عنقه . عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبي ليلى محبة . أخذ عبد الرحمن القرآن عن علي بن أبي طالب ، خرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج ف ضرب عنقه بين يديه صبراً .

(ثم دخلت سنة أربع ومائتين)

قال الواقدي : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك المصيص ، وفيها غزا عبد من مروان ارمينية فقتل منهم خلقاً وصرف كنائسهم وضياعهم وقسم سنة الحريق ، وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد بن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل الأكراد . وفيها ولي عبد الملك الأسكندرية عياض بن غنم البجلي وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكندود الذي كان قد وليها في العام الماضي . وفيها افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أرومة ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً جداً ، وأسر نحواً من خمسين ألفاً . وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من أصحاب ابن الأشعث ، منهم :

﴿ أيوب بن القرية ﴾

وكان فصيحاً بليغاً واعظاً ، قتله صبراً بين يديه ، ويقال إنه ندم على قتله . وهو أيوب بن زيد ابن قيس أبو سليمان الهلال المروفي بابن القرية . وعبد الله بن الحارث بن نوفل . وسعد بن إلياس الشيباني ، وأوغنيها الخولاني . له محبة ورواية ، سكن حصن و بها توفي وقد قارب المائة سنة . عبد الله ابن قتادة ، وغير هؤلاء جماعة منهم من قتلهم الحجاج ، ومنهم من توفي . أبو زرعة الجندعي الفلسطيني ، كان ذا منزلة عند أهل الشام ، تخلف منه معاوية فقه منه ذلك أبو زرعة فقال يا أمير المؤمنين لا نهم ركناً ببيتته ، ولا تحزن صاحباً سرته ، ولا تشمت عدواً كبت ، فكف عنه معاوية .

وفيها توفي عتبة بن مسافر السلي صحابي جليل ، كان يمد في أهل الصفة . عمران بن حطان الغطارجي ، كان أولاً من أهل السنة والجماعة فزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها ، وكان هو دميم الشكل ، فأراد أن يردها إلى السنة فأبقت طارته معها إلى منحبها . وقد كان من الشرارة

المفلتين ، وهو القاتل في قتل علي وقاته :

يا ضربة من تقى ما أراد بها • إلا ليبلغ من ذى العرش رضواناً
إني لأذكره يوماً فأحسبه • أوفى البرية عند الله ميزاناً
أكرم بقوم بطون الطير قيرهم • لم يخلطوا دينهم بغيراً وعدواناً
وقد كان النورى يشتمل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا وهي قوله : -

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها • على أنهم فيها عراة وجوع
أراها وإن كانت تحب فاتها • سحابة صيف عن قليل تهنع
كركب قضا حاجتهم وترحوا • طريقهم بادى العلامة موبع
مات عمران بن حطان سنة أربع وثمانين . وقد رد عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل
علي رضي الله عنه بأبيات على فاتها ووزنها :

بل ضربة من شقى ما أراد بها • إلا ليبلغ من ذى العرش خسرافاً
إني لأذكره يوماً فأحسبه • أشقى البرية عند الله ميزاناً

﴿ روح بن زنباع الجندابي ﴾

كان من أمراء الشام وكان عبد الملك يستشير في أموره .

وفيهما كان مهلك عبد الرحمن بن الأشعث الكندي وقيل في التي بعدها الله أعلم . وذلك أن
الحجاج كتب إلى رتييل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث بقوله : والله ألقى لاله إلا هو لئن
لم تبعث إلى بابن الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف ألف مقاتل ، ولآخر بها . فلما تحقق الوعيد من
الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بهسلم ابن الأشعث إليه قبل أن يخرب الحجاج
دياره . يأخذ علة أمصاره ، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشرين سنين ، وأن لا يؤدي
في كل سنة منها إلا مائة ألف من الخراج ، فأجاب الحجاج إلى ذلك ، وقيل إن الحجاج وعده أن
يطلق له خراج أرضه سبع سنين ، فنهى ذلك غدر رتييل بابن الأشعث فقتل . إنه أمر بضرب عنقه
صبراً بين يديه ، وبث برأسه إلى الحجاج ، وقيل : بل كان ابن الأشعث قد مرض مرضاً شديداً
فقتله وهو بآخر رمق ، والمشهور أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه قتيلاً في الأصفاذ وبث بهم
مع رسل الحجاج إليه ، فلما كانوا ببعض الطريق يمكن يقال له الرجح ، صمد ابن الأشعث . وهو
مقيد بالحديد إلى سطح قصر ومعه رجل موكل به لثلايفه ، وألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه
الموكل به ففاجعياً ، فمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزه ، وقتل من معه من أصحاب ابن
الأشعث وبث برؤوسهم إلى الحجاج فأمر فطيف برأسه في العراق ، ثم بعثه إلى عبد الملك فطيف

برأسه في الشام ، ثم بث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيف برأسه هناك ، ثم دفنوا رأسه بمصر
وجنته بالرجع ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك : -

هبثت موضع جثة من رأسها • رأس بمصر وجثة بالرجع
وإنما ذكر ابن جرير مقتل ابن الأشعث في سنة خمس وثمانين لله أعلم .

وعبد الرحمن هذا هو أبو محمد بن الأشعث بن قيس ، ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن
محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، قد روى له أبو داود والنسائي عن أبيه عن جده عن ابن
مسعود : حديث « إذا اختلف المتبايعان والسلطة فأمة فأقول ما قال البائع أو تشاورا » . وعنه أبو الميسر
ويقال إن الحجاج قتله بعد التسعين سنة لله أعلم . والعجب كل العجب من هؤلاء الذين يلبسون بالامارة
وليس من قريش ، وإنما هو كندى من اليمن ، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الأمارة لا تكون
إلا في قريش ، واحتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك ، حتى أن الأنصار سألوا أن يكون منهم
أمير مع أمير المهاجرين فأبى الصديق عليهم ذلك ، ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عباد الذي دعا
إلى ذلك أولاً ثم رجع عنه ، كما قررنا ذلك فيما تقدم . فكيف يمدون إلى خليفة قد بوع له بالامارة
على المسلمين من سنين فيمزونه وهو من صلبية قريش ويبايعون لرجل كندى يمة لم يتفق عليها
أهل الحل والعقد ؟ ولهذا لما كانت هذه زلة وفلته نشأ بسببها شرك كبير هلك فيه خلق كثير فأن الله
وإنما إليه راجعون)

﴿ أيوب بن القرية ﴾

وهي أمه واسم أبيه يزيد بن قيس بن زرارعة بن مسلم النمرى اللخلى ، كان أعزياً أمياً ، وكان
يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته ، محبب الحجاج ووفد على عبد الملك ، ثم بعثه رسولاً إلى
ابن الأشعث فقال له ابن الأشعث : لئن لم تهم خطيباً فتخلع الحجاج لأخربن عنقك ، ففعل وأظم
عنده ، فلما ظهر الحجاج استحضره وجرت له معه مقاملات ومقاتلات في الكلام ، ثم آخر الأمر ضرب
عنقه وندم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عنقه ، ولكن ندم حيث لا ينفع الندم ، كما قيل : وجلت
بوصل حين لا ينفع الوصل • وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه وابن خلكان في الوفيات وأطال
ترجمته وذكر فيها أشياء حسنة ، قال : والقرية بكسر القاف وتشديد الباء وهي جدته واسمها جماعة
بنت جشم قال ابن خلكان : ومن الناس من أنكر وجوده ووجود مجنون ليلى ، وابن أبي العقب
صاحب الملحمة ، وهو يحيى بن عبد الله بن أبي العقب والله أعلم .

﴿ روح بن زنباع ﴾

ابن سلامة الجنداني أبو زرعة ويقال أبو زنباع القمشي داره بمشقق في طرف البرزخيين عند ديار

ابن عقيب صاحب الملحمة . وهو تايي جليل ، روى عن أبيه . وكانت له صحبة . وتبعه الهامري ، وعبادة بن الصامت ومعاوية وكعب الأحمري وغيرهم ، وعنه جماعة منهم عبادة بن نسي . كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه ، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط ، وقد أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين ، وزعم سلم بن الحجاج أن روح بن زنباع كانت له صحبة ، ولم يتابع مسلم على هذا القول ، والصحيح أنه تايي وليس بصحابي ، ومن ما تراه التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمام يبتغى نسمة ، قال ابن زيد : مات سنة أربع وثمانين بالأردن ، وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام بن عبد الملك ، وقد حج مرة فقتل على ماء بين مكة والمدينة فأمر فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان ، ثم وضعت بين يديه ، فبينما هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة يرد الماء ، فدخله روح بن زنباع إلى الأكل من ذلك الطعام ، فجاء الراعي فنظر إلى طعمه وقال : إني صائم ، فقال له روح : في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم يراعي ؟ فقال الراعي : أفأفعلن أيى من أجل طملك ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكاناً فقتله وترك روح بن زنباع ، قال روح بن زنباع :-

لقد ضنفت بأهلك يراعي • إذ جاد بها روح بن زنباع

ثم إن روحاً بكى طويلاً وأمر بتلك الأطعمة فرفضت ، وقال : انظروا هل نجدون لها آكلًا من هذه الأعراب أو الرعاة ؟ ثم سار من ذلك المسكن وقد أخذ الراعي بجميع قلبه وصرفت إليه نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين)

فيها كما ذكر ابن جرير كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث بالله أعلم ، وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه المفضل بن المهلب ، وكان سبب ذلك أن الحجاج وقد مرة على عبد الملك فلما انصرف مر بدير قنبل له ابن فيه شيخاً كبيراً من أهل الكتاب عالماً ، فدعى فقال : يا شيخ هل نجدون في كتبكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال له فما نجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجد ملكاً أقرع ، من يقيم في سبيله يصرع ، قال : نعم من ؟ قال : نعم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال : نعم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس ، قال : فتعرفني له قال : قد أخبرتك بك . قال : أتعرف ما لي ؟ قال : نعم ! قال : فمن يلى العراق يمدى ؟ قال رجل يقال له يزيد ، قال أئني حياتي أو يمد موق ؟ قال لا أدري ، قال : أتعرف صفته ؟ قال يندر غيرة لأعرف غيرها ، قال : فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ، وسار سبباً وهو وجل من كلام الشيخ ، ثم بعث إلى عبد الملك يستغيثه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ؟ فجاء الكتاب بالترقيع والتأييد والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه . ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى

بمبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينكت في الأرض فرغم رأسه إليه قتال : ويحك يا عبيد ، إن أهل الكتاب يذكرون أن ماتحت يدي سبيله رجل يقال له يزيد ، وقد كرت يزيد بن أبي كيشة ويزيد ابن حصين بن عمير ويزيد بن دينار وليسوا هناك ، وما هو إلا يزيد بن المهلب . قتال عبيد : لقد شرقتهم وعظمت ولايتهم وإن لهم قندراً وجللاً وحظاً فأخلق به . فأجعب رأى الحجاج على عزل يزيد ابن المهلب ، فكتب إلى عبد الملك نفسه ويخوفه غدره ويخبره بما أخبره به فكش الشيخ الكتاني ، فجاء البريد بكتاب فيه قد أكرت في شأن يزيد فسم رجال يصلح لخراسان ، فوقع اختيار الحجاج على الفضل بن المهلب فولاه قليلا تسعة أشهر ، فنزا بلاد عيس وغيرها وغنم مقام كثيرة ، وامتدحه الشعراء ثم عزله بقتية بن مسلم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمز ، ثم ذكر سبب ذلك وملخصه أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد يلجأ إليه من ممة من أصحابه ، فجعل كلما اقترب من بلدة خرج إليه ملكها فقاتله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريبا من ترمذ وكان ملكها فيه ضعف ، فجعل يهادنه ويبعث إليه بالالطاف والتحف ، حتى جعل يتصيد هو وهو ، ثم عن الملك فعيل له طعاماً وبث إلى موسى بن عبد الله بن خازم أن اثنتي في مائة من أصحابك ، فاختار موسى من جيشه مائة من شجعانهم ، ثم دخل البلد فلما فرغت الضيافة اضطجع موسى في دار الملك وقال : والله لا أقوم من هنا حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قبري : فثار أهل القصر إليه فاجف عنه أصحابه ، ثم وقعت الحرب بينهم وبين أهل ترمذ ، فقتلوا قتل من أهل ترمذ خلق كثير وهرب بقتيسم ، واستمدى موسى ببقية جيشه إليه واستحوذ موسى على البلد فخصنها ومنعها من الأعداء ، وخرج منها ملكها هارباً فلجأ إلى إخوانه من الأتراك فاستصرم فقالوا له : هؤلاء قوم نعو من مائة رجل أخرجوك من بلدك ، لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب ملك ترمذ إلى طائفة أخرى من الترك فاستصرمهم فبعثوا معه قصاداً نحو موسى ليسمعوا كلامه ، فلما أحس قدمهم - وكان ذلك في شدة الحر - أمر أصحابه أن يؤججوا نارا ويلبسوا ثياب الشتاء ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصطلون بها ، فلما وصلت إليهم الرسل رأوا أصحابه وما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم : ما هذا الذي تراكم تفعلون ؟ فقالوا لهم : إنا نجد البرد في الصيف والكرب في الشتاء ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : ما هؤلاء بشر ، ما هؤلاء إلا جن ثم عادوا إلى ملكهم فأخبروه بما رأوا فقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجاش بطائفة أخرى فجاءوا فحاصروا بترمز وجاء الخراعي فحاصرم أيضاً ، فحبل يقاتل الخراعي أول النهار وقاتل آخره العجم ، ثم إن موسى بينهم قتل منهم مقتلة عظيمة وأفزع ذلك عمر الخراعي فصالحه وكان معه ، فدخل يوماً عليه وليس عنده أحد ، وليس يرى معه سلاحاً فقال له على وجه النصيح

أصلح الله الأمير، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح، قال: إن عندي سلاحاً، ثم دفع صدر فراشه فإذا سيقه منتفض فأخذه عمر ففرضه به حتى برد وخرج هارباً، ثم تفرق أصحاب موسى بن عبيد الله بن حازم.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية، وحسن له ذلك روح بن زنباع الجنامي، فبينما هما في ذلك إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب في الليل، وكان لا يحبب عنه في أي ساعة جاء من ليل أو نهار، فزراه في أخيه عبد العزيز فقدم على ما كان منه من العزم على عزله، وإتمامه على إراقة عزله أنه أراد أن يعهد بالأمر من بعده لأولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وذلك عن رأى الحجاج وترتيبه ذلك لعبد الملك، وكان أبوه مروان عهد بالأمر إلى عبد الملك ثم من بعده إلى عبد العزيز، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الإمرة من بعده بالكيفية، ويحيل الأمر في أولاده وعقبه، وأن تكون الخلافة باقية فيهم والله أعلم.

(عبد العزيز بن مروان)

هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الأصم القرشي الأموي. ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع أبيه مروان، وكان ولي عهد من بعد أخيه عبد الملك، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان والياً عليها إلى هذه السنة، وشهد قتل سعيد بن عمرو بن العاص كما قمنا، وكانت له دار يمشق وهي دار الصوفية اليوم، والمروفة بالخاقاه السمسالية ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز، ثم تنقلت إلى أن صارت خاقاهها للصوفية. وقد روى عبد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه وعبد الله بن الزبير وعقبه بن عمر وأبي هريرة، وحديثه عنه في مسند أحمد وسنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: « شرفني الرجل حين خالع وشح حاله ». وعنه ابنه عمر والزهرى وعلي بن رباح وجماعة. قال محمد بن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وقال غيره: كان يلحن في الحديث وفي كلامه، ثم تعلم العربية فأعجبها وأحسنها فكان من أفصح الناس، وكان سبب ذلك أنه دخل عليه رجل يشكو خنته - وهو زوج ابنته - فقال له عبد العزيز: من خنتك؟ قال الرجل: خنتي الختان التي يجتن الناس، قال لسكتيه ويحك بماذا أجابني؟ قال السكتاب: يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تحول من خنتك، فألقى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يشتم العربية، فكث جمعة واحدة فتملأها غروج وهو من أفصح الناس، وكان بعد ذلك يجزل عطاه من يرب كلامه وينقص عطاه من يلحن فيه، فسارع الناس في زمانه إلى تعلم العربية. قال عبد العزيز يوماً لرجل: ممن أنت؟ قال: من بنو عبد القار، قال: فجمعا في جارتك، فنقصت جارتك مائة دينار.

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا مجاهد بن موسى ثنا إسحاق بن يوسف أنباء سفيان عن محمد بن عجلان عن القمقاع بن حكيم قال : كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر : ارفع إلى حاجتك . فكتب إليه ابن عمر : إن رسول الله ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تمول » . ولست أسألك شيئاً ولا أرد رزقا رزقته الله عز وجل منك . وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس قال : بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر قال : فجيئت فدفعت إليه الكتاب فقال : أين المال ؟ قلت : لا أستطيعه اليلة حتى أصبح ، قال : لا والله لا يبيت ابن عمر اليلة وله ألف دينار ، قال : فدفعت إلى الكتاب حتى جثته بها ففرقها رضى الله عنه .

ومن كلامه رحمه الله : عجا لمؤمن يؤمن وبقن أن الله برزقه ويخلف عليه ، كيف يحبس مالا عن عظيم أجر وحسن ثناء . ولما حضرته الوفاة أحضره له مالٌ يحصيه وإذا هو ثلاثمائة مدين من ذهب ، فقال : والله لوددت أنه بمر حائل بنجد ، وقال : والله لوددت أني لم أكن شيئاً مذكوراً ، ولوددت أن أكون هذا الماء الجاري ، أو نباتة بأرض الحجاز ، وقال لهم : اتقوا بكفى القى تكفونى فيه ، ففعل يقول : أف لك ما أقصر طويك ، وأقل كثيرك .

قال يعقوب بن سفيان عن ابن بكير عن الليث بن سعد قال : كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين ، قال ابن عساكر : وهذا وهم من يعقوب بن سفيان والصواب سنة خمس وثمانين ، فانه مات قبل عبد الملك أخيه ، ومات عبد الملك بعده بسنة سنة ست وثمانين . وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء كريماً جواداً محسناً ، وهو والد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، وقد اكتسب عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمور كثيرة . وكان لعبد العزيز من الأولاد قير عمر ، عاصم وأبو بكر ومحمد والأصبغ - مات قبله بقليل فحزن عليه حزناً كثيراً ومرض بعده ومات . وسهيل وكان له عدة بنات ، أم محمد وسهيل وأم عثمان وأم الحكم وأم البنين ومن من أمهات شقي ، وله من الأولاد غير هؤلاء ، مات بالمدينة التي بناها على مرحلة من مصر وحمل إلى مصر في التليل ودفن بها ، وقد ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث والذواهب من الخليل والبهائم والأبل وغير ذلك ما يسجز عنه الوصف ، من جملة ذلك ثلاثمائة مدين من ذهب غير الورق ، مع جوده وكرمه وبنفه وعطائه الجزيلة ، فانه كان من أعطى الناس العجزيل رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالبادية المصرية يسأله أن ينزل عن العهد القوي له من بعده لولاه الوليد أو يكون ولي العهد من بعده ، فانه أمر الخلق على . فكتب إليه عبد العزيز يقول : إلى أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد . فكتب

إليه عبد الملك يأمره . يحمل خراج مصر - وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره ، وإنما كانت بلاد مصر بكلها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز ، مناتها وخراجها وحلها - فكتب عبد العزيز إلى عبد الملك : إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلننا سنّاً لا يلبثها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً ، وإني لا أدري ولا تدري أينما يأتيه الموت أولاً ، فإن رأيت أن لا ألتب على بقية عمرى فاضل ، فرق له عبد الملك وكتب إليه : لسرى لأعتب عليك بقية عمرك . وقال عبد الملك لابنه الوليد : إن يرد الله أن يعطيكما لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك ، ثم قال لابنه الوليد وسليان : هل طرقتا محرماً أو حراماً قط ؟ قلّا : لا والله ، قال : الله أكبر ، فلماها ورب السكبة . ويقال إن عبد الملك لما امتنع أخوه من إجابته إلى ما طلب منه في بيعته لولده الوليد دعا عليه وقال : اللهم إني قطعني فاطمة ، فأت في هذه السنة كما ذكرنا ، فلما جاء الخبر بموت أخيه عبد العزيز ليلاً حزن وبكى وأبكى أهله بكاء كثيراً على عبد العزيز ، ولكن سره ذلك من جهة ابنه فإنه نال فيها ما كان يؤمله لهما من ولايته إياها بعده . وقد كان الحاجاج يث إلى عبد الملك بحسن له ولاية الوليد ويزينها له من بعده ، وأوفد إليه وفدًا في ذلك عليهم عمران بن عصام المثرى ، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتكلم وتكلم الوفد في ذلك وحثوا عبد الملك على ذلك وأنشد عمران بن عصام في ذلك :

أمير المؤمنين إليك نهدي • على النأي التحية والسلاما
أجبن في بئس يكن جوابي • لهم عادية ولنا قواماً
فلو أن الوليد أطلع فيه • جعلت له الخلافة واقعاما
شبهك حول قبته قریش • به يستمر الناس النعاما
ومثلك في التقى لم يصب يوماً • لئن خلع القلائد والقواما
فإن تؤثر أخاك بها فانا • وجدك لا نطيق لها اتهاما
ولكننا نخادر من بنيه • بنى الملات مأثرة سلما
ونخشى إن جعلت الملك فيهم • سحلاً أن تعود لهم جواما
فلا يك ما حلبت غدا لقوم • وبعد غد بنوك هم العياما
فأقسم لو تخطأت عصام • بنك ما عفوت به عصاما
ولو أتى حبوت أخا بفضل • أريد به المقاتلة والمقاما
لنقب في بني على بنيه • كذلك أو ليمت له مراما
فن يك في آثاره صدوع • فصعد الملك أبطوه الثماما

قال : فهاجه ذلك على أن كتب لأخيه يستزله عن الخلافة لوليد فأبى عليه ، وقدر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك بعام واحد ، فتمكن حينئذ مما أراد من بيعة الوليد وسليمان والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ذكر بيعة عبد الملك لولده الوليد - ثم من بعده لأخيه سليمان بن عبد الملك)

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان ، ببيع له بمشقة ثم في سائر الأقاليم ثم لسليمان من بعده ، ثم لما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع في حياة عبد الملك لأحد ، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة فصر به ستين سوطاً ، وألبسه ثياباً من شعر وأركبه جلاً وطلق به في المدينة ، ثم أمر به فنهضوا به إلى ثنية ذهاب - وهي الثنية التي كانوا يصلون عندها ويقولون - فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن ، وقال لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلونني لم ألبس هذا الثياب . ثم كتب هشام بن إسماعيل الخزومي إلى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد في ذلك ، فكتب إليه ينفعه في ذلك ويأمره بإخراجه ويقول له : إن سعيداً كان أحق منك بصلة الرحم مما فعلت به ، وإنا لنعلم أن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف ، وبروي أنه قال له : ما ينبغي إلا أن يبايع ، فإن لم يبايع ضربت عنقه أو خليت سبيله . وذكر الواقدي أن سعيداً لما جاءت بيعة الوليد امتنع من البيعة فصر به نائبها في ذلك الوقت - وهو جابر بن الأسود بن عوف - ستين سوطاً أيضاً وسجنه الله أعلم .

قال أبو مخنف وأبو مسهر والواقدي : وجمع بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزومي نائب المدينة ، وكان على العراق والمشرق بكافة الحجاج ، قال شيخنا الحافظ الذهبي : وتوفي في هذه السنة (أبلان بن عثمان) بن عفان أمير المدينة ، كان من قهلاء المدينة العشرة ، ظله يحيي بن القطان . وقال محمد بن سعد : كان ثقة وكان به صمم ووضع كثير ، وأصابه الفالج قبل أن يموت . (عبد الله ابن عمر) بن ربيعة . عمرو بن حريث . عمرو بن سلة . وأتله بن الأسقع . شهد وائلة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزها ، ومسجد بها عند حبس باب الصغير من القيلة . قلت : وقد احترق مسجد في قننة تمرلك ولم يبق منه إلا رسموه ، وعلى بابها من الشرق قننة ماء . (خالد بن يزيد) بن معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، كان أعلم قريش بجنون العلم ، وله يد طولى في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راحب اسمه مريانش ، وكان خلفه فصيحاً بليغاً شاعراً منطيقاً كأبيه ، دخل يوما على عبد الملك بن مروان بمحضرة الحكم بن أبي العاص ، فشكى إليه أن ابنه الوليد يحترق أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : (إن الملك إذا دخلوا قرية أسلموها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) فقال له خالد : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق

عليها القول فسرناها تدميراً) قال عبد الملك: والله قد دخل على أخوك عبد الله فإذا هو لاقيم
الحن، قال خالد: والوليد لاقيم الحن، قال عبد الملك: إن أخاه سليمان لا يلحن، قال خالد:
وأنا أخو عبد الله لا ألحن، قال الوليد: وكان حاضرًا - خالد بن يزيد: اسكت، فوالله ما قد في
المير ولا في النغير، قال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين! ثم أقبل خالد على الوليد فقال: ويحك وما هو
المير والنغير غير جدى أبي سفيان صاحب المير، وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النغير؟ ولكن
لو قلت غنيات وجبيلات والطائف، ورحم الله عثمان، قلنا صدقت - يعني أن الحكم كان منفيًا
بالطائف يرعى غنا ويأوى إلى جيلة الكرم حتى آواه عثمان بن عفان حين ولي - فسكت الوليد وأبوه
ولم ينجرا جواباً، والله سبحانه أعلم.

(ثم دخلت سنة ست وثمانين)

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان، بلاداً كثيرة من أرض الترك
وغيرهم من الكفار، وسبي وغنم وسلم وتسلم قلاعاً وحصونا وممالك، ثم قتل فسبق الجيش، فكتب
إليه الحجاج يلومه على ذلك ويقول له: إذا كنت قاصداً بلاد العدو فكُن في مقدمة الجيش، وإذا
قُلت راجعاً فكُن في ساقة الجيش - يعني لتكون ردة لهم من أن ينالهم أحد من العدو وغيرهم بكيد -
وهذا رأى حسن وعليه جاءت السنة، وكان في السبي امرأة برمك - والد خالد بن برمك - فأعطاهما
قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم فوطئها فحملت منه، ثم إن قتيبة من على السبي وردت تلك المرأة على
زوجها وهي حبل من عبد الله بن مسلم، وكان ولدها عندهم حتى أسلموا فقدموا به معهم إلى بني البساس
كما سيأتي. ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه دهاقين بلنار يهدايا عظيمة، ومفتاح من ذهب.

وفيها كان طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون الفتيل، لأنه أول ما بدأ بالنساء
فسمى بذلك. وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم قتل وسبي وغنم وسلم واقتنح حصن بولق
وحصن الأخرم من أرض الروم، وفيها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت
أخيه عبد العزيز فدخلها في جمادى الآخرة، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة. وفيها هلك ملك
الروم الأخرم لوري لا رحمه الله. وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب. وحج بالناس فيها هشام بن
إسماعيل الخزوعي. وفي هذه السنة توفي أبو أمانة الباهلي وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن
الحارث بن جزء الزبيدي في قول، شهد فتح مصر وسكنها وهو آخر من مات من الصحابة بمصر.
وفيها في شوالها توفي أمير المؤمنين

(عبد الملك بن مروان والد الخلفاء الأمويين)

وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو الوليد الأموي أمير المؤمنين،

وأمه عائشة بنت معاوية بن النخعية بن أبي العاص بن أمية . سمع عثمان بن عفان ، وشهد البار مع أبيه وهو ابن عشرين سنة ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ، وكان أميراً على أهل المدينة ، وله ست عشرة سنة ، ولله إلهام معاوية ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والمبشرين والصالحين وروى الحديث عن أبيه وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر ومعاوية وأم سلمة وبريرة مولاة عائشة . وروى عنه جماعة منهم خالد بن ممدان وعروة والزهرى وعمر بن الحارث ورجاء بن حيوة وجري بن عثمان . ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سمع للقاسم وكان يكنى بأبي القاسم ، ثم غير اسمه فسماه عبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة : وأول من سمى في الإسلام بأحمد والده الخليل بن أحمد العروضي . وروى له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير ، وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين ، وابن الزبير على باقي البلاد ، ثم استقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة كما ذكرنا ذلك ، وكان مولده ومولده يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين ، وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن ، وكان ربة من الرجال أقرب إلى القصر . وكانت أسنانه مشبكة بالذهب ، وكان أفوه مفتوح الفم ، فربما غفل فيفتتح فيه فيدخل فيه الثياب ، ولهذا كان يقال له أبو الثياب . وكان أبيض ربة ليس بالحنيف ولا البان ، مقرون الحاجبين أشبل كبير العينين دقيق الأنف مشرق الوجه أبيض الرأس والوجه حسن الوجه لم يخضب ، ويقال إنه خضب بدم . وقد قال نافع : لقد رأيت المدينة وما فيها شلب أشد تشميراً ولا أقره ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك ابن مروان ، وقال الأعشى عن أبي الزناد : " كان قهها المدينة أربعة سميد بن المسيب وعروة وقبيصة ابن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الامارة " . فممن ابن عمر أنه قال : ولد الناس أبناء وولد مروان أباً . يعني عبد الملك . ورآه يوماً وقد ذكر اختلاف الناس ، فقال : لو كان هذا النمل اجتمع الناس عليه ، وقال عبد الملك : كنت أجالس بريدة بن الحصيب فقال لي يوماً : يا عبد الملك إن فيك خصالاً ، وإنك لجدير أن تلي أمر هذه الأمة ، فاحذر الغماء فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل ليدفع عن بلب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجة من دم بريقة من مسلم بغير حق » . وقد أثنى عليه قبل الولاية معاوية وعمر بن العاص في قصة طويلة ،

وقال سميد بن داود الزبيري عن مالك عن يحيى بن سميد بن داود الزبيري قال : كان أول من صلى ما بين الظهر والمغرب عبد الملك بن مروان وقتيلان معه ، فقال سميد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكير في أمر الله والورع عن محارم الله . وقال الشعبي :

ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فأتى ما ذكرته حديثاً إلا زادتني منه ، ولا شراً إلا زادتني فيه . وذكر خليفة بن خياط أن معاوية كتب إلى مروان وهو نائبه على المدينة سنة خمسين أن ابث ابنك عبد الملك على بث المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن خديج ، فذكر من كفايته وغناؤه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً . ولم يزل عبد الملك مقبلاً بالمدينة حتى كانت وقعة الحرة ، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز ، وأجلى بني أمية من هنالك ، فقدم مع أبيه الشام ، ثم لما صارت الإمارة مع أبيه وبايحه أهل الشام كما تقدم أقام في الإمارة تسعة أشهر ثم عهد إليه بالإمارة من بعده ، فاستقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين ، واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة .

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي : لما سلم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك . وقال أبو الطغيلة : صنع لعبد الملك مجلس توسع فيه ، وقد كان بيني له فيه قبة قبل ذلك ، فدخله وقال : لقد كان حشمة الأحوازي - يعني عمر بن الخطاب - يرى أن هذا عليه حرام ، وقيل إنه لما وضع المصحف من حجره قال : هذا آخر العهد منك . وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء ، وكان حازماً فيما فطننا سائلاً لأموال الدنيا ، لا يكل أمر ديناه إلى غيره . وأمه عائشة بنت معاوية بن المنيرة بن أبي العاص ، وأبوها معاوية هو الذي جدد أصف حجة عم النبي ﷺ يوم أحد ، وقال سعيد بن عبد العزيز : لما خرج عبد الملك إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الأسود الجرشى ، فلما التقوا قال : اللهم احجز بين هذين الجبلين وول الأمر أحبهما إليك . فظفر عبد الملك - وقد كان مصعب من أعز الناس على عبد الملك - وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً . وقال سعيد بن عبد العزيز : لما بويع لعبد الملك بالخلافة كتب إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك أمير المؤمنين ، سلام عليك فأتى أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فأنك راع وكل راع مسئول عن رعيته (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً) لا أحد والسلام . وبعث به مع سلام فوجدوا عليه إذ قدم اسمه على اسم أمير المؤمنين ، ثم نظروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك ، فاحتلوا ذلك منه .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ميسرة عن أبي موسى الخياط عن أبي كعب قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : يا أهل المدينة أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول ، وقد سألت علينا أحاديث من قبل هذا المشرق ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن ، فآلزموا ما في مصحفكم

الذي حكم عليه الأنام المظلم ، وعليكم بالفرار مني إلى جمعكم عليها يأمركم المظلم رحمه الله ، فانه قد استشارني ذلك زيد بن ثابت ونعم الشير كل للإسلام رحمه الله ، فأحكما ما أحكما ، واستصيما عندكما . وقال ابن جريج عن أبيه : حج علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بملعين ، فخطبنا فقال : أما بعد فانه كان من قبلي من الخلفاء يا كلون من المال ويوكلون ، وإني والله لا أداوي أعداء هذه الأمة إلا بالضيف ، ولست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا الخليفة المداخن - يعني معاوية - ولا الخليفة المأبون - يعني يزيد بن معاوية - أيها الناس إذا تخمّل منكم كل الفرمة مالم يكن عنقه راية أو توب على منبر ، هنا عمرو بن سعيد حقه حقه ، قرابته وابنه ، قال برأسه هكذا قلنا بسيفنا هكذا ، وإن الجليلة التي خلها من عنقه عندي ، وقد أعطيت الله عهداً أن لا أضنها في رأس أحد إلا أخرجها الصعداء ، فليبلغ الشاهد الغائب . وقال الأصمعي : ثنا عباد بن سلم بن عثمان بن زيد عن أبيه عن جده . قال : ركب عبد الملك بن مروان بكرأ فأنشأ قائده يقول : -

يا أيها البكر الذي أراكا • عليك سهل الأرض في عشاكا

ويحك هل تعلم من علاكا • خليفة الله الذي انتطكا

• لم يجب بكرأ مثل ما حباكا •

فلما سمعه عبد الملك قال : أيها يا هناء ، قد أمرت لك بشرة آلف . وقال الأصمعي : خطب عبد الملك خصر فقال : إن اللسان بضمة من الانسان ، وإنا نسكت خصرأ ولا نتلقى هنرأ ، ونحن أمراء الكلام ، فينارسخ عروقه ، وعلينا تدلت أغصانه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، وبعد عينا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ، يعرف فيها فصل الخطاب وموضع الصواب . قال الأصمعي : قيل لعبد الملك أسرع إليك الشيب ، فقال : وكيف لا وأنا أعرض عني على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟ وقال غيره قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : وتنتس ارتقاء المنبر ومخافة الحسن ؟ ولئن رجل عند عبد الملك - يعني أسقط من كلامه النأ - فقال له عبد الملك زد أف ، قال الرجل : وأنت فرد أفأ ، وقال الزهري : سمعت عبد الملك يقول في خطبته : إن العلم سيقبض قبضاً سريعاً ، فمن كان عنده علم فليظهره غير غال فيه ولا جاف عنه ، وروى ابن أبي الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يساره في سفره : إذا رقت له شجرة ، سبحوا بنا حتى تأتي تلك الشجرة ، كبروا بنا حتى تأتي تلك الحجرة ، ونحو ذلك .

وروى البيهقي أن عبد الملك وقع منه فلس في بئر قنوة فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها ، فقيل له في ذلك قال : إنه كان عليه اسم الله عز وجل . وقال غير واحد : كان عبد الملك إذا جلس لقضاء بين الناس يقوم السيافون على رأسه بالسيف فيشد ، وقال بعضهم : يأمر من يشتد فيقول :

إنا إذا نالت دواعي الهوى • وأنصت السامع فقاتل
 واصطرح الناس بألبابهم • قضى بحكم عدل فاصل
 لا نجعل الباطل حقا ولا • نلفظ دون الحق بالباطل
 نخاف أن تسفه أعلامنا • فنجعل الحق مع الجاهل

وقال الأعمش: أخبرني محمد بن الزبير أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج ويقول في كتابه: لو أن رجلا خدم عيسى بن مريم أو وآه أو محبة تعرفه النصراني أو تعرف مكانه لما جرت إليه ملوكهم، ولتزل من قلوبهم بالثقة العظيمة، ولعرفوا له ذلك، ولو أن رجلا خدم موسى أو وآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا، وإني خدام رسول الله ﷺ وصاحبه ورأيت وأكلت معه، ودخلت وخرجت وجعلت معه أعداءه، وإن الحجاج قد أضربني وفضل وفضل، قال: أخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي وبلغ به الغضب ما شاء الله، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ، فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغير ثم قال: إلى حمل الكتاب: انطلق بنا إليه نرضاه. وقال أبو بكر بن دريد: كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث: إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه، وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليهم، وإذا عززت بالله فاعف له، فانك به تفرز وإليه ترجع. قال بعضهم: سأل رجل من عبد الملك أن يتخلو به فأمر من عنده بالانصراف، فما خلا به وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك: احنرفي كلامك فلا، إليك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك، أو تكذبني فإني لا أرى لكذب، أو تسي إلى بأحد من الرعية فإني أعلم بعفوى أقرب منهم إلى جورى وظلمى، وإن شئت أقتلك. فقال الرجل: أقلني فأفاله. وكنا كل يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق: اعفني من أربع وقل ما شئت، لا تطرني، ولا تخبني فيما لا أسألك عنه، ولا تكذبني، ولا تحملني على الرعية فإني إلى رأفتي ومعدلتى أحوج. وقال الأصمعي عن أبيه قال: أتى عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال: اضربوا عنقه، قال: يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي منك، قال: وما جزاؤك؟ قال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك، وذلك أتى رجل مشتم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم، وقد بان لك محبة ما ادعيت، وكنت عليك خيراً من مائة ألف منك تصحك، لقد كنت مع فلان فكسر وهزم وتفرق جمعه، وكنت مع فلان تقتل، وكنت مع فلان فهزم - حتى عهد جماعة من الأمراء - فضحك وخطى سبيله. وقيل لبعد الملك: أى الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن رمة وزهد عن قدرة، وترك النصرة عن قوة. وقال أيضاً لا طمأنينة قبل الخبرة، فان الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم. وقال: خير المال ما أخذ حدياً ودفع ذماً، ولا يقولن أحدكم أبداً بن تقول، فان

اخليق كلهم عيال الله ، ويعني أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث . وقال المدائني : قال عبد الملك لؤدب أولاده - وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - : عليهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنهم السفلة فاتهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدبا ، وجنهم الحشم فاتهم لهم مفسدة ، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطمعهم اللحم يقروا ، وعلمهم الشر يجدوا وينجدوا ، ومرم أن يستأكروا عرضا ، ويمصوا الماء مصا ، ولا يمشوا عبا ، وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيموتوا عليهم .

وقال الهيثم بن عدي : أذن عبد الملك لئس في الدخول عليه إذنا خاصا ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأبه له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدرك أين ذهب ، وإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الإنسان إن الله قد جعلك بينه وبين عباده حاكما بينهم (بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين) (ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود) (وما تؤخره إلا لأجل معدود) (إن اليوم الذي أتت فيه لوقي لنيرك ما وصل إليك ، فذلك بيوتهم خلوية بما ظلموا) وإني أحذرك يوم ينادى النادى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) (ألا لعنة الله على الظالمين) قال فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمة ولم تزل السكابة في وجهه بعد ذلك أيلما . وكتب زر بن حبيش إلى عبد الملك كتابا وفي آخره : ولا يعلمك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك في صحنك فأنت أعلم بنفسك وإذ ذكر ماتكم به الأولون إذا الرجال ولدت أولادها • وبلت من كبر أجسادها وجعلت أسقامها تمتادها • تلك زروع قد دنا حصادها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بل طرف ثوبه ، ثم قال : صدق زر ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق . وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال : أنهي عن ذكر عرفة فانه مرارة للامراء مفسدة للرجية . وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى التقي عن أبيه عن جده قال : كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد يمشق ، فقالت له : بلغني أنك شربت الطلا بعد العبادة والنسك ، فقال : إني والله ، والله ما أيضا قد شربتها . ثم جاءه غلام كان قد بعته في حلجة فقال : ما حبسك لئلك الله ؟ قالت أم الدرداء : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة لئان » . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : ثنا الحسين بن عبد الرحمن قال قيل لسعيد بن المسيب : إن عبد الملك بن مروان قال قد صرت لا أفرح بالجنة أعلمها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد : الآن تكمل موت قلبه .

وقال الأصمعي عن أبيه عن جده قال : خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال : يارب إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوك أعظم منها ، اللهم طمع قليل عفوك عظيم ذنوبي . قال : فيبلغ ذلك الحسن فيبكي وقال : لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام ، وقد روى عن غيره واحد نحو ذلك ، أي أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن . وقال مسهر القمشي : وضع سباط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لحاجبه : اتفن فلان بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : مات يا أمير المؤمنين ، قال : فلا يبه عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال : مات ، قال : فلخالد بن يزيد ابن معاوية ، قال : مات ، قال فلان وفلان - حتى عد أقواماً قد ماتوا وهو يعلم ذلك قبلنا - فأمر برفع السباط وأنشأ يقول :

ذهبت لثقي واهضت أيلهم * وغبرت بدمع ولست بخالد

وقيل : إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكي فقال له عبد الملك : ما هذا ؟ أتعن حنين الجارية والأمة ؟ إذا أتات فشر وأتزر والبس جلد النمر ، وضع الأمور عند أقرانها ، واحتضر قریشا . ثم قال له : يا وليد اتق الله فيما أستخلفك فيه ، واحفظ وصيتي ، وانظر إلى أخي معاوية فصل رحمة واحفظني فيه ، وانظر إلى أخي محمد فأمره على الجزيرة ولا تعزله عنها ، وانظر إلى ابن عمنا علي بن عيسى فإنه قد أقطع إلينا بمودته ونصيحته وله نسب وحق فصل رحمة واعرف حقه ، وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لك الملك وشنت الغزوات ، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، وللمرء مناراً ، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقها ، وإن المروء يشيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالحجة ، وينذل الألسنة بالذكر الجميل ، والله در القائل :

إن الأمور إذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حق وبطش مفند

عزت فلم تكسر وإن هي بددت * بالكسر والتوهين للتبديد

ثم قال : إذا أتات طاع الناس إلى بيتك فن أبي طالسيف ، وعليك بالاحسان إلى أخواتك فأكرمن وأحبهن إلى طاملة - وكان قد أعطاهما قرطى مارية والقدرة البقية - ثم قال : اللهم احفظني فيها . فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها .

ولما احتضر مع غسالا ينسل الثياب قال : ما هنا ؟ قالوا غسال ، قال : ياليتني كنت غسالا أكسب ما أعيش به يوماً يوماً ، ولم أَل الخلالة . ثم تمثل قال : -

لمرئى لقد عمرت في الملك برهة * ودانت لي الدنيا بوقع البوائر

وأعطيت حمر المال والحكم والتهى * ولي سلمت كل الملوك الجبابر

فأضحى القى قد كان مما يسرى • كعلم مضى في الزمنات التوابر
فياليتنى لم أعن بالملك ليلة • ولم أسع في لذات عيش نواضر
وقد أنشد هذه الآيات معلوية بن أبي سفيان عند موته .

وقال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرض موته : كيف تجدك ؟ فقال أجندنى كما قال الله تعالى
(ولقد جئتمونا فردى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) الآية . وقال
سميد بن عبد العزيز : لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصاراً
بالوادي فقال : ما هذا ؟ قالوا قصر ، قال : ياليتنى كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ
سميد بن السيب قوله قال : الحمد لله القى جعلهم عند موتهم يزرون إلينا ولا نفر إليهم . وقال :
لما حضره الموت جعل ينهم وينب ويضرب بيده على رأسه ويقول : وددت أنى اكتسبت قوتى
يوماً يوماً واشتغلت بمعبادة ربى عز وجل وطاعته . وقال غيره : لما حضرته الوفاة دعا بنيه فوصاهم
ثم قال : الحمد لله القى لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم يموت . -

فهل من خالده إما هلكننا • وهل بالموت للباقيين عار

وبروى أنه قال : ارفضنى ، فرفضه حتى شم الهواء وقال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طويك لتقصير ،
وإن كثيرك لحقير ، وإنا كنا بك لى غرور ، ثم تمثل بهذين البيتين :

إن تناقض يكن قهاتك يارب • عذاباً لا طوق لى بالعذاب

أو تجاوز فانت رب صفوح • عن مسى ذنوبه كالتراب

قالوا : وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء وقيل الخميس ، في النصف من شوال
سنة ست وثمانين ، وصلى عليه ابنه الوليد ولى عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة . قاله
أبو معشر وصحبه الواقسي ، وقيل ثلاثاً وستين سنة . قاله المدائني ، وقيل ثمانى وخسين . ودفن بباب
الجابية الصغير ، قال ابن جرير : ذكر أولاده وأزواجه منهم الوليد وسليمان ومروان الأكبر درج
وعائشة ، وأمه ولادة بنت السباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن
مازن بن الحارث بن قطيمة بن عيسى بن بغيض ، ويزيد ومروان الأصغر ومعلوية درج وأم كلثوم
وأُمهم عائكة بنت يزيد بن معلوية بن أبي سفيان ، وهشام وأمه أم هشام عائكة - فها قاله المدائني -
بنت هشام بن إسماعيل الخزومي . وأبو بكر واسمه بكار وأمه عائكة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله
التيبي ، والحكم درج وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموي ، وطلحة وأُمها المنيرة
بنت المنيرة بن خالد بن الصام بن هشام بن المنيرة الخزومي . وعبد الله وسلمة والمنذر وعنينة
ومحمد وسعد الخضر والحجاج لأمهات أولاد شتى ، فكان جملة أولاده تسعة عشر ذكوراً وإناثاً ،

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها تسع سنين مشاركاً لابن الزبير ، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلاً بالخلافة وحده . وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني ، وكتابه روح بن زنباع ، وحاجبه يوسف مولاة ، وصاحب بيت المال والخطم قبيصة بن ذؤيب . وعلى شرطته أبو الزعزعة . وقد ذكرنا عماله فيما مضى . قال المدائني : وكان له زوجات آخر ، شقراء بنت سلمة بن حليس الطائي ، وابنة لعل بن أبي طالب ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر . وعن يذكر أنه توفي في هذه السنة هجرياً .

﴿ أرطاة بن زفر ﴾

ابن عبد الله بن مالك بن شداد بن ضمرة بن غفصان بن أبي حارثة بن مرة بن شبة بن غيط بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بضي بن ريث بن غطفان الوليد المري ، ويعرف بأبن شبة ، وهي أمه بنت رامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خديج بن جشم بن كعب بن عون بن عمر بن عوف . سبية من كلب . وكانت عند ضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زفر وهي حمل فأتت بأرطاة على فراشه ، وقد عمر أرطاة دهرًا طويلاً حتى جاوز المائة بتلاتين سنة ، وقد كان سيداً شريفاً مطاعاً محمداً شاعراً مطبقاً قال المدائني : ويقال إن بني غفصان بن حنظلة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث دخلوا في بني مرة بن شبة فقالوا بني غفصان بن أبي حارثة بن مرة . وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زفر هذا على عبد الملك فأنشده أبياتاً : -

رأيت البرء تأكله الهبالى • كأكل الأرض ساقطة الحديد
وماتبقى المنية حين تآتى • على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستر حتى • توفى فنورها بأبي الوليد

قال : فارتفع عبد الملك وظن أنه عنده بذلك فقال يا أمير المؤمنين إنما عنيت نفسى ، قال عبد الملك : وأنا والله سيمرى ما ألقى برك ، وزاد بعضهم في هذه الأبيات :-
خلقتنا أفضأً وبني نفوس • ولسنا بالسلام ولا الحديد
لئن أنجيت باقرناه يوماً • لقد تمت بالأمل البعيد
وهو القاتل وإنى لقوام لدى الضيف موهنا • إذا أسبل الستر البخيل المواق
دما فتابته كلاب كثيرة • على قبة منى بأبى فاعل
وما دون ضيفى من تلاد مخوزة • لى النفس إلا أن تصان الحلالل

﴿ مطرف بن عبد الله بن الشخير ﴾

كان من كبار التابعين ، وكان من أصحاب عمر بن الخطاب ، وكان مجلب الدعوة ، وكان يقول ما أوتى أحد أفضل من العقل ، وعقول الناس على قدر زماهم . وقال : إذا استوت سريرة البعد

وعلايته قال الله هذا عبدي حقاً . وقال : إذا دخلتم على مريض فإن استعظم أن يدعو لكم فانه قد حرك - أي قد أوقظ من غفلته بسبب مرضه - فقلوه مستجاب من أجل كبره ورقة قلبه . وقال : إن أتبع ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة .

✽ خلافة الوليد بن عبد الملك باي جمع دمشق ✽

لما رجع من دفن أبيه خارج باب الجابية الصغير - وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة لثتصف من شوال من هذه السنة - لم يدخل المنزل حتى صعد المنبر - منبر المسجد الأعظم بدمشق - فخطب الناس فكان مما قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا في أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فكان أول من قام إليه عبد الله بن همام السلولي وهو يقول : -

الله أعطاك التي لا فرقها • وقد أراد الملحدون عرقها

عنك ويأبي الله إلا سوقها • إليك حتى قلدوك طوقها

ثم بايعه وبايع الناس بعده . وذكر الواقدي أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه لا مقيم لما أمر الله ، ولا مؤخر لما قسم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقته ما كتبه على أنبيائه وحلته عرشه وملاكته الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار بما لا اله في هذه الأمة - يعني بالقي يحق لله عليه - من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أظم الله من منار الاسلام وإعلانه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الفارات على أعداء الله عز وجل فلم يكن عجزاً ولا مفرطاً ، أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، أيها الناس من أبدي لنا ذات نفسه ضربنا التي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل فنظر ما كان من دواب الخلافة فغازها . وكان جبارة عنيدياً . وقد ورد في ولاية الوليد حديث غريب ، وإما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كاسياني ، وكما تقدم تقريره في دلائل النبوة في باب الاخبار عن النيوب المستقبلية ، فيما يتعلق بدولة بني أمية ، وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صينياً في نفسه حازماً في رأيه ، يقال إنه لا تعرف له صبوة ، ومن جهة محاسنه ما صح عنه أنه قال : لولا أن الله قص لنا قصة قوم لوط في كتابنا ما خلطنا أن ذكر آكل يأتى ذكر آكل يأتى النساء ، كاسياني ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته ، وهو باي مسجد جامع دمشق التي لا يعرف إلا خلق أحسن بناء منه ، وقد شرع في بنائه في ذى القعدة من هذه السنة ، فلم يزل في بنائه وتحسينه مدة خلافته وهي عشر سنين ، فلما أنهأ انتهت أيام خلافته كاسياني بيان ذلك مفصلاً . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا ، فلما فُتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة ، فأخذوا منها الجانب الشرقي فحولوه مسجداً ، وبقي الجانب الغربي كنيسة

بحاله من هذه سنة أربع عشرة إلى هذه السنة ، فزعم الوليد على أخذ بقية الكنييسة منهم وعوضهم عنها كنييسة مريم لدخولها في جانب السيف ، وقيل عوضهم عنها كنييسة توما ، وهلم بقية هذه الكنييسة وأضافها إلى مسجد الصحابة ، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البنيان والزينة والأكثر والمبارات ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ففيها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة وولى عليها ابن عمه وزوج أخته طاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز ، فسخطها على ثلاثين بغيراً في ربيع الأول منها ، فقتل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فلما صلى الظهر دعا عشرة من قهلاء المدينة وهم عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خثيمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . فسخطوا عليه فجلسوا لحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني إنما دعوتكم لأمر توجبون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتمدى أو يلفك من عمل لي ظلامة ، فأخرج على من بلغته ذلك إلا أبلغني . فخرجوا من عنده يمزونه خيراً ، وافترقوا على ذلك . وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان . وكان يسمى الراي فيه . لأنه أساء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحواً من أربع سنين ، ولاسيما إلى سعيد بن المسيب وعلى بن الحسين . قال سعيد بن المسيب لابنه ومواليه : لا يمرض منكم أحد لهذا الرجل في ، تركت ذلك لله والرحم . وأما كلامه فلا أكلمه أبداً ، وأما على بن الحسين فانه مر به وهو موقوف فلم يتعرض له وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يمرض أحد منهم له ، فلما اجتاز به وتجاوز له فاداه هشام الله يعلم حيث يحيل رسالته

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم قتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حصونا كثيرة وغنم غنائم جمة ، ويقال إن اقصى غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك فتفتح حصن بولق ، وحصن الأخرم ، وبحيرة الفرسان ، وحصن بولس ، وقيقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف وسبى ذراريهم . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصلحه ملكهم فترك على مال جزيل ، وعلى أن يطلق كل من يلاذه من أسارى المسلمين ، وفيها غزا قتيبة بيكند فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجم غفير ، وهي من أعمال بخارى ، فلما نزل بأرضهم استنجبوا عليه بأهل الصند ومن

خولهم من الأتراك ، فأوهم في جمع عظيم فأخذوا على قتيبة الطرق والمضائق ، فتواقف هو وهم قريباً من شهرين وهو لا يقدر أن يبيت إليهم رسولا ولا يأتيه منهم رسول ، وأبطأ خبره ، على الحجاج حتى خاف عليه واشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك ، فأمر الناس بالبقاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار ، وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتلون مع الترك في كل يوم ، وكان قتيبة عين من المعجم يقال له تندر ، فأعطاه أهل بخارى مالا جزيلا على أن يأتي قتيبة فيخله عنهم ، فجاء إليه فقال له : أخلصني ، فأخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين ، فقال له تندر : هذا ملول يقدم عليك سريرا بعزل الحجاج ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ، فقال قتيبة لمولاه سياف أضرب عنقه قتله ، ثم قال لضرار : لم يبق أحد مع هذا غيري وغيرك وإني أعطى الله عهداً إن ظهر هذا حتى ينتفضي حربنا ألقنك به ، فملك علينا سائلك ، فان انتشار هذا في مثل هذا الحال ضعف في أعضاد الناس وفكرة للأعداء ، ثم نهض قتيبة فحرض الناس على الحرب ، ووقف على أصحاب الرايات يحرضهم ، فاقتل الناس قتلا شديداً ثم أنزل الله على المسلمين العبر فاقتصف النهار حتى أنزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمة عظيمة ، واتبهم المسلمون يقتلون فيهم ويأسرون ماشوا ، واعتصم من بقي منهم بالمدينة ، فأمر قتيبة الفعلة بهبهما فسأله الصلح على مال عظيم فصالحهم ، وجعل عليهم رجلا من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعا ، فلما كان منهم على خمس مراحل قضوا العهد وقتلوا الأمير وجعدوا أنوف من كان معه ، فرجع إليها وحاصرها شهراً ، وأمر النقبانين والفعلة فعلقوا سورها على الخشب وهو يريد أن يضرم النار فيها ، فسقط السور قتل من الفعلة أربعين نساء ، فسأله الصلح فأبى ، ولم يزل حتى افتتحها قتل المقاتلة وسي القدية وغنم الأموال ، وكان القى ألب على المسلمين رجل أعور منهم ، فأمر فقال أنا أفندي فقتل بخمسة أبواب صيفة قيمتها ألف ألف ، فأشار الأمراء على قتيبة بقبول ذلك منه ، فقال قتيبة : لا والله لا أروع بك مسلامرة ثانية ، وأمر به فضربت عنقه . وهذا من الزهد في الدنيا ، ثم إن الغنائم سينزل فيها ما أراد أن يقتدى به نفسه فان المسلمين قد غنموا من يبيكند شيئا كثيرا من آنية الذهب والفضة والأصنام من الذهب ، وكان من جعلها صنم سبك فخرج منه مائة ألف وخمسون ألف دينار من الذهب ، ووجدوا في خزائن الملك أموالا كثيرة وسلاحا كثيرا وعددا متنوعة ، وأخذوا من السبي شيئا كثيرا ، فكتب قتيبة [إلى الحجاج يسأله] أن يعطى ذلك للجد فأذن له فتناول المسلمون وهجروا على قتال الأعداء ، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جدا ، وصارت لهم أسلحة وعدد وخيول كثيرة وهجروا بذلك قوة عظيمة والله الحمد والمنة .

وقد حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة ، وفاضيه بها أبو بكر بن محمد بن

عمرو بن حزم ، وعلى العراق والشرق بكلمة الحجاج ، وثابه على البصرة الجراح بن عبد الله الحكى
 وقاضيه بها عبد الله بن أذينة ، وطوله على الحرب بالكوفة زياد بن جري بن عبد الله البجلي ، وقاضيه بها
 أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، وثابه على خراسان وأعمالها قتيبة بن مسلم . وفيها توفي من الأعيان :

﴿ غيبة بن عبد السلى ﴾

صحابي جليل ، نزل حص ، يروى أنه شهد بنى قريظة ، وعن العرياض أنه كان يقول هو خير
 من أسلم قبلي بسنة . قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ، وقال غيره بعد التسعين والله أعلم .
 [قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان غيبة بن عبد السلى من أهل الصفة . وروى قتيبة عن مجير
 ابن سعد عن خالد بن معدان عن غيبة بن عبد السلى أن النبي ﷺ قال : « لو أن رجلا يجر على
 وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت حرماً في مرضاة الله لحقره يوم القيامة » . وقال إسماعيل بن عياش عن
 عقيل بن مضر عن لقمان بن عامر عن غيبة بن عبد السلى قال : اشتكت إلى رسول الله ﷺ
 الرأى فكسأني خيشنين فلقد رأيتني وأنا أكسى الصحابة] (١)

﴿ المقدم بن ممدى كرب ﴾

صحابي جليل ، نزل حص أيضاً ، له أحاديث ، وروى عنه غير واحد من التابعين . قال محمد
 ابن سعد والفلاس وأبو عبيدة : توفي في هذه السنة ، وقال غيره : توفي بعد التسعين والله أعلم .
 ﴿ أبو أملة البلعلى ﴾

واحد صدق بن عجلان ، نزل حص ، وهو راوى حديث « تلقين الميت بعد الدفن » رواه
 الطبراني في المعجم ، وقد تقدم له ذكر في الوفيات .

﴿ قبصة بن ذؤيب ﴾

أبو سفيان الخزاعي المدني ، ولد عام الفتح وأتى به النبي ﷺ ليدعوه ، روى عن جماعة كثيرة
 من الصحابة ، وأصيبت عينه يوم الحرة ، وكان من قهلاء المدينة ، وكانت له منزلة عند عبد الملك ،
 ويستغل عليه بنجر إذن ، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد الملك فيخبره
 بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سره ، وكان له دار بمشق يباب للبريد ، وتوفي بمشق .

﴿ عروة بن المنيرة بن شعبة ﴾

ولى إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً ليبياً مطاعاً في الناس ، وكان أحول . توفي بالكوفة
 ﴿ بجي بن يمر ﴾ ، كان فاضلي مرو ، وهو أول من سخط المصالحف ، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم
 وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد الفضلاء ، أخذ المروية عن أبي الأسود الدؤلى .

(١) سقط من نسخة طوب قبو بالاستانة .

﴿ شرح بن الحارث بن قيس القاضي ﴾

أدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر على الكوفة فكث بها قاضياً حساً وستين سنة ، وكان علماً عادلاً كثير الخير ، حسن الأخلاق ، فيه دعابة كثيرة ، وكان كوسجاً لا شرف وجهه ، وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأخف بن قيس ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وقد اختلف في نسبه وسنه وعام وفاته على أقوال ، ورجح ابن خلكان وفاته في هذه السنة .

[قلت : قد خدمت ترجمة شرح القاضي في سنة ثمان وسبعين بما فيهما من الزيادة الكثيرة غير ما ذكره

المؤلف هنا وهناك ^(١) . ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ﴿

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فاقترعنا بين مهمل من المسلمين حصن طوانة في جمادى من هذه السنة وكان حصيناً منيعاً - أقتل الناس عنده قتلاً عظيماً ثم حمل المسلمون على التنصاري فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت التنصاري فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقعه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن محيريز الجمعي ، فقال العباس لابن محيريز : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل ؟ قال : نادى يأتوك ، فنادى يا أهل القرآن ، فراجع الناس فحملوا على التنصاري فكسروهم وولّوا إلى الحصن فحاصروهم حتى قتلوه .

وذكر ابن جرير أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر أزواج رسول الله ﷺ ، وأن يسمه من قبله وسائر نواحيه ، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ، فن باعك ملكه فاشتره منه وإلا قهرمه له قية عدل ثم أهدمه وادفع إليهم أثمان بيوتهم ، فان ذلك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والعقهاء المشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد ، فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حجر قصيرة السقف ، وستوفها من جريد النخل ، وحيطاتها من اللبن ، وعلى أبوابها المسوح ، وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحاج والزارع والمسافرون ، وإلى بيوت النبي ﷺ فينتقموا بذلك ويمتروا به ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا ، فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة ، وهو ما يستر ويكن ، ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفضال القراعة والأكلسة ، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها . ففند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه العقهاء المشرة المتقدم ذكرهم ، فأرسل إليه يأمره بالتراب وبناء المسجد على ما ذكر ، وأن يعل سقوفه . فلم يجد عمر بداً من هدمها ، ولما شرعوا في الهدم صاح الاشراف وجوه الناس من بني هاشم وغيرهم ،

وتباركوا مثل يوم مات النبي ﷺ ، وأجلب من له ملك متاعه للمسجد للبيع فاشترى منهم ، وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك ، وأرسل الوليد إليه فصولاً كثيرة ، فأدخل فيه الحجرة النبوية - حجرة عائشة - فدخل القبر في المسجد ، وكانت جده من الشرق وسائر حجر أهبات المؤمنين كما أمر الوليد ، وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بنت لهم قس نفخوا أن تكون قس النبي ﷺ حتى تحقروا أنها قدم عمر رضى الله عنه ، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد - كأنه خشى أن يتخذ القبر مسجداً - والله أعلم

وذكر ابن جرير أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبعث له صناعاً للبناء ، فبعث إليه بمائة صانع وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي ، والمشهور أن هنا إما كان من أجل مسجد دمشق والله أعلم . وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر القوارة بالمدينة ، وأن يجري مائها فضل ، وأمره أن يحفر الآبار وأن يسهل الطرق والبنايا ، وساق إلى القوارة الماء من ظاهر المدينة ، والقوارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كوربناون ابن أخت ملك الصين ، ومعه مائتا ألف مقاتل ، من أهل الصند وفرغانة وغيرهم ، فاقتلوا قتلاً شديداً ، وكان مع قتيبة نيزك ملك الترك مأسورا فكسرم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئا كثيرا ، وقتل منهم خلقا وسبي وأسر . وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من أشراف قريش ، فلما كان بالتنميم لقيه طائفة من أهل مكة فأخبروه عن قلة الماء بمكة قلة المطر ، فقال لأصحابه : ألا نستمطر ؟ فعدا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سقوا ودخلوا مكة ومسم المطر ، وجاء سيل عظيم حتى خلف أهل مكة من شدة المطر ، ومطرت عرفة ومزدلفة ومنى ، وأخصبت الأرض هذه السنة خصبا عظيما بمكة وما حولها ، وذلك ببركة دعاء عمر ومن كان معه من الصالحين . وكان النواب على البلدان في هذه السنة هم الذين كانوا قبلها .

﴿ ومن توفى فيها من الأعيان - عبد الله بن بسر بن أبي بسر المازني ﴾

صحابي كآبيه ، سكن حمص ، وروى عنه جماعة من التابعين ، قال الواقدي : توفى في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، زاد غيره وهو آخر من توفى من الصحابة بالشام ، وقد جاء في الحديث أنه يمشي قرنا ، فمات مائة سنة .

﴿ عبد الله بن أبي أوفى ﴾

علقة بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم الأسدي ، صحابي جليل ، وهو آخر من بقى من الصحابة بالكوفة ، وكانت وفاته في سنة تسع أو ثمان وثمانين ، وقال الواقدي وغير واحد : سنة ست وثمانين ، وقد جاوز المائة وقيل ثار بها رضى الله عنه .

﴿ وفيها ترقى هشام بن إسماعيل ﴾

ابن هشام بن الوليد الخزرجي المدني ، وكان حاضراً عند الملك بن مروان وثابته على المذنبية ، وهو الذي ضرب سعيد بن السيب كما قُتلهم ، ثم قدم دمشق فأتى بها ، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق فأتى فيها في السبع .

﴿ عمير بن حكيم ﴾

المنفى الشامي ، له رواية ، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يغيب الحاجاج علانية إلا هو وابن عمير بن أبو الأبيض ، قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين ﴾

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه المباس بلاد الروم قتلاً خلقاً كثيراً وفيها حصونا كثيرة ، منها حصن سورية وعمورية وهرقلة وقودية . وغنما شيناً كثيراً وأسرا جاً غفيراً . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد السند ونسف وكش ، وقد لقيه هنالك خلق من الأتراك فظفروهم قتلهم ، وسار إلى بخارى فلقبه دونها خلق كثير من الترك قاتلهم وبين وليلتين عند مكان يقال له خرخان ، وظفروهم فقال في ذلك نهار بن تومة :

وبانت لهم منا بخرخان ليلة • وليلتنا كانت بخرخان أطولاً

ثم قصد قتيبة وردان خناه ملك بخارى قاتله وردان قتلاً شديداً فلم يظفر به قتيبة ، فرجع عنه إلى مرو ، فجاءه البريد بكتاب الحاجاج ينفذه على الفرار والتسكول من أعداء الاسلام ، وكتب إليه أن يبعث بصورة هذا البلد - يعني بخارى - فبعث إليه بصورتها فكتب إليه أن يرجع إليها وتب إلى الله من ذنبك واتهما من مكان كنا وكنا ، ورد وردان خناه ، وإياك والتعويط ، ودعني وبينات الطريق .

وفي هذه السنة ولي الوليد بن عبد الملك إمرة مكة لخالد بن عبد الله القسري ، فخر بترأ بأمر الوليد عند ثنية طوى وثنية المحجون ، فجاءت عذبة الماء طيبة ، وكان يستقي منها الناس . وزوى الواقدي : حدثني عمر بن صالح عن ثاقب مولى بني مخزوم . قال : سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخطب للناس : أيها الناس ! أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقه فبقاه ملجأ أجلي ، واستسقى الخليفة فبقاه عذاباً فراثاً - يعني البئر التي احتفرها بالثنتين ثنية طوى وثنية المحجون - فكان ينقل ماؤها فيوض في حوض من أنعم إلى جنب زمزم ليصرف فضله على زمزم . قال ثم غارت تلك البئر فذهب ماؤها فلا يدرى أين هو إلى اليوم ، وهذا الاستناد غريب ، وهذا الكلام يتضمن

كثراً إن صح عن نائلة ، وعندى أن خلد بن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام ، وإن صح فهو عدو الله ، وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من أنه جل الخليفة أفضل من الرسول الذى أرسله الله ، وكل هذه الأقوال تتضمن كفر نائلة .

وفى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم الترك حتى بلغ باب الأبواب من ناحية أذربيجان ، وفتح حصونا ومدائن كثيرة هناك . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز . قال شيخنا القمي : وفى هذه السنة فتحت صفية وميوزة وقيل ميوزة ، وهما فى البحر بين جزيرة صفية وخسرة من بلاد الأندلس . وفيها سيز موسى بن نصير ولحقه إلى التبريس ملك الفرنج فافتتح بلاداً كثيرة . وفيها توفي من الأعيان عبد الله بن ثعلبة بن صمير أحد التابعين المعزى الشاعر ، وقد قيل إنه أدرك حيلة النبي ﷺ ، ومسح على رأسه ، وكان الإهرى يتم منه النسب . والعمل فى هذه السنة هم المذكورون فى التى قبلها .

(ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة)

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والمسلم بن الوليد بلاد الروم ، فتتعا حصونا وقتلوا خلقاً من الروم وغنوا وأسرا خلقاً كثيراً . وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك . وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن إمرة مصر وولى عليها قرة بن شريك . وفيها قتل محمد بن القاسم ملك السند داهر بن صصة ، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج . وفيها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى وهزم جميع العدو من الترك بها . وجرت بينهم فصول يطول ذكرها ، وقد قصصها ابن جرير . وفيها طلب طرخون ملك الصند بعد فتح بخارى من قتيبة أن يصلحه على مال يئله فى كل عام فأجابه قتيبة إلى ذلك وأخذ منه رهنا عليه . وفيها استعجد وردان خذاه بالترك فأثوه من جميع النواحي - وهو صاحب بخارى بعد اخذ قتيبة لها - وخرج وردان خذاه وحمل على المسلمين فخطبهم ثم عاد المسلمون عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وصالح قتيبة ملك الصند ، وفتح بخارى وحصونها ، ورجع قتيبة بالجند إلى بلاده فأذن له الحجاج ، فلما سار إلى بلاده بلغه أن صاحب الصند قاتل الملوكة الترك : إن العرب بمنزلة الحصص فإن أعطوا شيئاً ذهبوا ، وإن قتيبة هكذا يقصد الملوكة ، فإن أعطوه شيئاً أخذوا ورجع عنهم ، وإن قتيبة ليس بملك ولا يطلب ملكاً . فبلغ قتيبة قوله فرجع إليهم فكانت نيزك ملك للترك ملوك ما وراء النهر منهم ملك الطالقان ، وكان قد صالح قتيبة فقتضى الصلح الذى كان بينه وبين قتيبة ، واستعاش عليه بالملوك كلها ، فأله ملوك كثيرة كانوا قد علموا قتيبة على الصلح فقتضوا كلهم وصاروا يدا واحدة على قتيبة ، وأقدموا إلى الربيع وتماهدوا وتماهدوا على أن يجتمعوا فيقاتلوا كلهم فى فصل الربيع من السنة الآتية ، فقتل منهم قتيبة فى ذلك الحين مقتلة

عظيمة جداً لم يسمح بثلاثها ، و صلب منهم سلاطين في مسافة أربعة فراسخ في نظام واحد ، وذلك عما كسر جموعهم كلمه .

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وأخوه المفضل وعبد الملك من سجن الحجاج ، فلتحقوا بسليمان بن عبد الملك فأنهم من الحجاج ، وذلك أن الحجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة ، وأخذ منهم ستة آلاف ألف ، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب ، كان لا يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا نكابة لذلك ، وكان ذلك ينفذ الحجاج ، قال قائل للحجاج : إن في ساقه أثر نشابة بقي فصلها فيه ، وإنه متى أصابها شيء لا يملك نفسه أن يصرخ ، فأمر الحجاج أن ينال ذلك الموضع منه بمذاب ، فصاح فلما سمعت أخته هتد بنت المهلب - وكانت تحت الحجاج - صوته بكت وولحت عليه فطلقها الحجاج ثم أودعهم السجن ، ثم خرج الحجاج إلى بعض المحال لينفذ جيشا إلى الأكراد واستصحبهم معه ، فخنق حوالمهم واكل بهم الحرس ، فلما كان في بعض الليالي أمر يزيد ابن المهلب بطلم كثير فصنع للحرس ، ثم تكرر في هيئة بعض الطباخين وجعل لحيته بيضاء وخرج فراه بعض الحرس فقال : ما رأيت مشية أشبه بمشية يزيد بن المهلب من هذا ، ثم تبعه يتحققه ، فلما رأى بياض لحيته انصرف عنه ، ثم لحقه أخواه فركبوا السفن وساروا نحو الشام ، فلما بلغ الحجاج هربهم انزعج لذلك وذهب وهمه أنهم ساروا إلى خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يحضره قدامهم ويأمره بالاستعداد لهم ، وأن يرصدهم في كل مكان ، ويكتب إلى أمراء الثنور والكور بتحصيلهم . وكتب إلى أمير المؤمنين يحضره بهربهم ، وأنه لا يرام هربوا إلا إلى خراسان ، وخاف الحجاج من يزيد أن يصنع كما صنع ابن الأشعث من الخروج عليه وجمع الناس له ، وتحقيق عنده قول الراهب . وأما يزيد بن المهلب فإنه سلك على البطائح وجاءته خيول كان قد أعد لها أخوه مروان بن المهلب لهذا اليوم ، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد ، فأخذ بهم على السهولة ، ونجاها الظهير إلى الحجاج بعد يومين أن يزيد قد سلك نحو الشام ، فكتب إلى الوليد يملأه بذلك ، وسار يزيد حتى فزل الأردن على وهيب بن عبد الرحمن الأزدى - وكان كريما على سليمان بن عبد الملك - فسار وهيب إلى سليمان بن عبد الملك فقال له : إن يزيد بن المهلب وأخوه في متزلى ، قد جاؤا مستبشرين بك من الحجاج ، قال : فذهب فأتى بهم فهم آمنون ما دمتم حيا ، فجاهم فنهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأنهم سليمان وكتب إلى أخيه الوليد : إن أكل المهلب قد أنتهم ، وإنما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أؤمنه حتى تبينث به إلى . فكتب إليه : لا والله لا أبنته حتى أجي معه ، فأنتسك الله يا أمير المؤمنين أن تفضحني أو تخفزي في جزاى . فكتب إليه : لا والله لا نجى منه وابتث به إلى في وقتي . فقال يزيد : ابنت

في إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرباً ، فأبشني إليه وأبشني معي ابنك واكتب إليه
 بألفاظ عبارة تقدر عليها فبسته وبش منه ابنه أيوب ، وقال لابنه : إذا دخلت في العنبر فادخل
 مع يزيد في السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فلما رأى الوليد ابن أخيه في السلسلة ، قال : والله لقد
 بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال : يا أمير المؤمنين فبشني فداؤك لا تخف فمة
 أبي وأنت أحق من منعه ، ولا تقطع منارجه من رجا السلامة في جوارنا لمكانتنا منك ، ولا تنزل من
 رجا المز في الاقطاع إلينا لمرنا بك . ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فإذا فيه : أما بعد
 يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجارني عمو قد تابك وجاهدك فأنزله وأجرته أنك
 لا تنزل جوارى ولا تخفزه ، بل لم أجر إلا سامما مطيعاً ، حسن البلاء والأثر في الاسلام هو وأبوه
 وأهل بيته ، وقد بشت به إليك فإن كنت إنما تمد قطيعي وأخار خمتي والابلاغ في مسامتي قد
 قدرت إن أنت فعلت ، وأنا أعينك بالله من احتراق قطيعي واتهاك حرمتي ، وترك برى وإجاني
 إلى ما سألتك ، ووصلني ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى ما جئني وبك ، ولا متى يفرق الموت بيني
 وبينك ، فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتي أجل الوفاة علينا إلا وهولى واضل
 وتلقى مؤد ، وعن مسامتي فآزر فليضل ، ووالله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشئ من أمر الدنيا بعد
 تقوى الله بأسر منى برضاك وسرورك ، وإن رضاك وسرورك أحب إلى من رضائي وسروري ، وبما
 أتمس به رضوان الله عز وجل لصلاتي ما بيني وبينك ، وإن كنت يا أمير المؤمنين يوماً من الدهر تريد
 صلتى وكرامتي وإعظام حتى فتجاوزني عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على .

فلما قرأ الوليد كتابه قال : لقد أشقنا على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه فأدله منه ، وتكلم يزيد بن
 المهلب بحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ،
 فمن يفس ذلك فلسنا ننساه ، ومن يكفره فلسنا بكفاريه ، وقد كان من بلاننا أهل البيت في
 طاعتكم والظمن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشرق والمغرب ، ما أن المنة فيه علينا
 عظيمة . فقال له : اجلس فجلس قائمه وكف عنه وردّه إلى سليمان ، فكان عنده حسن الهيئة ويوصف
 له ألوان الأطعمة الشبهة ، وكان حظاً عنده لا يهدى إليه بهدية إلا أرسل له بنصفها ، وهرب يزيد
 ابن المهلب إلى سليمان بأواع الهدايا والتحف والتقدم ، وكتب الوليد إلى الحاجب إلى أن أصل إلى
 يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخى سليمان ، فأكف عنهم والله عن الكتاب إلى فيهم . فكف
 الحاجب عن آكل المهلب وترك ما كان يطالبهم به من الأموال ، حتى ترك لأبي عيينة بن المهلب ألف
 ألف درهم ، ولم يزل يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحاجب في سنة خمس
 وتسعين ، ثم ولي يزيد بلاد العراق بعد الحاجب كما أخبره الراهب . وفيها توفي من الأعيان :

﴿ يتأذوق الطيب ﴾

الحافظ ، له مصنفات في فقهه وكان خطيباً عند الحجاج ، مات في حدود سنة تسعين بواسط . وفيها توفي ﴿ عبد الرحمن بن المسور بن غمرة ﴾ وأبو العالمة الرياحي وسنان بن سلة بن الحبحق أحد الشجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وتولى غزو الهند ، وطال عمره . وتوفي في هذه السنة محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج ، وكان أميراً على اليمن ، وكان يلعب علياً على المنابر ، قيل إنه أمر حجر المتفري أن يلعب علياً فقال : بل لمن الله من يلعب علياً ، ولعن الله الله على من لعنه الله . وقيل إنه وري في لثته فله أعلم .

﴿ خالد بن يزيد بن معاوية ﴾

أبو هاشم الأموي القمشي ، وكانت داره بمشقي تلي دار الحجارة ، وكان علماً شاعراً ، وينسب إليه شيء من علم الكيمياء ، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة ، روى عن أبيه ودحية الكلبي وعنه الزهري وغيره ، قال الزهري : كان خالد يصوم الأعياد كلها الجمعة والسبت والأحد - يعني يوم الجمعة وهو عيد المسلمين ، ويوم السبت وهو عيد اليهود ، والأحد للنصارى - وقال أبو زرعة القمشي : كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم ، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان ولي الهند من بعد مروان فلم يلتزم له الأمر ، وكان مروان زوج أمه ، ومن كلامه : أقرب شيء الأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل ، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال :

سألت النداء والجود حران أنما * فردا وقالا إتنا لمبيد

فقلت ومن مولا كما قطلولا * على وقالا خالد بن يزيد

[قال : فأمر له بمائة ألف . قلت : وقد رأيتهما قد أنشدا في خالد بن الوليد رضي الله عنه . قال : وقالا خالد بن وليد . والله أعلم . وخالد بن يزيد هذا كان أميراً على حمص ، وهو الذي بنى جامع حمص وكان له فيه أربعمائة عبد يعملون ، فلما فرغ منه أعتقهم . وكان خالد يبغض الحجاج ، وهو الذي أشار على عبد الملك لما تزوج الحجاج بنت جعفر أن يرسل إليه فيطلقها ففعل . ولما مات مشي الوليد في جنازته وصلى عليه ، وكان قد تجدد على خالد اصفرار وضمف ، فسأله عبد الملك عن هذا فلم يجبه . فما زال حتى أخبره أنه من حب رمة أخت مصعب بن الزبير ، فأرسل عبد الملك بخطبها لخالد فقالت : حتى يطلق نسائه فطلقهن وتزوجها وأنشد فيها الشعر ^(١)]

وكانت وفاته في هذا العام ، وقيل في سنة أربع وثمانين وقد ذكر هناك ، والصحيح الأول .

﴿ عبد الله بن الزبير ﴾

ابن سليم الأسدي الشاعر أبو كثير ، ويقال أبو سعيد ، وهو مشهور ، وقد على عبد الله بن

الزبير فامتدحه فلم يسطه شيئاً فقال : لمن الله نعمة حملتني إليك ، قال ابن الزبير : إن وصاحبها ،
يقال إنه مات في زمن الحجاج .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد المزي بن الوليد ، وفيها غزا مسلمة بلاد
الترك حتى بلغ البلب من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن وحصونا كثيرة أيضاً ، وكان الوليد قد
عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاهما أخاه مسلمة بن عبد الملك . وفيها غزا
موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدنا كثيرة ودخل في تلك البلاد وولج فيها حتى دخل أراضي
غابرة فاصية فيها آثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد
ما يلوح على سبيلها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارة سائفة ، فبادوا جميعاً فلا مخبر بها .
وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد قضا ما كانوا عليه عليه عليه من المصالحة ،
وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد ، وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتعدوا في العام الماضي في
أول الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم ،
فاجتمعوا اجتماعاً هائلاً لم يجتمعوا مثله في موقف ، فكسروهم قتيبة وقتل منهم أمماً كثيرة ، ورد الأمور
إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض المواضع من جلة من أخذه منهم سباعين طولهما
أربعة فراسخ من هنا وهناك ، عن يمينه وشماله ، صلب الرجل منهم بمجنج الرجل ، وهذا شيء كثير ،
وقتل في الكفار قتلًا فريماً ، ثم لا يزال يقتبع نيزك خان ملك الترك الأعظم من إقليم إلى إقليم ،
ومن كورة إلى كورة ، ومن رستاق إلى رستاق ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبه حتى حصره في قلعة هناك
شهرين متتابعين ، حتى نفذ ما عند نيزك خان من الأطعمة ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك ،
فبعث إليه قتيبة من جاء به مستأمناً منموماً مخولاً ، فسمعه عنده ثم كتب إلى الحجاج في أمره فجاء
الكتاب بعد أربعين يوماً بقتله ، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختلوا عليه ، فقال يقول :
أقتله . وقال يقول لا تقتله قال له بعض الأمراء : إنك أعطيت الله عهداً أنك إن ظفرت به لتقتله ،
وقد أمكنك الله منه ، فقال قتيبة : والله إن لم يبق من عمري إلا ما يسع ثلاث كلات لقتله ، ثم قال :
اقتلوه اقتلوه اقتلوه ، فقتل هو وسبعمائة من أصحابه من أمرائه في غداة واحدة ، وأخذ قتيبة من أموالهم
وخيولهم وثيابهم وأبنائهم ونسأهم شيئاً كثيراً ، وفتح في هذا العام مدناً كثيرة ، وقرر بممالك كثيرة ،
وأخذ حصونا كثيرة مشحونة بالأموال والنساء ، ومن آنية الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، ثم سار قتيبة
إلى الطالقان - وهي مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخضعها واستعمل عليها ، ثم سار إلى الفاراب
وبها مدن ورستاق ، فخرج إليه ملىكها سلماً مطيعاً ، فاستعمل عليها رجلاً من أصحابه ، ثم سار إلى

الجوزجان فأخضعها من ملكها وأستعمل عليها ، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها نهراً واحداً ، ثم خرج منها وقصد نيزك خان بيفلان ، وقد نزل نيزك خان ممسكاً على قم الشعب التي منه يدخل إلى بلاده ، وفي قم الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسية ، لملوها وارتفاعها واتساعها . قدم على قتيبة الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان ، فاستأمنه على أن يملكه على مدخل القلعة ، فأمنه وبث معه رجلاً إلى القلعة فأتوها ليلاً ففتحوها وقتلوا خلقاً من أهلها وهرب الباقى ، ودخل قتيبة الشعب وأتى سمنجان - وهى مدينة كبيرة - فأقام بها وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك المدن والبلاد نيزك خان فى جيش هائل ، فسار خلفه إلى بفلان فحصره بها ، وأقام يحصاره شهرين حتى نفذ ما عنده من الأقوات ، فأرسل قتيبة من عنده ترجاتاً يسمى الناصح ، فقال له : اذهب فائتني بنيزك خان ولئن عدت إلى وليس هو مملك ضريت عنك . وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فاخرة ، فسار الترجان إلى نيزك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكأوا قد أجهدم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان وحلف له ، فقدم به على قتيبة ومعه سبعمائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة . وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمّنهم وولى على بلادهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الواقدي وغيره : وحج بالناس فى هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما قرب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم ، ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوى ، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرج ، وإنما عليه ثياب لانسوى خمسة دراهم ، فقالوا له : تنح عن المسجد أيها الشيخ ، فان أمير المؤمنين قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه يصلى ههنا وههنا ويدعو الله عز وجل ، قال عمر بن عبد العزيز : وجلت أعتل به عن موضع سعيد خشية أن يراه ، فحانت منه التفاتة فقال : من هذا هو سعيد بن المسيب ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك . فقال : قد علمت بنضه لنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه وإنه ، وشرعت أنأتى عليه ، وشرع الوليد يقف عليه بالعلم والدين ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعتبره - قال : نحن أحق بالسعى إليه ، فجاء فوق عليه فلم عليه فلم يقم له سعيد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده ، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : هذا قتيبة الناس . فقال : أجل يا أمير المؤمنين . قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله ﷺ فجلس فى الخطبة الأولى وأتتصب فى الثانية ، قال وقال : هكنا خطب جهنم ، ثم انصرف فصرف على الناس من أهل المدينة ذهباً كثيراً وقبضة كثيرة ، ثم كسا المسجد النبوى كسوة من كسوة الكعبة التى فيها ، وهو من ديباج غليظ .

وتوفي في هذه السنة السائب بن يزيد بن سعد بن عامر ، وقد حج به أبوه مع رسول الله ﷺ
وكان عمر السائب سبع سنين ، رواه البخارى فلهذا قال الواقدي : إنه ولد سنة سنة ثلاث من
الهجرة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست وقيل ثمان وثمانين ، والله أعلم .

(سهل بن سعد الساعدي)

صحابي مدني جليل ، توفي رسول الله ﷺ وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه
الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ، لينظم كيلا يسمع الناس من رأيهم ،
قال الواقدي : توفي سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة .
قال محمد بن سعد : ليس في هذا خلاف ، وقد قال البخارى وغيره : توفي سنة ثمان وثمانين لله أعلم .

(ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين)

فيها غزا مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحوا حصونا كثيرة وغنما شيئا كثيرا
وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم ، وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير [بلاد الأندلس
في اثني عشر ألفا ، ففرج إليه ملكها أذريقون في جعالة وعليه تاجه ومعه سرير ملكه ، فقاتله طارق
فهزمه وغنم مائتي مسكوكه ، فكان من جملة ذلك السرير ، وتملك بلاد الأندلس بكاملها ، قال الذهبي :
كان طارق بن زياد أمير طنجة وهي أقصى بلاد المغرب ، وكان ثاقبا لمولاه موسى بن نصير ^(١) ،
فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء يستنجد به على عدوه ، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس
من زقاق سبتة واتهم الفرصة لكون الفرنج قد اقتتلوا فيها بينهم ، وأمعن طارق في بلاد الأندلس
فافتتح قرطبة وقتل ملكها ادرينوق ، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح ، فحشد موسى على الأفراد
ينها للفتح ، وكتب إلى الوليد يشره بالفتح وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه
دخل بنير أمره ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، ثم سار إليه مسرعاً بجيوشه فدخل
الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، فأقام سنين يفتح في بلاد الأندلس ويأخذ المدن
والأموال ، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال ، فغنم شيئا لا يحصى ولا يوصف ولا يعد ، من
الجواهر والياقوت والذهب والفضة ، ومن آنية الذهب والفضة والأثاث والخيول والبغال وغير ذلك
شيئا كثيرا ، وفتح من الأقاليم الكبار والمدن شيئا كثيرا . وكان مما فتح مسلمة وابن أخيه عمر بن
الوليد من حصون بلاد الروم حصن سوسة وبلغا إلى خليج القسطنطينية .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ، وامتنع عليه أهل فريب فأحرقها ، وجيز أخاه
عبد الرحمن إلى الصفد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد ، فصالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون خان

أموالا كثيرة ، وقسم على أخيه وهو ببخارى فرجع إلى مرو ، ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورحل عنه اجتمعت الصفد وقالوا لطرخون : إنك قد بؤت بالذل ، وأديت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا بك ، ثم عزلوه وولوا عليهم غورك خان - أخا طرخون خان - ثم إنهم عصوا ونقضوا العهد ، وكان من أمرهم ما سيأتي .

وفى غزا قتيبة سمجستان يريد رقبيل ملك الترك الأعظم ، فلما انتهى إلى أول مملكة رقبيل تلقته رسله يريدون منه الصلح على أموال عظيمة ، خيول ووقيق ونساء من بنات الملوك ، يحمل ذلك إليه ، فصالحه . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز نائب المدينة . وتوفى فيها من الأعيان (مالك بن أوس) بن الحذعان النضرى ، أبو سعيد المدني ، غنخل في محبته ، قال بعضهم : ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر ، وقال محمد بن سعد : رأى رسول الله ﷺ ولم يحفظ منه شيئا ، وأنكر ذلك ابن ميين والبخارى وأبو حاتم ، وقالوا : لا تصح له محبة والله أعلم . مات في هذه السنة وقيل في التي قبلها والله أعلم . ﴿ طويس المني ﴾

اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدني مولى بني غزوم ، كان بارعا في صناعته ، وكان طويلا مضطربا أحول العين ، وكان مشتوما ، لأنه ولد يوم مات رسول الله ﷺ ، وفطم يوم توفى الصديق ، واحتلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن علي ، وقيل ولد له يوم قتل علي . حكاه ابن خلكان وغيره . وكانت وفاته في هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويد - وهي على مرحلتين من المدينة - ﴿ الأخطل ﴾ كان شاعرا مطبقا ، فلق أقرانه في الشعر .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ﴾

وفى افتتح مسلمة بن عبد الملك حصونا كثيرة من بلاد الروم ، منها حصن الحديد وغزاة وماسة وغير ذلك . وفى غزا العباس بن الوليد فتح سمسطية . وفى غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ حنجرة . وفى كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعو إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مدائن ، وأن ينفذ إليه أموالا وريقا كثيرا على أن يقاتل أخاه ويسله إليه ، فانه قد أفسد في الأرض وبني على الناس وعسفهم ، وكان أخوه هذا لا يسمع بشئ حسن عند أحد إلا بث إليه فأخذه منه ، سواء كان مالا أو نساء أو صبيانا أو دواب أو غيره ، فأقبل قتيبة نصره الله في الجيوش فلم إليه خوارزم شاه ماصالحه عليه ، وبث قتيبة إلى بلاد أخى خوارزم شاه جيشا قتلوا منهم خلقا كثيرا وأسرُوا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم ، ففزع أخاه إليه ، وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته ، قيل ألفا بين يديه وألفا عن يمينه وألفا عن شماله وألفا من وراء ظهره ، ليرهب بذلك الأعداء من الأتراك وغيرهم .

﴿ فتح سمرقند ﴾

وذلك أن قتيبة لما فرغ من هنا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء : إن أهل الصغد قد أمثوك طمك هذا ، فان رأيت أن تسلم إليهم وهم لا يشرون ، فانك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريد بها يوماً من الدهر . فقال قتيبة لتلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا ! قال فلأن يسمه منك أحد أضرب عنقك . ثم بحث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسبقه إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بدوهم إليهم انتخبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمرهم أن يسيروا إلى قتيبة في الليل فيكبسوا جيش المسلمين ، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرد أخاه صالحاً في سبائة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خذوا عليهم الطريق ، فساروا فوقوا لهم في أثناء الطريق وعزقوا ثلاث فرق ، فلما اجتازوا بهم بالليل - وهم لا يشرون بهم - نادوا عليهم فاقنتل المسلمون هم وإياهم ، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا نفر اليسير واحتزوا رموسهم وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المحلاة بالذهب ، والأمتة ، وقال لهم بعض أولئك : تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هنا إلا ابن ملك أو بطل من الأبطال المدعويين بمائة فارس أو بألف فارس ، فتعلمهم قتيبة جميع ماغنموه منهم من ذهب وسلاح ، واقرب من المدينة المظلى التي بالصغد - وهي سمرقند - فصب عليها الجانيق فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقطع عنهم ، وتناحى من معه عليها من بخارى وخوارزم ، فقاتلوا أهل الصغد قتلاً شديداً ، فأرسل إليه غورك ملك الصغد : إنما تقاتلني بخاراني وأهل بيتي ، فأخرج إلى في العرب . فغضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من المعجم وأمر المعجم باعتزالهم ، وقدم للشجبان من العرب وأعطاهم جيد السلاح ، وانتزعه من أيدي الجنباء ، وزحف بالأبطال على المدينة ورمها بالجانيق ، فقلع فيها ثلثة فسدها الترك بفرار الدخن ، وقام رجل منهم فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من فناه . فلم يلبث أن مات قتيبة الله ، فأعطى قتيبة الذي رماه عشرة آلاف ، ثم دخل الليل ، فلما أصبحوا رماهم بالجانيق فقلع أيضاً ثلثة وصعد المسلمون فوقها ، وترامواهم وأهل البلد بالنشاب ، قتالت الترك لقتيبة : ارجع عنا يملك هذا ونحن نصلحك غدا ، فرجع عنهم وصلحوه من الند على ألفي ألف ومائة ألف يحلبونها إليه في كل عام ، وعلى أن يعطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ، ليس فيهم صغير ولا شيخ ولا عيب ، وفي رواية مائة ألف من رقيق ، وعلى أن يأخذ حلية الأصنام ومافي بيوت التيران ، وعلى أن يخلوا المدينة من القافة حتى يبقى فيها قتيبة مسجداً ، ويوضع له فيه منبر يخطب عليه ، ويتنشد ويخرج . فأجابوه إلى ذلك ، فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال - وذلك بعد أن بنى المسجد

ووضع فيه النبر - فصلى في المسجد وخطب وتصدى وأتى بالأصنام التي لهم فلبت بين يديه ، وألقيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالقصر العظيم ، ثم أمر بتعريقها ، فتصارعوا وثبأوا وقال المجوس : إن فيها أصناماً قديمة من أحرقها هلك ، وجاء الملك غورك قتيبي عن ذلك ، وقال لقتيبة : إني لك ناصح ، قام قتيبة وأخذ في يده شعلة نار وقال : أنا أحرقها بيدى فكيذوبى جميعاً ثم لا تنتظرون ، ثم قام إليها وهو يكبر الله عز وجل ، وألقى فيها النار فاحترقت ، فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسون ألف مثقال من ذهب . وكان من جملة ما أصلب قتيبة في السبي جارية من ولد يزدجرد ، فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ، ثم استدعى قتيبة بأهل ممرقند فقال لهم : إني لا أريد منكم أكثر مما صلحتكم عليه ، ولكن لابد من جند يقيمون عندكم من جهتنا . فانتقل عنها ملكها غورك خان قتلا قتيبة (وأنه أهلك عاداً الأولى ونمود فدا أبقى) الا يكات ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد مرو ، واستخلف على ممرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدع مشركاً يدخل بلب ممرقند إلا عتوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تحب طينة ختمه ، فان جفت وهو بها فاقطله ، ومن رأيت منهم ومعه حديثة أو سكينه فاقطله بها ، وإذا أغلقت الباب فوجئت بها أحداً فاقطله ، فقال في ذلك كعب الأشقرى - ويقال هي لرجل من جعفي :-

كل يوم يحوى قتيبة نهبا • ويزيد الأموال مالا جديدا
بأهل قد ألبس التاج حتى • شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصند بالكتائب حتى • ترك الصند بالمراء قودا
فوليد يبكي لقد آبيه • وأب مومج يبكي الوليدا
كلما حل ببلدة أو أكلها • تركت خيله بها أخودا

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقال عن الأندلس ، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مائة سليمان بن داود عليهما السلام ، وفيها من الذهب والجواهر شيء كثير جداً ، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فما وصلت إليه حتى مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، فوصلت مائة سليمان عليه السلام إلى سليمان على ماسياتي بيانه في موضعه ، وكان فيها ما يبهير العقول ، لم ير منظر أحسن منها . واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير . وفيها بعث موسى بن نصير للسائر وبثها في بلاد المغرب ، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطنجة ، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة بلجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبيرة والأقاليم ، ومن القرى والرساتيق شيء كثير ، وكان لا يأتي مدينة فيبرح عنها حتى يقتنها أو ينزلوا على حكمه ، وجيز البعوث والمرايا غرباً

وشرقا وشمالا ، فجلسوا يستنحون المغرب بلاداً ببلاد ، وإقليبا وإقليبا ، ويستمنون الأموال ويمسبون القدرى والنساء ، ورجع موسى بن نصير بفنائم وأموال ونحف لأخصى ولا تعد كثرة .
وفيها قسط أهل إفريقية وأجدوا جديداً شديداً ، فخرج بهم موسى بن نصير يستلحق بهم ، فما زال يدعو حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل عن المنبر قيل له : ألا تدعو لأمر المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الموضع موضع ذلك ، فلما قال هذه المقالة أرسل الله عليهم الغيث فأمطروا مطراً غزيراً وحسن حالمهم ، وأخصبت بلادهم . وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً بأمر الوليد له في ذلك ، وصب فوق رأسه قرصة من ماء بارد في يوم شتاء بارد ، وأقامه على باب المسجد يوم ذلك فات رحمه الله . وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن ، وكان إذا بشر بشئ من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم يصيح صياح المرأة الثكلى ، وكان إذا أتى عليه يقول : خبيب وما خبيب إن نجوت منه فأنا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيباً فأت طستقال وركبه الحزن والخوف من حيثئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك حقوة منه ورلة ، ولكن حصل له بسببها خير كثير ، من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر وعق وغير ذلك .

وفيها افتتح محمد بن القاسم - وهو ابن عم الحجاج بن يوسف - مدينة الديبل وغيرها من بلاد الهند وكان قد ولاء الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة ، فسار في الجيوش فلقوا الملك داهر - وهو ملك الهند - في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلاً منتخبة ، فاقتلوا فيهمهم الله وهرب الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً فاقتلوا قتلاً شديداً فقتل الملك داهر وغالب من معه ، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه . ثم سار محمد بن القاسم فافتتح مدينة الكبرج وبرها ورجع بفنائم كثيرة وأموال لأخصى كثرة ، من الجواهر والذهب وغير ذلك فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك ، قد علت كلمة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله ، وامتلات قلوب المشركين من المسلمين رعباً ، لا يترجى المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخنوه ، وكان في عساكرهم وجيوشهم في النزول والصلحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين ، في كل جيش منهم شرفة عظيمة ينصر الله بهم دينه . فقتنية ابن مسلم يفتح في بلاد الترك ، يقتل ويسبي ويفتنم حتى وصل إلى نخوم الصين ، وأرسل إلى ملكه يدعو ، يخاف منه وأرسل له هدايا وتمنا وأموالاً كثيرة هدية ، وبث يستطعمه مع قوته وكثرة جنده ، بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها قودى إليه الخراج خوفاً منه . ولوطاش الحجاج لما أقبل من بلاد

الصين ، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها ، فلما مات الحجاج رجع الجيش كما مر . ثم إن قتيبة قتل بعد ذلك ، قتل بعض المسلمين . وسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يتحون في بلاد الروم ويجهدون بساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وبنى بها مسلة جامعا يبيد الله فيه ، وامتلائت قلوب الفرنج منهم رعبا . ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم . وموسى بن نصير يجاهد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم . وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الاسلام وتركوا عبادة الأوثان . وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مياثنها ، بعد هذه الاقاليم الكبار ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن وأوائل بلاد الترك ، ودخلوا إلى ماوراء النهر وأوائل بلاد المغرب ، وأوائل بلاد الهند . فكان سوق الجهاد قائما في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية وفي أثناء خلافة بني العباس مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشد وأولاده ، في بلاد الروم والترك والهند . وقد فتح محمود سبكتكين وولده في أيام ملكهم بلادا كثيرة من بلاد الهند ، ولما دخل طائفة من هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتملكوها أنظمو سوق الجهاد في الفرنج بها . ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع رجع المسلمون إليها فأخذ منها بلادا كثيرة ، وضمف الاسلام فيها ، ثم لما استولت دولة الفاطميين على الديار المصرية والشامية ، وضمف الاسلام وقلل قاصروه ، وجاء الفرنج فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية ، فأقام الله سبحانه بني أيوب مع نور الدين ، فاستلبوهما من أيديهم وطردوهم عنه ، فله الحمد والمنة ، وسيأتي ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى [(١)]

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمرة المدينة ، وكان سبب ذلك ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيق وضيق مع الحجاج من ظله وغشمه ، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد : إن عمر ضعيف عن إمرة المدينة ومكة ، وهذا ومن وضمف في الولاية ، فاجعل على الحرمين من يضبط أمرهما . فولى على المدينة عثمان بن حيان ، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري ، وفصل ما أمره به الحجاج . فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فترزل السويداء ، وقدم عثمان بن حيان المدينة ليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

﴿ أنس بن مالك ﴾

ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جنب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، أبو حمزة

وقال أبو ثعلبة الأنصاري النجار ، خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ، وأمه أم حرام مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري . روى عن رسول الله ﷺ أحاديث جمّة ، وأخبر بعلوم مهمة . وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وغيرهم . وحدث عنه خلق من التابعين ، قال أنس : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثعلبة قال قيل لأنس : أشبهت بديراً ؟ قال : وأين أغيب عن بديراً أم لك ؟ قال الأنصاري : شهدتها يخدّم رسول الله ﷺ . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني : لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي ، قلت : الظاهر أنه إنما شهد ما بعد ذلك من المغازي والله أعلم .

وقد ثبت أن أمه أمت به . وفي رواية عمه زوج أمه أبو طلحة - إلى رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله هذا أنس خادم لييب يخدّمك ، فوهبه منه قبله ، وسألته أن يدعو له قال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . وثبت عنه أنه قال : كنّاني رسول الله ﷺ بنخلة كنت أجنتها . وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك ، وقد انتقل بعد النبي ﷺ فسكن البصرة ، وكان له بها أربع دور ، وقد تله أذى من جهة الحجاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ، توم الحجاج منه أنه له مداخل في الأمر ، وأنه أتى فيه ، فغضب الحجاج في عنقه ، هذا عنق الحجاج ، وقد شكاه أنس كما قمنا إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يعنه ، ففرغ الحجاج من ذلك وصالح أنسا . وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قبل في سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبيّ جلع دمشق ، قال مكحول : رأيت أنسا يمشي في مسجد دمشق فمّيت إليه فسألته عن الوضوء من الجنابة فقال : لا وضوء . وقال الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر قال : قدم أنس على الوليد فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنتم والساعة كهاتين » . ورواه عبد الرزاق بن عمر عن إسماعيل قال : قدم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين فذكره . وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبيك قلت : ما يبيك ؟ قال : لا أعرف مما كان رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صنعت فيها ما صنعت . وفي رواية وهذه الصلاة قد ضيعت - يعني ما كان يضله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع - كانوا واضطربوا على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته كما سيأتي ، وقال عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : جاءت بي أمي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام فقالت : يا رسول الله خويلدك أنيس فادع الله له . قال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال : قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ، وفي

رواية قال أنس : فوالله إن مالي لكثير حتى نخلى وكرمى ليشر في السنة مرتين ، وإن ولدي وولدي ولدي ليمتدّون على نحو المائة ، وفي رواية وإن ولدي لصلبي مائة وستة . ولهذا الحديث طرق كثيرة والفاظ منتشرة جداً ، وفي رواية قال أنس : وأخبرتني بقى آمنة أنه دفن لصلبي إلى حين مقدم الحجاج عشرون ومائة . وقد قصي ذلك بطرقة وأسانيده وأورد ألقاضه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أنس ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في كتاب دلائل النبوة في أواخر السيرة والله الحمد . وقال ثابت لأنس : هل ستت يدك كرسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ! قال فأعطينها أقبليها ، وقال محمد ابن سعد عن مسلم بن إبراهيم عن المثني بن سعيد القدرع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي رسول الله ﷺ ثم يبكي . وقال محمد بن سعد عن أبي نعيم عن يونس ابن أبي إسحاق عن المنهال بن عمرو . قال : كان أنس صاحب نعل رسول الله ﷺ وإداوته ، وقال أبو داود : ثنا الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس . قال : إني لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ فأقول : يا رسول الله خويلدك .

وقال الامام أحمد : حدثنا يونس ثنا حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أنس . قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشع لي يوم القيامة : « قال أنا فاعل ، قلت فأين أطلبك يوم القيامة يا بني الله ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط ، قلت : فإذا لم ألقك ؟ قال : فأنا عند الميزان ، قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال فأنا عند الخوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة » . ورواه الترمذي وغيره من حديث حرب بن ميمون أبي الخطاب صاحب الأعشى الأنصاري به وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال شعبة عن ثابت قال قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم - يعني أنس بن مالك - وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر . وقال أنس : خذ مني فأنا أخذت من رسول الله ﷺ عن الله عز وجل ، ولست تجد أوثق مني . وقال معتمر بن سليمان عن أبيه سمعت أنساً يقول : ما بقي أحد صلي إلى القبلتين غيري . وقال محمد بن سعد : حدثنا عفان حدثني شيخ لنا يكنى أبا جناب سمعت الحر بن زبير يقول : أحرم أنس من ذات عرق فاحمناه متكلاً إلا بذكر الله عز وجل حتى أحل ، قال لي : يا ابن أخي هكذا الأحرام . وقال صلح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن في بعض آيات أزواج النبي ﷺ تتحدث قال : مه ، فلا أقيمت الصلاة قال : إني لأخاف أن أكون قد أبطلت جمعي بقولي لكم مه . وقال ابن أبي الدنيا : ثنا بشار ابن موسى الخفاف ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال : كنت مع أنس فقامت قهرمانة فقالت يا أبا حزة عطشت أرضنا ، قال فقام أنس فوضاً وخرج إلى البيرة فصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب

يلتم ثم أمطرت حتى خيل إلينا أنها ملأت كل شيء ، فلما سكن المطر بث أنس بمض أهله فقال :
انظروا أين بلغت السماء ، فنظر فلم تعد أرضه إلا بسيراً .

وقال الامام أحمد : حدثنا معاذ بن معاذ ثنا ابن عوف عن محمد قال : كان أنس إذا حدث عن
رسول الله ﷺ حديثاً فصرغ منه قال : أو كما قال رسول الله ﷺ . وقال الأنصاري عن ابن عوف
عن محمد قال : بث أمير من الأمراء إلى أنس شيئاً من النبي فقال أخس ؟ قال : لا ، فلم يقبله . وقال
التنضري بن شداد عن أبيه : مرض أنس فقيل له ألا ندعوك الطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني .
وقال حنبل بن إسحاق : ثنا أبو عبد الله الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن يزيد قال : كنت
في التصريح بالحجاج وهو يمرض الناس ليالي ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك فقال للحجاج : هي
يا خبيث ، جوال في القتن ، مرة مع علي ، ومرة مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذي
فرض الحجاج بيده لا متاصلنك كما تستاصل الصمعة ، ولأجركك كما تجردك الضب . قال يقول أنس :
إيما يعني الأمير ؟ قال إليك أعني ، أصم الله سمعك ، قال . فاسترجع أنس ، وشغل الحجاج نفراج
أنس فتبعناه إلى الرحبة ، قال : لولا أني ذكرت ولدي - وفي رواية لولا أني ذكرت أولادي
الصغار - ونخته عليهم ما باليت أي قتل أقتل ، ولكلمته بكلام في مقامي هنا لا يستخني بيده
أبداً . وقد ذكر أبو بكر بن عيش أن أنسا بث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول : والله
لو أن اليهود والنصارى رأوا من خدم نبيهم لا كرموه ، وأنشد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين .
فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً فيه كلام جد وفيه : إذا جاءك كتابي هذا فقم إلى أبي حمزة
فترضأه وقبل يده ورجله ، وإلا حل بك مني ما تستحقه . فلما جاء كتب عبد الملك إلى الحجاج
بالنظرة والثمة ، ثم أن ينهض إليه فأشار عليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، الذي قسم
بالكتاب أن لا يذهب إلى أنس ، وأشار على أنس أن يبادر إلى الحجاج بالمصالحة - وكان إسماعيل
صديق الحجاج - فجاء أنس فقام إليه الحجاج يتلقاه ، وقال : إنما مثلي ومثلك إليك أعني وإسمي
يلجأ . أردت أن لا يبق لأحد على منطلق .

وقال ابن قتيبة : كتب عبد الملك إلى الحجاج - لما قال لأنس ما قال - يا ابن المستقرة محب
الزبيب لقد هممت أن أركلك دكة تهوى بها إلى نار جهنم ، فأنك الله أخفش العينين ، أفتل
الرجلين ، أسود العاجزين - ومعنى قوله المستقرة محب الزبيب - أي تضيق فرجها عند الجماع به ،
ومعنى أركلك أي أرفك رجلي ، وسيأتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة خمس وتسعين . وقال
أحمد بن صالح العجلي : لم يبتل أحد من الصحابة إلا لرجلين ، ميثيب كان به الجذام ، وأنس بن
مالك كان به وضح . وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال :

رأيت أنسا يأكل فرايته يلتمس لهما عظماً ، ورأيت به وضحا شديداً . وقال أبو يعلى : ثنا عبد الله ابن معاذ بن يزيد عن أيوب قال : ضعف أنس عن الصوم فصنع طعاماً ودعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم . وذكره البخارى تليقاً . وقال شعبة عن موسى السبلاوى قلت لأنس : أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : قد بقي قوم من الأعراب ، فأما من أصحابي فأنا آخر من بقي ، وقيل له فى مرضه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ قال : الطيب أمرضى ، وجعل يقول : لَقِّنُونِي لِإِلَهِ إِلَهِ اللَّهِ وَهُوَ محتضر ، فلم يزل يقولها حتى قبض . وكانت عنده عصية من رسول الله ﷺ فأمر بها فدفنت معه . قال عمر بن شبة وغير واحد : مات وله مائة وسبع سنين ، وقال الامام أحمد فى مسنده : ثنا معتمر بن سليمان عن حيد أن أنسا عمر مائة سنة غير سنة ، قال الواقدي : وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، وكذا قال على بن المدينى والفلاس وغير واحد . وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فقيل سنة تسعين ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل ثلثين وتسعين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور والله أعلم . وقال الامام أحمد : حدثني أبو نعيم قال : توفى أنس بن مالك وجابر بن زيد فى جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين . وقال قتادة : لما مات أنس قال مؤرق العجلي : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له وكيف ذاك يا أبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا فى الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا لهم : تمالوا إلى من سمع منه .

﴿ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ﴾

ابن النخيلة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الشاعر المشهور ، يقال إنه ولد يوم توفى عمر بن الخطاب ، وختن يوم مقتل عثمان ، وتزوج يوم مقتل على ، فله أعلم ، وكان مشهوراً بالنزول الملبح البليغ ، كان ينزل فى امرأة يقال لها الثريا بنت على بن عبد الله الأموية ، وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، فقال فى ذلك عمر بن أبي ربيعة : —

أيها المنكح الثريا سهيلاً • عرك الله كيف يلتقيان

هى شامية إذا ما استقلت • وسهيل إذا استقل يمان

ومن مستجد شره ما أورده ابن كحل كلان :

حى طيفاً من الأحبة زاراً • بعد ما برح الكرى الساراً

طارقاً فى النام بعد حصى • الليل خفياً بأن يزور نهارة

قلت ما بالنا جفينا وكنا • قبل ذاك الأسعج والأبصارا

قال : إنا كاصهت ولكن • شغل الحلى أهله أن يملوا

[بلال بن أبي الرداء]

ولى إمرة دمشق ثم ولى القضاء بها ، ثم عزله عبد الملك بأبي إدريس الخولاني . كان بلال حسن السيرة ، كثير العبادة ، والظاهر أن هذا القبر الذى بباب الصغير الذى يقال له قبر بلال ، إنما هو قبر بلال بن أبي الرداء ، لا قبر بلال بن حملة مؤذن رسول الله ﷺ ، لأن بلالاً المؤذن دفن بدارياً والله أعلم .

﴿ بشر بن سميد ﴾

المزنى السيد العابد الفقيه ، كان من المباد المتقنين ، الزهاد المعروفين ، توفى بالمدينة .

﴿ زرارة بن أوفى ﴾

ابن حاجب العامري ، قاضى البصرة ، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحلتها ، له روايات كثيرة ، قرأ مرة في صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ (فاذا قرأ في التافور) خر ميتاً . توفى بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة .

﴿ خبيب بن عبد الله ﴾

ابن عبد الله بن الزبير ، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له في ذلك قلت ، ثم عزل عمر بدمه بأيام قليلة ، فكان يتأسف على ضربه له ويبكي . مات بالمدينة .

﴿ حصن بن عاصم ﴾

ابن عمر بن الخطاب المدني ، له روايات كثيرة ، وكان من الصالحين . توفى بالمدينة .

﴿ سميد بن عبد الرحمن ﴾

ابن عتاب بن أسيد الأموى ، أحد الأشراف بالبصرة ، كان جواداً ممسحاً ، وهو أحد الموصوفين بالكرم ، قيل إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين ^(١) .

﴿ فروة بن مجاهد ﴾

قيل إنه كان من الأبدال ، أسر مرة وهوى غزوة هو وجماعة معه فأتوا بهم الملك فأمر بتقييدهم وجسمهم في المكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح فيرى فيهم رأيه ، فقال لهم فروة : هل لكم في المضي إلى بلادنا ؟ فقالوا : وما نرى مانحن فيه من الضيق ؟ فلبس قيودهم بيده فزالت عنهم ، ثم أتى باب السجن فلبس بيده فافتتح ، فخرجوا منه ومضوا ، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد .

﴿ أبو الششاء جابر بن زيد ﴾

كان لا يماكس في ثلاث ، في الكرى إلى مكة ، وفي الرقية يشترى بها لتعتق ، وفي الأضحية . وقال : لا تماكس في شئ يتقرب به إلى الله . وقال ابن سيرين : كان أبو الششاء مسلماً عند الدينار والدرهم ، قلت : كما قيل : —

إني رأيت فلا تظنوا غيره • أن التورع عند هذا الدم
فاذا قدرت عليه ثم تركته • فاعلم بأن هناك قوى المسلم

وقال أبو الشعثاء : لأن أنصق بدمي على يقيم ومسكين أحب إلي من حجة بحد حجة الاسلام .
كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم ، وكان يقضي في البصرة ، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله
إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء ؟ وقال له جابر بن عبد الله :
يا ابن زيد إنك من قهاة البصرة وإنك ستستقي فلا تخشع إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فانك
إن فعلت غير ذلك فقد هلكك وأهلكك . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا أعلم بفتيان جابر
ابن زيد . وقال إلياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان . وقال
قتادة لما دفن جابر بن زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض . وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار
قال أبو الشعثاء : كتب الحكم بن أيوب قرأ لقضاء أنا أحدم - أي عمرو - فلو أني ابتليت بشيء
منه لركبت راحتي وهربت من الأرض . وقال أبو الشعثاء : فظرت في أعمال البر فاذا الصلاة فجهد
البدن ولا تجهد المال ، والصيام مثل ذلك ، والحج يجهد المال والبدن ، فرأيت أن الحج أفضل من
ذلك . وأخذ مرة قبضة تراب من حائط ، فلما أصبح رماها في الحائط ، وكان الحائط لقوم قالوا : لو كان
كلاما به أخذ منه قبضة لم يبق منه شيء . وقال أبو الشعثاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد فقف
على الباب وقل : اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجه إليك ، وأقرب من تحب إليك ، وأتبع من
دعك ودرغب إليك . وقال سيار : حدثنا حماد بن زيد ثنا الحجاج بن أبي عيينة . قال : كان جابر
ابن زيد يأتي في مصلافا ، قال : فأما ذات يوم وعليه ثمان خلقتان ، فقال : مضى من عمري ستون
سنة فملاي هاتان أحب إلي مما مضى منه إلا أن يكون خير قسمته . وقال صالح الدهان : كان جابر
ابن زيد إذا وقع في يده ستوق كسره ورمى به ثلاثا يفر به مسلم . الستوق الدم المغاير أو الدغل ،
وقيل : هو المشوش .

وروى الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الصمد العمي حدثنا مالك بن دينار قال : دخل على جابر
ابن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نعم الصنعة
صنعتك ، تتقل كتاب الله ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكله إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به .
وقال مالك بن دينار : سألت عن قوله تعالى (إذاً لا ذنك ضف الحياة وضعف المات) قال :
ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) وقال سفيان : حدثني
أبو عمير الخزاز بن عمير قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ماتتشي وما تريد ؟ قال : نظرة إلى
الحسن . وفي رواية عن ثابت قال : لما حمل على جابر بن زيد قيل له : ماتتشي ؟ قال نظرة إلى

الحسن . قال ثابت : فأنيت الحسن فأخبرته فركب إليه ، فلما دخل عليه قال لأهله : أقصدوني ، فجلس فما زال يقول : أعوذ بالله من النار وسوء الحساب .

وقال حماد بن زيد : حدثنا حجاج بن أبي عينة قال : سمعت هنداً بنت المهلب بن أبي صفرة - وكانت من أحسن النساء - وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : إنه كان ياضياً ، فقالت : كان جابر بن زيد أشد الناس اقطاعاً إليّ وإلى أمي ، فما أعلم عنه شيئاً ، وكان لا يعلم شيئاً يقربني إلى الله عز وجل إلا أمرني به ، ولا شيئاً يباعدني عن الله إلا نهاني عنه ، وما دعاني إلى الأباطنية قط ولا أمرني بها ، وكان ليأمرني أين أضغ الحمار - ووضعت يدها على الجبهة - أسند عن جماعة من الصحابة ، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس ^(١)

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين)

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، فقبل إنه فتح أنطاكية ، وغزا أخوه عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزاه ، وبلغ الوليد بن هشام الميصل أرض برج الحمام ، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض سورية . وفيها كانت الرجعة بالشام ، وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندرة من أرض الروم . وفيها فتح الله على الاسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك ، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه حتى عاد الجهاد شبيهاً بأ أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفى أرض الهند وغنم أموالاً لا تعد ولا تحصى ، وقد ورد في غزو الهند حديث رواه الحافظ ابن عساكر وغيره . وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ خُجَنْدَة ، وكشأن مدينتي فرغانة ، وذلك بعد فراغه من الصغد وفتح سمرقند ، ثم خاض تلك البلاد يفتح فيها حتى وصل إلى كابل فحاصرها وافتتحها ، وقد لقيه المشركون في جموع هائلة من الترك قتلتهم قتيبة عند خجندة فكسروهم مراراً وظفروهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقاً وأسر آخرين ، وغنم أموالاً كثيرة جداً . قال ابن جرير : وقد قال سبحانه وأل يذكركم قتالهم بمجندة التي هي قرية من بلاد الصين ألياً في ذلك :-

فيل الفوارس في خجندة • دنت تحت مرهفة العوالي
هل كنت أجهم إذا • هنوا وأقم في قتالي
أم كنت أضرب حمة لا • ماني وأصبر للترال
هذا وأنت قريع قيق • س كلها ضخم التوال
وفضلت قيساً في الندى • وأبوك في الحبيج الخوالي

(١) سقط من نسخة طوب قيو بالاستانة .

تمت مروءتكم ونا * غي عزكم غلب الجبال

ولقد تبين عدل حككم * قهيم في كل مال

هكذا ذكر ابن جرير هنا من شعر سحبان وائل في هذه الفزوة ، وقد ذكرنا ما أورده ابن الجوزي في منظمه أن سحبان وائل مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد الحسين فآله أعلم .

﴿ مقتل سعيد بن جبير رحمه الله ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير ، وكان سبب ذلك أن الحجاج كان قد جله على فقتل الجند حين بثه مع ابن الأشعث إلى قتال رتبيل ملك الترك ، فلما خلمه ابن الأشعث خلمه معه سعيد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى أصبهان ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها ، ثم كان يعتمر في كل سنة ويحج ، ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله القسري ، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها فقال سعيد : والله لقد استحييت من الله مما أفر ولا مفر من قدره ؟ وتولى على المدينة عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث من بالمدينة من أمهل ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود ، فتعلم منه خالد بن الوليد القسري فبين من عنده من مكة سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وعمر بن دينار ، وطلق ابن حبيب . ويقال إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواما من أهل الشقاق ، فبعث خالد هؤلاء إليه ثم عانع عطاء وعمر بن دينار لأنهما من أهل مكة ، وبعث بأولئك الثلاثة ، فأما طلق فأتى في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سعيد ابن جبير فلما أوقف بين يدي الحجاج قاله : يا سعيد ألم أشركك في أماتي ؟ ألم أستعذك ؟ ألم أقبل ألم أقبل ؟ كل ذلك يقول نعم ، حتى ظن من عنده أنه سيخلى سبيله ، حتى قال له : فاحكك على الخروج على وخلمت بيعة أمير المؤمنين ؟ فقال سعيد : إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك وعزم على ، فغضب عند ذلك الحجاج غضباً شديداً وانتفخ حتى سقط طرف رداءه عن منكبيه ، وقال له : ويحك ألم أقدم مكة قتلتي ابن الزبير وأخنت بيعة أهلها وأخنت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة وألينا على العراق فحدثت لأمر المؤمنين البيعة فأخنت بيعتك له ثانية ؟ قال : بلى ، قال فتنكت بيعتين لأمر المؤمنين وتنفى واحدة للحاكم ابن الحائك ؟ يا حرمي اضرب عنقه . قال : فضربت عنقه فهدر رأسه عليه لائحة صغيرة بيضاء ، وقد ذكر الواقدي نحو هذا ، وقال له : أما أعطيتك مائة ألف ؟ أما ضللت أما ضللت .

قال ابن جرير : فحدثت عن أبي غسان ملاك بن إسماعيل قال : سمعت خلف بن خليفة يذكر

عن رجل قال : لما قتل الحجاج سعيد بن جبير فندر رأسه هلال ثلاثا ، مرة يفضح بها ، وفي الثنتين يقول مثل ذلك لا يفضح بها . وذكر أبو بكر الباهلي قال : سمعت أنس بن أبي شبيب يقول : لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال : لمن ابن النصرانية - يعني خالد القسري وكان هو الذي أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ، بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ما أخرجك علي ؟ فقال : أصالح الله الأمير ، أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيبو أخرى ، فطابت نفس الحجاج وانطلق وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ، ثم عاوده في شيء فقال سعيد : إنما كانت بيعة في عنقي ، فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله . وذكر عتاب ابن بشر عن سالم الافطس قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الزكوب وقد وضع إحدى رجليه في الفرز ، فقال : والله لا أركب حتى تتبؤا مقعدك من النار ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه . قال : والتبس الحجاج في عقله مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه يريد القيود التي على سعيد ، فقطعوا رجليه من أنصاف باقية وأخذوا القيود :

وقال محمد بن أبي حاتم : ثنا عبد الملك بن عبد الله بن خباب ، قال : جئ بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : كتبت إلى مصعب بن الزبير ؟ فقال : بلى كتبت إلى مصعب ، قال : لا والله لا قتلتك قال : إني إذا لسعيد كما سمعتني أمي . قال قتله ، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوما ، وكان إذا نام براه في المنام يأخذ بجماع ثوبه ويقول : يا عدو الله فم قتلتي ؟ فيقول الحجاج : مالي ولسعيد بن جبير ، مالي ولسعيد بن جبير ؟ قال ابن خلكان : كان سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة كوفيا أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللون ، وكان لا يكتب على الفتيان ، فلما عمى ابن عباس كتب ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وذكر مقتله كنحو ما تقدم ، وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل قبل ستة أشهر . وذكر عن الامام أحمد أنه قال : قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال مفتر - إلى علمه . ويقال إن الحجاج لم يسلط بعده على أحد ، وسيأتي في ترجمة الحجاج أيضا شيء من هذا . قال ابن جرير : وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء ، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين بن زين العابدين ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن جبير من أهل مكة ، وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا التكميل ، وسنذكر طرعا صلحا هاهنا إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : واستقضى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام سليمان بن صرد . وجمع بالناس فيها بالبسلى بن الوليد ، ويقال مسلمة بن عبد الملك ، وكان على نيابة مكة خالد القسري ، وعلى

المدينة عثمان بن حيان ، وعلى المشرق بكمله الحجاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من جهة الحجاج زيد بن جبر ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج الجراح بن عبد الله الحكيم ، وعلى قضائها عبد الله بن أذينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان ﴾

سعيد بن جبيرة الأسدي الوالي مولاهم أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله ، الكوفي المكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الاسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، رحمه الله ، وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، وعنه خلق من التابعين ، يقال إنه كان يقرأ القرآن في الصلاة فيما بين المغرب والعشاء ختمه ثمانية ، وكان يقدم في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الختم ، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة . وروى عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفاً في الصلاة في ليلة في الكعبة . وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبيرة وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه . وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما غفر [الحجاج] هرب سعيد إلى أصبهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين ، مرة للعمرة ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدث بها ، وكان يخرسان لا يتحدث لأنه كان لا يسهله أحد عن شيء من العلم هناك ، وكان يقول : إن مما يهني معاندي من العلم ، وددت أن الناس أنخنوه . واستمر في هذا الحال محتفياً من الحجاج قريباً من ثنتي عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج ، وكان من غلظته له ما ذكرناه قريباً .

وقال أبو نعيم في كتابه الحلية : ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا محمد بن أحمد ابن أبي خلف ثنا شعبان عن سالم بن أبي حفصة . قال : لما أتى بسعيد بن جبيرة إلى الحجاج قال له : أنت الشقي بن كسير ؟ قال : لا ! إنما أنا سعيد بن جبيرة ، قال لا تقتلك ، قال : أنا إذا كما مكني أمي سعيداً [قال شقيت وشقيت أمك ، قال : الأمر ليس إليك . ثم قال : اضربوا عنقه ، قال : دعوني أصلي ركعتين ، قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، قال : (أينا تولوا قم وجه الله) قال : إني أستعبد منك بما استعذت به مريم ، قال : وما عذت به ؟ قال : قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) قال سفيان : لم يقتل بسعيد إلا واحداً . وفي رواية أنه قال له : لا بد لك بالديار تظلي ، قال : لو علمت أن ذلك يبعك لانتحذتك إلماً . وفي رواية أنه لما أراد قتله قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، قال : (أينا تولوا قم وجه الله) قال : اجعلوا به الأرض ، قال : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) قال : اذبح فما أنزه لا يأت الله منذ اليوم . قال : اللهم لا تسلط على أحد بمدي . وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً في مقتل سعيد

ابن جبير ، أحسنه هنا والله أعلم ^(١)

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه ، وقد رويت آثار غربية في صفة مقتله ، أكثرها لا يصح ، وقد عوقب الحجاج بعده وعوجل بالموت ، فلم يلبث بعده إلا قليلا ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما سذكر وفاته في السنة الآتية ، قبل إته مكث بعده خمسة عشر يوماً ، وقيل أربعين يوماً ، وقيل ستة أشهر والله أعلم .

واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل ، قيل تسعاً وأربعين سنة ، وقيل سبعاً وخمسين لله أعلم . قال أبو القاسم اللالكائي : كان مقتله في سنة خمس وتسعين ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة - سنة أربع وتسعين - لله أعلم .

[قلت : هل هنا كلمات حسن من كلام سعيد بن جبير أحبت أن أذكرها . قال : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فذلك هي الخشية النافعة . والذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذكر له ، وإن كثرت منه التسيب وتلاوة القرآن . قيل له : من أعبد الناس ؟ قال : رجل اقترب من الذنوب ، فكلمنا ذكر ذنبه احتقر عمله ، وقال له الحجاج : ويحك ! قال : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، قال : اضربوا عنقه ، قال : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أستحفظك بها حتى أفاك يوم القيامة فأتانا خصمك عند الله ، فندع من قناه ، فيبلغ ذلك الحسن قال : اللهم ياظمم الجبارة أقصم الحجاج ، فابقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأتين منه فلت . وقال سعيد للحجاج لما أمر بقتله وضحك فقال له : ما أضحكك ؟ قال : أضحك من غيراتك على وحلم الله عنك ^(٢)]

﴿ سعيد بن المسيب ﴾

ابن حزن بن أبي وهب بن عائد بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدني ، سيد التابعين على الإطلاق ، ولد لسنتين مضتا وقبل بقتلنا من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل لأربع مضين منها ، وقول الحاكم أبي عبد الله إنه أحرك الشجرة وهم منه والله أعلم . ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيراً عن النبي ﷺ ، وروى عن عمر كثيراً ، قبل سمع منه ، وعن عثمان وعلى وسعيد وأبي هريرة ، وكان زوج ابنته ، وأسلم الناس بحديثه ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وحدث عن جماعة من التابعين ، وخلق ممن سوام ، قال ابن عمر : كان سعيد أحد المتقين ، وقال الزهري : جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علما غيره ، وقال محمد بن إسحاق عن مكحول قال : طفت الأرض كلها في طلب العلم . فالتقت أعلم من سعيد بن المسيب . وقال الأوزاعي : سئل الزهري ومكحول من

أخيه من لقيته؟ قال: سعيد بن المسيب. وقال غيره: كان يقال له قتيبة الفقهاء. وقال مالك عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب: كنت أرحل الأيمل واليالي في طلب الحديث الواحد، قال مالك: وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه، وقال الربيع عن الشافعي أنه قال: لإرسال سعيد بن المسيب عندهما حسن. وقال الامام أحمد بن حنبل هي صحاح: قال: وسعيد بن المسيب أفضل التابعين. قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به، وهو عندي أجل التابعين. وقال أحمد بن عبد الله السجلى: كان سعيد رجلاً صالحاً قتيماً، كان لا يأخذ العطاء، وكانت له بضاعة أربعائة دينار، وكان يتجر في الزيت، وكان أعور. وقال أبو زرعة: كان مديناً همة إماماً. وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه، وهو أثبتهم في أبي هريرة، قال الواقدي: توفي في سنة الفقهاء، وهي سنة أربع وتسعين، عن خمس وسبعين سنة، رحمه الله.

[وكان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته ويطهه، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا، والكلام فيما لا يمتنى، ومن أكثر الناس أدياً في الحديث، جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس لخدمته ثم اضطجع، قال الرجل: وددت أنك لم تمتن، قال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع، قال برد مولا: ما تودى الصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد. وقال ابن إدريس: صلى سعيد بن المسيب القداء بوضوء العتمة خمسين سنة. وقال سعيد: لا تأملوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالأنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة. وقال: ما يشي الشيطان من شيء إلا أنه من قبل النساء. وقال: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله، ولا أمانت أنفسها إلا بحمصة الله تعالى. وقال: كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بحمصة الله. وقال: من استغنى بالله افتقر الناس إليه. وقال: الدنيا نكته وهي إلى كل نذل أميل، وأنفل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها. وقال: إنه ليس من شريف ولا علم ولا ندى فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا يفتنى أن تذكر عيوبه. وقال: من كان فضله أكثر من قصه وهب قصه لفضله.

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة - وكانت من أحسن النساء وأكرم أدياً وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج - وكان فقيراً، فأرسل إليه بخمسة آلاف، وقيل: بعشرين ألفاً، وقال: استغنى عنه. وقصته في ذلك مشهورة، وقد كان عبد الملك خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط كاقصم، لما جاءت يمة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك، ضربه فاقب على المدينة هشام بن

إسماعيل وأطافه المدينة ، وعرضوه على السيف فضى ولم يباع ، فلما رجفوا به ، رأتها امرأة قالت :
 ماهذا الخزي يأسيد ؟ فقال : من الخزي فررتا إلى مائتين ، أى لو أحييناهم وهننا في خزي الدنيا
 والآخرة . وكان يجمل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتجر فيه ويقول : اللهم إنك تعلم أني لم
 أمسك بخلا ولا حرصا عليه ، ولا حجة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني
 مروان حتى ألقى الله فيحكم في وفهم ، وأصل منه رحي ، وأودى منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه
 على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار . والله سبحانه وتعالى أعلم [١١]

﴿ طلق بن حبيب المغزي ﴾

ثأبي جليل ، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس ، وعبد الله بن عمر وغيرهم ، وعنه
 حميد الطويل والأعشى وطاووس ، وهو من أقرانه وأثنى عليه عمرو بن دينار ، وقد أثنى عليه
 غير واحد من الأئمة ، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول بالأرجاء ، وقد كان ممن خرج مع
 ابن الأشعث ، وكان يقول هروا بالتقوى ، فقيل له : صف لنا التقوى ، قال : التقوى هي العمل
 بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله ، وترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله . وقال
 أيضاً : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصي ، أو يقوم
 بشكرها العباد ، ولكن أصبحوا ثاقبين ، وأمسوا ثاقبين . وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء
 يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلا ، ويقول : قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول
 فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم . قال مالك :
 قتله الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير . وقد ذكر ابن جرير سابقاً أن خالد بن
 عبد الله القسري بث من مكة ثلاثة إلى الحجاج ، وهم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن
 حبيب ، فأت طلق في الطريق وحبس مجاهد ، وكان من أمر سعيد ما كان والله أعلم .

﴿ عروة بن الزبير بن العوام ﴾

القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني ، ثأبي جليل ، روى عن أبيه وعن العبادلة ومعاوية
 والنخيرة وأبي هريرة ، وأمه أسماء ، وخاتمه عائشة ، وأم سلمة . وعنه جماعة من التابعين ، وخلق من
 سوام . قال محمد بن سعد : كان عروة ثقة كثير الحديث علماً مأموناً ثبتاً . وقال المعلى : مدني ثأبي
 رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن . وقال الواقدي : كان قصباً علماً حافظاً ثبتاً حجة علماً بالسير ،
 وهو أول من صنف المغازي ، وكان من قهات المدينة الممدودين ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ
 يسألونه ، وكان أروى الناس للشر ، وقال ابنه هشام : العلم لواحد من ثلاثة ، فقي حسب يزين به

حسبه ، أو ذى دين يسوس به دينه ، أو مختلط بسلطان يتخذه بنعمه ويتخلص منه بالعلم ، فلا يقع في ملكه ، وقال : ولا أعلم أحداً اشترطه لهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز . وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في الليل ، وكان أيام الربط يتم حائله فليس فيدخلون ويأكلون ، فإذا ذهب الربط أخله ، وقال الزهري : كان عروة بحراً لا يتزق ولا تنكحه الدلاء . وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجمله ، وقد ذكره غير واحد في قهقهة المدينة السبعة الذين ينتهى إلى قولهم ، وكلف من جملة الفقهاء المشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة [وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بعشق ، فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها ، ففرضوا عليه أن يشرب شيئاً ينهب عقله حتى لا يحس بالألم ويتكلموا من قطعها ، فقال : ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً ينهب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل ، ولكن علموا فاقطعوا قطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم ، ولا يعرف أنه أن ، وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشمر لشغل بالصلاة فأنه أعلم . ووقع في هذه القيلة التي قطعت فيها رجله ولد له يسمى محمداً كان أحب أولاده من سطح فلت ، فدخلوا عليه فمزوه فيه ، فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة فأخنت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لي أطراف أربعة فأخنت واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخنت فلقد أعطيت ، ولئن كنت قد ابتليت قد عافيت] قلت : قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجمع بالوليد ، وقست الأكلة في رجله في واد قرب المدينة . وكان مبعوثاً هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك ، فلما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه . وروى عروة أن الوليد فأكنته ، فطابت فسه فبشرها وقالوا له : ألا نسقيك مرقة حتى ينهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر ؟ فقال : لا والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً ينهب عقله ، ولكن إن كنت لابد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة ، فاني لأحس بذلك ، ولا أشعر به . قال : فبشروا رجله من فوق الأكلة ، من المكان الخي ، احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلي ، فما تصور ولا اختلج ، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال : اللهم لك الحمد ، كان لي أطراف أربعة فأخنت واحداً فلئن كنت قد أخنت قد أبقيت ، وإن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، فكذلك الحمد على ما أخنت وعلى ما عافيت . قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبه إليه ، فدخل دار الدواب فرفسته فرس فلت ، فأثوه فمزوه فيه ، فقال : الحمد لله كانوا سبعة فأخنت منهم واحداً وأبقيت ستة ، فلئن كنت قد ابتليت فلطالما

عائيت ، ولئن كنت قد أخذت فطلاما أعطيت . فلما قضى حاجته من حشوق رجع إلى المدينة ، قال : فما سمعناه ذكر رجله ولا وده ، ولا شكاً ذلك إلى أحد حتى دخل وادى القرى ، فلما كان في المكان الذي أصابته الأكلة فيه قال : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) فلما دخل المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ، ويمزونه في رجله وولده ، فبلغه أن بعض الناس قال : إنما أصابه هنا بذنب عظيم أحدثه . فأنشد عروة في ذلك والأييل لمن بن أوس :-

لمرك ما أهويت كنى لرية * ولاحتنى نحو فاحشة رجل
ولاكادنى سمى ولابصرى لما * ولادلنى رأبى عليها ولا عقل
ولست بملش ماحيت لمسكر * من الأمر لا يمشى إلى مثله مثلى
ولا مؤثر ضى على ذى قرابة * وأوثر ضيقى ما أقام على أهل
وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة * من الدهر إلا قد أصابت فنى مثلى

وفي رواية : اللهم إنه كان لى بنون أربعة فأخذت واحداً وأجيت ثلاثة . كنا ذا ذكر هذا الحديث فيه هشام . وقال مسلمة بن عمار : وقت في رجل عروة الأكلة فقطعت ولم يمسه أحد ، ولم يدع في تلك الليلة ورده . وقال الأوزاعي : لما نشرت رجل عروة قال : اللهم إنك تعلم أنى لم أمش بها إلى سوء قط . وأنشد البيهقي المتقدمين . رأى عروة رجلاً يصلي صلاة خفيفة فدهاه فقال : يا أخى أما كانت لك إلى ربك حاجة في صلاتك ؟ إني لأسأل الله في صلاتي حتى أسأله الملح . قال عروة : رب كلمة ذل احتملتها أو رقتني عزاً طويلاً . وقال لبيبة : إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنه فاعلموا أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنه تدل على أخنها ، والسيئة تدل على أخنها . وكان عروة إذا دخل حائطه ردد هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) حتى يخرج منه والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١) .

قيل إنه ولد في حياة عمر ، والصحيح أنه ولد بعد عمر في سنة ثلاث وعشرين ، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين على المشهور ، وقيل سنة تسعين ، وقيل سنة مائة ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل إحدى ومائة ، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين ، وقيل تسع وتسعين والله أعلم .

(على بن الحسين)

ابن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين ، وأمه أم ولد اسمها سلامة ، وكان له أخ أكبر منه يقال له علي أيضاً ، قتل مع أبيه ، روى على هذا الحديث عن أبيه وعمه الحسن بن علي ، وجابر وابن عباس والمصور بن خزيمة وأبى هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة ، أمهات المؤمنين . وعنه

جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر ، وأبو جعفر محمد بن علي بن قر ، وزيد بن أسلم ، وظلوس وهو من أقرانه ، والزهرى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وأبوسلمة وهو من أقرانه ، وخلق .

قال ابن خلكان : كانت أم سلمة بنت يزيد آخر ملوك الفرس ، وذكر الزعشمرى فى ربيع الأبرار أن يزيد كان له ثلاث بنات سبين فى زمن عمر بن الخطاب ، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالما ، والأخرى لمحمد بن أبى بكر الصديق فأولدها القاسم ، والأخرى للحسين بن على فأولدها عليا زين العابدين هنا ، فكلهم بنو خلة . قال ابن خلكان : ولما قتل قتيبة بن مسلم فيروز بن يزيد جرد يمث بأبنتيه إلى الحاجب فأخذ إحداها وبث بالأخرى إلى الوليد ، فأولدها الوليد يزيد الناقص . وذكر ابن قتيبة فى كتاب المصارف أن زين العابدين هذا كانت أمه سندية ، يقال لها سلامة ، ويقال غزالة ، وكان مع أبيه بكر بلاه ، فاستبقى لصره ، وقيل لمرضه ، فانه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وقدم بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضا فتمه الله منه ، ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويمطيه ويجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بشم إلى المدينة ، وكان على بالمدينة محترما معظما . قال ابن عساكر : ومسجده بدمشق المنسوب إليه معروف . قلت : وهو مشهد على الناحية الشرقية من جامع دمشق . وقد استقمعه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره فى جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطرار القرايطس ، قال الزهرى : ما رأيت قرشيا أروع منه ، ولا أفضل . وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض ، فقال عمر ابن سعد : لا تعرضوا لهذا المريض . وقال الواقدي : كان من أروع الناس وأعبداهم وأتقاهم الله عز وجل ، وكان إذا مشى لا يحظر يده ، وكان يعم بعمامة بيضاء يرخيها من ورائه ، وكان كنيته أبا الحسن ، وقيل أبا محمد ، وقيل أبا عبد الله . وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمونا كثير الحديث غالبا رفيعا ورعا ، وأمه غزالة خلف عليها بعد الحسين مولاه زيد فولدت له عبد الله بن زيد ، وهو على الأصغر ، فأما الأكبر فقتل مع أبيه . وكذا قال غير واحد ، وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم : لم يكن فى أهل البيت مثله . وقال يحيى بن سعيد الأنصارى : سمعت على ابن الحسين وهو أفضل هامى أذكرته يقول : يا أيها الناس أحبوا حب الاسلام ، فابرح بنا جبكم حتى صار علينا عاراً . وفى رواية : حتى يفضتونا إلى الناس . وقال الأصمعي : لم يكن للحسين عقب إلا من على بن الحسين ، ولم يكن لعلى بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن ، فقال له مروان بن الحكم : لو اتخضت السراى يكثر أولادك ، فقال : ليس لى ما أنسرى به ، فأقرضه مائة ألف فاشتري له السراى فولدت له وكثر نسله ، ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من على بن

الحسين عني بما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من قبله رحمه الله . وقال أبو بكر بن أبي شيبة :
 أصبح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، وذكروا أنه أحترق البيت
 الذي هو فيه وهو قائم يصلي ، فلما انصرف ظموا له : مالك لم تنصرف ؟ قال : إني اشتغلت عن
 هذه النار بالنار الأخرى ، وكان إذا توضأ يصفر لونه ، فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، فقبل
 له في ذلك قال : ألا تسمعون بين يدي من أقوم ولن ألتجئ ؟ ولما حج أراد أن يلبي فارتعد وقال :
 أخشى أن أقول ليبيك اللهم ليبيك ، فيقال لي : لا ليبيك ، فشجوه على التلبية ، فلما لبى غشى عليه
 حتى سقط عن الراحة . وكان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة . وقال طلوع : سمعته وهو ساجد عند
 الحجر يقول : عبيدك بفنائك . سائلك بفنائك . فقيرك بفنائك ، قال طلوع : فوالله ما دعوت بها في
 كرب قط إلا كشف عني . وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل ، وكان يقول صدقة الليل تطفي غضب
 الرب ، وتور القلب والغب ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة ، وقلم الله تعالى ماله مرتين .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس بالمدينة يمشون لا يدرون من أين يمشون ومن يعطيهم ،
 فلما مات علي بن الحسين هموا بذلك فصرخوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به . ولما مات
 وجنوا في ظهره وأكثاه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأراذل والساكين في الليل . وقيل إنه كان
 يمول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات . ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة
 ابن زيد يعود فبكي ابن أسامة فقال له ما يبكيك ؟ قال : على دين ، قال : وكيف هو ؟ قال خمسة عشر
 ألف دينار . وفي رواية سبعة عشر ألف دينار . قال : هي على . وقال علي بن الحسين : كان أبو بكر
 وعمر من رسول الله ﷺ في حياته بمنزلة ما منه بعد وفاته . وقال منه رجل يوماً فجعل يتناقل عنه
 - يري أنه لم يسمه - قال له الرجل : إليك أعني ، قال له علي : وعنتك أغضى . وخرج يوماً من المسجد
 فسمي رجل فأتى الناس إليه ، قال : دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : ما ستره الله عنك من عيوبنا
 أكثر ، أنك حاجة فنعينك عليها ؟ فاستخيا الرجل فألقى إليه خيصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ،
 فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء . قالوا : واختصم علي بن الحسين وحسن
 ابن حسن . وكان بينهما منافسة . فقال منه حسن بن حسن وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي
 ابن الحسين إلى منزله فقال : يا ابن عم إن كنت صادقاً ينفر الله لي ، وإن كنت كاذباً ينفر الله لك
 والسلام عليك ، ثم رجع ، فلحقه فصله . وقيل له من أعظم الناس خطراً ؟ قال : من لم ير الدنيا
 لنفسه قفراً ، وقال أيضاً : الفكرة مرآة ترى المؤمن حسناته وسيئاته ، وقال : قد الأحبة غربة ، وكان
 يقول : إن قوماً عبدوا الله رغبة فلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فلك عبادة التجار ،
 وآخرون عبدوه محبة وشكراً فلك عبادة الأحرار الأخيار . وقال لابنه : يا بني لا تصحب لنفساً فإنه

يحبك بأقل منها يطلع فيها ثم لا ينالها ، ولا يجيلا فانه يحنك في ماله أوج ماتكون إليه ،
ولا كذا فانه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ، ولا أحق فانه يريد أن ينفك
فيضرك ، ولا قطع رحم فانه ملعون في كتاب الله . قال تعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في
الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطي الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له
تافع بن جبير بن معلم : غفر الله لك ، أنت سيد الناس تأتي تخطي خلق أهل العلم وقريش حتى تجلس
مع هذا العبد الأسود ؟ فقال له علي بن الحسين : إنما يجلس الرجل حيث ينفق ، وإن العلم يطلب
حيث كان . وقال الأعشى عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين : أنتستطيع أن تجمع بيني
وبين سعيد بن جبير ؟ قلت : ما صنعت به ؟ قال أريد أسأله عن أشياء ينفقنا الله بها ولا منفعة ،
إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء . وأشار بيده إلى العراق .

وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن زور بن عبيد ^(١) قال :
كنت عند ابن عباس فأتى علي بن الحسين فقال ابن عباس : مرحبا بالحبيب ابن الحبيب . وقال أبو
بكر بن محمد بن يحيى الصولي : ثنا الملاء ثنا إبراهيم بن بشار عن صفيان بن عيينة عن أبي الزبير
قال : كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال : كنت عند رسول الله ﷺ فدخل
عليه الحسين بن علي فضمه إليه وقبله وأقسمه إلى جنبه ، ثم قال : « يولد لابني هذا ابن يقال له علي ،
إذا كان يوم القيامة نادى مناد من يطئ العرش ليقيم سيد العابدين ، فيقوم هو » هذا حديث
غريب جداً أورده ابن عساكر . وقال الزهري : كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين ، وما رأيت
أقنه منه ، وكان قليل الحديث ، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ، وأجهم إلى مروان وابنه
عبد الملك ، وكان يسمى زين العابدين . وقال جويرية بن أسماء : ما أكل علي بن الحسين بقرابته من
رسول الله ﷺ درهما قط . رحمه الله ورضي عنه . وقال محمد بن سعد : أنبأ علي بن محمد عن سعيد بن
خالد عن المقبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمائة ألف فكره أن يقبلها وخلف أن يردها ،
فاحتبسها عنه ، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إلى بمائة ألف
فكرهت أن أقبلها وكرهت أن أردعا ، فأبث من قبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا ابن عم اخنجا
هذه طيبتها لك ، قبلها . وقال علي بن الحسين : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي
الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم الاتقياء ، لأن الملاء ورقة الأتقياء . وقال أيضاً : إني لأستحي
من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأجزل عليه بالدنيا ، فلما كان يوم القيامة

قبل لي فاذا كانت الجنة يمدك كنت بها أبجل ، وأبجل وأبجل . وذكروا أنه كان كثير البكاء فقيل له في ذلك قال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ، ولم يعلم أنه مات ، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة ، فثرون حزهم ينهب من قلبي أبداً ؟ وقال عبد الرزاق : سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه ماء ليتوضأ فسقط الأبريق من يدها على وجهه فشبهه ، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية : إن الله يقول (والكلظين النقيط) ، قال : قد كظمت غيظي ، قالت (والماتين عن الناس) قال : عفا الله عنك . قالت (والله يحب المحسنين) قال : أنت حرة لوجه الله تعالى .

وقال الزبير بن بكار : ثنا عبد الله بن إبراهيم بن قدامة الفخري عن أبيه عن جده عن محمد بن علي عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق قد كروا أبا بكر وعمر فقالوا منهما ، ثم ابتدأوا في عثمان فقال لهم : أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين الذين (أخرجوا من ديارهم وأموالهم ينتفون فضلاء من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله) ؟ قالوا : لا قال : فأنتم من الذين (تبتوا البار والاعان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم) ؟ قالوا لا ! قال لهم : أما أنتم قد أقرتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم (والذين جاوزوا من بدم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) الآية ، قوموا عني لا يبارك الله فيكم ، ولا قرب دوركم ، أنتم مستهزئون بالإسلام ، ولستم من أهله . وجاء رجل فسأله متى يبعث علي ؟ قال : يبعث والله يوم القيامة ونجمه نفسه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثت عن سميد بن سليمان عن علي بن هاشم عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني أتصدق اليوم - أو أهب عرضي اليوم - من استحله . وروى ابن أبي الدنيا أن غلاماً سقط من يده سفود وهو يشوي شيئاً في التنور على رأس صبي لعلي بن الحسين قتله ، قهض علي بن الحسين مسرعاً ، فلما نظر إليه قال للغلام : إنك لم تعد ، أنت حر ، ثم شرع في جهاز ابنه . وقال المدائني : سمعت سفيان يقول : كان علي بن الحسين يقول : ما يسرني أن لي نصيبي من القل حمر النعم : ورواه الزبير بن بكار عن غير وجه عنه . ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فخرج عليه من أجل إسراره ، فقال له علي بن الحسين : إن من وراء ابنك خللا ثلاثاً ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وشفاعرة رسول الله ، ورحمة الله عز وجل . وقال المدائني : ظف الزهري ذنباً فاستوحش منه وهلم على وجهه وترك أهله وماله ، فلما اجتمع بعلي بن الحسين قال له : يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفي رواية أنه كان أصاب دماً حراماً خطأ فأمره على بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله ، ففعل ذلك . وكان

الزهرى يقول : على بن الحسين أعظم الناس على منته .

وقال سفيان بن عيينة كان على بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أولئك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ، وما اصطحب اثنين على مصيبة إلا أوْشك أن يقتلوا على غير طاعة . وذكروا أنه زوج أمه من مولى له وأعتق أمه فتزوجها فأرسل إليه عبيد الملك يومه في ذلك ، فكتب إليه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) وقد أعتق صغية فتزوجها ، وزوج مولاة زيد بن حارثة من بنت عمه زينب بنت جحش . قالوا : وكان يلبس في الشتاء خيصة من خز يخمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها ، ويلبس في الصيف الثياب المرقعة ودونها ويلتوقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

(وقد روى من طرق ذكرها الصولى والجري وغير واحد أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه وأخيه الوليد ، فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فيبئوا كذاك إذ أقبل على بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس إجلالاً له وهيبته واحتراماً ، وهو في بزة حسنة ، وشكل مليح ، قال أهل الشام لهشام : من هنا ؟ قال : لا أعرفه . استقصا به واعتقوا لثلاثا يرغب فيه أهل الشام . قال الفرزدق - وكان حاضراً - أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذى تعرف البطحاموطاته * والبيت يعرفه . والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلم * هذا التقى التقى الطاهر العلم

إذا رآته قریش قال قائلها * إلى مكلم هذا يقتضى الكرم

ينسئ إلى ذروة العزالى قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والحجم

يكاد يحسكه عرفان راحته * ركن العظيم إذا ملجأ يستلم

ينفض حياه وينفض من مهابته * فإ يكلم إلا حين يقيم

بكفه خيزران ريجها عبق * من كف أروع في عرفته فشم

مشقة من رسول الله نبته * طابت عناصرها والعلم والشيم

ينجذب نور الهدى من نور غرته * كالشمس تنجلي عن إشراقها القيم

حال أقوال أقوام إذا قبحوا * حاول الشائل محلو عنده نعم

هذا ابن فاطمة إن كنت جالعه * يحبه أنبياء الله قد ختموا

من جمه دان فضل الأنبياء له * وفضل أمته دانت لها الأمم

عم البرية بالأحسان فاقشبت • عنها التواية والاملاق والنظم
 كتباً بيده غيث عم فعمها • يستوفيان ولا يروها المم
 سهل الخليفة لا تخشى بواذره • يزنه انتقن الحلم والسكرم
 لا يخلف الوعد ميمون بشيئته • رجب الفناء أريب حين يعتزم
 من مشرجهم دين وبضهم • كفو وقربهم منجى ومستم
 يستفج السوء والبلوى بهم • ويستزاد به الاحسان والنعم
 مقدم بعد ذكر الله ذكركم • في كل حكم وغنوم به الحكم
 إن عدل أهل التقى كانوا أنتمهم • أو قبل من خير أهل الأرض قبلهم
 لا يستطيع جواد بعد غايتهم • ولا يداينهم قوم وإن كرموا
 هم النيوث إذا ما أزمته أزمته • والأسد أسد الشرى والبأس عتمة
 يأبى لهم أن يحمل ألقم ساحتهم • خيم كرام وأيد بالندى هضم
 لا ينقص المم بسطاً من أكرمهم • سيان ذلك إن أنروا وإن عيموا
 أى الخلائق ليست فى رقابهم • لأولية هذا أوله نعم
 فليس قولك من هذا بضاره • العرب تعرف من أنكرت والعجم
 من يعرف الله يعرف أولية ذا • فالدين من بيت هذا لله الأم

قال : فتضب هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بسفان ، بين مكة والمدينة ، فلما بلغ ذلك
 على بن الحسين بمث إلى الفرزدق باثني عشر ألف درهم ، فلم يقبلها وقال : إنما قلت ما قلت لله
 عز وجل ونصرة للحق ، وقياماً بحق رسول الله ﷺ في ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشئ .
 فأرسل إليه على بن الحسين يقول : قد علم الله صدق نيتك في ذلك ، وأقسمت عليك بالله لتقبلها
 فتقبلها منه ثم جعل يهجو هشاماً وكان مما قال فيه :

تجسنى بين المدينة والقي • إليها قلوب الناس تهوى منيها
 قلب راسا لم يكن رأس سيد • وعينين حولين باد عيوبها
 وقد رويتنا عن على بن الحسين أنه كان إذا مرت به الجنازة يقول هذين البيتين :
 نراع إذا الجنائز قابلتنا • ونلهو حين تمضى ذاهبات
 كروعة ثلة لمفار سبع • فلما علب عادت راقمت

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الله القرى حدثني سيفان بن عيينة عن
 الزهري قال سمعت على بن الحسين سيد العابدين يجالس نفسه وينالجى ربه :-

ياضس حنام إلى الدنيا سكوتك ، وإلى عازتها ركوتك ، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك ومن وارثه الأرض من الآفك ؟ ومن فجعت به من إخوانك ، وقفل إلى الترى من أقرانك ؟ فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ، محاسنهم فيها وبال دوائر .

خلت دورهم منهم وأقوت عراضهم • وسلقهم نحو النايما المقادر
ونخلوا عن الدنيا وما جموا لها • وضمهم تحت التراب الحفائر
كم خرمت أيدى المنون من قرون بعد قرون ، وكم غيرت الأرض يبلاتها ، وغيت في ترابها ،
من طشرت من صنوف وشيعتهم إلى الأمارس ، ثم رجعت [عنهم إلى عمل أهل الافلاس : -

وأنت على الدنيا مكب منفس • نلطلباها فيها حريص مكار
على خطر تمشى وتصبح لاهيا • أتدرى بماذا لو عقلت فخطار
وإن امرأ يسعى لدنياه دائماً • وينهل عن أخراه لاشك خلسر
فغنام على الدنيا إقبالك ؟ وبشواتها اشتغالك ؟ وقد وخطك القنير ، وأتاك النذير ، وأنت عما

برادبك ساه وبلقة بومك وغدك لاه ، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعانيت ما حل بهم من
المصيبات ، وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى • عن الهو والذات لمره زاجر
أبعد اقتراب الأربمين تربص • وشيب قنزال منفر للكار
كأنك معنى بما هو ضار • لنفسك عمدا وعن الرشد حار

انظر إلى الأمم الماضية والملوك الغانية كيف اختطفتهم عقبان الأيام ، وواطم الحام ، فامحت
من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم ، وأضحوا رميا في التراب ، إلى يوم الحشر والمآب ،
أمسحوا رميا في التراب وعطلت • مجالهم منهم وأخلى مقاصر
وحلوا بدار لآزاور بينهم • وأنى لسكان القبور التزاور
فإن ترى الا قبورا قد ثووا بها • مسطحة تنفى عليها الأعاصر
كم من ذى منمة وسلطان وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ، وقال فيها ماتمته ، وبني فيها
القصور والساكر ، وجمع فيها الأموال والبخائر ، وملح السرارى والحرائر .

فاصرفت كف المنية إذ أتت • مبادرة تهوى إليه القنائر
ولادفت عنه الحصون التي بنى • وحف بها أنهاره والهاكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة • ولا طمعت في القب عنه الساكر

أنه من الله مالا يرد ، ونزل به من فضائه مالا يصد ، فتمالى الله الملك الجبار ، المتكبر العزيز
القهار ، قاصم الجبارين ، ومبيد المتكبرين ، الذى ذل لمره كل سلطان ، وأبأد بقوته كل دين .

ملكك عزيز لا يرد قضاؤه • حكم عليم نافذ الأمر ظاهر
 عنى كل ذى عز لمة وجهه • فكم من عزيز للمؤمن جافر
 لتخضعت واستسلمت وقضاهات • لمة ذى العرش الملك الجبار
 فالبدار البدار والخفار الخفار من الدنيا ومكايدها ، وما نصبت لك من مصايبها ، ونحلت لك من
 زينتها ، وأظهرت لك من بهجتها ، وأبرزت لك من شهواتها ، وأخفت عنك من قواتها وهلاكها ،
 وفى دون ما عانيت من نجساتها • إلى دفعها داع وبازهد آمر
 فجد ولا تغفل وكى متيقظا • فما قليل يترك الهار علم
 فشمز ولا تغتر فسررك زائل • وأنت إلى دار الاقامة صار
 ولا تطلب الدنيا فان نعيمها • وإن نلت منها غبه لك ضار
 فهل يحرص عليها لبيب ، أو يسر بها أريب ؟ وهو على قمة من فئتها ، وغير طامع فى بقلها ،
 أم كيف تنام عينا من يخشى الليك ، وتسكن نفس من توقع فى جميع أموره المات .
 ألا لا ولكنا نفر نفوسنا • ونشغلنا الفئات عما نحاذر
 وكيف يلذ العيش من هو موقف • بموقف عدل يوم تبلى السرائر
 كأننا نرى أن لا نشور وأتنا • سدى مالنا بعد المات مصادر
 وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لقتها ويتمتع به من بهجتها ، مع صنوف محائبها وقوارع
 فائتها ، وكثرة عذابها فى مصابها وفى طلبها ، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها
 أما قد ترى فى كل يوم ولية • يروح علينا صرفها ويباكر
 تملورنا آفاتها وهومها • وكى قد ترى يبق لها المتماور
 فلا هو مضبوط بدنياء آمن • ولا هو عن قلالها للنفس ناصر
 كم قد غرت الدنيا من محظ إليها ، وصرعت من مكب عليها ، فلم تمتش من عثرته ، ولم تنقذه
 من صرعته ، ولم تشفه من آله ، ولم تبهر من سقمه . ولم تخلصه من وصه
 بل أوردته بعد عز ومنمة • موارد سوء ملغن مصادر^(١)
 فلما رأى أن لا نجاة وأنه • هو الموت لا نجيته منه التحاذر
 تنم إذ لم تكن عنه تدامة • عليه وأبكته القنوب الكبار
 إذ بكى على ماسف من خطايه ، وتحصر على ما خلف من دنياء ، واستغفر حتى لا ينغمه
 الاستغفار ، ولا ينجيه الاعتذار ، عند هول اللية ونزول البلية .

أعطت به أحزانه وهومه • وأبلس لا أعجزته المقادر
فليس له من كربة للوت طارج • وليس له مما يحاذر تاصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه • ترددها منه الإله والخناجر
هناك خف عواده، وأسله أهله وأولاده، وارفضت البرية بالمولد، وقد أيسوا من التمليل،
فتمضوا بأيديهم عينيه، ومد عند خروج روحه رجله، وتخلّى عنه الصديق، والصاحب الشفيق
فكم موجع يبكي عليه مفعج • ومستنجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلصاً • يمدد منه كل ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته • وعما قليل للذي صار صار
فشقت جيوبها نسائه، ولطمت خدودها إمائه، وأعول لقدمه جيرانه، وتوجع لرزقته إخوانه،
ثم أقبلوا على جهازه، وشعروا لإبرازه، كأنه لم يكن بينهم العزيز المنفى، ولا الحبيب المبني.
وحل أحب القوم كفن بقربه • بحث على تجهيزه ويبادر
وشمر من قد أحضروه لنفسه • ووجه لما فاض لقبر حافر
وكفن في ثوبين واجتمعت له • شعبة إخوانه والعشار
فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن على قواده، ويخشى من الجزع عليه، وخضبت
الحمز عينية، وهو يندب أبيه ويقول: يا ويله وأحريه :-
لما نيت من قبح المنية منظراً • بهال لمراء • ويرتاع فلانظر
أكابر أولاد بهيج اكتتابهم • إذا ماتتاساه البنون الأصاغر
وربة نسوان عليه جوازع • مدامهم فوق الخلود غوازر
ثم أخرج من سعة قصره، إلى ضيق قبره، فلما استقر في القبر وهي عليه العين، احتوشته أعماله
وأحاطت به خطاياه، وضاق ذرعاً بما رآه، ثم حشا بأيديهم عليه التراب، وأكثروا البكاء عليه
والاعتحاب، ثم وقوا ساعة عليه، وأيسوا من النظر إليه، وتركوه رهنًا بما كسب وطلب
فولوا عليه معولين وكلهم • لمثل الذي لاقى أخوه محاذر
كشاه رفاع آمنين بدا لها • بمدته يادى القراعين حاسر
فريست ولم ترتع قليلاً وأجملت • فلما نأى عنها ألقى هو جازر
عادت إلى مرعها، ونسيت ما في أختها دهاها، أقباضال الأنعام اقتدينا؟ أم على عادتنا جرينا؟
عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى، واعتبر بموضعه تحت الترى، المدفوع إلى هول ما ترى.
نوى مفرداً في لحده وترزعت • موارثه أولاده والأصاغر (١)

وأخروا على أمواله يقسمونها * فلا حقد منهم عليها وشاكر
 فيا عمر الدنيا وإساعيا لها * وبأماننا من أن تدور الدوائر
 كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر إليها لا محالة ؟ أم كيف ضمت حياتك وهي مطيتك إلى
 مماتك ؟ أم كيف تسبغ من طعمك وأنت منتظر حاكمك ؟ أم كيف تنها بالشهوات ، وهي مطية الآفات
 ولم تتزود للرحيل وقد دنا * وأنت على حال وشيك مسافر
 فيالغف فضي كم أسوف توبقي * وعمري ظني والردى لي ناظر
 وكل التي أسلفت في الصحف منيت * يميز على علل الحكم قادر
 فكم ترقع بأخرك دنياك ، وتركب غيك وهواك ، أراك ضعيف اليقين ، يلغور الدنيا على الدين
 أبهذا أسرك الرحمن ؟ أم على هذا نزل القرآن ؟ أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب ، وشر المسآب
 أما تذكر حال من جمع وتمر ، ورفض البناء وزخرف وعمر ، أما صار جهم بورا ، ومساكنهم قبورا :
 تخرب ما يسقى وتسر قانيا * فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
 وهل لك إن واطك حنك بقنة * ولم تكسب خيرا لدى الله عاذر
 أترضى بأن تنفي الحياة وتنقضي * ودينك منقوص ومالك وافر

وقد اختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها علي بن الحسين ، زين العابدين ، فالشهور عن
 الجمهور أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة أربع وتسعين - في أولها عن ثمان وخسين سنة ، وصلى
 عليه بالقيع ، ودفن به ، قال الفلاس : مات علي بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن
 عبد الرحمن سنة أربع وتسعين ، وقال بعضهم : توفي سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين ، وأغرب المدائني
 في قوله : إنه توفي سنة تسع وتسعين والله أعلم انتهى ما ذكره المؤلف [من ترجمة علي بن الحسين
 وقد رأيت له كلاما متفرقا وهو من جيد الحكمة ، فأحييت أن أذكره لعل الله أن ينفع به من وقف عليه :

قال حفص بن غياث عن حجاج عن أبي جعفر عن علي بن الحسين قال : إن الجسد إذا لم يمرض
 أشرو بطر ، ولا خير في جسد يأشرو بيطر . وقال أبو بكر بن الأثير : حدثنا أحمد بن الصلت
 حدثنا قاسم بن إبراهيم العلوي حدثنا أبي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال علي بن الحسين : لقد
 الأعبة غربة . وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي ، وتبصع في خفيات
 النيوب سررتي ، اللهم كما أسأت وأحسنت إلي ، فإذا عدت ضد إلي . اللهم ارقني مواساة من
 قدرت عليه رزقك بما وسعت علي من فضلك . وقال لابنه : يا بني اتخذ ثوبا للناط فاني رأيت اللباب
 يقع على الشيء ثم يقع على الثوب . ثم اتبعه فقال : وما كان لرسول الله ﷺ وأصحابه إلا ثوب واحد ،
 فرفضه . وعن أبي حمزة الثمالي قال : أتيت بلبل علي بن الحسين فذكرت أن أصوت فصعدت علي

الباب حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد على السلام ودعا لي ، ثم انتهى إلى حائط فقال : يا حزة ترى هذا الحائط ؟ قلت : نعم ! قال : فاني انكأْتُ عليه يوماً وأنا حزين فاذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في تجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ! مالي أراك كئيباً حزينا على الدنيا ! فهي رزق حاضر يأخذ منها البر والفاجر . قلت : ما عليها أحزن لأنها كما تقول ، فقال علي الآخرة ؟ فهي وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، قلت : ما علي هذا أحزن لأنه كما تقول . قال : فسلام حزئك ؟ قلت : ما أخوف من الفتنة - يعني فتنة ابن الزبير - قال لي : يا علي ! هل رأيت أحداً سأل الله فلم يطمه ؟ قلت : لا ! قال ولا يخاف الله فلم يكنه ؟ قلت : لا ! ثم غلب عني قهيل لي : يا علي إن هذا الخضر الذي جامك لفظ الخضر مراد فيه من بعض الرواة .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الخضرى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عمر بن حارث . قال : لما مات علي بن الحسين فسلوه جلاوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره . قالوا : ما هذا ؟ قيل : كان يحمل جربُ الدقيق ليلا على ظهره يطميه قراء أهل المدينة . وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما قدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين .

وروى عبد الله بن حنبل عن ابن اشكاب عن محمد بن بشر عن أبي المنهال الطائي أن علي بن الحسين كان إذا ناول المسكين الصدقة قبله ثم ناوله . وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن زكريا النسابي حدثنا المتبي حدثني أبي . قال قال علي بن الحسين - وكان من أفضل بني هاشم الأربعة - يا بني اصبر على التواكب ولا تعرض للحقوق ، ولا تحبب أخاك إلا في الأمر الذي مضرت عليك أكثر من منفعتك . وروى الطبراني بإسناده عنه : أنه كان جالسا في جماعة فسمع داعية في بيته تهمض فدخل منزله ثم رجع إلى مجلسه ، قيل له : أمن حدث كانت الداعية ؟ قال : نعم ! فمزوه وتسجروا من صبره ، قال : إنا أهل بيت نطيع الله عز وجل فيما نحب ، ونصمد على ما نكره . وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا : نعم ! قالوا : من أنتم ؟ قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كن فضلكم ؟ قالوا : كنا إذا جبل علينا حملنا ، وإذا غلبنا صبرنا ، وإذا أمسى إلينا غفرنا ، قالوا لهم : ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين . ثم نادى مناد : ليقم أهل الصبر ، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا : فما كن صبركم ؟ قالوا : صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله ، وصبرناها على البلاء . قالوا لهم : ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين . ثم ينادي المنادي : ليقم جيران الله في داره ! فيقوم ناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم :

انطلقوا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : هم استحققتم مجاورة الله عز وجل في داره ؟ فيقولون : كنا نتزاور في الله ، وتمعنا في الله ، وتبادل في الله عز وجل . فيقال لهم ، ادخلوا الجنة فثم اجر العاملين .

وقال علي بن الحسين : إن الله يحب المؤمن المذنوب التواب . وقال : التارك للأثر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كذب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقى منهم فتاة . قالوا : وما فتاة ؟ قال : يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطفى . وقال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيت أحداً أروع من فلان . فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا . قال : ما رأيت أروع منه . وروى سفیان بن عيينة عن الزهري . قال : دخلت على علي بن الحسين فقال : يا زهري فيم كنتم ؟ قلت : كنا نتذاكر الصوم ، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب ، إلا شهر رمضان فقال : يا زهري ليس كما قلت ، الصوم على أربعين وجهاً ، عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة منها صاحبها بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب ، قال الزهري قلت : فسرهن يا ابن رسول الله ﷺ ، قال : أما الواجب فصوم شهر رمضان ، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد القتلى ، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجد الاطعام ، وصيام حلق الرأس ، وصوم دم المتعقل لمن يجد الهدى وصوم جزاء الصيد ، يقوم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الخنطة . وأما الذي صاحبه بالخيار فصوم الاثنين والخميس ، وستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم عرفة ويوم عاشوراء ، كل ذلك صاحبه بالخيار ، فأما صوم الأذن فالمرأة لا تصوم قطوعاً إلا باذن زوجها ، وكذلك العبد والأمة ، وأما صوم الحرام فصوم يوم الفطر والأضحى ، وأيام التشريق ، ويوم الشك ، نهينا أن نصومه لرمضان ، وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرام ، وصوم نذر المصيبة حرام ، وصوم الدهر ، وصوم الضيف لا يصوم قطوعاً إلا باذن صاحبه ، قال رسول الله ﷺ : « من نزل على قوم فلا يصومن قطوعاً إلا بأذنهم » . وأما صوم الإباحة فمن أكل أو شرب ناسياً أجزاء صومه ، وأما صوم المريض والمسافر فقال قوم : يصوم ، وقال قوم لا يصوم ، وقال قوم إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وأما نحن فنقول : يفطر في الحالين ، فان صام في السفر والمريض فليقضه [(١)]

﴿ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ﴾

ابن هشام بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني أحد القضاة السبعة ، قيل اسمه محمد ، وقيل اسمه أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ، وله من

الأولاد والاخوة كثير ، وهو تابعي جليل ، روى عن عمار وأبي هريرة وأسامة بنت أبي بكر ، وعائشة وأُم سلمة وغيرهم ، وعنه جماعة منهم بنوه سلمة وعبد الله وعبد الملك وعمر ، ومولاه يحيى ، وعاصم الشعبي وعمر بن عبد العزيز ، وعمر بن دينار ، ومجاهد ، والزهرى . ولد فى خلافة عمر ، وكان يقال له راهب قريش ، لكثرة صلاته ، وكان مكفوطا ، وكان يصوم الدهر ، وكان من الثقة والأمانة والفقہ وصحة الرواية على جانب عظيم ، قال أبو داود : وكان قد كف وكان إذا سجد يضع يده فى طست لعة كان يجدها . والصحيح أنه مات فى هذه السنة ، وقيل فى التى قبلها ، وقيل فى التى بعدها . والله أعلم .

إ قلت : ونظم بعض الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال :-

ألا كل من لا يقتدى بأئمة * فقسسته جبرا عن الحق خارجه

نغدم عبيد الله عروة قاسم * معبد أبو بكر سليمان خارجه

وفىها توفى الفضل بن زياد الرقاشى ، أحد زهاد أهل البصرة ، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً ؛ قال : لا يلهيك الناس عن ذات نفسك ، فإن الأمر يخلص إليك دونهم ، ولا تقطع نهارك بكيت وكيت ، فإنه يحفظ عليك ما قلت . وقال : لم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لثوب قديم .

أبو سلمة أبو عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، كان أحد فقهاء المدينة ، وكان إماماً علماً ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان واسع العلم . توفى بالمدينة .

عبد الرحمن بن عائذ الأزدي ، له روايات كثيرة ، وكان علماً ، وخلف كتباً كثيرة من علمه ، روى عن جماعة من الصحابة ، وأسر يوم وقعة ابن الأشعث فأطلقه الحجاج .

عبد الرحمن بن معاوية بن خزيمة ، قاضى مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته ، كان علماً فاضلاً ، روى الحديث وعنه جماعة [^(١)]

✽ ثم دخلت سنة خمس وقسمين ✽

ففيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم ، واقتنح حصوناً كثيرة . وفيها فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة فى بلاد الروم ، ثم حرقها ثم بناها بصد ذلك بمشر سنين ، وفيها افتتح محمد بن القاسم مدينة المولينا ^(٢) من بلاد الهند ، وأخذ منها أموالاً جزيلة ، وفيها قسم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية ومعه الأموال على العجل تحمل من كثرتها ، ومعه ثلاثون ألف رأس من السبى ، وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش ، ففتح مدناً وأقاليم كثيرة ، فلما كان هناك جاءه أنظير بموت الحجاج بن يوسف قومه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مرو وتمثل بقول بعض الشعراء :

(١) زيادة من المصرية . (٢) كنا ولعلها (اللتان) .

لمعري لنعم المرء من آل جعفر * يحوران أمسى أعلقته الحبال
فان تحي لأملك حياتي وإن تمت * فاف في حياتي بدم موتك طائل

وفيه كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء ، ويعد على ذلك ويجزيه خيراً ، ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد وقتل أهل الكفر والعناد . وقد كان الحجاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، فولى الوليد الصلاة والحرب بالمصريين - بالكوفة والبصرة - يزيد بن أبي كبشة ، وولى خراجها يزيد بن مسلم ، وقيل كان الحجاج يستخلفهما على ذلك فأقرهما الوليد ، واستمر سائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه ، وكانت وفاة الحجاج خمس ، وقيل ثلاثين من رمضان ، وقيل مات في شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، قاله أبو معشر والواقدي . وفيها قتل الوضاحي بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه ، وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس .

﴿ وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي وذكر وفاته ﴾

هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مثنى بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن قبيص ، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، أبو عبد الثقفي ، سمع ابن عباس وروى عن أنس وصمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وأبي بردة بن أبي موسى ، وروى عنه أنس بن مالك ، وثابت البناني ، وحجيد الطويل ، ومالك بن دينار ، وجواد بن مجاهد ، وقتيبة بن مسلم ، وسعيد بن أبي عروبة . قال ابن عساكر ، قال : وكانت له بدمشق دور منها دار الراوية بقرب قصر ابن أبي الحديد . وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه العراق . وقدم دمشق وافداً على عبد الملك ، ثم روى من طريق المنيرة بن مسلم : سمعت أبي يقول : خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القير ، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، حتى بكى وأبكى من حوله ، ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول في خطبته : خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته : « ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر أو ذكره إلا بكى » . وهذا الحديث له شاهد في سنن أبي داود وغيره ، وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار : ثنا يسار عن جعفر عن مالك بن دينار قال : دخلت يوماً على الحجاج فقال لي : يا أبا يحيى ألا أحدثك بمحدث حسن عن رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ! قال : حدثني أبو بردة عن أبي موسى . قال قال رسول الله ﷺ : « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها في دبر صلاة مفروضة » . وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والمسند والله أعلم .

قال الشافى : سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبه دخل على امرأته وهي متخلل - أى تخلل
أسنانها لتخرج ما بينها من أذى - وكان ذلك في أول النهار ، فقال : والله لئن كنت يا كرت الغناء
إنك لرعينة دنية ، وإن كان الذى تخجلين منه شئ لى فيك من البارحة إنك لقنرة ، فطلعتها
قالت : والله ما كان شئ مما ذكرت ، ولكننى يا كرت ما تبارك من الحرمة من السواك ، فقيت شظية في
فى منه فحاولتها لأخرجها . قال المغيرة ليوسف أبى الحجاج : تزوجها فاتها غليظة بأن تأتى برجل
يسود ، فتزوجها يوسف أبو الحجاج . قال الشافى : فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها وأقمها فنام
فقبل له في النوم : ما أسرع ما أقحت بلبير .

قال ابن خلكان : واسم أمه القارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفى ، وكان زوجها الحارث
ابن كنانة الثقفى طبيب العرب ، وذكر عنه هذه الحكاية في السواك . وذكر صاحب العقد أن الحجاج
كان هو وأبوه يملكان النملان بالطائف ، ثم قدم دمشق فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك ،
فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا يتزولون لتزوله ولا يرحلون لرحيله ، فقال روح : عندى رجل
تولى ذلك ، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش ، فكان لا يتأخر أحد في التزول والرحيل ، حتى
اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون فضر بهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا روح
ذلك إلى عبد الملك ، فقال للحجاج : لم صنعت هذا ؟ قال : لم أفعله وإنما فعله أنت ، فان يدى يدك ،
وسوطى سوطك ، وما ضررك إذا أعطيت روحاً فسطاطين بدل فسطاطه ، وبديل النمل غلامين ، ولا
تكرسنى في الذى ولتني ؟ فقبل ذلك وقدم الحجاج عنده . قال : وبنى واسط في سنة أربع وثمانين ،
وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك . قال : وفي أيامه قطعت المصاحف ، وذكر في
حكايته ما يدل أنه كان أولاً يسمى كليباً ، ثم سمي الحجاج . وذكر أنه ولد ولا يخرج له حتى فتق له
مخرج ، وأنه لم يرتضع ألبماً حتى سقوه دم جدى ثم دم صالح وطلع وجهه بدمه فارتضع ، وكانت فيه
شهامة وحب لسفك الدماء ، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذى لطن به وجهه ، ويقال إن أمه هى
المنمنية لنصر بن حجاج بن علاط ، وقيل إنها أم أبيه والله أعلم . وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي
سيفه رفق ، وكان كثير قتل النفوس التى حرما الله بأذى شبة ، وكان يفضب غضب الملوك ، وكان
فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه ، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ، ولا سواء ولا
قريب . وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة سليم بن عتر التميمى قاضى مصر ، وكان من كبار التابعين .
وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالمباينة ، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم ، وكان
يغتم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها ،

والمقصود أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جلسها فاجتاز بهما سليم بن عتر هذا فنهض إليه أبو

الحجاج فسلم عليه ، وقال له : إني ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال : نعم ! تسأله أن يرزني عن القضاء . فقال : سبحان الله !! والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك . ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابنه : يا أبة أتهم إلى رجل من نجيب وأنت تقف ؟ فقال له : يا بني والله إني لأحسب أن الناس يرحمون بهذا وأمثاله . فقال : والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله ، فقال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما فيخطرونه ويخرجون عليه ويفضونه ، ولا يرون طاعته ، والله لو خلاص لي من الأمر شيء لأضرب عنق هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقياً . وهذا يدل على أن أبه كان ذا وجهة عند الخليفة ، وأنه كان ذا فراسة صحيحة ، فانه تفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك ،

قالوا : وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل في سنة أربعين ، وقيل في سنة إحدى وأربعين ، ثم نشأ شاباً ليبياً فصيحاً بليماً حافظاً للقرآن ، قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه . وقال الفاروق : ذكر سليمان بن أبي منيع عن صالح بن سليمان قال قال عقبة بن عمرو : ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا الحجاج وإياس بن معاوية ، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس . وتقدم أن عبد الملك لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بهت الحجاج إلى أخيه عبد الله بمكة فحاصره بها وأقام للناس الحج عسكراً ، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت ، ولا يمكن ابن الزبير ومن عنده من الوقوف ، ولم يزل محاصره حتى ظفريه في جهدي سنة ثلاث وسبعين ، ثم استنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم نقله إلى المراق بعد موت أخيه بشره ، فدخل الكوفة كما ذكرنا ، وقال لهم وصل بهم ما تقدم إرادته مفصلاً ، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كلمة ، وفتح فيها فتوحات كثيرة ، هائلة منشورة ، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ، ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين ، وجرت له فصول قد ذكرناها . ونحن نورد هنا أشياء أخرى مما وقع له من الأمور والجرأة والاقدام ، والتهلؤن في الأمور العظام ، مما يمدح على مثله وما ينم بقوله وفعله ، مما ساقه الحافظ ابن عساكر وغيره : فروي أبو بكر بن أبي خيشمة عن يحيى بن أبوب عن عبد الله بن كثير ابن أخي إسماعيل بن جعفر المديني ما معناه : أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجانب سعيد بن المسيب - وذلك قبل أن يلي شيئاً - فجعل يرفع قبل الامام ويقع قبله في السجود ، فلما سلم أخذ سعيد بطرف رداءه - وكان له ذكر قوله بعد الصلاة - فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد

قال له : يسارق يا خائن ، تصلى هذه الصلاة ، لقد هممت أن أضرب بهذا النمل وجهك . فلم يرد عليه
ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فصاد إلى الشام ، ثم جاء ثاقباً على الحجاز . فلما قتل ابن الزبير
كر راجعاً إلى المدينة ثاقباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب ، قصده الحجاج
فغشى الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب
سعيد صدره بيده وقال : نعم ! قال : فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً ، ما صليت بملك صلاة إلا وأنا
أذكر قولك . ثم قام ومضى . وروى الزبيني عن الأصمعي وأبي زيد عن معاذ بن العلاء - أخى
أبي عمرو بن العلاء - قال : لما قتل الحجاج ابن الزبير أرنجت مكة بالبكاء ، فأمر الناس فجمعوا في
المسجد ثم صعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه : يا أهل مكة ! بلغني إكباركم قتل ابن الزبير ،
ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة ، حتى رغب في الخلافة ونزع فيها أهلها ، فترفع طاعة
الله واستكن بحرم الله ، ولو كان شيء مانع المصاة لمنعت آدم حرمة الله ، إن الله خلقه بيده ، وفتح فيه
من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأبلى له كرامته ، وأسكنه جنه ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة
بخطيئته ، وأدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، اذكروا الله يذكركم .
وقال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ثنا عون عن أبي الصديق التاجي أن الحجاج
دخل على أسماء بنت أبي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال : إن ابنك ألد في هذا البيت ، وإن
الله أذاقه من عذاب ألم ، وقيل . قالت : كذبت ، كن براً بوالديه ، صواما قواما ، والله لقد
أخبرنا رسول الله ﷺ « أنه يخرج من قيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » .
ورواه أبو يعلى عن وهب بن بقية عن خالد عن عون عن أبي الصديق . قال : بلغني أن الحجاج دخل
على أسماء فذكر مثله ، وقال أبو يعلى : ثنا زهير ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن قيس بن
الأخف عن أسماء بنت أبي بكر . قالت : سمعت رسول الله ﷺ نهى عن المثلة . وسمعت يقول :
« يخرج من قيف رجلان كذاب ومبير » . قالت فقلت للحجاج : أما الكذاب فقد رأيتاه ، وأما
المبير فأنتم هو يا حجاج . وقال عبيد بن حميد : أنبا يزيد بن هارون أنبا العوام بن حوشب حدثني
من سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول للحجاج حين دخل عليها يمز بها في ابنها : سمعت رسول
الله ﷺ يقول : « يخرج من قيف رجلان مبير وكذاب » . فأما الكذاب فابن أبي عبيد - تعني
الختار - وأما المبير فأنتم . وتهم في صحيح مسلم من وجه آخر أوردته عند مقتل ابنها عبد الله ،
وقد رواه غير أسماء عن النبي ﷺ قال أبو يعلى : ثنا أحمد بن عمر الوكيي ثنا وكيع حدثنا أم
عراب عن امرأة يقال لها عقيلة عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله ﷺ : « في قيف
كذاب ومبير » . فترو به أبو يعلى . وقد روى الامام أحمد عن وكيع عن أم عراب - واسمها

طلحة - عن عقبة عن سلامة حديثاً آخر في الصلاة ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه ، وروى من حديث ابن عمر ، قال أبو يعلى : ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن ربيع ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال : سمعت ابن عمر « أنبأنا رسول الله ﷺ أن في تحيف مبيرا وكذابا » وأخرجه الترمذي من حديث شريك عن عبد الله بن عاصم ويقال عصمة . وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

وقال الشافعي : ثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن قانع أن ابن عمر اعتزل ليالى قتال ابن الزبير والحجاج بنى ، فكان لا يصلى مع الحجاج . وقال الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه دخل على الحجاج فلم يصلى عليه ولم يكن يصلى وراءه . وقال إسحاق بن راهويه : أنبأ جوير عن القعقاع بن الصلت قال : خطب الحجاج قال : إني ابن الزبير غير كذاب الله ، قال ابن عمر : ما سلطه الله على ذلك ، ولا أنت معه ، ولو شئت أقول : كذبت لفعلت . وروى عن شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول : الصلاة الصلاة مراراً ، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس ، فصلى الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حلك على ذلك ؟ قال : إنما نجي للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم تخفق ماشئت بعد من تخفق .

وقال الأصمعي : سمعت عبيد بن ربيعة يقول : بلغني أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم المدينة لقي شيخاً خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة ، قال : بشرٌ حال ، قتل ابن حواري رسول الله ﷺ ، قال الحجاج : ومن قتله ؟ قال : الفاجر العيين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته ، من قليل المراقبة لله . فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال : أيها الشيخ ! أتعرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال : نعم ! فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضرراً . فكشف الحجاج عن ثنائه وقال : سنملي أيها الشيخ الآن إذا سالك ذلك الساعة . فلما تحقق الشيخ الجدل قال : والله إن هذا هو العجب بالحجاج ، لو كنت ترفني ما قلت هذه المقالة ، أنا العباس بن أبي داود ، أصرع كل يوم خمس مرات ، فقال الحجاج : انطلق فلا شقي الله إلا بعد من جنونه ولا عاظه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد بن سلمة عن ابن أبي رافع عن عبد الله بن جعفر قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك : أتمكنه من ذلك ؟ قال : وما بأس من ذلك . قال : أشد الناس والله ، قال : كيف ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما في صدري على آل الزبير منذ تزوجت^(١) رمة بنت الزبير ، قال : وكأنه كان تماماً فأقطعه ، فكتب إلى الحجاج يعزم عليه بطلاقها فطلقها . وقال سعيد بن أبي عروبة : حج الحجاج مرة فربى بين مكة والمدينة فأبى بفنائمه فقال للحججه :

(١) كنا بالأمس والظاهر أن في مواضع من هذا الخبر تحريفاً .

انظر من يأكل ممي ، فذهب فاذا أعرابي قائم فصر به برجله وقال : أجب الأمير ، فقام فلما دخل على الحاجب قال له : اغسل يديك ثم قدم ممي ، فقال : إنه دعاني من هو خير منك ، قال : ومن ؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجيبته ، قال : في هذا الحر الشديد ؟ قال : نعم صمت ليوم هو أشد حرًا منه ، قال : فأفطر وصم غدا ، قال : إن ضمننت لي البقاء لند . قال : ليس ذلك لي ، قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه ؟ قال : إن طامنا طعام طيب ، قال : لم تطيبه أنت ولا الطبايح ، إنما طيبته العافية

فصل

قد ذكرنا كيفية دخول الحاجب الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته لإمام بنته ، ونهديه ووعيده لإمام ، وأنهم خافوه مخافة شديدة ، وأنه قتل عمر بن ضابي ، وكنك قتل كيل بن زياد صبراً ، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدمنا ، ثم تسلط على من كان معه من الرؤساء والأشراف والبياد والقراء ، حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير . قال القاضي المافى زكريا : ثنا أحمد بن محمد بن سعد الكلبي ثنا محمد بن زكريا التلاني ثنا محمد - يعني ابن عبد الله بن عباس - عن عطاء - يعني ابن مصعب - عن عاصم قال : خطب الحاجب أهل العراق بعد دير الجاهم ، فقال : يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم غائط اللحم والدم ، والمصعب والمسمع ، والأطراف ، ثم أفضى إلى الاستماع والأفغان ، والأشباح والأرواح ، ثم ارتفع فضش ، ثم ياض وفرغ ، ثم دب وهزج ، فشاكم فقاكاً وشقاكاً ، وأشركم خلافاً ، اتخذتموه دليلاً تتبعونه ، وقائماً تطيعونه ، ومؤتمناً تشاورونه وتستأمرونه ، فكيف تنفكم فجرة ، أو ينفعكم بيان ؟ ألسن أصحابي بالأهواز حيث منيتم المكر واجتمعتم على القدر ، واتفتم على الكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلقه ، وأنا والله أرميكم بطرفي وأنتم تتسلون لواذاً ، وتهزمون سراعاً . ويوم الزاوية وما يوم الزاوية ، مما كان من فشلكم وتنازعكم وفخاذهكم وبراءة الله منكم ، ونكوس قلوبكم إذ وليتم كالأبل الشاردة عن أوطانها النوازع ، لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيته ، حين عضكم السلاح ، ونضضكم الزماح . ويوم دير الجاهم وما يوم دير الجاهم ، بها كانت المملوك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله ، ويهمل الخليل عن خليله . يا أهل العراق يا أهل الكفران بعد الفجران ، والندران بعد الخذلان ، والتزوة بعد التزوات ، إن بشتاكم إلى نفوركم غلام وختم ، وإن أنتم أرجتم ، وإن ختم فاهتم ، لا تذكرن نسبة ، ولا تشكرن مروقاً ، ما استخفكم ناكث ، ولا استغواكم غلو ، ولا استنقذكم طامس ، ولا استنصركم ظلم ، ولا استمضدكم خالع ، إلا ليبيتم دعوته ، وأجبت صيحته ، وفترتم إليه خفافاً وهتلاً ، وفرساتاً ورجلاً . يا أهل العراق هل شغب شاذب ، أو نسب ناعب ، أو زفر زافر

إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل المراق ألم تنفعكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟ ألم يشدوا الله عليكم وطأته، وينفكم حر سيفه، وأليم بأسه ومثلاته؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام إنما أنالكم كالظلم الزامح عن فراخه ينق عنقها القنفر، ويواعد عنها الحجر، ويكنها من المطر، ويمحيها من الضباب، ويحرسها من القلب. يا أهل الشام! أنتم الجنة والبرد، وأنتم الملاحة والجلد، أنتم الأولياء والأنصار، والشمار والفقار، بكم ينب عن البيضة والحوفة، وبكم ترمى كتابت الأعداء ويهزم من عاتد وتولى.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي سمعت شيخاً من قریش يكنى أبا بكر التميمي قال: كان الحجاج يقول في خطبته - وكان لسنا -: إن الله خلق آدم وذريته من الأرض فأشامهم على ظهريها، فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وحتكوها بالساحى والمرو، ثم أдал الله الأرض منهم فردهم إليها فأكلت لحومهم كأكلوا ثمارها، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها، وقطعتهم في جوفها وقرقت أوصالهم كما حتكوها بالساحى والمرو.

ومارواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ: الرجل وكلكم ذاك الرجل ورجل خطم نفسه وزمها قتادها بظلمها إلى طاعة الله، وكفها بزمامها عن معاصي الله، ورحم الله امرأاً رد نفسه، امرأاً اتهم نفسه، امرأاً اتخذ نفسه عدوة، امرأاً حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرأاً نظر إلى ميزانه، امرأاً نظر إلى حسابه، امرأاً وزن عمله، امرأاً فكر فيما يقرأ غداً في صحيفته وراه في ميزانه، وكان عند قلبه زاجراً، وعند حمة امرأاً، امرأاً أخذ بئنان عمله كما يأخذ بئنان عمله، فان قاده إلى طاعة الله تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كف، امرأاً عقل عن الله أمره، امرأاً فاق واستفاد، وأبغض المعاصي والتفلق، وكان إلى ماعنه الله بالأشواق. فازال يقول امرأاً امرأاً، حتى بكى ملك بن دينار.

[وقال المدائني عن عوانة بن الحكم قال قال الشعبي: سمعت الحجاج تكلم بكلام ماسبقه إليه أحد، يقول: أما بعد فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء، فلا يفرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقهرها طول الأمل بقصر الأجل] (١) وقال المدائني عن أبي عبد الله الثقفى عن عمه قال: سمعت الحسن البصرى يقول: وقد نبتى كلمة سمعتها من الحجاج سمعتها يقول على هذه الأعواد: إن امرأاً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لخرى أن تطول عليها حسرتة إلى يوم القيامة. وقال شريك القاضي عن عبد الملك بن عمير قال قال الحجاج يوماً: من كان له بلاه أعطيناه على قدره، فقام رجل فقال:

اعطني فاني قتلت الحسين ، فقال : وكيف قتله ؟ قال : دسرت بالرمح دسرا ، وهبرته بالسيف هبرا ،
 وناشرت ممي في قله أحدا . فقال : اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد ، ولم يعطه
 شيئا . وقال الهيثم بن عدي : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخى خرج مع ابن الأشعث فضرب
 على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد خدمت داري ، فقال الحجاج ، أما سمعت قول الشاعر :

حنانيك من نجني عليك وقد * تصدى الصالح مبارك الجرب
 ولرب مأخوذ بنذنب قريبه * ونجيا المقاروف صاحب الذنب ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا ، وقول الله أشد من هذا ، قال :
 وما قال ؟ قال (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيئا كبيرا فخذ أحدا مكانه إنا نراك من المحسنين ، قال
 مناد الله أن تأخذ إلانا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون) قال : يا غلام أعد اسمي في الديوان
 وابن داره ، واعطه عطاءه ، ومر مناديا ينادي صدق الله وكذب الشاعر . وقال الهيثم بن عدي عن
 ابن عباس : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إلى رأس أسلم بن عبد البركي ، لما بلغني عنه ،
 فأخضره الحجاج فقال : أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى (يا أيها
 الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وما
 بلغه باطل ، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيري وهن بالباب ، فأمر الحجاج
 باحضارهن ، فلما حضرن جلست هنه تقول : أنا خالته ، وهذه أنا عمتي ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا
 زوجته ، وهذه أنا بنته ، وتقدمت إليه جارية فوق الثاب ودون العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟
 فقالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أصلح الله الأمير ، وجئت على ركبتيها وقالت : -

أحجاج لم تشهد مقام بناته * وعماته يندبته الليل أجما
 أحجاج كم قتل به إن قتله * ثمانا وعشرا واقتنين وأربما
 أحجاج من هنا يقوم مقامه * علينا فهلا إن تردنا تضعضا
 أحجاج إما أن نجود بنعمة * علينا ولما أن تهنلنا معا

قال : فبكى الحجاج وقال : والله لا أعنت عليكن ولا زدكن تضعضا ، ثم كتب إلى عبد الملك
 بما قال الرجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صلته
 وبالإحسان إلى هذه الجارية وتقصدها في كل وقت . وقيل إن الحجاج خطب يوما فقال : أيها الناس
 الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل فقال له : ويحك يا حجاج
 ما أصق وجهك وأقل حيائك ، فصل ما فصل وتقول مثل هذا الكلام ؟ حيث وصل سميك ، فقال
 للحرس خنوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما أتى جرأك على ؟ فقال : ويحك يا حجاج ، أنت

تجترئ على الله ولا أجترئ أنا عليك ، ومن أنت حتى لا أجترئ عليك ، وأنت تجترئ على الله رب العالمين ، قال : خلو سبيله ، فأطلق

وقال المدائني : أتى الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلها ، قال أحدهما : إن لي عندك يداً ، قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث وما أمك فرددت عليه ، قال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا ، فسأله قال : نعم ، قال : ما منك أن تقتل كما فعل ؟ قال : بفضك ، قال اطلقوا هذا لصديقه ، وهذا فضله . فأطلقوها . وذكر محمد بن زياد عن ابن الأعرابي فيها بلغه أنه كان رجل من بني خزيمة يقال له جعد بن مالك وكان فاشكاً بأرض البصرة ، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤنبه ويؤمره على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبث به إلى الحجاج ، قال له الحجاج : ما حلك على ما كنت تصنع ؟ قال : جرأة الجنان ، وجفاء السلطان ، وكلب الزمان ، ولو اخترتني الأمير لوجدتني من صالح الأعوان ، وشهم الفرسان ، ولو جددتني من أصلح رعيته ، وذلك أني ما لقيت فارساً قط إلا كنت عليه في نفسى مقتدراً ، فقال له الحجاج : إنا قاذفوك في حائر فيه أسد عاقر ظن قتلك كتماناً موتك ، وإن قتلتك خلتنا سبيلك . ثم أودعه السجن مقيداً منقولة يده اليمنى إلى عنقه ، وكتب الحجاج إلى نائبه بكسر أن يبعث بأسد عظيم ضار ، وقد قال جعد هذا في محبسه هذا أشعاراً يتحزن فيها على أمراته سليبي أم عمرو ويقول في بعضها :

أليس الليل يجمع أم عمرو * وإينا فذاك بنا تداني
بلى وترى الهلال كما نراه * ويلوها التهار إذا علاقي
إذا جلوزتما فخلات نجد * وأودية البصرة فأنصاتي
وقولا جعد أمسى رهينا * يحاذر وقع مصقول يماقي

فما قدم الأسد على الحجاج أمر به فجرح ثلاثة أيام ، ثم أبرز إلى حائر - وهو البستان - وأمر بمجدهر فأخرج في قيوده ويده اليمنى منقولة بمحلمها ، وأعطى سيفاً في يده اليسرى وخلي بينه وبين الأسد وجلس الحجاج وأصحابه في منظره ، وأقبل جعد نحو الأسد وهو يقول :

ليث وليث في مجال ضنك * كلاهما ذو أنف وعك
وشدة في نفسه وقتك * إن يكشف الله قتاع الشك
فهو أحق منزل بترك *

فما نظر إليه الأسد رآه زارة شديدة وتمطى وأقبل نحوه فلما صار منه على قدر رمح وثب الأسد على جعد وثبة شديدة فقتله جعد بالسيف فضر به ضربة خالط ذهاب السيف لهواته ، فخر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح ، من شدة الضربة ، وسقط جعد من شدة وثبة الأسد وشدة موضع

القيود عليه ، فكبر الحجاج وكبر أصحابه وأشار جحر يقول :

يا جمل إنك لو رأيت كربتي * في يوم هول مسدود ومحاج
وقدنى لبيت أرسف موهماً * كما أساوره على الأخراج
شئن برائته كأن نبوه * زرق الملول أو شبة زجاج
يسمونافرتين تحسب فيهما * لها أحدهما شمع سراج
وكانما خيلت عليه عبادة * برقاء أو خرقة من الديباج
لمست أنى فوحاظ ملجدة * من نسل أقوام ذوى ابراج

فند ذلك خير الحجاج إن شاء أقام عنده ، وإن شاء انطلق إلى بلاده ، فاختار المقام عند الحجاج ، فأحسن جائزته وأعطاه أموالاً . وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله ﷺ لأنه ابن بنته ، وقال له يحيى بن يعمر : كذبت أقوال الحجاج : لتأثني على ما قلت بينه من كتاب الله أو لأضرب عنقك ، فقال قال الله (ومن ذريته داود وسليمان) إلى قوله (وزكريا ويحيى وعيسى) فيسى من ذرية إبراهيم ، وهو إنما ينسب إلى أمه مريم ، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ . فقال الحجاج : صدقت ، وفاد إلى خراسان .

وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر ، منها أنه كان يبذل إن المكسورة بأن المفتوحة وعكسه ، وكان يقرأ (قل إن كان آؤؤكم وأبؤؤكم) إلى قوله (أحب إليكم) فيقرأها برفع أحب . وقال الأصمعي وغيره : كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد ، فقال للرسول : أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال : نعم ! فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم ففعل ، وأما غداً فأمل . وقال ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى . قال : لما قتل الحجاج ابن الأشعث وصفت له العراق ، وسع على الناس في المطاء ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تتفق في اليوم مالا ينقعه أمير المؤمنين في الأسبوع وتتفق في الأسبوع مالا ينقعه أمير المؤمنين في الشهر ، ثم قال مشدداً :

عليك بتقوى الله في الأمر كله • وكن يا عبيد الله نخشى وتضرع
ووفر خراج المسلمين وفيأهم • وكن لهم حصناً يجير وتنع
فكتب إليه الحجاج :

لمرى قد جاء الرسول بكتبكم • قراطيس عملا ثم تطوى فتقطع
كتب أنالى فيه لبن وغلظة • وذكرت والذكرى قلى الب تنفع

وكانت أمور تترين كثيرة • فأرضخ أو اعتل حيناً فامنع
إذا كنت سوطاً من عذاب عليهم • ولم يك عندي بالنافع مطع
أرضى بذلك الناس أو يستظونه • أم أحد فيهم أم ألام فأقنع
وكان بلاد جنتها حين جنتها • بها كل نيران المداوة تلع
قاسيت منها ما علمت ولم أزل • أصارع حتى كدت بالموت أصرع
وكم أرجفوا من رجعة قد سمعنا • ولو كان غيري طار بما يروع
وكننت إذا هموا بأحدى نهاهم • حسرت لهم رأسي ولا أتقنع
فلو لم يند عنى صناديد منهم • قسم أعضائي ذئلب وأضبع

قال : فكتب إليه عبد الملك : أن اعمل برأيك . وقال الثوري عن محمد بن المستورد الجمي
قال : أتى الحجاج بسارق فقال له : لقد كنت غنياً أن تكسب جناية فيؤتى بك إلى الحاكم فيبطل
عليك عضواً من أعضائك ، فقال الرجل : إذا قل ذات اليد سخت النفس بالنافع . قال : صدقت
والله لو كان حسن اعتدائي بطل حداً لكنت له موضعاً ، يا غلام سيف صارم ورجل قاطع ، قطع
يده . وقال أبو بكر بن مجاهد عن محمد بن الجهم عن الفراء قال : تئدى الحجاج يوماً مع الوليد بن
عبد الملك فلما انتهى غداً زهما دله الوليد إلى شرب النبيذ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين الخلال ما أحلت ،
ولكني أتى عنه أهل العراق وأهل على ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح (وما أريد أن
أخالفكم إلى ما أنتم لكم عنه) . وقال عمر بن شبة عن أشيلخه قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج يستب
عليه في إسراره في صرف الأموال ، وسفك الفداء ، ويقول : إنما المال مال الله ونحن خزائنه ، وسيان
منع حتى أو إعطاء باطل ، وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات :-

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها • وتطلب رضائي ألقى أنا طالبه
وقضى ألقى بخشه مثلك هارباً • إلى الله منه ضيع المرحاله
فإن تر منى غفلة قرشية • فياربما قد غص بالماء شاربه
وإن تر منى وثية أموية • فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تمد ما يأتيك منى فإن تمد • تم فاعلمن يوماً عليك نوابه

فلما قرأه الحجاج كتب : أما بعد قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الأموال ،

(١) ما يسمى في هذا العصر نبيذاً هو الخمر المحض ، وهو غير ما كان يسمى سلفنا نبيذاً . والنبيذ
عندهم هو الخمر أو الزبيب يترك عليه الماء ويسمونه بسد ذلك نبيذاً سواء أسكر أو لم يسكر . وفي
كنا الخاتين فانه أشبه بصير القصب اليوم إن لم يكن دونه .

والعلماء ، فوالله ما بلغت في عقوبة أهل المنصية ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فان كان ذلك سرقة
فليجده لي أمير المؤمنين حداً انتهى إليه ولا أنجلوزه ، وكتب في أسفل الكتاب :
إذا أنا لم أطلب رضاك وأنتي * أذاك فيومي لا توارث كواكبه
إذا تارف الحجاج فيك خطيئة * قتلت عليه في الصباح نواديه
أسلم من سالت من ذي هودة * ومن لا تسله فاني محاربة
إذا أنا لم أذن الشفيق لنصحه * وأقص القتي تسرى إلى عقاربه
فمن يتقي يومي ويرجو إذا غدى * على ما أرى والدهر جم عجائبه
وعن الشافعي أنه قال قال الوليد بن عبد الملك للغازي ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه :
هل يجحد في نفسه مما أصاب من الدنيا شيئاً ؟ فسأله كما أمره ، فقال : والله ما أحب أن لي لبنان
أوسبير ذهباً أفقه في سبيل الله مكان ما أبلاني الله من الطاعة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فصل ﴾

(فيما روى عنه من الكلمات النافذة والجرازة البالغة)

قال أبو دوداد : ثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر عن عاصم قال سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول :
أفتو الله ما استظمت ، ليس فيها مثنوية ، وامنموا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمر المؤمنين عبد الملك ،
والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم ،
والله لو أخذت ربيعة بمضرك لكان ذلك لي من الله حلالاً ، وما عذيري من عبد هذيل يزعم أن قرأته
من عند الله ، والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب ما أنزلنا الله على نبيه ﷺ ، وعذيري من هذه
الحجرات ، يزعم أحدهم يرى بالحجر فيقول لي إن تقع الحجر حدث أمر ، فوالله لأدعنهم كالأمس
الهابر . قال : فذكرته للأعشى فقال : وأنا والله سمعته منه . ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة عن محمد بن
يزيد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود والأعشى أنهما سمعا الحجاج قبحه الله يقول
ذلك ، وفيه والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلت لي دماؤكم ، ولا
أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ، ولا حكنها من المصحف ولو بضلع خنزير .
ورواه غير واحد عن أبي بكر بن عياش بنحوه ، وفي بعض الروايات : والله لو أدركت عبد هذيل
لأضرب عنقه . وهذا من جرازة الحجاج قبحه الله ، وإقدامه على الكلام السيئ ، واللعن الحرام .
وإنما تم على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لكونه خالف القراءة على المصحف الأمام الذي يجمع
الناس عليه عثمان ، والظاهر أن ابن مسعود رجع إلى قول عثمان ومواقفه والله أعلم

وقال علي بن عبد الله بن مبشر عن عباس الثوري عن مسلم بن إبراهيم : ثنا الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المناقطين ، لو أدركته لأتيت الأرض من دمه . قال وسمعت علي منبر واسط وتلا هذه الآية (هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) قال : والله أن كان سليمان لحسوداً . وهذه جرأة عظيمة تخفى به إلى الكفر : قبحه الله وأنزاه ، وأبعد وأقصاه .

[قال أبو نعيم : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة . قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني جئتكم من عند رجل بعلى المصاحف عن ظهر قلب ، فزعر عمر وغضب وقال : ويحك ، انظر ما تقول . قال : ما جئتكم إلا بالحق ، قال : من هو ؟ قال : عبد الله بن مسعود . قال : ما أعلم أحداً أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك . « إنا سهرنا ليلة في بيت عند أبي بكر في بعض ما يكون من حاجة النبي ﷺ ثم خرجنا ورسول الله ﷺ يمشي بيني وبين أبي بكر ، فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ مقام النبي ﷺ يستمع إليه ، قلت : يا رسول الله أعمت ، ففمزت يديه - يعني أسكت - قال : قرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر ، قال النبي ﷺ : سل ففعلت (١) ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، فقلت أنا وصاحبي أنه عبد الله بن مسعود ، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره فقال : سبقك بها أبو بكر ، وما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه » وهذا الحديث قد روى من طرق ، فرواه حبيب بن حسان عن زيد بن وهب عن عمر مثله ، ورواه شعبة وزهير وخديج عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ، ورواه عاصم عن عبد الله ، ورواه الثوري وزائدة عن الأعمش نحوه . وقال أبو داود : حدثنا عمر بن ثابت عن أبي إسحاق عن حمير بن مالك قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « أخلفت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي مع الصبيان ، فأنا لا أدع ما أخلفت من في رسول الله ﷺ » . وقد رواه الثوري وإسرافيل عن أبي إسحاق به . وفي رواية ذكرها الطبراني عنه قال : « لقد تلقيت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة أحكمها قبل أن يسلم زيد بن ثابت ، وله ذؤابة يلعب مع الغلمان » . وقد روى أبو داود عنه وذكر قصة رعيه للثمن لقبة بن أبي معيط ، وأنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إنك غلام معلم » قال : فأخلفت من فيه سبعين سورة ما يتازعني فيها أحد . ورواه أبو أيوب الأفرقي وأبو عوانة عن عاصم عن زرعه نحوه . وقال له النبي ﷺ : « إني أنزلت عليك الحجاب وأن تسمع سوادى حتى أتيتك » . وقد روى هذا عنه من طرق .

وروى الطبراني عن عبد الله بن شداد بن المهدي أن عبد الله كان صاحب الوساد والساد والسادك

(١) هذا الخبر في الاستيعاب لابن عبد البر ، ولكنه اختصر هذا الموضع منه .

والنعملين . وروى غيره عن علقمة قال : قلت للشام فجلست إلى أبي الهرداء فقال لي : بمن أنت ؟
 قلت : من أهل الكوفة ، قال : أليس فيكم صاحب الوساد والساوك ؟ وقال الحارث بن أبي أسامة :
 حدثنا عبد العزيز بن أبيان حدثنا قطر بن خليفة حدثنا أبو وائل قال سمعت حذيفة يقول ، وابن
 مسعود قائم : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ ، من أقربهم وسيلة يوم القيامة . وقد روى
 هذا عن حذيفة من طرق ، فرواه شعبة عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة ورواه عن أبي
 وائل فاضل الأحلب وجامع بن أبي راشد ، وعبيدة ، وأبو سنان الشيباني ، وحكيم بن جبير ، ورواه
 عبد الرحمن بن يزيد عن حذيفة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن زيد
 يقول : قلنا لحذيفة أخبرنا برجل قريب الهدى والسمت من رسول الله ﷺ حتى نلزمه ، فقال :
 ما أعلم أحداً أقرب هدياً وسمتاً من رسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد ، ولقد علم
 المحفوظون من أصحاب النبي ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله وسيلة . قلت : فهذا حذيفة بن اليمان
 صاحب سر رسول الله ﷺ ، وهذا قوله في عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . فكذب الحجاج وغيره ،
 ولقم النار والحجر فيما يقوله فيه ، وفي ربه له بالنفاق ، وفي قوله عن قراءته : إنها شعر من شعر هذيل ،
 وإنه لابد أن يحكمك من المصحف ولو بضلع خنزير ، وأنه لو أدركه لضرب عنقه ، لحصل على إثم
 ذلك كله بئسنة الخبيثة . وقال عفان : حدثنا حماد حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال : كنت
 أجنى لرسول الله ﷺ سواكاً من أراك ، فكانت الريح تكفوه ، وكان في ساقه دقة ، فضحك
 القوم ، قال النبي ﷺ : « ما يضحكم ؟ » قالوا : من دقة ساقه ، قال النبي ﷺ : والذي نفسي
 بيده لما أنقل في الميزان من أحد . ورواه جرير وعلي بن عاصم عن منيرة عن أم موسى عن
 علي بن أبي طالب . وروى سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :
 « تمسكوا بهد عبد الله بن أم مسعود » ورواه الترمذي والطبراني .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق . قال : سمعت أبا الأحوص
 قال : شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين توفي ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه : أتراه ترك بعده
 مثله . قال : إن قلت ذلك إنه كان ليؤذن له إذا حجينا ، ويشهد إذا غبنا . وقال الأعشى : يعني
 عبد الله بن مسعود . وقال أبو معاوية : حدثنا الأعشى عن زيد بن وهب . قال : أقبل عبد الله بن
 مسعود ذات يوم وعمر جالس فقال : كيف ملّتها . وقال عمر بن حفص : حدثنا عاصم بن علي
 حدثنا السعدي عن أبي حصين عن أبي عطية أن أبا موسى الأشعري قال : لاسألونا عن شيء
 مادام هذا الخبر بين أظهرنا من أصحاب محمد ﷺ . يعني ابن مسعود . وروى جرير عن الأعشى

عن عمرو بن عروة عن أبي البختری قال : قالوا لعلی : حدثنا عن أصحاب محمد ﷺ ، قال : عن أبيهم ؟ قالوا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة ثم انتهى ، وكفى بذلك علما . وفي رواية عن علي قال : علم القرآن ثم وقف عنده وكفى به . فهذان الصحابة العالمان به ، الماروفان بما كان عليه ، فهم أولى بالإتباع وأصدق أقوالاً من أصحاب الأهواء الحائذين عن الحق ، بل أقوال الحجاج وغيره من أهل الأهواء : هنيئات وكنب واقتراء ، وبعضها كفر وزندقة ، فإن الحجاج كان غفانياً أموياً ، يميل إليهم ميلاً عظيماً . ويرى أن خلافهم كفر . ويستحل بذلك البغاء ، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم ^(١) .

ومن الطامات أيضاً ما رواه أبو داود : ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا جرير . وحدثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن المنيرة عن بُزيع بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ؟ قلت في نفسي : لله علي أن لا أصلي خلفك صلاة أبداً ، وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأجاهدوك معهم . زاد إسحاق قتال في الجمجم حتى قتل . فإن صح هنا عنه فظاهره كفر . وإن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول . وقال الأصمعي : ثنا أبو عاصم النبيل ثنا أبو حفص الثقفی قال : خطب الحجاج يوماً فأقبل عن يمينه قال : ألا إن الحجاج كافر ، ثم أطرقت قال : إن الحجاج كافر ، ثم أطرقت فأقبل عن يساره قال : ألا إن الحجاج كافر ، فمل ذلك مراراً ، ثم قال : كافر يا أهل العراق باللات والزمزى . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة ثنا ابن شاذب عن مالك بن دينار قال : بينا الحجاج يخطبنا يوماً إذ قال : الحجاج كافر ، قلنا : ماله ؟ أي شيء يريد ؟ قال : الحجاج كافر بيوم الأربعماء والبطنة الشهباء . وقال الأصمعي قال عبد الملك يوماً للحجاج : ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ، فصف عيب نفسك ، قال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فأني ، قال : أنا لجوج حقود حسود ، قال عبد الملك : مافي الشيطان شر مما ذكرت . وفي رواية أنه قال : إذا بينك وبين إبليس نسب .

وبالجملة قد كان الحجاج قسمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة ، ونخذلاتهم لهم ، وعصيانهم ، ومخالفتهم ، والافتقار إليهم ، قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن شريح بن عبيد عن حدثه قال : جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب فأخبره أن أهل العراق حصبوا أميرهم فخرج غضبان ، فصلى لنا صلاة فسها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : من ههنا من أهل الشام ؟

قام رجل ثم قام آخر ثم قتا أنا ثالثا أو رابعا ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ ، اللهم انهم قد لبسوا عليهم ثالبس عليهم وعجل عليهم بالسلام التقي ، يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم . وقد رويانه في كتاب مسند عمر بن الخطاب من طريق أبي عذبة الحمصي عن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن الحسن قال علي بن أبي طالب : اللهم كما اتئمتهم غفاتي ، ونصحت لهم فنشوت عليهم فتي قهيف الليل الميال ، يا كل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية . قال يقول الحسن : وما خلق الحاجاج يومئذ . ورواه معتمر بن سليمان عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أوس بن الحدثان عن علي أنه قال : الشاب الليل أمير المصريين يلبس فروتها ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه الفرق ، ويكثر منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته .

وقال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي : ثنا سعيد بن مسعود : ثنا يزيد بن هارون أنبا العوام بن حوشب حدثني حبيب بن أبي ثابت . قال قال علي لرجل : لامت حتى تترك فتي قهيف ، قال : وما فتي قهيف ؟ قال : ليقال له يوم القيامة : اكفنا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة ، أو بضعا وعشرين سنة ، لا يدع لله مصيبة إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا مصيبة واحدة ، وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل بمن أطاعه من عصابه . وقال الطبراني : حدثنا القاسم بن زكريا ثنا إسماعيل بن موسى السدوسي ثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي عن أم حكيم بنت عمر بن سنان الجديلة قالت : استأذن الأشعث بن قيس على علي فردده فغير فأدعى أنه فخرج على قتال : مالك وله يا أشعث ، أما والله لو بسد قهيف تحرشت لأقشمت شعيرات استك ، قيل له : يا أمير المؤمنين ومن عبد قهيف ؟ قال : غلام يلهم لا يبق أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلا ، قيل كم يملك ؟ قال عشرين إن بلغ . وقال البيهقي أنبا الحاكم أنبا الحسن بن الحسن بن أيوب ثنا أبو حاتم الرازي ثنا عبد الله بن يوسف التنيسي ثنا ابن يحيى النافق . قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابقت الأمم فجات كل أمة بجنيئها ، وجئنا بالحجاج لقلبنام . وقال أبو بكر بن عيلش : عن عاصم بن أبي النجود أنه قال : ما بقيت لله عز وجل حرمة إلا وقد ارتكبها الحاجاج .

وقد تقدم الحديث « إن في قهيف كذبا ومبيرا » وكان المختار هو الكتاب المذكور في هذا الحديث ، وقد كان يظهر الرضى أولا ويعلن الكفر المحض ، وأما البير فهو الحاجاج بن يوسف هذا ، وقد كان ناصبيا ينضى عليها وشيعته في هوى آل مروان بن أمية ، وكان جبلا غليظا ، مقدما على سفك الدماء بأذى شبهة . وقد روى عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدمنا . فإن كان

قد تآب منها وأقلع عنها ، وإلا فهو يلق في عيبتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فإن الشيعة كانوا ينفضونه جداً لوجوه ، وربما حرفوا عليه بمض الكلم . وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعلت وشناعلت .

وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلغخ بالفروج ، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء فآله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسائرهما ، وخفيات الصدور وضائرها :

[قلت : الحجاج أعظم ما تهم عليه وصح من أضالته سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل ، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه ساحة باعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطى على القرآن كثيراً ، ولما مات لم يترك فيها قيل إلا ثلاثمائة درهم . والله أعلم .] ^(١)

وقال المعافى بن زكريا الجري المروفي بآب طرار البغدادي : ثنا محمد بن القاسم الانباري ثنا أبي ثنا أحمد بن عبيد ثنا هشام أبو محمد بن السائب الكلبي ثنا عوانة بن الحكم الكلبي . قال : دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له إيه يا أنيس ، يوم لك مع علي ، ويوم لك مع ابن الزبير ، ويوم لك مع ابن الأشعث ، والله لأستأصلنك كما تستأصل النشاة ، ولأدمغتنك كما تمغ الصمغة . فقال أنس : إياي يعني الأمير أصلحه الله ؟ قال : إياك أعنى صك الله سمحك . قال أنس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لولا الصبية الصغار ما لبت أي قتلة قتلت ، ولا أي ميتة مت ، ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج ، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضباً ، وشفق عجباً ، وقاضم خلك من الحجاج ، وكان كتاب أنس إلى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك ، أما بعد : فإن الحجاج قال لي هجرآ ، وأسمعتي نكرآ ، ولم أكن لتلك أهلاً ، فغلى على يديه ، فاني أمت بخمسة رسول الله ﷺ وصحبتني إليه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فبعث عبد الملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - وكان مصادفاً للحجاج - فقال له : دونك كتابي هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق ، وأبدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ فارفع كتابي إليه وأبلغه مني السلام ، وقل له : يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجاج الملعون كتاباً إذا قرأه كان أطروح لك من أمثك ، وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ،

أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكايك الحجاج ، وما سلطت عليك ولا أمرته
بالإساءة إليك ، فإن عاد لثقلها أكتب إلى بنك أنزل به عقوبتي ، ونحسن لك معونتي . والسلام .
فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأخبر رسالته قال : جرى الله أمير المؤمنين عني خيراً ، وعافاه
وكفاه وكافاه بالجنة ، فهنا كان ظني به والرجاء منه . فقال إسماعيل بن عبيد الله لأنس : يا أبا حمزة
إن الحجاج علم أمير المؤمنين ، وليس بك عنه غنى ، ولا بأهل بيتك ، ولو جعل لك في جامعة ثم دفع
إليك ، وقار به وداره تمش معه بخير وسلام . فقال أنس : أقبل إن شاء الله . ثم خرج إسماعيل من
عند أنس فدخل على الحجاج ، فقال الحجاج : مرحباً برجل أحبه وكنت أحب لقاءه ، فقال إسماعيل :
أنا والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به ، فتخير لون الحجاج وخاف وقال : ما أتيتني به ؟ قال :
فارتت أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضبا عليك ، ومنك بعداً ، قال : فاستوى الحجاج جالساً
مرعوباً ، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويغرق ، وينظر إلى إسماعيل
أخرى ، فلما فضه قال : قم بنا إلى أبي حمزة نمتنع إليه ونرضاه ، فقال له إسماعيل : لا تعجل ! فقال :
كيف لا أعجل وقد أتيتني بأبدة ؟ وكان في الطومار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد
فإنك عبد طمعت بك الأمور ، فسموت فيها وعدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، وركبت داهية
إذا ، وأردت أن تبدولي فإن سوغتكها مضيت قدما ، وإن لم أسوغها رجعت القهقري ، فلعنك
الله من عبد أخشع العينين ، منقوص الجاعرين . أنسيت مكاسب أبائك بالطائف ، وحزمت الأكار ،
وقلهم الصخور على ظهورهم في المنهل ، يا ابن المستفربة بمجم الزبيب ، والله لا أغرنك غمر اليبث
التملب ، والصقر الأرنب . وثبت على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، فلم تقبل له
إحسانه ، ولم تتجاوز له عن إساءته ، جرأة منك على الرب عز وجل ، واستخفاف منك بالهدى ، والله
لو أن اليهود والنصارى رأيت رجلاً ختم عزير بن عزري ، وعيسى بن مريم ، لعظمته وشرفه وأكرمه
وأحبته ، بل لو رأوا من خدم حمار العزيز أو خدم حوارى المسيح لعظمته وأكرموه ، فكيف وهذا
أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فماتى سنين ، يظلمه على سره ، ويشاوره في أمره ، ثم هومع
هذا بقية من بقايا أصحابه ، فلما قرأت كتابي هذا فكن أطوع له من خه وفعله ، وإلا أنك منى سهم
بكل حنف قاض ، ولكل نبأ مستقر وسوف تظلمون . وقد تكلم ابن طرار على ما وقع في هذا الكتاب
من الغريب ، وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة الفقه والله أعلم .

وقال الامام أحمد : ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الزبير - يعني ابن عدي - قال :
أتينا أنس بن مالك [نشكو إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : « اصبروا فإنه لا يأتي عليكم علم أوزيمان

أو يوم إلا والذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم عز وجل ، سمعته من نبيكم ﷺ ، وهذا رواه البخاري عن محمد بن يوسف عن سفيان وهو الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » الحديث . قلت : ومن الناس من يروى هذا الحديث بالمعنى فيقول : كل عام تزدلون . وهذا اللفظ لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم .

قلت : قد مر في مرة من كلام عائشة مرفوعاً وموقوفاً : كل يوم تزدلون . ورأيت للامام أحمد كلاماً قال فيه : وروى في الحديث كل يوم تزدلون نسباً حيثنا . فيحتمل هذا أنه وقع للامام أحمد مرفوعاً ، ومثل أحمد لا يقول هذا إلا عن أصل ، وقد روى عن الحسن مثل ذلك ، والله أعلم . فدل على أن له أصلاً إما مرفوعاً وإما من كلام السلف ، لم يزل يقتنوا له الناس قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، حتى وصل إلى هذه الأزمان ، وهو موجود في كل يوم ، بل في كل ساعة تفوح رائحته ، ولا سيما من بعد فتنة تمر لك ، وإلى الآن نجد الرذالة في كل شيء ، وهذا ظاهر لمن تأمله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد قال سفيان الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي . قال : يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج . وقال أبو نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر . قال قال الشعبي : والله لئن بقيتم لتمتنوا الحجاج . وقال الأصمعي : قيل للحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول ، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج . فقال الحسن : لا بد للناس من تنفيسات .

وقال ميمون بن مهران : بمث الحجاج إلى الحسن وقد م به ، فلما قام بين يديه قال : يا حجاج كم بينك وبين آدم من آب ؟ قال : كثير ، قال : فآين م ؟ قال : ماتوا . قال : فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن . وقال أيوب السخيتي : إن الحجاج أراد قتل الحسن مراراً فصمصه الله منه ، وقد ذكر له معه مناظرات ، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك ، وإنما خرج معهم مكرهاً كما قدمنا ، وكان الحسن يقول : إنما هو قومة فلا تقابل قومة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع . وقال ابن دريد عن الحسن بن الحضرمي عن ابن عائشة . قال : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج فقيل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأنتي خيراً ، قال فتبان ؟ فأنتي خيراً ، قيل له : فما تقول في علي ؟ فأنتي خيراً ، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فبقي على كل بما يناسبه ، حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال : الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجاج خطيئة من بعض خطاياهم ؟ . (١)

وقال الأصمعي عن علي بن مسلم الباهلي قال : أتى الحجاج امرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت ممرضة عنه ؟

قالت : إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها فقتلت . وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبير ، وما دار بينهما من الكلام والمراجعة .

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن بسطام بن مسلم عن قتادة قال قيل لسعيد بن جبير : خرجت على الحجاج ؟ قال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر ، وقال إنه لم يقتل بعده إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان ، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً ، أكثرهم ممن خرج مع ابن الأشعث . وقال أبو عيسى الترمذي : ثنا أبو داود سليمان بن مسلم البلخي ثنا النضر بن شمير عن هشام بن حسان قال : أحصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً قال الأصمعي : ثنا أبو صم عن عباد بن كثير عن قحطم قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج ، وقيل إنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة وعرضت السجن بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يبق على أحد منهم قطع ولا صلب ، وكان فيمن حبس أعرابي وجد يبول في أصل ريش مدينة واسط ، وكان فيمن أطلق فأنشأ يقول :

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وصلينا بغير حساب

وقد كان الحجاج مع هذا العنف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر ، قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحاربي : ثنا سليمان بن أبي سنح ثنا صالح بن سليمان قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخافبت الامم بغابت كل أمة تخبيثها وجنتا بالحجاج للبنام ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا الآخرة لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العمار ، فأخس به إلى أن صيره إلى أربعين ألف ألف ، ولقد أدى إلى عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف ، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلى ما أدى إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عروبة ثنا عمرو بن عثمان ثنا أبي سمعت جدي قال . كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : بلغني أنك تسكن بسنن الحجاج فلا تسن بسننه ، فانه كان يصلي الصلاة لغير وقتها ، و يأخذ الزكاة من غير حقها وكان لما سوى ذلك أضيع . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا سعيد بن أسد ثنا ضمرة عن الريان بن مسلم . قال : بعث عمر بن عبد العزيز بآل بيت أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن وكتب إليه : أما بعد فاني قد بعثت بآل أبي عقيل وهم شرييت في العمل ، فزهمهم في العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا ، وعليك السلام . وإنا فنام . وقال الاوزاعي : سمعت القاسم بن مخيمرة يقول : كان الحجاج ينقض عرى الأسلام ، وذكر حكاية . وقال أبو بكر بن عياش عن طلسم : لم يبق لله حرمة إلا ارتكبها الحجاج بن يوسف ، وقال يحيى بن عيسى الرملي عن الأعشى : اختلفوا في الحجاج فسالوا مجاهداً فقال : تسألون عن الشيخ الكافر .

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال : الحجاج مؤمن بالمجبت والطاغوت ، كفر بالله العظيم .
 كذا قال والله أعلم . وقال الثوري عن معمر عن ابن طلوس عن أبيه قال : عجا لاختواتنا من أهل
 العراق يسمون الحجاج مؤمنا ١٤ وقال الثوري عن ابن عوف : سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج
 أنشهد أنه من أهل النار ؟ قال أنأمروني أن أشهد على ^(١) الله العظيم ، وقال الثوري عن منصور :
 سألت إبراهيم عن الحجاج أو بعض الجبارة فقال : أليس الله يقول (ألا لعنة الله على الظالمين)
 وبه قال إبراهيم وكثير بالرجل عى أن يسمى عن أمر الحجاج . وقال سلام بن أبي مطيع لانا بالحجاج
 أرجى مني لمعرو بن عبيد ، لأن الحجاج قتل الناس على الدنيا ، وعمر بن عبيد أحدث للناس
 بدعة شنعاء ، قتل الناس بعضهم بعضاً ، وقال الزبير : سببت الحجاج يوماً عند أبي وائل فقال :
 لا تسبه لله قال يوماً اللهم أرجئني فبرحه ، ليك وبجالة من يقول أرأيت أرأيت . وقال عوف :
 ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو محمد ، إن يعذبه الله عز وجل فيذنيه ، وإن
 يغفر له فهيناً له ، وإن يلقي الله بقلب سليم فهو خير منا ، وقد أصاب القنوب من هو خير منه .
 قيل له ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم الله تعالى منه الحياء والابحان ، وأن يعلم أن الله حق ، وأن
 الساعة حق قائمة ، وأن الله يمشي من في القبور .

وقال أبو قاسم البغوي : ثنا أبو سعيد ثنا أبو أسامة قال قال رجل لسفيان الثوري : أنشهد على
 الحجاج وعلى أبي مسلم الخراساني أنهما في النار ؟ قال : لا ! إن أقرأ بالتوحيد . وقال الرياشي : حدثنا
 عباس الأزرقي عن السري بن يحيى قال : مر الحجاج في يوم جمعة فسمع استغاثة فقال : ما هذا ؟
 فقيل أهل السجون يقولون قتلنا الحر ، فقال : قولوا لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال : فما عشي
 بعد ذلك إلا أقل من جمعة حتى قصمه الله قاصم كل جبار . وقال بعضهم : رأيته وهو يأتي الجمعة وقد
 كاد يهلك من العطش . وقال الأصمعي : لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته : إن
 طائفة من أهل الشقاق والنفاق تزغ الشيطان بينهم فقالوا : ملت الحجاج ، ومات الحجاج فه ؟ فهل
 يرجو الحجاج لغير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرنى أن لا أموت وأن لا الدنيا وما فيها ، وما رأيت
 الله رضى التخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس ، قال الله له (إنك من المنظرين) فأنظره إلى يوم
 الدين ، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال (هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فأعطاه الله ذلك إلا
 البقاء ، ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره ، فقال (توفي مسلماً ولحقني بالصالحين) فما
 عسى أن يكون أيها الرجل ، ولكم ذلك الرجل ، كأنى والله بكل حى منكم ميتاً ، وبكل رطب وإيساً ،
 ثم قل في أنياب أكنافه ثلاثة أذرع طولاً في فزاع عرضاً ، فأكلت الأرض لحه ، ومصمت صديقه ،

(١) كذا بالأصول .

وانصرف الخبيث من ولده يقسم الخبيث من ماله ، إن الذين يقولون يقولون ما أقول ، ثم نزل .
وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى النسائي عن أبيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز أنه قال :
ما حسنت الحجاج عبد الله على شيء حسدى إليه على حبه القرآن وإعطائه أهله عليه ، وقوله حين
حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فان الناس يزعمون أنك لا تفعل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا
علي بن الجعد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلة الماجشون عن محمد بن المنكدر . قال :
كان عمر بن عبد العزيز يفيض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت : اللهم اغفر لي فانهم
يزعمون أنك لا تفعل . قال : وحدثني بعض أهل العلم قال قيل للحسن : ان الحجاج قال عند الموت
كذا وكذا ، قال : قالها ؟ قالوا : نعم ! قال فاعسى . وقال أبو العباس المروزي عن الرياشي عن
الأصمعي قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يارب قد حلف الأعداء واجتهدوا * بأننى رجل من ساكنى النار
أبخلفون على عياد . ويحهم * ما عليهم بطم الغو غفار
قال فأخبر بذلك الحسن قال : بالله إن نجا لينجون بهما . وزاد بعضهم في ذلك : -
إن الموالى إذا شابت عييدهم * فى رقيم عتقوم عتق أبرار
وأنت يا خالق أولى بنا كرمًا * قد شبت فى الرق فاعتنى من النار

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا أحمد بن عبد الله التميمي قال : لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته حتى
أشرفت جارية فبكت فقالت : ألا إن مطعم الطعام ، وميم الأيتام ، ومرمل النساء ، ومفلح الهام ،
وسيد أهل الشام قد مات ، ثم أنشأت تقول : -

اليوم رحلنا من كان يفيضنا * واليوم يأمننا من كان يخشانا

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طلوس عن أبيه أنه أخبر بموت الحجاج مرارا فلما تحقق
وفاته قال : (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) وروى غير واحد أن الحسن لما
بشر بموت الحجاج سجد شكرًا لله تعالى ، وكان مختفيا فظهر ، وقال اللهم أنته فأذهب عنا سئته .
وقال حماد بن أبي سليمان : لما أخبرت إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح . وقال أبو بكر بن
أبي خيثمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان قال قال زياد بن الربيع بن الحارث لأهل
السجن يموت الحجاج فى مرضه هنا فى ليلة كذا وكذا ، فلما كانت تلك الليلة لم يمت أهل السجن
فرحًا ، جلسوا ينظرون حتى يسلموا التاعية ، وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ، وقيل كان
ذلك لحس قبين من رمضان ، وقيل فى شوال من هذه السنة ، وكان عمره إذ ذاك خسا وخسين
سنة ، لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل قبلها بسنة ، مات بواسط

وعنى قبره ، وأجرى عليه الماء لكيلا يفسد ويمحرق والله أعلم .

وقال الأصمى : ما كان أعجب حال الحجاج ، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم . وقال الواقدي : ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن فرق : ثنا عيسى قال : زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمائة درهم ومصحف وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة . وقال شهاب بن خراش : حدثني عيسى بن يزيد بن حوشب قال : بعث إلى أبو جعفر المنصور فقال : حدثني بوصية الحجاج ابن يوسف ، فقال : أعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : حدثني بها ، فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيى ، وعليها يموت ، وعليها ييمت ، وأوصى بتسعة درع حديد ، تسعة منها لمنافق أهل العراق يفتزون بها ، وثلاثمائة لترك . قال : فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي - وكان قائماً على رأسه - فقال : هذه والله الشيعة لاشيعتكم . وقال الأصمى عن أبيه قال : رأيت الحجاج في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلتني بكل قطة قتلت بها إنساناً ، قال : ثم رأيته بعد الحول فقلت : يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ قال : ياماص بظرامه أما سألت عن هذا عام أول ؟ وقال القاضي أبو يوسف : كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم ، قال : في أي زى رأيته ؟ قال : في زى فيج . فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : ما أنت وذاك يا ماص بظرامه ! فقال هارون : صدق والله ، أنت رأيت الحجاج حقاً ، ما كان أبو محمد ليدع صرامته حياً وميتاً . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة بن أبي شاذب عن أشعث الخراز . قال : رأيت الحجاج في المنام في حالة سيئة فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتلت أحداً قطة إلا قتلتني بها . قال ثم أمرني إلى النار ، قلت ثم مه ، قال ثم أرجو ما يرجو أهل لا إله إلا الله . قال : وكان ابن سيرين يقول : إنى لأرجو له ، فيبلغ ذلك الحسن فقال : أما والله ليخلفن الله رجاءه فيه . وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان الحسن البصري لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج ففدا عليه ، قال : فرآه في منامه فقال له : أنت الحجاج ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلت بكل قطة قتلتته ثم عزلت مع الموحدين . قال : فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه والله أعلم . [وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأ ابن المبارك أنبأنا سفيان . قال : قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان واقفاً ومعه معلوبة بن قره ، فقال عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال : إن صدقناكم قتلتموها ، وإن كذبناكم خشيتم الله عز وجل ، فنظر إليه الحجاج فقال له عبد الملك : لا تعرض له ، فنقله إلى السند فكان له بها مواقف (١) .

﴿ومن توفي فيها من الأعيان﴾

إبراهيم بن يزيد النخعي [قال: كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بعيت عرف ذلك فينا أيلماً ، لأننا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم تتحدثون في جنازكم بأحاديث دنياكم . وقال : لا يستقيم رأى إلا بروية ، ولا روية إلا برأى . وقال : إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبرية الأولى فاعسل يديك من فلاحه . وقال : إني لأرى الشيء مما يعاب فلا يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أنبئ به . وبكى عند موته فقيل له ما يبكيك ؟ قال : انتظار ملك الموت ، ما أدرى يبشرني بجنة أو بنار] (١) .

﴿الحسن بن محمد بن الحنفية﴾

كنيته أبو محمد ، كان القسم على إخوته ، وكان علماً صهما عارفاً بالاختلاف والفقه ، قال أبو يوسف السخيتي وغيره : كان أول من تكلم في الإرجاء ، وكتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها . وقال غيرهم : كان يتوقف في عثمان وعلى وطلحة والزبير ، فلا يتولاهم ولا ينهمهم ، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشقجه وقال : ويحك ألا تتولى أباك علياً ؟ وقال أبو عبيد : توفي سنة خمس وتسعين ، وقال خليفة : توفي في أيام عمر بن عبد العزيز والله أعلم .

﴿حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري﴾

وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكان حميد قتيها نبيلاً علماً ، له روايات كثيرة .

﴿معارف بن عبد الله بن الشخير﴾

قدمت ترجمته ، وهؤلاء كلهم لهم تراجم في كتاب التكميل . وفيها كان موت الحاجج بواسطة كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى والله الحمد . وفيها كان مقتل سعيد بن جبير في قول علي بن المدائني وجماعة ، والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير وغير واحد والله أعلم .

﴿ثم دخلت سنة ست وتسعين﴾

وفيها فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشف من أرض الصين وبعث إلى ملك الصين رسلاً يهدده ويتوعده ويقسم بالله لا يرجع حتى يطمأ بلاده ويحتم ملوكهم وأشرفهم ، ويأخذ الجزية منهم أو يسلموا في الإسلام . فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم ، وهو في مدينة عظيمة ، يقال إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها ، يقال لها خان بالق ، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً ، حتى قيل إن بلاد الهند مع إقصائها كالشامة في ملك الصين ، والصين لا يجتاجون إلى أن

يسافروا في ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم ، وغيرهم محتاج إليهم لما عندهم من المتاع والعدنيا
المتمسة ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج ، قهره وكثرة جنده وعدده . والقصد
أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة حصينة [ذات أنهار وأسواق وحسن وبهاء ،
فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة] ^(١) بقدر مدينة كبيرة ، فقال لهم ملك الصين : ما أنتم ؟
- وكأنا نلجأكم رسول عليهم هبيرة - فقال الملك لمرجائه : قل لهم : ما أنتم وما تريدون ؟ فقالوا :
نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعوكم إلى الاسلام ، فإن لم تحمل الفريضة ، فإن لم تحمل فالحرب .
فغضب الملك وأمر بهم إلى داره ، فلما كان الند دعاهم فقال لهم : كيف تكونون في عبادة إلهكم ؟ فصلوا
الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم ، فقال : كيف تكونون في بيوتكم ؟ فلبسوا ثياب
مهنهم ، فأمرهم بالانصراف ، فلما كان من الند أرسل إليهم فقال : كيف تدخلون على ملوككم ؟ فلبسوا
الوشى والعمام والمطارف ودخلوا على الملك ، فقال لهم : ارجعوا فرجوا ، فقال الملك لأصحابه : كيف
رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا : هذه أشبه بيئة الرجال من تلك المرة الأولى ، وهم أولئك . فلما كان اليوم
الثالث : أرسل إليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم ؟ فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والببيض
وتقلدوا السيوف ونكبوا القسي وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا ، فنظر إليهم ملك الصين
فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمرين ، فقبل لهم : ارجعوا
- وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم - فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا
ورماهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ فقالوا : ما رأينا
ك هؤلاء قط . فلما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابشوا إلى زعيمكم وأفضلكم ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقال
له الملك حين دخل عليه : قدر رأيتم عظم ملكي ، وليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي ،
وأنا سائلكم عن أمر فإن تصدقني وإلا قتلتك ، فقال : سل ! فقال الملك : لم صنعتن ما صنعتن من زى
أول يوم والثاني والثالث ؟ فقال : أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا وفاسائنا وطيبنا عندهم ،
وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا ، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا .
فقال الملك : ما أحسن ما بدرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم - يعني قتيبة - وقولوا له ينصرف
راجماً عن بلادي ، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم .
فقال له هبيرة : تقول لقتيبة هذا ؟ فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها
في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حرصاً من خلف الدنيا قادراً عليها ، وغزافاً في بلادك ؟ وأما
نحو ذلك إيانا يا قتلنا فإنا نعلم أن لنا أجلاً إذا حضرنا فإكرما عندنا القتل ، فلنسا نكرهه ولا نخافه .

قال الملك : فما الذي يرضى صاحبكم ؟ فقال : قد حلف أنه لا ينصرف حتى يعطى أرضك ويختم ملوكك ويحجب الجزيرة من بلادك ، قال أنا أبر بيمينه وأخرجه منها ، أرسل إليه بتراب من أرضي ، وأربع غلغان من أبناء الملوك ، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحريراً وثياباً صيفية لا تحوم ولا يدور قفازها ، ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ، ثم اتفق الحال على أن يمت صحافاً من ذهب متسعة فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة ، ويمت بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم ، ويمت بحال جزيل لير يمين قتيبة ، وقيل إنه امت أربعة مائة من أولاده وأولاد الملوك ، فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه ، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ، فانكسرت عنه تلك ، وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على ترك مباينة سليمان بن عبد الملك ، وأراد الدعوة إلى نفسه لما نحت يده من العساكر ، ولما فتح من البلاد والأقاليم فلم يمكنه ذلك ، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى ، فانه يقال إنه ما كسرت له راية ، وكان من المجاهدين في سبيل الله ، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة ، وغزا العباس بن الوليد الروم ، وفتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم .

وفيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى وجزاه خيراً ، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً مبعداً بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يسرون دمشق ، وهم الذين وضعوها وعمروها أولاً ، فهم أول من بناها ، وقد كانوا يصيدون الكواكب السبعة المتميزة ، وهي القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في السماء الثانية ، والزهرة في السماء الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . وقد كانوا صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلًا لكوكب من هذه الكواكب السبعة ، وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لتلك ، فنصبوا هياكل سبعة لكل كوكب هيكل ، وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة ، وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاء وتكلموا على حركات الكواكب واتصالها ومقارنتها ، وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين ، وصرفوه أنهاراً تجري إلى الاماكن المربعة والمنخفضة ، وسلكوا الماء في أنفائها أنبية الدور بدمشق ، فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التصاريف العجيبة ، وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم في جهة القطب ، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي ، وكانت محاريبهم إلى جهته ، وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف المحراب اليوم ، كما شاهدنا ذلك عياناً ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب وهو باب حسن مبنى بمجبرة منقوشة ، وعليه كتب بخطهم ، وعن يمينه ويساره بلان صهيوان باللغة

إليه ، وكان غربي المبد قصر منيف جدا تحمله هذه الأعمدة التي يباب البريد ، وشرقي المبد قصر جيرون الملك ، القى كان ملكهم ، وكان هناك داران عظيمتان معدتان لمن يتملك دمشق قديما منهم ، ويقال إنه كان مع المبد ثلاث دور عظيمة للوكة ، ويحيط بهن سور والمبد سور واحد عال منيف ، بمجارة كبار منحوتة ، وهن دار المطبق ، ودار الخليل ، ودار كانت تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية .

قال ابن عساكر فيها حكاه عن كتب بعض الأوائل : إن اليونان مكتوا يأخفون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثمانى عشرة سنة ، وقد حفر وأسس الجدران حتى واثم الوقت القى طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن هذا المبد لا يترب أبداً ولا يتخلو منه العبادة ، وأن هذه الآثار إذا بنيت لا يتخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة . قلت : أما المبد فلم يخل من العبادة . قال كعب الأحمار : لا يتخلو منها حتى تقوم الساعة ، وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناءها معاوية ، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنده ، فبليت وصارت مساكن ضعفاء الناس وأراذلهم في الغالب إلى زماننا هذا . والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مددا طويلا ، يزيد على أربعة آلاف سنة ، حتى أنه يقال إن أول من بنى جدران هذا المبد الأربعة هود عليه الصلاة والسلام ، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمد طويلا ، وقد ورد إبراهيم الخليل دمشق ونزل شهابا عند برزة ، وقتل هناك قوما من أعدائه فظفر بهم ، ونصره الله عليهم ، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة ، فهذا المكان المنسوب إليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة ، يثروته كبراً عن كبر وإلى زماننا والله أعلم .

وكانت دمشق إذ ذاك طعمة آهة عن فيها من اليونان ، وكانوا خلقاً لا يحصيهم إلا الله ، وم خصاء الخليل ، وقد فظروهم الخليل في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موضع ، كما قررنا ذلك في التفسير ، وفي قصة الخليل من كتابنا هذا « البداية والنهاية » وفي الحمد وبالله المستعان . والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق وينون فيها وفي معاملها من أرض حوران والبلقاع و بعلبك وغيرها ، البنايات المائلة الغربية العجيبة ، حتى إذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلاثمائة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين ، القى بنى المدينة المشهورة به ببلاد الروم وهي القسطنطينية ، وهو القى وضع لهم القوانين ، وقد كان أولاهم وقومه وغالب أهل الأرض يونانا ، ووضعت له بطاركة النصراني دينا مخترعا مركبا من أصل دين النصرانية ، ومزوجا بشئ من عبادة الأوثان ، وصلوا به إلى الشرق ، وزادوا في الصيام ، وأحلوا الفطير ، وعلموا أولادهم الأمانة الكبيرة فيما يرغون ، وإتباعهم في الحقيقة خيانة كبيرة ، وجناية كثيرة حقيرة ، وهي مع ذلك في الجحيم

صفيرة . وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف وبيناه . فبني لهم هذا الملك الذي ينتسب إليه الطائفة الملكية من النصارى ، كنائس كثيرة في دمشق وفي غيرها ، حتى يقال إنه بنى اثنتي عشرة ألف كنيسة ، وأوقف عليها أوقافا دارة ، من ذلك كنيسة بيت لحم ، وقامة في القدس ، بنتها أم هيلانة القنصلية ، وغير ذلك .

والمقصود أنهم - يعني النصارى - حولوا بناء هذا المبد الذي هو بدمشق مطلقا عند اليونان لمجلوه كنيسة يوحنا ، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة ، واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمائة سنة ، حتى بمث الله عمداً عليه السلام ، فكان من شأنه ما تقدم بضمه في كتب السيرة من هذا الكتاب ، وقد بمث إلى ملك الروم في زمانه - وهو قصر ذلك الوقت - واسمه هرقل يدعو إلى الله عز وجل ، وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبي سفيان ما تقدم ، ثم بمث أمراء الثلاثة ، زيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، إلى البلقاء من نخوم الشام ، فبمث الروم إليهم جيشاً كبيراً قتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة ممن معهم من الجيش ، فمزم النبي عليه السلام على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ، ثم رجع علم ذلك لشدة الحر ، وضمف الحال ، وضيقة على الناس . ثم لما توفي بمث الصديق الجيوش إلى الشام بكاملها ، ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها ، وقد بسطنا القول في ذلك عند ذكر فتحها ، فلما استقرت اليد الإسلامية عليها وأنزل الله رحمة فيها ، وساق بره إليها ، وكتب أمير الحرب أبو عبيدة إذ ذاك ، وقيل خالد بن الوليد ، لأهل دمشق كتاب أمان ، أقرأوا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة ، وأخفوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مريخا ، بحكم أن البلد فتحه خالد من الباب الشرق بالسيف ، وأخفت النصارى الأمان من أبي عبيدة ، وكان على باب الجاية الصلح ، فأخفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحا ونصفه عنوة ، فأخفوا نصف هذه الكنيسة الشرق فجعله أبو عبيدة مسجداً يصل فيه المسلمون ، وكان أول من صلى في هذا المسجد أبو عبيدة ثم الصحابة بعده في البقعة الشرقية منه ، التي يقال لها محراب الصحابة . ولكن لم يكن الجدار مفتوحاً بمحراب محبي ، وإنما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة ، والظاهر أن الوليد هو الذي فتح المحارب في الجدار القبلي [قلت : هذه المحارب متجعدة ليست من فتح الوليد ، وإنما فتح الوليد محراباً واحداً ، إن كان قد فعل ، ولعله لم يصل شيئاً منها ، فكان يصل في الخليفة ، وبعيتها فتحت قريباً ، لكل إمام محراب ، شافى وحنفى وسابكى وحنبلى ، وهؤلاء إنما حدثوا بعد الوليد بزمان] ^(١) وقد كره كثير من السلف مثل هذه المحارب ، وجعلوه من البع المهدمة ، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المبد من باب واحد ،

وهو باب المعبد الأعلى من جهة القبلة ، مكنن الحراب التكبير الذى فى المقصورة اليوم ، فينصرف
النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيتهم ، ويأخذ المسلمون مئة إلى مئتين إلى مسجدهم ، ولا يستطيع النصارى
أن يجيروا بقراءة كتابهم ، ولا يضربوا بنافوسهم ، اجلالاً للصحابة ومهابة وخوفاً . وقد بنى معاوية فى
أليم ولايته على الشام دار الامارة قبلى المسجد الذى كان للصحابة ، وبنى فيها قبة خضراء ، عرفت
أهلاً بكملها بها ، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قلنا . ثم لم يزل الامر على ما ذكرنا من أمر هذه
الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى ، من سنة أربع عشرة ، إلى سنة ست وعشرين فى
ذى القعدة منها ، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك فى شوال منها ، فرمى الوليد على أخذ
بقية هذه الكنيسة وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها ، وجعل الجميع مسجداً واحداً ، وذلك لأن
بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصارى للإنجيل ، ورفض أصواتهم فى صلواتهم ، فأحب أن
يبيد عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا ، فيصير كله معبداً للمسلمين ، ويتسع
المسجد لكثرة المسلمين ، فعند ذلك طلب النصارى وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان ،
ويؤمهم إقطاعات كثيرة ، وعرضها عليهم ، وأن يبقى بأيديهم أربع كنائس لم تدخل فى الهدم ،
وهى كنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة داخل باب شرقى ، وكنيسة تل الجبل ، وكنيسة حيد بن ذرة
التي يدرّب الصقل ، فأبوا ذلك أشد الإباء ، وقال : اتنوبى يهودكم التي بأيديكم من زمن الصحابة ، فأبوا
بها فحرقتم بحضرة الوليد ، فاذا كنيسة توما التي كانت خارج باب توما على حافة الهرم لم تدخل فى
الهدم ، وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريخا ، قال الوليد : أنا أهدمها وأجعلها مسجداً ،
فقالوا : بل يتركها أمير المؤمنين وماذا كرم من الكنائس ونحن نرضى ونطيب له نفساً ببقية هذه
الكنيسة ، فأقرم على تلك الكنائس ، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة . هذا قول ، ويقال إن
الوليد لما أهدم ذلك وعرض ما عرض على النصارى فأبوا من قبله ، دخل عليه بعض الناس فأرشده
إلى أن يقيس من باب شرقى ومن باب الجابية ، فوجدوا أن الكنيسة قد دخلت فى المنوة وذلك
أنهم قاموا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الرميحان قريباً ، فاذا
الكنيسة قد دخلت فى المنوة ، فأخذها . وحكى عن المغيرة مولى الوليد قال : دخلت على الوليد
فوجدته مهموماً قلت : مالك يا أمير المؤمنين مهموماً ؟ قال : إنه قد كثر المسلمون وقد ضاق بهم
المسجد ، فأحضرت النصارى وبنيت لهم الأموال فى بقية هذه الكنيسة لأضيفها إلى المسجد
فيقيم على المسلمين فأبوا ، قال المغيرة : يا أمير المؤمنين عندى ما يزيد هك ، قال : وماهو ؟ قلت :
الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خلف بن الوليد من الباب شرقى بالسيف ، فلما سمع أهل البلد بذلك
فرعوا إلى أبى غنينة يطلبون منه الأمان فأنهم ، وقسموا له باب الجابية ، فدخل منه أبو غنينة

بالصلح ، فتحن تماسحهم إلى أى موضع بلغ السيف أخذه ، وما بالصلح تركناه بأيديهم ، وأرجو أن تدخل الكنيسة كلها في العنوة ، فتدخل في المسجد . قال الوليد : فرجت عني ، فتول أنت ذلك بنفسك ، فتولاه الفيرة ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجابية إلى سوق الريحان فوجد السيف لم يزل عمالاً حتى جاوز القنطرة الكبيرة بأربع أذرع وكسر ، فدخلت الكنيسة في المسجد ، فأرسل الوليد إلى النصارى فأخبرهم وقال : إن هذه الكنيسة كلها دخلت في العنوة فهي لنا دونكم ، قالوا : إنك أولا دفعت إلينا الأموال وأقطعنا الاقطاعات فأيننا ، فن إحصان أمير المؤمنين أن يصلحنا فيبقى لنا هذه الكنائس الأربع بأيدينا ، ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة ، فصالحهم على إبقاء هذه الأربع الكنائس والله أعلم .

وقيل إنه عرضهم منها كنيسة عند حمام القلسم عند باب الفراديس داخله فمسوها مريحنا باسم تلك الكنيسة التي أخذت منهم ، وأخذوا شاهداً فوضوه فوق التي أخذوها بدلها فأنهم أعلم . ثم أمر الوليد بإحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء ، وجاء إليه أساقفة النصارى وقبساوسهم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتبنا أن من بهم هذه الكنيسة يمين ، قال الوليد : أنا أحب أن أجن في الله ، والله لا يهدم فيها أحد شيئاً قبلي ، ثم صعد المنارة الشرقية ذات الأضالع المروفة بالساعات ، وكانت صومعة هائلة فيها رهاب عندهم ، فأمره الوليد بالتزول منها فأكبر الزاهب ذلك ، فأخذ الوليد ببقائه فلم يزل يدفعه حتى أنزله منها ، ثم صعد الوليد على أعلى مكان في الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها ، الذي يسمونه الشاهد ، وهو تمثال في أعلى الكنيسة ، قال له الرهبان : احذر الشاهد ، قال : أنا أول ما أضع فأسي في رأس الشاهد ، ثم كبر وضربه فهدمه ، وكان على الوليد قباء أصفر لونه سقرجلي قد غرز أذيله في المنطقة ، ثم أخذ فأصاب يده فضرب بها في أعلى حجر فألقاه ، فبادر الأمراء إلى الهدم ، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، وصرخت النصارى بالويل على درج جيرون ، وكانوا قد اجتمعوا هنالك ، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رباح الفسافي ، أن يضربهم حتى ينهبوا من هنالك ، فقتل ذلك ، فهدم الوليد والأمراء جميع ما جدهم النصارى في تربع هذا المبد من المناج والأبنية والخنايا ، حتى بقي المكان صرحاً مربعاً ، ثم شرع في بنيائه بذكورة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة ، التي لم يشتهر مثلها قبلها كما سنذكره .

وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين والفنعة ، وكان المستحث على عمارته أخوه وولى عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ، وقال إن الوليد بحث إلى ملك الروم يطلب منه صناعات الرخام وغير ذلك ، ليستعين بهم على عماره هذا المسجد على ما يريد ، وأرسل يتوعد لئن لم يصل ليغزون بلاد بالحيوش ، وليغزبن كل كنيسة في بلاده ، حتى

كنيسة القدس، وهي قلعة، وكنيسة الرها، وسائر أكل الروم، فبث ملك الروم إليه صناعات كثيرة جداً، ماقي صانع، وكتب إليه يقول: إن كان أبوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فانه لوصة عليك، وإن لم يكن فهمه وفهمت أنت لوصة عليه، فلما وصل ذلك إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك، واجتمع الناس عنده لذلك، فكان فهم الفرزدق الشاعر، قال: أنا أحبيه يا أمير المؤمنين من كتب الله. قال الوليد: وما هو ويحك؟ قال قال الله تعالى (فتنهالها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وسليمان هو ابن داود، ففهمه الله ما لم يفهمه أبوه. فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جواباً إلى ملك الروم. وقد قال الفرزدق في ذلك: —

فرقت بين النصراني في كنائسهم • والمابدين مع الأسفار والنعم
وم جميعاً إذا صلوا وأوجههم • شتى إذا سجدوا لله والنعم
وكيف يجتمع الناقوس يضربه • أهل الصليب مع القراء لم تنم
فهمت تحويلها عنهم كما فهم • إذ يحكيان لهم في الحرث والنعم
داود والملك المهدي إذ جزاً • ولادها واجتراز الصوف بليل
فهمك الله تحويلاً لبيتهم • عن مسجد فيه يتلى طيب الكلم
ما من أب حملته الأرض نمله • خير بنين ولا خير من الحكم

قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دميم القمشق: بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمك الحيطان. وقال الحسن بن يحيى الخشني: إن هوداً عليه السلام هو الذي بنى الحائط القبلي من مسجد دمشق. وقال غيره: لما أراد الوليد بناء القبة التي وسط الرواق - وهي قبة النسر وهو اسم حدث لها، وكانهم شبهوها بالنسر في شكله، لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها - حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماء عذباً زلالاً، ثم إنهم وضعوا فيه زيادة الكرم، وبنوا فوقها بالحجارة، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت، قال الوليد لبعض المهندسين: أريد أن تبني لي أنت هذه القبة، قال: على أن تعطيني عهد الله وميثاقه على أن لا يبينها أحد غيري، ففعل. فبنى الأركان ثم غلفها بالبوارى، وغلب عنها ستة كلملة لا يدري الوليد أين ذهب، فلما كان بعد السنة حضر، فهم به الوليد فأخذه ومسه رؤس الناس، فكشف البوارى عن الأركان فلما رأى قد هبطت بعد ارتفاعها حتى سالوت الأرض، قال له: من هذا أتيت، ثم بناها فانهطت. وقال بعضهم: أراد الوليد أن يبجل بيضة القبة من ذهب خالص ليظم بذلك شأن هذا البناء، قال له المملوك: إنك لا تحضر على ذلك، فضر به خمسين سوفاً، وقال له: ويحك! أنا لأفدرك على ذلك وترغم أى أعجز عنه؟ وخراج الأرض وأموالها نجحى إلى؟ قال: نعم أنا آيين لك ذلك، قال: فبين

ذلك ، قال : اضرب لبنة واحدة من الذهب وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك ، فأمر الوليد فأحضر من الذهب ما ضرب منه لبنة فاذا هي قد دخلها ألف من الذهب ، قال : يا أمير المؤمنين إن تريد مثل هذه القبة كذا وكذا ألف لبنة ، فإن كان عندك ما يكفي من ذلك عملناه ، فلما تحقق صحة قوله أطلق له الوليد خسين ديناراً ، وقال إني لا أعجز عما قلت ، ولكن فيه إسرار وضياع مال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله ، وردا على ضغائن المسلمين خير من ذلك . ثم عقدها على ما أشار به المعار . ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جلودات ، ويطأها سطحا مفرصاً بالذهب ، فقال له بعض أهله : أنبت الناس بصدك في طين أسطحتهم ، لما يريد هذا المسجد في كل عام من الطين الكثير . يشير إلى أن القرب ينلو والنفقة تنقل لأجل العمل في هذا المسجد في كل عام . فأمر الوليد أن يجمع مائتي بلادة من الرصاص ليحمله عرض الطين ، ويكون أخف على السقوف . فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الأقاليم ، فصاروا فاذا عند امرأة منه قناطر مقطرة ، فساوموها فيه ، فقالت : لا أبيعه إلا بوزنه فضة ، فكتبوا إلى الوليد فقال : اشتروه منها ولو بوزنه فضة ، فلما بذلوا لها ذلك قالت : أما إذا قلتم ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذا المسجد ، فكتبوا على أواحها يطابع « لله » ويقال إنها كانت إسرائيلية ، وإياه كتب على الألواح التي أخذت منها : هذا ما أعطته الأسرائيلية .

وقال محمد بن عاقد : سمعت المشايخ يقولون : ما تم بناء مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة ، لقد كان يفضل عند الرجل من القوم أو الفعلة الفليس ورأس المسار فيأتي به حتى يضمه في الخزانة . وقال بعض مشايخ العماشقة : ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخمتان اللتان في المقام من عرش بليقيس والباقي كله مرمر . وقال بعضهم : اشترى الوليد المودين الأخضرين الذين تحت القصر ، من حرب ابن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار . وقال دحيم عن الوليد بن مسلم : ثنا مروان بن جناح عن أبيه قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم ، وقال أبو قصي عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن ماهر الأنصاري : إنهم حسبوا ما أفتقه الوليد على الكرم^(١) التي في قبلي المسجد فاذا هو سبعون ألف دينار .

وقال أبو قصي : أفتق في مسجد دمشق أربع مائة صندوق من الذهب ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . قلت : فلي الأول يكون ذلك

(١) هي فسيفساء على هيئة الكرم مؤلفة من قطع صغيرة من الزجاج المربع مبطن بالذهب أو الألوان ، وكان منها بقايا إلى أيام الحريق الأخير سنة ١٣١٠ هـ . ويوجد قريب منها في قبة الملك الظاهر بدمشق إلى اليوم .

خمسة آلاف ألف دينار ، وستائة ألف دينار ، وعلى الثاني يكون المصروف في عمارة الجامع الأسمى
 أحد عشر ألف ألف دينار ، وماتى ألف دينار . وقيل إنه صرف أكثر من ذلك بكثير ، والله أعلم .
 قال أبو قحافة : وأتى الجرسى إلى الوليد قال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أفق أمير المؤمنين
 بيوت الأمهال في غير حقها . فنودى في الناس للصلاة جامعة . فاجتمع الناس فصعد [الوليد] المنبر
 وقال : إنه بلغنى عنكم أنكم قلتم أفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها ، ثم قال يا عمرو بن مہاجر ،
 قم فأحضر أموال بيت المال ، فحملت على البغال إلى الجامع ، ثم بسط لها الانطاع تحت قبة النسر ،
 ثم أفرغ عليها المال ذهباً صبيغاً ، وفضة خالصة ، حتى صارت كوماً ، حتى كان الرجل إذا ظم من
 الجانب الواحد لا يرى الرجل من الجانب الآخر ، وهذا شيء كثير ، ثم جرى بالقباين فوزنت
 الأموال فإذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة ، وفي رواية ست عشرة سنة مستقبلة ، ولم
 يسئل للناس شيء بالكلية ، قال لهم الوليد : والله ما أفقت في عمارة هذا المسجد درهماً من بيوت
 المال ، وإنا هنا كله من مالى . ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ، ودعوا للخليفة
 وانصرفوا شاكرين داعين . قال لهم الوليد : يا أهل دمشق ، والله ما أفقت في بناء هذا المسجد
 شيئاً من بيوت المال ، وإنا هنا كله من مالى ، لم أرأىكم من أموالكم شيئاً ، ثم قال الوليد : يا أهل
 دمشق ، إنكم تغفرون على الناس بأربع ، بهوائكم ومائكم وفكهنكم وحمامتكم ، فأصبحت أن
 أزيدكم خمسة وهي هذا الجامع . وقال بعضهم : كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صفائح من ذهب بلا زورد ،
 في كل منها : بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الاسلام ، ونبينا محمد ﷺ . أمر ببيتان
 هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد ، في ذى القعدة سنة ست
 وثمانين ، وفي صفيحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم إلى آخر
 الفاتحة ، ثم التازلت ، ثم عبس ، ثم إذا الشمس كورت ، قالوا : ثم بحيث بعد مجئ المأمون إلى
 دمشق . وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلها ، وأن الرخام كان في جدرانها إلى قامات ، وفوق
 الرخام كرامة عظيمة من ذهب ، وفوق الكرامة الفصوص المنهبة والنظير والحمر والزرق والبيض ، قد
 صوروا بها سائر البلدان المشهورة ، الكعبة فوق الحراب ، وسائر الاقاليم بمنة ويسرة ، وصوروا مافي
 البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والزهرة وغير ذلك ، وسقفه مقرنص بالذهب ، والسلاسل المعلقة
 فيها بجميعها من ذهب وفضة ، وأتوار الشموع في أماكن مفرقة . قال : وكان في حراب الصحابة برنية
 حجر من بلور ، ويقال بل كانت حجر آ من جوهر وهي المردة ، وكانت تسمى القليلة ، وكانت إذا
 طفتت القناديل نضى لمن هناك بنورها ، فلما كان زمن الأمين بن الرشيد . وكان يحب البلور وقيل

الجوهر - بعث إلى سليمان وإلى شريعة دمشق أن يبعث بها إليه ، فسرقتها إلى الوالى خوفاً من التمسك وأرسلها إليه ، فلما ولي المؤمن ودعا إلى دمشق ليشنع بذلك على الأمين . قال ابن عساكر : ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج ، قال : وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شيئاً ، قالوا : وكانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق ، وإنما كان عليها السور مرخلة ، وكذلك السور على سائر جدرانها إلى حد الكوفة التى فوقها الفصوص المنحبة ، ورؤس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير ، وعلموا له شرفات تحيط به ، وبني الوليد المنارة الشمالية التى يقال لها مأذنة الروس ، فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك يعمور متطاولة ، وقد كان فى كل زاوية من هذا المبدع صومعة شاهقة جداً ، بنها اليونان للرصد ، ثم بعد ذلك سقطت الشمالتان وبقيت القبيلتان إلى الآن ، وقد أحرق بعض الشرقية بعد الأربعين وسبعائة ، فنقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى ، حيث اتهموا بحرقها ، فقامت على أحسن الأشكال ، بيضاء بنائها وهى والله أعلم الشرقية التى ينزل عليها عيسى بن مريم فى آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت ذلك فى صحيح مسلم عن النواص بن سمعان .

[قلت : ثم أحرق أعلى هذه المنارة وجددت ، وكان أعلاها من خشب فبنيت بمجارة كلها فى آخر السبعين وسبعائة ، فصارت كلها مبنية بالمجارة] ^(١)

والمقصود أن الجامع الأموى لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجمل منه ، بحيث إنه إذا نظر الناظر إليه أو إلى جهة منه أو إلى بقعة أو مكان منه تغير فيها نظره لحسنه وجماله ، ولا يمل ناظره ، بل كلما أذن النظر بانت له أعجوبة ليست كالأخرى ، وكانت فيه طلسيات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيئاً من الحشرات بالكلية ، لا من الحيات ولا من المقارب ، ولا الخنافس ولا المناكيب ، ويقال ولا المصافير أيضاً تمشش فيه ، ولا الحمام ولا شيء مما يتأذى به الناس ، وأكثر هذه الطلسيات أو كلها كانت مودعة فى سقف هذا المبدع ، مما على السبع ، فأحرق لما أحرق ليلة النصف من شعبان بعد العصر ، سنة إحدى وستين وأربعائة ، فى دولة الفاطميين كاسياتى ذلك فى موضعه . وقد كانت بدمشق طلسيات وضمتها اليونان بمضايق إلى يومنا هذا والله أعلم .

ففى ذلك العمود الذى فى رأسه مثل الكرة فى سوق الشعير عند قطرة أم حكيم ، وهذا المكان يعرف اليوم بالعلبين ، ذكر أهل دمشق أنه من وضع اليونان لسربول الحيوان ، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلقت بلطنه فيال ، وذلك مجرب من عهد اليونان .

[قال ابن تيمية عن هذا العمود : إن تحته مدفون جبار عتيد ، كفر بمنب ، فذا داروا بالحويان حوله جمع المناب فرأت وبال من الخوف ، قال : ولها يذهبون بالهواب إلى قبور النصرارى واليهود والكفار ، فذا سمعت أصوات المذنبين انطلق يولوا . والعمود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة قد أخطأ خطأ فاحشا . وقيل إن تحته كنزاً وصاحبه عنده مدفون ، وكان ممن يعتقد الرجعة إلى الدنيا كما قال تعالى (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبرزين) والله سبحانه وتعالى أعلم (١) .

وما زال سليمان بن عبد الملك يسل في تكة الجامع الأموى بمد موت أخيه مدة ولايته ، وجددت له فيه المنصورة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرده عما فيه من الذهب ، ويقطع السلاسل والرخام والفسيفساء ، ويرد ذلك كله إلى بيت المال ، ويجعل مكان ذلك كله طينا ، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرفهم إليه ، وقال خالد بن عبد الله القسرى : أنا أكله لكم ، فقال له : يا أمير المؤمنين بلطفنا عنك كذا وكذا ، قال : نعم ! فقال خالد : ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولم يا ابن الكفرة ؟ - وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد - فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت كفرة قد ولدت رجلا مؤمنا ، فقال : صدقت ، واستحيا عمر ثم قال له : فلم قلت ذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لبنت المال ، فأطرق عمر . قالوا : واتفق في ذلك الزمان قدوم جماعة من بلاد الروم رسلا من عند ملكهم ، فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير الذى تحت النسر ، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن الجامع الباهر ، والزهرة التى لم يسمع بمثلا ، صمق كبيرهم وخر مفشيا عليه ، فحملوه إلى منزله ، فبقى أيلما مدققا ، فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال : ما كنت أظن أن يبنى المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن منهم تكون أقصر من هذا ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : أو إن النبط أمك الكفار ، دعوه . وسألت النصرارى في أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقد لهم مجلسا في شأن ما كان أخذه الوليد منهم ، وكان عمر عدلا ، فأراد أن يرد عليهم ما كان أخذه الوليد منهم فأدخله في الجامع ، ثم حقق عمر القضية ، ثم نظر فإذا الكنائس التى هى خارج البلد لم تدخل في الصلح الذى كتبه لهم الصحابة ، مثل كنيسة دير حران بفتح قايسون ، وهى بقرية المظمية ، وكنيسة الراهب ، وكنيسة توما خارج باب توما ، وسائر الكنائس التى بقرى الحواجز ، فغيرهم بين رد ما سألوه وبغير هذه الكنائس كلها ، أو تبنى تلك الكنائس ويعطوا نسا المسلمين بهن البقرة ، فافقت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس ، ويكتب لهم كتاب أمان بها ،

ويعطوناً نفساً بغيره البقرة ، فكتب لهم كتاب أمان بها .

والمقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا مثيل في حسنه وبهجته ، قال الفرزدق : أهل دمشق في بلادهم في قصر من قصور الجنة - يعني الجامع - وقال أحمد بن أبي الخوارى عن الوليد بن مسلم عن ابن تويان : ما ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدنا . قالوا : ولما دخل أمير المؤمنين المهدي دمشق يريد زيارة القوس فظفر إلى جامع دمشق فقال لكتابه أبي عبيد الله الأشعري : سبقنا بنو أمية ثلاث ، بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وببذل الموالى ، وبعمز ابن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً . ثم لما أتى بيت المقدس فظفر إلى الصخرة - وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها - قال لكتابه : وهذه رابعة . ولما دخل المأمون دمشق فظفر إلى جامعها وكان معه أخوه المنصور ، وقاضيه يحيى بن أكرم ، قال : ما أعجب ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهاب التي فيه ، وقال يحيى بن أكرم : الرخام وهذه المقد ، قال المأمون : إني إنما أعجب من حسن بنيانه على غير مثال متقدم ، ثم قال المأمون لقاسم الخمار : أخبرني باسم حسن أسمى به جاريتي هذه ، قال : سمها مسجد دمشق ، فإنه أحسن شيء . وقال عبد الرحمن بن ابن عبد الحكم عن الشافعي قال : عجائب الدنيا خمسة : أحدها منارتكم هذه - يعني منارة ذي القرنين بإسكندرية - والثانية أصحاب الرقيم وهم بالروم اثنا عشر رجلاً ، والثالثة امرأة يباب الأندلس على باب مدينتها ، يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ . وقيل ينظر من بالقسطنطينية ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الاتفاق عليه ، والخامس الرخام والفسفساء ، فإنه لا يدري لها موضع ، ويقال إن الرخام معجون ، والدليل على ذلك أنه ينوب على النار .

قال ابن عساكر : وذكر إبراهيم بن أبي الليث الكاتب - وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة - في رسالة له قال : ثم أمرنا بالانتقال فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه ، ووافق ظاهره باطنه ، أزقته أرجة ، وشوارحه فرجة ، فحيث ما مشيت شجعت طيباً ، وأن سمعت رأيت منظرآ عجيباً ، وإن أفضيت إلى جامعها شأعت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ، ولا أراي أن يبرفه ، وجعلته أنه كثر الدهر ونادرة الوقت ، وأعجوبة الزمان ، وغريبة الأوقات ، ولقد أنبت الله عز وجل به ذكراً يدرس ، وخلف به أمراً لا ينبغي ولا يدرس . قال ابن عساكر : وأنتسدتني بفضن المحدثين في جامع دمشق عمره الله بذكره وفي دمشق قال :

دمشق قد شاع حسن جامعها * وما حوته ربي مراحمها

بديعة الحسن في الكمال لما * يدركه الطرف من بدائنها

طيبة أرضها مباركة • باليمن والسعد أخذ طالما
 جامها جلمع الحسن قد • فأتت به المدن في جوامها
 بنية بالافتان قد وضعت • لاضيع الله سعى واضها
 تذكر في فضله ووفته • آكلو صدق راقى لسانها
 قد كان قبل الحريق مدحشة • فزيرت ناره بلاقها
 فأذهبت بالحريق بهجته • فليس يرجى إلح راجها
 إذا ضكرت في القصوص وما • فيها تيقنت حلق راصها
 أشجارها لا تزال مشرة • لا رهب الريح من مدافها
 كأنها من زبرد غرست • في أرض تدر نفثى بنافها
 فيها ثمار تظلمها ينعت • وليس يخشى فساد يانها
 تعلق بالهظ لا يجارحة إلا • أيدي ولا تهتن لبائها
 ونحتها من رخامة قطع • لا قطع الله كف طامها
 أحكم ترخيمها المرمخ قد • بأن عليها إحكام صانها
 وإن ضكرت في قنطره • وسقته بأن حلق رافها
 وإن تبيئت حسن قبته • نصير اللب في أضالها
 تخترق الريح في منافنها • عصفا فتقوى على زطاعها
 وأرضه بالرغام قد فرشت • ينسج الطرف في مواضعها
 يجالس العلم فيه مؤقفة • ينشرح الصدر في مجامها
 وكل باب عليه مطهرة • قد آمن الناس دفع مانها
 يرتقى الناس من مراقها • ولا يصدون عن منافها
 ولا تزال المياه جلوية • فيها لما شق من مشارعها
 وسوقها لا تزال آهلة • يزعم الناس في شوارعها
 لما يشاؤون من فواكهها • وما يريدون من بضائها
 كأنها جنة مسجلة • في الأرض لولا مسرى فجائها
 دامت برغم العدى مسلمة • وحاطها الله من قوارعها

﴿ فصل ﴾

(فيا روى في جامع دمشق من الآثار وماورد في فضله من الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار) روى عن قتادة أنه قال في قوله تعالى (والتين) قال : هو مسجد دمشق (والزيتون) قال : هو مسجد بيت المقدس (وطور سينين) حيث كلم الله موسى (وهذا البلد الأمين) وهو مكة^(١). رواه ابن عساكر . وقال صفوان بن صالح عن عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه عن عطية بن قيس السكلافي قال قال كعب الأخبار : ليينين في دمشق مسجد يبق بعد خراب الدنيا أربعين عاماً . وقال الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي الماتكة عن علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس ، قال فضل فأوحى الله إليه أما إذا ضلعت فاني سأبني لي في خطتك بيتاً أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تنهب الأيام والأيالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك ، قال فهو عند الله بمنزلة الرجل الضعيف المتضرع . وقال جسيم : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك - يعني أنه رفع الجدار فعلاه من حد الرخام والكرمة إلى فوق - وقال غيره : إنما بني هود الجدار القبلي فقط . ونقل عثمان بن أبي الماتكة عن أهل العلم أنهم قالوا في قوله تعالى (والتين) قالوا : هو مسجد دمشق .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البرامي الدمشقي : ثنا إبراهيم بن مروان سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاس يقول : سمعت عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر قال : كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها قربان ، فسا قبل منه جاءت نار فأكلته ، ومالم يتقبل منه بقي على حاله . قلت : وهذه الصخرة قلت إلى داخل باب الساعات ، وهي موجودة إلى الآن ، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابن آدم قربانها فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، والله أعلم .

وقال هشام بن عمار : ثنا الحسن بن يحيى الحسن أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به « صلى في موضع مسجد دمشق » قال ابن عساكر : وهذا منقطع ومنكر جداً ، ولا يثبت أيضاً لأن هذا الوجه ولا من غيره . وقال أبو بكر البرامي : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقرئ حدثني أبي عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك قدم إلى القوام ليلة من الأيالي فقال : إني أريد أن أسلي القيلة في المسجد ، فلا تتركوا أحداً يصلي القيلة ، قال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا

الخضر يصلي في المسجد في كل ليلة ، وفي رواية أنه قال لهم : لا تتركوا أحداً يسخطه ، ثم إن الوليد أتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له ، فاذا رجل قائم بين الساعات وباب الخضراء القى على المقصورة يصلي ، وهو أقرب إلى باب الخضراء منه إلى باب الساعات ، فقال الوليد للقوام : ألم أمركم أن لا تتركوا أحداً الله يصلي في المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا الخضر يصلي كل ليلة في المسجد . في إسناد هذه الحكاية ومحتها نظر ، ولا يثبت عنهما وجود الخضر بالكلية ، ولا صلاته في المكان المذكور والله أعلم .

وقد اشتهر في الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبليّة عند باب المأذنة الغربية تسمى زاوية الخضر ، وما أدرى ما سبب ذلك ، والذي ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه ، وكفى بذلك شرّاً له ولنبيه من المساجد التي صلوا فيها ، وأول من صلى فيه إماماً أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمين هذه الأمة ، وصلى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره لكن قبل أن ينيره الوليد إلى هذه الصفة ، فأما بعد أن غير إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة كذلك إلا أنس بن مالك ، فانه ورد دمشق سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبيت في البيت الوليد ، فصلى فيه أنس ورأى الوليد وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها كما قلنا ذلك في ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين ، وسبب فيه عيسى بن مريم إذا نزل في آخر الزمان ، إذا خرج الدجال وعت البلوى به ، وأنحصر الناس منه بمشقة ، فينزل مسيح المهدي فيقتل مسيح الضلالة ، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر ، فأتى وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام الناس : تهنم يا روح الله ، فيقول : إنما أقيمت لك ، فيصل عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة ، يقال إنه المهدي عليه السلام .

ثم يخرج عيسى بالناس فيدرك الدجال عند عقبة أفيق ، وقيل بابل لد فيقتله بيده هناك . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « والقي نضى بيده ليزن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام » .

والمقصود أن عيسى ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، والبلد محصور محصن من الدجال ، فينزل على المنارة . وهي هذه المنارة المبنية في زماننا من أموال النصاري . ثم يكون نزول عيسى خلفهم وهلاكاً ودماراً عليهم ، ينزل بين ملكين وأضماً يديه على منكبيهما ، وعليه مهر وثقل ، وفي رواية مصبّر ثانٍ ^(١) يقطر رأسه ماء كأنما خرج من دماغ ، وذلك وقت الفجر ، فينزل على المنارة

وقد أقيمت الصلاة، وهذا إما يكون في المسجد الأعظم بدمشق، وهو هذا الجامع. وما وقع في صحيح مسلم من رواية النّوّاس بن سميان الكلّابي: فينزّل على المنارة البيضاء شرق دمشق، كأنه والله أعلم مروى بالمعنى بحسب ما فهمه الراوى، وإما هو ينزل على المنارة الشرقية بدمشق، وقد أخبرت ولم أقف عليه إلى الآن أنه كذلك، في بعض ألفاظ هذا الحديث، في بعض المصنفات، والله المسؤول المأمول أن يوفّقني فيوقّني على هذه اللفظة، وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه، وهي بيضاء بنفسها، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها، ولا أبهى ولا أعلى منها، والله الحمد والمنّة [قلت: نزول عيسى على المنارة التي بالجامع الأموي غير مستنكر، وذلك أن البلاد بالرجال يكون قد عمّ فينحصر الناس داخل البلد، ويحصرهم الرجال بها، ولا يتخلف أحد عن دخول البلد إلا أن يكون متبجاً للرجال، أو مسوراً معه، فإن دمشق في آخر الزمان تكون مقبل المسلمين وحصنهم من الرجال، فإذا كان الأمر كذلك فنصلي خارج البلد، والمسلمون كلهم داخل البلد، وعيسى إنما ينزل وقد أقيمت الصلاة فيصلي مع المسلمين، ثم يأخذهم ويطلب الرجال ليقته، وبعض العوام يقول: إن المراد بالمنارة الشرقية بدمشق، منارة مسجد بلاشو، خارج باب شرق. وبعضهم يقول: إنها المنارة التي على فُسّ باب شرق. والله أعلم بمراد رسول الله ﷺ، وهو سبحانه العالم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القادر على كل شيء، القاهر فوق كل شيء، لا يمزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض] ^(١)

﴿الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام﴾

وروى ابن عساكر عن زيد بن واقد قال: وكان الوليد على المال في بناء جامع دمشق، فوجدنا فيه منارة فصرنا الوليد ذلك، فلما كان الليل واقفاً وبين يديه الشمع، قفز فإذا هي كنيسة لطيفة، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق، ففتح الصندوق فإذا فيه سبط وفي السبط رأس يحيى ابن زكريا عليهما السلام. مكتوب عليه هذا رأس يحيى بن زكرياء، فأمر به الوليد فرد إلى مكانه، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه منيراً من بين الأعمدة، فجعل عليه عمود مسطّر الرأس، وفي رواية عن زيد بن واقد أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان القبة - يعني قبل أن تبنى - قال: وكان على الرأس شمر وبشر. وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال: حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من البيعة القبلية الشرقية التي عند مجلس بجميلة، فوضع تحت عمود الكاسية، قال الأوزاعي والوليد بن مسلم: هو العمود الرابع المسطّر. وروى أبو بكر بن البراء عن أحمد بن أنس ابن مالك عن حبيب المؤذن عن أبي زياد وأبي أمية الشعمانيين عن سفيان الثوري أنه قال: صلاة

(١) زيادة من المصرية.

في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جداً . وروى ابن عساكر من طريق أبي مسهر عن المنبر بن نافع - مولى أم عمرو بنت مروان - عن أبيه - وفي رواية عن رجل قدمه - أن وائلة ابن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جيرون فلقبه كعب الأخبار فقال : أين تريد ؟ قال وائلة : أريد بيت المقدس . فقال : تمالأريك موضعاً في المسجد من صلى فيه فكأنما صلى في بيت المقدس ، فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر الذي يخرج منه الوالى - يعنى الخليفة - إلى الحنية - يعنى القنطرة الغربية - فقال : من صلى فيها بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس ، فقال وائلة : إنه لمجلسى وبجلس قومي . قال كعب : هو ذلك . وهذا أيضاً غريب جداً ومنكر ولا يعتمد على مثله . وعن الوليد بن مسلم قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فبعثوا به إلى الوليد فبعثه إلى الزوم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى من كان بدمشق من بقية الأسبان فلم يستخرجوه ، فدل على وهب بن منبه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك الحائط - ويقال ذلك الحائط بناه هود عليه السلام - فلما نظر إليه وهب حرك رأسه وقرأه فلما هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من أجلك ، لذهبت في طول ما ترجو من أملاك ، وإما تلقى نعمك لو قد زل بك قدمك . وأسلك أهلك وحشك ، وانصرف عنك الحبيب وأسلك صاحب القريب ، ثم صرت تدعى فلا تحبيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا إلى عمك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والتندامة ، قبل أن يحل بك أجلك ، وتززع منك روحك ، فلا ينفعك مال جمته ، ولا وقد وهته ، ولا أنح تركته ، ثم تصير إلى برزخ الترى ، ومحلولة الموتى ، فاغتنم الحياة قبل الممات ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل ، وكتب في زمن^(١) داود عليهما السلام .

وقال ابن عساكر : قرأت على أبي محمد السلى عن عبد العزيز النخعي أنبأ تمام الرازى ثنا ابن البرامى سمعت أبا مروان عبد الرحمن بن عمر المازنى يقول : لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احترقوا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة منفلاً ، فلم يفتحوه وأغلوا به الوليد ، فخرج حتى وقف عليه ، وفتح بين يديه ، فلما داخله منارة فيها تمثال إنسان من حجارة ، على فرس من حجارة ، في يده التمثال الواحدة الدرة التى كانت في الحراب ، ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها فكسرت ، فلما فيها جنتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك فقيل له لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير . وقال الحافظ أبو حمدان الوراق - وكان قد عمر مائة

سنة - : سمعت بعض الشيوخ يقول : لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذى على القسلاط
 - على السفود الحديد الذى فى أعلاه - صنما ماداً يده بكف مطبقة ، فكسروه فاذا فى يده حبة قمح ،
 فسألوا عن ذلك فقيل لهم : هذه الحبة قمح جعلها حكام اليونان فى كف هذا الصنم طلبها ، حتى
 لا يسوس القمح فى هذه البلاد ، ولو أقام سنين كثيرة . قال ابن عساكر : وقد رأيت أنا فى هذا
 السفود على قناطر كنيسة القسلاط كانت مبنية فوق القناطر التى فى السوق الكبير ، عند الصابونيين
 والمطارين اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الاسلام يوم فتح دمشق ، أبو عبيدة من باب الجابية ،
 وخالد من باب الشرق ، ويزيد بن أبى سفيان من باب الجابية الصغير . وقال عبد العزيز التميمي
 عن أبى نصر عبد الوهاب بن عبد الله المرى : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن فى
 سقف الجامع طلائع عملها الحكام فى السقف مما يلى الحائط القبلى ، فيها طلائع للصنونات ،
 لا تدخله ولا تمشى فيه من جهة الأوساخ التى تكون منها ، ولا يدخله غراب ، وطلسم للفأر والحيات
 والمقارب ، فما رأى الناس من هذا شيئاً إلا الفأر ، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها ، وطلسم
 للعنكبوت حتى لا ينسج فيه ، وفى رواية فيركبه الفأر والوسخ . قال الحافظ ابن عساكر : وسمعت
 جدى أبا الفضل يحمي بن على يذكر أنه أدرك فى الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات ، معلقة
 فى السقف فوق البطائن مما يلى السبع ، وأنه لم يكن يوجد فى الجامع شئ من الحشرات قبل الحريق .
 فلما احترقت الطلسمات حين أحرق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد مصر سنة إحدى وستين
 وأربعمائة ، وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذى بسوق العليين
 الذى فى أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهى لمسر بول الدواب ، إذا داروا بالذابة حوله ثلاث مرات
 انطلق باطنها . وقد كان شيخنا ابن تيمية رحمه الله يقول : إنما هذا قبر مشرك مفرد مدفون هناك
 يمدب ، فاذا سمعت المداية صراخه فرغت فانطلق باطنها وطبها ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى
 مقابر اليهود والنصارى إذا مفلت فتنتطلق طباعها وتروث ، وما ذاك إلا أنها تسمع أصواتهم وهم يمدبون
 والله أعلم .

(ذكر الساعات التى على بابها)

قال القاضى عبد الله بن أحمد بن زبر : إنما سمى باب الجامع القبلى باب الساعات لأنه عمل هناك
 بلكار الساعات ، كان يعمل بها كل ساعة تعفى من التهاير ، عليها عصافير من نحاس ، وحية من
 نحاس وغراب ، فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصعرت المصافير وصالح الغراب وسقطت حصاة فى
 الطست فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة ، وكذلك سائرها . قلت : هذا يحتمل أحد شيئين
 إما أن تكون الساعات كانت فى الباب القبلى من الجامع ، وهو الذى يسمى باب الزيادة ، ولكن قد
 قيل إنه محدث بعد بناء الجامع ، ولا يفتى ذلك أن الساعات كانت عنده فى زمن القاضى ابن زبر ،

وإما أنه قد كان في الجامع في الجانب الشرق منه في الحائط القبلي باب آخر في محاذ باب الزيادة ،
وعنده الساعات ثم قلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم ، وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم .
[قلت : باب الوراقين قبلي أيضا ، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع
والله أعلم ، أو لمجاريته للجامع ولبابه] ^(١)

قلت : فأما القبة التي في وسط صحن الجامع التي فيها الماء الجاري ، ويقول العامة لها قبة أبي نواس
فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمائة أرخ ذلك ابن عساكر عن خط بعض المماشقة . وأما
القبة الترية المالية التي في صحن الجامع التي يقال لها قبة عائشة ، فسمعت شيخنا القهبي يقول : إنها
إنما بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن منصور الباسلي ، وجعلها لحواصل الجامع
وكتب أوقافه ، وأما القبة الشرقية التي على باب مسجد علي فيقال : إنها بنيت في زمن الحاكم البيهقي
في حدود سنة أربع ومائة . وأما الفوارة التي تحت درج جيرون فعملها الشريف نغر الدولة أبو علي
حمزة بن الحسن بن العباس الحسني ، وكأنه كان ناظراً بالجامع ، وجعل إليها قطعة من حجر كبير من
قصر حجاج ، وأجرى منها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة
وعملت حولها قناطر ، وعقد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جمال تحاكت عندها وازدحمت ،
وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فأعيدت ثم سقطت أعمدتها وما عليها من حريق البادين
والمجارية في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر .

قلت : وأما القصعة التي كانت في الفوارة ، فإزالت وسطها ، وقد أدركتها كنفك ، ثم رفضت
بعد ذلك . وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها ، فلم تزل بها إلى أن تهدمت البادين بسبب
حريق النصاري في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ثم استوفى بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما
كانت ، ونهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر ، ثم عمل الشاذروان القوي شرقي فوارة جيرون ، بعد
الخمسمائة - أظنه - سنة أربع عشرة وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي)

قال أبو بكر بن أبي داود : ثنا أبو عباس موسى بن طاهر المري ثنا الوليد - هو ابن مسلم - قال قال
أبو جعفر الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : الدراسة معدة أحسنها هشام بن إسماعيل الخزومي ، في
قنعة نفسها على عبد الملك ، فحببه عبد الملك فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق فسمع قراءة قتال :
ما هذا ؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ في المنصرات ، فقرأ هشام بن إسماعيل ، فجلس عبد الملك يقرأ قراءة
هشام ، فقرأ بقرائه مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأوا بقرائه . وقال هشام

ابن عمار خطيب دمشق : ثنا أيوب بن حسان ثنا الأوزاعي ثنا خالد بن دهقان قال : أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن المنيرة الخزومي ، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشى . قلت : هشام بن إسماعيل كان نائباً على المدينة النبوية ، وهو القدي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد بن عبد الملك ، قبل أن يموت أبوه ، ثم عزله عنها الوليد وولى عليها عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا .

وقد حضر هذا السبع جماعت من سادات السلف من التابعين بدمشق ، منهم هشام بن إسماعيل ومولاه رافع وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، وكان مكتباً لأولاد عبد الملك بن مروان ، وقد ولى إمرة إفريقية لهشام بن عبد الملك وابنيه عبد الرحمن ومروان . وحضره من القضاة أبو إدريس الخولاني ، وغير بن أوس الأشمري ، ويزيد بن أبي الهمداني ، وسالم بن عبد الله المحاربي ، ومحمد بن عبد الله بن ليلى الأسدي . ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ المحدثين أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى معاوية ، ومكحول ، وسليمان بن موسى الأشمقي ، وعبد الله بن العلاء بن زبر ، وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن بن عراك ، وعبد الرحمن بن طمر اليحصي - أخو عبد الله بن طمر - ويحيى بن الحارث الحمصاني ، وعبد الملك بن نعيان المري ، وأنس بن أنس الصنبري ، وسليمان بن بديع القاري ، وسليمان بن داود الخشني ، وعمران - أو هران - بن حكيم القرشي ، ومحمد بن خالد بن أبي ظبيان الأزدي ، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، وعباس بن دينار وغيرهم . هكذا أوردتم ابن عساكر . قال : وقد روى عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره ، ولا وجه لانكاره . ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود : ثنا عمرو بن عثمان ثنا الوليد - هو ابن مسلم - عن عبد الله بن العلاء قال : سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عروب ينكر الدراسة ويقول : ما رأيت ولا سمعت ، وقد أدركت أصحاب النبي ﷺ . قال ابن عساكر : وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ^(١) في خلافة عمر بن عبد العزيز .

﴿ فصل ﴾

كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ، هدمت الكنيسة التي كانت موضعه في ذى القعدة منها ، فظافروا من المدمر شرعوا في البناء ، وتكامل في عشر سنين ، فكان الفراغ منه في هذه السنة - أعني سنة ست وتسعين - وفيها توفي بانيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقايا فكلها أخوه سليمان كما ذكرنا . فأما قول يعقوب بن سفيان : سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد

(١) كنا بالأصول . والصواب : في سنة ثمان وتسعين .

دمشق وهذه الكنيسة قال : كان الوليد قال للتصاري : ما شقتم انا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الفاخة صلماً ، فأنا أهدم كنيسة توما - قال هشام وتلك أكبر من هذه الفاخة - قال فرضوا أن يهدم كنيسة الفاخة وأدخلها في المسجد ، قال : وكان بابها قبلة المسجد اليوم ، وهو المحراب الذي يصلى فيه ، قال : وهدم الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وعشرين ، ومكتوا في بنائها سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم بناءه ، فأتمه هشام من بعده ففيه فرائد وفيه غلط ، وهو قوله إنهم مكتوا في بناءه سبع سنين ، والصواب عشر سنين ، فإنه لا خلاف أن الوليد بن عبد الملك توفي في هذه السنة - أعني سنة ست وتسعين - وقد حكى أبو جعفر بن جرير على ذلك إجماع أهل السير ، والذى أتم ما بقي من بناءه أخوه سليمان لاهشام والله سبحانه وتعالى أعلم .

[قلت : قل من خط ابن عساكر وقد هدم ، وقد وجدت فيه بعد ذلك أشياء ، منها القيلاب الثلاث التي في محنته . وقد تقدم ذكرها . وقيل إن القبة الشرقية عمرت في أيام المستنصر البيهقي في سنة خمسين وأربعمائة وكتب عليه اسمه واسم الاثنين عشر الذين تزعم الرافضة أنهم أئمتهم ، وأما المبودان الموضوعان في صحف لجبلاتنور ليالي الجمع ، وصنعا في رمضان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، بأمر فاضل البلد أبي محمد ^(١)]

(وهدم ترجمة الوليد بن عبد الملك باقي جامع دمشق وذكر وقاته في هذا العام)
هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو العباس الأموي ، بويح له بالخلقة بعد أبيه بعد منه في ثوال سنة ست وعشرين ، وكان أكبر ولده ، والولي من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن حزن بن الحارث بن زهير العبسي ، وكان مولده سنة خمسين ، وكان أبواه يترفاه ، فشب بلا أدب ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلاً أسمر به أثر جدرى خفي ، أفضس الألف سائله ، وكان إذا شئ يتوكف في المشية - أي يتبعثر - وكان جليلاً وقيل دميماً ، قد شب في مقدم لحينه ، وقد رأى سهل بن سعد ومع أنس بن مالك لما قدم عليه سألهم ما سمع في أشرار الساعة ، كما تقدم في ترجمة أنس ، ومع سعيد بن السيب وحكى عن الزهري وغيره وقد روى أن عبد الملك أراد أن يهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية فجع الوليد جماعة من أهل النخوع عنده فأقاموا سنة ، وقيل ستة أشهر ، فخرج يوم خرج أجمل مما كان ، فقال عبد الملك : قد أجهد وأعمر ، وقيل إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له : لا أفينك إذا مت تجلس تبصر عينك ، ونحن حنين الأمة ، ولكن فحروا زر ، ودلني في حفرتي ، وخلصني وشأني ، وادع الناس إلى البيعة ، فمن قال برأسه هكذا قل بسيفك هكذا . وقال البيهقي : وفي سنة ثمان وتسعين ^(٢) قرا الوليد (١) زيادة من المصرية . (٢) كنا بالأصول . وفيها تحريف ظاهر لأنه مات سنة ٥٩٦ هـ .

بلاد الروم ، وفيها حج بالناس أيضاً . وقال غيره : غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاداً لمطيلة وغيرها ، وكان قنص خاتمه أو من بلّغه مخلصاً . وقيل كان قنصه يوليد إنك ميت ، ويقال إن آخر ماتكم به سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، وقال إبراهيم بن أبي عتبة قال لي الوليد بن عبد الملك يوماً : في كم نَحْم القرآن ؟ قلت في كذا وكذا ، قال : أمير المؤمنين على شفه يختمه في كل ثلاث ، وقيل في كل سبع ، قال : وكان يقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمه . قال إبراهيم رحمه الله : الوليد وأوين مثله ؟ بنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطع الفضة فأقسمها على قراءة بيت المقدس .

وروى ابن عساکر بإسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال : خرج الوليد يوماً من الباب الأصفر فرأى رجلاً عند المئذنة الشرقية يأكل شيتاً ، فأتاه فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وتراًياً ، فقال له : ما حالك على هذا ؟ قال : القنوع يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال : إن لك لشأناً فأخبرني به وإلا ضربت القى فيه عينك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلاً حالاً ، فبينما أنا أسير من مرج الصفر قاصداً إلى الكسوة ، إذ زرمني البول فدخلت إلى خربة لأبول ، فإذا سرب فخرته فإذا مال صيب ، فلات منه غرأرى ، ثم انطلقت أقود برواحلي وإذا بمخلدة معي فيها طعام فألقيته منها ، وقلت : إني سأتي الكسوة ، ورجعت إلى الخربة لأملأ تلك المخلدة من ذلك المال فلم أهدأ إلى المكان بعد الجهد في الطلب ، فذا أيسرت رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجده الطعام ، فأليت على نفسي أني لا أأكل إلا خبزاً وتراًياً . قال : فهل لك عيال ؟ قال نعم ، ففرض له في بيت المال .

قال ابن جرير : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فقلعها حارسه فوضعها في بيت المال ، وقيل إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا واذهب إلى إهلك فغناها ، وقيل إنه دفع إليه شيتاً من ذلك المال يُقيته وعياله . وقال نعيم بن عبد الله الشعماني عن أبيه قال قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكرًا يصل هذا بذكر .

[قلت : فتفي عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشقية ، والفاحشة المنومة ، التي عذب الله أهلها بأنواع العقوبات ، وأحل بهم أنواعاً من المثلاث ، التي لم يعاقب بها أحداً من الأمم السالفات ، وهي طحشة الرواحل التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء ، والتجار والعمام والكتّاب ، والعقهاء والقضاة ونحوهم ، إلا من عصم الله منهم ، فإن في الرواحل من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد ، ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه ، ولأن يقتل المذلول به خير من أن يوقى في دبره ، فانه يفسد فساداً لا يرجى له بعده صلاح أبداً ، إلا أن يشاء الله ويذهب خير المذلول به . فعلى الرجل حفظ ولده في حال صفوه وبعد بلوغه ، وأن يجتنب مخالطة هؤلاء الملاحين ، الذين لهم رسول الله ﷺ .

وقد اختلف الناس : هل يدخل الجنة مفعول به ؟ على قولين ، والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة صحيحة نصوحاً ، ورزق إجابة إلى الله وصلاحاً ، وبدل سيئاته بحسنات ، وغسل عنه ذنوبه بأتواع الطاعات ، وغض بصره وحفظ فرجه ، وأخلص معاملته لربه ، فهذا إن شاء الله مغفور له ، وهو من أهل الجنة ، فإن الله ينفر الذنوب لثائبين إليه (ومن لم يقب فأولئك هم الظالمون) (ومن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) . وأما مفعول به صار في كبره شرّاً منه في صفه ، فهذا توبته متعذرة ، وبسبب أن يؤهل لتوبة صحيحة ، أو لعمل صالح يحو به ما قد سلف ، ويخشى عليه من سوء الخاتمة ، كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوساخهم ، لم يتطهروا منها قبل الخروج من الدنيا ، وبعضهم ختم له بشر خاتمة ، حتى أوقعه عشق الصوري في الشرك الأقوى لا يغفره الله . وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغيرهم من أصحاب الشهوات يطول هذا الفصل بذكرها .

والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخنل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له ، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان . فيقع في سوء الخاتمة . قال الله تعالى (وكان الشيطان للإنسان خذولاً) بل قد وقع سوء الخاتمة لخلق لم يفعلوا فاحشة القواطع ، وقد كانوا متلبسين بذنوب أهون منها . وسوء الخاتمة أعادنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وإطنه مع الله ، وصدق في أقواله وأعماله ، فإن هذا لم يسع به كما ذكره عبد الحق الأشبيلي ، وإتمامه سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقداً ، وظاهره عملاً ، ولئن له جرأة على الكبر ، وإقدام على الجرائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة .

والمقصود أن مفسدة القواطع من أعظم المفسدات ، وكانت لا تعرف بين العرب قديماً كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم . فلها قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يلو ذكراً . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من وجدته يعمل عمل قوم لوط فقتلوا الفاعل والمفعول به » . رواه أهل السنن وصححه ابن حبان وغيره . وقد لمن النبي ﷺ من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات ، ولم يلمن على ذنب ثلاث مرات إلا عليه ، وإما أمر بقتل الفاعل والمفعول به لأنه لا خير في قتلها بين الناس ، لفساد طريقتها ، وخبث باطنها ، فمن كان بهذه المثابة فلا خير للخلق في بقائه ، فإذا أراح الله الخلق منها صلح لهم أمر معاشهم ودينهم . وأما الهنة فهي الطرد والبعد ، ومن كان مطرداً مبعداً عن الله وعن رسوله وعن كتابه وعن صلح عبادته فلا خير فيه ولا في قربه ، ومن رقه الله تعالى توسعاً وقراءة ، وتورأ وفرقا عرف من سحن الناس وجوههم أعمالهم ، فإن أعمال الدال بائنة ولا شئمة على وجوههم وفي أعينهم وكلامهم .

وقد ذكر الله العظيمة وجعل ذلك آية للتوحيين فقال تعالى : (فأخضتهم للصيحة مشرقيين ، فجعلنا عليها سافها وأمطرنا عليهم حجارة من سجين إن في ذلك لآيات للتوحيين) وما بعدها . وقال تعالى : (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأرينا لهم فلهم مخرجهم يسامون ولتخرجهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) ونحو ذلك من الآيات والأحاديث . فطاولي قد عكس الفطرة ، وقلب الأمر ، فأني ذكر آية قلب الله قلبه ، وعكس عليه أمره ، بعد صلاحه وفلاحه ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وخصل التائب قد ذكرها الله في آخر سورة براءة ، فقال : (التائبون المابدون) فلابد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للآخرة ، وإلا فالنفس هامة متحركة ، إن لم تشغلها بالحق وإلا اشتغلتك بالباطل ، فلا بد للتائب من أن يبذل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات ، وأن يتدارك ما فرط فيها وأن يبذل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير ، ويحفظ خطواته وخطواته ، ولفظاته وخطراته . قال رجل للجنيد : أوصني ، قال : توبة تحمل الأصرار ، وخوف يزيل العزة ، ورجاء مزعج إلى طرق الخير ، ومراقبة الله في خواطر القلب . فلهذه صفات التائب . ثم قال الله تعالى : (الحمد لله السائحون الراكبون الساجدون) الآية فلهذه خصال التائب كما قال تعالى : (التائبون) فكأن قائلا يقول : من هم ؟ قيل هم المابدون السائحون إلى آخر الآية ، وإلا فكل تائب لم يتلبس بعد توبته بما يقربه إلى من تاب إليه فهو في بعد وإجبار ، لافي قرب وإقبال ، كما يفعل من اغتر بالله من المعاصي المحظورات ، ويدع الطاعات ، فان ترك الطاعات وفعل المعاصي أشد وأعظم من ارتكاب المحرمات بالشهوة النفسية . فالتائب هو من اتقى المحظورات ، وفعل المأمورات ، وصبر على المقذورات ، والله سبحانه وتعالى هو المعين الموفق ، وهو علم بنات الصدور [١١]

قالوا : وكان الوليد لحانا كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يوما قرأ في خطبته (يا ليتها كانت القاضية) فضم التاء من ليتها ، فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحنا الله منك ، وكان يقول : يا أهل المدينة . وقال عبد الملك يوما لرجل من قریش : إنك لرجل لولا أنك تلحن ، قال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، قال : لكن ابن سليمان لا يلحن ، قال الرجل : وأخي أبو فلان لا يلحن . وقال ابن جرير : حدثني عمر ثناء على - يعني ابن محمد المدائني - قال : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلاصهم ، بنى المساجد بدمشق ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى المجنومين ، وقال لهم : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خلاصا ، وكل ضرير قائدا ، وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظيمة ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم ، ففتح الهند والسند

والاندلس وأقاليم بلاد البحر ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك ، قال : وكان مع هذا يمر باليقال فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تباع هذه ؟ فيقول : بثلث ، فيقول : زد فيها فانك تبيع . وذكروا أنه كان يرحل القرآن ويكرهم ويقضى عنهم دينهم ، قالوا : وكانت همة الوليد في البناء ، وكان الناس كنفك يلقي الرجل الرجل فيقول : ماذا بنيت ؟ ماذا عمرت ؟ وكانت همة أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كنفك ، يلقي الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراير ؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كنفك ، يلقي الرجل الرجل فيقول : كم وردك ؟ كم قرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة ؟ .

[والناس يقولون : الناس على دين ملوكهم ، إن كان خواراً كثر الحر ، وإن كان لوطياً فكنفك وإن كان شحيحاً حريصاً كان الناس كنفك ، وإن كان جواداً كريماً شجاعاً كان الناس كنفك ، وإن كان طماعاً ظلوماً غشوماً فكنفك ، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان كان الناس كنفك . وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص ، والله أعلم ^(١)] .

وقال الواقدي : كان الوليد جباراً ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب ، لجوجاً كثير الأكل والجمع مطلقاً ، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الاماء . قلت : يراد بهذا الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد بن عبد الملك باقي الجمع والله أعلم .

قلت : بنى الوليد الجامع على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير ، وبنى صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة ، وبنى مسجد النبي ﷺ ، ووسمه حتى دخلت الحجرة التي فيها القبر فيه ، وله آثار حسان كثيرة جداً ، ثم كانت وفاته في يوم السبت النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، قال ابن جرير : هذا قول جميع أهل السير ، وقال عمر بن علي الفلاس وجماعة : كانت وفاته يوم السبت للنصف من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ست وقيل ثلاث وقيل تسع وقيل أربع وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدير مران ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير ، وقيل بمقابر باب الفرديس ، حكاه ابن عساكر . وكان الذي صلى عليه عمر بن عبد العزيز [لأن أخاه سليمان كان بإفقس الشريف ، وقيل صلى عليه ابنه عبد العزيز ^(٢)] . وقيل بل صلى عليه أخوه سليمان ، والصحيح عمر بن عبد العزيز والله أعلم . وهو الذي أنزله إلى قبره وقال حين أنزله : لننزلته غير موسم ولا عهد ، قد خلفت الأسلاب وطرفت الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، فقبراً إلى ما قدمت ، غنيا عما أشرت . وجاء من غير وجه عن عمر أنه أخبره أنه لما وضعه - يعني الوليد - في لحده ارتكض في أكفانه ، وجمت رجلاه إلى عنقه . وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور والله أعلم .

قال المدائني : وكان له من الولد تسعة عشر ولدا ذكرا ، وم عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وتام وخالد وعبد الرحمن ومبشر وسرور وأبو عبيدة وصدة ومنصور ومروان وعنيسة وعمر وروح وبشر وزيد ويحيى . فأم عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عمه عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية ، وسائرهم من أمهات أولاد شتى . قال المدائني : وقدرناه جريرا فقال : -

يا عين جردى بسمع حاجه الله كرم * فما لمعك بعد اليوم منخر
إن الخليفة قد وارت شامه * غبراء ملحة في جوفها زور
أنحى بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من بينها القمر
كلوا جميعا فلم يدفع منيته * عبد العزيز ولا روح ولا عمر

ومن هلك أيام الوليد بن عبد الملك (زياد بن حارثة التميمي) الممشق ، كانت داره غربي قصر الثقفين ، روى عن حبيب بن مسلمة القهري في النهي عن المسألة لمن له ما ينفديه ويمشيه ، وفي النفل . ومنهم من زعم أن له محبة ، والصحيح أنه نأبى . روى عنه عطية بن قيس ومكحول وونس ابن مسرة بن حابس ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم : شيخ مجهول ، ووقعه النسائي وابن حبان ، روى ابن عساكر أنه دخل يوم الجمعة إلى مسجد دمشق وقد أخرت الصلاة ، فقال : والله ما بث الله نبيا بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت ، قال : فأخذ فدخل الخضراء قطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك .

﴿ عبد الله بن عمر بن عثمان ﴾

أبو محمد ، كان قاضي المدينة ، وكان شريفاً كثير المروءة جواداً ممدحاً والله أعلم .

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك ﴾

بويح له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات ، وكان يوم السبت لثلاث من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك وقد كان الوليد قد عزم قبل موته على خلق أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طلوعه على ذلك وأمره به ، وكذلك قتيبة بن مسلم وجماعة ، وقد أنشد في ذلك جريرو وغيره من الشعراء قصائد ، فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانفقدت البيعة إلى سليمان ، فخافه قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يبايعه ، فزله سليمان وولى على إمرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب ، فأعاده إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمعاينة آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان . ولبيع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان أحد العلماء ، وقد

كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان الخلافة كتب إليه كتاباً يرميه في أخيه ، وجهته بولايته ، ويذكر فيه بلاءه وعنايه وقتاله وهيته في صدور الأعداء ، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه ، وأنه له على مثل ما كان الوليد من الطاعة والتسبيحة ، إن لم يزل عن خراسان ، وقال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب ، ثم كتب كتاباً ثانياً يذكر ما ضل من القتال والفتوحات وهيته في صدور الملوك والأعاجم ، ويذكر يزيد بن المهلب أيضاً ، ويقسم فيه لئن عزله وولى يزيد ليخلعن سليمان عن الخلافة ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان بالكلية ، وبث بها مع البريد وقال له : ادفع إليه الكتاب الأول ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثالث ، فلما قرأ سليمان الكتاب الأول - وافق حضور يزيد عند سليمان - دفعه إلى يزيد قراءه ، فناوله البريد الثاني قراءه ودفعه إلى يزيد ، فناوله البريد الثالث قراءه ، فالتصريح بعزله وخلعه ، فتغير وجهه ، ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد ، وأمر بإزالة البريد في دار الضيافة ، فلما كان من الليل بث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذهباً وكتاباً فيه ولاية قتيبة على خراسان ، وأرسل مع ذلك البريد بريداً آخر من جهته ليقرره عليها ، فلما وصلا بلاد خراسان بلغتهما أن قتيبة قد خلع الخليفة ، فدفع يزيد سليمان الكتاب الذي معه إلى يزيد قتيبة ، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع يزيد سليمان .

﴿ ذكر سبب مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله ﴾

وذلك أنه جمع الجند والجيوش وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته ، وذكر لهم همة وفتوحه وعمله فيهم ، ودفعه الأموال الجزيلة إليهم ، فلما فرغ من مقاتله لم يبقه أحد منهم إلى مقاتله ، فشرع في تأنيبهم وضمهم ، قبيلة قبيلة ، وطائفة طائفة ، ففضبوا عند ذلك وغرروا عنه وتفرقوا ، وعلموا على مخالفتهم ، وسعوا في قتله ، وكلن القاتم بأعباء ذلك رجل يقال له وكيع بن أبي سود ، فجمع جمعاً كثيرة ، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذى الحجة من هذه السنة ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته ، ولم يبق منهم سوى ضرار بن مسلم ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زرارة ، فحتمه أخواله ، وعمر بن مسلم كان طاعن الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصلاح وياسر ، وهؤلاء أبناء مسلم ، وأربعة من أبنائهم قتلهم كلهم وكيع بن سود .

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي ، من سادات الأمراء وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبراء ، والشجعان وذوى الحروب والفتوحات السعيدة ، والآراء الحكيمة ، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصىهم إلا الله ، فأسلموا وداثوا الله عز وجل ،

وفتح من البلاد والأقاليم الكبير والمدن العظام شيئا كثيرا كما تقدم ذلك مفصلا مبينا ، والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا يجيب قلبه وجهاده .

ولكن زل زلة كان فيها حنقه ، وفعل فعله فيها أنه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه ، وطارق الجماعة فأتت ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكره الله به سيئاته ، ويضاعف به حسناته ، والله يسامحه ويغفر عنه ، ويتقبل منه ما كان يكابد من مناجزة الأعداء ، وكانت وفاته بغرانة من أقصى بلاد خراسان ، في ذي الحجة من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، وكان أبوه أبو صالح مسلم فبمن قتل مع مصعب بن الزبير ، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين ، واستفاد وأهد فيها خيرا كثيرا ، وقد رثه عبد الرحمن بن جانة الباهلي قتل : -

كان أبا حفص قتيبة لم يسر • يجيش إلى جيش ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايت والقوم حوله • وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربه • وراح إلى الجنات عفا مطهرا
فا رزى الاسلام بمد محمد • بمنل أبي حفص فبكى عبيرا
ولقد بالغ هذا الشاعر في بيته الأخير . وعبره وله . وقال الطرماح في هذه الوقة التي قتل فيها على يد وكيع بن سود :

لولا فوارس منخج ابنة منخج • والازد زعزع واستبيح المسكر
وقطعت بهم البلاد ولم يؤب • منهم إلى أهل الرقاق مخبر
واستضلت عقد الجماعة وازدرى • أمر الخليفة واستحل المنكر
قوم هو قتلوا قتيبة عنوة • والخليل جالعة عليها المنير
بالمرج مرج الصين حيث تبيئت • مضر الرقاق من الأعز الأكر
إذ حلفت جزعا زيمة كلها • وتفرقت مضر ومن يشمضر
وهتفت ازد الرقاق ومنخج • للوت يجعها أبوها الأكر
قططان تضرب رأس كل منخج • تحمى بصارهن إذ لا تبصر
والازد تعلم أن تحت لوائها • ملكا قرامية وموت أهر
فبمزا نصر النبي محمد • وبنا تثبت في دمشق المنير

وقد بسط ابن جرير هذه القصيدة بسطا كثيرا وذكر أشعارا كثيرة جدا . وقال ابن خلكان وقال جرير يري قتيبة بن مسلم رحمه الله وسامحه ، وأكرم مثواه وعفا عنه :

ننسى على قتل الأمير ابن مسلم • وأنتم إذا لا قيم الله أنتم

لقد كنتم من غزوه في سفينة • وأنتم لمن لاقيم اليوم • منتم
 على أنه أفضى إلى جزر جنة • وتطبق بالبلوى عليكم جنة
 قال : وقد ولي من أولاده وفروته جماعة الأئمة في البلدان ، فمنهم عمر بن سعيد بن قتيبة بن
 مسلم وكان جواداً مديحاً ، وله حين ملت أبو عمرو أشجع بن عمرو السلي المرى نزيل البصرة يقول :
 بعض ابن سعيد حيث لم يبق مشرق • ولا مغرب إلا له فيه ملاح
 وما كنت أدري ما فواضل كفه • على الناس حتى غيبت الصفايح
 وأصبح في لحد من الأرض ضيق • وكانت بمعيا تضيق الضحايح
 سأبكيك ما مضت دعوى فانقض • فحسبك مني ما تجير الجوايح
 فما أنا من رزقي وإن جل جازع • ولا بسرور بعد موتك فارح
 كأن لم يمت حتى سواك ولم تم • على أحد إلا عليك التوايح
 لئن حسنت فيك المرائي وذكرها • لقد حسنت من قبل فيك المباح

قال ابن خلكان : وهي من أحسن المرائي وهي في الحامسة ، ثم تكلم على باهة وأنها قبيلة مرزولة
 عند العرب ، قال : وقد رأيت في بعض المجاليس أن الأشعث بن قيس قال : يا رسول الله أتتكم أكانا
 دماؤنا ؟ قال : نعم ! ولو قتل رجلا من باهة تقتلتك . وقيل لبعض العرب : أيسرك أن تمسل
 الجنة وأنت جاهلي ؟ قال : بشرط أن لا أعلم أهل الجنة بذلك . وسأل بعض الأعراب رجلا من
 أنت ؟ قال : من باهة ، فجعل يرثي له قال : وأزديك أتى لست من الصميم وإنما أنا من موالهم .
 فجعل يقبل يديه ورجليه ، قال : ولم تفعل هذا ؟ قال : لأن الله تعالى بما ابتلاك بهمة الرزية في
 الدنيا إلا ليموتك الجنة في الآخرة .

ثم قال ابن جرير : وفي هذه السنة توفي قره بن شريك البصري أمير مصر وحاكمها . قلت :
 هو قره بن شريك أمير مصر من جهة الوليد ، وهو أدي بن جلع الفويم . وفيها حج بالناس
 أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان هو الأمير على المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن
 عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن
 عبد الرحمن ، وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلب سفيان بن عبد الله الكندي ، وعلى قضائها
 عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى حرب خراسان وكيع بن سواد
 والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفيها لجئ جليلان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ، وفيها أمر ابنه داود على الصائفة ،

فتفتح حصن المرأة ، قال الواقدي : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية فتفتح الحصن الذي [بناه] الوضاح صاحب الوضاحية . وفيها غزا مسلمة أيضاً برجة فتفتح حصوناً وبرجة وحصن الحديد وشررا ، وشق بأرض الروم . وفيها غزا عمر بن هبيرة القزاري في البحر أرض الروم وشق بها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقدم برأسه على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ، مع حبيب بن أبي عبيد القهزري ، وفيها ولي سليمان نيابة خراسان يزيد بن المهلب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق ، وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبي سود لما قتل قتيبة بن مسلم وفزيتة ، بث برأس قتيبة إلى سليمان فغضب عليه وكتب له بأمره خراسان ، فبث يزيد بن المهلب عبد الرحمن ابن الأهم إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أمر يزيد بن المهلب في إمرة خراسان ، وينتقص عنده وكيع بن سود ، فسار ابن الأهم - وكان ذا دهاء ومكر - إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان وولى عليها يزيد مع إمرة العراق ، وبث بهمده مع ابن الأهم ، فسار في سبع حتى جاء يزيد ، فأعطاه عهد خراسان مع العراق ، وكان يزيد وعده بمائة ألف فلم يف بها فبوث يزيد أبنته عثمة بين يديه إلى خراسان ، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه أن قيساً زعموا أن قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطاعة ، فإن كان وكيع قد تعرض له وفار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع قيسه وأبث به إلى ، فتقدم محمد فأخذ وكيعاً فعاقبه وحجبه قبل أن يجمي أبوه ، فكانت إمرة وكيع بن أبي سود الذي قتل قتيبة تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ، ثم قسم يزيد بن المهلب فقسم خراسان وأقام بها ، واستتب في البلاد نواباً ذكرهم ابن جرير .

قال : ثم سار يزيد بن المهلب ففزا جرجان ، ولم يكن يومئذ مدينة بأبواب وصور ، وإتمامها جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له سول ، فتحول عنها إلى قلعة هناك ، وقيل إلى جزيرة في بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأسروا وغنموا . قال : وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، وتوابع البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن سود ، ووليا يزيد بن المهلب بن أبي صفرة مع العراق . وعن توفي فيها من الأغنياء : الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

أبو محمد القريشي الهاشمي ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً : « من عال أهل بيت من المسلمين منهم وليتهم غفر الله له ذنوبه » . وعن عبد الله بن جعفر عن علي في قضاء الكرب ، وعن زوجته خاتمة بنت الحسين ، وعن ابنه عبد الله وجماعة ، وقد على عبد الملك بن مروان فأكرمه وفصره على الحجلاج ، وأقره وحده على ولاية صقعة على ، وقد ترجمه ابن عثما كر فأحسن ، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته ، قيل إن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عثمة بالنيابة : إن الحسن بن الحسن كاتب

أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا فاجله مائة ضربة ، وقه للناس ، ولا ترائي إلا الله . فأرسل خلفه فله على بن الحسين ^(١) كملت الكرب قلما حين دخل عليه فجاهه الله منهم ، وهى : لا إله إلا الله الجليل الكريم ، لا إله إلا الله العلى العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم . توفى بالمدينة ، وكانت أمه خولة بنت منظور الفزارى . وقال يوماً لرجل من الرافضة : والله إن قتلك لقرية إلى الله عز وجل ، فقال له الرجل : إنك تمزح ، قال : والله ما عندنا منى بمزح . ولكنه الجد . وقال له آخر منهم : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه أدخلني ماله » ؟ قال : بلى ، ولو أراد الخلافة لخطب للناس فقال : أيها الناس اعلموا أن هذا ولى أمركم من بعدى ، وهو القائم عليكم ، فاصبروا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر ثم تركه على لكان أول من ترك أمر الله ورسوله ، وقال لهم أيضاً : والله لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لا قبل لكم توبة ، ويلكم غرتمونا بن أنفسنا ، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لتفعت أباه وأمه ، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا إذ لم يملكونا بذلك قد ظلمونا وكتبوا عنا أفضل الأمور ، والله إنى لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين ، كما أتى لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين ، ويلكم أجبونا إن أظننا الله على طاعته ، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته .

﴿ موسى بن نصير أبو عبد الرحمن القمي رحمه الله ﴾

مولاهم ، كان مولى لأمراء منهم ، وقيل كان مولى لبنى أمية ، افتتح بلاد المغرب ، وغنم منها أموالاً لا تعد ولا تحصى ، وله بها مقامات مشهورة هائلة ، ويقال إنه كان أعرج ، ويقال إنه ولد في سنة تسع عشرة ، وأصله من عين التمر ، وقيل إنه من أراشة من بلي ، سبى أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديقي ، وكان اسم أبيه نصرأ فصر ، روى عن تميم القارنى ، وروى عنه ابنه عبد العزيز ، ويزيد بن مسروق البحصي ، وولى غزو البحر لمعاوية ، ففزا قبرص ، وبني هناك حصوناً كما لماقصة وحصن بانس وغير ذلك من الحصون التي بناها قبرص ، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين ، وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما قتل الضحاك لجأ موسى بن نصير لمبد العزيز بن مروان ، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز ، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جله وزيراً عند أخيه بشير بن مروان .

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأى وتدبير وحزم وخبرة بالحرب ، قال البغوي ^(٢) . ولى موسى ابن نصير إمرة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين فافتتح بلاداً كثيرة جداً مدناً وأقاليم ، وقد ذكرنا أنه ^(١) كذا بالأصول وقد تهمت وفاة على بن الحسين قبل هذا . ^(٢) في المصرية القسوى .

اقتتح بلاد الاندلس ، وهي بلاد ذات مدن وقرى وريف ، وفيها من غيرها خلقاً كثيراً ، وغنى أموالاً كثيرة جزيلة ، ومن الذهب والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يعد ، وأما الآلات والمتاع والذواب فشئ لا يدرى ما هو ، وسي من النملان الحسان والنساء الحسان شيئاً كثيراً ، حتى قيل إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء ، وأسلم أهل المغرب على يديه ، وبث فيهم الدين والقرآن ، وكان إذا سار إلى مكان تحمل الأموال معه على السجل لكثرتها وعجز الذواب عنها

وقد كان موسى بن نصير هنا يفتح في بلاد المغرب ، وقتيبة يفتح في بلاد المشرق ، فجزاهما الله خيراً ، فكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً ، ولكن موسى بن نصير حظى بأشياء لم يحظ بها قتيبة ، حتى قيل إنه لما فتح الاندلس جاءه رجل فقال له : ابشئ مني رجالاً حتى أدلك على كنز عظيم ، فبشئ منه رجلاً فأتى بهم إلى مكان قال : احضروا ، فحضروا فألقى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات أبواب حسنة ، فوجدوا هناك من البواقيت والجواهر والزبرجد ما أبهرهم ، وأما الذهب فشئ لا يعبر عنه ، ووجدوا في ذلك الموضع الطنافس ، والطنفة منها منسوجة بقضبان الذهب ، منظومة بالقول التال المتشخر ، والطنفة منظومة بالجواهر المثمن ، والبواقيت التي ليس لها نظير في شكلها وحسنها وصفاتها ، وقد سمع يومئذ مناد ينادي لابرون شخصه : أيها الناس ، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم تخفونوا حذرهم . وقيل إنهم وجدوا في هذا الكنز مائة سليمان بن داود التي كان يأكل عليها . وقد جمع أخبارهم ومجاريه في حروبه وغزواته رجل من ذريته يقال له أبو معاوية مبارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصيري .

وروى الحافظ ابن عساكر أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شيء رأيته في البحر ، قال : انتهينا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة محتومة بختم سليمان بن داود عليهما السلام ، قال : فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرت بإحدى منها فتبعت فإذا قد خرج منها شيطان ينفض رأسه ويقول : والقي أكرمك بالنبوة لأعود بمعها أفسد في الأرض ، قال : ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال : إني لأأرى بهاء سليمان وملكه ، فانساخ في الأرض فذهب ، قال : فأمرت بالثلاث البواقى فرددت إلى مكائهن .

وقد ذكر السمعاني وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التي بقرب البحر المحيط الأخضر ، في أقصى بلاد المغرب ، وأنهم لما أشرفوا عليها رأوا بريق شرفاتها وحيطاتها من مسافة بعيدة ، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها ، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال ، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها ، فقيل : إنه سار يوماً وليلة حول سورها ، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها ، فأمرهم فجمعوا منهم من المتاع بضعة على بعض ، فلم

يملئوا أعلى سورها ، فأمر فصل سلام فصموا عليها ، وقيل إنه أمر رجلا فصم على سورها ، فلما رأى ماقى داخلها لم يملك نفسه أن أقامها في داخلها فكان آخر العهد به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناس من الصمود إليها ، فلم يحط أحد منهم بما في داخلها علما ، ثم ساروا عنها قطموها إلى بحيرة قريبة منها ، فقيل : إن تلك الجزار المذكورة وجدها فيها ، ووجد عليها رجلا قائما ، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبى مجبوس في هذه البحيرة حبسه سليمان ، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره . فقال له : هل رأيت أحدا خارجا من هذه المدينة أو داخل إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلا يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أيلما ثم ينهب فلا يعود إلى مثله ، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية ، والله أعلم بصحة ذلك ، والعهد على من ذكر ذلك أولا .

وقد استسقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث وتسمين حين أقصطوا بأفريقية ، فأمرم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء ، ثم خرج بين الناس وميز أهل القنة عن المسلمين ، وفرق بين البهائم وأولادها ، ثم أمر بارتقاع الضبيج والبكاء ، وهو يدعو الله تعالى حتى اتصف النهار ، ثم نزل فقيل له : ألا دعوت لأمر المؤمنين ؟ قال : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عز وجل ، فستقام عز وجل لما قال ذلك . وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أبله ، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر ، وقد لبس موسى ثيابا حسنة وهيته حسنة ، فدخل ومعه ثلاثون غلاما من أبناء الملوك الذين أسرم ، والأسبان ، وقد ألبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأبجة العظيمة ، فلما نظر إليهم الوليد وهو يحضرب الناس على منبر جامع دمشق بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرب والجواهر والزينة البالغة ، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر ، وأمر أولئك فوقفوا عن بين المنبر وشماله ، فحمد الله الوليد وشكره على ما أيد به ووسع ملكه ، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ، ثم نزل فصلى بالناس ، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئا كثيرا ، وكذلك موسى بن نصير قدم معه بشئ كثير ، من ذلك مائة سليمان بن داود عليهما السلام ، التي كان يأكل عليها ، وكانت من خيلتين ذهب وفضة ، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثله ، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة . وقيل إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس ، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس أيضا من البربر ، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الغنائم أربعون ألف رأس قال الناس : إن هذا أحق ، من أين له أربعون ألف رأس خمس الغنائم ؟ قبلته ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم ، ولم يسمع في الاسلام بمثل سبيلها موسى بن نصير أمير المغرب .

وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال : ولو اتحاد الناس لي لقدتهم حتى أفتح بهم مدينة زرومية - وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج - ثم ليتمتها الله على يدي إن شاء الله تعالى ، ولما قسم على الوليد قدم معه ثلاثين ألفاً من السبي غير ما ذكرنا ، وذلك خمس ما كان غنمه في آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب ، وقدم معه من الأموال والتحف والآلات والجواهر ما لا يحصى ولا وصف ، ولم يزل مقبلاً يمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان سليمان عاتياً على موسى فحبسه عنده وطالبه بأموال عظيمة ، ولم يزل في يده حتى حج بالناس سليمان في هذه السنة وأخذه معه فأتى بالمدينة ، وقيل بوادي القرى ، وقد قارب الثمانين ، وقيل توفي في سنة تسع وتسعين فله أعلم ورحمه الله وعفا عنه بمنه وفضله آمين .

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين)

ففي هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية وراه الجيش القين هم بها ، فصار إليها ومعه جيش عظيم ، ثم التفت عليه ذلك الجيش الذين هم هناك وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مدين من طعام ، فلما وصل إليها جمعوا ذلك فاذا هو أمثال الجبال ، فقال لهم مسلمة : أتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجيدونه في بلادهم ، وازرعوا في أماكن الزرع واستغلوه ، وابتئوا لكم بيوتاً من خشب ، فاقالوا ترجع عن هذا البلد إلا أن فتحها إن شاء الله . ثم إن مسلمة داخل رجلاً من النصاري يقال له اليون ، وواطأه في الباطن ليأخذ له بلاد الروم ، فظهر منه نصيح في بادئ الأمر ، ثم إنه توفي ملك القسطنطينية ، فدخل اليون في رسالة من مسلمة وقد خلفته الروم خوفاً شديداً ، فلما دخل إليهم اليون قالوا له : رده عنا ونحن نملكك علينا نخرج فاعمل الحيلة في القدر والمكر ، ولم يزل يحميه الله حتى أحرق ذلك الطعام الذي للمسلمين ، وذلك أنه قال لمسلمة : إنهم ماداموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تطلوهم في القتال ، فلو أحرقته لتحققوا منك العزم ، وسلموا إليك البلد سريعاً ، فأمر مسلمة بالطعام فأحرق ، ثم انشمر اليون في السفن وأخذ ما أمكنه من أمتة الجيش في الليل ، وأصبح وهو في البلد محارباً للمسلمين ، وأظهر المداوة الأكيدة ، وقصصن واجتمعت عليه الروم ، وضاق الحال على المسلمين حتى أكلوا كل شيء إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز ، ففكروا راجعين إلى الشام ، وقد جهزوا جهداً شديداً ، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية شديد البناء محكماً ، رحب الفناء شاهقاً في السماء .

وقال الواقدي : لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الاقامة ببيت المقدس ، ثم يرسل الشاكر إلى القسطنطينية ، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والساتيق والحصون ،

حتى يبلغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد همت حضونها وهنت قوتها ، فإذا ضلت ظمك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا بأيديهم ويسلوا لك البلد ، ثم استشار أخاه مسلة فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويضجها عنوة ، فقي ما فتحت فان باقى ما دونها من البلاد والخصون بيده ، قال سليمان : هذا هو الرأى ، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهر في المائة وعشرين ألفاً ، وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة ، وأخرج لهم الأغطية ، وأغرق فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بنزو القسطنطينية والالفة إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له السراكر فامر عليهم أخاه مسلة ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف . ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة المحترسين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ، ثم أمر مسلة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشى ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلة فأبى إلا أن يضجها عنوة ، قالوا : فابست إلينا إليون نشاوره ، فأرسله إليهم ، فقالوا له : رد هذه السراكر عنا ونحن نعطيك وتملكك علينا ، فرجع إلى مسلة : فقال : قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تلقى عنهم ، وقال مسلة : إلى أخشى غدرك ، لحلف له أنه يدفع إليه مقاتليها وما فيها ، فلما تمتي عنهم أخنوا في ترميم ما تهم من أسوارها واستعدوا للحصار ، وغدر إليون بالمسلمين قبحه الله .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك ، فسل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب ، وترى بأخيه الموثر ، فقتل أيوب في حياة أبيه ، فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ، ونعم ما فعل . وفيها فتحت مدينة الصقالية . قال الواقدي : وقد أغارت البرجان على جيش مسلة وهو في قلة من الناس في هذه السنة . فبعث إليه سليمان جيشاً فقاتل البرجان حتى هزمهم الله عز وجل . وفيها غزا يزيد بن المهلب قسطنطين من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالاً شديداً ، ولم يزل حتى تسلمها ، وقتل من الترك القين بها أربعة آلاف صبراً ، وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتة مالا يحصى ولا يوصف كثرة وقيمة وحسناً ، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالعلم ، فقدموا لتجده قاتلهم يزيد بن المهلب وقتلوه ، فعمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي . وكان فارساً شجاعاً باهراً . على ملك الديلم قتله وهزمهم الله ، وقد برز ابن أبي سبرة هنا يوماً بض فرسان الترك ، فضره التركي بالسيف على البيضة فثقب فيها ، وضربه ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دماً وسيف التركي ناشب في

خودته ، فنظر إليه يزيد بن المهلب قال : ما رأيت منظر أحسن من هذا ، من هذا الرجل ؟ قالوا :
 ابن أبي سبرة . قال : نعم الرجل لولا انهما كانا في الشراب : ثم صمم يزيد على محاصرة جرجان ،
 وما زال يضيق على صاحبها حتى صلحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف دينار ، ومائتي ألف
 ثوب ، وأربعمائة حماء موقرة زعفراناً ، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل ترس ، على الترس طيلسان
 وجام من فضة وسرقة من حرير ، وهذه المدينة كان سعيد بن العاص فيها فتحها صلحاً على أن
 يحملوا الخراج في كل سنة مائة ألف ، وفي سنة مائتي ألف ، وفي بعض السنين ثلاثمائة ألف ،
 ويمنون ذلك في بعض السنين ، ثم امتنعوا جلة وكفروا ، فغزا يزيد بن المهلب وردّها صلحاً
 على ما كانت عليه في زمن سعيد بن العاص . قالوا : وأصاب يزيد بن المهلب من غيرها أموالاً
 كثيرة جداً ، فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسة ، قال : أترون أحداً يهدف هذا ؟ قالوا :
 لا لنبله ، قال : والله إني لأعلم رجلاً لو عرض عليه هذا وأمنّاه لهدف فيه ، ثم دعا بمحمد بن
 واسع - وكان في الجيش مغازياً - ففرض عليه أخذ التاج فقال : لأحلبه لي فيه ، قال : أقسمت
 عليك لتأخذته ، فأخذه وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلاً أن يقبضه فينظر ماذا يصنع بالتاج ،
 فرسائل فطلب منه شيئاً فأعطاه [التاج] بكلمة وانصرف ، فبعت يزيد إلى ذلك السائل فأخذ
 منه التاج وعوضه غنة مالا كثيراً

وقال علي بن محمد المدائني قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب
 فرموا إليه أنه أخذ خريطة فيها مائة دينار ، فسأله عنها فقال : نعم وأحضرها ، فقال له يزيد : هي لك ،
 ثم استدعى القتي وشى به فشنمه ، فقال في ذلك القطامي الكلبى ، ويقال إنها لسان بن مكل القهيري

قد باع شهر دينه بخريطة • فن يأمن القراء بمدك يا شهر

أخفت به شيئاً طيفياً وبمنه • من ابن جوفوذان هذا هو القدر

وقال مرة بن النخعي :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ • لولاك كان كساح القراء

قال ابن جرير : ويقال إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مائة ألف وعشرين ألفاً ،
 منهم ستون ألفاً من جيش الشام أتاهم الله ، وقد تمهدت تلك البلاد بفتح جرجان وسلكت الطرق ،
 وكانت قبل ذلك مخوفة جداً ، ثم عزم يزيد على السير إلى خوزستان ، وقدم بين يديه سرية هي أربعة
 آلاف من سراة الناس ، فلما التقوا اقتتلا قتالاً شديداً ، وقتل من المسلمين في المعركة أربعة آلاف
 إن شاء الله وإنا إليه راجعون . ثم إن يزيد عزم على فتح البلاد لا يهول ولا يهاب حتى حمله صاحبها -
 وهو الإصمعيلى - بمال كثير ، سبعمائة ألف في كل علم وغير ذلك من المتاع والرقائق ، ومن توفى فيها

من الأعيان : (عبيد الله بن عبد الله بن عتبة)

كان إماماً حجة ، وكان مؤخر عمر بن عبد العزيز ، وله روايات كثيرة عن جماعت من الصحابة .
أبو الحنفى النخعي . عبد الله بن محمد بن الحنفية . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله سبحانه
وتعالى أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين ﴾

فيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوم الجمعة لعشر مضين ، وقيل يقين من صفر
منها ، عن خمس وأربعين سنة ، وقيل عن ثلاث وأربعين ، وقيل إنه لم يجاوز الأربعين . وكانت
خلافته ستين وثمانية أشهر ، وزعم أبو أحمد الحاكم أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشر بقيت من رمضان
منها ، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وله من العمر تسع وثلاثون
سنة ، والصحيح قول الجمهور وهو الأول ، والله أعلم .

وهو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي
الأموي ، أبو أيوب . كان مولده بالمدينة في بني جذيلة ، ونشأ بالشام عند أبيه ، وروى الحديث عن
أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الإطاك ، رواه ابن عساكر من طريق ابنه عبد الواحد
ابن سليمان عنه ، وروى عن عبد الرحمن بن هنيئة أنه محب عبد الله بن عمر إلى النوبة قال فسكت
قال لي ابن عمر : مالك ؟ قال : إني كنت أتمنى . قال ابن عمر : فاستمى يا أبا عبد الرحمن ؟ قال
لي : لو أن لي أحداً هذا ذهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك ، أو قال : ما خشيت أن
يضر بي . رواه محمد بن يحيى الذهلي عن أبي صالح عن الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن
الزهري عنه .

قال ابن عساكر : وكانت داره بدمشق موضع مضاة جيرون الآن في تلك المساحة جميعها ،
وبني داراً كبيرة مما يلي باب الصغير ، موضع القرب المعروف برب عرر ، وجعلها دار الإمارة ،
وعمل فيها قبة صفراء تشبها بالقبة الخضراء ، قال : وكان فصيحاً مؤثراً للعبد محبا للفرز ، وقد أخذ
الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحهم على بناء الجامع بها .

وقد روى أبو بكر الصولي أن عبد الملك جمع بينه ، الوليد وسليمان ومسلمة ، بين يديه فاستقرأهم
القرآن فأجادوا القراءة ، ثم استنشد الشعر فأجادوا ، غير أنهم لم يكلوا أو يحكوا شعر الأعشى ،
فلاهم على ذلك ، ثم قال : لينشدني كل رجل منكم أرق بيت قاله العرب ولا يفتش ، هل
يا وليد ، قال الوليد :

ماركب وركب الخيل يمجني • كركب بين دملوح وخلخال

قال عبد الملك : وهل يكون من الشعر أرق من هذا ؟ هل ياسليمان ، قال :

حببتنا رجسها يديها إليها • في يدي درعها تحمل الازارا

قال : لم تصب ، هات يا مسلمة ، فأنشده قول امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا لتضري • بسهميك في أعشار قلب مقتل

قال : كذب امرؤ القيس ولم يصب ، إذا ذرفت عينها بالوجد فإبقي إلا لقاء ، وإنيما ينبغي للماشق أن ينتفضي^(١) منها الجفاء ويكسوها المودة ، ثم قال : أنا مؤجلكم في هذا البيت ثلاثة أيام فنأتى به فله حكمة ، أى مهما طلب أعطيته ، فعضوا من عنده فيينا سليمان في موكب إذا هو بأعرابي يسوق إليه وهو يقول :

لوضربوا بالسيف رأسي في مودتها • لئلا يهوى سرهما نحوها راسي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل ، ثم جاء إلى أبيه قال : قد جئتكم بما سألت ، قال : هات ، فأنشده البيت قال : أحسنت ، وأنى لك هذا ؟ فأخبره خبر الأعرابي ، قال : سل حاجتك ولا تنس صاحبك . قال : يا أمير المؤمنين إنك عهدت بالامر من بسلك الوليد ، وإني أحب أن أكون ولي العهد من بعده ، فأجابه إلى ذلك ، وبعثه على الحج في إحدى وعشرين ، وأطلق له مائة ألف درهم ، فأعطاهما سليمان لذلك الأعرابي الذي قال ذلك البيت من الشعر ، فلما مات أبوه سنة ست وعشرين وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد ، كان بين يديه كلوزير والمشير ، وكان هو المستنص على عمارة جامع دمشق ، فلما توفي أخوه الوليد يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، كان سليمان بالرملة ، فلما أقبل تلقاه الأمراء وجوه الناس ، وقيل إنهم ساروا إليه إلى بيت المقدس فبايعوه هناك ، وعزم على الإقامة بالقدس ، وأتته الوفود إلى بيت المقدس فلم يروا وفادة هناك ، وكان يجلس في قبة في محن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال ، وتجلس أكبر الناس على الكراسي ، وتقسم فيهم الأموال ، ثم عزم على الحجى إلى دمشق : فدخلها وكل عمارة الجامع .

وفي أيامه جددت المقصورة واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً ، وقال له : إنا قد ولينا ماترى وليس لنا علم بتدبيره ، فأرأيت من مصلحة العامة فرب به فليكتب ، وكان من ذلك عزل نواب الحاج وإخراج أهل السجون منها ، وإطلاق الأسرا ، وبذل الأعطية بال عراق ، ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول ، بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها ، مع أمور حسنة كان يسميها من عمر بن عبد العزيز ، وأمر بنزو القسطنطينية فبعث إليها من أهل الشام والجزيرة والموصل في البر نحواً من مائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، وبعث من أهل مصر وإفريقية ألف مراكب في البحر ، عليهم عمر بن هبيرة ، وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلمة ، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك

(١) ينتفضي الجفاء أى ينفض عنه . ولعله «ينتفضى» بمعنى يخلع ، في مقابل قوله «ويكسوها»

في جماعة من أهل بيته ، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير ، حين قدم عليه من بلاد المغرب ، والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي عن جابر بن عون الأسدي . قال : أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة أن قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومنزلة باطل ، وزينة قهلب ، تضحك باكيا وتبكي ضاحكا ، وتخيف آمنا وتؤمن خائفا ، تفرى فقيرها ، وتثرى قديرها ، ميلة لاعبة بأهلها . يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماما ، وارضوا به حكما ، واجملوه لكم قائدا ، فإنه ناسخ لما قبله ، ولن يسخره كتاب بعده . اعلّموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصباح إذا تنفس أظفار الليل إذا غمس . وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال : سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم . قال : كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته : وإنا أهل الدنيا على رحيل ، لم تحض لهم نية ولم تلمس بهم حتى يأتي أمر الله ووعده وهم على ذلك ، كنتك لا يدوم نعميها ، ولا تؤمن فجائتها ولا تبقى من شر أهلها ثم يلو (أفرأيت إن متنعاهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنون) وروى الأصمعي أن قيس خاتم سليمان [كان] : أمنت بالله خالصا ، وقال أبو مسهر عن أبي مسلم سلمة بن الصيارف الزناري . قال : كان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك ، ويقول : افتتح خلافته بخير وختمها بخير ، افتتحها بأجابة الصلاة لمواقبتها ، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز . وقد أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حجج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة ، قال الهيثم ابن عدي قال الشعبي : حجج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالومس قال لعمر بن عبد العزيز : ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ، قال : يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيته اليوم ، وهم غدا خصلوك عند الله ، فبكي سليمان بكاء شديدا ثم قال : بالله أستعين . وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا جابر عن عطاء بن السائب . قال : كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابهم السماء برعد وبرق وظلة وريح شديدة ، حتى فزعوا القلك ، وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك ، فقال له سليمان : ما يضحكك يا عمر ؟ أما ترى ما نحن فيه ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين هذه آكلو رحمتي فيها شائد ما ترى ، فكيف بأكلو سخطه وغضبه ؟ ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله : الصمت منام العقل والتلظى يقتله ، ولا يتم هذا إلا بهنا . ودخل عليه رجل فكلّمه فأعجبته منطقته ثم نقشه فلم يحمد عقله ، فقال : فضل منطق الرجل على عقله خدعة ،

وفضل عقله على منطقته هجئة ، وخير ذلك ما أشبه بمضه بمضاً وقال : العاقل أحرص على إقامة لسانه منه على طلب معاشه ، وقال أيضاً : إن من تكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن . ومن شره يقسلي عن صديق له مات فقال : وهوّن وجدي في شراجيل أنثى * متى شئت لاقيت امرأة مات صاحبه ومن شره أيضاً :

ومن شيعي ألا أطرق صاحبي * وإن ملني إلا سألت له رشداً
وإن دام لي بالود دمت ولم أكن * كآخر لا برعى ضمناً ولا عهداً

ومع سليمان ليلة صوت غناء في مسكره فلم يزل يخصص حتى أتى بهم ، فقال سليمان : إن الفرس ليصل فستوق له الرخصة ، وإن الجبل ليهدر فتضبع له الناقة ، وإن التيس لينب فستخذى له العزرو وإن الرجل لينتفى فشتاق له المرأة ، ثم أمر بهم فقال : اخصوم ، فيقال إن عمر بن عبد العزيز قال : يا أمير المؤمنين إنها مثله ، ولكن اخصم ، فنفام . وفي رواية أنه خصى أحدهم ، ثم سأل عن أصل الغناء فقيل إنه بالمدينة ، فكتب إلى عماله بها وهو أبو بكر بن محمد بن حزم يأمره أن يخصى من عنده من المثنتين المثنتين .

وقال الشافعي : دخل أعرابي على سليمان فدهاه إلى أكل الفالودج وقال له : إن أكلها يزيد في البخل فقال : لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل [رأس] البغل . وذكروا أن سليمان كان نهما في الأكل ، وقد تناول عنه أشياء في ذلك غريبة ، فمن ذلك أنه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية ، وأربع وثمانين كولة بشحمها ، وثمانين جردقة ، ثم أكل مع الناس على العادة في السباط العام ^(١) . ودخل ذات يوم بستاناً له وكان قد أمر قيمه أن يجني ثماره ، فدخله ومعه أصحابه فأكل القوم حتى ملوا ، واستمر هويأ كل أكلًا فريسا من تلك الفواكه ، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على أكل الفاكهة ، ثم أتى بمجاجةين فأكلهما ، ثم عاد إلى الفاكهة فأكل منها ، ثم أتى قصب فقدم فيه الرجل علوماً سويفاً ومحمناً وسكرًا فأكله ثم عاد إلى دار الخلافة ، وأتى بالسباط فاقدموا من أكله شيئاً ^(٢) . وقد روى أنه عرضت له حمى عقب هذا الأكل أدته إلى الموت ، وقد قيل إن سبب مرضه كان من أكل أر بمانة بيضة وستين تيناً فافقه أعلم .

وذكر الفضل بن أبي المهبلي أنه لبس في يوم جمعة حلة صفراء ثم نزعها ولبس بدلها حلة خضراء

(١) هذا وامثالهن مبالغات الاعاجم التي كانوا يتقربون بها إلى بني المباس . وسيأتي في ص ١٨٣ أن سليمان رحمه الله أنه كان نجيفاً جليلاً ، وهي صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه (٢) الذي اخترع هذه الأكاذيب نسي أن المدة لا تهبل زيادة على حجمها ، وقد قيل إذا كنت كنوياً فكن ذكوراً

واعظم بهامة خضره و اجلس على فراش أخضر وقد بسط ما حوله بالخضرة ، ثم نظر في المرأة فأعجب حسنه ، وشمر عن ذراعيه وقال : أنا الخليفة الشاب ، وقيل إنه كان ينظر في المرأة من فرقه إلى قدمه ويقول : أنا الملك الشاب ، وفي رواية أنه كان ينظر فيها ويقول : كان محمد نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حياً ، وكان علي شجاعاً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك سائساً ، وكان الوليد جباراً ، وأنا الملك الشاب . قالوا : فما حال عليه بعد ذلك شهر ، وفي رواية جمعة ، حتى مات . قالوا : ولما حم شرع يتوضأ فدعا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنشدته :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلو من الميوب وما * يكره الناس غير أنك فان

قالوا : فصاح بها وقال : عزتني في فضي ، ثم أمر خاله الوليد بن العباس القمعاق المنسي^(١) أن يصب عليه وقال :

قرب وضوءك يا وليد فأتما * دنياك هذى بلنة ومتاع

فاعمل لنفسك في حياتك صالحاً * فاعلم فيه فرقة وجماع

ويروى أن الجارية لما جاءت به بالطست جعلت تضطرب من الحى ، فقال : أين فلانة ؟ قالت : محبومة ، قال : فلانة ؟ قالت : محبومة ، وكان بمرج دابق من أرض قفسرين ، فأمر خاله فوضأه ثم خرج يصل بالناس فأخذته بحمة في الخبطة ، ثم نزل وقد أصابته الحى فأت في الجمعة المقبلة ، ويقال : إنه أصابه ذات الجنب فأت بها رحمه الله .

وكان قد أقسم أنه لا يبرح بمرج دابق حتى يرجع إليه الخلب بفتح القسطنطينية ، أو يموت قبل ذلك ، فأت قبل ذلك رحمه الله وأكرم مثواه ، قالوا : وجعل يلهج في مرضه ويقول :

إن بنى صفار * أفلح من كان له كيار

فيقول له عمر بن عبد العزيز : قد أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين ، ثم يقول :

إن بنى صبية صفيون * قد أفلح من كان له ربيون

ويروى أن هذا آخر ما تكلم به ، والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال : أسألك منقلباً كرباً ، ثم قضى . وروى ابن جرير عن رجاء بن حيوة - وكان وزير صدق لبنى أمية - قال : استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولى له ابناً صغيراً لم يبلغ الحلم ، قلت : إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولى على المسلمين الرجل الصالح ، ثم شاورني في ولاية ابنه داود ، قلت : إنه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدرى أى هو أو ميت ، فقال : من ترى ؟ قلت : رأيك يا أمير المؤمنين ،

قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ قلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله ، ولكن اتخوف عليه إختوتك أن لا يرضوا بذلك ، قال : هو والله على ذلك وأشار رجال ^(١) أن يعجل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بذلك بنو مروان ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، إلى قد وليته الاخلاقه من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاصموا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيقطع فيكم عنكم . وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حمدة العبسي صاحب الشرطة ، قال له : اجمع أهل بيتي فرهم فليأيموا على ما في هذا الكتاب غتوما ، فمن أبى منهم ضرب عنقه . فاجتمعوا ودخل رجال منهم فسلموا على أمير المؤمنين ، قال لهم : هذا الكتاب عهدى إليكم ، فاصموا له وأطيعوا ويايموا من وليت فيه ، فبايموا تلك رجلاً رجلاً ، قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز قال : أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستغنيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ، قلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً . قال : ولقيه هشام بن عبد الملك قال : يارجاه إن لي بك حرمة ومودة قديمة ، فأخبرني هذا الأمر إن كان إلى علمت ، وإن كان لنيري فما مثلي قصربه عن هذا . قلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرته إلى أمير المؤمنين ، قال رجاء : ودخلت على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلت إذا أخذته السكره من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة ، فإذا أفاق يقول : لم يأن تلك بعد يارجاه ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يارجاه إن كنت تريد شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فحرفته إلى القبلة فلت رحمه الله . قال : فتملتيه بقطيعة خضراء وأغلقت الباب عليه وأرسلت إلى كعب بن حمدة فجمع الناس في مسجد دايق ، قلت : يايموا لمن في هذا الكتاب ، فقالوا : قد يايمنا ، قلت : يايموا ثانية ، ففعلوا ، ثم قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان ، فلما قرأت وإن هشام ^(٢) بن عبد الملك بعده ، تراجعوا بعض الشيء . وولدت هشام لا نبأ به أبداً ، قلت : أضرب عنقك والله ، ثم فبايع ، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد ، فلما تحقق ذلك قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم تحمله رجلاه حتى أخفوا بضبعيه فأصمدوه على المنبر ، فسكت حيناً ، قال : رجاء بن حيوة : ألا قوموا إلى أمير المؤمنين فبايموه ، قهض القوم فبايموه ، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايع وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال عمر : نعم ! إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت

(١) في المصرية : وأشار سليمان بن رجاء . ولله : وأشار رجاء (٢) كنا بالأصول ، والقي

يتم في كتاب العهد وما قبله أنه يزيد بن عبد الملك .

تتنازع هذا الأمر. ثم قام فخطب الناس خطبة بليغة وبإيموه، فكان مما قال في خطبته: أيها الناس، إني لست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فليست لكم بوال، ثم نزل، فأخنوا في جهاز سليمان، قال الأوزاعي: فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب، فصرى عمر بالناس صلاة المغرب، ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب، فلما انصرف عمر أتى بجراكب الخلافة [فأبى أن يركبها] وركب دابته وانصرف مع الناس حتى أتوا دمشق، قالوا بمضوء دار الخلافة قال: لا أنزل إلا في منزلي^(١) حتى تفرغ دار أبي أيوب، فاستحسنوا ذلك منه، ثم استدعى بالكتاب فجعل يعلو عليه نسخة الكتاب التي يبائع عليه الأمصار، قال رجاء: فما رأيت أفصح منه.

قال محمد بن إسحاق: وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قيسرين يوم الجمعة لشر ليل خلت من صفر سنة تسع وتسعين، على رأس ستين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من متوفى الوليد، وكذا قال الجمهور في تاريخ وقته، ومنهم من يقول: لعشرين بقين من صفر، وقالوا: كانت ولايته ستين وثمانية أشهر، زاد بعضهم إلا خمسة أيام والله أعلم. وقرول الحاكم أبي أحمد: إنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشرين من رمضان سنة تسع وتسعين، حكاه ابن عساكر، وهو غريب جداً، وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله، وعندما أنه جاوز الأربعين قبيل بثلاث وقيل بخمسة والله أعلم. قالوا: وكان طويلاً جميلاً أبيض نحيفاً، حسن الوجه، مقرون الحاجبين، وكان فصيحاً بليغاً، يحسن العربية ويرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وأهله، واتباع القرآن والسنة، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله، وقد كان رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق - ودابق قرية من بلاد حلب - لما جهز الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية، أن لا يرجع إلى دمشق حتى تنتهي أو يموت، فأتى هناك كما ذكرنا، فحصل له بهمة النية أجر الرباط في سبيل الله، فهو إن شاء الله ممن يجزى له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس الثقفي ما مضونه: إن مسلمة ابن عبد الملك لما سبق بمحاصرته على أهل القسطنطينية، وتبع المسالك واستحوذ على ما هناك من الممالك، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان^(٢) يستنصره على مسلمة، ويقول له: ليس لهم (١) كان منزله في موضع مدرسة السيساطية الآن مما يلي باب مسجد بني أمية الشامي. أما قصر الخلافة التي يسمى (الغار الخضراء) فكان وراء الجدار الثقيل من مسجد بني أمية. ويسمى موضعه الآن (المصبغة الخضراء) (٢) الأرجح أنهم أمة البلغار، وهم أقرب الأمم النصرانية إلى القسطنطينية.

همة إلا في الدعوة إلى دينهم ، الأقرب منهم فالأقرب ، وإيهم متى فرغوا منى خلصوا إليك ، فيها كنت صانعاً حينئذ فأصنعه الآن ، فند ذلك شرع لسنه الله في المكر والخديعة ، فكتب إلى مسلمة يقول له : إن إليون كتب إلى يستصرني عليك ، وأنا ملك قرني بما شئت . فكتب إليه مسلمة : إني لا أريد منك رجالاً ولا عدداً ، ولكن أرسل إلينا بالبرية فقد قل ما عندنا من الأرزاد . فكتب إليه : إني قد أرسلت إليك بموق عظيمة إلى مكان كذا وكذا ، فأرسل من يتسلها ويشترى منها . فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشترى له ما يحتاج إليه ، فذهب خلق كثير فوجدوا هناك سوقاً هائلة ، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة ، فأقبلوا يشترون ، واشتغلوا بذلك ، ولا يشرون بما أرصد لهم الخبيث من السكاكين بين تلك الجبال التي هنالك ، فخرجوا عليهم بفتنة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين ، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم ، فأما الله وإنا إليه راجعون ، فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك ، فأرسل جيشاً كثيفاً لمحبة شراحيل بن عبيدة هذا ، وأمرهم أن يميروا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك البرجان ، ثم يعودوا إلى مسلمة ، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا إليهم تلك الغلجان ، فاقتلوا معهم قتلاً شديداً ، فزهمهم المسلمون بإذن الله ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً ، وخلصوا أسرى المسلمين ، ثم تحيزوا إلى مسلمة فكاثوا عنده حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم ، ومن ضيق العيش ، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة ألباهم الله .

﴿ وهذه خلافة عمر بن عبد العزيز أشجع بني مروان رضي الله عنه وأكرمه ﴾

قد تقدم أنه بويع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر مضين ، وقد قيل بقي من صفر من هذه السنة - أعني سنة تسع وتسعين - يوم مات سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه إليه من غير علم من عمر كما قسمنا ، وقد ظهرت عليه غايل الورع والدين والتقشف والعيانة والزهادة ، من أول حركة بنت منه ، حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة ، وهي انخيل الحسان الجياد الممدة لها ، والاجترأ بمركوبه الذي كان يركبه ، وسكنى منزله رغبة عن منزل الخلافة ، ويقال إنه خطب الناس فقال في خطبته : أيها الناس ، إن لي فساداً فاقه لا تملأ شيئاً إلا تافت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أعطيت الخلافة تافت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فأعينوني عليها يرحمكم الله . وسأني ترجته عند وفاته إن شاء الله ، وكان مما يلحق إليه عرف في هذه السنة أن يمت إلى مسلمة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين وم بأرض الروم محاصرو القسطنطينية ، وقد اشتد عليهم الحال وضاق عليهم المجال ، لأنهم عسكر كثير ، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى الشام إلى منازلهم . وبث إليهم بطلم كثير وخيول كثيرة عتاق ، يقال خمائة فرس ، ففرح الناس بذلك ،

وفيها أغرت الترك على أذربيجان قتلوا خلقا كثيرا من المسلمين ، فوجه إليهم عمر حاتم بن النعمان الباهلي قاتل أولئك الأتراك ، ولم يمت منهم إلا اليسير ، وبث منهم أسارى إلى عمر وهو بمخاضمة . وقد كان المؤذون يدركونه بعد أذانهم بقتراب الوقت وضيقه لثلا يؤخرها كما كان يؤخرها من قبله ، لكنثرة الأشغال ، وكان ذلك عن أمره لهم بذلك والله أعلم . فروى ابن عساكر في ترجمة جرير بن عثمان الرحبي الجمعي قال : رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلمون عليه في الصلاة : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، الصلاة قد تاربت .

وفي هذه السنة عزل عمر بن يزيد بن المهلب عن إمرة العراق وبث عدي بن أرطاة الفزاري على إمرة البصرة ، فاستقضى عليها الحسن البصري ، ثم استعفاه فأعفاه ، واستقضى مكانه إياس بن معاوية الذي المشهور ، وبث على إمرة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وضم إليه أيا الزناد كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عمر الشعمي . قال الواقدي : فلم يزل قاضيا عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ، وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحسكي ، وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة ، وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن أبي وداعة وولى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل الفتيا إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر ، فهؤلاء الذين كانوا يفتون الناس ، واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله الحزومي ، وكان حسن السيرة ، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ الحسن بن محمد بن الحنفية ﴾

تأبى جليل ، يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء ، وقد تقدم أن أبا عبيد قال : توفي في سنة خمس وتسعين ، وذكر خليفة أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذكر شيخنا القمي في الاعلام أنه توفي هذا العام ، والله أعلم .

﴿ عبد الله بن محمير بن جنادة بن عبيد ﴾

القرشي الجمعي المكي ، نزيل بيت المقدس ، تأبى جليل ، روى عن زوج أم أبي حفصورة المؤذن ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سعيد ، ومعاوية ، وغيرهم ، وعنه خالد بن معدان ، ومكحول ، وحسان بن عطية ، والزهري ، وآخرون . وقد وثقه غير واحد ، وأثنى عليه جماعة من الأئمة ، حتى قال رجاء بن حيوة : إن فخر علينا أهل المدينة بما بهم ابن عمر ، فما فخر عليهم بما بهنا عبد الله ابن محمير . وقال بعض ولاة : كان يحتم القرآن كل جمعة ، وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه ،

قالوا : وكان صموئلا معتزلاً للفقن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يذكر شيئاً من خصاله الحميدة ، ورأى على بعض الأمراء حلة من حرير فأنكر عليه ، فقال : إنما ألبسها من أجل هؤلاء . وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين - فقال له ابن عمير : لا تمل بجفوك من الله خوف أحد من الخلقين . وقال الأوزاعي : من كان مقتدياً فليقتد بعنله ، فان الله لا يفضل أمة فيها مثله . قال بعضهم : توفي أيام الوليد ، وقال خليفة بن خياط : توفي أيام عمر بن عبد العزيز ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام ، والله سبحانه أعلم .

دخل ابن عمير مرة حاتون بزاز ليشتري منه ثوباً فرفض في السوم ، فقال له جاره : ويحك هذا ابن عمير ضع له ، فأخذ ابن عمير يبد غلامه وقال : اذهب بنا ، إنما جئت للشتري بأموالنا لا بأدائنا ، فذهب وتركه . (محمود بن يزيد بن عتبة)

أبو نعيم الأنصاري الأشيلي وفد في حياة النبي ﷺ ، وروى عنه أحاديث لكن حكها حكم الإرسال . وقال البخاري : له محبة . وقال ابن عبد البر : هو أحسن من محمود بن الربيع . قيل إنه توفي سنة ست وقيل سبع وتسعين ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام والله أعلم باليقين (نافع بن جبير بن مطعم)

ابن عدي بن نوفل القرشي التوفلي المدني ، روى عن أبيه وعنه وعلى والعباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم ، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، وكان ثقة عابداً يجمع ماشياً ومركوباً يقاد معه ، قال غير واحد : توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة .

(كريب بن مسلم)

مولي ابن عباس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان عنده حمل كتب ، وكان من الثقات المشهورين بلخيري والقيانة .

(محمد بن جبير بن مطعم)

كان من علماء قریش وأشرفها ، وله روایات كثيرة ، وكان يعقل حجة مجها النبي ﷺ في وجهه وعمره أربع سنين ، توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة .

(مسلم بن يسار)

أبو عبد الله البصري ، الفقيه الزاهد ، له روایات كثيرة ، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً كثير الصلاة كثير الخشوع ، وقيل إنه وقع في داره حريق فأطلقوه وهو في الصلاة لم يشعر به ، وله منقلب كثيرة رحمه الله . قلت : وانهت مرة ناحية من المسجد فخرج أهل السوق لمندتها ، وإنه لفي المسجد في صلاته فما التفت . وقال ابنه : رأيته ساجداً وهو يقول : متى ألقاك

وأنت عني راض ، ثم ينهب في الدعاء ، ثم يقول : متى أهلك وأنت عني راض ، وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة ، وقد قدمت ترجمته

(حش بن عمرو الصنعاني)

كان والي إفريقية وبلاد المغرب ، وبإفريقية توفي غزاياء وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة .

(خارجة بن زيد)

ابن الضحاك الأنصاري المدني الفقيه ، كان يقضي بالمدينة ، وكان من قهلهما المدودين ، كان علما بالفرائض وتقسيم الموارث ، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم .

(سنة مائة من الهجرة النبوية)

قال الامام أحمد : حدثنا علي بن حفص أنبا ورقاء عن منصور عن الزهال بن عمرو عن نعيم بن حجابة قال : دخل ابن مسعود على علي قال : أنت القاتل قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منقوسة » ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منقوسة ممن هوى ، وإن رخاء هذه الأمة بعد المائة » . فخر رواية لابنه عبد الله أن عليا قال له : يفرخ أنت القاتل لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هوى اليوم ، وإنما رخاء هذه الأمة وفرحها بعد المائة ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ، أخطأت أستاذك الحفرة ، وإنما أراد من هو اليوم حي » . فخر به ^(١) وهكنا جافى الصحيحين عن ابن عمر ، فوهل الناس في مقال رسول الله ﷺ ، تلك وإنما أراد انحراف قرنه وفيها خرجت خارجة من الحرورية بالمرق فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ثاقب السكوة ، يأمره بأن يدعوهم إلى الحق ، ويتلطف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض ، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً فكسروهم الحرورية ، فبعث عمر إليه يلومه على جيشه ، وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم ، فأظفروهم الله بهم ، وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج - وكان يقال له بسطام - يقول له : ما أخرجك علي ؟ فان كنت خرجت غضباً لله فانا أحق بذلك منك ، ولست أولى بذلك مني ، وهلم أنا ظرك ، فان رأيت حقاً اتبته ، وإن أبديت حقاً نظرنا فيه . فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختار منهم عمر رجلين فسألهما : ماذا تتقدمون ؟ فقالا : جعلك يزيد بن عبد الملك ^(٢) من بعدك ، قال : إني لم أجعل أبداً وإنما جعله غيري . قال : فكيف ترضى به أمينا للأمة من بعدك ؟ قال : أنظراني ثلاثة ، فيقال ان بني أمية دست إليهم ما يقتلوه خشية أن يخرج الامر من أيديهم وينعمهم الأموال والله أعلم .

(١) كذا بالأصول . ولله سقط منه لفظ « عبد الله بن أحمد » (٢) نسخة : هشام بن عبد الملك

وفيهما غزا عمر بن الوليد بن هشام الميطي ، وعمر بن قيس الكندي من أهل حمص ، الصائفة
وفيهما ولي عمر بن عبد العزيز عمر بن هيرة الجزيرة فسلم إليها . وفيها حل يزيد بن المهلب إلى عمر
ابن عبد العزيز من العراق ، فأرسله عدى بن أوطاة نائب البصرة مع موسى بن وجيه ، وكان عمر يفتض
يزيد بن المهلب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، فلما دخل على عمر طالبه بما
قبله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها حاصلة عنده ، قال : إنما كتبت ذلك لأرهب
الأعداء بذلك ، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء ، وقد عرفت مكافئي عنده . قال له عمر : لا أسمع
منك هذا ، ولست أطلقك حتى تؤدى أموال المسلمين ، وأمر بسجنه . وكان عمر قد بث على إمرة
خراسان الجراح بن عبد الله الحسكي عوضه ، وقدم ولد يزيد بن المهلب ، محمد بن يزيد ، قال :
يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قسم على هذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكون نحن أشقى الناس بك
ضلام نجس هذا الشيخ وأنا أقوم له أنصالحني عنه ؟ قال عمر : لا أصلحك عنه إلا أن تقوم بجميع
ما يطلب منه ، ولا تأخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين . قال : يا أمير المؤمنين إن كانت
لك بيعة عليه بما تقول ولا تقبل يمينه أو فصلخني عنه ، قال : لا تأخذ منه إلا جميع ما عنده .
فخرج محمد بن يزيد من عند عمر ، فلم يلبث أن مات محمد . وكان عمر يقول : هو خير من أبيه . ثم
إن عمر أمر بأن يلبس يزيد بن المهلب جبة صوف ويركب على بعير إلى جزيرة دهلج التي كان ينفي
إليها الفساق ، ففتشوا فيه فردوه إلى السجن ، فلم يزل به حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه ، فهرب
من السجن وهو مريض ، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك ، وبذلك كتب إليه كاسياني ^(١) ، وأخذه
كان ظنا أن عمر قد سقى ميا .

وفيهما في رمضان منها عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحسكي عن إمرة خراسان ،
بعد سنة وخمسة أشهر ، وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول : أنتم إنما
تسلمون فراراً منها . فاستنموا من الاسلام وثبتوا على دينهم وأدوا الجزية ، فكتب إليه عمر : إن
الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً ، ولم يبعثه جايياً . وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري
على الحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج . وفيها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالتخير وبنهاهم
عن الشر ، ويبين لهم الحق ويوضح لهم ويعظمهم فيما بينه وبينهم ، ويخوفهم بأس الله وانتقامه ، وكان
فيما كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

أما بعد فكن عبداً لله تعالى محمداً ﷺ في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فإن الله أولى بك
من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولاتولين شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم ،

والتوفيق عليهم . وأدعى الأمانة فيما استرعى ، وإليك أن يكون ميلك ميلا إلى غير الحق ، فان الله لا تحفى عليه خفية ، ولا تذهبن عن الله منها ، فانه لا ملجأ من الله إلا إليه . وكتب مثل ذلك مواظب كثيرة إلى العمال . وقال البخارى فى صحيحه : وكتب عمر إلى عدي بن عدي : إن للآيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً ، من استكملها استكمل الآيات ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الآيمان ، فانه أعش فآيينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فآنا على صحبتكم بمرير .

(وفيها كان بدو دعوة بنى العباس)

وذلك أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وكان مقبلاً بأرض الشراة - بث من جهته رجلاً يقال له ميسرة ، إلى العراق ، وأرسل طائفة أخرى ومحمد بن خنيس وأبو عكرمة السراج ، وهو أبو محمد الصادق ، وحيان المطار - خال إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح ابن عبد الله الحكيم قبل أن يعزل فى رمضان ، وأمرهم بالبقاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب منهم إلى ميسرة التى بالعراق ، فبث بها إلى محمد بن علي ففرح بها واستبشر وسره أن ذلك أول مبادئ أمر قد كتب الله إتمامه ، وأول رأى قد أحكم الله إبرامه ، أن دولة بنى أمية قد بان عليها غايل الوهن والضعف ، ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز ، كما سيأتى بيانه . وقد اختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر قتيلاً ، ومم سليمان بن كثير الخزازي ، ولاه من بنى قريظ القيسى ، وقضبة بن شبيب الطائى ، وموسى بن كعب القيسى ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بنى عمرو بن شيان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع القيسى ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم - مولى لآل أبي معيط - ومالك بن الهيثم الخزازي ، وطلحة بن زريق الخزازي ، وعمرو ابن أعين أبو هريرة - مولى لخزاعة - ، وشبل بن طهمان أبو علي المروى - مولى لبنى خنيفة - وعيسى ابن أعين مولى لخزاعة أيضاً . واختار سبعين رجلاً أيضاً . وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً يكون مثلاً وسيرة يقتدون بها ويسرون بها .

وقد حج بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، نائب المدينة ، والنواب على الأمصار المذكورون فى التى قبلها ، سوى من ذكرنا من عزل وتولى غيره والله أعلم . ولم يحج عمر ابن عبد العزيز فى أيام خلافته لشغل بالأموار ، ولكنه كان يريد البريد إلى المدينة فيقول له : سلم على رسول الله ﷺ عني ، وسيأتى بالسند إن شاء الله .

(ومن توفى فيها من الأعيان)

(سلام بن أبي الجعد الأشجى) مولاهم الكوفي . أخو زياد وعبد الله وعبيد الله وعمران

ومسلم ، وهو تابعي جليل ، روى عن ثوبان ^(١) وجابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، والنعمان ابن بشير وغيرهم . وعنه قتادة والأعمش وآخرون ، وكان ثقة نبيلًا جليلاً .

﴿ أبو أمامة سهل بن حنيف ﴾

الأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ الْمَدَنِيُّ ، ولد في حياة النبي ﷺ ، ورآه وحدث عن أبيه وعمر وعثمان وزيد بن ثابت ومعاوية وابن عباس ، وعنه الزهري وأبو حازم وجماعة ، قال الزهري : كان من عليّة الأنصار وعلمائهم ، ومن أبناء القين شهدوا بدرًا . وقال يوسف بن الملقشون عن عتبة بن مسلم ، قال : آخر خُرْجة خرجها عثمان بن عفان إلى الجُمُعة حصبه الناس وحلوا بينه وبين الصلاة ، فصل بالناس يومئذ أبو أمامة سهل بن حنيف . قالوا : توفي سنة مائة والله أعلم .

﴿ أبو الزاهرية حنبل بن كريب الحمصي ﴾

تابعي جليل ، سمع أبا أمامة صدق بن عجلان ، وعبد الله بن بسر ، ويقال إنه أدرك أبا الهرداء والصحيح أن روايته عنه وعن حذيفة مرسلة ، وقد حدث عنه جماعة من أهل بلده ، وقد وثقه ابن معين وغيره . ومن أقرب ما روى عنه قول قتبية : ثنا شهاب بن خراش عن حميد عن أبي الزاهرية قال : أغفيت في صخرة بيت المقدس فجاءت السدنة فأغلقوا عليّ الباب ، فما انتهت إلا بتسبيح الملائكة فوثبت مذعورًا فإذا الملائكة صفوف ، فدخلت معهم في الصف . قال أبو عبيدة وغيره : مات سنة مائة .

﴿ أبو الطفيل عامر بن واثلة ﴾

ابن عبد الله بن عمرو الليثي السكناني ، صحابي ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وفاة بالاجماع قال : رأيت النبي ﷺ يستلم الركن بحمّته ، وذكر صفة النبي ﷺ ، وروى عن أبي بكر وعمر وعلى ومعاذ وابن مسعود ، وحدث عنه الزهري وقاتدة وعمرو بن دينار وأبو الزبير وجماعة من التابعين ، وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلها ، لكن هم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، ويقال إنه كان لحمل رايته ، وقد روى أنه دخل على معاوية فقال : ما أبقى لك الدهر من ثكلك عليا ؟ قال : ثكل السجور القلادة والشيخ الزقوب ، قال : كيف حبك له ؟ قال حب أم موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التقصير . قيل إنه أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين ، ومات سنة مائة وقيل سنة سبع ومائة فله أعلم . قال مسلمة بن الحجاج : وهو آخر من مات من الصحابة مطلقًا ومات سنة مائة .

﴿ أبو عثمان النهدي ﴾

واسمه عبد الرحمن بن ملّ البصري ، أدرك الجاهلية وحج في زمن الجاهلية مرتين ، وأسلم في حياة (١) في خلافة تدهيب السكّال . قال أحمد : لم يلق ثوبان . وقال البخاري : لم يسمع منه .

النبي ﷺ ولم يره ، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي ﷺ ، ومثل هذا يسميه أئمة الحديث مخضرمًا ، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب ، فسمع منه ومن علي وابن مسعود وخلق من الصحابة ومحب سلمان الفارسي ثقي عشرة سنة حتى دفعه ، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، منهم أيوب ، وحيد الطويل ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وقال عاصم الأحول : سمعته يقول : أدركت في الجاهلية ينفث صنًا من رصاص يجعل على جبل أجرد ، فإذا بلغ واديا برك فيه فيقولون : قد رضى ربكم لكم هذا الوادي فيقولون فيه ، قال : وسمعته وقد قيل له أدركت النبي ﷺ ؟ قال : نعم ! أسلمت على عهده ، وأديت إليه الزكاة ثلاث مرات ، ولم ألقه ، وشهدت اليرموك والقادسية وجولاء ونهاوند . كان أبو عثان صوامًا قوامًا ، يسرد الصوم ويقوم الليل لا يتركه ، وكان يصلي حتى ينشئ عليه ، وحج ستين مرة ما بين حجة وعمره ، قال سليمان التيمي : إني لأحسبه لا يصيب ذنبًا ، لأنه إليه قائما ونهاره صائما ، وقال بعضهم : سمعت أبا عثان التيمي يقول : أتت على ثلاثون ومائة سنة وما مني شيء إلا وقد أنكرته خلا أملى فاني أجده كما هو . وقال ثابت البناني عن أبي عثان . قال : إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل ، قال فيقول : من أين تعلم ذلك ؟ فيقول قال الله تعالى (فاذكروني أذكركم) فإذا ذكرت الله ذكرني . قال : وكنا إذا دعونا الله قال : والله لقد استجاب الله لنا ، قال الله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قالوا : وعاش مائة وثلاثين سنة ، قال هشيم وغيره . قال المدائني وغيره : توفي سنة مائة ، وقال الفلاس : توفي سنة خمس وتسعين ، والصحيح سنة مائة والله أعلم .

وفيهما توفي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وكان يفضل على والده في العبادة والاعتقاع عن الناس ، وله كملت حسان مع أبيه ووعظه إليه .

(ثم دخلت سنة إحدى ومائة)

فيها كان هرب يزيد بن المهلب من السجن حين بلغه مرض عمر بن عبد العزيز ، فواعد غلامه يلقيه بالخيول في بعض الأماكن ، وقيل بابل له ، ثم نزل من محبته ومعه جماعة وأمرأته عاتكة بنت الفرات العلوية ، فلما جاء غلامه ركب رواحه وسار ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله ما خرجت من سجنك إلا حين بلغتني مرضك ، ولو رجوت حياتك ما خرجت ، ولكني خشيت من يزيد بن عبد الملك فإنه يتوعدني بالقتل ، وكان يزيد يقول : لئن وليت لأقطن من يزيد بن المهلب طائفة ، وذلك أنه لما ولي العراق عقب أمهارة آل عقيل ، وم بيت الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان يزيد بن عبد الملك مزوجا بينت محمد بن يوسف ، وله ابنه الوليد بن يزيد الفاسق المقتول كما سيأتي . ولما بلغ عمر بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب هرب من السجن قال : اللهم إن كان يريد بهنبة الأمة

سوماً فكفهم شره واردد كيدهم في نحره ، ثم لم يزل المرض يتزايد بعمر بن عبد العزيز حتى مات وهو بجناصرة ، من دير سمعان بين حماه وحلب ، في يوم الجمعة ، وقيل في يوم الاربعاء لخمس بقين من رجب من هذه السنة - أعنى سنة إحدى ومائة - عن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر فله أعلم .

وكانت خلافته فيها ذكر غير واحد سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وكان حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً وورعاً دينياً ، لا تأخذه في الله لومة لأثم رحمه الله تعالى .

(وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز الأموي الامام المعروف المشهور رحمه الله وأكرم مثواه)

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشي الأموي المعروف أمير المؤمنين ، وأمه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ويقال له أشج بن مروان ، وكان يقال : الأشج والناقص أعداء بني مروان . فهذا هو الأشج وسيأتي ذكر الناقص . كان عمر تابعياً جليلاً ، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، ويوسف صحابي صغير . وروى عن خلق من التابعين . وعنه جماعة من التابعين وغيرهم . قال الإمام أحمد بن حنبل : لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا أقول عمر بن عبد العزيز . يولي له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه له بذلك كما تقدم ، ويقال : كان مولده في سنة إحدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي بمصر ، قاله غير واحد . وقال محمد بن سعد : ولد سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة تسع وخمسين ، فله أعلم . وكان له جماعة من الأخوة ولكن القدين هم من أبويه أبو بكر وعاصم ومحمد ، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن بكير عن الليث . قال : بلغني أن عمران بن عبد الرحمن ابن شرحبيل بن حسنة كان يحدث أن رجلاً رأى في المنام ليلة ولد عمر بن عبد العزيز - أو ليلة ولي الخلافة شك أبو بكر - أن منادياً بين السماء والأرض ينادي : أما كم القين والدين وإظهار العمل الصالح في المصلين ، قتلت : ومن هو ؟ فنزل فكتب في الأرض ع م ر . وقال آدم بن إيس : ثنا أبو علي ثروان مولى عمر بن عبد العزيز . قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى اصطبل أبيه فضر به فرس فشجه ، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول : إن كنت أشج بن أمية إنك إذا لسميد . رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هارون بن معروف عن ضمرة ، وقال نعم بن حماد : ثنا ضمام بن إسحاق عن أبي قبيل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فبلغ أمه فأرسلت إليه فقالت : ما بيكيك ؟ قال : ذكرت الموت ، فبكى أمه . وكان قد جمع القرآن وهو صغير ، وقال الضحاك بن عثمان الخزازي : كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤدبه ، فلما حج أبوه أجاز به في

المدينة فسأله عنه فقال : ماخبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام . وروى يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً فقال صالح بن كيسان : ما شغلك ؟ فقال : كانت مرّجئتي تسكن شمري ، فقال له : قدّمت ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يعلّمه بذلك ، فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتى حلق رأسه . وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، فبلغ عبيد الله أن عمر يقتصص علياً ، فلما أتاه عمر أعرض عبيد الله عنه وقام يصلي ، فجلس عمر ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمر مضطرباً وقال له : متى بلفك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ قال فهمها عمر وقال : معنرة إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود ، قال : فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبي ثنا المفضل بن عبد الله عن داود بن أبي هند . قال : دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب - وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي ﷺ - فقال رجل من القوم : يمت الفاسق لنا فإنه هذا يتعلم الفرائض والسنن ، ويزعم أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسير سيرة عمر بن الخطاب . قال داود : والله ما ملت حتى رأينا ذلك فيه .

وقال الزبير بن بكار : حدثني العتيبي قال : إن أول ما استيقن من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب ، إن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبة أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترحلني إلى المدينة فأقعدني إلى قهائنها وأتأدب بأدأبهم ، ففعل ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، فقدم مع مشايخ قريش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبوه أخذه عنه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولاه ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، وهي التي يقول الشاعر فيها :

بنت الخليفة والخليفة جدّها * أخت الخلفاء والخليفة زوجها

قال : ولا تعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال العتيبي : ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز ينقم عليه شيئاً سوى متابته في التمتع ، والاختيال في المشية ، وقد قال الأخنف بن قيس : الكل من عدت هفواته ولا تمد إلا من قلة . وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والهدايا هو وإخوته ما لم يرثه غيره ، فيما نعلم ، كما تهم ذلك ، ودخل يوماً على عمه عبد الملك وهو يتجاف في مشيته فقال : يا عمر مالك تمشي غير مشيتك ؟ قال : إن في جرحاً ، فقال : وأين هو من جسدك ؟ قال : بين الرامة والصن - يعني بين طرف الالاية ووجهة الخصى - فقال عبد الملك لروح بن زبيد : بالله لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب بمثل

هذا الجواب . قالوا : ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه وليس المسوح تحت ثيابه سبعين يوماً ، ولما
 ولى الوليد علمه بما كان أبوه يعامله به ، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة
 ثلاث وتسعين ، وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين ، وسنة تسعين ، وحج الوليد بالناس سنة إحدى
 وتسعين ، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .

و بنى في مدة ولايته هذه مسجد النبي ﷺ ووسمه عن أمر الوليد له بذلك ، فدخل فيه قبر
 النبي ﷺ ، وقد كان في هذه المدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعدلهم سيرة ، كان إذا وقع له أمر
 مشكل جمع قهوا المدينة عليه ، وقد عين عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً بدونهم أو من حضر
 منهم ، وم عمرو ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،
 وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن حزم ، وسالم بن عبد الله ،
 وعبيد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . وكان لا يخرج عن قول سعيد بن المسيب ،
 وقد كان سعيد بن المسيب لا يأتي أحداً من الخلفاء ، وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة ،
 وقال إبراهيم بن عتبة : قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره ، وقد ندبهم عمر يوماً إلى رأى

وقال ابن وهب : حدثني الليث حدثني قادم البر يرى أنه ذاكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً
 شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنت قول : أخطأ ، والذي
 نفسى بيده ما أخطأ قط . وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك . قال : ماصليت وراء إمام أشبه
 بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعني عمر بن عبد العزيز - حين كان على المدينة . قالوا :
 وكانت يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود ، وفي رواية صحيحة أنه كان يسبح في الركوع
 والسجود عشراً عشراً ، وقال ابن وهب : حدثني الليث عن أبي النضر المديني ، قال : رأيت سليمان
 ابن يسار^(١) خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم ، قلت :
 تعلمونه ؟ قال : نعم ، فقلت : هو والله أعلمكم . وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى نعلمنا منه .
 وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة ، وفي رواية قال ميمون : كان
 عمر بن عبد العزيز معلم العلماء . وقال الليث : حدثني رجل كان قد صحب ابن عمرو ابن عباس ،
 وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ، قال : ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن
 عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة . وقال
 عبد الله بن طاووس : رأيت أبي توافه هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا ،
 فلما افترقا قلت : يا أبا عبد الله من هذا الرجل ؟ قال هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحى هذا البيت -

يعنى بنى أمية - وقال عبد الله بن كثير قلت لسرين عبد العزيز ما كان به إنابتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لى قتال لى : اذكر ليلة صيحتها يوم القيامة ^(١)

وقال الامام مالك : لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة - يعنى فى سنة ثلاث وتسعين - وخرج منها التفت إليها وبكى وقال لمولاه : يا مناحم ، تخشى أن نكون ممن نقت المدينة - يعنى أن المدينة تنفى خبثها كما تنفى الكبر خبث الحديد - وينصح طيها . قلت : خرج من المدينة قتل بمكان قريب منها يقال له السويداء حيناً ^(٢) ، ثم قدم دمشق على بنى عمه . قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبى حكيم . قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجت من المدينة وما من رجل أعلم منى ، فلما قدمت الشام نسيت . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهري قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فخدمته ، فقال : كل ما حدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيت . وقال ابن وهب عن الليث عن عقيل عن الزهري قال قال عمر بن عبد العزيز : بعث لى الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه فإذا هو عابس ، فأشار لى أن اجلس ، فجلست فقال : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أبقول ؟ فسكت ، ثم عاد فسكت ، ثم عاد فقلت : أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سب ، قتل : ينكأ به ، فضرب وانصرف إلى أهله ، وقال لى ابن الريان السيف : اذهب ، قال : فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أعلن أنه رسول بردى إليه . وقال عثمان بن زبر : أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين ومعه عمر بن عبد العزيز على مسكر سليمان ، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأهوال والرجال ، فقال سليمان : ما تقول يا عمر فى هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً وأنت المسئول عن ذلك كله ، فلما اقتربوا من المسكر إذا غراب قد أخذ لقمة فى فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها ، ونعب نعبه ، فقال له سليمان : ما هذا يا عمر ؟ فقال : لا أدري ، فقال : ما ظنك أنه يقول ؟ قلت : كأنه يقول : من أين جاءت وأين ينهب بها ؟ فقال له سليمان : ما أعجبك ؟ فقال عمر : أعجب من عرف الله فصاه ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها .

وتهم أنه لما وقف سليمان وعمر بمرقة ورأى سليمان كثرة الناس فقال له عمر : هؤلاء رعيك

(١) بالأصول « يوماً صيحتها يعنى يوم القيامة » ومصححنا من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى صفحة ١٤٩ (٢) السويداء أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز ، واستنبت فيها من عطائه عين ماء ، وله فيها قصر مبنى . ولما تنازل لبيت المال عن جميع ما ورثه عن آباءه أبى (السويداء) و (خير) لأنه أطمان إلى أنهما حلال خالص ليس فيه أية شبهة . وكان هو خليفة يأكل من غلاتها وينفق ما يزيد عن الضرورة

اليوم وأنت مستول عنهم غدا ، وفي رواية وهم خصاؤك يوم القيامة ، فبكى سليمان وقال : يا الله نستعين .
وتقدم أنهم لما أصابهم ذلك المطر والرعد فزع سليمان وضحك عمر فقال له : أقضحك ؟ فقال : نعم هذه
آثار رحمة وتحن في هذه الحال ، فكيف بآثار غضبه وعقابه ونحن في تلك الحال ؟ وذكر الامام مالك
أن سليمان وعمر تناولوا مرة فقال له سليمان في جملة الكلام : كذبت ، فقال : تقول كذبت ؟ والله
ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله ، ثم هجره عمر وعزم على الرحيل إلى مصر ، فلم يمكنه
سليمان ، ثم بحث إليه فصالحه وقال له : ما عرض لي أمر يهني إلا خطرت على يالي . وقد ذكرنا أنه
لما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز فانتظم الأمر على ذلك وفه الحمد .

﴿ فصل ﴾

وقد كان منتظرا آفيا يؤثر من الأخبار

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الملقب بـ ثنا عبد الله
ابن دينار قال قال ابن عمر : يا عبيد الله ! يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضي حتى يلى رجل من آل عمر
يعمل بمثل عمل عمر ، قال : وكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر ، قال : وكان بوجه أثر ، فلم يكن
هو ، وإذا هو عمر بن عبد العزيز ، وأمه ابنة عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقال البيهقي :
أنبا الحارث أنبا أبو حمزة بن علي المقرئ ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أحمد بن إبراهيم ثنا عفان ثنا
عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جويرية بن أسماء عن نافع . قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال :
إن من ولدي رجلا بوجه شجان يلى فيملا الأرض عدلا . قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر
ابن عبد العزيز . ورواه مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن نافع . وقال : كان ابن عمر يقول : ليت
شمرى من هذا القى من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؟ قال وهيب بن الورد : بينما
أنا نائم رأيت كأن رجلا دخل من باب بني شيبة وهو يقول : يا أيها الناس ! ولي عليكم كتاب الله .
قلت : من ؟ فأشار إلى ظفري فاذا مكتوب عليه عمر ، قال فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز . وقال
بقية عن عيسى بن أبي رزين حدثني الخزازي عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ﷺ في
روضة خضراء فقال له : « إنك ستلى أمر أمي فزع عن الدم فزع عن الدم »^(١) ، فان اسلمك في الناس
عمر بن عبد العزيز ، واسلمك عند الله جابر . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عمرو بن الحسين بن
محمد بن مودود الحارثي ثنا أيوب بن محمد الوزان ثنا ضمرة بن ربيعة ثنا السري بن يحيى عن رباح بن
عبيدة . قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده ، قلت في نفسي : إن

هذا الشيخ جاف ، فلما صلى ودخل لحقته قلت : أصلح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذي أنكأته
بك ؟ قال : يا رياح رأيتني ؟ قلت : نعم ! قال : ما أحسبك يا رياح إلا رجلاً صالحاً ، ذاك أخي
الخصر أناني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة وأني سأعدل فيها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو عمير ثنا ضمرة عن علي بن خولة عن أبي عنبس . قال :
كنت جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية فجاء شاب عليه مقطعات فأخذ بيد خالد ، فقال : هل
علينا من عين ؟ فقال أبو عنبس : قلت عليكما من الله عين بصيرة ، وأذن سمعية ، قال : ففرقت
عينا الفتى . فأرسل يده من يد خالد وولى ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ابن أخي
أمير المؤمنين ، ولئن طال بك حياة لترينه إمام هدى . قلت : قد كان عند خالد بن يزيد بن
معاوية شيء جيد من أخبار الأوائل وأقوالهم ، وكان ينظر في النجوم والطب . وقد ذكرنا في ترجمة
سليمان بن عبد الملك أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يهد إلى بعض أولاده ، فصرفه وزيره الصالح
رجاء بن حيوة عن ذلك ، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وصوب ذلك رجاء
فكتب سليمان المهد في صحيفة وختمها ولم يشر بذلك عمر ولا أحد من بني مروان سوى سليمان
ورجاء ، ثم أمر صاحب الشرطة بأحضار الأمراء ورؤوس الناس من بني مروان وغيرهم ، فبايعوا
سليمان على ما في الصحيفة المحتومة ، ثم انصرفوا ، ثم لما ماتت الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة فبايعوا
فأبى قبل أن يملوا موت الخليفة ، ثم فتحها قراها عليهم ، فلذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ،
فأخفوه فأجلسوه على المنبر وبايعوه فانفتحت له البيعة .

وقد اختلف العلماء في مثل هذا الصنيع في الرجل يوصي الوصية في كتاب ويشهد على ما فيه
من غير أن يقرأ على الشهود ، ثم يشهدون على ما فيه فينفذ ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم ، قال
القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجري : أجاز ذلك وأمضاه وأخذ الحكم به جمهور أهل الحجاز ،
وروى ذلك عن سالم بن عبد الله . وهو منذهب مالك ومحمد بن مسلمة الحنوزعي ومكحول ، ومخير بن
أوس وزرعة بن إبراهيم ، والاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز ، ومن واقفهم من قهات الشام . وحكى
نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه وقضاة جنده ، وهو قول الليث بن سعد فيمن واقفه
من قهات أهل مصر والمغرب ، وهو قول قهات أهل البصرة وقضاتهم . وروى عن قتادة وعن سوار
ابن عبد الله وعبيد الله بن الحسن ومعاذ بن معاذ النمري فيمن سلك سبيلهم ، وأخذ بهذا عدد
كثير من أصحاب الحديث ، منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه . قلت : وقد اعتنى به البخاري في
صحيحه . قال المعافى : وأبى ذلك جماعة من قهات العراق ، منهم إبراهيم وحداد والحسن ، وهو منذهب
الشافعي وأبي ثور ، قال : وهو قول شيخنا أبي جعفر ، وكان بعض أصحاب الشافعي بالراق ينهب

إلى القول الأول ، قال الجري : وإلى القول الأول نذهب . وقدم أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أتى براكب الخلافة ليركبا فمتنع من ذلك وأنشأ يقول : -

فلولا التقي ثم التهي خشية الردى • لماصيت في حب الصبا كل زاجر

قضى ما قضى فيها مضى ثم لا ترى • له صبرة أخرى أهيا للنزاور

ثم قال : ماشاء الله لا قوة إلا بالله ، قدموا إلى بقلتي ، ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفة فيمن يزيد ، وكانت من الخيول الجياد الثمينة ، فباعها وجعل أثمانها في بيت المال . قالوا : ولما رجع من الجنازة وقد بإيمه الناس واستقرت الخلافة باسمه ، اهتلب وهو مقيم مبهوم ، فقال له مولاه : مالك هكذا مفتا مبهوما وليس هذا بوقت هنا ؟ فقال : ويحك ومالي لا أغم وليس أحد من أهل المشرق والمغرب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه ، كتب إلى في ذلك أولم يكتب ، طلبه مني أولم يطلب . قالوا : ثم إنه خير امرأته فطلمة بين أن تهيم معه على أنه لا فراغ له إليها ، وبين أن تلحق بأهلها ، فبكت وبكى جواربها لبيكتها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اخذت مقامها معه على كل حال رحما الله . وقال له رجل : تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغل شاغل • وعدلت عن طرق السلامة

ذهب الفراغ فلا فرا • غ لنا إلى يوم القيامة

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلام عن سلام بن سليم قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر وكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من محبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقتنا ، يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويمينا على الخير يجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه ، ولا يفتنا بين عندنا أحدا ، ولا يمرض فينا لا يمينه . فاقشع عنه الثمراء والخطباء وثبت معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسمننا أن تفارق هذا الرجل حتى يخالف فضله قوله . وقال سفيان ابن عيينة : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ورجاء بن أخيرة وسالم بن عبد الله فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بي ، فما عندكم ؟ فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخ أبا ، والشاب أخا ، والصغير ولدا ، وبر أبك وصل أخك ، وتعلم على وفك . وقال رجاء : أرض للناس ما ترضى لنفسك ، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تأته إليهم ، واعلم أنك أول خليفة توت . وقال سالم : اجعل الأمر واحدا وصم فيه عن شهوات الدنيا ، واجعل آخر فترك فيه الموت . فكان قد . فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال غيره : خطب عمر بن عبد العزيز يوما الناس فقال - وقد خفقتة العبارة - أيها الناس اأصلحوا آخرتكم يصلح الله دنياكم ، وأصلحوا أسراركم يصلح لكم علاقتكم ، والله إن عبدا ليس

بينه وبين آدم أب إلا قدمت ، إنه لمرق له في الموت . وقال في بعض خطبه : كم من علم موقوع عما قليل يجرب ، وكم من مقيم متنبط عما قليل يظن . فاحسنوا رحمكم الله من الدنيا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقة ، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس قريه العين فيها يافع ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بسهم حقه ، فسلمه أكلة دنياء ، وصير إلى قوم آخرين مصافه ومقتله ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما قصر ، تسر قليلا وتحزن طويلا . وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه لا كتيل بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاض ولكني متنفذ ، وإني لست بمتبع ولكني متبع ، إن الرجل المارب من الامام الظالم ليس بظالم إلا أن الامام الظالم هو الماصي ، ألا لاطاعة المخلوق في معصية الخالق عز وجل . وفي رواية أنه قال فيها : وإني لست بخير من أحد منكم ، ولكنتي أهلكم خلا ، ألا لاطاعة المخلوق في معصية الله ، ألا هل أسمعتم .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أحمد بن يحيى الحلواني ثنا محمد بن عبيد ثنا إسحاق بن سليمان عن شعيب بن صفوان حدثني ابن سعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معادا ينزل الله فيه الحكم فيكم والفضل بينكم ، تغلب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وحرمت جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع فائدا بيباق ، وفائدا بمالا ضاده ، وقليلا بكثير ، وخوفا بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب المال كين ، وسيكون من بعدكم للباقيين ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غدا وراثا إلى الله لا يرجع ، قد قضى نحبته حتى تنبوه في صدم من الأرض ، في بطن صدم غير موسد ولا ممد ، قد فارق الأحياء ، وواجه الأتراب والحساب ، فهو مرتين يمسله ، غنى عما ترك ، فقير لما قسم ، فأتوا الله قبل القضاء ، وراقبوه قبل نزول الموت بكم ، أما إني أقول هذا ، ثم وضع طرف رداؤه على وجهه فبكى وأبكى من حوله . وفي رواية : وأيم الله إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نسي ، ولكنها سنن من الله عاقلة ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، وأستغفر الله ، ووضع كفه على وجهه فبكى حتى بل لحيته ، فاعاد لجلسه حتى مات رحمه الله .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول : « ادن يا عمر ، فدعوت حتى خشيت أن أصيبه ، فقال : إذا وليت فاعمل نحو ما من عمل هذين ، فإذا كحلان قد اكتنفاه ، قلت : ومن هذان ؟ قال : هذا أبو بكر وهذا عمر » . وروينا أنه قال : سلم بن عبد الله بن جر : اكتب لي سيرة عمر حتى أعلم بها ، فقال له سالم : إنك لا تستطيع ذلك ،

قال : ولم ؟ قال : إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجهد على الخير أعوانا ، وأنت لا تجد من يمينك على الخير . وقد روى أنه كان نقش خاتمه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي رواية أمّنت بالله ، وفي رواية الوفاء عز يز . وقد جمع يوما رموس الناس فخطبهم فقال : إن فلك كانت بيد رسول الله ﷺ يضعها حيث أراه الله ، ثم ولها أبو بكر وعمر كذلك ، قال الأصمعي : وما أدرى ما قال في عثمان ، قال : ثم إن مروان أقطعها فحصل لي منها نصيب ، ووهبني الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالي شيء أردته أغلى منها ، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله ﷺ . قال : فيس الناس عند ذلك من المظالم ، ثم أمر بأموال جماعة من بني أمية فردها إلى بيت المال وسأها أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان فلم ينجع فيه شيء ، وقال لهم : لتدعني وإلا ذهبت إلى مكة فتزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به ، وقال : والله لو أقت فيكم حسين علما ما أقت فيكم إلا ما أريد من العدل ، وإني لأريد الأمر فما أنفذه إلا مع طمع من الدنيا حتى تسكن قلوبهم .

وقال الامام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز ، ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير واحد . وقال طاووس : هو مهدي وليس به ، إنه لم يستكمل العدل كله ، إذا كان المهدي ثبت على المسئ من إساءته ، وزيد الحسن في إحسانه ، سمح بالمال شديد على المال رحيم بالمساكين . وقال مالك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعمران ، قتل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما فن عمر الآخر ؟ قال : يوشك إن عشت أن تعرفه ، يريد عمر بن عبد العزيز ، وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشج بن مروان . وقال عباد السالك وكان يجالس سفيان الثوري : سمعت الثوري يقول : الخلفاء خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . وهكذا روى عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد . وأجمع العلماء فاطبة على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين . وذكره غير واحد في الأئمة الأئمة عشر ، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : « لا يزال أمر هذه الأمة مستقيا حتى يكون فيهم اثني عشر خليفة كلهم من قریش » .

وقد اجتهد رحمه الله في مدة ولايته - مع قصرها - حتى رد المظالم ، وصرف إلى كل ذي حق حقه ، وكان مناديه في كل يوم ينادي : أين الفارسون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء . وقد اختلف العلماء أيهم أفضل هو أو معاوية بن أبي سفيان ؟ ففضل بعضهم عمر لسيرته ومعدلته وزهده وعبادته ، وفضل آخرون معاوية لسابقته ومحبته ، حتى قال بعضهم : ليوم شهده معاوية من رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز وأيامه وأهل بيته . وذكر ابن

عساكر في تاريخه أن عمر بن عبد العزيز كان يسجبه جارية من جوارى زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، فكان سألها إليها إمامياً أو هبة ، فكانت تأتي عليه ذلك ، فلما ولي الخلافة ألبستها وطبتها وأهدتها إليه وهبتها منه ، فلما أختلها به أعرض عنها ، فتمرضت له فصدف عنها ، فقالت له : يا سيدي فأين ما كان يظهر لي من محبتك إلي ؟ قال : والله إن محبتك لبقية كما هي ، ولكن لا حاجة لي في النساء ، فقد جاءني أمر شغلني عنك وعن غيرك ، ثم سألتها عن أصلها ومن أين جلبوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين إن أبي أصاب جنابة ببلاد المغرب فصادره موسى بن نصير فأخذت في الجنابة ، وبثتني إلى الوليد فوهبني الوليد إلى أخته فاطمة زوجتك ، فأهدتني إليك . قال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كدنا والله فنفضح ونهلك ، ثم أمر بردها مكربة إلى بلادها وأهلها .

وقالت زوجته فاطمة : دخلت يوماً عليه وهو جالس في مصلاه واضعاً خده على يده ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : مالك ؟ قال : ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمرضى الضائع ، والسارى المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور . والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وذو العيال الكثير ، والمسائل التليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فقلت أن ربي عز وجل سيأتي عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا يقبث لي حجة عند خصومته ، فرحت نفسي فبكيت . وقال ميمون بن مهران ولائي عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي : إذا جئت كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض . وكتب إلى بعض عماله : إذا دعيتك فمدتلك على الناس إلى مظلة ، فاذا ذكر قدرة الله عليك وفاد ما تأتي إليهم ، وجاء ما يأتون إليك . وقال عبد الرحمن بن مهيدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى : إن للأسلام سننوافراً نص وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فان أعش أيئنها لكم لتعملوا بها ، وإن أمت فانا على محبتكم بحر يص . وذكر البخاري في صحيحه تعليقاً بحزب ما به . وذكر الصولي أن عمر كتب إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله فانها هي التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ، ولا ينال إلا عليها ، وإن الواعظين بها كثير ، والماملين بها قليل . وقال : من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وينفعه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير . وقال : من لم يمد كلامه من عمله كثرت خطاياه ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . وكله رجل يوماً حتى أغضبه فهم به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال للرجل : أردت أن يستغفرني الشيطان بمرّة السلطان فأقال منك ماتته مني غداً ؟ قم عاكف الله لا حاجة لنا في مقاولتك . وكان يقول : إن أحب الأمور إلى الله التقصد في الجد ، والعفو في المقدرة ، والرفق في الولاية ، ومارفق عبد

يبعد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة . وخرج ابن له وهو صغير يلعب مع التلّمان فشجه صبي منهم ، فاحتلوا الصبي الذي شج ابنه وجعلوا به إلى عمر ، فسمع الجلبة فخرج اليهم ، فاذا مربّيته تقول : إنه ابني وإنه يقيم ، فقال لها عمر : هوني عليك ، ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا قال : فاكْتُبْه في القُدْرية . فقالت زوجته فاطمة : أنضل هذا به وقد شج ابنك ؟ ضل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية . فقال : ويحك ، إنه يقيم وقد أفزعتموه . وقال مالك بن دينار : يقولون مالك زاهد ، أي زهد عندي ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أته الدنيا فاغرة لها فتركها جملة . قالوا : ولم يكن له سوى قبض واحد فكان إذا غلّوه جلس في المنزل حتى يبیس ، وقد وقف مرة على راهب فقال له : ويحك عظمي ، فقال له : عليك بقول الشاعر : -

تجرد من الدنيا فانك إنما * خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

قال : ولكن يسجبه ويكره وعمل به حق العمل . قالوا : ودخل على امرأته يوماً فسألها أن تقرضه درهماً أو فلوساً يشتري له بها عباءً ، فلم يجده عندها شيئاً ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس في خزائنا ما تشتري به عباءً ؟ فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً في نار جهنم . قالوا : وكان سراج بيته على ثلاث قصبات في رأسهن طين ، قالوا : وبث [يوماً غلاماً ليشوى له لحمة بغاه بها سريماً مشوية ، قال : أين شويتها ؟ قال : في المطبخ ، قال : في مطبخ المسلمين ؟ قال : نعم . قال : كلها فاقى لم أر قها ، هي رزقك . وسخنوا له الماء في المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم حلباً . وقالت زوجته : ما جمع ولا احتمل وهو خليفة . قالوا : وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبي سلام الأسود أنه يحدث عن ثوبان بمحدث الحوض فيبث إليه فأحضره على البريد وقال له : كللتوجع له : يا أبا سلام ما أردنا المشقة عليك ، ولكن أردت أن تشافهني بالحديث مشافهة ، قال : سمعت ثوبان يقول قال رسول الله ﷺ : « حوضي ما بين عدن إلى عمان البقاء ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكراهه عند نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظأ بعدها أبداً ، وأول الناس وروداً عليه قراء المهاجرين ، الثمث رؤساء ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المتنتهات ، ولا تمتح لهم السدد » . فقال عمر : لكنني نكمت المتنتهات ، فاطمة بنت عبد الملك ، فلا جرم لا أغسل رأسي حتى يشمت ، ولا ألقى ثوبي حتى يتسخ . قالوا : وكان له سراج يكتب عليه حوائجه ، وسراج لبیت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوءه لنفسه حرفاً . وكان يقرأ في المصحف كل يوم أول النهار ، ولا يطيل القراءة ، وكان له ثلاثمائة شرطى ، وثلاثمائة حرسى ، وأهدى له رجل من أهل بيته قلماً فاشتته ثم رده مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغت محملها ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية ، وهذا رجل من أهل بيتك ، قال : إن الهدية

كانت لرسول الله ﷺ هدية ، فاما نحن فهي لنا وشوة . قالوا : وكان يسوع على عمله في النقة ، يعلى
الزجل منهم في الشهر مائة دينار ، وماتى دينار ، وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية فخرغوا لأشغال
المسلمين ، فقالوا له : لو أفتقت على عيالك كما تنفق على عمالك ؟ قال : لا أمنهم حقاً لهم ، ولا
أعطيهم حق غيرهم . وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم فاعتبر بأن معهم سلفاً كثيراً من قبل ذلك ،
وقال يوماً لرجل من ولد على : إني لأستحي من الله أن تنف يبابي ولا يؤذن لك ، وقال لآخر منهم :
إني لأستحي من الله وأرغب بك أن أدنسك بالدين لما أكرمكم الله به . وقال أيضاً : كنا نحن وبنو
عنا بنو هاشم مرة لنا ومرة علينا ، فلجأ إليهم ويلجئون إلينا ، حتى طلعت شمس الرسالة فأكسبت
كل فائق ، وأخرست كل منافق ، وأسكتت كل فاطق .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبو بكر ابن أنس خطاب ثنا خالد بن خديش ثنا حماد بن زيد عن
موسى بن أيمن الراعى - وكان يرعى الغنم لحمد بن عينة - قال : كانت الأسد والغنم والوحش رعى
في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد ، فرض ذات يوم لثلاثة منها ذئب قتل : إنا لله ، ما أرى
الرجل الصالح إلا قد هلك . قال فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة . ورواه غيره عن حماد
فقال : كان يرعى الثلاثة بكرمان فذكر نحوه ، وله شاهد من وجه آخر ، ومن دعائه : اللهم إن رجلاً
أطاعوك فيما أمرتهم وأنتهوا عما نهيتهم ، اللهم وإن توفيقك إليهم كان قبل طاعتهم إليك ، فوقتي .
ومنه : اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر . وقال له رجل :
أجلك الله ما كان البقاء خيراً لك ، قال : هذا شيء قد فرغ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة
طيبة ، وتوفاك مع الأبرار . وقال له رجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحت بطيئاً
بطيئاً ، متلوئاً بالخطايا ، أتمنى على الله عز وجل . ودخل عليه رجل ^(١) قال : يا أمير المؤمنين إن من كان
قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة ، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر ^(٢)

وإذا المر زان حسن وجوه • كان للمر حسن وجهك زينا

قال : فأعرض عنه عمر . وقال رجاء بن حيوة : سمعت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فشى
السراج فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا أتبه هذا النلام يصلحه ؟ قال : لا ! دعه ينام ، لا أحب
أن أجمع عليه عملي . فقلت : أفلا أقوم أصلحه ؟ قال : لا ! ليس من المروءة استخدام الضيف ،
ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زيتاً ثم جاء وقال : قت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر
ابن عبد العزيز ، وقال : أكثروا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها . وقال : إنه ليجتمع من كثرة ذكرها
خافة المباحة ، وبلغه أن رجلاً من أصحابه توفي ، فجاء إلى أهله ليعزيهم فيه ، فصرخوا في وجهه
(١) هو بلال بن أبي بردة حفيد بن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه (٢) هو مالك بن أسيد .

بالبكاء عليه ، فقال : مه ، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم ، وإن القى يرزقكم حتى لا يموت ، وإن صاحبكم هذا [١] لم يسد شيئاً من حركم ، وإتمام حرة نفسه ، ألا وإن لكل امرئ منكم حرة لا بد والله أن يسدها ، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار خيرة إلا امتلأت عبدة ، ولا اجتماع إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو القى يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم يا كيا فليكن على نفسه ، فإن القى صار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غدا .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر إلى القبور فقال لي : يا أبا أيوب ! هذه قبور آبائي بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في قنهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلثات ، واستحكم فيهم البلاء ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أطلق فقال : انطلقوا بنا فواءه لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد آمن من عذاب الله ، ينتظر ثواب الله . وقال غيره : خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دفنت قال لأصحابه : قفوا حتى آتى قبور الأجابة ، فأنام فجعل يبكي ويدعو ، إذ هتب به التراب فقال : يا عمر ألا تسألني ما فعلت في الأجابة ؟ قال قلت : وما فعلت بهم ؟ قال : مررت بالأكفان ، وأكلت اللحوم ، وشدخت المقلتين ، وأكلت الجديتين ، وزعت الكفين من الساعدين ، والساعدين من المضدين ، والمضدين من المنكبين ، والمنكبين من الصلب ، والقنمين من الساقين ، والساقين من الفخذين ، والفخذين من الورك ، والورك من الصلب . فلما أراد أن يذهب قال له : يا عمر أدلك على أكفان لا تبلى ؟ قال : وما هي ؟ قال : تقوى الله والعمل الصالح . وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد أرققت الليلة مفكراً ، قال : وفيهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وسأكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشت من قرب بعد طول الأئس منك بناحيته ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، وتخترق فيه الديدان ، ويجري فيه الصديد ، مع قنبر الريح ، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، وقناه الثوب ، قال : ثم شق شقة خر متشكياً عليه . وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز قرأ (وقوم إثم مسؤولون) فجعل يكرها وما يستطيع أن يتجاوزها . وقالت امرأته فاطمة : لما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه ، ولا أحداً أشد قرعاً من ربه منه ، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم يثبته فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه ، قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فيتنفض كما يتنفض المصنور في الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه الحلاف رحمة له ، وأنا أقول : ياليت كان بيننا وبين اخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

وقال علي بن زيد : ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز . وقال بعضهم : رأيته يبكي حتى بكى دما ، قالوا : وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ (إن ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) الآية ، وقرأ (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتوم تأمنون) ونحو هذه الآيات ، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ، ثم يبيكون حتى كأن بينهم جنازة ، وقال أبو بكر الصولى : كان عمر بن عبد العزيز يمثل بقول الشاعر :

فما تزود بما كان يججمه * سوى حنوط غداة الين فى خرق

وغير فضة أعواد تشب له * وقل ذلك من زاد لمنطلق

بأما بلد كانت منيته * إن لا يسر طائما فى قصدها يسقى

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو فى جنازة إلى قوم قد تلثموا من الفبار والشمس وأنمازوا إلى الظل فبكى وأنشد :

من كان حين تصيب الشمس جهته * أو الفبار يخاف الشين والشمنا

ويألف الظل كي تبقى بشاشته * فسوف يسكن يوما راغما جدنا

فى قمر مظلة غبراء موحشة * يطيل فى قمرها تحت الثرى اللبنا

تجهزى بجهاز تبلخين به * يا فئس قبل الردى لم تخلق عبنا

[هذه الأبيات ذكرها الأجرى فى أدب النفوس زيادة فيها قال : أخبرنا أبو بكر أنبأنا

أبو حفص عمر بن سعد القراطيسى حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى الدنيا حدثنى محمد بن صالح

القرشى أخبرنى عمر بن الخطاب الأزدى حدثنى ابن لمعد الصمد بن عبد الأعلى بن أبى عزة قال :

أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعثه رسولا إلى اليون طاغية الروم يدعوهم إلى الاسلام ، فقال له

عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! إئتني لى فى بعض بنى يخرج معى - وكان عبد الأعلى له عشرة من

الذكور - فقال له : انظر من يخرج معك من أولئك . فقال : عبد الله ، فقال له عمر : إني رأيت ابنك

عبد الله يمشى مشية كرهها منه ومقته عليها ، وبلغنى أنه يقول الشعر . فقال عبد الأعلى : أما مشيته

فذلك فخرية فيه ، وأما الشعر فإما هو نواحة ينوح بها على نفسه ، فقال له : مر عبد الله يأتيكى وخذ

معدك غيره ، فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه ، فاستنشه فأشده ذلك الشعر المنتقم :

تجهزى بجهاز تبلخين به * يا فئس قبل الردى لم تخلق عبنا

ولا تكدى لمن يبقى وقتى * إن الردى وارث الباقي وما ورننا

واخشى حوادث صرف الدهر فى عمل * واستيقظ لانيكونى كالغنى بجنا

عن مدينة كان فيها قطع مدته * فوافى الحرث موفورا كما حرنا

لا تأمنى فجع دهر مترف ختل • قد استوى عندهم طلب أو خبنا
 يارب ذى أمل فيه على وجل • أضحي به آتنا امسى وقد حدثنا
 من كل حين تصيب الشمس جهته • أو الفبار يخاف الثين والشعنا
 ويألف الظل كي تبقى بشاشته • فكيف يسكن يوما راغبا جدنا
 قراء موحشة غبراء مظلة • يطيل تحت الترى من قمرها البشا
 وقد ذكرها ابن أبي الدنيا فصر أنشدعا عنه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وكان عمر يمثل بها كثيرا ويبيك [(١)]

وقال الفضل بن عباس الحلبي : كان عمر بن عبد العزيز لا يفيق فوه من هذا البيت :
 ولا خير في عيش امرئ لم يكن له • من الله في دار القرار نصيب
 وزاد غيره معه بيتا حسنا وهو قوله :

فان تُعجب الدنيا أناساً قاتها • متاع قليل والزال قريب
 ومن شعره الذي أنشده ابن الجوزي :

أناميت وعز من لا يموت • قد تيقنت أنني سأموت
 ليس ملك يزله الموت ملكا • إنما الملك ملك من لا يموت
 وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول (٢) :-

تسر بما يفنى وقهرح بلنى • كما اغتر بالذات في النوم حالم
 نهارك يلمرور سهو وغفلة • وليك نوم والردى لك لازم
 وسبك فيما سوف تتركه غبه • كذلك في الدنيا تميش البهائم
 وقال محمد بن كنيز : قال عمر بن عبد العزيز يوم نفسه :

أقظان أنت اليوم أم أنت فأم • وكيف يطيق النوم حيران هائم
 فلو كنت يقظان النداء لحرق • محاجر عينيك الدموع السوام
 بل أصبحت في النوم الطويل وقد دنت • إليك أمور مظلمات عظام
 وتكسح فيما سوف تتركه غبه • كذلك في الدنيا تميش البهائم
 فلا أنت في النوم يوما بسالم • ولا أنت في الاقظان يقظان حازم

ودروى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك قالت : انقب عر ذات ليلة وهو يقول :
 لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبية ، قلت : أخبرني بها ، قال : حتى نصبح ، فلما صلى بالمسلمين دخل
 (١) سقط من نسخة الاستانة (٢) وهي من نظم عبد الله بن عبد الأعلى .

فسأله فقال : رأيت كأني دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر وإذا فيها قصر كأنه الفضة نخرج منه خارج فنادي أين محمد بن عبد الله ، أين رسول الله ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ ، حتى دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر فنادي : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادي أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادي أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادي أين علي بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنادي أين عبد العزيز ؟ فسمعت فدخلت فجلست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب ، وهو عن يسار رسول الله ﷺ ، وأبو بكر عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل ، قلت : لاني : من هنا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، ثم سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نور لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبد العزيز تسلك بما أنت عليه ، وأثبت على ما أنت عليه ، ثم كأنه أذن لي في الخروج فخرجت ، فالتفت فإذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي نصرني ربي ، وإذا علي في إثره وهو يقول : الحمد لله الذي غفر لي ربي .

﴿ فصل ﴾

وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الذي رواه أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . قال جماعة من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي وغيره : إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى ، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق ، لأمانته وعموم ولايته ، وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق ، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب ، وكان كثيراً ما تشبه به . وقد جمع الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي سيرة لعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وقد أفردها سيرة عمر بن الخطاب في مجلد على حدة ، ومسند في مجلد ضخ ، وأما سيرة عمر بن عبد العزيز فقد ذكرنا منها طرقاتاً صالحاً هنا ، يستعمل به على ما لم نذكره .

وقد كان عمر رحمه الله يعطي من اقطع إلى المسجد الجامع من بلده وغيرها ، للهته ونشر العلم وتلاوة القرآن ، في كل عام من بيت المال مائة دينار ، وكان يكتب إلى عماله أن يأخفوا بالسنة ، ويقول : إن لم تصلحهم السنة فلا أصلحهم الله ، وكتب إلى سائر البلاد أن لا يركب ذمي من اليهود والنصارى وغيرهم على سرج ، ولا يلبس قباء ولا طيلساناً ولا السراويل ، ولا يمشين أحد منهم إلا بزئار من جلده ، وهو مقرون الناصية ، ومن وجد منهم في منزله سلاح أخذ منه . وكتب أيضاً أن لا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن ، فإن لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى أن لا يكون عنده خير . وكان يكتب إلى عماله : اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة ، فإن من أضعافها فهو لما سواها

من شرائع الاسلام أشد تضييماً . وقد كان يكتب الموعدة إلى العامل من عماله فينخلع منها ، وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة وطوى البلاد من شدة ما تقع موعدته منه ، وذلك أن الموعدة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعوظ . وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة ، وقد كتب إليه الحسن البصري بمواعظ حسان ولو تعصينا ذلك لطال هذا الفصل ، ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارة إلى ذلك . وكتب إلى بعض عماله : أذكر ليلة تمخص بالساعة فصباحها القيامة ، فيها من ليلة وياله من صباح ، وكان يوماً على الكافر بن عسيرا . وكتب إلى آخر : أذكر ك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاء منك ، قالوا : نخلع هذا العامل نفسه من العمالة وقسم على عمر فقال له : مالك ؟ فقال : خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعود إلى ولاية أبداً .

﴿ فصل ﴾

وقد رد جميع المظالم كما قمنا ، حتى انه رد فص خاتم كان في يده ، قال : أعطانيه الوليد من غير حق ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في الملابس والمأكل والمتاع ، حتى انه ترك التمتع بزوجه الحسناء ، فاطمة بن عبد الملك ، يقال كانت من أحسن النساء ، ويقال إنه رد جهازها إلى بيت المال ، والله أعلم . وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلى الخلافة أربعين ألف دينار ، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربع مائة دينار في كل سنة ، وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم ، وكان له من الأولاد جماعة ، وكان ابنه عبد الملك أجملهم ، فات في حياته في زمن خلافته ، حتى يقال إنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يظهر عليه حزن ، وقال : أمر رضى الله فلا أكرهه ، وكان قبل اخلافة يوتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولي الخلافة كان يمد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ولا يتسله حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنه لولا لينه . وكان يلبس الفروة الغليظة ، وكان سراجة على ثلاث قصبات في رأسه طين ، ولم يبن شيئاً في أيام خلافته ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، وقال : ما تركت شيئاً من الدنيا إلا عوضني الله ما هو خير منه ، وكان يأكل الغليظ ولا يبالى بشئ من النعيم ، ولا يبقعه نفسه ولا يوده . حتى قال أبو سليمان الداراني : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني ، لأن عمر ملك الدنيا بخلافها وزهد فيها ، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ ليس من جرب كن لم يجرب . وتقدم قول مالك بن دينار : إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز . وقال عبد الله بن دينار : لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً ، وذكروا أنه أمر جارية تروحه حتى ينام فروحته ، فنامت هي ، فأخذ الروحة من يدها وجعل

يروحها ويقول : أصابك من الحر ما أصابني . وقال له رجل : جزاك الله عن الاسلام خيراً . فقال : بل جزى الله الاسلام عني خيراً . ويقال إنه كان يلبس تحت ثيابه مسحاً غليظاً من شعر ، ويضع في رقبته غللاً إذا قام يصلي من الليل ، ثم إذا أصبح وضعه في مكان وختم عليه فلا يشعر به أحد ، وكانوا يظنون أنه مالا أو جوهراً من حرصه عليه ، فلما مات فتشوا ذلك المكان فإذا فيه غل ومسح .

وكان يبكي حتى يبكي الدم من الصموع ، ويقال إنه بكى فوق سطح حتى سال دمه من الميزاب ، وكان يأكل من المسح ليرق قلبه وتقزز دمعته ، وكان إذا ذكر الموت اضطربت أو صاله ، وقرأ رجل عنده (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين) الآية ، فبكى بكاء شديداً ثم قام فدخل منزله وتفقر الناس عنه ، وكان يكثر أن يقول : اللهم سلم سلم ، وكان يقول : اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ ، وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد ﷺ . وقال : أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم . وقال : لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقتل الواعظون والساعون لله بالنصيحة . وقال : الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله ، أما الأولياء فتمت بهم وأحرزتهم ، وأما الأعداء ففترتهم وشتمتهم وأبعدتهم عن الله . وقال : قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع . وقال لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ، قال : لو كنت كذلك لم تقله . وقال : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب . وقال : لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه ، أعطى أو منع . وقال : قيدوا العلم بالكتاب ، وقال لرجل : علم ولك الفتنة الأكبر : الفتنة وكف الأذى . وتكلم رجل عنده فأحسن قال : هذا هو السحر الحلال . وقصته مع أبي حازم مطولة حين رآه خليفة وقد شحب وجهه من التقشف ، وتغير حاله ، فقال له : ألم يكن ثوبك قبيحاً ؟ ووجهك ضيقاً ؟ وطعامك شحيحاً ؟ ومركبك وطيباً ؟ فقال له : ألم تخبرني عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن من ورائكم عقبة كئودا لا يجوزها إلا كل صائم مهزول » ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فذكر أنه لقي في غشيته تلك أن القيامة قد قامت ، وقد استدعى بكل من الخلفاء الأربعة ، فأمر بهم إلى الجنة ، ثم ذكر من بينه وبينهم فلم يدر ما صنع بهم ، ثم دعي هو فأمر به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من أمره فأخبره ، ثم قال للسائل : فمن أنت ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف ، قتلتني ربي بكل قتلة قتله ، ثم ها أنا أنتظر ما ينتظره الموحدون . وفضاله وما أثره كثيرة جداً ، وفيها ذكرنا كفاية وفقه الحمد والمنة ، وهو حسيناً ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة لنا إلا به .

(ذكر سبب وفاته رحمه الله)

كان سببها السل ، وقيل سببها أن مولى له صممه في طعام أو شراب ، وأعطى على ذلك ألف

دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فأخبر أنه مسموم، قال: لقد علت يوم سقيت السم، ثم استدعى مولاة الذي سقاه، قال له: ويحك!! ما حثك على ما صنعت؟ قال: ألف دينار أعطيتها. قال: هاتها، فأحضرها فوضعها في بيت المال، ثم قال له: اذهب حيث لا يراك أحد فتهلك. ثم قيل لعمر: تدارك فضك، قال: والله لو أن شغافى أن أمس شحمة أذنى أو أوتى بطيب فأشبهه ما فعلت، قيل له: هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا تومى لهم بشئ فانهم قراء؟ قال: (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) والله لا أعطيهم حتى أحد وم بين رجلين إما صالح فآله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فآل كنت لأعينه على فسقه. وفي رواية فلا أبلى في أى واحدك. وفي رواية أفادع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت؟ ما كنت لأفعل. ثم استدعى بأولاده فودعهم وعزام بهذا، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال: انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلقة عليكم. قال: فلقد رأينا بعض أولاد عمر ابن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتماطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز، لأن عمر وكل وله إلى الله عز وجل، وسليمان وغيره إنما يكون أولادهم إلى ما يدعون لهم، فيضيئون وتنهب أموالهم في شهوات أولادهم. وقال يعقوب بن سفيان: ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أبيوب قال قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موثاً دفنت في القبر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، قال: والله لأن يذبني الله بكل عناب، إلا النار فانه لا صبر لي عليها، أحب إلى من أن يعلم الله من قلبي أنى قلبك الموضع أهل. قالوا: وكان مرضه بدير سمعان من قرى حمص وكانت مدة مرضه عشرين يوماً، ولما احتضر قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: إلهي أنا الذي أمرتني بقصرت، ونهيتني فصصيت، ثلاثاً، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأخذ النظر، وقالوا: إنك لتنتظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، قال: إني لأرى حضرة مام بانس ولا جان، ثم قبض من ساعته. وفي رواية أنه قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسمعوه يقول: مرحبا بهته الوجه التي ليست بوجه إنس ولا جان ثم قرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) ثم هذا الصوت فدخلوا عليه فوجدوه قد غمض وسوى إلى القبلة وقبض.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن الهراوردي عن عبد العزيز بن أبي سلة أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب

قرأوها فاذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه .

وروى نحو هذا من وجه آخر ابن عساكر في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل بسنده عن عمير ابن حبيب السلمي ، قال : أسرت أنا وثمانية في زمن بني أمية ، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا ، فقتل أصحابي وشيع في بطريق من بطارقة الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذا له ابنة مثل الشمس ، ففرضها عليّ على أن يقامني نعمته وأدخل معه في دينه فأبيت ، وخلت بي ابنته ففرضت نفسها علي فمكنت ، فقالت : ما يمنعك من ذلك ؟ قلت : يمنعني ديني ، فلا أترك ديني لامرأة ولا لشيء . فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟ قلت : نعم ، فقالت : سر على هذا النجم بالليل واكن بالهار ، فانه بقلبك إلى بلادك ، قال : فسرت كذلك ، قال فبينما أنا في اليوم الرابع ممكن إذا بمجمل مقبلة غشيت أن تكون في طلي ، فاذا أنا بأصحابي الذين قتلوا ومهمم آخرون على دواب شهب ، فقالوا : عمير ؟ قلت : عمير . قلت : لم أوليس قد قتلتم ؟ قالوا : بلى ، ولكن الله عز وجل نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز ، قال : ثم قال لي بعضهم : فلو لي يدك يا عمير ، فأردقني فسرنا يسير آثم فقف في قففة وقمت قرب منزلي بالجزيرة ، من غير أن يكون لحقتني شر . وقال رجاء بن حيوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن أغسله وأكفنه ، فاذا حلت عقدة الكفن أن أنظر في وجهه فأبى ، ففعلت فاذا وجهه مثل القراطيس بيضا ، وكان قد أخبرني أنه كل من دفنه قبله من الخلفاء وكان يحمل عن وجوههم فاذا هي مسودة . وروى ابن عساكر في ترجمة يوسف ابن ماهر قال : بينا نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . ساقه من طريق إبراهيم بن بشار عن عباد بن عمرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن ماهر فذكره ، وفيه غرابة شديدة والله أعلم . وقد رثيت له منامات صالحة ، وتأسف عليه الخلفاء والعامة ، لاسيا العلماء والزهاد والعباد . ورفاه الشراء ، فمن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيباني لكثير عزة برى عمر : -

عمت صنائمه ضم هلاكه * فالتاس فيه كلهم مأجور
والتاس ماتهم عليه واحد * في كل دار رنة وزفير
يثقى عليك لسان من لم توله * خيرا لأنك بالثناء جدير
ردت صنائمه عليه حياته * فكأنه من نشرها منشور

وقال جرير يري عمر بن عبد العزيز روحه الله : -

ينص النعمة أمير المؤمنين لنا * ياخير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمراً عظيماً فاضطلت به * وسرت فيه بأمر الله يا عمرا
الشمس كاسفة ليست بطالمة * تبكى عليك نجوم الليل والقمر
وقال محارب بن ذكر رحمه الله يرى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :-

لو أعظم الموت خلقاً أن يواقه * لمدله لم يصبك الموت يا عمر
كم من شريمة عدل قد نشت لهم * كادت تموت وأخرى منك تفتنظر
يا لهف نفسي ولهف الواجدن معي * على المدول التي تفتالها الحفر
ثلاثة مارأت عيني لهم شها * تضم أعظمهم في المسجد الحفر
وأنت تتيهم لم تأل مجتهدا * سقيا لها سنن بلحق تفتنفر
لو كنت أمك والاقدار غالية * تأتي رواحا وتبيانا وتبتكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه * بدير محلمان لكن يغلب القدر

قالوا : وكانت وفاته بدير محلمان من أرض حصص ، يوم الخميس ، وقيل الجمعة خمس مضين ، وقيل
بقين من رجب ، وقيل لشربقين منه ، سنة إحدى وقيل ثنتين ومائة ، وصلى عليه ابن عمه مسلمة
ابن عبد الملك ، وقيل صلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وقيل ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ،
وكان عمره يوم مات تسماً وثلاثين سنة وأشهرأ ، وقيل إنه جلوز الأربعين بأشهر ، وقيل بسنة ،
وقيل بأكثر ، وقيل إنه عاش ثلاثاً وستين سنة ، وقيل ستاً وثلاثين ، وقيل سبعمائة وثلاثين ، وقيل
ثمانياً وثلاثين سنة ، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغها . وقال أحد عن عبد الرزاق
عن ميمون : مات على رأس خمس وأربعين سنة . قال ابن عساکر : وهذا وهم ، والصحيح الأول
تسماً وثلاثين سنة وأشهرأ . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوماً ،
وقيل سنتان ونصف .

وكان رحمه الله أمير دقيق الوجه حسنة نجيف الجسم حسن الهيئة غائر العينين ، بجمته أثر شجة
وكان قد شاب وخضب رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ فصل ﴾

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع
الخطباء قبله ، فقال له عمر : مالي ولك ؟ تنح عني ، إنما أنا رجل من المسلمين . ثم سار وساروا معه
حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس ! إني قد ابتليت بهذا الأمر
عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلت ما في أعناقكم
من يميني ، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون . فصالح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك

لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك . فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فإنه يهدم القنات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربه ولا في كتابها ولا في نبيها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً ، ولا أمتنع أحداً حقاً ، ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ! من أطلع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطيع الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل فدخل فأمر بالسور فنهكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء أمر بها فبيعت ، وأدخل أثمانها في بيت المال ، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً ، فأماه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ما ذا تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني أقبل ، قال : قتل ولا ترد المظالم إلى أهلها ؟ قال : إني سهوت البارحة في أمر سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت المظالم . فقال له ابنه : ومن لك أن تمشي إلى الظهر ؟ قال : ادن مني أي بني ، فذا منه قبيل بين عينيهِ وقال : الحمد لله الذي أخرج من صليبي من يميني على ديني . ثم قام وخرج وترك القائلة وأمر مناديه فنادى : ألا من كانت له مظلة فليرفضها ، فقام إليه رجل ذي من أهل حمص ^(١) قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قال : ما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي . والعباس جالس ، فقال له عمر : يا عباس ما تقول ؟ قال : نعم ! أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول يا ذي ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى . فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، ثم فاردد عليه ضيعته ، فردها عليه . ثم تتابع الناس في رفع المظالم إليه ، فأرضت إليه مظلة لإلادها ، سواء كانت في يده أو في يد غيره حتى أخذ أموال بني مروان وغيرهم ، مما كان في أيديهم ينير استحقاق ، فاستغاث بنو مروان بكل واحد من أعيان الناس ، فلم يقدم ذلك شيئاً ، فأثروا عنهم فاطمة بنت مروان . وكانت عمتهم فشكروا إليها ما لقوا من عمر ، وأنه قد أخذ أموالهم ويُسْتَقْتَصِمُونَ عنده ، وأنه لا يرفع بهم رأساً ، وكانت هذه المرأة لا تنجيب عن الخلفاء ، ولا ترد لما حاجة ، وكانوا يكرمونها ويظلمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة ، وقامت فركبت إليه ، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها ، لأنها أخت أبيه ، وأثنى لها وسادة ، وشرع يجادتها ، فرأها غضبي وهي على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمه مالك ؟ قالت : بنو أخي عبد الملك وأولادهم يهاونون في زمانك وولائتك ؟ وتأخذ أموالهم فتعطونها لغيرهم ، ويسبون عندك فلا تنكر ؟ فضحك عمر وعلم أنها متحملة ، وأن عقلها قد كبر ، ثم شرع يجادتها والنضيب لا يمتحيز عنها ، فلما رأى ذلك أخذ منها في الجد ، قال : يا عمه ! أعلى أن النبي ﷺ

مات وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده رجل فلم يستقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر بعده ذلك الرجل رجل آخر فلم يستقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر رجل آخر فكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه ، وإيم الله لئن أبقاني الله لأردته إلى مجراه الأول ، فمن رضى ظه الرضا ، ومن سخط فله السخط ، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطاعة الوالى ، والوالى لا يزيل ذلك ، فكيف يستطيع أن يزيل ما هو فاء عنه في غيرهم ؟ قالت : فلا يسبوا عندك ؟ قال : ومن يسبهم ؟ إنما يرضع الرجل مظلمته فأخذ له بها . ذكر ذلك ابن أبى الدنيا وأبو نعيم وغيرهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية .

وقال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر في مرضه فاذا عليه قبض وسخ ، قلت لفاطمة : ألا تنسلوا قبض أمير المؤمنين ؟ قالت : والله ماله قبض غيره ، وبكى فبكت فاطمة فبكى أهل الدار ، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما انجلت عنهم العبوة قالت فاطمة : ما أبكك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني ذكرت منصرف الخلائق من بين يدي الله ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، ثم صرخ وغشى عليه .

وعرض عليه مرة مسك من بيت المال فسد أفه حتى وضع ، فقبل له في ذلك فقال : وهل ينفع من المسك إلا بريحه ؟ ولما احتضر دعا بأولاده وكانوا بضعة عشر ذكراً ، فنظر إليهم فترفت عيناه ثم قال : بنفسى الفتية . وكان عمر بن عبد العزيز يمثل كثيراً بهذه الآيات : -

برى مستكيناً وهو لقول ماقت * به عن حديث القوم ما هو شاغله
وأزجه علم عن الجهل كله * وما علم شيئاً كن هو جاعله
عبوس عن الجبال حين يرام * فليس له منهم خدين يهازله
تذكر مايبقى من الميث فارعوى * فأشغله عن عاجل الميث آجله

وروى ابن أبى الدنيا عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده سابق البربرى وهو ينشده شعراً ، فأنتهى في شعره إلى هذه الآيات : -

فكم من صحيح يات للموت آمناً * أنه المنايا يفتنه بعد ما جمع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بئته * فراراً ولا منه بؤته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقتناً * ولا يسمع القاعى وإن صوته رفع
وقرب من لحيد فصار مقيله * وفارق ماقد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت النقي لله * ولا مفعماً في المال ذا حاجة يدع

وقال وجابن حيو : لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد الملك بعده

في الخلافة، أهلكه عمر بن الوليد بن عبد الملك قتال يزيد يا أمير المؤمنين ! إن هذا المرائي - يعني عمر ابن عبد العزيز - قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودرهمين ، في بيتين في داره بمولدين ، وهما مقولان على ذك الحذر والجهر . فأرسل يزيد إلى أخته غاطلة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلغني أن عمر خلف جوهر آ ودرآ في بيتين مقفولين . فأرسلت إليه : يا أخي ما ترك عمر من سبد ولا لبد ، إلا مافي هذا المنديل . وأرسلت إليه به ، فله فوجد فيه قيصا غليظا مرقوبا ، ورداء قشبا ، وجبة محشوة غليظة وأهية البطانة . فقال يزيد للرسول : قل لها : ليس عن هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما في البيتين . فأرسلت تقول له : واقدى نجفني بأمر المؤمنين ما دخلت هذين البيتين منذ ولي الخلافة ، لملي بكرأته تلك ، وهذه مفاتيحها فتعال فحول ما فيها لبيت مالك . فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل المارفتح أحد البيتين فإذا فيه كرسي من آدم وأربع أجرآت مبسوطات عند الكرسي ، وقم . فقال عمر بن الوليد : أستغفر الله ، ثم فتح البيت الثاني فوجد فيه مسجداً مفروشا بالخصا ، وسلسلة معلقة بسقف البيت ، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الانسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق ، كان إذا قتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبته ، وربما كان يعضها إذا نفس لثلا ينتم ، ووجدوا صندوقا مقفلا فتفتح فوجدوا فيه سطلا ففتحه فإذا فيه دراعة وتبان ، كل ذلك من مسوح غليظ ، فبكى يزيد ومن معه وقال : برحمتك الله يا أخي ، إن كنت لنتي السريرة ، فني العلانية . وخرج عمر بن الوليد وهو مخفول وهو يقول : أستغفر الله ، إنما قلت ما قيل لي .

وقال رجا : لما احتضر جعل يقول : اللهم رضني بقضائك ، وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب لما عجلت تأخيرها ، ولا لما أخرت تمجيلا . فلا زال يقول ذلك حتى مات . وكان يقول : لقد أصبحت ومالي في الأمور هوى إلا في مواضع قضاء الله فيها .

وقال شبيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة : أما بعد يا عمر فانه قد ولي الخلافة والمالك قبلك أقوام ، فتأوا على ما قدر رأيت ، ولقوا الله فرأى بعد الجوع والحفنة والحشم ، وطلجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون ، فانفقت أعينهم التي كانت لا تفتأ تنظر لقائها ، وانفخت رقابهم غير موسدين بعد لين الواسائد ، وتظاهر الفرش والمرافق والسرر والخلم ، وانشتت بطونهم التي كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة ، وصلوا جيفا بعد طيب الروائح العطرة ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين من كانوا يفرقونه وهم أحياء لتأذى بهم ، ولتفر منهم ، بعد إغراق الأموال على أغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة اللينة ، كانوا ينفقون الأموال إسرافا في أغراضهم وأهوائهم ، ويقترون في حق

الله وأمره ، فان استطعت أن تلقاه يوم القيامة ومحبوسون مرتهنون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتهن بشئ فاقبل ، واستمن بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه .

وما ملك عما قليل بسالم • ولو كثرت أحراسه ومواكبه
ومن كان ذا لب شديد وحاجب • فعما قليل يهجر الباب حاجبه
وما كان غير الموت حتى تفرقت • إلى غيره أعوانه وحباثيه
فأصبح مسروراً به كل حاسد • وأسلفه أصحابه وحباثيه

وقبل إن هذه الآيات لغيره .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص : حدثنا عاصم بن عمر حدثنا أبي عن عبد ربه بن أبي هلال عن ميمون بن مهران قال : تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه ففتح له منطق وموعظة حسنة ، فظفر إلى رجل من جلسائه وقد فرقت عيناه بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين امض في موعظتك فإني أرجو أن يمن الله به علي من ممعه أو يبلغه ، فقال : إليك عني يا أبا أيوب ، فان في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم ، والفعال أولى بالثمن من المقال . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يسلمون أعمال الفجار ، فأنزلهم الله ، أما كانوا يعيشون على القبور ! وروى عبد الرزاق قال : سمعت معمرًا يذكر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة - وبلغه عنه بعض ما يكره - : أما بعد فانه غرتي بك مجالستك القراء ، وعلمتلك السوداء ، وإرسالك إياها من وراء ظهرك ، وإنك أحسنت الملاينة فأحسننا بك الظن ، وقد أطلعنا الله على كثير مما تعملون .

وروى الطبراني والهارثي وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ، ممن قد حارب سقته ، وكفوا مؤقته ، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها - أو قال دليل عليها - فمليك لزوم السنة ، فانه إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزين والزلل ، والحق والخطأ ، والتمق ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشد ، وإما كان عملهم على الأسد ، ولو كان فيها يحملون أنفسهم فضل لكانوا فيه أجرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير ، فان قلت : قد حدث بدم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورجبت نفسه عنهم ، وقد تكلموا منه ما يكتى ، ووصفوا منه ما يشق ، فأين لا أين ، فن دونهم مقصر ، ومن فوقهم غير محسن ، وقد

قصر أروام دينهم فغفوا ، وطمع عنهم آخرون فضلوا ، فرحم الله ابن عبد العزيز . ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالتوبة وعجبة بما كان عليه الصحابة ، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفاه عنه .

وروى الخطيب البغدادي من طريق يعقوب بن سفيان الحافظ عن سعيد بن أبي مرثد عن رشيد بن سعيد قال : حدثني عقيل عن شهاب عن عمر بن عبد العزيز . قال : سن رسول الله ﷺ وخلقناؤه بعده سنا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هدى ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصله جهنم وساتر مصيرا .

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبهم فقال في خطبته : إني لم أجمعكم إلا أن المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة ولم يعمل لذلك ويستعمله أحق ، والمكذب له كافر . ثم تلا قوله تعالى (ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم) وقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أرسل أولاده مع مؤذنب لهم إلى الطائف يلتمهم هناك ، فكتب إليه عمر : بشئ ما علمت ، إذ قدمت إمام المسلمين صبيا لم يعرف النية ^(١) - أولم تمنخله النية - ذكره في كتاب النية له . وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة واليكاف ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز أنه قال له : يا بني ليس الخير أن يسمع لك وتطاع ، وإنما الخير أن تكون قد غفلت عن ربك عز وجل ثم أظلمته ، يا بني لا تأخذ اليوم لأحد على حتى أصبح ويرتفع النهار ، فإني أخلف أن لا أعقل عن الناس ولا يهيمون عني ، فقال له مولاه : رأيك البارحة بكيت بكاء ما رأيته بكيت مثله ، قال فبكى ثم قال : يا بني إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله عز وجل . قال : ثم غشى عليه فلم يبق حتى علا النهار ، قال : فأرايته بعد ذلك متبصيا حتى مات .

وقرأ ذات يوم (وما تكون في شأن وما تنلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا) الآية ، فبكى بكاء شديدا حتى صممه أهل الدار ، فجات طاملة فجلست تبكي لبيكاته وبكى أهل الدار لبيكاتها ، فجاء ابنه عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال ، فقال له : يا أبة ما يبكيك ؟ فقال : يا بني خير ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك وأن أكون من أهل النار .

وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله المنبري . قال : رأيت عمر بن عبد العزيز (١) كنا بالأصول والظلم أن فيه قصا .

خرج يوم الجمعة في فياب دميعة ، وراه حبشى يمشى ، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشى ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال : هكذا رحلنا الله ، حتى صعد المنبر فخطب قراء (إذا الشمس كورت) فقال : وما شأن الشمس (وإذا الجحيم سعرت) وإذا الجنة أزلقت) فبكى وبكى أهل المسجد ، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه ، ودخل عليه أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة ، وانتهيت إلى الناية ، والله سائلك عني . فبكى عمر وقال له : كم أنتم ؟ فقال : أنا وثلاث بنات . ففرض له على ثلثائة ، وفرض لبناته مائة مائة ، وأعطاه مائة درهم من ماله ، وقال له : اذهب فاستنقها حتى تخرج أعطيت المسلمين فتأخذ معهم .

وجاء رجل من أهل أنديجان قدام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين اذكر بقاى هذا بين يديك مقابلك غداً بين يدي الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاف من الخلاق ، من يوم تلقاه بلائقة من العمل ، ولا برائة من الذنب ، قال : فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال له : ما حاجتك ؟ فقال : إن علمك بأنديجان عدا عليّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى علمها ، فليرد عليه ، ثم أرسله مع البريد . وعن زياد مولى ابن عياش قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز في ليلة باردة شاتية ، فجعلت أصطلى على كاتون هناك ، فجاء عمر وهو أمير المؤمنين فجعل يصطلى معي على ذلك الكاتون ، فقال لي : يا زياد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قص عليّ ، قلت ما أنا بقاص ، قال : تكلم ، قلت زياد ، قال : قال : ماله ؟ قلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا دخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذا دخل الجنة ، قال : صدقت ، ثم بكى حتى أظفأ الجمر الذي في الكاتون .

وقال له زياد الميدي : يا أمير المؤمنين لا تعمل نفسك في الوصف واعلمها في الخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة فيك نفقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه ما أنت فيه ، ثم قال له زياد : يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد ماله ؟ قال : سيئ الحال ، قال : فإن كانا خصمين أهين ؟ قال : فهو أسوأ حالا ، قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال : ذلك حيث لا يهينته عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد ﷺ إلا وهو خصمك ، قال : فبكى عمر حتى تمتعت أني لم أكن حدثته ذلك . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة وأهل البصرة : أما بعد فإن من الناس من شارب في هذا الشراب ، ويشربون عنده أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، فسفكوا له الدم الحرام ، وارتكبوا فيه الفروج الحرام ، والمال الحرام ، وقد جبل الله عن ذلك مندوحة من أشربة حلال ، فمن اتبذ فلا يتبذ إلا من أسقية الأدم ، واستنقوا بما أحل الله عما حرم ، فاما من وجدناه شرب شيئاً مما حرم الله بعد ما حرمنا إليه ، جعلنا له عقوبة شديدة ،

ومن استخف بما حرم الله عليه فاقه الله أشد عقوبة له وأشد تنكيلا (١)

﴿ خلافة يزيد بن عبد الملك ﴾

يبيع له بمهد من أخيه سليمان بن عبد الملك أن يكون ولي الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة - أعني سنة إحدى ومائة - بإيمه الناس اليمة العامة ، وعمره إذ ذاك تسع وعشرون سنة ، فزل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، فجرت بينه وبين أبي بكر بن حزم منافسات وضغائن ، حتى آل الأمر إلى أن استدرك عليه حكومة فحمد حين فيها

وفيه كانت وقعة بين الخوارج ، وهم أصحاب بسطام الخارجي ، وبين جند الكوفة ، وكانت الخوارج جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس ، وكادت الخوارج أن تكسرم ، فنداموا بينهم فطعنوا الخوارج طعناً عظيماً ، وقتلوا من آخرهم ، فلم يبقوا منهم ثائرة . وفيها خرج يزيد بن المهلب فغلب يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرة طويلة ، وقتال طويل ، فلما ظهر عليها بسط المدل في أهلها ، وبذل الأموال ، وحبس عليها عدى ابن أوطاة ، لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيد بن المهلب من محبس عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا ، ولما ظهر على قصر الأمارة أتى بمدى بن أوطاة فدخل عليه وهو يضحك ، فقال يزيد بن المهلب : إني لأعجب من ضحكك ، لأنك هربت من القتال كما تهرب النساء ، وإنك جئتني وأنت تتل كما يتل العبد . فقال مدى : إني لأضحك لأن بقائي بقاء لك : وأن من ورائي طالبا لا يتركني ، قال : ومن هو ؟ قال : جنود بني أمية بالشام ، ولا يتركوك ، فدارك نفسك قبل أن يرمى إليك البحر بأمواله ، فتطلب الأقالة فلا تقال . فرد عليه يزيد جواب ما قال ، ثم سجنه كما سجن أهلها ، واستقر أمر يزيد بن المهلب على البصرة ، وبث نوابه في النواحي والجهات ، واستناب في الأهواز ، وأرسل أخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان ، ومعه جماعة من المقاتلة ، فلما بلغ خبره الغلبة يزيد بن عبد الملك جهر ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أريانة آلاف ، مقدمة بين يدي عه مسلمة بن عبد الملك ، وهو في جنود الشام ، قاصدين البصرة لقتاله ، ولما بلغ يزيد بن المهلب مخرج الجيوش إليه خرج من البصرة واستناب عليها أخاه مروان بن المهلب ، وجاء حتى نزل واسط ، واستشار من معه من الأمراء فيها ذا يمتد ؟ فاختلقوا عليه في الرأي ، فأشار عليه بعضهم بأن يسير إلى الأهواز لينتصن في رؤس الجبال ، فقال : إنما تريدون أن تيميلوني طارفاً رأس جبل ؟ وأشار عليه رجال أهل المراق أن يسير إلى الجزيرة فينزلهما بأحسن حصن فيها ، ويجمع

(١) من أول الفصل إلى هنا زيادة من المصرية .

عليه أهل الجزيرة فيقاتل بهم أهل الشام ، وانسلخت هذه السنة وهو نازل بواسط وجيش الشام قاصده .
وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس أمير المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعلى
قضاها طاهر الشامي ، وعلى البصرة يزيد بن المهلب : قد استعوذ عليها وخلع أمير المؤمنين يزيد
ابن عبد الملك . وفيها توفي عمر بن عبد العزيز ، وربي بن حراش ، وأبو صالح السمان وكان عبداً
صادقاً قتيلاً ، وقد ترجمناه في كتابنا التكميل والله أعلم .

(ثم دخلت سنة ثنتين ومائة)

فيها كان اجتماع مسلمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب ، وذلك أن يزيد بن المهلب ركب من
واسط واستخلف عليها ابنه معاوية ، وسار هو في جيش ، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب ،
حتى بلغ مكاناً يقال له المقر ، وانتهى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد بها ، وقد
التقت المدينتان أولاً فقتلوا قتلاً شديداً ، فهزم أهل البصرة أهل الشام ، ثم تنازع أهل الشام
فحملوا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة من الشجعان ، منهم المنتوف ، وكان شجاعاً
مشهوراً ، وكان من موالى بكر بن وائل ، قال في ذلك الفرزدق : -

تبكى على المنتوف بكر بن وائل • وثني عن ابني مسع من بكاهما

فأجابه الجند بن درهم مولى الثوريين من ممدان ، وهذا الرجل هو أول الجهمية ، وهو الذي
ذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى قال الجند : -

تبكى على المنتوف في نصر قومه • ولبينا نبكي الشائد بن أبها

أراد أفضاء الحى بكر بن وائل • فز تميم لو أصيب فناما

فلا لقيا روحا من الله ساعة • ولا رقات عينا شجى بكاهما

أفى الفش نبكى إن بكينا عليهما • وقد لقيا بالفش فينا رداها

ولما اقترب مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيد بن المهلب ، خطب يزيد بن
المهلب الناس وحرّضهم على القتال - يعني قتال أهل الشام - وكان مع يزيد نحو من مائة ألف ،
وعشرين ألفاً ، وقد بأيعوه على السمع والطاعة ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى أن
لا يطاء الجنود بلادهم ، وعلى أن لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج ، ومن بأيعنا على ذلك قبلنا
منه ، ومن خالفنا قاتلناه .

وكان الحسن البصري في هذه الأيام يمرض الناس على الكف وترك النهول في الفتنة ،
وبينهم أشد انتهى ، وذلك لما وقع من القتال الطويل المريع في أيام ابن الأشعث ، وما قتل بسبب

ذلك من النفوس المدينة ، وجعل الحسن يخطب الناس ويدعهم في ذلك ، ويأمرهم بالكف ، فبلغ ذلك نائب البصرة عبد الملك بن المهلب ، فقام في الناس خطيباً فأمرهم بالجد والجهاد ، والتفر إلى القتال ، ثم قال : ولقد بلغني أن هنا الشيخ الضال المرائي - ولم يسمه - يبط الناس ، أما والله ليكنن عن ذلك أولاً فليكن ولا فليكن ، وتوعد الحسن ، فها بلغ الحسن قوله قال : أما والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه ، فسلمه الله منه حتى زالت دولتهم ، وذلك أن الجيوش لما تواجبت تبارز الناس قليلاً ، ولم ينشب الحرب شديداً حتى فر أهل العراق سريعاً ، وبلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه حرق فانهزموا ، فقال : يزيد بن المهلب : ما بال الناس ؟ ولم يكن من الأمر ما يفر من مثله ، قيل له : إنه بلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه قد حرق . فقال : قبحهم الله ، ثم رام أن يرد المهزمين فلم يمكنه ، فثبت في عصابة من أصحابه وجعل بعضهم يتسللون منه حتى بقي في شرفة قليلة ، وهو مع ذلك يسير فدعا لايبر بجبل إلا هزمهم ، وأهل الشام يتجاوزون عنه يميناً وشمالاً ، وقد قتل أخوه حبيب بن المهلب ، فازداد حنقا وغيطاً ، وهو على فرس له أشهب ، ثم قصد نحو مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما واجهه حملت عليه خيول الشام فقتلوه ، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلب ، وقتلوا السمينع ، وكان من الشجعان ، وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجل يقال له الثعلب بن عياش ، قتل إلى جانب يزيد ابن المهلب ، وجاؤا برأس يزيد إلى مسلمة بن عبد الملك ، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى أخيه أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ، واستحوذ مسلمة على ماني معسكر يزيد بن المهلب ، وأسر منهم نحواً من ثلاثمائة ، فبث بهم إلى الكوفة ، وبث إلى أخيه فيهم ، فجاء كتابه بقتلهم ، فسار مسلمة فقتل الحيرة

ولما انتهت هزيمة ابن المهلب إلى ابنه معلوية وهو بواسط ، عمد إلى نحو من ثلاثين أسيراً في يده فقتلهم ، منهم نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، عدى بن أرطاة رحمه الله وابنه ، ومالك وعبد الملك ابنا مسع ، وجماعة من الأشراف ، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه الخزائن من الأموال ، وجاء معه معه الفضل بن المهلب إليه ، فاجتمع آل المهلب بالبصرة فأعدوا السفن وتجهزوا أتم الجهاز واستعدوا للهرب ، فساروا ببغالهم وأقلامهم حتى أتوا جبال كرمان فقتلوا ، واجتمع عليهم جماعة ممن قل من الجيش الذي كان مع يزيد بن المهلب ، وقد أمروا عليهم الفضل بن المهلب ، فأرسل مسلمة جيشاً عليهم هلال بن ماجور الحاربي في طلب آل المهلب ، ويقال ليهم أمر وا عليهم رجلا يقال له مدرك بن صب الكلبي ، فلقهم ببغال كرمان فقتلوا هنالك قتالاً شديداً ، قتل جماعة من أصحاب الفضل وأسر جماعة من أشرافهم وانهزم بقيتهم ، ثم لحقوا الفضل فقتلوه وحمل رأسه إلى مسلمة بن عبد الملك ، وأقبل جماعة من أصحاب يزيد بن المهلب فأخفوا لهم أماتا من أمير الشام

منهم ملك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، ثم أرسلوا بالأنفال والأموال والنساء والقدية فوردت على مسلمة بن عبد الملك ومعهم رأس الفضل ورأس عبد الملك بن المهلب ، فبث مسلمة بالرواس وتسعة من الصبيان الحسان إلى أخيه يزيد ، فأمر بضرب أعناق أولئك ، ونصبت رؤسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنصبت بها ، وحلف مسلمة بن عبد الملك ليعين فرار ي آكل المهلب ، فاشترام بعض الأعراء إيراداً لقسمه بمائة ألف ، فأعتقهم وخلي سبيلهم ، ولم يأخذ مسلمة من ذلك إلا مير شيئا وقد رتا الشعراء يزيد بن المهلب بقصائد ذكرها ابن جرير .

(ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان)

وذلك أنه لما فرغ من حرب آكل المهلب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فاستجاب على الكوفة وعلى البصرة ، وبعث إلى خراسان خنته - زوج ابنته - سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، الملقب بخذينة ، فسار إليها فحرض أهلها على الصبر والشجاعة ، وعاقب عمالا ممن كان ينوب لآكل المهلب ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة ، ومات بعضهم تحت العقوبة .

(ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين)

وذلك أن خاقان الملك الأعظم ملك الترك ، بعث جيشا إلى الصفد لقتال المسلمين ، عليهم رجل منهم يقال له كورصول ، فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي ، فحصره وفيه خلق من المسلمين ، فصالحهم نائب محرقة - وهو عثمان بن عبد الله بن معترف - على أربعين ألفاً ، ودفع إليهم سبعة عشر دهنقار هائن عندهم ، ثم نصب عثمان الناس فانتدب رجل يقال له السيب بن بشر الراسي في أربعة آلاف ، فساروا نحو الترك ، فلما كان في بعض الطريق [خطبهم] فحثهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهب إلى الأعداء لطلب الشهادة ، فرجع عنه أكثر من ألف ، ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم ويرجع عنه بعضهم ، حتى بقي في سبعمائة مقاتل ، فسار بهم حتى غلق جيش الأتراك ، وهم محاصرو ذلك القصر ، وقد عزم المسلمون الذين هم فيه على قتل نسلهم وذبح أولادهم أمامهم ، ثم يتزولون فيقاتلون حتى يقتلوا عن آخرهم ، فبث إليهم السيب يثبتهم يومهم ذلك ، فثبتوا ومكث السيب حتى إذا كان وقت السحر فكبر وكبر أصحابه ، وقد جلوا شمارهم بأحمد ، ثم حلوا على الترك حملة صادقة ، قتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعقروا ذواب كثيرة ، ونهض إليهم الترك فقاتلهم قتالاً شديداً ، حتى فرأ أكثر المسلمين ، وضربت دابة السيب في عجزها فترجل وترجل معه الشجعان ، قاتلوا وهم كذلك قتالاً عظيماً ، والتفت الجماعة إلى السيب وصبروا حتى فتح الله عليهم ، وفر المشركون بين أيديهم هاربين لا يلبون على شيء ، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة ، فنادى منادى السيب :

أن لا تتبعوا أحدا ، وعليكم بالقصر وأهله ، فاحتلوم وحازوا ماني مسكر أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة وانصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين ، وجاءت الترك من الهند فلم يجدوا به داعياً ولا مجيباً ، فقالوا في أنفسهم : هؤلاء الذين لقونا بالأمس لم يكونوا إنسا ، إنما كانوا جنأ . ومن توفي فيها من الأعيان والسادة :

(الضحاك بن مزاحم الحلالي)

أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخراساني ، كان يكون يبلغ وسمقرند ونيسابور ، وهو تابعي جليل روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة ، وجماعة من التابعين ، وقيل إنه لم يصح له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس سماع ، وإن كان قد روى عنه أنه جاوره سبع سنين ، وكان الضحاك إماما في التفسير ، قال الثوري : خفوا التفسير عن أربعة ، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك ، وقال الامام أحمد : هو ثقة ، وأنكر شعبة سماعه من ابن عباس ، وقال : إنما أخذ عن سعيد عنه ، وقال ابن سعيد القطان : كان ضعيفاً . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : لم يشافه أحداً من الصحابة ، ومن قال : إنه لقي ابن عباس فقد وهم ، وحملت به أمه سنتين ، ووضعته وله أسنان ، وكان يعلم الصبيان حسبة ، وقيل إنه مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة والله أعلم .

(أبو المتوكل الناجي)

اسمه علي بن البصري ، تابعي جليل ، ثقة ، رفيع القدر ، مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة ثلاث ومائة)

فيها عزل أمير العراق وهو عمر بن هبيرة سعيد - الملقب خذينة - عن نيابة خراسان ، وولى عليها سعيد بن عمرو الجريشي ، باذن أمير المؤمنين ، وكان سعيد هذا من الأبطال المشهورين ، انزعج له الترك وخافوه خوفاً شديداً ، وتقهروا من بلاد الصغد إلى ماوراء ذلك ، من بلاد الصين وغيرها ، وفيها جمع يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن بن قيس بين إمرة المدينة وإمرة مكة ، وولى عبد الرحمن الواحد بن عبد الله النضري نيابة الطائف . وحج بالناس فيها أمير الحرمين عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان :

(يزيد بن أبي مسلم)

أبو العلاء المدني . عطاء بن يسار الحلالي ، أبو محمد القاص المدني ، مولى ميمونة ، وهو أخو سليمان ، وعبد الله ، وعبد الملك ، وكلمهم تابعي . وروى هذا عن جماعة من الصحابة ، ووهبه غير واحد من الأئمة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاث أو أربع ومائة ، وقيل توفي قبل المائة بالأسكندرية ، وقد جاوز الثمانين والله سبحانه أعلم .

﴿ مجاهد بن جبر المكي ﴾

أبو المجاج القرشي الخزومي ، مولى السائب بن أبي السائب الخزومي ، أحد أئمة التابعين والمفسرين كان من أخصاء أصحاب ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير ، حتى قيل إنه لم يكن أحد يريد بالعلم وجه الله إلا مجاهد وطلووس ، وقال مجاهد : أخذ ابن عمر بركابي وقال : وددت أن ابني سلماً وغلامي نافعاً يحفظان حفظك . وقيل إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل مرتين ، أنه عند كل آية وأسأله عنها ، مات مجاهد وهو ساجد سنة مائة ، وقيل إحدى وقيل ثنتين وقيل ثلاث ومائة ، وقيل أربع ومائة ، وقد جاوز الثمانين والله أعلم .

[فصل]

أسند مجاهد عن أعلام الصحابة وعلمائهم ، عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد ورافع بن خديج . وعنه خلق من التابعين . قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا عبد الرزاق عن أبي بكر بن عيش قال : أخبرني أبو يحيى أنه سمع مجاهداً يقول : قال لي ابن عباس : لا تمنن إلا على وضوء فان الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

وروى الطبراني عنه أنه قال في قوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن) قال : يسلم عليه إذا لقته وقيل هي المصافحة . وروى عمرو بن مرة عنه أنه قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : اتق لا يأخذك الله على ذنب لا ينظر فيه إليك فتلقاه حين تلقاه وليست لك حاجة . وروى ابن أبي شيبة عن أبي أمامة عن الأعشى عن مجاهد . قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوى حاجة ، عندهم رأس شاة فأصابوا شيتها ، فقالوا : لو بشنا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا ، فبعثوا به فلم يزل ينور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم أولاً . وروى ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد قال : ما من مؤمن يموت إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحاً . وقال : فلا تفسم يهود . قال : في القبر . وروى الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبانة عن مجاهد قال : كان يهج من بني إسرائيل مائة ألف ، فإذا بلغوا أرواف الحرم خلصوا فاعلمهم ثم دخلوا الحرم فحاة . وقال يحيى بن سعيد القطان قال مجاهد في قوله تعالى : (يا مريم اتقي لربك) قال : اطلي الركود . وفي قوله تعالى : (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) قال المزاهير . وقال في قوله تعالى (أنكلاً وجحياً) قال : قيود . وقال في قوله : (لا حجة بيننا وبينكم) قال لانصومة . وقال : (ثم لتأتين يومئذ عن النعم) قال : عن كل لغة في الدنيا . وروى أبو الدبيع عن جرير ابن عبد الحبيب عن منصور عن مجاهد . قال : رن إبليس أربع ركعات ، حين لمن ، وحين أهبط ،

وحين بعث النبي ﷺ وأنزلت (الحمد لله رب العالمين) وأنزلت بالمدينة . وكان يقال : الرنة والنخرة من الشيطان ، فلمن من رن أو نخر . وروى ابن نجيج عنه في قوله تعالى (أتنبئون بكل ربح آية تعبثون) قال : بروج الحمام . وقال في قوله تعالى (أفتقوا من طيبات ما كسبتم) قال : التجارة . وروى ليث عن مجاهد قال (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال : استقاموا فلم يشركوا حتى ماتوا . وروى يحيى بن سعيد عن صفيان عن ابن أبي عمير عن طلحة بن مصرف عن مجاهد (ولم يكن له كفوا أحد) قال : صاحبة . وقال ليث عن مجاهد قال : النملة التي كلمت سليمان كانت مثل الذئب العظيم

وروى الطبراني عن أبي نجيج عن مجاهد . قال : كان الغلام من قوم عاد لا يحتمل حتى يبلغ مائتي سنة . وقال : (سألت سائل) دعا داع . وفي قوله (ماء غدقا لنتنهم فيه) حتى رجسوا إلى علمي فيه (لا يشركون بي شيئا) قال لا يحبون غيري . (الذين يَمْكُرُونَ السيئات) قال هم المرازنة . وفي قوله تعالى : (قل للذين آمنوا ينفرون للذين لا يرجون أيام الله) قال هم الذين لا يدرون أنهم الله عليهم أم لم ينم . ثم قرأ (وذكروا ما أيام الله) قال : أيامه نعمه وقمه . (فردوه إلى الله والرسول) فردوه إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيا ، فإذا مات فإلى سنته . (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال : أما الظاهرة فالإسلام والقرآن والرسول والرزق ، وأما الباطنة فإسراة من السيوب والذئوب . وروى الحكم عن مجاهد قال : لما قدمت مكة نساء على سليمان عليه السلام رأته حطبا جزلا فقالت لغلام سليمان : هل يعرف مولاك كم وزن دخان هذا الحطب ؟ فقال الغلام : دعى مولاي أنا أعرف كم وزن دخانه ، فكيف مولاي ؟ قالت : فكيف وزنه ؟ فقال الغلام : بوزن الحطب ثم يحرق الحطب ويوزن رماده فما نقص فهو دخانه . وقال في قوله تعالى : (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) قال : من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين . وقال ما من يوم ينقض من الدنيا إلا قال ذلك اليوم : الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها ، ثم يطوى عليه فيختم إلى يوم القيامة ، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يفض خاتمه . وقال في قوله تعالى : (يؤتى الحكمة من يشاء) قال : العلم والفقه ، وقال إذا ولي الأمر منكم الفقهاء . وفي قوله تعالى : (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال : البديع والشبهات . وقال : أفضل العبادة الرأي الحسن - يعني اتباع السنة - وقال : ما أدرى أى النعمتين أفضل ، أن هداني للإسلام ، أو عافاني من الأهواء ؟ . وقال في رواية : ألو الأمر منكم ، أصحاب محمد ، وربما قال : ألو العقل والفضل في دين الله عز وجل (بما صنعوا قارعة) قال السرية . (ويخلق ما لا تعلمون) . قال : السوس في الثياب . (ومن العظم منى) قال : الأضراس . (حنفا) قال : رحبا . وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدت في كتاب محمد بن أبي حاتم بخط يده : حدثنا

بشر بن الحارث حدثنا يحيى بن عمار عن عثمان بن الأسود عن مجاهد . قال : لو أن رجلا أفق مثل أحد في طاعة الله عز وجل لم يكن من المسرفين . وفي قوله تعالى (وهو شديد المحال) قال : العبادة (بينهما برزخ لا يبغيان) قال : بينهما حاجز من الله فلا يبتغى الحلو على المالح ولا المالح على الحلو . وقال ابن منده : ذكر محمد بن حميد : حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعشى قال : كان مجاهد لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها ، قال : وذهب إلى حضرموت إلى بشر برهوت . قال : وذهب إلى بابل ، قال : وعليها وال صديق لمجاهد : فقال مجاهد : تعرض على هاروت وماروت ، قال : فدعا رجلا من السحرة فقال : اذهب بهذا تعرض عليه هاروت وماروت . فقال اليهودي : بشرط أن لا تدعو الله عندهما ، قال مجاهد : فذهب بي إلى قلعة فقطع منها حجرا ثم قال : خذ برجلي ، فهوى بي حتى انتهى إلى حوبة ، فاذا هما معلقين منكبين كالجليبين العظيمين ، فلما رأتهما قلت : سبحان الله خالقكما ، قال : فاضطر يا فكأن جبال الدنيا قد تدكنت ، قال : ففضى على وعلى اليهودي ، ثم أطلق اليهودي قبلي ، فقال : قم ! كنت أن تهلك نفسك وتهلكني .

ودروى ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال : يؤتى يوم القيامة بثلاثة نفر ، بالنبي ، والمرضى ، والعبد المملوك . قال : فيقول الله عز وجل للنبي : ما شغلك عن عبادتي التي إنما خلقتك لها ؟ فيقول يارب أكرت لي من المال فطعنت . فيؤتى بسليمان عليه السلام في ملكه فيقول لنا : أنت كنت أكثر مالا وأشد شغلا أم هذا ؟ قال : فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله له : فان هذا لم يمنه ما أوتى من الملك والمال والشغل عن عبادتي . قال : ويؤتى بالمرضى فيقول : ما منعتك عن عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول : يارب شغلني عن هذا مرض جسدي ، فيؤتى بأبوب عليه السلام في ضربه وبلائه ، فيقول له : أنت كنت أشد ضرا ومرضاً أم هذا ؟ فيقول : بل هذا ، فيقول : إن هذا لم يشغله ضره ومرضه عن عبادتي . ثم يؤتى بالمملوك فيقول الله له : ما منعتك من عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول رب فضلت على أربابا فلكوني وشغلوني عن عبادتك . فيؤتى بيوסף عليه السلام في رقه وعبوديته فيقول الله له : أنت كنت أشد في رقتك وعبوديتك أم هذا ؟ فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله : فان هذا لم يشغله ما كان فيه من الرق عن عبادتي . وروى حميد عن الأعرج عن مجاهد . قال : كنت أصحب ابن عمر في السفر فاذا أردت أن أركب مسك ركابي ، فاذا ركبت سوى على ثيابي فرأيت مرة كأني كرهت ذلك في ، فقال : يا مجاهد إنك لضيق الخلق ، وفي رواية : صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخنمه فكان يعضني .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن رجل عن مجاهد . قال : جمعت الأرض ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شاء ، وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها

منهم . وقال : لما هبط آدم إلى الأرض قال له : ابن للخراب ولد لفناء . وروى قتيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد . (وياهمهم اللاعنون) قال : تلحن عصاة بني آدم دواب الأرض ومشاء الله حتى الحيات والقوارب ، يقولون : منعنا القطر يذنوب بني آدم . وقال غيره : تسلط الحشرات على العصاة في قيورهم لما كان ينامهم من الشدة بسبب ذنوبهم ، فتلك الحشرات من القوارب والحيات هي السيئات التي كانوا يعملونها في الدنيا ويستلقونها ، صارت عنذا عليهم . نسأل الله العافية . وقال : (إن الإنسان لربه لكنود) لكفور . وقال الامام أحمد : حدثنا عمر بن سليمان حدثني مسلم أبو عبد الله عن ليث عن مجاهد قال : من لم يستحي من الحلال خفت مؤنته وأراح نفسه . وقال عمرو بن زروق : حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد . قال (فظن أن لن نقدر عليه) أن لن نقا به بذبته . وبهنا الاسناد قال : لم أكن أحسن ما الزخرف حتى سمعتها في قراءة عبد الله بينا من ذهب . وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا خلف بن خليفة عن ليث عن مجاهد : إن الله عز وجل ليصلح بصلاح العبد ولله . قال : وبلغني أن عيسى عليه السلام كان يقول : طوبى للمؤمن كيف يخلفه الله فيمن ترك بخير . وقال الفضيل بن عياض عن عبيد المكتب عن مجاهد في قوله تعالى (وتقطعت بهم الأسباب) الأوصال التي كانت بينهم في الدنيا . وروى سفيان بن عيينة عن سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : (لا يربقون في مؤمن إلا ولا ذمة) قال : الاله الله عز وجل . وقال في قوله تعالى (بقية الله خير لكم) طاعة الله عز وجل . وفي قوله تعالى (ولن خلف مقام رب جنتان) قال : هو الذي يذكر الله عند المم بمالماعى . وقال الفضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد : (سيام في وجوههم) الخشوع . وفي قوله تعالى : (وقوموا لله قانتين) قال القنوت الركود والخشوع وغض البصر ، وخفض الجناح من رغبة الله . وكان العلماء إذا قام أحدهم في الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصى ، أو يمض بشئ أو يتحدث نفسه بشئ من الدنيا . إلا خاشعا مادام في صلاته .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عمرو حدثنا ابن إدريس حدثني عقبة بن إسحاق - وأثنى عليه خيرا - حدثنا ليث عن مجاهد . قال : كنت إذا رأيت الرب استخفيت وأجبتها من وراء دينها ، فإذا دخلوا في الصلاة فكأنما أجساد ليست فيها أرواح . وروى الأعمش عنه قال : إنما القلب منزلة الكف ، فإذا أذنب الرجل ذنبا قبض هكنا - وضم الخصر حتى ضم أصابعه كلها أصبعا أصبعا - قال : ثم يطبع ، فكأثا يرون ذلك الزان : قال الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وروى قبيصة عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد : (بلى من كسب سيئة وأحطت به خطيئته) قال : الذنوب تحيط بالقلوب كلها على الشيء المحيط ، كما عمل ذنبا ارتضت حتى قمى القلب حتى تكون هكنا - ثم قبض يده - ثم قال : هو الزان . وفي قوله : (بما

قسم وأخر) قال : أول عمل العبد وآخره (وإلى ربك فارغب) قال : إذا فرغت من أمر الدنيا قمت إلى الصلاة فاجعل رغبتك إليه ، ونيتك له .

وعن منصور عن مجاهد (النفس المطمئنة) قال : هي النفس التي قد أيقنت أن الله ربهما وضربت حاشا لأمره وطاعته . وروى عبد الله بن المبارك عن ليث عن مجاهد : قال : مامن ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه ، إن كان من أهل الذكركن من أهل الذكركن ، وإن كان من أهل اللهوفن أهل اللهو . وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن مجاهد . قال : قال إبليس : إن يمجزني ابن آدم فلن يمجزني من ثلاث خصال : أخنمال بغير حق ، وإضافه في غير حقه ^(١) . وقال أحمد : حدثنا ابن نمير قال قال الأعشى : كنت إذا رأيت مجاهداً ظننت أنه حر منسبح قد ضل حماره فهو مهم . وعن ليث عن مجاهد قال : من أكرم نفسه وأعزها أذل دينه ، ومن أذل نفسه أعز دينه . وقال شعبه عن الحكم عن مجاهد قال قال لى : يا أبا النازى كم ليث نوح في الأرض ؟ قال : قلت ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال : فإن الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأجسادهم وأخلاقهم إلا نقصاً . وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي علية عن ليث عن مجاهد قال : ذهب السلاء فابقي إلا المتسلون ، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم . وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال : لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أن يحياه منه يمنة يمنة من المعاصي لكان في ذلك خير . وقال : القتيبي من يخاف الله وإن قل عمله ، والجاهل من عصى الله وإن كثر عمله . وقال : إن العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه . وقال في قوله تعالى : (ويا بأك فطر) قال : عمك فأصلح . (واسألوا الله من فضله) قال : ليس من عرض الدنيا . (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال : هم الذين يمجثون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه . وقال : يقول القرآن للمعبدين إلى ملك ما اتبعنى ، فإذا لم تعمل في اتبعتك . (ولا تنس نصيبك من الدنيا) قال : خذ من دينك لا آخرتك ، وذلك أن تعمل فيها بطاعة الله عز وجل . وقال داود بن الحبر عن عباد بن كثير عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه مجاهد بن جبير قال : قلت لابن عمر : أى حجاج بيت الله أفضل وأعظم أجراً ؟ قال : من جمع ثلاث خصال ، نية صادقة ، وعقلاً وأخراً ، وثقة من حلال ، قد كرت ذلك لابن عباس فقال : صدق . قلت : إذا صدقت نيته وكانت ثقته من حلال فإذا يضره قلة عقله ؟ قال : يا أبا حجاج ، سألتني عما سألت عنه رسول الله ﷺ فقال : « والذى نفسى بيده ما أطاع العبد الله بشئ أفضل من حسن العقل ، ولا يقبل الله صوم عبده ولا صلاته ، ولا شيئاً مما يكون من عمله من أنواع الخير إن لم يعمل بعقل . ولو أن جاهلاً طلق المجتهدين في العبادة ، كان ما يفسد أكثر » .

مما يصلح . » قلت : ذكر العقل في هذا الحديث ورضه إلى النبي ﷺ من المنكرات والموضوعات ، والثلاث الخصال موقوفة على ابن عمر ، من قوله من جمع ثلاث خصال ، إلى قوله : قال ابن عباس صدق ، والباقي لا يصلح رضه ولا وقفه ، وداود بن الحجير كنيته أبو سليمان ، قال الحاكم : حدث ببغداد عن جماعة من الثقات بأحاديث موضوعة ، حدث بها عنه الحارث بن أبي أسامة ، وله كتاب العقل ، وأكثر ما أورد ذلك الكتاب موضوع على رسول الله ﷺ ، وذكر العقل مرفوعاً في هذه الرواية لعله من جعلها ، والله أعلم . وقد كذبه أحمد بن حنبل ^(١)

(مصعب بن سعد بن أبي وقاص)

تأبى جليل القدر . موسى بن طلحة بن عبيد الله التميمي ، كان يلقب بالمهدي لصلاحه ، كان تابعياً لجليل القدر من سادات المسلمين رحمه الله

(ثم دخلت سنة أربع ومائة)

فيها قاتل سعيد بن عمرو الحرشي نائب خراسان أهل الصفد وحاصر أهل خجندة وقتل خلقاً كثيراً ، وأخذ أموالاً جزيلة ، وأمر رقيقاً كثيراً جداً ، وكتب بئسك إلى يزيد بن عبد الملك ، لأنه هو الذي ولاه . وفي ربيع الأول منها عزل يزيد بن عبد الملك عن إمرة الحرمين عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس ، وكان سببه أنه خطب فاطمة بنت الحسين فامتنعت من قبول ذلك ، فألح عليها وتوعدها ، فأرسلت إلى يزيد تشكوه إليه ، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري نائب الطائف فولاه المدينة ، وأن يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسمع صوته أمير المؤمنين وهو متكئ على فراشه بدمشق ، وأن يأخذ منه أربعين ألف دينار ، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ركب إلى دمشق واستجار بمسيلة بن عبد الملك ، فدخل على أخيه فقال : إن لي إليك حاجة ، قال : كل حاجة تقولها فهي لك إلا أن تكون ابن الضحاك ، قال : هو والله حاجتي ، قال : والله لأقبلها ولا أعفو عنه ، فردّه إلى المدينة فقتله عبد الواحد فضربه وأخذ ماله حتى تركه في جبة صوف ، فسال الناس بالمدينة ، وكان قد بشر نياحة المدينة ثلاث سنين وأشهرآ ، وكان الزهري قد أشار عليه برأى سديد ، وهو أن يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمر فلم يقبل ، ولم يفعل ، فأبغضه الناس وذمه الشراء ثم كان هذا آخر أمره

وفيها عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي ، وذلك أنه كان يستخف بأمر ابن هبيرة ، فلما عزله أحضره بين يديه وعاقبه وأخذ منه أموالاً كثيرة ، وأمر بقتله ثم عفا عنه ، وولى على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرة الكلابي ، فسار إليها فاستخلص أموالاً كانت منكسرة في

(١) من أول الفصل إلى هنا زينة من المصرية وفيه بعض تحريف لم تهتد إلى صوابه

أبى سعيد بن عمرو الحرشي . وفيها غزا الجراح بن عبد الله الحكلي نائب أرمينية وأذربيجان ، أرض الترك ، ففتح بلنجر وهزم الترك وغرقهم وذراهم في الماء ، وسبي منهم خلقا كثيرا ، واقتنع علة الحصون التي على بلنجر ، وأجلى علة أهلها ، والتقى هو والخلقان الملك فجرت بينهم وقعة هائلة آل الأمر فيها إلى أن انهزم خلطان ، وتبعهم المسلمون ، قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير لا يحصون . وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري أمير الحرمين والطائف ، وعلى نيابة العراق وخراسان عمر ، وقابسه على خراسان مسلم بن سعيد يومئذ . وفي هذه السنة ولد السفاح وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح ، أول خلفاء بني العباس وقد بايع أباه في الباطن جماعة من أهل العراق . وفيها توفي من الأعيان :

﴿ خالد بن معدان الكلاعي ﴾

[له روايات عن جماعة من الصحابة ، وكان تابيا جليلا ، وكان من العلماء وأئمة الدين الممدودين المشهورين ، وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسيحة وهو صائم ، وكان إمام أهل حمص ، وكان يصلي التراويح في شهر رمضان ، فكان يقرأ فيها في كل ليلة ثلث القرآن ، وروى الجوزجاني عنه أنه قال : من اجتهد على اللام على مراد الحق ، قلب الله تلك الحمد عليه فدا . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : ما من عبد إلا وله أربعة أعين . عينان في وجهه يبصر بهما أمر دنياه ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بالمبد خيرا فتح عينيه الفتن في قلبه فأبصر بهما أمر آخرته وهما غيب ، فأمن الغيب بالتيب ، وإذا أراد الله بالمبد خلافا ذلك ترك المبد القلب على ما هو عليه ، ففراه ينظر فلا يلتفت ، فإذا نظر قلبه نفع ، وقال : بصر القلب من الآخرة ، وبصر العينين من الدنيا وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى ^(١)]

﴿ عمر بن سعد بن أبي وقاص الهثلي ﴾

له روايات كثيرة عن أبيه وغيره ، وهو تابعي جليل ، ثقة مشهور

﴿ عمر بن شراحيل الشعبي ﴾

توفي فيها في قول [كان الشعبي من شعب ممدان ، كنيته أبو عمرو ، وكان علامة أهل الكوفة ، كان إماما حافظا ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقا من الصحابة وروى عنهم وعن جماعة من التابعين ، وعنه أيضا روى جماعة من التابعين ، قال أبو مجاز : ما رأيت أحدا أعلم من الشعبي . وقال مكحول : ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضية منه . وقال داود الأودي : قال لي الشعبي : قم معي هاتنا حتى أفيدك علما ، بل هو رأس العلم . قلت : أي شيء فهدني ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلم قل : الله أعلم ، فإنه

علم حسن . وقال : لو أن رجلاً سافر من أقصى اليمن لحفظ كلة تنفضه فيها يستقبل من عمره ما رأيت سفره ضائعاً ، ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خروج هذا المسجد ، رأيت سفره عقوبة وضياء وقال : العلم أكثر من عدد الشجر ، نغذ من كل شيء أحسنه [١١] .

﴿ أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ﴾

تولى قضاء الكوفة قبل الشعبي ، فان الشعبي تولى في خلافة عمر بن عبد العزيز ، واستمر إلى أن مات ، وأما أبو بردة فانه كان قاضياً في زمن الحجاج ، ثم عزله الحجاج وولى أخاه أباً بكر ، وكان أبو بردة قديماً حافظاً علماً ، له روايات كثيرة .

﴿ أبو قلابة الجرمي ﴾

[عبد الله بن يزيد البصري ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، يوجب للقضاء فرب منه وتقرب ، قسم الشام قنزل دارياً وبها مات رحمه الله . قال أبو قلابة : إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ، ولم يكنهلك ما تحدث به الناس ، فقل غيرك يفتنغ ويستغنى وأنت في الظلمة تتمتع ، وإني لأرى هذه المجالس إنما هي مناخ البطالين . وقال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فأنس له عنراً جهلك ، فان لم تجد له عنراً قتل : لعل لأخى عنراً لا أعلمه] (١٢) ﴿ تم دخلت سنة خمس ومائة ﴾

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحكي بلاد اللان ، وفتح حصونا كثيرة ، و بلادا مقسمة الأكناف من وراء بلنجر ، وأضرب غنائم جمّة ، وسبي خلقاً من أولاد الاراك . وفيها غزا مسلم بن سعيد بلاد الترك وحاصر مدينة عظيمة من بلاد الصفد ، فصالحه ملكها على مال كثير يحميه إليه . وفيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم ، فبعث بين يديه سرية ألف فارس ، فأصيبوا جميعاً وفيها لحس بقين من شعبان منها توفي أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بن مروان بأربد من أرض البلقاء ، يوم الجمعة ، وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وهذه ترجمته :

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، قبل إتيانها دفنت بقبر عاتكة ففسدت الحلة إليها (١٣) والله أعلم . بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة إحدى ومائة بعهد من أخيه سليمان ، أن يكون الخليفة بعد عمر ابن عبد العزيز ، لحس بقين من رجب ، قال محمد بن يحيى الذهلي : حدثنا كثير بن هشام ثنا جعفر ابن برقان حدثني الزهري قال : كان لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فهاولى الخلافة معاوية ورث المسلم من الكافر . ولم يرث الكافر من

(١) (٢) زيادة من المصرية (٣) قبر عاتكة محلة من محلات دمشق مرفوعة . بهذا الاسم إلى اليوم

المسلم ، وأخذ بنك الخلفاء من بعده ، فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع السنة الأولى ، وتبعه في ذلك يزيد بن عبد الملك ، فلما قام هشام أخذ بسنة الخلفاء - يعني أنه ورث المسلم من الكافر - وقال الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال : بينما نحن عند مكحول إذ أقبل يزيد بن عبد الملك فهمنا أن توسع له ، فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس ، يتعلم التواضع .

وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولي عزم على أن يتأذى بعمر بن عبد العزيز ، فاستتركه قرناء السوء ، وحسنوا له الظلم ، قال حرمله عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر ، فكثرت كفتك أربعين ليلة ، فأقنى بأربعين شيخاً فشهدوا له أنه ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب ، وقد اتهمه بعضهم في الدين ، وليس بصحيح ، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد كما سيأتى ، أما هنا فما كان به بأس ، وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز : أما بعد فأقنى لأرائى إلا ملتأبى ، وما أرى الأمر إلا سيفضى إليك ، فإله الله في أمة محمد ، فانك عما قليل ميت تشدع الدنيا إلى من لا يعنرك ، والسلام . وكتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنك استبطأت حياته ونعميت وفاته ورمت الخلافة ، وكتب في آخره

نمى رجال أن أموت وإن أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم * متى مت ما لباقى على يخذل
مينته تجرى لوقت وحفته * يصادفه يوما على غير موعد
قل للذي يبقى خلاف القى مضى * تهباً لأخرى مثلها وكأن قد

فكتب إليه هشام : جل الله يومى قبل يومك ، ووللى قبل ولك ، فلا خير في العيش بعدك وقد كان يزيد هذا يحب حظية من حظاياه يقال لها حبابة - بقشديد الباء الاولى - والصحيح تخفيفها - واسمها المالية ، وكانت جملة جدا ، وكان قد اشتراها في زمن أخيه بأربعة آلاف دينار ، من عثمان بن سهل بن حنيف ، فقال له أخوه سليمان : لقد هممت أحجر على يدك ، فباعها ، فلما أقضت إليه الخلافة قالت له امرأته سمدة يوما : يا أمير المؤمنين ، هل بقى في نفسك من أمر الدنيا شئ ؟ قال : نعم ، حبابة ، فبعثت امرأته فاشتريتها ولبستها وصنعها وأجلسها من وراء الستارة وقالت له أيضا : يا أمير المؤمنين هل بقى في نفسك من أمر الدنيا شئ ؟ قال : أو ما أخبرتك ؟ قالت : هذه حبابة - وأبرزتها له وأخلته بها وتركتها وإياها - فخطبت الجارية عنده ، وكذلك زوجته أيضاً ، فقال يوما أشتهى أن أدخل بحبابة في قصر مدعة من الدهر ، لا يكون عنده أحد ، فضل ذلك ، وجمع إليه في قصره ذلك حبابة ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فرش له بأنواع الفرش والبسط المائلة ، والتعمة الكثيرة السابقة ،

فبينا هو معها في ذلك القصر على أنس حال وأنعم بال ، وبين يديها عتب يأكلان منه ، إذ رماها بحبة عتب وهي تضحك فشرقت بها فانت ، فكث أيلما يقبلها ويرشها وهي ميتة حتى أنتشت وجيفت فأمر بمدنها ، فلما أدقها أقام أيلما عندها على قبرها هائما ، ثم رجع إلى المنزل ثم غدا إلى قبرها فوقف عليه وهو يقول :

فإن نزل عنك النض أو تمع الصبا • فبالباس تساو عنك لا بالتعجب

وكل خليل زارني فهو قاتل • من أجلك هذا حلة اليوم أو غد

ثم رجع فصار خرج من منزله حتى خرج بمنته وكان مرضه بالبل . وذلك بالسواد سواد الاردن يوم الجمعة لحسن بن شيبان من هذه السنة - أعنى سنة خمس ومائة -

وكانت خلافته أربع سنين وشهرا على المشهور ، وقيل أقل من ذلك ، وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة ، وقيل خسا وقيل ستا وقيل ثمانيا وقيل تسعا وثلاثين ، وقيل إنه بلغ الأربعين فله أعلم .

وكان طويلا جسيما أبيض مدور الوجه أقصم القم لم يشب ، وقيل إنه مات بالجولان ، وقيل بموران وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد ، وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل بل صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك ، وهو الخليفة بعده ، وحمل على أعناق الرجال حتى دفن بين باب الجابية وباب الصغير بدمشق ، وكان قد عهد بالأمر من بعده لأخيه هشام ، ومن بعده لولده الوليد بن يزيد ، فبايع الناس

من بعده هشاما (خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان)

بوقع له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه لحسن بن شيبان من هذه السنة - أعنى سنة خمس ومائة - وله من العمر أربع وثلاثون سنة وأشهر ، لأنه ولد لما قتل أبوه عبد الملك مصعب بن الزبير في سنة ثنتين وسبعين ، فله منصور أمثالا ، ثم قدم فوجد أمه قد أسمته باسم أبيها هشام ، فأقره . قال الواقدي : أنه بالخلافة وهو بالديوثنة في منزل له ، فجاءه البريد بالمصا والخاتم ، فسلم عليه بالخلافة فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، فقام بأمر الخلافة أيام القيام ، فزل في شمال منها عن إمرة العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وولى عليها خالد بن عبد الله القسري ، وقيل إنه استعمله على العراق في سنة ست ومائة ، والمشهور الأول . وحج بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الحنظلي خال أمير المؤمنين ، أخو أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل ، ولم تدم من عبد الملك سواء حتى طلبها ، لأنها كانت حقا . وفيها قوى أمر دعوة بني العباس في السرايا أرض العراق ، وحصل لهم أموال جزيلة يستعينون بها على أمرهم ، ومما يصدده . وفيها توفي من الأعيان :

(أبلان بن عثمان بن عفان)

تقدم ذكر وفاته سنة خمس وثمانين ، كان من قهلاء الثنايين وعلمائهم ، قال عمرو بن شبيب

ما رأيت أعلم منه بالحديث والفقہ ، وقال يحيى بن سعيد القطان : قتها المدينة عشرة ، فذكر ابن بن عثمان أحدهم ، وخارجه بن زيد ، وسلم بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعبد الله ابن عبد الله بن عتبة ، وعروة ، والقاسم ، وقبيصة بن ذؤيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن . قال محمد ابن سعد : كان به صمم ووضوح ، وأصابه الفالج قبل أن يموت بسنة ، وتوفي سنة خمس ومائة . أبو رجاء العطاردي . طبر الشامي . في قول وقد هتم ، وكثير عزة في قول . وقيل في التي بعدها كما سيأتي :

(ثم دخلت سنة ست ومائة)

ففيها عزل هشام بن عبد الملك عن إمرة المدينة ومكة والطائف ، عبد الواحد بن عبد الله القسري ، وولى على ذلك كله ابن خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي ، وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة ، وفيها غزا مسلم بن سعيد مدينة فرغانة ومماثلها ، فلقبه عندها الترك ، وكانت بينهم وقعة هائلة ، قتل فيها الخاقان وطائفة كبيرة من الترك ، وفيها أوغل الجراح الحكى في أرض الخزر ، فصلطوه وأعطوه الجزية واخراج . وفيها غزا الحاجب بن عبد الملك اللان ، قُتِلَ خلقاً كثيراً وغنم وسلم . وفيها عزل خالد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان مسلم بن سعيد ، وولى عليها أخاه أسد بن عبد الله القسري . وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين هشام بن الملك ، وكتب إلى أبي الزناد قبل دخوله المدينة ليتلقاه ويكتب له منسك الحج ، فقبل ، فتلقيه الناس من المدينة إلى أثناء الطريق ، وفيهم أبو الزناد قد امتثل ما أمر به ، وتلقاه فيمن تلقاه سعيد بن عبد الله ابن الوليد بن عثمان بن عفان ، وقال له : يا أمير المؤمنين إن أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أباً تراب ، فالعنه أنت أيضاً ، قال أبو الزناد : فشق ذلك على هشام واستقبله ، وقال : ما قسمت لشم أحد ، ولا لعنة أحد ، إنما قمنا حبلاً . ثم أعرض عنه وقطع كلامه وأقبل على أبي الزناد بمجادة ولما انتهى إلى مكة عرض له إبراهيم بن طلحة فتنظلم إليه في أرض ، وقال له : ابن كنت عن عبد الملك ؟ قال : غلني ، قال : فالوليد ؟ قال : غلني ، قال : فسلمان ؟ قال : غلني ، قال فصر ابن عبد العزيز ؟ قال ردها على ، قال : فزيد ؟ قال : اقتزعا من يدي ، وهي الآن في يدك ، فقال له هشام : أما لو كان فيك مضرب لضربتك ، قال : بلى في مضرب بالسوط والسيوف ، فانصرف عنه هشام وهو يقول لمن مه : ما رأيت أفصح من هذا . وفيها كان العامل على مكة والمدينة والطائف ، إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق وخراسان خالد القسري والله سبحانه أعلم . ومن توفي فيها (سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطيب) أبو عمرو القتيبي ، أحد الفقهاء وأحد العلماء [وله روايات عن أبيه وغيره ، وكان من البلاد الزهاد ، ولما حج هشام بن عبد الملك دخل

الكعبة فافدا هو بسالم بن عبد الله ، قال له : سالم ؟ ^(١) فقلت حاجة ، قال : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج سالم خرج هشام في أثره فقال له : الآن قد خرجت من بيت الله فقلت حاجة ، قال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : من حوائج الدنيا ، قال سالم : إني ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألكم من لا يملكها ؟ وكان سالم حشن العيش ، وليس الصوف الخشن ، وكان يصالح بيده أرضاه وغيره من الأعمال ، ولا يقبل من الخلفاء ، وكان متواضعا وكان شديد الأمانة وله من الزهد والورع شيء كثير .

(وطاوس بن كيسان البجلي) من أكبر أصحاب ابن عباس وقد ترجمنا في كتابنا التكميل والله الحمد انتهى وقد زدنا هنا في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب زيادة حسنة . فأما طماوس فهو أبو عبد الرحمن طماوس بن كيسان البجلي ، فهو أول طبقة أهل اليمن من التابعين ، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن .

أدرك طماوس جماعة من الصحابة وروى عنهم ، وكان أحد الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وقد أدرك خمسين من الصحابة ، وأكثر روايته عن ابن عباس ، وروى عنه خلق من التابعين وأعلامهم ، منهم مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار ، وإبراهيم ابن ميسرة ، وأبو الزبير ومحمد بن المنكدر ، والزهري وحبيب بن أبي ثابت ، وليث بن أبي سليم ، والضحاك بن مزاحم ، وعبد الملك بن ميسرة ، وعبد الكريم بن الحارثي وهب بن منبه ، والمغيرة ابن حكيمة الصنعائي ، وعبد الله بن طماوس ، وغير هؤلاء .

توفي طماوس بمكة حاجا ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودفن بها رحمه الله تعالى . قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال قال أبي : مات طماوس بمكة فلم يصلوا عليه حتى يموت هشام ابنه بطرس ، قال فلقد رأيت عبد الله بن الحسن واضعا السرير على كاهله ، قال : ولقد سقطت قفصوة كانت عليه ومزق رداؤه من خلفه - يعني من كثرة الزحام - فكيف لا وقد قال النبي ﷺ : « الايمان يمان » وقد خرج من اليمن خلق من هؤلاء المشار إليهم في هذا وغيره ، منهم أبو مسلم ، وأبو إدريس ، وهب وكعب وطماوس وغير هؤلاء كثير . وروى ضمرة عن ابن شاذب قال : شهدت جنازة طماوس بمكة سنة خمس ومائة ، فجلسوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ، حج أربعين حجة .

وقال عبد الرزاق : حدثنا أبي قال : توفي طماوس بلزدلفة - أو بجنى - حاجا ، فلما حل أخذ عبد الله بن الحسن بن علي بقاءة سريره . فزاره حتى بلغ القبر . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق

قال : قدم طلوس بمكة ، فقدم أمير المؤمنين ، فقبل لطلوس : إن من فضله ومن ، ومن ، فلو أتيت
قال : مالي إليه حاجة ، فقالوا : إنا نخاف عليك ، قال : فما هو إذا كما تقولون . وقال ابن جرير قال لي
عطاه : جاءني طلوس فقال لي : يا عطاه إليك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل
دونه حجاباً . وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعوه ووعده
الاجابة . وقال ابن جرير عن مجاهد عن طلوس (أولئك ينادون من مكان بعيد) قال : بعيد من
قلوبهم ، وروى الأحمري عن سفيان عن ليث قال قال لي طلوس : ما تعلمت من العلم فتعلمه
لنفسك ، فان الأمانة والصدق قد ذهباً من الناس . وقال عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد
عن الصلت بن راشد . قال : كنا عند طلوس فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم ، صاحب خراسان ،
فسأله عن شيء فأنه طلوس ، فقالت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، قال : ذاك
أهون له علي . وقال لطلوس : إن منزلك قد استقرم ، فقال : أمسينا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طلوس في قوله تعالى (وخلق الإنسان ضيقاً) قال : في
أمر النساء ، ليس يكون في شيء أضيق منه في النساء . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن
بكير حدثنا إبراهيم بن نافع عن ابن طلوس عن أبيه قال : لقي عيسى بن مريم عليه السلام إبليس
فقال إبليس لعيسى : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟ قال : نعم ، قال إبليس : فأوف
بذروة هذا الجبل فترد منه . فانظر أنميش أم لا ، قال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : لا يجربني
عبدى ، فاني أفضل مما شئت . وفي رواية عن الزهري عنه قال قال عيسى : إن العبد لا يختبر ربه ،
ولكن الرب يختبر عبده ، وفي رواية أخرى : إن العبد لا ينتل ربه ، ولكن الرب ينتل عبده .
قال : فقصه عيسى عليه السلام . وقال فضيل بن عياض عن ليث عن طلوس قال : حج الأبرار
علي الرجال ، ورواه عبد الله بن أحمد عنه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو ثعلبة عن ابن أبي داود . قال : رأيت طلوساً وأصحاباً له إذا صلوا
المصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحداً ، وابتلوا إلى الله تعالى في الصلوة . وقال : من لم يمتثل ولم
يل مال يتيم لم ينله جهد البلاد . روى عنه أبو داود الطيالسي ، وقد رواه الطبراني عن محمد بن
يحيى بن المنذر عن موسى بن إسماعيل عن أبي داود فذكره . وقال لابنه : يا بني صاحب البقالة
تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجبال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن
لكل شيء غاية : وغاية المرء حسن عقله . وسأله رجل عن مسألة فأنه ، فقال : يا أبا عبد الرحمن
إني أخوك ، قال : أخى من دون الناس ؟ . وفي رواية أن رجلاً من الخوارج سأله فأنه ، فقال :
إني أخوك ، قال : أمن بين المسلمين كلمهم ؟ . وقال عفان عن حماد بن زيد عن أيوب قال : سألت

رجل طلوساً عن شيء فأنهروه ، ثم قال : تريد أن تجعل في عنق جيلاً ثم يلقاني ؟ و رأى طلوس رجلاً مسكيناً في عينه عشم وفي ثوبه وسخ ، فقال له : عد ! إن القدر من الله ، فأين أنت من الماء ؟ و روى الطبراني عنه قال : إقرار بعض الظلم خير من القيام فيه ، وعن عبد الرزاق عن داود ابن إبراهيم أن الأسد جلس الناس ليلة في طريق الحج ، فلق الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ذهب عنهم الأسد ، فنزل الناس مِنّا وشيلاً فالتقوا أنفسهم ، وقام طلوس يصلي ، فقال له رجل - وفي رواية قال ابنه - : ألا تنام فانك قد سهوت ونصبت هذه الليلة ؟ فقال : وهل ينام السحر أحد ؟ وفي رواية : ما كنت أظن أحداً ينام السحر . و روى الطبراني من طريق عبد الرزاق عن أبي جريح وابن عيينة . قال : حدثنا ابن طلوس قال : قلت لأبي : ما أفضل ما يقال على الميت ؟ قال الاستغفار .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت النعمان بن الزبير الصنعاني يحدث أن محمد بن يوسف - أو أيوب بن يحيى - بعث إلى طلوس بسبعمائة دينار وقال للرسول : إن أخذنا منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك . قال : فخرج بها حتى قدم على طلوس الجند ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ففقه بعث بها الأمير إليك ، فقال : مالي بها من حاجة ، فأراه على أخذها بكل طريق فأبى أن يقبلها ، ففعل طلوس فرمى بها الرجل من كوة في البيت ثم ذهب راجعاً إلى الأمير ، وقال : قد أخذنا ، فكثروا حيناً ثم يلتمس عن طلوس ما يكرهون - أو شيء يكرهونه - فقالوا : ائبنوا إليه فليمت إبننا بآلنا ، فجاء الرسول فقال : المال الذي بمته إليك الأمير رده إينا ، فقال : ما قبضت منه شيئاً ، فرجع الرسول إليهم فأخبرهم ، فمروا أنه صادق ، فقالوا : انظروا الذي ذهب بها إليه ، فأرسلوه إليه ، فجاء فقال : المال الذي جئتكم به يا أبا عبد الرحمن ، قال : هل قبضت منك شيئاً ؟ قال : لا ! قال : فقام إلى المكان الذي رمى به فيه فوجدها كما هي ، وقد بنت عليها المنكبوت ، فأخذها فذهب بها إليهم .

ولما حج سليمان بن عبد الملك قال : انظروا إلى قهبا أسأله عن بعض الناسك ، قال : فخرج الحاجب يلتمس له ، فر طلوس فقالوا : هذا طلوس البستاني ، فأخذناه الحاجب فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : أعفني ، فأبى ، فأدخله عليه ، قال طلوس : فلما وقفت بين يديه قلت : إن هذا المقام يأسئني الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت في قرارها ، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال : لا ! وليك لمن أعدها الله ؟ قال : لمن أشركه الله في حكمه فجار . وفي رواية ذكرها الزهري أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت ، له جلال وكال ، فقال : من هذا يزهري ؟ قلت : هذا طلوس ، وقد أدرك عتة من الصحابة ، فأرسل

إليه سليمان قائم قال : لوما حدثتنا ؟ قال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « من أين أهرن الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فهم » . فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه قال : لوما حدثتنا ؟ قال : حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال ابن شهاب : ظننت أنه أراد علياً - قال : دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قريش ، ثم قال : « إن لكم على قريش حقاً ، ولهم على الناس حق ، ما إذا استرحوا رحوا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا اتعنوا أدوا ، فمن لم يفعل فضليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » . قال : فتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال : لوما حدثتنا ؟ قال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني أبو معمر عن ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة قال قال عمر بن عبد العزيز لطلوس : ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين - يعني سليمان - فقال طلوس مالى إليه من حاجة ، فكانت له حاجة ، قال : سليمان وحلف لنا إبراهيم وهو مستقبل الكعبة : ورب هذا البيت ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طلوس . قال : وجاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طلوس فلم يلتفت إليه ، وقيل له : اجلس إليك أمير المؤمنين فلم يلتفت إليه ؟ قال : أردت أن يسلم هو وأبوه أن الله عباداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم . وقد روى عبد الله بن أحمد عن ابن طلوس قال : خرجنا حجلاً فنزلنا في بعض القرى ، وكنت أخاف أبي من الحكم لشدة غلظه عليهم ، قال : وكان في تلك القرية عامل لعمد بن يوسف - أخى الحاج بن يوسف - يقال له أيوب بن يحيى ، وقيل يقال له ابن نجيح ، وكان من أخبث عمالهم كبراً وتجبراً ، قال : فشهدنا صلاة الصبح في المسجد ، فإذا ابن نجيح قد أخبر بطلوس فجاء فقدم بين يدي طلوس ، فلم عليه فلم يجبه ، ثم كلمه فأعرض عنه ، ثم عدل إلى الشق الآخر فأعرض عنه ، فلما رأيت ما به قتل إليه وأخذت بيده ثم قلت له : إن أبا عبد الرحمن لم يعركك ، قال طلوس : بلى ! إني به لسارف ، فقال الأمير : إنه في لسارف ، ومعرفة في ضلت في مارأيت . ثم مضى وهو ساكت لا يقول شيئاً ، فلما دخلت المنزل قال لي أبي : بالك ، بينا أنت تقول أريد أخرج عليهم بالسيف لم تستطع أن نجس عنهم لسافك .

وقال أبو عبد الله الشافى : أتيت طلوساً فاستأذنت عليه فخرج إلى ابنة شيخ كبير ، قلت : أنت طلوس ؟ قال : لا ! أنا ابنة ، قلت : إن كنت أنت ابنة فإن الشيخ قد خرف ، قال : إن العالم لا يخرف ، فسألت عليه قال طلوس : سل فأوجز ، قلت : إن أوجزت أو جزت لك ،

قال تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والقرآن ؟ قال : قلت نعم ! قال : خف
الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه ، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه ، وأجب لنفسك
ما تحب لنفسك .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه .
قال : بجاه يوم القيامة بلال وصاحبه فيحتاجان ، فيقول صاحب المال للمال : جئتك في يوم كذا
في شهر كذا في سنة كذا ، فيقول المال : ألم أقض لك الخواج ؟ أنا الذي حلت بينك وبين أن
تصنع فيما أمرك الله عز وجل من حيك إياي ، فيقول صاحب المال إن هذا الذي قد علي حبال أوثق
بها وأقيد ، وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا أبي حدثنا يحيى بن الضريس عن أبي سنان عن جبيب
ابن أبي ثابت قال : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم قط ، عطاء وطاوس ، ويحاهد
وسعيد بن جبير ، وعكرمة . وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد : مع من كنت تدخل على
ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والساعة ، وكان طاوس يدخل مع الخاصة ، وقال جبيب : قال لي طاوس
إذا حدثتك حديثاً قد أثبتته فلا تسأل عنه أحداً - وفي رواية - فلا تسأل عنه غيري .

وقال أبو أسامة ، حدثنا الأعشى عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس قال : أدركت خمسين من
أصحاب رسول الله ﷺ . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أخبرني ابن طاوس
قال : قلت لأبي : أريد أن أتزوج فلانة ، قال : اذهب فانظر إليها ، قال : فنظرت فلبست من
صلح ثيابي ، وغسلت رأسي ، وادعنت ، فلما رأني في تلك الحال قال : اجلس فلا تنهب . وقال
عبد الله بن طاوس : كان أبي إذا سار إلى مكة سار شهراً ، وإذا رجع رجع في شهر ، فقلت له في
ذلك ، فقال : بلغني أن الرجل إذا خرج في طاعة لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله . وقال حمزة
عن هلال بن كعب . قال : كان طاوس إذا خرج من اليمن لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة
الجعلالية ، وقال له رجل : ادع الله لي ، قال : ادع لنفسك فانه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس
عن أبيه . قال : كان رجل فيا خلا من الزمان ، وكان عاقلاً ليبياً ، فكبر فقد في البيت ، وقال
لابنه يوماً : إني قد اغتممت في البيت ، فلو أدخلت على رجالا يكلموني ؟ فذهب ابنه فجمع فزراً
قال : ادخلوا على أبي غدوة ، فان سمعتم منه منكراً فاعنوه فانه قد كبر ، وإن سمعتم منه خيراً
فاقبلوه . قال : فدخلوا عليه فكان أول ما تكلم به أن قال : إن أكيس الكيس التقى ، وأعجز
العجز النجود ، وإذا تزوج الرجل فليتزوج من معدن صالح ، فإذا اطمعن على تجربة رجل فاحذروه
فان لها أنفوات .

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا أحد بن نصر بن مالك حدثنا عبد الله بن عمر بن مسلم الجعفي عن أبيه قال قال طلوس لابنه : إذا قبرتي فانظري في قبري ، فإن لم تجدي فاحمد الله تعالى ، وإن وجدتني فاتاه الله وإنا إليه راجعون . قال عبد الله : فأخبرني بعض ولده أنه نظر في قبره شيئا ، ورؤى في وجه السرور ، وقال قبيصة : حدثنا سفيان عن سعيد بن محمد قال : كان من دعاء طلوس يدعو : اللهم احرمني كثرة المال والولد ، وارزقني الايمان والعمل . وقال سفيان عن ضمير حدثنا الزهري قال : لو رأيت طلوس بن كيسان علمت أنه لا يكتنب .

وقال عون بن سلام : حدثنا جابر بن منصور - أخو إسحاق بن منصور - السلولي عن عمران ابن خلف الخزاعي . قال كنت جالسا عند عطاء فجاء رجل فقال : أبا محمد إن طلوسا يزعم أن من صلى المشاء ثم صلى بعدها ركعتين قرأ في الأولى : ألم تنزل السجدة ، وفي الثانية تبارك الذي يبدع الملك كتب له مثل وقوف عرفة وولاية القدر . فقال عطاء : صدق طلوس ما تركهما . وقال ابن أبي السرى : حدثنا معمر عن ابن طلوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل ، وكان رجلا دأوى المجانين ، وكانت امرأة جميلة ، فأخذها الجنون ، فجى بها إليه ، فزلت عنده فأعجبته ، فوقع عليها فحملت ، فجاءه الشيطان فقال : إن علم بها افتضحت ، فأقتلها وادقها في بيتك ، فقتلها ودقها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها ، قال : ماتت ، فلم يهتموه لصلاحه ومزنته ، فجاءهم الشيطان فقال : إيتها لم تمت ، ولكن قد وقع عليها فحملت فقتلها ودقها في بيته ، في مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها فقالوا : ما نهلك ولكن أخبرنا أين دفنتها ، ومن كان معك ؟ فنبشوا بيته فوجدوها حيث دفنتها ، فأخفوه فحبسوه وسجنوه ، فجاءه الشيطان فقال : أنا صاحبك ، فإن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فأكفر بالله فأطاع الشيطان فكفر بالله عز وجل ، فقتل فقبراً منه الشيطان حيثئذ . وقال طلوس : ولا أعلم أن هذه الآية نزلت إلا فيه وفي مثله (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إني برئ منك إني أخلف الله رب العالمين) .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طلوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل له أربعة بنين ، فرض ، فقال أحدهم : إما أن تعرضوا أبانا وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء ، فرضه حتى مات ودفعه ولم يأخذ من ميراثه شيئا ، وكان فقيرا وله عيال ، فأتى في النوم فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فاحفره تجد فيه مائة دينار ففعلها ، فقال للآتي في المنام : بركة أو بلا بركة ؟ فقال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت : اذهب فخننها فإن من بركتها أن تكوني منها ونعيش منها . فأتى وقال : لا آخذ شيئا ليس فيه بركة . فلما أمسى أتى في منامه فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فخذ

منه عشرة ذنانير ، قال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته قالت له مثل ذلك فأبى أن يأخذها ، ثم أتى في الليلة الثالثة فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً ، قال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بركة ، قال ، نعم إذا ، فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أشير إليه في المنام فوجد الدينار فأخذه ، فوجد صياداً يحمل حوتين قال : بكم هما ؟ قال : بدينار ، فأخذهما منه بذلك الدينار ثم انطلق بهما إلى امرأته فقلت تصلحهما ، فشقت بطن أحدهما فوجدت فيه درة لا يقوم بها شيء ، ولم ير الناس مثلها ، ثم شقت بطن الآخر فإذا فيه درة مثلها ، قال : فاحتاج ملك ذلك الزمان درة فبعت يطلبها حيث كانت ليشتريها ، فلم توجد إلا عنده ، قال الملك : إيت بها ، فأناه بها ، فلما رآها حلاها الله عز وجل في عيبيه ، قال : بنيتها ، قال : لا أقصها عن وقر ثلاثين بفلا ذهباً ، وقال الملك : أرضوه ، فخرجوا به ففروا له ثلاثين بفلا ذهباً ، ثم نظر إليها الملك فأعجبته إعجاباً عظيماً ، قال : ما تصلح هذه إلا بأختها ، اطلبوا لي أختها ، قال : فأتوه فقالوا له : هل عندك أختها ونطعك ضعف ما أعطيناك ؟ قال : وتعلمون ؟ قالوا : نعم . فأبى الملك بها ، فلما رآها أخذت بقلبه فقال أرضوه ، فأضفوا له ضعف أختها ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا وهيب بن الورد حدثنا عبد الجبار بن الورد قال حدثني داود ابن سابور قال قلنا لطاوس : أدع بدعوات ، قال : لا أجد لك حبة . وقال ابن جرير عن ابن طاوس عن أبيه قال : البخيل أن يبخل الإنسان بما في يده ، والشح أن يحب أن له ما في أيدي الناس بلحرام لا يقع . وقيل الشح هو ترك القناعة ، وقيل : هو أن يشح بما في يد غيره ، وهو مرض من أمراض القلب ينبتى للعبد أن يميزه عن نفسه وينفيه ما استطاع ، وهو يأمرنا بالبخل كافي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم [أمرهم] بالبخل فبخلوا وبالقطمعة فقطعوا وهذا هو الحرص على الدنيا وحبا » وقال ابن أبي شيبة : حدثنا المحارب عن ابن ليث عن طاوس قال : ألا رجل يقوم بشرا آيلت من الليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة أو أكثر من ذلك ، ومن زاد زيد في ثوابه ، وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس . قال : لا يتم نكح الشاب حتى يتزوج . وعن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لي طاوس : لتتكن أو لأقولن لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد : ما ينسك من النكاح إلا عجز أو فجور . وقال طاوس : لا يجوز دين المؤمن إلا حفرته . وقال عبد الرزاق عن معمر بن طاوس وغيره أن رجلاً كان يسير مع طاوس ، فسمع الرجل غراباً ينسب ، قال : خير ، فقال طاوس : أي خير عند هذا أو شر لا تصحبني ولا تمس معي . وقال بشر بن موسى : حدثنا الجيديد حدثنا سفيان عن ابن طاوس عن أبيه . قال : إذا غدا الإنسان أتبه الشيطان ، فإذا أتى المنزل فلم نكس الشيطان

وقال : لا تقبل ، فإذا أتى بفدائه فذكر اسم الله قال : ولا غداء ولا مقيل ، فإذا دخل ولم يسلم قال الشيطان : أدر كنا القيل ، فإذا أتى بفدائه ولم يذكر اسم الله عليه قال الشيطان : مقيل وغداء ، وفي المساء مثل ذلك . وقال : إن الملائكة ليكتبون صلاة بني آدم : فلان زاد فيها كذا وكذا ، وفلان قص فيها كذا وكذا . وذلك في الركوع والخشوع والسجود .

وقال : لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة ، فلما خلق آدم سكنت ، وكان إذا سمع صوت الرعد يقول : سبحان من سبحت له . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال قال مجاهد لمطوس : يا أبا عبد الرحمن ! رأيتك تصلي في الكعبة والنبي ﷺ على بابها يقول لك : اكشف قناعك ، وبين قراءتك . فقال له : اسكت لا يسمع هذا منك أحد . ثم تخيل إلى أن انبسط في الحديث . وقال أحمد أيضا بهذا الأسناد : إن مطوسا قال لأبي نجيح : يا أبا نجيح ! من قال واتق الله خير من صمت واتقى . وقال مسعر عن رجل إن مطوسا أتى رجلا في السحر فقالوا : هو قائم ، قال : ما كنت أرى أن أحدا ينাম في السحر . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن يزيد حدثنا ابن يمان عن مسعود ، فذكره . قال الثوري : كان مطوس يجلس في بيته ، فقيل له في ذلك قال : حيف الأمة وفساد الناس .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني أبي قال : كان مطوس يصلي في غداة ياردة معتمة ، فمر به محمد بن يوسف صاحب اليمن وحاجبها - وهو أخو الحجاج بن يوسف - ومطوس ساجد ، والأمير أركب في مركبه ، فأمر بساج أو طيلسان مرتفع القبة فطرح على طوس وهو ساجد ، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من جلسته ، فلما سلم نظر فإذا الساج عليه فانتفض فألقاه عنه ، ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله وتركه ملقى على الأرض . وقال نعم بن حداد : حدثنا حماد بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن مطوس عن ابن عباس : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا كتب عليه حتى أيقنه في مرضه ، فلما مرض الامام أحمد أن قيل له : إن مطوسا كان يكره أن ينال المرض فذكره . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبيه عن داود بن شاپور . قال : قال رجل لمطوس : ادع الله لنا ، قال : ما أجد بقلبي خشية فأدعوك . وقال ابن طلوت : حدثنا عبد السلام بن هاشم عن الحسن بن أبي الحصين العنبري . قال : مر مطوس برواس قد أخرج رؤسا ففتش عليه . وفي رواية كان إذا رأى الرؤس المشوية لم يتمش تلك الليلة .

وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الأشجعي عن سفيان الثوري . قال قال مطوس إن الموتى يفتنون في قبورهم سبيا ، وكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام . وقال ابن إدريس : سمعت لينا يذكر عن مطوس وذكر النساء قتال : فبهن كفر من مضى وكفر من بقى . وقال

أبو عاصم عن بقية عن سلمة ابن وهرام عن طلوس قال : كان يقال : اسجد لله في زمانه ، أى
أطعه في المروف . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أسامة حدثنا فافع بن عمر عن بشر بن عاصم .
قال قال طلوس : ما رأيت مثل ^(١) أحد آمن على نفسه ، ولقد رأيت رجلاً لو قيل لى : من أفضل من
تصرف ؟ قلت : فلان ذلك الرجل ، فكنت على ذلك حينئذ أخذه وجمع لى بطنه ، فأصاب منه شيئاً
استنضح بطنه عليه ، فاشتبه ، فرأيت فى نطع ما أدرى أى طرفيه أسرع حتى ملت عرقاً . وروى
أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن طلوس أنه رأى فتية من قريش يرفلون فى مشيتهم ،
قال : إنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباءكم تلبسها ، وتمشون مشية ما يحسن الزفافون أن يمشوها .
وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أن طلوساً قام على رفيق له مرض حتى فاته الحج - لهله
هو الرجل المتقدم قبل هذا استنضح بطنه - وقال مسعر بن كدام عن عبد الكبير المعلم قال طلوس
قال ابن عباس : سئل النبي ﷺ : من أحسن قراءة ؟ قال : « من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى
الله عز وجل » . وقد روى هذا أيضاً من طريق ابن أبي عمير عن عمرو بن دينار عن طلوس قال قال
ابن عباس : إن النبي ﷺ قال : « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به » . وعنه عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رأيت رسول الله ﷺ وعلى ثوبين مصفران قال : « أمك
أمرتك بهذا ؟ قلت : أغسلهما ؟ قال : بل أحدهما » رواه مسلم فى صحيحه عن داود بن راشد عن
عمر بن أبوب عن إبراهيم بن فافع عن سليمان الأحول عن طلوس به .

وروى محمد بن مسلمة عن إبراهيم بن ميسرة عن طلوس عن ابن عمرو قال قال رسول الله
ﷺ : « الجلاوة والشرط وأعوان الظلمة كلاب النار » . انفرد به محمد بن مسلم الطالق .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن الحسن الأحملى البندادى حدثنا عبد المنعم بن إدريس
حدثنا أبى عن وهب بن منبه عن طلوس عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول
للى بن أبى طالب : « يا على استكثر من المعارف من المؤمنين فكم من معرفة فى الدنيا بركة فى
الآخرة » . فضى على فأقام حيناً لا يلقى أحداً إلا اتخذه للآخرة ، ثم جاء من بعد ذلك فقال له
رسول الله ﷺ : « ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قال : قد فعلت يا رسول الله ، قال له النبي ﷺ :
إذهب فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي ﷺ وهو منكسر رأسه ، قال له النبي ﷺ : اذهب
فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي ﷺ تبسم [قال : ما أحسب يا على ثبت ملك إلا أبناء
الآخرة ؟ فقال له على : لا ولائى بملك بالحق ، قال له النبي ﷺ (الأخلأ) ومنذ بعضهم لبعض
عدوا إلا المتقين يا عبداى لا خوف عليكم) يا على أقبل على شأنك ، وأملك لسانك ، وأعقل من

(١) . كذا بالأصل ، ولعلها : ما رأيت مثل أحد آتناً .

تلتهم من أهل زمانك تكن سلماً غامماً . لم يرو إلا من هذا الوجه فيما نظم والله أعلم ^(١) .

﴿ ثم دخلت سنة سبع ومائة ﴾

فيها خرج باليمن رجل يقال له عباد الرعي فدخل إلى منهب الخوارج وأتبعه فرقة من الناس وحملوا قاتلهم يوسف بن عمر قتله وقتل أصحابه ، وكانوا ثلاثمائة . وفيها وقع بالشام طاعون شديد ، وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة وعلى جيش أهل الشام ميمون بن مهران ، قطعوا البحر إلى قبرص وغزا مسلمة في البر في جيش آخر . وفيها ظهر أسد بن عبد الله القسري بجساعة من دعة بني العباس بخراسان فوصلهم وأشهرهم . وفيها غزا أسد القسري جبال نمرود ، ملك القريسيين ، مما إلى جبال الطالقان ، فصالحه نمرود وأسلم على يديه . وفيها غزا أسد النور - وهي جبال هراة - فسمد أهلها إلى حواصلهم وأمواهم وأقتلهم فغلبوا ذلك كله في كهف منيع ، لا سبيل لأحد عليه ، وهو مستعمل جداً ، فأمر أسد بالرجال فغلبوا في توابيت ودلائم إليه ، وأمر بوضع ما هناك في التوابيت ورفضهم فسلخوا وغنموا ، وهذا رأى شديد . وفيها أمر أسد بجمع ماحول بلغ إليها . واستتاب عليها برك والله خلد بن برك وبنها بناء جيداً جديداً محكمًا وحصنها وجعلها مقعداً للسلمين . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ سليمان بن يسار أحد التابعين ﴾

[وهو أخو عطاء بن يسار ، له روايات كثيرة ، وكان من المجتهدين في العبادة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، توفي بالمدينة وعمره ثلاث وسبعون سنة ، دخلت عليه امرأة من أحسن الناس وجهاً فأرادته على نفسها فأبى وتركها في منزله وخرج هارباً منها ، فرأى يوسف عليه السلام في المنام . فقال له : أنت يوسف ؟ فقال : نعم أنا يوسف القتي همت ، وأنت سليمان القتي لم تهتم . وقيل إن هذه الحكاية إنما وقعت في بعض منازل الحاجاج ، وكان معه صاحب له ، فبسه إلى سوق الحاجاج ليشتري شيئاً فاطلعت على سليمان امرأة من الجبل حسناء فقالت له : هت لك ، فبكى واشتد بكاءه فلما رأته قالت منه ارتفعت في الجبل ، وجاء صديقه فوجدته يبكي فقال له : مالك تبكي ؟ فقال خير ، فقال : لك ذكرت بعض وفلك أو بعض أهلك ؟ فقال : لا ^(٢) . فقال : والله تخبرني ما أبكاك أنت . قال : أبكاني حزني على نفسي ، لو كنت مكانك لم أصبر عنها ، ثم ذكر أنه قام فرأى يوسف في منامه كما تقدم والله أعلم ^(٣) .

﴿ عكرمة مولى ابن عباس ﴾

أحد التابعين ، والمفسرين المكثرين والعلماء الربانيين ، والرسائل الجوالين . [وهو أبو عبد الله ، وقد روى عن خلق كثير من الصحابة ، وكان أحد أوعية العلم ، وقد أفتى في حياة مولاه ابن عباس ،

(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصل وفيه هص يظهر يبيض تأمل . (٣) زيادة من المصرية

قال عكرمة : طلبت العلم أربعين سنة ، وقد طاف عكرمة البلاد ، ودخل إفريقية واليمن والشام والعراق وخراسان ، وبث علمه هنالك ، وأخذ الصلوات وجواز الأسماء ، وقد روى ابن أبي شيبة عنه قال : كان ابن عباس يجلس في رجل الكيل يملئ القرآن والسنة ، وقال حبيب بن أبي ثابت : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبدا ، عطاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد فأقبل سعيد ومجاهد يلقيان على عكرمة التفسير فلم يسأله عن آية إلا أفسرها لهما ، فلما قد ما عندهما جعل يقول : أنزلت آية كذا في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمام ليلا . قال جابر بن زيد : عكرمة أعلم الناس وقال الشعبي ، ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة . وروى الإمام أحمد عن عبد الصمد عن سلام بن مسكين سمعت قتادة يقول : أعلمهم بالتفسير عكرمة . وقال سعيد بن جبير نحوه ، وقال عكرمة : لقد فسرت ما بين الفوجتين . وقال ابن علية عن أيوب : سألت رجلا عكرمة عن آية فقال : نزلت في سفع ذلك الجبل - وأشار إلى سلم - وقال عبد الرزاق عن أبيه : لما قسم عكرمة الجند حله طاووس على نجيب فقال : ابنت علم هذا الرجل ، وفي رواية أن طاووسا حله على نجيب فمعه ستون دينارا وقال : ألا تشتري علم هذا العبد بستين دينارا ؟

ومات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد فأخرجت جنازتهما فقال الناس : مات الله الناس وأشهر الناس ، وقال عكرمة : قال لي ابن عباس : اطلق فأفقت الناس فمن سألك عما يمينه فأفقه ، ومن سألك عما لا يمينه فلا تفقه ، فانك تطرح عنى ثلثي مؤنة الناس . وقال سفيان بن عمرو قال : كنت إذا سمعت عكرمة يحدث عن المغازي كأنه مشرف عليهم ينظر كيف يصنعون ويقتلون . وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت معمر بن قول : سمعت أيوب يقول : كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق ، قال فأتى لني سوق البصرة فذا رجل على حمار ، قليل : هذا عكرمة ، قال : واجتمع الناس إليه فاقدمت أنا على شيء أسأله عنه ، ذهبت مني المسائل ، وشردت عنى فسمت إلى جنب حماره فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظه . وقال شعبة عن خالد الحذاء قال قال عكرمة لرجل وهو يسأله : مالك أخبلت ؟ أى فنت . وقال زيد بن أبي أيوب : حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد المزيز بن أبي رواد قال قلت لعكرمة بنيسابور : الرجل يريد الاخلاء وفي إصبعه خاتم فيه اسم الله ، قال : يجلس فسه في يده ثم يقبض عليه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال : سمعت شعبة يقول قال خالد الحذاء : كل شيء قال فيه محمد بن سيرين : ثبت عن ابن عباس ، إنما سمع من عكرمة ، لقيه أيام المختار بالكوفة . وقال سفيان الثوري : خذوا المناسك من سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة . وقال أيضا : خذوا التفسير من أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . وقال عكرمة : أدركت اثنين من أصحاب رسول الله

ﷺ في هذا المسجد . وقال محمد بن يوسف الفريابي : حدثنا إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن عكرمة : قال : كانت الخليل التي شملت سليمان بن داود عليه السلام عشرين ألفاً فقهرها ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا معمر بن سليمان عن الحكم بن أبيان عن عكرمة : (الذين يملكون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) قال : الدنيا كلها قريب وكلها جهالة . وفي قوله : (الذين لا يريدون علواً في الأرض) قال : عند سلاطينها وملوكها . (ولا فساداً) لا يملكون بحاصي الله عز وجل . (والمأقبة) هي الجنة . وقال في قوله تعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به) أي تركوا ما وعظوا (بنسب) بئس (أي شديد) فلما عتوا عما نهوا عنه أي تعادوا وأصرّوا . (خاشعين) صاغرين . (نجعلناها نكالا لما بين يديها) أي من الأمم الماضية (وما خلفها) من الأمم الآتية ، من أهل زمانهم وغيرهم (وموعظة) تهيئ من انقطع بها الشرك والمعاصي .

وقال ابن عباس : إذا كان يوم القيامة يمشي الله الذين اعتدوا ويحاسب الذين تركوا الأمر والتبى كان المسخ لهم عقوبة في الدنيا حين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال عكرمة : قال ابن عباس : هلك والله القوم جميعاً ، قال ابن عباس فآتين أمروا ونهوا نجوا ، والذين لم يأمروا ولم ينهوا هلكوا فيمن هلك من أهل المعاصي . قال : وذلك أهل ايلة . وهي قرية على شاطئ البحر . وكان الله قد أمر بني إسرائيل أن يتفرغوا ليوم الجمعة فقالوا : بل نتفرغ ليوم السبت ، لأن الله فرغ من الخلق يوم السبت ، فأصبحت الأشياء مسبوقة . وذكرنا قصة أصحاب السبت ، وتحريم الصيد عليهم ، وأن الحيتان كانت تأتهم يوم السبت ولا تأتهم في غيره من الأيام ، وذكرنا احتيلهم على صيدها في يوم السبت فقال قوم : لا ندعكم تصيدون في يوم السبت ووعظوم ، فجاء قوم آخرون مداحون فقالوا : (لم تعلمون قوماً الله مهلكهم أو ممغنهم عذاباً شديداً ؟) قال الناهون (معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون) أي ينهون عن الصيد في يوم السبت . وقد ذكر عكرمة أنه لما قال لابن عباس إن المداحين هلكوا مع المنافقين ، كساه توبين . وقال حوثة عن منيرة عن عكرمة قال : كانت القضاة ثلاثة - يعني في بني إسرائيل - فأت واحد فجعل الآخر مكانه ، فقصوا ما شاء الله أن يقضوا فيمض الله ملكاً على فرس فر على رجل يسقي بكرة منها عجل ، ففعل الملك العجل فتبع العجل الفرس ، فجاء صاحبه ليرده فقال : يا عبد الله ! عجلي وابن بقرتي ، فقال الملك : بل هو عجلي وابن فرسي ، فخاصه حتى أعيا ، فقال : اتقاني بيني وبينك ، قال : لقد رضيت ، فارتضوا إلى أحد القضاة فتكلم صاحب العجل فقال له : مرني على فرس ففعل عجلي فتبعه فأبى أن يرد ، قال : ومع الملك ثلاث دراهم لم ير الناس مثلاً ، فأعطى القاضي درة وقال : أقض لي ، قال : كيف يسوغ هذا ؟ قال : نرسل العجل خلف الفرس والبقرة فأيهما تبعها فهو ابنها ، ففعل ذلك فتبع الفرس قضى له . قال

صاحب الجبل : لأرضي ، يفي وينك القاضى الآخر ، فضلا مثل ذلك ، ثم أتيا الثالث قصصا عليه قصصهما ، وتناول الملك الحرة الثالثة فلم يأخذها ، وقال لا أفضى بينكما اليوم ، فقالا : ولم لا تفضى بيننا ؟ فقال : لأتني حائض ، فقال الملك : سبحان الله ! رجل يحض ! . فقال القاضى : سبحان الله ! وهل تنتج الفرس عجلا ؟ قصصى لصاحب البقرة . فقال الملك : إنكم إنما ابتليتم ، وقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك .

وقال أبو بكر بن عيش عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة أن ملكا من الملوك نادى في مملكته : إني إن وجدت أحدا يتصدق بصدقة قطعت يده ، فجاء سائل إلى امرأة فقال : تصدق على بشى ؟ قالت : كيف أتصدق عليك والملك يقطع يد من يتصدق ؟ قال : أسألك بوجه الله إلا تصدقت على بشى ؟ فتصدقت عليه برغيفين ، فبلغ ذلك الملك فأرسل إليها فقطع يدها ، ثم إن الملك قال لأمه : دليني على امرأة جميلة لأتزوجها ، فقالت : إن ههنا امرأة ما رأيت مثله ، لولا عيب بها ، قال : أى عيب هو ؟ قالت : مقطوعة اليدين ، قال : فأرسل إليها ، فلما رآها أعجبته . وكان لها جمال . فقالت : إن الملك يريد أن يتزوجك : قالت : نعم إن شاء الله ، فتزوجها وأكرمها ، فهدى إلى الملك عدو فخرج إليهم ، ثم كتب إلى أمه : انظري فلانة فاستوصى بها خيرا وافضى وافضى معها ، فجاء الرسول فقتل على بعض ضرائرها فحسبها فأخذن الكتاب فغيرته وكتبن إلى أمه : انظري فلانة قد بلغتني أن رجلا يأتيها فأخرجها من البيت وافضى وافضى ، فكتبنت إليه الأم أنك قد كذبت ، وإني لا امرأة صدق ، فذهب الرسول إليهن فقتل بهن فأخذن الكتاب فغيرته فكتبنت إليه : إنها طاهرة وقد ولدت غلاما من الزنا ، فكتبنت إلى أمه : انظري فلانة فاجملى ولدها على رقبته واضربي على جيبها واخرجيها . قال : فلما جاءها الكتاب قرأته عليها وقالت لها : اخرجي ، فجعلت الصبي على رقبته وذهبت ، فمرت بنهر وهي عطشانة فقتلت لتشرب والصبي على رقبتها فوقع في الماء ففرق ، فجلست تبكي على شاطئ النهر ، ففر بها رجلان فقالا : ما يبكيك ؟ قالت : ابني كان على رقبتي وليس لي يدان فسقط في الماء ففرق . فقالا لها : آتبعين أن يرد الله عليك يدك كما كانتا ؟ قالت : نعم ! فدعوا الله بهما لما فاستوت يداها ، ثم قال لها : أتدريين من نحن ؟ قالت : لا قال : نحن الرغيفان اللذان تصدقت بهما . وقال في قوله : (طير أياييل) قال : طير خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع فلم تزل ترميهم حتى جددت جلودهم ، وما رؤى الجلودى قبل يومئذ وما رؤى الطير قبل يومئذ ولا بعد . وفي قوله تعالى : (ويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة) قال : لا يقولون لا إله إلا الله ، وفي قوله (قد أفلح من تزكى) قال : من يقول لا إله إلا الله ، وفي قوله : (هل لك إلى أن تزكى) إلى أن تقول لا إله إلا الله ، وفي قوله : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم

استقاموا) على شهادة أن لا إله إلا الله . وفي قوله : (أليس منكم رجل رشيد) أليس منكم من يقول : لا إله إلا الله ، وفي قوله : (وقال صواباً) قال : لا إله إلا الله . وفي قوله : (إنك لا تخلف الميعاد) لمن قال : لا إله إلا الله . وفي قوله (لا عدوان إلا على الظالمين) على من لا يقول : لا إله إلا الله . وفي قوله : (واذكر ربك إذا نسيت) قال : إذا غضبت (سيام في وجوههم) قال : السهر وقال : إن الشيطان ليزين لعبه الذنب ، فإذا عمله تبرأ منه ، فلا يزال يتضرع إلى ربه ويتمسك له ويكي حتى يفراقه له ذلك وما قبله . وقال قال جبريل عليه السلام : إن ربي ليمنني إلى الشيء لا مضيه فأجد الكون قد سبقني إليه . وسئل عن الماعون قال : العارية . قلت : فإن منع الرجل غراباً أو قديراً أو قصصة أو شيئاً من متاع البيت فله الويل ؟ قال : لا ! ولكن إذا نهى عن الصلاة ومنع الماعون فله الويل . وقال : البضاعة المزججة التي فيها تمجوز . وقال : السائحون ، هم طلبة العلم . وقال : (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال : إذا دخل الكفار القبور وعابثوا ما أعد الله لهم من الخزي ، يسبوا من نعمه الله . وقال غيره : (يئس الكفار من أصحاب القبور) أى من حياتهم وبشيمهم بعد موتهم . وقال : كان إبراهيم عليه السلام يدعى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد ، وقال : أنكالا ، أى قيودا . وقال في كلهن سباً : إنه قال لقومه لما دنا منهم المغاب : من أراد سفراً بعيداً وحلاً شديداً ، فليبه بمان ، ومن أراد الحر والخير ، وكذا وكذا والمصير ، فليبه بيسرى . - يعنى الشام - ومن أراد الراسخات في الوحل ، والمقبات في المحل فليبه يثرب ذات النخل . تفرج قوم إلى عمان وقوم إلى الشام ، وم غسان ، وخرج الأوس والخزرج - وم بنو كعب بن عمرو - وخزاعة حتى نزلوا يثرب ، ذات النخل ، فلما كانوا يبطن مرّ قالت خزاعة : هذا موضع صالح لا تريد به بدلا ، فنزلوا ، فنم سميت خزاعة ، لأنهم فخرعوا من أصحابهم . وتقدمت الأوس والخزرج حتى نزلوا يثرب ، فقال الله عز وجل ليوسف عليه السلام يا يوسف ابعفوك عن إخوانك وفت لك ذكرك مع أقاربك . وقال : قال لقمان لابنه : قد دقت المارافظ أدق شيئا أمراً من القتر . وحملت كل حمل ثقيل فلم أحمل أهل من جاور السوء . ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . رواه وكيع بن الجراح عن صفيان عن أبيه عن عكرمة : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) قال : ما وقع شيء منها إلا في عين رجل منهم . وقال : في قوله تعالى (زعيم) هو الشيء الذي يعرف القومة كما يعرف الشاة بذمتها . وقال في قوله تعالى (الذين يؤفون الله ورسوله) قال : هم أصحاب التصاوير ، (وبلغت القلوب الحناجر) قال : لو أن القلوب تحركت أو زالت لخرجت نفسه ، وإتجا هو الخوف والفزع . (فنتم أنفسكم) أى بالشهوات (وتربصن) بالنبوة (وغرتكم الأماني) أى التسويف (حتى جاء أمر الله) الموت (وفرمكم بإلهه تنزروا)

الشيطان . وقال : من قرأ يس والقرآن الحكيم لم يزل ذلك اليوم في سرور حتى يمسي .

قال سلمة بن شعيب : حدثنا إبراهيم بن الحكم عن أبان عن أبيه . قال : كنت جالسا مع عكرمة عند البحر فذكروا الذين يفرقون في البحر قتال عكرمة : الذين يفرقون في البحار تقسم لهمهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء إلا العظام ، حتى قصير حائلا ثمرة فتمر بها الابل فتأكلها ، ثم تسير الابل فتجبرها ، ثم يجيء بسدم قوم فينزلون ذلك المنزل فأخسئون ذلك البحر فيوقونه ثم يصيرون رماحا فتجى الرمح فتأخذنه فتدريه في كل مكان من الأرض حيث يشاء الله من بره وبحره ، فإذا جاءت التفخة - فتخه المبعث - فيخرج أولئك وأهل القبور المجموعين سواء . وهذا الاسناد عنه قال : إن الله أخرج رجلين ، رجلا من الجنة ورجلا من النار ، قال لصاحب الجنة : عبدى ! كيف وجدت مقيلك ؟ قال خير مقيل . ثم قال لصاحب النار : عبدى كيف وجدت مقيلك ؟ قال : شر مقيل قاله القائلون ، ثم ذكر من عقاربها وحياتها وزنا بغيرها ، ومن أنواع ما فيها من العذاب وألوانه ، فيقول الله تعالى لصاحب النار : عبدى ! ماذا تعطيني إن أنا أعفيتك من النار ؟ فيقول العبد : إلهى وماذا عندى ما أعطيك ، فقال له الرب تعالى : لو كان لك جبل من ذهب أ كنت تعطيني فأعفيك من النار ؟ قال نعم ، فقال له الرب : كذبت لقد سألتك في الدنيا ما هو أيسر من ذلك ! تدعوى فأستجيب لك ، وتستغفرنى فأغفر لك ، وتسألنى فأعطيك ، فكنت تنولى ذاهبا

وهذا الاسناد قال : ما من عبد يقر به الله عز وجل يوم القيامة للحساب إلا اقام من عند الله بعفو ، وبه عنه : لكل شيء أساس ، وأساس الاسلام الخلق الحسن . وبه عنه قال : شكاني من الانبياء إلى ربه عز وجل الجوع والعري ، فأوحى الله إليه : أما ترضى أنى سددت عنك باب الشر التاكى عنها ؟ . وبه عنه قال : إن في السماء ملكا يقال له إسماعيل لو أذن الله له يفتح أذن من آذانه يسبح الرحمن عز وجل ملئت من في السموات والأرض . وبه عنه قال : سعة الشمس سعة الأرض وزيادة ثلاث مرات ، وسعة القمر سعة الأرض مرة ، وإن الشمس إذا غربت دخلت بجمرا تحت العرش تسبح الله حتى إذا أصبحت استعفت ربهما تعالى من الطلوع فيقول لها : ولم ذاك - وهو أعلم - فتقول : لتلا أعبد من دونك ، فيقول لها : اطلعي فليس عليك شيء من ذلك ، حبيبهم جهنم أبشها إليهم مع ثلاث عشرة ألف ملك تقومها حتى يدخلهم : وهنا خلاف ما ثبت في الحديث الصحيح « إن جهنم يوتى بها قتاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك » . وقال مندل عن أسد ابن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله ﷺ : « لا يقفن أحدكم على رجل يضرب ظمنا فان اللعنة تنزل من السماء على من يحضره إذا لم تدفوا عنه . ولا يقفن أحدكم على رجل يقتل ظمنا فان اللعنة تنزل من السماء على من يحضره إذا لم تدفوا عنه » . لم يرضه إلا مندل هنا .

وروى شعبة عن عمارة بن حفصة عن عكرمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا عطس غطي وجهه بثوبه ، ووضع يديه على حاجبيه ، ، هذا حديث عال من حديث شعبة . وروى بقية عن إسحاق بن مالك الخضرى عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من حلف على أحد عينا ، وهو يرى أنه سيره فلم يضل ، فأنما إيمه على الذي لم يره . » تفرد به بقية بن الوليد مرفوعا . وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا عبيد بن عمر القوارىرى حدثنا يزيد بن ربيع حدثنا عمارة بن أبي حفصة حدثنا عكرمة حدثتنا عائشة أن النبي ﷺ كان عليه بردان قطريان خشنان غليظان ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، إن تويك هذين غليظان خشنان ، ترشح فيهما فيقتلان عليك ، فأرسل إلى فلان فقد أتاه برد من الشام فاشتر منه ثوبين إلى ميسرة ، فأرسل إليه فأناه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ بعث إليك لنبيعه ثوبين إلى ميسرة . فقال : قد علمت والله ، ما يريد نبي الله إلا أن يذهب بثوبي و يعطني بهنهما ، فرجع الرسول إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال ﷺ : كتب الله عليكم أني أقيم الله ، وأدام للأمانة . وفي هذا اليوم قال النبي ﷺ : « لأن يلبس أحدكم من رفاع شتى خير له من أن يستدين ما ليس عنده » والله سبحانه أعلم [(١)] .

(القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق)

كان أحد الفقهاء المشهورين ، له روايات كثيرة ، من الصحابة وغيرهم ، وكان من أفضل أهل المدينة ، وأعلم أهل زمانه ، قتل أبوه بمصر وهو صغير ، فأخذته خالته فنشأ عندها ، وساد له مناقب كثيرة . أبو رجاء الطاردي .

(وفيها توفي كثير عزة الشاعر المشهور)

وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ، أبو صخر الخزاعي الحجازي ، المعروف بابن أبي جمرة ، وعزة هذه المشهور بها المنسوب إليها ، لتفرقه فيها ، هي أم عمرو عزة بالعين المهملة ، بنت جميل بن حفص ، من بني حبيب بن غفار ، وإنما صغر اسمها قتيلا كثيرا ، لأنه كان دميم الخلق قصيرا ، وطوله ثلاثة أشبار . قال ابن خلكان : كان يقال له رب الديان ، وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قصره ، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له : طأطأ رأسك لا يؤذيكَ السقف ، وكان يضحك إليه ، وكان يند على عبد الملك ، ووفد على عبد الملك بن مروان مرات ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان يقال إنه أشعر المسلمين ، على أنه كان فيه تشيع ، وربما نسب به بضمهم إلى منهج التناسخية ، وكان يحتاج على ذلك من جهله وقلة عقله إن صح النقل عنه ، في قوله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) وقد استأذن يوما على عبد الملك فلما دخل عليه قال عبد الملك : لأن

تسمع بالميدى خير من أن تراه ، قال : حبيلا يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصرفه قلبه ولسانه ، إن نطق نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجنان ، وأنا الذى أقول

وجربت الأود وجربنى • وقد أبنت مريكتى الأود
وما تخفى الرجال على أنى • بهم لآخر مناقضة خير
نرى الرجل النجيف قزدره • وفى أنوابه أسد زئير
ويمجيك الطير فتختبره • فيخلف ظلك الرجل الطير
وما هلم الرجال لها بزین • ولكن زينها دين وخير
بذات الطير أطولها جسوما • ولم تطل البزاة ولا الصقور
وقد عظم البعير بغير لب • فلم يستغن بالعظم البعير
فركب ثم يضرب بالهراوى • ولا عرف لديه ولا نكير
وعود النبع يثبت مستمرا • وليس يطول والعضاء حور

وقد تكلم أبو الفرج بن طرار على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلام طويل ، قالوا : ودخل كثير عزة يوما على عبد الملك بن مروان فامتدحه بقصيدته التى يقول فيها : -

على ابن أبى المامى دروع حصينة • أجاد المسدى سردها وأدالها
قال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن مديكرب : -

وإذا تحبى كتيبة ملومة • شهابا يخشى القائلون صياله
كنت المقدم غير لابس جبة • بالسيف يضرب معلما أبطلها

قال : يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفك بالحزم . ودخل يوما على عبد الملك وهو يتجهز للخروج إلى مصعب بن الزبير فقال : وبك يا كثير ، ذكرتك الآن بشرك فإن أصبت أعطيتك حكك ، قال : يا أمير المؤمنين كأنك لما ودعت عائكة بكت يزيد بكت لفراقك فبكى لبكائها حشما فذكرت قولى :

إنما ما أراد النزول ثم عزمه • حصان عليها نظم دريزنها
نهته فلما لم تر النهى عاقه • بكت فبكى مما عراها قطينها

قال : أصبت فاتحك ، قال : مائة فاقة من ثوبك المختارة ، قال : هى لك ، فلما سار عبد الملك إلى الرماح نظر يوما إلى كثير عزة وهو مفكر فى أمره فقال : على به ، فلما جرى به قال له : أرايت إن أخبرتك بما كنت تفكر به تعطيتى حكى ؟ قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله ، قال له عبد الملك إنك تقول فى نفسك : هذا رجل ليس هو حلى مذهبي ، وهو ذاهب إلى قتال رجل ليس هو على

منهجي ، فان أصابني سهم غرب من بينهما خسرت الدنيا والآخرة ، فقال : إني والله يا أمير المؤمنين ، فاحكم ، قال : أحكم حكى أن أردك إلى أهلك وأحسن جائزتك ، فأعطاه مالا وأذن له بالانصراف . وقال حماد الراوية عن كثير عزة : وفدت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، ونحن نمت بصحبتنا إليه ومما شرتنا له ، لما كان بالمدينة ، وكل منا يظن أنه سيشارك في الخلافة ، فنحن نسير ونختال في رحالتنا ، فلما انتهينا إلى خُصامرة ولاحت لنا أعلامها ، تلقاها مسلمة بن عبد الملك قال : ما أقسمكم ؟ أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر ولا الشراء ؟ قال : فوجئنا لذلك ، فأترنا مسلمة عنده وأجرى علينا التفقات وعلف دوابنا ، وأقفا عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر ، فلما كن في بعض الجمع ذوت منه لأسمع خطبته فأسلم عليه بعد الصلاة ، فسمعته يقول في خطبته : لسلك سفر زاد ، وفردوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاب ما أعد الله له من عذابه وثوابه فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الامل فتفسقوا قلوبكم وتتفادوا لعدوكم ، فانه والله ما يسطر أمل من لا يدري لعله لا يمسي بعد إصابه ولا يصبح بعد إسمائه ، وربما كانت له كاتمة بين ذلك خطرات الموت والمنايا ، وإنما يطعن من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة ، فأما من لا يدأوى من الدنيا كلها إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يطعن ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفي فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق ، ثم بكى حتى غلظنا أنه قاض نحيبه ، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والويل : قال : فأنصرفت إلى صاحبي فقلت : خذ سرعا من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وأباه فانه رجل آخرى ليس برجل دنيا . قال : ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا عليه سلمت عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت بالفائمة ، ونحدث ببغائك إياها وفود العرب . فقال : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) وقرأ الآية ، فان كنتم من هؤلاء أعطيتم وإلا فلا حق لكم فيها ، فقلت : يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع به ، فقال : ألسن عند أبي سعيد ؟ - يعني مسلمة بن عبد الملك - قلنا : بلى ! فقال : إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد ، فقلت : اتنن لي يا أمير المؤمنين بالأنشاد ، قال : نعم ولا تقل إلا حقا ، فأشدته قصيدة فيه :

وليت فلم تشم عليا ولم تحف • بريئاً ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفضل المقال مع القى • أتيت فأسمى راضيا كل مسلم
ألا إنما يكفي الفتى بعد ريمه • من الاود النادى تقاف المقوم
وقد لبست تسمى اليك ثيابها • تراءى لك الدنيا بكف ومعصم
وتوضى أحيانا بين مريضة • وتبسم عن مثل الجنان النظم

فأعرضت عنها مشيراً كأنما • سقتك منوطاً من سمام وعلقم
وقد كنت من أحبالها في منع • ومن بحرهما في مزيد الموج مغم
ومازالت توافاً إلى كل غاية • بلغت بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفوا ولم تكن • لطالب دنيا بعده في تكلم
تركت القى يقي وإن كان موقفاً • وآثرت ما يبقى برأى مصمم
وأضررت بالفانى وشمرت لذى • أمالك في يوم من الشر مظلم
وما لك إذ كنت الخليفة مانع • سوى الله من مال رعيت ولادم
سما لك م في الفؤاد مؤرق • بلغت به أعلى المال بلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها • مناد ينادى من فصيح وأنجم
يقول أمير المؤمنين ظلمتني • بأخذك دينارى وأخذك درهمي
ولا بسط كف لأمري غير مجرم • ولا السفك منه ظلالاً ملء محجم
ولو يستطيع المسدون لقسموا • لك الشعر من أعمارهم غير ندم
فشت بها ما حيج لله راكب • ملب مطيف بالقمام وزنم
فارجع بها من صفقة لمبايع • وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال : فأقبل على عمر بن عبد العزيز وقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة ، ثم استأذنه الأحرص
فأنشده قصيدة أخرى فقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة . ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له وأمر
لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهماً ، وأغزى نصيباً إلى مرج دابق . وقد وفد كثير عزة بعد
ذلك على يزيد بن عبد الملك فأنشدته بقصائد فأعطاه سبعمائة دينار . وقال الزبير بن بكار : كان
كثير عزة شيعياً خبيثاً يرى الرجعة ، وكان يرى التناسخ ويحتج بقوله تعالى (في أى صورة
ما شاء ركبت) وقال موسى بن عقبة هو لكثير عزة ليلة في منامه فأصبح يمتدح آل الزبير ويرى
عبد الله بن الزبير ، وكان يسمى الراى فيه :

بمخضض البطحا تأول أنه • أنام بها ما لم ترمها الأخاب
سرحنا سروراً آمين ومن يخف • بوائق ما يخشى قتيه النوايب
تبرأت من عيب ابن أساء إني • إلى الله من عيب ابن أساء تأيب
هو المرء لا ترزى به أمهاته • وأبأؤه فينا الكرام الأطلاب

وقال مصعب بن عبد الله الزبيرى : قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة : ما أتى يدعوك إلى
ما تقول من الشر في عزة وليست على نصف من الحسن والجمال ؟ فلو قلت ذلك في وفى أمثالي قائما

أشرف وأفضل وأحسن منها - وكانت عائشة بنت طلحة قد فافت النساء حسنا وجمالا وأصاله -
وإنما قالت له ذلك لتخبره وتبلوه فقال :

ضحى قلبه يا عَزْزُ أو كاد ينهل * وأضحى يريد الصوم أو يقبل
وكيف يريد الصوم من هو وامن * لمرزة لا قال ولا متبذل
إذا واصلتنا خلة كي نزيلنا * أيننا وقلنا الحاجبية أول
سنوليك عرفا إن أردت واصلنا * ونحن لتيك الحاجبية أوصل
وحشها الواشون أنى هجرتها * غلبها غيظا على المحمل

فألت له عائشة : قد جعلتني خلة ولست لك بخلة ، وهلا قلت كما قال جميل فهو والله أشعر
منك حيث يقول :

يا رب عارضة علينا وصلها * بلجد تخطه بقول المازل
فأجبتها بالقول بعد تتر * حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي بقدر قلامة * فضل واصلتك أو أتتك رسائي

فقال : والله ما أنكر فضل جميل ، وما أنا إلا حسنة من حسناته ، واستعيا . وما أنشده ابن
الأبهارى لكثير عزة :

بأبي وأمي أنت من معشوقة * طين المدو لها فغير حلما
ومشى إلى بيب عزة نسوة * جعل الآله خدودهن نالها
الله يعلم لو جمن ومثلت * لأخنت قبل تأمل نالها
ولو ان عزة خاضعت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
وأشد غيره لكثير عزة :

فأحدث النأى القى كل بيننا * سلوا ولا طول اجتماع قتاليا
وما زادني الواشون إلا صباة * ولا كثرة الناهين إلا تماديا
غيره له : قتلت لها يا عز كل مصيبة * إذا وطئت يومها النفس ذلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر * لمرزة من أعراضا ما استحلجت
وقال كثير عزة أيضا وفيه حكمة أيضا :

ومن لا يمتض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتقبح جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

وذكروا أن عزة بنت جميل بن حفص أحد بني حجاب بن عبد الله بن غفار أم عمرو الضمرية

وفلت على عبد الملك بن مروان تشكو إليه غلامه قال : لا أقضيها لك حتى تشدني شيئا من شعره ، فقالت : لا أحفظ لكثير شرأ ، لكني ممتمهم يحكون عنه أنه قال في هذه الأبيات :

قضى كل ذي دين علت غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها
قال : ليس عن هذا أسألك ولكن أنشدني قوله :

وقد زعت أني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي ياعز لا يتغير
تغير جسمي والحبة ككلى * عهدت ولم يتغير بذلك مخبر
قال فاستجيت وقالت : أما هذا فلا أحفظه ولكن ممتمهم يحكونه عنه ، ولكن أحفظ له قوله :
كأنني أنادي صخرة حين أعرضت * من الظلم لو تمشى بها العصم زلت
صفوح فما تلقاك إلا بخيلة * ومن مل منها ذلك الوصل ملت

قال فقضى لها حاجتها ورددها ورد عليها غلامتها وقال : أدخلوها الحرم ليعلموا من أدبها . وروى عن بعض نساء العرب قالت : اجتازت بنا عزة فاجتمع نساء الحاضر إليها لينظرن حسننا ، فإذا هي حمراء حلوة لطيفة ، فلم تقع من النساء بذلك الموقع حتى تكلمت فإذا هي أربع النساء وأحلاهن حديثاً ، فما بقي في أعيننا امرأة تفوقها حسناً وجمالاً وحلاوة . وذكر الأصمعي عن سفيان بن عيينة قال : دخلت عزة على سكيبة بنت الحسين فقالت لها : إني أسألك عن شيء فاصدقيني ، ما الذي أريد كثير في قوله لك :

قضى كل ذي دين فوق غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها
فقالت : كنت وعدته قبلة فطلته بها ، فقالت : أعجز بها له وإعما على ، وقد كانت سكيبة بنت الحسين من أحسن النساء حتى كان يضرب بمحسنها المثل . وروى أن عبد الملك بن مروان أراد أن يزوج كثيراً من عزة فأبى عليه وقالت : يا أمير المؤمنين أبعد ما فضحتني بين الناس وشهري في العرب ؟ وامتنعت من ذلك كل الامتناع ، ذكره ابن عساكر . وروى أنها اجتازت مرة بكثير وهو لا يعرفها فتسكرت عليه وأرادت أن تختبر ما عنده ، فعرض لها فقالت : فأين جبك عزة ؟ فقال : أما لك الفداء لو أن عزة أمة لي لوهبته لك ، فقالت : ويحك لا تفضل ألست القاتل :

إذا وصلتنا خلة كي نزيلنا * أيننا وقلنا الحاجبية أول ؟

قال : بأبي أنت وأمي ، أقصرى عن ذكرها واحسمى ما أقول :

هل وصل عزة إلا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها بدل
قالت : فهل لك في المجالة ؟ قال : ومن لي بذلك ؟ قالت : فكيف بما قلت في عزة ؟ قال :
أقلبه فيتحول لك ، قال فسفرت عن وجهها وقالت : أغصراً وتنا كنا يافسقى ، وإنك لها هنا ياعدو

الله ، فبنت وأبلس ولم ينطق ونحير ونجل ، ثم قالت : قاتل الله جيلا حيث يقول : -
 عما الله من لا ينفع الود عنده • ومن حبله إن صد غير متين
 ومن هو ذو وجهين ليس بدائم • على العهد حلاقا بكل عين
 ثم شرع كثير يمتنرو ويتصل بما وقع منه ويقول في ذلك الأسماء ذا كرا وآ ترا . وقد ماتت
 عزة بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان ، وزار كثير قبرها ورثاها وتغير شعره بعدها ، فقال له قائل :
 ما بال شرك تغير وقد قصرت فيه ؟ فقال : ماتت عزة ولا أطرب ، وذهب الشباب فلا أعجب ،
 ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب ، وإنما ينشأ الشعر عن هذه الخلل .
 وكانت وفاته و وفاة عكرمة في يوم واحد ، ولكن في سنة خمس ومائة على المشهور . وإنما ذكره
 شيخنا الذهبي في هذه السنة - أعني سنة سبع ومائة - والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان ومائة ﴾

[ففتحها افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم ، وفتح إبراهيم بن هشام بن عبد الملك
 حصنا من حصون الروم أيضا ، وفيها غزا أسيد بن عبد الله القسري أمير خراسان فكسر الأتراك
 كسرة فاصحة . وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان وحاصر مدينة وارتان ورمها بالمناجيق ، فسار إليه
 أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو فآب مسلمة بن عبد الملك ، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه
 وقتل من جيشه خاقان كثير ، وهرب الخاقان بعد أن كان قتل في جملة من قتل من جيشه ، وقتل
 الحارث بن عمرو شهيدا ، وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقا كثيرا . وفيها غزا معاوية بن هشام بن
 عبد الملك أرض الروم ، وبث البطال على جيش كثيف فافتتح جنجرة وغنم منها شيئا كثيرا ^(١)
 وفيها توفي من الاعيان بكر بن عبد الله المزني البصري . [كان علما عابدا زاهدا متواضعا قليل
 الكلام ، وله روايات كثيرة عن خلق من الصحابة والتابعين . قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت
 من هو أكبر منك من المسلمين قتل : سبقته إلى المصايف فهو خير مني ، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك
 ويعظمونك قتل : هذا من فضل ربي ، وإذا رأيت منهم تقصيرا قتل : هذا بذنب أحدثته . وقال :
 من مثلك يا ابن آدم ؟ خلى بينك وبين الماء والحرا ب متى شئت تطهرت ودخلت على ربك عز وجل
 ليس بينك وبينه ترجمان ولا حاجب . وقال : لا يكون العبد قويا حتى يكون تقى الطمع تقى الغضب .
 وقال : إذا رأيتم الرجل موكلا بيبوب الناس فليسيا عليه فاعلموا أنه قد مكر به . وقال : كان الرجل
 من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ الصالح من العمل فبشي في الناس فظله غلما ، قال : فر رجل قد
 أظنك غلما على رجل فأخذه لما رآه مما آتاه الله ، فاحترقه صاحب الغلما فأمرها الله أن تتحول

عن رأسه إلى رأس القى احتقره ، وهو الذى عظم أمر الله عز وجل . وقال : ما سبقهم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام ، ولكن بشئ قرأ في صدره . وله كلام حسن كثير يطول ذكره ^(١) (واشد بن سعد المقرئ الحمصي) عثر دهرآ ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وقد كان عابداً صالحاً زاهداً . رحمه الله تعالى ، وله ترجمة طويلة (محمد بن كعب القرظي)

توفى فيها في قول [وهو أبو حمزة ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان علماً بتفسير القرآن ، صالحاً عابداً ، قال الأصمى : حدثنا أبو المقدم - هشام بن زياد - عن محمد بن كعب القرظي أنه سئل : ما علامة الخذلان ؟ قال : أن يقبح الرجل ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان يقيحاً . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا عبد الله بن عبد الله بن موهب قال : سمعت ابن كعب يقول : لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح إذا زلزلت والقارة لا أزيد عليهما وأردد قيهما الفكر ، أحب إلى من أن أهد القرآن هدأ - أو قال أنه نثرآ - . وقال : لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لركيا عليه السلام ، قال تعالى : (آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيراً وصبح بالشي والأبكار) فلو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص له ، ولرخص للذين يقاتلون في سبيل الله ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا قُتِلْتُمْ فَمِنَ نَفْسٍ فَاتَيْتُوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) وقال في قوله تعالى : (اصبروا وصابروا ورابطوا) قال : اصبروا على دينكم وصابروا لوعيدكم القى وعدتم ، ورابطوا عدوكم الظاهر والباطن ، واتموا الله فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون إذا قُتِلْتُمْ . وقال في قوله تعالى : (لولا أن رأى برهان ربه) : علم ما أحل القرآن مما حرم (منها فأم وحصيد) قال : التأم ما كان من بنائهم قائماً ، والحصيد ما حصد فهم . (إن عذابها كان غراماً) قال : غرموا ما نسوا به من النسم في الدنيا ، وفي رواية سألهم عن نعمة فلم يقدروا عليها ولم يودوها ، فأغرمهم منها ، فأدخلهم النار . وقال قتبية بن سعيد : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي قال : سمعت محمد بن كعب في هذه الآية (وما آتيتهم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله) قال : هو الرجل يعطى الآخر من ماله ليكافئه به أو يتردد ، فهذا القى لا يربو عند الله ، والمضنون هم الذين يعطون لوجه الله لا يبتغي مكافأة أحد . وفي قوله تعالى : (أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) قال : أجل سريري وعلائقي حسنة . وقيل : أدخلني مدخل صدق في العمل الصالح ، أى الاخلاص ، وأخرجني مخرج صدق أى سلماً . (أو أنى السمع وهو شيد) أى يسمع القرآن وقلبه معه ^(٢) في مكان آخر . (فاسموا إلى ذكر الله) قال : السى العمل ليس بالشد . وقال : الكبار ثلاثة ، أن تأمن مكر الله ، وأن تخط من راحة الله ، وأن تياأس من روح الله .

(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصل ولله سقط منه كلمة (وليس) .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : إذا أراد الله بعبده خيراً جعل فيه ثلاث خصال ، كلها في الدين ، وزمادة في الدنيا ، وبصراً بسبب نفسه . وقال : الدنيا دار قلق ، ورغب عنها السعداء ، وانزعجت من أيدي الأشقياء ، فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها ، وأزهد الناس فيها أسعد الناس بها ، هي التلوية لمن أضعها ، المهلكة لمن اتبعها ، الخاتمة لمن اعتادها ، علمها جهل ، وغناؤها فقر ، وزيادتها نقصان ، وأيامها دول . وروى ابن المبارك عن داود بن قيس قال سمعت محمد بن كعب يقول : إن الأرض لتبكي من رجل وتبكي على رجل ، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله ، وتبكي من كان يعمل على ظهرها بمعصية الله ، قد أهلكها . ثم قرأ (فإبكت عليهم السماء والأرض) وقال في قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) : من يعمل مثقال ذرة خيراً من كفر يرى ثوابها في نفسه وأهل وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له خير . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، من مؤمن يرى عقوبتها في نفسه وأهل وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له شر . وقال : ما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع على في بعض ما يكره ففتني ، وقال : اذهب لا أغفر لك ، مع أن عجائب القرآن تردني على أمور حتى أنه لينقض الليل ولم أفرغ من حاجتي .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيعه غلامه سالماً . وكان عابداً خيراً زاهداً . فكتب إليه : - إني قد درته ، قال : فازدد فيه ، فأناه سالم فقال له عمر : إني قد ابتليت بما نرى ، وأنا والله أخوف أن لا أتجو ، فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاته ، وإلا فهو الأمر الذي يخاف . قال : يا سالم عظمي ، قال : آدم عليه السلام أخطأ خطيئة واحدة خرج بها من الجنة ، وأنتم مع عمل الخطايا ترجون دخول الجنة ، ثم سكت . قلت : والأمر كما قيل في بعض كتب الله : تزرعون السيئات وترجون الحسنات ، لا يجتنى من الشوك العنب .

فصل الذنوب إلى الذنوب وترجيبي * درج الجنان وطيب عيش العباد

ونسيت أن الله أخرج آدم * منها إلى الدنيا بذنوب واحد

وقال : من قرأ القرآن منع بماله وإن بلغ من العمر مائتي سنة . وقال له رجل : ما تقول في التوبة ؟ قال : لا أحسنها ، قال : أفرايت إن أعطيت الله عهداً أن لا تمسه أبداً ؟ قال : فمن أعظم جرماً منك ، تتألى على الله أن لا يتغذ فيك أمره .

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : حدثنا ابن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلام حدثنا عباد بن عباد عن هشام بن زياد أبي المقدم . قالوا كلام : حدثنا محمد بن كعب القرظي قال : حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن

بما في يد الله أوثق مما في يده ، ألا أنبئكم بشرارك ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من نزل وحده ، ومنع رقبته ، وجلد عبده ، أفتأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يقبل عثرة ولا يقبل مغفرة ، ولا يتفر ذنباً ، ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره ، إن عيسى بن مريم طم في بني إسرائيل خطيباً قال : يا بني إسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تنموا أهلها فتظلموها - وقال مرة فتظلموم - ولا تظلموا ظالمًا ، ولا تظاولوا ظالمًا فيظل فضلكم عند ربكم ، يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة ، أمر تبين رشده فاتبموه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله . وهذه الألفاظ لا تحفظ عن النبي ﷺ بهذا السياق إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس ، وقد روى أول الحديث إلى ذكر عيسى من غير طريقه ، وسيأتى أن هذا الحديث تفرد به الطبراني بطوله والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١)

وفيهما توفي أبو نضرة المنذر بن مالك بن قطة العبدي ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل.

(ثم دخلت سنة تسع ومائة)

ففيها عزل هشام بن عبد الملك أسد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان وأمره أن يقدم إلى الحج ، فأقبل منها في رمضان ، واستخلف على خراسان الحكم بن عروثة الكلبي ، واستناب هشام على خراسان أشرس بن عبد الله السلي ، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسري ، وكان أشرس فاضلاً خيراً ، وكان سمي الكامل لذلك ، وكان أول من اتخذ المرابطة بخراسان ، واستعمل المرابطة عبد الملك بن زياد الباهلي ، وتولى هو الأمور بنفسه كبيرها وصغيرها ، ففرح بها أهلها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين .

(سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية)

فيها قاتل مسلمة بن عبد الملك ملك الترك الأعظم خاقان ، فزحف إلى مسلمة في جموع عظيمة فتوافقوا نحواً من شهر ، ثم هزم الله خاقان زمن الشتاء ، ورجع مسلمة سالماً غانماً ، فسلك على ممالك ذي القرنين في رجوعه إلى الشام ، وتسمى هذه النزاة غزاة الطين ، وذلك أنهم سلكوا على مفارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة ، وتوكل فيها خلق كثير ، فأنجوا حتى قاسوا شدائد وأهوالاً صعباً وشدائد عظيماً ، وفيها دعا أشرس بن عبد الله السلي نائب خراسان أهل القمة بسرقتهم ومن وراء النهر إلى الفخول في الإسلام ، ويضع عنهم الجزية فأجابوه إلى ذلك ، وأسلم غالبهم ، ثم طلبهم

بالجزية فنصبوا له الحرب وقاتلوه ، ثم كانت بينه وبين الترك حروب كثيرة ، أمثال ابن جرير بسطها
 وشرحها فوق الحاجة . وفيها أرسل أمير المؤمنين هشام بن عبيدة إلى إفريقية متوليا عليها ، فلما
 وصل جهز ابنه وأخاه في جيش فالتقوا مع المشركين قتلوا منهم خلقا كثيرا وأسرُوا بغيرهم
 وانهزم باقهم ، وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا . وفيها افتتح معاوية بن هشام حصنين من بلاد
 الروم ، وغنم غنائم جمة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام ، وعلى العراق خالد القسري ، وعلى
 خراسان أنس بن السلي

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

﴿ جرير الشاعر ﴾

وهو جرير بن الخطابي ويقال ابن عطية بن الخطابي واسم الخطابي حذيفة بن بدر بن سلمة بن
 عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن طابخة بن إلياس
 ابن مضر بن نزار ، أبو حرزة الشاعر البصري ، قدم دمشق مرارا ، وامتدح يزيد بن معاوية
 والخلفاء من بعده ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان في عصره من الشعراء الذين يقارونهم
 الفرزدق والأخطل ، وكان جرير أشعرهم وأخيرهم ، قال غير واحد : هو أشعر الثلاثة ، قال ابن دريد
 ثنا الأشنادباني ثنا الثوري عن أبي عبيدة عن عثمان بن عيسى قال : رأيت جريرا وما نضم شغفاه من
 التسييح ، قلت : وما ينفعك هذا ؟ قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد
 إن الحسنات يذهبن السيئات ، وعد من الله حق . وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : دخل
 رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان بمتدحه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق
 والأخطل ، فلم يعرفهم الأعرابي ، قال عبد الملك للأعرابي : هل تعرف أجهى بيت قالته العرب
 في الإسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

ففض الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

قال : أحسنت ، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الإسلام ؟ قال نعم ! قول جرير :

ألسم خير من ركب المطايا * وأندى المألين بطون راح

قال : أصبت وأحسنت ، فهل تعرف أرق بيت قيل في الإسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

إن السيوف التي في طرفها مرض * قتلنا ثم لم يبحين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضف خلق الله أركانا

قال : أحسنت ، فهل تعرف جريرا ؟ قال : لا والله ، وإني إلى رؤيته مشتاق ، قال : فهنا

جرير وهذا الفرزدق وهذا الأخطل ، فأنشأ الأعرابي يقول : -

غيا الإله أبا حرزة • وأرغم أخاك يا أخطل
ونجدة الفرزدق اتص به • ورق خياشيمه الجندل
فأنشأ الفرزدق يقول :

يا أرغم الله أنا أنت حامله • يا ذا الخنا ومقال الزور والخطل
ما أنت بالحكم الترضى حكومته • ولا الاصيل ولا نى الرأى والجندل
ثم أنشأ الأخطل يقول :-

يا شر من حلت ساق على قدم • مامثل قولك فى الأقوام يحتمل
ان الحكومة ليست فى أيك ولا • فى مشر أنت منهم انهم سفل
فقام جرير مضطربا وقال :-

أنشأتان سفاها خيركم حسبا • فنيكما - وإلهى - الزور والخطل
شتمناه على رضى ووضمكما • لا زلتا فى سفال أيها السفل

ثم وثب جرير قبيل رأس الأعرابي وقال : يا أمير المؤمنين جلتنى له ، وكانت خبة آلاف ،
فقال عبد الملك : وله مثلها من مالى ، قبض الأعرابي ذلك كله وخرج . وحكى يعقوب بن السكيت
أن جريرا دخل على عبد الملك مع وفد أهل الرقاق من جهة الحجاج فأشده مديحه الذى يقول فيه :
ألسم خير من ركب المطايا • وأندى المالين بطون راح
فأطلق له مائة ناقة وثمانية من الرعاء أربعة من النوبة وأربعة من السبي الذين قسم بهم من
الصند قال جرير : وبين يدي عبد الملك جلان من فضة قد أهديت له ، وهو لا يعبأ بها شيئا ،
فهو يقرعها بقضيب فى يده ، قلت : يا أمير المؤمنين الحلب ، فألقى إلى واحدآ من تلك
الجلانات ، ولما رجع إلى الحجاج أعجبه إكرام أمير المؤمنين له فأطلق الحجاج له خمسين ناقة تحمل
طعاما لأهله .

وحكى فضويه أن جريرا دخل يوما على بشر بن مروان وعنده الأخطل ، فقال بشر لجرير :
أعرف هذا ؟ قال : لا ، ومن هذا أبا الأمير ؟ قال : هذا الأخطل ، فقال الأخطل : أنا الذى
قدفت عرضك ، وأسهرت ليلك ، وأذيت قومك ، قال جرير : أما قولك شتمت عرضك فاضر
البحر أن يشتمه من غرق فيه ، وأما قولك وأسهرت ليلك ، فلو تركتني أنام لكان خيرا لك ، وأما قولك
وأذيت قومك فكيف تؤذى قوما أنت تؤذى الجزية إليهم ؟ وكان الأخطل من نصارى العرب
المتنصرة ، فبحه الله وأهد مشواه ، وهو الذى أنشد بشر بن مروان قصيدته التى يقول فيها :

قد استوى يشر على الرقاق • من غير سيف ودم مهراق

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه ، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً ، فإنه إنما يقاتل استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشر على العراق ، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيائها عليه ، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه فساداً واحداً ، حتى يقال استوى عليه ، أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا تجدد أضعف من حجج الجهمية ، حتى أدام الافلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله أعلم .

وقال المهين بن عدي عن عوانة بن الحكم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعراء فكنثوا بيابه أياماً لا يؤذن لهم ولا يلتفت إليهم ، فسادهم ذلك وهما بالرجوع إلى بلادهم ، فربهم رجاء بن حيوة فقال له جرير :-

يا أيها الرجل المرخي عماتته * هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا
فسخل ولم يذكر لعمر من أمرم شيئا ، فربهم عدي بن أرملة فقال له جرير منشداً :
يا أيها الراكب المرخي مطيته * هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه * أتى لدى الباب كالصفود في قرن
لا تنس حاجتنا لاقيت مفقرة * فطال مكثي عن أهلي وعن وطني

فسخل عدي على عمر بن عبد العزيز قال : يا أمير المؤمنين الشعراء يبابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة ، قال : ويحك يا عدي ، مالي ولشعراء ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قد كان يسمع الشعر ويمجزي عليه ، وقد أنشده العباس بن مرداس مدحه فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أتروى منها شيئاً ؟ قال : نعم فأنشده :-

وأنتك يا خير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان أمراً مدلسا * واطفأت بالقرآن نارا تضرما
فن مبلغ عن النبي محمداً * وكل امرئ يمجزي بما كان قدما
أفت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وكلن قدما ركنه قد تهتما
تعالى علواً فوق عرش إلحنا * وكلن مكان الله أعلا وأعظما

قال عمر : من بالباب منهم ؟ قال : عمر بن أبي ربيعة ، قال أليس هو الذي يقول :
ثم نهتها فبيت كعلما * طغاة ما تبين رجح الكلام

ساعة ثم إلهما بعد قالت * ويلنا قد مجلت يا ابن الكرام
أعلى غير موعدت تسرى * تنخطى إلى دوس النيام
ما تجمشت ما تريد من الأمر * ولا حيت طارقاً خلصام
فلو كان عدو الله إذ فجر كتم وستر على نفسه ، لا يدخل والله أبداً ، فن بالباب سواء ؟ قال :
هام بن غالب - يعني الفرزدق - قال عمر : أوليس هو الذى يقول فى شعره :

ها دليانى من ثمانين قامة * كما اقتضى باز أقم الریش كل سره
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا * أحنى رجى أم قتل نخاذه
لا يظناً والله بساطى وهو كاذب ، فن سواء بالباب ؟ قال : الأخطل ، قال : أوليس هو الذى يقول :
ولست بصائم رمضان طوعاً * ولست بأكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيساً بكور * إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتنا بعيداً * بمكة أبنتى فيه صلاحى
ولست بقائم كالمر أدعو * قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها ثمولا * وأسجد عند منبلج الصباح
والله لا يدخل على وهو كافر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟ قال : نعم الأحوص ، قال :
أليس هو الذى يقول :

الله بينى وبين سيدها * يفر منى بها وأتيمه
فأهو دون من ذكرت ، فن هنا غيره ؟ قال جميل بن معمر ، قال : الذى يقول : -
ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن نمت * يوافق فى الموتى خريجى خريجها
فأأنا فى طول الحياة براغب * إننا قبل قد سوى عليها صفيحها
فلو كان عدو الله نعى لقادها فى الدنيا ليمل بذلك صالحا ويتوب ، والله لا يدخل على أبداً ، فهل
بالباب أحد سوى ذلك ؟ قلت : جبر ، قال أما إنه الذى يقول :

طرقك سائمة القلوب وليس ذا * حين الزيادة طرجى بسلام
فان كلن لا بد فأذن لجبر ، فأذن له فدخل على عمر وهو يقول :
إن الذى بعث النبى محمداً * جعل اخلاقة للامام العادل
وسخ الخلائق عدله ووقوه * حتى ارعوى وأطم ميل المائل
إلى لأرجو منك خيرا عاجلا * والنفس مولة يحب العاجل
قال له : ويحك يا جبر ، أتى الله فيما تقول ، ثم إن جبر را استأذن عمر فى الانشاد فلم يأذن له ولم

عنز، فاستدعه فتهض والبن يسيل على لحيته، قال جرير للذي سأله: أتبصر هذا؟ قال: نعم، قال: أتعرفه؟ قال: لا، قال: هذا أبي، وإنيما يشرب من ضرع المتزكلا يحلبها فيسمع جيرانه حس الحلب فيطلبوا منه لبناً، فأشعر الناس من فخر بهذا ثمانين شاعراً فتلهم، وقد كان بين جرير والفردق مقالات ومهاجاة كثيرة جداً يطول ذكرها، وقد مات في سنة عشر ومائة، قاله خليفة بن خياط وغير واحد، قال خليفة: مات الفردق وجرير بعده بأشهر، وقال الصولي: ماتا في سنة إحدى عشرة ومائة، ومات الفردق قبل جرير بأربعين يوماً، وقال السكري عن الأصمعي عن أبيه قال: رأى رجل جريراً في المنام بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، قيل: بماذا؟ قال بتكبيره كبرتها بالبادية، قيل له: فما فعل الفردق؟ قال أبليت أهلكتك قنف المحصنات. قال الأصمعي لم يدعه في الحياة ولا في الممات

﴿ وأما الفردق ﴾

واسمه همام بن غالب بن صمصمة بن ناجية بن عقيل بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن حنظلة بن زيد بن مناة بن مر بن أد بن طابخة أبو فراس بن أبي خنظل التيمي البصري الشاعر المعروف بالفردق، وجده صمصمة بن ناجية صحابي، وقد إلى رسول الله ﷺ، وكان يحكي المؤددة في الجاهلية، حدث الفردق عن علي أنه ورد مع أبيه عليه، فقال من هذا؟ قال ابني وهو شاعر، قال علمه القراءة فهو خير له من الشعر. وسمع الفردق الحسين بن علي ورواه وهو ذاهب إلى العراق وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعرفة بن أسعد، ووزارة بن كعب، والطرماح بن عدى الشاعر، وروى عنه خالد الخذاء ومروان الأصغر وحجاج بن حجاج الأحول، وجماعة، وقد وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحباب، وعلى الوليد بن عبد الملك وعلى أخيه، ولم يصح ذلك، وقال أشعث بن عبد الله عن الفردق قال نظر أبو هريرة إلى قدي قال: يا فردق إني أرى قديمك يصغيرين فأطلب لهما موضعاً في الجنة، قلت: إن ذنوبي كثيرة، قال: لا بأس فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بالمغرب باباً مفتوحاً لقوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها». وقال معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال: دخلت على الفردق فتعرك فاذا في وجهه قيد، قلت: ما هذا؟ قال: حلفت أن لا أنزع حتى أحفظ القرآن. وقال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت بدوياً أقام بالخصر إلا فسدت لسانه إلا روية بن العجاج والفردق فانهما زادا على طول الإقامة جنة واحدة، وقال راوية أبو شغل طلق الفردق أمراته النوار ثلاثاً ثم جاء فأشهد على ذلك الحسن البصري، ثم ندم على طلاقها وإشهاد الحسن على ذلك فأنشأ يقول:-

فلو أني ملكت يدي وقلبي • لكان عليّ قدر الخيار

نعمت ندامة الكسى لما * غلت منى مطلقة نوار
 وكانت جنى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
 وقال الأصمى وغير واحد : لما ماتت النوار بفت أعين بن ضبيعة المجاشى امرأة الفرزدق
 - وكانت قد أوصت أن يصلى عليها الحسن البصرى - فشهدوا أعيان أهل البصرة مع الحسن والحسين
 على بقلته ، والفرزدق على بصره ، فصار قتال الحسن للفرزدق : ماذا يقول الناس ؟ قال : يقولون شهد
 هذه الجنائزة اليوم خير للناس - يعنونك - وشر للناس - يعنونى - فقال له : يا أبا فراس لست
 أنا بخير الناس ولست أنت بشر الناس ، ثم قال له الحسن : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن
 لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، فلما أن صلى عليها الحسن مالوا إلى قبرها فأنشأ الفرزدق يقول :

أخاف وراء القبر أن لم يمانى * أشد من القبر التهايا وأضيحا
 إذا جاءنى يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزقة
 لقد خلب من أولاد دارم من مشى * إلى النار منقول القلادة أزرقا
 يساق إلى نار الجحيم مسربلا * سرايل قطران لباسا غرغا
 إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم * يذوبون من حر الصديد تمرغا

قال : فكفى الحسن حتى بل الترى ثم التزم الفرزدق ، وقال : قد كنت من أبنض الناس إلى ،
 وإناك اليوم من أحب الناس إلى . وقال له بعض الناس : ألا تخاف من الله فى قنف المحصنات ،
 فقال : والله الله أحب إلى من عني القتين أبصر بهما ، فكيف يمدبني ؟ وقد قمنا أنه مات سنة عشر
 ومائة قبل جبر باربعين يوما ، وقيل بأشهر فله أعلم .

وأما الحسن وابن سيرين فقد ذكرنا ترجمة كل منهما فى كتابنا التكيل مبسوطه وحسبنا الله ونعم
 الوكيل ﴿ فأما الحسن بن أبي الحسن ﴾

فاسم أبيه يسار وأبوه هو أبو سعيد البصرى مولى زيد بن ثابت ، ويقال مولى جابر بن عبد الله
 وقيل غير ذلك ، وأمه خيرة مولاة لأم سلمة كانت تخدمها ، وربما أرسلتها فى الحاجة فتشتغل عن
 ولها الحسن وهو رضيع ، فتشاغله أم سلمة بتدبيرها فيدوان عليه فيرتضع منها ، فكثروا برون أن
 تلك الحكمة والعلوم التى أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاعتين التئى المنسوب إلى رسول الله ﷺ
 ثم كان وهو صغير تفرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له ، وكان فى جملة من يدعو له عمر بن الخطاب ،
 قال : اللهم قه فى الدين ، وحببه إلى الناس . وسئل مرة أنس بن مالك عن مسألة قال : سلوا عنها
 . ولولا الحسن ، فانه جمع وصحنا ، فحفظ وفسينا ، وقال أنس مرة : إني لأعبط أهل البصرة بهذين
 الشيخين - الحسن وابن سيرين - وقال قتادة : ما جالست رجلا قهيا إلا رأيت فضل الحسن عليه ،

وقال أيضا : ما رأيت هينأى أقفه من الحسن ، وقال أيوب : كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن مسألة هينة له ، وقال الشعبي لرجل يريد قدم البصرة : إذا نظرت إلى رجل أجل أهل البصرة وأهيبهم فهو الحسن ، فأقرأه مني السلام . وقال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه ، وقال الأعمش : ما زال الحسن يبي الحكمة حتى نطق بها ، وكان أبو جعفر إذا ذكره يقول : ذاك الأقى يشبه كلامه كلام الأنبياء

وقال محمد بن سعد : قالوا كان الحسن جامعا للعمل والعمل ، طلاقا وفيما فيها قمة مأمونا عابدا زاهدا فاسكا كثير العلم والعمل فصيحاً جميلاً وسياً ، وقدم مكة فأجلس على سرير ، وجلس العلماء حوله ، واجتمع الناس إليه فحدثهم . قال أهل التاريخ : مات الحسن عن ثمان وثمانين سنة ، عام عشر ومائة في رجب منها ، بينه وبين محمد بن سيرين مائة يوم .

﴿ وأما ابن سيرين ﴾

فهو محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرو الأنصاري مولى أنس بن مالك النضري ، كان أبو محمد من سبي عين التمر ، أسره خالد بن الوليد في جملة السبي ، فاشترأه أنس ثم كاتبه ، ثم ولده من الأولاد الأخيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ويحيى وحفصة وكرينة ، وكلمهم تابسون ثقات أجلاء رحيمهم الله . قال البخاري : ولد محمد لستين بقينا ثم خلافة عثمان ، وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من البشر ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمونا عالما رفيعا فقيها إماما كثير العلم ورعا ، وكان به صمم ، وقال مؤرق المجلي : ما رأيت رجلا أقفه في ورعه ، وأورع في فقهه منه ، قال ابن عون : كان محمد بن سيرين أرجى الناس لهذه الأمة ، وأشد الناس إزارا على نفسه ، وأشدهم خوفا عليها . قال ابن عون : ما بكى في الدنيا مثل ثلاثة ، محمد بن سيرين في العراق ، والقاسم بن محمد في الحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . وكانوا يأتون بالحديث على حروفه ، وكان الشعبي يقول : عليكم بذلك الأصم - يعني محمد بن سيرين - وقال ابن شاذب : ما رأيت أحدا أجرا على تفسير الرؤيا منه . وقال عثمان البتي : لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه . قالوا : ومات في تاسع شوال من هذه السنة بعد الحسن بمائة يوم

﴿ فصل ﴾

كان اللائق ، بالمؤلف أن يذكر تراجم هؤلاء العلماء الأخيار قبل تراجم الشعراء المتقدم ذكرهم فيبدأ بهم ثم يأتي بتراجم الشعراء ، وأيضا فإنه أطال القول في تراجم الشعراء واختصر تراجم العلماء ، ولو كان فيها حسن وحكم جمة يتفنع بها من وقف عليها ، ولعلها أفيد من مدحهم والتناء عليهم ، ولا سببا

كلام الحسن وابن سيرين ووهب بن منبه - كما ذكره بعد وكما سيأتي ذكر ترجمته في هذه الزيادة - فانه قد اختصرها جداً وإن المؤلف أقدر وأوسع علماً ، فما ينبغي أن يحل بيمض كلامهم وحكمهم ، فان النفوس مستشرقة إلى معرفة ذلك والنظر فيه ، فان أقوال السلف لها موقع من القلوب ، والمؤلف غالباً في التراجم يحيل على ما ذكره في التكميل الذي صنفه في أمية الرجال ، وهذا الكتاب لم تفت عليه نحن ولا من سألناه عنهم العلماء ، فاقاد سألنا عنه جماعة من أهل الفن فلم يذكر غير واحد أنه اطلع عليه ، فكيف حال غيرهم ؟ وقد ذكرت في غالب التراجم زيادات على ما ذكره المؤلف مما وصلت إليه معرفتي واطلعنا عليه ، ولو كان عندي كتب لأشيعت القول في ذلك ، إذ الحكمة هي ضالة المؤمن . ولعل أن يفت على هذا راغب في الآخرة ، طالب ما عند الله عز وجل فينتفع به أعظم مما ينتفع به من تراجم الخلف والملوك والأمراء ، وإن كانت تلك أيضاً نافلة لمعتبر ومزدرج ، فان ذكر أئمة العدل والجور بعد موتهم فيها فضل أولئك ، وغم هؤلاء ، ليعلم الظالم أنه وإن مات لم يمت ما كان مثلثه به من الفساد والظلم ، بل هو مدون في الكتب عند العلماء . وكذلك أهل العدل والصلاح والخير ، فان الله قد قص في القرآن أخبار الملوك والفرعنة والكفار والمفسدين ، تحذيراً من أحوالهم وما كانوا يعملون ، وقص أيضاً أخبار الأتقياء والحسين والآبرار والأخيار والمؤمنين ، للاقتداء والتأسي بهم والله سبحانه أعلم . فنقول وبالله التوفيق : ﴿ أما الحسن ﴾

فهو أبو سعيد البصري الامام الفقيه المشهور ، أحد التابعين الكبار الأجلاء علماء وعلماء وإخلاصاً فروى ابن أبي الدنيا عنه قال : كان الرجل يتعبد عشرين سنة لا يشعر به جاره ، وأحدهم يصل ليلة أو بعض ليلة فيصبح وقد استطل على جاره ، وإن كان القوم ليجتمعون فيتناكرون فتجئ الرجل عبرته فيردها ما استطاع ، فان غلب قام عنهم . وقال الحسن : تنفس رجل عند عمر بن عبد العزيز فلكره عمر - أو قال : لكه - وقال : إن في هذا لفتنة . وقد ذكره ابن أبي الدنيا عن الحسن عن عمر بن الخطاب . وروى الطبراني عنه أنه قال : إن قوما ألغتهم أماني للمنفرة ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صلحة ، يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله ، وأرجو رحمة الله ، وكذب ، لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولو رجاء رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة ، يرشك من دخل المنافسة من غير زاد ولا ماء أن يهلك . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : حادوا هذه القلوب فاتها سرية القصور ، واقتنعوا هذه لأغنى فاتها تنزع إلى شراعية .

وقال ملاك بن دينار : قلت للحسن : ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا ؟ قال : موت القلب ، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة ، فسد ذلك ترحل عنه بركت العلم ويبقى عليه رصمه . وروى الفتنى عن أبيه قال : عاد الحسن عليلاً فوجده قد شفي من علته ، فقال : أيها الرجل إن الله قد ذكرك

فذكره ، وقد أفالك فاشكره ، ثم قال الحسن : إنما المرض ضربة سوط من ملك كريم ، فلما أن يكون الليل بعد المرض فرساجوآء ، وإما أن يكون حماراً عثورا معقوراً . وروى التتبي عن أبيه أيضا قال : كتب الحسن إلى فرقد :

أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علمك الله ، والاستعداد لما وعد الله ، مما لا حيلة لأحد في دفعه ، ولا ينفع النعم عند نزوله ، فاحصر عن رأسك قناع النافلين ، واتقيه من رقعة الجاهلين ، وشعر الساق ، فان الدنيا ميدان مسابقة ، والغاية الجنة أو النار ، فان لي ولك من الله مقابلاً يسألني وإياك فيه عن الحقيق والخلق ، والجليل والخلق ، ولا آمن أن يكون فيما يسألني وإياك عنه وسوس الصدور ، ولخط الميون ، وإصغاء الأسماع . وما أعجز عنه .

وروى ابن قتيبة عنه أنه مر على باب ابن هبيرة فرأى القراء - وكانوا هم الفقهاء - جلوساً على باب ابن هبيرة فقال : طفتهم فمالك ، ويضنن ثيابكم . ثم أتيتهم إلى أبوابهم تسون ؟ ثم قال لأصحابه : ما ظنكم بهؤلاء الهذلاء ؟ ليست مجالسهم من مجالس الأتقياء ، وإنما مجالسهم مجالس الشرط . وروى الخرائطي عن الحسن أنه كان إذا اشترى شيئاً وكان في ثمنه كسر جبره لصاحبه . ومر الحسن بقوم يقولون : قصص دائق أي عن الدرهم الكامل والدينار الكامل - إما أن يكون درهما ينقص نصفاً أو ربما ، والشرة تسعة ونصف ، وقس على هذا ، فكان الحسن يستحب جبران هذه الأشياء ، وإن كان اشترى السلعة بدرهم ينقص داتها كله درهما ، أو بقسعة ونصف كلها عشرة ، مروءة وكرم . وقال عبد الأعلى السمسار ، قال الحسن : يا عبد الأعلى ! أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة ؟ قلت لا والله ولا دائق واحد ، قال الحسن : إن هذه الأخلاق فاني من المروءة إذا ؟ . قال : وكان الحسن يقول : لا دين إلا بمروءة . وبلغ بنقله له فقال له المشتري : أما تحط لي شيئاً يا أبا سعيد ؟ قال لك خمسون درهما ، أزيديك ؟ قال : لا ارضيت ، قال : بارك الله لك .

وروى ابن أبي الدنيا عن حمزة الأعشى قال : ذهبت بي أمي إلى الحسن فقالت : يا أبا سعيد : ابني هذا قد أحجبت أن يترك فعل الله أن ينفعه بك ، قال : فكنت أختلف إليه ، فقال لي يوماً : يا بني أدم الحزن على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه ، وأبلك في ساعات الليل والتهار في الخلو لمل مولاك أن يطلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين ، قال : وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي ، وربما جثت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه ، فقلت له يوماً : إنك تنكثر البكاء فقال يا بني ! ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبك ؟ يا بني ! إن البكاء داع إلى الرحمة ، فان استطعت أن تكون عمرك يا كيا فاضل لعله تعالى أن يرحمك ، فإذا أنت نجوت من النار ، وقال : ما هو إلا حلول النار إما الجنة وإما النار ، ما هناك منزل ثالث . وقال : بلغنا أن الباكي من خشية الله لا يهبط من صومعه

قطرة حتى تمتق رقبته من النار . وقال : لو أن يا كيا بكى في ملأ من خشية الله لرخوا جميعا ، وليس شيء من الأعمال إلا له وزن إلا البكاء من خشية الله فإنه لا يقرم الله بالعمه منه شيئا . وقال : ما بكى عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في كتاب اليقين قال : من علامات المسلم قوة دين ، وحزم في لين ، وإيمان في يقين ، وحكم في علم ، وحسب في رفق ، وإعطاء في حق ، وقصد في غنى ، وتحمل في فاقة وإحسان في قدرة ، وطاعة معها نصيحة ، وتورع في رغبة ، وتمنع وصبر في شدة ، لارديه رغبته ، ولا يسدسه لسانه ، ولا يسبقه بصره ، ولا يقلبه فرجه ، ولا يميل به هواه ، ولا يفضحه لسانه ، ولا يستخفه حرصه ، ولا يهصر به نيته . كذا ذكر هذه الألفاظ عنه ^(١) . قال : حدثنا عبد الرحمن ابن صالح عن الحكم بن ظهير عن يحيى بن المختار عن الحسن قد كره ، وقال فيه أيضا عنه : يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يدي الله عز وجل

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن إبراهيم الشكري حدثنا موسى بن إسماعيل الجيلي حدثنا حفص بن سليمان أبو مقاتل عن عون بن أبي شداد عن الحسن قال قال لقمان لابنه : يا بني ! العمل لا يستطاع إلا باليقين ، ومن يضعف يقينه يضعف عمله . وقال : يا بني إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريب فأغلبه باليقين والنصيحة ، وإذا جاءك من قبل الكسل والسآمة فأغلبه بذكر القبر والقيامة ، وإذا جاءك من قبل الرغبة والرغبة فأكبده أن الدنيا مفارقة متروكة . وقال الحسن : ما أيقن عبد بالجنة والنار حتى يقينهما إلا خشع وذبل واستقام واقتصد حتى يأتيه الموت . وقال : باليقين طلبت الجنة ، وباليقين هربت من النار ، وباليقين أدبت الفرائض على أكل وجهها ، وباليقين أصبر على الحق وفي معافاة الله خير كثير ، قد والله رأيتهم يتماوتون في العافية ، فإذا نزل البلاء تفارقوا . وقال : الناس في العافية سواء ، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال . وفي رواية : فإذا نزل البلاء تبين من يبد الله وغيره ، وفي رواية فإذا نزل البلاء سكن المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى فقاظه .

وقال الفريابي في فضائل القرآن : حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لأعلم لهم بتأويله ، لم يأتوا الأمر من قبل أوله ، قال الله عز وجل : (كتاب أنزلناه مبارك ليبدروا آياته ولينذركم أولو الألباب) وماتدبر آياته إلا أتباعه ، أما والله ما هو بحفظ حرفه وإضاعة حدوده ، حتى أن أحدهم ليقول : قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفا واحدا ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل ، حتى أن أحدهم ليقول : والله إنني لأقرأ السورة في نفس ، لا والله ما هو إلا بالقراءة ولا بالمعاني ولا بالحكماء

ولا الورعة ، ومتى كانت القرامتعكنا أو يقول مثل هذا ، لا أكره الله في الناس مثل هؤلاء . ثم روى الحسن عن جندب قال : قال لنا حذيفة : هل تخافون من شيء ؟ قال : قلت والله إنك وأصحابك لأهون الناس عندي ، فقال : أما والذي نفسي بيده لا تؤتون إلّا من قبلنا ، ومع ذلك نشأ آخر يقرؤن القرآن يكونون في آخر هذه الأمة ينثرونه شر الثقل ، لا يجاوز تراقيهم ، تسبق قرامتهم لإعائهم .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في ذم النبية له قال : والله لغبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده . وكان يقول : ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بمبيب هوفيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك السيب فتصلحه من ضحك ، فإذا ضلّت ذلك كان ذلك شذلك في طاعة نفسك ، وأحب المباد إلى الله من كان هكنا . وقال الحسن : ليس بينك وبين الناس حمة . وقال : ليس لمبتدع غيبة . وقال أصلت بن طريف : قلت للحسن : الرجل الفاجر المعلن بفسوره ، ذكرى له بما فيه غيبة ؟ قال : لا ولا كرامة . وقال : إذا ظهر فسوره فلا غيبة له . وقال : ثلاثة لا تحرم عليك غيبتهم : الجاهر بالفسق ، والامام الجائر ، والمبتدع . وقال له رجل : إن قوما يجالسوك ليجدوا بذلك إلى الرقعة فيك سبيلا ، فقال : هون عليك يا هذا فإني أطعمت نفسي في الجنان فطعمت ، وأطعمتها في التجارة من النار فطعمت ، وأطعمتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سبيلا ، فان الناس لم يرضوا عن خالقتهم وراقتهم فكيف يرضون عن مخلوق مثله ؟ وقال : كانوا يقولون : من رعى أخاه يذنب قد طلب منه لم يمّت حتى يصيب ذلك الذنب . وقال الحسن : قال لقمان لابنه : يا بني ليالك والكذب فإنه شهي كلهم المصفور عما قليل قتلاه صاحبه . وقال الحسن : اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فإن الله عز وجل لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدق أو يكذبه ، فان سمعت قولاً حسناً فريداً بصاحب ، فان وافق قول عملاً فتمم ونعمت عين أخته وأخيه ، وإذا خالف قول عملاً فإذا يشبه عليك منه ، أم ماذا يخفى عليك منه ؟ ليالك وإياه لا يخذل عنك كما خدع ابن آدم ، وإن لك قولاً وعملاً ، فعملك أحق بك من قولك ، وإن لك سريرة وعلانية ، فسريرتك أحق بك من علانيتك ، وإن لك عجلة وعاقبة ، فضيقتك أحق بك من عاجلتك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس أنبأ عبيد بن عثمان أنبأ معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إذا شئت لقيت الرجل أبيض حديد اللسان حديد النظر ميت القلب والعمل ، أنت أبصره من نفسه ، ترى أبدأنا ولا قولاً ، وتسمع الصوت ولا أنيس ، أخشب ألسنة وأجعب قلوباً ، يأكل أحدهم من غير ماله ويبيكي على عمله ، فإذا كهضته البطنة قال : يا جارية أويأ غلام ابنتي بهائم ، وهل هضمت يا مسكين إلا دينك ؟ . وقال : من رق فوبه رق دينه ، ومن سمن جسده هزل دينه ، ومن طالب طامعه أتن كبه . وقال فيما رواه عنه الآجري : رأس مال المؤمن

دين حيث ما زال زال معه ، لا يتخلفه في الرجال ، ولا يأتين عليه الرجال . وقال في قوله تعالى :
(فلا أقسم بالنفس الواهمة) قال : لا تلقى المؤمن إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلمة كذا ، ما أردت
بأكلة كذا ، ما أردت بمجلس كذا ، وأما الفاجر فيمضي قدما قدما لا يلوم نفسه . وقال : تصبروا
وتشددوا فإنا هي ليال تسد ، وإنا أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ،
فانقلبوا بصالح ما يحضركم ، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم ، وإنا يصبر
على هذا الحق من عرف فضله وطيبته . وقال : لا يزال المبد بغير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت
الحاسبة من همته .

وقال ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس : حدثنا عبد الله حدثنا إسماعيل بن زكريا حدثنا عبد الله
ابن المبارك عن معمر بن يحيى بن المختار عن الحسن قال : المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله
عز وجل ، وإنا خف الحساب يوم القيامة على قوم حسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنا شق الحساب يوم
القيامة على أقوام أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يضجأ الشيء ويعجبه فيقول : والله
إنك لمن حاجتي وإني لأشتهيك ، ولكن والله ما من صلة إليك ، هيهات حيل بيني وبينك ، ويفرط
منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا أبداً إن شاء الله : إن المؤمنين قوم قد أوتهم
القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك قبته ، لا يأمن شيئا
حتى يلقي الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه في صممه وبصره ولسانه ، وفي جوارحه كلها . وقال : الرضا
صعب شديد ، وإنا ممول المؤمن الصبر . وقال : ابن آدم عن نفسك فكاي ، فالك إن دخلت
النار لم تحبب بعدها أبداً . وقال ابن أبي الدنيا : أنبا إسماعيل بن إبراهيم قال : سمعت حماد بن زيد يذكر
عن الحسن قال : المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس في غيرها ولا يجزع من ذلها ، للناس حال وله
حال ، الناس منه في راحة ، ونفسه منه في شغل . وقال : لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما بهلك المرء
نفسه . وقال : أدركت صدر هذه الأمة وخيارها وطال عمرى فيهم ، فو الله إنهم كانوا قوماً أحل الله
لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم ، أدركتهم عاملين بكتاب ربه ، متبعين سنة نبيه ، ما طوى
أنفهم نوا ، ولا جيل بينه وبين الأرض شيئا ، ولا أمر أهل بصنع طعام ، كان أحدهم يدخل منزله فإن
قرب إليه شيء أكل ولا سكت فلا يتكلم في ذلك . وقال إن المناق إذا صلى صلى رياء أو حياء من
الناس أو خوفاً ، وإذا صلى صلى فقرأم الدنيا ، وإن فاتته الصلاة لم ينس عليها ولم يحزنه فواتها .

وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب التبت : من جعل الحمد لله على النعم حصنا وحاجبا
وجعل أداء الزكاة على المال شيلجا وحارسا ، وجعل العلم له دليلا وسائبا ، وأمن العطب ، وبلغ أعلى
الرتب . ومن كان للمال قانعا ، وله عن الحقوق حاجبا ، وشغل وأفله عن طاعة الله كان لنفسه غلاما

ولقلبهما جنت يدها كلها ، ومنطق الله على ماله سائبا وخالسا ، ولم يأمل العطب في سائر وجوه العطب
وقيل : إن هذا خير ، والله أعلم .

وقال الحسن : أربيع من كن فيه أتى الله عليه محبته . ونشر عليه رحته : من رق لوالديه ، ورق
لملوكه ، وكفل اليتيم ، وأعان الضيف . وسئل الحسن عن التفاق فقال : هو اختلاف السر والعلاية
والمخل والمخرج ، وقال : ما خافه إلا مؤمن ، ولا آمنه إلا منافق . يعني التفاق - وحلف الحسن :
ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو بخاف التفاق ، وفي رواية : إلا وهو من التفاق مشفق ، ولا مضى
منافق ولا بقي إلا وهو من التفاق آمن . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : كيف حبك الدينار
والدرهم ؟ قال : لا أحبهما ، فكتب إليه : تول فانك تفصل . وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيت
أطول حزنا من الحسن ، وما رأيت قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة ، وقال مسعم : لو رأيت الحسن
لقلت : قد بث عليه حزن الخلائق . وقال يزيد بن حوشب : ما رأيت أحزن من الحسن وعمر بن
عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما . وقال ابن أسباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضعك ،
وأربعين سنة لم يمزح . وقال : ما سمع الخلائق بمودة يادية ، وعين بكية مثل يوم القيامة . وقال :
ابن آدم ! إنك فاطر غدا إلى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تحقر شيئا من الشر أن تتقيه ، فانك
إذا رأيت غدا في ميزانك شرك ^(١) مكانه . وقال : ذهبت الدنيا وبقيت أعمالكم فلاتد في أعناقكم
وقال : ابن آدم ! بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبسج آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا ، وهذا
مأثور عن لقمان أنه قال لولده .

وقال الحسن : نجى الرجل قد ليس الآخر والأبيض وقال : هلوا فانظروا إلى ، قال الحسن :
قد رأيته يا أفسق الناسقين فلا أهلا بك ولا سهلا ، فأما أهل الدنيا فقد اكتسبوا بنظرم إليك
مزيد حرص على دنياهم ، وجرأة على شهوات النفي في بطونهم وظهورهم . وأما أهل الآخرة فقد
كروهك ومفتوك . وقال : إثمهم وإن هملجت بهم البراذين ، وزفرت بهم البغال ، ووطئت أعقابهم
الرجال ، إن ذل الماصي لا يفارق رقابهم ، يأبى الله إلا أن يذل من عصاه .

وقال فرقد : دخلنا على الحسن قلنا : يا أبا سعيد : ألا يعبئك من محمد بن الأعمى ؟ قال : ماله ؟
قلنا : دخلنا عليه آقا وهو يجود بنفسه قال : انظروا إلى ذاك الصندوق - وأومأ إلى صندوق في
جانب بيته - قال : هذا الصندوق فيه ثمانون ألف دينار - أو قال : درهم - لم أؤد منها زكاة ، ولم
أصل منها راحا ، ولم يأكل منها [محتاج] . قلنا : يا أبا عبد الله ، فلن كنت تبيعها ؟ قال : لروعة
الزمان ، ومكاثرة الأقران ، وجفوة السلطان . قال : انظروا من أين آتاه شيطانته فغفوه روعة زمانه ،

(١) كذا بالأصل وفيه قصص يظهر بالتأمل .

ومكثرة أقرانه ، وجفوة سلطانه ؟ ثم قال : أيها الوارث : لا تخضعن كما خضع صويحبك بالأمن ،
جاءك هذا المال لم تبك فيه عين ، ولم يرق لك فيه جبين ، جاءك بمن كان له جموع متنوعة ، من
باطل جمعه ، من حق منه ، ثم قال الحسن : إن يوم القيامة لقو حشرات ، الرجل يجمع المال ثم يموت
ويدعه لغيره فيردقه الله فيه الصلاح والافتاق في وجوه البر ، فيجد ماله في ميزان غيره . وكان
الحسن يمثل بهذا البيت في أول التهار يقول :

وما الدنيا بيباقية لحي • ولا حي على الدنيا بيباق

وهذا البيت في آخر التهار :

يسر الفقى ما كان قدم من تقى • إذا عرف الداء الذى هو قاتله

ولد الحسن في خلافة عمر بن الخطاب وأتى به إليه فدعا له وحشكه . ومات بالبصرة في سنة عشر
ومائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

(محمد بن سيرين)

أبو بكر بن أبي عمرو الأنصارى ، مولى أنس بن مالك النضرى ، كان أبوه من سبي عيين التمر
أسره في جملة السبي خالد بن الوليد فاشتراه أنس ثم كاتبه . وقد ولد له من الاخيار جماعة ، محمد
هنا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ، ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ، وكلهم تابعيون قتلت أجلاء ،
رحمهم الله تعالى .

قال البخارى : ولد محمد لستين بقينا من خلافة عثمان . وقال هشام بن حسان : هو أصنق من
أدركت من البشر . وقد تقدم هنا كله فيما ذكره المؤلف .

كان ابن سيرين إذا ذكر عنده رجل يسوء ذكره بأحسن ما يعلم . وقال خلف بن هشام : كان
محمد بن سيرين قد أعطى هدياً ومعمناً وخشوعاً ، وكان الناس إذا رأوه ذكروا الله . ولما مات أنس بن
مالك أوصى أن يشله محمد بن سيرين . وكان محمد محبوساً . فقالوا له في ذلك ، فقال : أنا محبوس
فقالوا : قد استأذنا الأمير في إخراجك ، قال : إن الأمير لم يجيبنى ، إنما جيبنى من له الحق ، فأذن
له صاحب الحق فضله . وقال يونس : ماعرض ل محمد بن سيرين أمران إلا أخذ بأوقهما في دينه ،
وقال : إني لأعلم القنب الذى حملت بسببه ، إني قلت يوماً لرجل : يا مفلس ، فذكر هذا لأبي سليمان
الدارائى فقال : قلت ذنوبهم فصرفوا من أين أتوا . ومثلنا قد كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نؤتى ،
ولا بأى ذنب نؤخذ . وكان إذا دعى إلى وليمة يدخل منزله فيقول : ايتونى بشربة سويق فيشربها
ويقول : إني أكره أن أحمل جوعى إلى موائدم وطعامهم . وكان يدخل السوق نصف التهار فيكبر الله
ويسبحه ويذكره ويقول : إنها ساعة غفلة الناس ، وقال : إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له واعظاً

من قلبه يأمره وينهاه . وقال : ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتكتم خيره .
 وقال : المزلة عبادة ، وكان إذا ذكر الموت مات منه كل عضو على حدته . وفي رواية كل يتغير لونه وينكر حاله ، حتى كأنه ليس بالذي كان ، وكان إذا سئل عن الرؤيا قال للسائل : اتق الله في اليقظة ولا يفرك ما رأيت في المنام . وقال له رجل : رأيت كأنني أصب الزيت في الزيتون ، فقال : فتنش على امرأتك فانها أمك ، فتنش فانها هي أمه . وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صغيراً سيئاً مكث في بلاد الاسلام إلى أن كبر ، ثم سببت أمه فاشتراها جاهلاً أنها أمه ، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لابن سيرين فأمره أن يفتش على ذلك ، ففتش فوجد الأمر على ما ذكره . وقال له آخر : رأيت كأنني دست - أو قال وطئت - ثمرة فخرجت منها فأرة . فقال له : تنزوج امرأة - أو قال : قطاً امرأة - صالحة تدب لنا فاسقة ، فكان كما قال . وقال له آخر : رأيت كأن علي سطح بيتي حبات شعر فجاء ديك فلقطها ، فقال له : إن سرق لك شيء في هذه الأيام فأنتي . فوضوا بساطاً على سطحهم فسرق ، فجاء إليه فأخبره ، فقال : اذهب إلى مؤذن عثلك تغفنه منه ، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه . وقال له رجل : رأيت الحمام تلقط الياحمين . فقال : مات علماء البصرة . وأما رجل فقال : رأيت رجلاً عرياناً واقفاً على مزبلة ويده ملبور يضرب به ، فقال له ابن سيرين : لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا إلا للحسن البصري ، فقال : الحسن هو والله الذي رأيت . فقال : نعم ، لأن المزبلة الدنيا وقد جعلها تحت رجله ، وعريته تجرده عنها ، والطنبور يضرب به هي المواقظ التي يفرع بها أذان الناس . وقال له آخر : رأيت كأنني أستاذك وألم يسبل . فقال له : أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل لحومهم وتخرج في بابه وتأنيبه ^(١) .

وقال له آخر : رأيت كأنني أرى الثور في الحماة ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن والعلم عند غير أهله ومن لا ينتفع به . وجاءته امرأة فقالت : رأيت كأن سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ منه قطعة ، فقال لها ابن سيرين : سرق لزوجك ثلاثمائة درهم ، وستة عشر درهماً ، فقالت : صدقت من أين أخذته ؟ فقال : من هجاء حروفه وهي حساب الجمل ، فالسنة ستون ، والثلثون خمسون ، والواو ستة والراء مائتان ، وذلك ثلاثمائة وستة عشر ، وذكرت السنور أسود فقال : هو عبد في جوارحك ، فارتوا عبداً أسود كان في جوارحك وضرب فأنزله بالمال المذكور . وقال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت وأنا أفطر إليها . فقال له مؤذن أنت ؟ قال : نعم ، قال له : اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران . وقال له آخر : رأيت كأن لحيتي قد طالت حتى جزتها ونسجتها كساء وبنته في السوق . فقال له : اتق الله فانك شاهد زور . وقال له آخر : رأيت كأنني أكل أصابعي ، فقال له تأكل من عمل يديك . وقال لرجل

انظر هل ترى في المسجد أحدا ؟ فذهب فنظر ثم رجع إليه فقال : ليس في المسجد أحد ، فقال :
أليس أمرتك أن تنظر هل ترى أحداً قد يكون في المسجد من الأمراء ^(١) ؟ . وقال عن رجل ذكر له
ذلك الأسود ، ثم قال : أستغفر الله ! ما أراي إلا قد اغتبت الرجل - وكان الرجل أسود - وقال :
اشترك سبعة في قتل امرأة قتلهم عمر ، فقال لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتلها لأبنت خضراءهم .
(وهب بن منبه البجلي)

ثابتي جليل ، وله مرفقة بكتب الأوائيل ، وهو يشبه كعب الأحبار ، وله صلاح وعبادة ،
ويروى عنه أقوال حسنة وحكم ومواعظ ، وقد بسطنا ترجمته في كتابنا التكميل والله الحمد . قال
الواقدي : توفي بصنماء سنة عشر ومائة ، وقال غيره : بسدها بسنة ، وقيل بأكثر ، والله أعلم .
ويزعم بعض الناس أن قبره غربى بصرى بقرية يقال لها عصم ، ولم أجد لذلك أصلاً ، والله أعلم .
انتهى ما ذكره المؤلف .

﴿ فصل ﴾

أدرك وهب بن منبه عدة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وجابر والتميم بن بشير .
وروى عن معاذ بن جبل وأبي هريرة ، وعن طاووس . وعنه من التابعين عدة . وقال وهب : مثل
من تعلم علماً لا يعمل به كمثل طبيب معه شفاء لا يتداوى به . وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش
قال : كنت جالساً مع وهب بن منبه فأناه رجل فقال له : إني مررت بفلان وهو يشتك ، ففضب
وقال : ما وجد الشيطان رسولاً غيرك ؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشام فسلم على وهب فرد
عليه السلام ، ومد يده إليه وصالفه وأجلسه إلى جنبه . وقال ابن طاووس : سمعت وهباً يقول : ابن
آدم احتل لدينك فان رزقك سيأتيك . وقال وهب : كسى أهل النار والعري كان خيراً لهم ، وطعموا
والجوع كان خيراً لهم ، وأعطوا الحياة والموت كان خيراً لهم . وقال : قال داود عليه السلام : اللهم
أيما فقير سأل غنياً فتصام عنه ، فأساك إذا دعاك فلا تجبه ، وإذا سألك فلا تعطه . وقال : قرأت في
بعض كتب الله : ابن آدم ، لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ، ولم تعمل بما قد علمت ، فان مثلك كمثل
رجل احتطب حطباً فخرم حزمة فذهب يحملها فمجز عنها فضم إليها أخرى . وقال : إن الله ثمانية
عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد ، وما البارة في الخراب إلا كفساطط في الصحراء .

وروى الطبراني عنه أنه قال : إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في نصحك
وعملك لله ، فان العمل لا يقبل من ليس بناصح ، والنصح لله لا يكمل إلا بطاعة الله ، كمثل النخلة
الطيبة ريحها وطعمها ، كذلك مثل طاعة الله ، النصح ريحها ، والعمل طعمها ، ثم زين طاعتك بالحلم

والعقل ، والفتة والعمل ، ثم أكبر فضلك عن أخلاق السفهاء وعبيد الدنيا ، وعبدها على أخلاق
 الأنبياء والمعلماء العاملين ، وعودها فعل الحكماء ، وامتنعها عمل الأشقياء ، وأزمتها سيرة الأتقياء ،
 واعز بها عن سبيل الخبيثاء ، وما كان لك من فضل فأعنه به من دونك ، وما كان فيمن دونك من
 نقص فأعنه عليه حتى يبلغه ، فإن الحكيم من جمع فوائده وعاد بها على من دونه ، وينظر في نقائص
 من دونه فيقومها ويرجوها حتى يبلغه ، إن كان قديها حل من لائقه له إذا رأى أنه يريد محابته ومعرفته
 وإذا كان له مال أعطى منه من لا مال له ، وإذا كان مصلحا استغفر للمذنب ورجا توبته ، وإذا
 كان محسنا أحسن إلى من أساء إليه واستوجب بذلك أجره ، ولا يفترب بالقول حتى يحسن منه الفعل ،
 فإذا أحسن الفعل نظر إلى فضل الله وإحسانه إليه ، ولا يتمنى الفعل حتى يفضله ، فإذا بلغ من طاعة
 الله مبلغا حمد الله على ما بلغ منها ثم طلب ما لم يبلغ منها ، وإذا ذكر خطيئة سترها عن الناس
 واستغفر الله الذي هو قادر على أن يغفرها ، وإذا علم من الحكمة شيئا لم يشبهه بل يطلب ما لم يبلغ
 منها ، ثم لا يستعين بشيء من الكذب ، فإن الكذب كالأكل في الجسد تكاد تأكله ، أو كالأكل
 في الخشب ، يرى ظهورها حسنا وجوفها نخر تفر من يراها حتى تنكسر على ما فيها وتهلك من اغتر بها .
 وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يفتربه ، يظن أنه معينه على حاجته ورائد له في رغبته ،
 حتى يعرف ذلك منه ، ويتبين لذوى العقول غروره ، فتنسبط الفقهاء ما كان يستخفي به عنه ،
 فإذا اطلعو على ذلك من أمره وتبين لهم ، كذبوا خبره ، وأبأوا شهادته ، واتهموا صدقه ، وحرقوا
 شأنه ، وأبفضوا مجلسه ، واستخفوا منه بسر أزمه ، وكذبوا حديثهم ، وصرفوا عنه أمانيهم ، وغيبوا
 عنه أمرهم ، وحذروه على دينهم ومعيشتهم ، ولم يحضروه شيئا من محاضرتهم ، ولم يأمنوه على شيء
 من سرهم ، ولم يحكوه فيما شجر بينهم .

وروى عبد النعمن بن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال لقمان لابنه : إن مثل أهل الذكر
 والنفلة كمثل النور والظلمة . وقال : قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات : من قرأ كتاب الله فظن
 أنه لا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله ، ومن شكك مصيبة نزلت به فأتى يشكرو به عز وجل ،
 ومن أسف على ما فاتته من الدنيا سخط قضاء ربه عز وجل ، ومن تضعضع لفتى ذهب ثلث دينه .
 وقال وهب : قرأت في التوراة : أيما دار بنيت بقوة الضعفاء جعلت عاقبتها إلى الخراب ، وأيما مال
 جمع من غير حله أسرع للفقير إلى أهله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا معمر عن محمد بن عمرو قال : سمعت وهب بن منبه يقول :
 وجدت في بعض الكتب : يقول الله تعالى : إذا أطلعني عبيدي استجبت له من قبل أن يدعوني ،
 وأعطيتهم من قبل أن يسألني ، وإن عبيدي إذا أطلعني لو أن أهل السموات وأهل الأرض أجلبوا

عليه جعلت له المخرج من ذلك ، وإن عبدى إذا عصاني قطعت يديه من أبواب السماء ، وجعلته في الهواء فلا يمنع من شئ أراد من خلقى . وقال ابن المبارك أيضا : حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى في يعقوب به أخبار بنى إسرائيل : تقفون لنير الدين ، وتعلمون لنير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلود الضأن ، وتحملون نفس القناب ، وتتغنون الغناء من شرابكم ، وتبذلون أمثال الجبال من الحرام ، وتتفنون الدين على الناس أمثال الجبال ، ثم لا تعينونهم برفع الخناصر ، تطيئون الصلاة وتبيضون الثياب ، تنتقصون بذلك مال القيم والأرامل ، فبمزي حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن محمد الصنعاني حدثنا همام بن مسلة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن مقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله ليس بمحمد أحداً على طاعة ، ولا ينال أحد من الله خيراً إلا برحمته ، وليس يرجو الله خير الناس ولا يخاف شرم ، ولا يعطف الله على الناس إلا برحمته إليهم ، إن مكروا به أباد مكرم ، وإن خادعوه رد عليهم خداعهم ، وإن كاذبوه كذب بهم ، وإن أدبروا قطع دأبرهم ، وإن أقبلوا قبل منهم ولا يقبل منهم شيئاً من حيلة ، ولا مكر ولا خداع ولا سخط ولا مشادة ، وإتما يأتي بالخير من الله تعالى رحمة ، ومن لم ينتفع الخير من قبل رحمة لا يجد باباً غير ذلك يستل منه ، فإن الله تعالى لا ينال الخير منه إلا بطاعته ، ولا يعطف الله على الناس شئ إلا تبسّم لهم ، وتضرعهم إليه حتى يرجوهم ، فإذا رجهم استخرجت رحمة منه حاجتهم ، وليس ينال الخير من الله من وجه غير ذلك ، وليس إلى رحمة الله سبيل تؤتى من قبله إلا تعبد العباد له وتضرعهم إليه ، فإن رحمة الله عز وجل باب كل خير ينتنى من قبله ، وإن مفتاح ذلك الباب التضرع إلى الله عز وجل والتعبد له ، فمن ترك المفتاح لم يفتح له ، ومن جاء بالمفتاح فتح له به ، وكيف يفتح الباب بغير مفتاح ، والله خزائن الخير كله ، وباب خزائن الله رحمة ، ومفتاح رحمة الله التذلّل والتضرع والافتقار إلى الله ، فمن حفظ ذلك المفتاح فتحت له الخزائن ودخل ، فله فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وفيها ما تشاؤون وماتدعون في مقام أمين ، لا يحولون عنه ولا يخافون ولا ينصبون ولا يهرمون ولا يفترون ولا يموتون ، في نسيم مقبم ، وأجر عظيم ، وثواب كريم ، نزال من غفور رحيم . وقال سفيان بن عيينة : قال وهب : أعون الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا ، وأسرعها رداً اتباع الهوى وحب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف تنهك الحرام ، ومن انتهك الحرام ينضب الرب ، وغضب الله ليس له دواء . وقال : يقول الله تعالى في بعض كتبه يستب به بنى إسرائيل : إني إذا أطعت رضيته ، وإذا رضيت باركت ، وليس لبركتي نهاية ، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ، وإن العنة مني تبلغ السابع من الولد . وقال : كان في بنى إسرائيل رجل

عصى الله عز وجل ما تبي سنة ، ثم مات فأخذوا برجله فالتوه على مزبلة ، فأوحى الله إلى موسى : أن صل عليه ، فقال : يارب إن بنى إسرائيل شهدوا أنه قد عصاك مائتي سنة ، قال الله له : نعم هكنا كن ، إلا أنه كان كلنا نشر التوراة ورأى أسم محمد ﷺ قبله ووضه على عينه وصلى عليه ، فشكرت ذلك له فغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراء . كذا روى وفيه علل ، ولا يصح مثله ، وفي إسناده غرابة وفي متنه فكلرة شديدة . وروى ابن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال موسى : يارب اجلس عني كلام الناس ، فقال الله له : يا موسى ما فعلت هذا بنفسى ، وقال لما دعى يوسف إلى الملك وقف بالباب وقال : حسبي ديني من دنياى ، حسبي ربى من خلقه ، عز جارك وجل ثأؤك ، ولا إله غيرك ثم دخل على الملك ، فلما نظر إليه الملك نزل عن سريرته وخر له ساجداً ثم أقامه الملك معه على السرير ، وقال : (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فقال : (اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ عليم) حفيظ بهمة السنين وما استودعتنى فيها ، عليم بلغة من يأتينى .

وقال الأمام أحمد : حدثنا مندر بن النعمان الأظلس أنه سمع وهبا يقول : لما أمر الله المحوت أن لا يضروه ولا يكلمه - يعنى يونس - قال : (فلو لا أنه كان من المسيحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) قال : من العابدين قبل ذلك ، فذكره الله بعبادته المتقدمة ، فلما خرج من البحر نام فأثبت الله شجرة من يقطين - وهو الدباء - فلما رآها قد أظلمت ورأى خضرتها فأعجبته ، ثم نام فاستيقظ فإذا هى قد يبست ، فجعل يتحزن عليها ، فقيل له : أنت لم تخلق ولم تسق ولم تثبت وتحزن عليها ، وأنا الذى خلقت مائة ألف من النار أوزيريدون ثم رحمتهم فشق ذلك عليك .

وقال الأمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد النسائي حدثنا رباح حدثني عبد الملك بن عبد الحميد ابن خشك عن وهب قال : لما أمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين ، قال : يارب كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالمنق والدئب ؟ وكيف أصنع بالحمام والهر ؟ قال : من ألقى بينهم العداوة ؟ قال : أنت يارب ، قال : فاقى أولف بينهم حتى لا يتضرروا .

وقال وهب لعطاء الخراساني : ويحك يعطاء ، ألم أخبر أنك تحمل علك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ، وأبواب الأمراء ؟ ويحك يعطاء ، أنأتى من يلقى عنك باب ، ويظهر لك قهره ، ويوارى عنك غناه ، وتترك باب من يقول : (ادعوتى أستجب لكم) ؟ ويحك يعطاء ، إن كان يفتيك ما يفتيك فأوحى ما فى الدنيا يفتيك ، وإن كان لا يفتيك ما يفتيك فليس فى الدنيا شئ يكتيك ، ويحك يعطاء ، إنما بطنك بحر من البحور ، وواد من الأودية ، لا يعلوه شئ إلا التراب . وسئل وهب عن رجلين يصليان ، أحدهما أطول فتوتا وصمتا ، والآخر أطول سجودا ، فأيهما أفضل ؟ قال : أنصحهما الله عز وجل . وقال : من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره القم ، أى

يجب أن يحمد على ما لم يفعل ، ويكره أن ينم بما فيه . قال : وقال لقمان لابنه : يا بني اعقل عن الله فان أعقل الناس من عقل عن الله ، وإن الشيطان ليفر من العقول ما يستطيع أن يكايده . وقال لرجل من جلسائه : ألا أعلمك طبعاً لا يتمايأ فيه الأطباء ، وقها لا يتمايأ فيه الفقهاء ، وحلما لا يتمايأ فيه العلماء ، قال : بلى يا أبا عبد الله ، قال : أما الطب فلا تأكل طعاماً إلا سميت الله على أوله وحمدته على آخره ، وأما الفقه فان سئلت عن شيء عنك فيه علم فأخبر بما تعلم وإلا قتل : لا أدري ، وأما الحلم فان كثرت الصمت إلا أن تسأل عن شيء . وقال : إذا كان في الصبي خلقتان ، الحياء والرغبة ، طمع في رشد .

وقال : لما بلغ ذو القرنين مطامع الشمس قال له ملك هناك : صف لي الناس ، فقال محادثتك من لا يعقل كن يفتي الموتى ، ومحادثتك من لا يعقل كن يبل الصخر الأصم كي يلين ، ولكن يطبخ الحديد يلتس أدمه ، ومحادثتك من لا يعقل كن يضع المائدة لأهل القبور ، ونقل الحجارة من رؤس الجبال أيسر من محادثة من لا يعقل . وقال : قرأت في بعض الكتب أن منادياً ينادى من السماء الرابعة كل صباح : أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده ، أبناء الحسين ما ذا قدمت ؟ أبناء الستين لا عذر لكم ، ليت اخلق لم يخلقوا ، ولينهم إذ خلقوا علوا ماذا خلقوا ، قد أتتكم الساعة غفدوا حنركم . وقال : قال دانيال : يلقى على زمن يلتس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد ، إلا كالسنبلة في أثر الحاصد ، أو كالقطعة في أثر القاطف ، يشك نوايح أولئك وبراكهم أن تبكيهم . وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن مقل . قال : سمعت وهبا يقول في قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) قال : إنما يوزن من الأعمال خواتمها ، وإذا أراد الله بعبد خيراً ختم له بخير عمله ، وإذا أراد الله بعبد شراً ختم له بشر عمله . وقال وهب : إن الله تعالى لما فرغ من الخلق نظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض فقال : أنا الله لا إله إلا أنا الذي خلقتكم وأفنيكم بحكمي حق قضائي وناقد أمري ، أنا أعيدكم كما خلقتكم ، وأفنيكم حتى أبقي وحدي ، فان الملك والخلود لا ينجي إلا لي ، أدعو خلقي وأجمعهم بقضائي ، يوم أحشر أعدائي ، ونجل القلوب من هيبتي ، وتبرأ الآلة من عبدها دوتى .

قال : وذكر وهب أن الله لما فرغ من خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله وذكر عصمته وجبروته وكبريائه ، وسلطانه وقدرته وملكوته وروبيته ، فأنصت كل شيء وأطرق له ، فقال : أنا الملك لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو العرش المجيد والأمثال العلاء ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو الطول والمن والآلاء والكبرياء ، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ، ملأت كل شيء عظمي ، وقهر كل شيء ملكي ، وأحاطت بكل شيء قدرتي ، وأحصي كل شيء علمي ، ووسعت كل شيء رحمتي ، وبلغ كل شيء لعفي ، فأن الله يا معشر الخلق

فاعرفوا مكاني ، فليس شئ في السموات والأرضين إلا أنا ، وخلقى كلهم لا يقوم ولا يندوم إلا بي ، ويتقلب في قبضي ، ويدبش برزقي ، وحياته وموته وبقاؤه وفناؤه بيدي ، فليس له محيص ولا ملجأ غيري ، لو تخليت عنه طرفة عين لدمر كله ، وكنت أنا على حالي لا ينقصني ذلك شيئاً ، ولا ينقص ذلك ملكي شيئاً ، وأنا مستغن بالمرز كله في جبروتي وملكى ، وبرهان نوري ، وشديد بطشى ، وعلو مكاني ، وعظمة شأني ، فلا شئ مثلي ، ولا إله غيري ، وليس ينبغي لشيء خلقته أن يعدل بي ولا ينكرني ، وكيف ينكرني من خلقته يوم خلقته على معرفتي ؟ ، أم كيف يكابرني من قهر قهره ملكي ؟ أم كيف يعجزني من ناصيته بيدي ؟ أم كيف يعدل بي من أعزّه وأسلم جسمه وأنقص عقله وأتوفى نفسه وأخلقه وأهرمه فلا يمنع مني ؟ أم كيف يستنكف عن عبادتي عبدي وابن عبدي وابن أمتي ، ومن لا ينسب إلى خالق ولا وارث غيري ؟ أم كيف يسب دوتي من خلقه الأيام ، ويقتل أجله اختلاف الليل والنهار ؟ وهما شعبة بيزرة من سلطاني ؟ فإني إلى يا أهل الموت والفناء ، لا إلى غيري ، فإني كتبت الرحمة على نفسي وقضيت العفو والمغفرة لمن استغفروني ، أغفر الذنوب جميعاً ، صغبرها وكبرها لمن استغفروني ، ولا يكبر ذلك علي ولا يتماطلني ، فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تقنطوا من رحمتي ، فإن رحمتي سبقت غضبي ، وخزائن الخير كلها بيدي ، ولم أخلق شيئاً مما خلقت لحاجة كانت مني إليه ، ولكن لأبين به قدرتي ، ولينظر الناظرون في ملكي ، ويتدبروا حكمتي ، وليسبحوا بحمدي ويعبدوني لا يشركوا بي شيئاً ، ولتغنوا الوجوه كلها إلى .

وقال أشرس عن وهب قال قال داود : إلهي أين أجذك ؟ قال عند المنكسرة قلوبهم من مخافتك . وقال كان رجل من بني إسرائيل صام سبعين أسبوعاً يفطر في كل أسبوع يوماً وهو يسأل الله أن يريه كيف يغوى الشيطان الناس ، فلما أن طال ذلك عليه ولم يجب ، قال في نفسه : لو أقبلت على خطيئتي وعلى ذنوبي وما بيني وبين ربي لكان خيراً من هذا الأمر الذي أطلب ، ثم أقبل على نفسه فقال : يا نفس من قبلك أتيت ، لو علم الله فيك خيراً لتغنى حاجتك . فأرسل الله ملكاً إلى نبيهم : أن قل لفلان العابد : إزراؤك على نفسك وكلامك الذي تكلمت به ، أعجب إلى مما مضى من عبادتك ، وقد أجاب الله سؤالك ، وفتح بصرك فانظر الآن ، فنظر فإذا أحبولة لابليس قد أحاطت بالأرض ، وإذا ليس أحد من بني آدم إلا أحوله شياطين مثل القباب ، فقال : إى رب ، ومن ينجو من هؤلاء ؟ قال صاحب القلب الواضع الآن .

وقال وهب : كان رجل من الساميين أتى على أرض فيها قتاة فدعته نفسه إلى أخذ شئ منه ، فأتىها فقام مكانه يصل ثلاثة أيام ، فمر به رجل وقد لوحته الشمس والريح ، فلما نظر إليه قال :

سبحان الله !! لكأنما أحرق هذا الانسان بالنار ، قال السامع : هكنا بلغ منى ما ترى خوف النار ، فكيف في لو قد دخلتها ؟

وقال : كان رجل من الأولين أصلب ذنباً فقال : لله على أن لا يظلى سقف بيت أبداً حتى تأتيني براءة من النار ، فكان بالصحراء في الحر والقر ، فرب به رجل فرأى شدة حاله فقال : يا عبد الله ما بلغ بك ما أرى ؟ فقال : بلغ ما ترى ذكر جهنم ، فكيف في إذا أنا وقعت فيها ؟ . وقال : لا يكون البطال من الحكماء أبداً ، ولا يرث الزناة من ملكوت السماء . وقال وهب في موعظته : اليوم يعظ السعيد ، ويستكثر من منافقه اليبس ، يا ابن آدم إنما جمعت من منافع هذا اليوم لدفع ضرر الجلالة عنك ، وإما أوقعت فيه مصاييح الهدى لتنبه لحزبك ، فلم أر كالיום ضل مع نوره متعير داع لمدواة سليم ، يا ابن آدم ! إنه لا أقوى من خالق ، ولا أضف من مخلوق ، ولا أفدر من طلبته في يده ، ولا أضف ممن هو في يد طالبه ، يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك ، وأنعم عندك ما سينهب ، فإما الجزع مما لا بد منه ؟ وما الطمع فيما لا يرتجى ؟ وما الحيلة في بقاء ما سينهب ؟ يا ابن آدم أقصر عن طلب ما لا تدرك ، وعن تناول ما لا تتله ، وعن ابتناء ما لا يوجد ، واقطع الرجاء عنك كما قصت به عنك الأشياء ، واعلم أنه رُبّ مطلوب هو شر لطالبه ، يا ابن آدم إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخلق منها ، يا ابن آدم أى أيام الدهر ترتجى ؟ يوم يجيى في غم أو يوم تستأخر عاقبته عن أوان مجيئه ؟ فانظر إلى الدهر نجمه ثلاثة أيام ، يوم مضى لا ترجوه ، ويوم لا بد منه ، ويوم يجيى لا تأمنه ، فأمس شاهد عليك مقبول ، وأمين مؤد ، وحكيم مؤدب ، قد فجعت بنفسه ، وخلف فيك حكمته . واليوم صديق مودع ، كان طويل القيبة عنك ، وهو سريع الظن إياك ولم يأت ، وقد مضى قبله شاهد عدل ، فان كان ما فيه لك فاشفعه بمثله أوثق لك بإجتماع شهادتهما عليك . يا ابن آدم إنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عقد رحلهم إلا في غيرها ، وإما يقبلون بالعوارى فما أحسنه - يعنى الشكر - للنعيم والتسليم للعاد ، يا ابن آدم إنما الشئ من مثله وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد ذهاب أصله ؟ ! إنما يقر الفرع بعد الأصل . يا ابن آدم إنه لا أعظم رزية في عقله ممن ضيع اليقين وأخطأ العمل . أيها الناس ! إنما البقاء بعد الفناء ، وقد خلقنا ولم نكن ، وسنبلى ثم نمود ، ألا وإما العوارى اليوم والهنات غداً ، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش ، أو عطاء جزيل ، فأصلحوا ما تقدمون عليه بما تظنون عنه . أيها الناس !! إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تقتضى فيه المنال ، وإن ما أنتم فيه من دنياكم تهب للمصائب ، لا تتألون فيها نفمة إلا بفراق الأخرى ، ولا يستقبل منكم معمر يوماً من عمره إلا بهم آخر من أجله ، ولا يتخذ له زيادة في ماله إلا بتفاد ما قبله من رزقه ، ولا يجيى له أثر إلا مات له أثر . نسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن مروان عن وهب بن منبه . عن الطريق ولم تستقم ^(١) لساقتها ، وإن قدر ساقها حزنتم ، ولم تتبع قائدها : فإذا اجتمعما استقامتا طوعاً أو كرهاً ، ولا تستطيع الدين إلا بالطوع والكره ، وإن كان كلما كره الإنسان شيئاً من دينه تركه ، أوشك أن لا يبقى معه من دينه شيء . وقال وهب : إن من حكمة الله عز وجل أنه خلق الخلق مختلفاً خلقه ومقاديره ، فنه خلق يدوم مادامت الدنيا ، لا تنتقصه الأيام ولا تهزمه وتبليه ويموت ، ومنه خلق لا يطعم ولا يرزق ، ومنه خلق يطعم ويرزق ، خلقه الله وخلق معه رزقه ، ثم خلق الله من ذلك خلقاً في البر وخلقاً في البحر ، ثم جعل رزق ما خلق في البحر وفي البر ، ولا ينفع رزق دواب البر دواب البحر ، ولا رزق دواب البحر دواب البر ، لو خرج مائي البحر إلى البر هلك ، ولو دخل مائي البر إلى البحر هلك ، ففي ذلك بمن خلق الله في البر والبحر عبرة لمن أهتمه قسمة الأرزاق والمعيشة فليعتبر ابن آدم فيما قسم الله من الأرزاق ، فإنه لا يكون فيها شيء إلا كما قسمه سبحانه بين خلقه ، لا يستطيع أحد أن يغيرها ولا أن يخلطها ، كما لا يستطيع دواب البر أن تمشي بأرزاق دواب البحر ، ولا دواب البحر بأرزاق دواب البر ، ولو اضطرت إليه هلكت كلها ، فإذا استقرت كل دابة منها فيما رزقت أصلحها ذلك وأحيها ، وكذلك ابن آدم إذا استقر وقنع بما قسم الله له من رزقه أحيها ذلك وأصلحها ، فإذا تعاطى رزق غيره قصه ذلك وضره وقضيه .

وقال لمطاء انخراساني : كان العلماء قبلكم قد استغنوا بعلومهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لا يلتفتون إلى أهل الدنيا ، ولا إلى مافي أيديهم ، فكان أهل الدنيا يبتلون إليهم دنياهم رغبة في علمهم ، فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبتلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في الدنيا ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء وضعه عندهم ، فأياك يا عطاء وأبواب السلطان فإن عند أبوابهم فتناً كبيراً لا بل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله .

وقال إبراهيم الجنيدي : حدثنا عبد الله بن أبي بكر المديني حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعاني قال : سمعت وهب بن منبه يقول : لقي عالم علماً هو فوقه في العلم ، فقال : كيف صلاتك ؟ قال : ما أحسب أحداً سمع بذكر الجنة والنار يأتي عليه ساعة لا يصلي فيها ، قال : فكيف ذكرك للموت ؟ قال : ما أرفع قدماً ولا أضع أخرى إلا رأيت أني ميت . قال : فكيف صلاتك أنت أيها الرجل ؟ قال : إني لأصلي وأبكي حتى يفتت المشب من دموعي ، فقال العالم : أما إنك إن تضلكت وأنت معترف بخطيئتك خير لك من أن تبكي وأنت مدلل بملوك ، فإن المدلل لا يرفع له عمل قال : أوصني فاني أراك حكيماً ، فقال أزهدي في الدنيا ولا تتنازع أهلها فيها ، وإن فيها كالنخلة ، إن

أكلت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن وقعت على عدو لم تنكسره ، وانصح لله
 نصح الكلب لأهله ، فاتهم بجميعة ويطردونه ويضربونه وهو يأبى إلا أن يحوطهم ويحفظهم ،
 وينصح لهم . فكان وهب إذا ذكر هذا الحديث قال : واسوأناه إذا كان للكلب أنصح لأهله
 منك يا ابن آدم لله عز وجل . وفي رواية أنه قال : إني لأصلي حتى ترم قمعاى ، فقال له : إنك إن
 تبت "قائما" ، وتصبح نادما ، خير لك من أن تبيت قائما وتصبح معجبا ، إلى آخره . وروى سفيان
 عن رجل من أهل صنعاء عن وهب فقد ذكر الحديث كما تقدم .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا الصلت بن عاصم المرادي
 عن أبيه عن وهب قال : لما أهبط آدم من الجنة استوحش لفقده أصوات الملائكة ، فبهط عليه جبريل
 فقال : يا آدم ألا أعلمك شيئا تنتفع به في الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى . قال قل : اللهم تم لي النعمة
 حتى تهينني المعيشة ، اللهم اختم لي بخير حتى لا تضربني ذنوبي ، اللهم اكتم مؤنة الدنيا وكل هول
 في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية

وقال عبد الرزاق : حدثني بكار بن عبد الله عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب فوجدت
 الله تعالى يقول : يا ابن آدم ما أنصفتني ، تذكرني وتنساني ، وتدعو إلى وفءي مني ، خيرى إليك
 نازل ، وشرك إلى صاعد ، ولا يزال ملك كريم قد نزل إليك من أملاك ، يا ابن آدم إن أحب ماتكون
 إلى وأقرب ماتكون مني إذا رضيت بما قدمت لك ، وأبغض ماتكون إلى ، وأبعد ما تكون مني إذا
 سخطت بما قدمت لك . يا ابن آدم أطلقني فبا أمرتك ، ولا تملني بما يصلحك ، إني عالم بخلقى ، وأنا
 أعلم بمحاجتك التي ترفضك من نفسك ، إني إنما أكرم من أكرمني ، وأهين من هان عليه أمرى ،
 لست بناظر في حق عبدى حتى ينظر العبد في حقى . وقال وهب : قرأت نيفا وتسعين كتابا من كتب
 الله تعالى فوجدت في جميعها : أن من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة قد كفر . وقال : لا يسكن ابن
 آدم ، إن الله هو قسم الأرزاق متفاضلة ومختلفة ، فان هلك ابن آدم شيئا من رزقه فليزدد إلى الله
 رغبة ، ولا يقول : لو أطلع الله على هذا من حالى ، أو شعر به غيره ؟ فكيف لا يطلع على شيء الذى
 خلقه وقدره ؟ أو يمتدح ابن آدم في غير ذلك مما يتفاضل فيه الناس ، كأن الله فاضل بينهم في
 الأجسام والأموال والألوان والبقول والأحلام ، فلا يكبر على ابن آدم أن يفضل عليه في الرزق
 والمعيشة ، ولا يكبر عليه أن يفضل عليه في الحلم والعلم والعقل والدين ، أولا يعلم ابن آدم أن الذى
 رزقه في ثلاثة أزمان من عمره لم يكن له في واحد منها كسب ولا حيلة ، أنه سوف يرزقه في الزمن
 الرابع . أول زمان من أزمانه حين كان في بطن أمه ، يخلق فيه ويرزق من غير مال كسبه ، وهو
 في قرار مكين ، لا يؤذي فيه حر ولا برد ، ولا شيء ولا تم ولا حزن ، وليس له هناك يد تبطش ،

ولا رجل تسمى ، ولا لسان ينطق . فساق الله عز وجل إليه رزقه هناك على أتم الوجوه وأنهاها وأمرها ، ثم إن الله عز وجل أراد أن يحوله من تلك المنزلة إلى غيرها . ويحدث له في الزمن الثاني رزقا من أمه يكنه ويفنيه ، من غير حول منه ولا قوة ، ولا بطش ولا سعي ، بل تفضلا من الله وجوداً ، ورزقا أجراه وساقه إليه ، ثم أراد الله سبحانه أن ينقله من الزمن الثاني إلى الزمن الثالث من ذلك الابن إلى رزق يحدته له من كسب أبويه ، بأن يجعل له الزحمة في قلبهما حتى يؤثر على نفسيهما بكسبهما ، وينفياه ويقنيه بأطيب ما يقدران عليه من الأغذية ، وهو لا يميئهما على شيء من ذلك بكسب ولا حيلة ، حتى إذا عقل حدث نفسه بأنه إنما يرزق بحيلته ومكسبه وسعيه ، ثم يدخل عليه في الزمن الرابع إساءة الظن بربه عز وجل ، فيضيق أوامر الله في طلب الماش وزيادة المال وكثرته ، وينظر إلى أبناء الجنس وما عليه من التنافس في طلب الدنيا ، فيكسب بذلك ضعف اليقين والإيمان ، ويمتلئ قلبه قهراً وخوفاً منه مع المتاع ، ويتنلى بموت القلب وعدم العقل ، ولو نظر ابن آدم نظر معرفة وعقل لعم أنه لن يفنيه في الزمن الرابع إلا من أغناه ورزقه في الأزمان الثلاثة قبل ، فلا مقال له ولا منكرة مما سطر عليه في الزمان الرابع إلا برحمة الله ، فإن ابن آدم كثير الشك يقصر به حكمه وعلمه عن علم الله والتفكر في أمره ، ولو تفكر حتى يفهم ، وتفهم حتى يعلم ، علم أن علامة الله التي بها يعرف ، خلقه الذي خلق ، ثم رزقه لما خلق ، وقدره لما قدر .

وقال عطاء الخراساني : لقيت وهباً في الطريق فقالت : حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقام هذا وأوجز . قال : أوصى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : يادود ، أما وعزتي وعظمتي لا ينصرف بي عبد من عبادي دون خلقي أعلم ذلك من نيتي ، فتكيد السموات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، إلا جعلت له منهن فرجاً ومخرجاً ، أما وعزتي وجلالي لا ينضم عبد من عبادي بخلق دوني أعلم ذلك من نيتي ، إلا قطعت أسباب السموات من يده ، وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أي واد هلك .

وقال أبو بلال الأشعري عن أبي هشام الصنعاني قال : حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : كفايتي لعبد مالا ، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيته قبل أن يسألني ، واستجيب له من قبل أن يدعوني ، فإني أعلم بحاجته التي تفرق به من نفسه . وقال : قرأت في بعض الكتب أن الشيطان لم يكابد شيئا أشد عليه من مؤمن عاقل لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً فلا بصيرة فهو أهمل على الشيطان من الجبال الصم ، إنه لا يزال المؤمن الماثل فلا يستطيعه ، فيتحول عنه إلى الجاهل فيستأمره ويتمكن من قياده . وقال : قام موسى عليه السلام فلما رآته بنو إسرائيل قاموا ، فقال : على مكانكم ، ثم ذهب إلى الطور فإذا هو بنهر أبيض

فيه مثل رؤس الكتبتين كنفور عنفوف بالراحين ، فلما رآه أعجبه فدخل عليه فاغتسل وغسل ثوبه ، ثم خرج وجفف ثوبه ، ثم رجع إلى الماء فاستنضح فيه إلى أن جف ثوبه ، فلبسه ثم أخذ نحو الكتيب الآخر الذي فوق الطور ، فإذا هو برجلين يحفران قبراً ، همام عليهما قال : ألا أعينكما ؟ فلا : بل قتل فخر ، قال لهما : لتحدثاني مثل من الرجل ؟ قتالا : على طولك وهيثك ، فاضطجع فيه لينظروا فالتأمت عليه الأرض ، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرخم ، فأصمها الله وأبكمها . وقال : يقول الله عز وجل : لولا أني كتبت التثنية على الميت لحبس الناس في بيوتهم ، ولولا أني كتبت الفساد على اللحم لحرمه الأغنياء على الفقراء .

وقال : مرأى عابد راهب قال له : منذ كم أنت في هذه الصومعة ؟ قال : منذ ستين سنة ، قال : وكيف صبرت فيها ستين سنة ؟ قال : مران الزمان يمر ، وإن الدنيا تمر ، ثم قال له : يا راهب كيف ذكرك للموت ؟ قال : ما أحسب عبداً يعرف الله تأتي عليه ساعة إلا يذكر الموت فيها ، وما أرفع قعباً إلا وأنا أظن أن لا أضمه حتى أموت ، وما أضع قعباً إلا وأنا أظن أن لا أرضها حتى أموت ، فجعل العابد يبكي ، فقال له الراهب : هذا بكواؤك إذا خلوت ؟ - أو قال : كيف أنت إذا خلوت ؟ - فقال العابد : إني لأبكي عند إفطارى فأشرب شرابي بدموعي ، ويصرعني النوم فأبلى متاعى بدموعي ، فقال له الراهب : إنك إن تضحك وأنت معترف بذنبك خير لك من أن تبكي وأنت مدلل على الله بملك . فقال : أوصني بوصية ، قال : كن في الدنيا بمنزلة النحلة ، إن أكلت أكلت طيباً ، وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن سقطت على شيء لم تضره ، ولا تكن في الدنيا بمنزلة الحمار إنما منه أن يشبع ثم يرمى بنفسه في التراب ، وانصح لله فنصح الكلب لأهله ، فأنهم يجمعونه ويطردونه ، وهو يأبى إلا أن يجرسهم ويحفظهم . قال أبو عبد الرحمن أشرس : وكان طالوس إذا ذكر هذا الحديث بكى وقال : عز علينا أن تكون الكلاب أنصح لأهلها منا أولادنا عز وجل . وقد تقدم نحو هذا المتن .

وقال وهب : تخلى راهب في صومته في زمن المسيح : فأراد إبليس أن يكيده فلم يقدر عليه ، فأناه بكل مراد فلم يقدر عليه ، فأناه مقشياً بالمسيح فناداه : أيها الراهب اشرف على أملك فأنا المسيح ، فقال : إن كنت المسيح فإلى إليك من حاجة ، أليس قد أمرتنا بالعبادة ؟ ووعدتنا القيامة ؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لي فيك . قال : فذهب عنه الشيطان خائساً وهو حسير ، فلم يمد إليه . ومن طريق أخرى عنه قال : أتى إبليس راهباً في صومته فاستفتح عليه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا المسيح ، فقال الراهب : والله لئن كنت إبليس لأخون بك ، ولئن كنت المسيح فاعسى أن أصنع بك اليوم شيئاً ، لقد بلغت رسالة ربك عز وجل قبلناها عنك ، وشرعت لنا الدين

فخن عليه ، فذهب فلست جئت لك فقال : صدقت ، أنا إبليس ولا أريد إضلالك بعد اليوم أبداً
فسلني عما بدا لك أخبرك به . قال : وأنت صادق ؟ قال : لا تسألني عن شيء إلا صدقت فيه . قال :
فأخبرني أي أخلاق بني آدم أوثق في أعينكم أن تضلوا به ؟ قال ثلاثة أشياء : الجدة ، والشح ، والشكر .
وقال وهب : قال موسى : يارب أي عبادك ^(١) قال : من لا تنفخ موعظة ، ولا يذكرك إذا خلا ،
قال : إلهي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه ؟ قال : يا موسى أظله يوم القيامة بظل عرشي ،
وأجعله في كنفي . وقال وهب : لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له : رحلك الله ما هذا البناء الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : ما سترك من الشمس ، وأكنك من النيث . قال : فما هذا الطعام الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع من غير تكلف . قال : فما هذا اللباس الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما ستر العورة ومنع الحر والبرد من غير تنوع ولا تلون . قال : فما هذا
الضحك الذي لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما أسفر وجهك ولا يسمع صوتك . قال : فما هذا البكاء الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : لا تمل من البكاء من خشية الله عز وجل ، ولا تبك على شيء من الدنيا .
قال : كم أخني من علي ؟ قال : ما أظن بك أنك لم تعمل حسنة . قال : ما أعلن من علي ؟ قال :
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يأتى بك الجريص ، وأحذر النظر إلى الناس . وقال : لكل
شيء طرفان ووسط ، فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدلا ، فليكن
بالوسط من الأشياء . وقال : أربعة أحرف في التوراة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ،
والفقر الموت الآخر ، وكما تدين تدان ، ومن تغير فجر .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان رجل
من أفضل أهل زمانه ، وكان يزار فيعظمهم ، فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا عن الدنيا
وطرقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان ، وقد خفنا أن يكون قد دخل علينا في حالنا هذه من الطغيان
أعظم وأكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم ، وعلى الملوك في ملكهم ، أرانا يحب أحدنا
أن تقضى له الحاجة ، وإذا اشترى شيئاً أن يجابى لمكان دينه ، وأن يعظم إذا لقي الناس لمكان
دينه ، وجعل يعدد آفات العلماء والعباد الذين يدخل عليهم في دينهم من حب الشرف والتعظيم .
قال : فشاغ ذلك الكلام عنه حتى بلغ ملك تلك البلاد ، فحجب منه الملك وقال لرؤس دولته : ينبغي
لهذا أن يزار ، ثم اتدوا لزيارته يوما ، فركب إليه الملك ليسلم عليه ، فأشرف العابد - وكان عالما جيد
العلم بأغلب العلوم والأعمال ودقائق النفوس - فرأى الأرض التي تحت مكانه قد سفت بالجيل
والفرسان ، فقال ما هذا ؟ قيل له : هذا الملك قاصد إليك يسلم عليك لما يلقنه من حسن كلامك ،

فقال : إنا لله ، وما أصنع به ؟ هلكننا والله إن لم نلقن الحجة من عند الله مع هذا الرجل ، وينصرف عنا وهو ماقت لنا ، ثم سأل خادمه : هل عندك طعام ؟ قال : نعم . قال : فأت به فضمه بين أيدينا ، قال : هوشى من ثمر الشجر ، وهوشى من بقل وزيتون ، قال : فأت به ، فأتى به ، ثم أمر بجماعته فاجتهدوا حول ذلك الطعام ، فقال : إذا دخل عليكم هذا الرجل فلا يلتفت أحد منكم إليه ، ولا يقيم له أحد ، وأقبلوا على الأكل العنيف ، ولا يرفع أحد منكم رأسه ، لعل الله أن يصرفه عنا وهو كاره لنا فأتى أخف الفتنة والشهرة وامتلأ القلب منهما ، فلا تخلص إلا بنار جهنم . قال : فبكى القوم وبكى ذلك الرجل العالم ، فلما اقترب الملك من جبلهم الذى هم فيه ، ترجل الملك ومن معه من أعيان دولته وصعد فى الجبل ، فلما وصل إلى قرب مكاتهم أخذوا فى الأكل العنيف ، فدخل عليهم الملك وهم يأكلون فلم يرفعوا رؤوسهم إليه ، وجعل ذلك العالم الفاضل يلف البقل مع الزيتون مع الكسرة الكبيرة من الخبز ويخلها فى فمه ، فلم عليهم الملك وقال : أيكم العابد ؟ فأشاورا إليه ، فقال له الملك : كيف أنت أيها الرجل ؟ فقال له : كالنفس - وهو يأكل ذلك الأكل العنيف - فقال الملك : ليس عند هذا خير ، ثم أدير الملك خارجا عنه ، وقال : ما عند هذا من علم . فلما نزل الملك من الجبل نظر إليه العابد من كوة وقال : أيها الملك ! الحمد لله الذى صرفك عني وأنت لى كاره - أو قال : الحمد لله الذى صرفك عني بما صرفك به - وفى رواية ذكر ابن المبارك أنه قال : الحمد لله الذى صرفه عني وهو لى لائم .

وفى رواية أن هذا العابد كان ملكا ، وكان قد زهد فى الدنيا وتركها ، لأنه كان قد دخل عليه رجل من بقايا أهل الجنة والمعمل الصالح فوعظه ، فاعتمد معه أن يصحبه ، وأنه يخرج عن الملك طلبا لما عنده فى النار الآخرة ، وأنه واقعه جماعة من بنيه وأهله ورؤس دولته ، فخرجوا برمتهم ، لا يدري أحد أين ذهبوا ، وكان هذا الملك من أهل العدل والتغير والتخوف من الله عز وجل ، وكان متسع الملك والمملكة ، كثير الأموال والرجال ، فساروا حتى أتوا جبلا فى أطراف مملكته ، كثير الشجر والمياه ، فأقاموا به حينما ، فقال الملك : إن نحن طال أمرنا ومقامنا فى هذا الجبل ، سمع بنا الناس من أهل مملكتنا فلا يدعونا ، وإني أرى أن نذهب إلى غير مملكتنا فنزل مكانا بعيدا عن الناس ، لعل أن نعلم منهم ويسلوا منا ، فساروا من ذلك الجبل طالبين بلادا لا يعرفون ، فوجدوا بها جبلا نائيا عن الناس ، كثير الأشجار والمياه ، قليل الطوارق ، وإذا فى خروته عين ماء جارية وأرض متسعة ، تزرع لمن أراد الزرع بها ، فنزلوا به وبناو به أما كن للعبادة والسكنى ، وزرعوا لهم على ماء تلك العين بعض بقول يأتمنون بها ، وأشجار زيتون ، وجعلوا يزرعون بأيديهم ويأكلون ثم شاع أمرهم فى بعض تلك البلاد القريبة من جبلهم ، فحببوا يأتونهم ويوردونهم - إلى أن شاع

ذلك الكلام المتقدم عن ذلك العالم ، فبلغ ملك تلك البلاد قصدهم للزيارة ، فذكر القصة كما تقدم ، والله أعلم .

وقال وهب : أزهدهم الناس في الدنيا - وإن كان عليها حريصا - من لم يرض منها إلا بالنكسب الحلال الطيب ، مع حفظ الامانات ، وأرغب الناس فيها وإن كان عنها معرضا ، من لم يبال من أين كسبه منها حلالاته أو أحراما ، وإن أجود الناس في الدنيا من جاد بمحقوق الله عز وجل ، وإن رآه الناس بخيلا فيما سوى ذلك ، وإن أبخل الناس في الدنيا من يبخل بمحقوق الله عز وجل وإن رآه الناس جوادا فيما سوى ذلك .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المنذر حدثنا علي بن المديني حدثنا محمد بن عمرو بن مقسم قال سمعت عطاء بن مسلم يقول : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام في ألف مقام ، وكان إذا كلمه رؤى النور على وجه موسى ثلاثة أيام ، ولم يس موسى امرأة منذ كلمه ربه عز وجل . وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن عامر بن زرارَةَ حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت ابن منبه الجبالي يقول : إن النبوة أفتقلا ومؤنة لا يحملها إلا القوى ، وإن يونس بن متى كان عبداً صالحاً ، وكان في خلقه ضيق ، فلما حملت عليه النبوة تفسخ فتحها تفسخ الربع تحت الحمل ، فرفضها من يده وخرج هاربا ، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقال : (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) الآية ، وقال يونس بن بكير عن أبي إسحاق بن وهب بن منبه عن أبيه قال : أمر الله الريح أن لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء في الأرض إلا ألقته في أذن سليمان ، فذلك سمع كلام الغملة .

وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن وهب قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا ساح أربعين سنة أرى شيئا ، كأن يرى علامة القبول ، قال : فساح رجل من ولد ربيعة أربعين سنة فلم ير شيئا ، فقال : يارب إذا أحسنت وأساء والداي فإذني ؟ قال : فأرى ما كان يرى غيره . وفي رواية أنه قال : يارب إذا كان والداي قد أكلأ أرضي أنا ؟ وفي رواية عنه أنه قال : يارب إذا كان والداي قد أساءا أحرم أنا إحسانك وبرك ؟ فأظلمته غمامة .

وروى عبد الله بن المبارك عن رياح بن زيد عن عبد العزيز بن مروان . قال : سمعت وهب ابن منبه يقول : مثل الدنيا والآخرة مثل ضربتين ، إن أرضيت إحداها أسخطت الأخرى ، وقال : إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله السحر . وروى عبد الرزاق قال : أخبرني أبي عن وهب قال : إذا صام الانسان زاعج بصره ، فإذا أظفر على حلالة عاد بصره . وقال ابن المبارك

عن بكر بن عبد الله قال سمعت وهبا يقول : مر رجل عابد على رجل عابد فرآه مفكراً ، فقال له : مالك ؟ فقال له : أعجب من فلان ، إنه كان قد بلغ من عبادته ما بلغ ، ثم مالت به الدنيا . فقال : لا تعجب من مال كيف مال ، ولكن أعجب ممن استقام كيف استقام .

وقال عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل : حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن بنى إسرائيل أصابتهم عقوبة وشدة ، فقال النبي ﷺ : وددنا أن نعلم ما الذى يرضى ربنا فنعلمه ، فأوحى الله عز وجل إليه : إن قومك يقولون : إذا أرضوم رضيت ، وإذا أسخطوم أسخطت . وقال عبد الله بن أحمد أيضا : حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني عمر بن عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن عيسى عليه السلام كان واقفا على قبر ومعه الحواريون - أو نفر من أصحابه - قال : وصاحب القبر يدلى فيه ، قال : فذكروا من ظلمة القبر وضيقه ، فقال عيسى : قد كنتم فيما هو أضيّق من ذلك ، فى أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع وسع ، أو كما قال .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كان رجل عابد من السباح أراد الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب ، فلم يستطع منه شيئا من ذلك ، فتمثل له حية وهو يصلى ، فضى ولم يلتفت إليه ، فالتوى على قدميه فلم يلتفت إليه ، فدخل ثيابه وأخرج رأسه من عند رأسه فلم يلتفت ولم يستأخر ، فلما أراد أن يسجد التوى فى موضع سجوده ، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه ، فوضع رأسه فجعل يمر حتى استمكن من السجود على الأرض . ثم جاءه على صورة رجل فقال له : أنا صاحبك الذى أخوفك ، أتيتك من قبل الشهوة والغضب والرغبة ، وأنا الذى كنت أتمثل لك بالسباع والحيات فلم أستطع منك شيئا ، وقد بدا لى أن أصادقك ولا آتيتك فى صلاتك بعد اليوم . فقال له العابد : لا يوم خوفنى خفتك ، ولا اليوم فى حاجة فى مصادقتك . قال : سلنى عما شئت أخبرك ، قال فما عصيت أن أسألك ؟ قال : ألا تسألنى عن مالك ما فعل به بعدك ؟ قال : لو أردت ذلك ما فارقته . قال : أفلا تسألنى عن أملاك من ملئت منهم ومن بقى ؟ قال : أنا مت قبلهم . قال أفلا تسألنى عما أضل به الناس ؟ قال : أنت أضلهم . فأخبرنى عن أولئك ما فى نفسك فضل به بنى آدم . قال : ثلاثة أخلاق ، الشح ، والحدة ، والسكر . فان الرجل إذا كان شحيحاً قلنا ماله فى عينه ورغبناه فى أموال الناس ، وإذا كان حديماً تداولناه بيننا كما يتداول الصبيان الكرة ، ولو كان يجيى الموتى بدعوته لم نأمن منه ، وكل ما يبينه نهمه ، لنا كلمة واحدة . وإذا سكر قدناه إلى كل شر وفضيحة وخزى وهوان كما تهاد القط إذا أخذ بأذنها كيف شئنا .

وقال وهب: أصاب أوجب البلاء سبع سنين، وترك يوسف في السجن سبع سنين، ومسح مختصر في السباع سبع سنين. وستل وهب عن الدنانير والدرهم فقال: هي خواتيم رب العالمين، فالأرض لما يشي بنى آدم لا تؤكل ولا تشرب، فأينما ذهبت بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك، وهي أزمة المناقذين بها يقادون إلى اللشهوات. وروى داود بن عمر الضبي عن ابن المبارك عن معمر بن ممالك ابن الفضل عن وهب قال: مثل الذي يدعو بغير عمل مثل الذي يرمى بغير وتر. وقال ابن المبارك: أخبرني عمر بن عبد الرحمن بن مهرب قال: سمعت وهبا يقول: قال حكيم من الحكماء: إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبد رجاء ثواب الجنة قط، فأكون كالأجير السوء، إن أعطى عمل وإن لم يعط لم يعمل، وإني لأستحي من الله أن أعبد مخافة النار قط، فأكون كالعبد السوء إن رهب عمل وإن ترك لم يعمل، وإني ليستخرج مني حب الله ما لا يستخرج مني غيره.

وقال السري بن يحيى: كتب وهب إلى مكحول: إنك قد أصبت بما ظهر من علم الاسلام عند الناس محبة وشرقا، فأطلب بما بطن من علم الأنسان عند الله محبة وزنا، واعلم أن إحدى المحبتين تمنع الأخرى - أو قال: سوف تمنع الأخرى - وقال زافر بن سليمان عن أبي سنان الشيباني قال: بلغنا أن وهب بن منبه قال قال لقمان لابنه: يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تريد بهاريج الدنيا والآخرة، والايامن سفينتك التي تحمل عليها، والتوكل على الله شراعها، والدنيا بحرك، والايام موجك، والاعمال الصالحة تجارتك التي ترجو ربحها، والنافعة هي هديتك التي ترجو بها كرامتك، والحرص عليها يسيرها ويزجها، ورد النفس عن هواها مراسيها، والموت ساحلها، والله ملكها وإليه مصيرها. وأحب التجار إلى الله وأفضلهم وأقربهم منه أكثرهم بضاعة وأصفاهم نية، وأخلصهم هدية. وأبغضهم إليه أقلهم بضاعة، وأردأهم هدية، وأخبثهم طوية، فكلما حسنت تجارتك ازداد ربحك، وكلما خلصت هديتك تكرم. وفي رواية عنه أنه قال: قال لقمان لابنه: يا بني اتخذ طاعة الله بضاعة فأنتك الأرباح من كل مكان، واجعل سفينتك تقوى الله، وحشوها التوكل على الله، وشراعها الايمان بالله، وبحرك العلم النافع والعمل الصالح لعلك أن تتجو، وما أراك بنالج. وقال عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن رجل قال: إن هلم طنينا كلفين المال.

وقال الطبراني: حدثنا عبيد بن محمد الصنعاني حدثنا أبو قدامة همام بن مسلمة بن عقبة حدثنا غوث بن جابر حدثنا حنبل بن منبه قال: سمعت عبي وهب بن منبه يقول: الأجر من الله عز وجل مروض، ولكن لا يستوجب من لا يعمل، ولا يجده من لا يفتيه، ولا يبصره من لا ينظر إليه، وطاعة الله قريبة ممن يرغب فيها، بعيدة ممن زهد فيها، ومن يحرص عليها يصل إليها، ومن لا يحرصها لا يسبق من سعى إليها، ولا يدركها من أبطأ عنها، وطاعة الله تشرف من أكرمها،

وتبين من أضعافها ، وكتب الله يدل عليها ، والایمان بالله يحض عليها .

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا عمر بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه يقول قال داود عليه السلام : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة حسن العمل . قال : يارب أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر حسن الصورة كفر أو شكر ، هذان . وفي رواية ذكرها أحمد بن حنبل : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : عبد استخارنى فى أمر نفرت له فلم يرض به . وقال إبراهيم بن الجنيد : حدثنى إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس حدثنا عبد الصمد ابن معقل عن وهب بن منبه قال : كان سائح يمدد الله تعالى ، فجاءه إبليس أو شيطان فتمثل بالناس فجعل يريه أنه يمدد الله تعالى ، وجعل يزيد عليه فى العبادة ، فأجبه ذلك السائح لما رأى من اجتهاده وعبادته ، فقال له الشيطان - والسائح فى مصلا - : لو دخلنا إلى المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على أذىهم وأمرنا ونهينا ، كان أعظم لأجرنا ، فأجابه السائح إلى ذلك ، فلما أخرج السائح إحدى رجله من باب مكانه لينطلق معه ، هتف به هاتف فقال : إن هذا شيطان أراد أن يقتلك . فقال السائح : رجل خرجت فى معصية الله وطاعة الشيطان لا تدخل معى ، فاحولنا من موضعها ذلك حتى تارق الدنيا ، فأنزل الله تعالى ذكره فى بعض كتبه فقال : وذو الرجل .

وقال وهب : أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يقتل الناس على أكل لحم الخنزير ، فأعظم الناس مكانه ، وهلم أمره ، فقال له صاحب شرطة الملك - سرّاً بينه وبينه - : أيها العالم ، اذبح جدياً بما يحمل لك أكله ثم ادفنه إلى حتى أصنعه لك على حدته ، فإذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرت به فوضع بين يديك ، فتأكل منه حلالاً ويرى الملك والناس أنك إنما أكلت لحم الخنزير ، فذبح ذلك العالم جدياً ، ثم دفنه إلى صاحب الشرطة فصنعه له ، وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير [أن يضعوا بين يديه لحم هذا الجدى واجتمع الناس] لينظروا أمر هذا العالم فيه آیاكل أم لا ، وقالوا إن أكل أكلنا وإن امتنع امتنعنا ، فجاء الملك فدعا لهم بلحوم الخنازير فوضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدى الحلال المذكى ، فلملم الله ذلك العالم فألقى فى روعه وفكره ، فقال : هب أتى أكلت لحم الجدى الذى أعلم حله أنا ، فإذا أصنع بمن لا يعلم ؟ والناس إنما ينتظرون أكلهم ليقدموا بى ، وهم لا يملكون إلا أنى إنما أكلت لحم الخنزير فیاكون اقتداء بى ، فأكون ممن يحمل أو زارهم يوم القيامة ، لا أفضل والله وإن قتلت وحرقت بالنار ، وأبى أن يأكل ، فجعل صاحب الشرطة ينمى إليه ويومى إليه ويأمره بأكله ، أى إنما هو لحم الجدى ، فأبى أن يأكل ، ثم أمره الملك أن يأكل فأبى ، فألحوا عليه فأبى ، فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله ، فلما ذهبوا به ليقنوه ، قال له صاحب الشرطة : مامتك أن تأكل من اللحم الذى ذكيتك أنت ودفنته

إلى ؟ أنظنت أني أنيتك بغيره وختنتك فيها أئتمنتني عليه ؟ ما كنت لأضل والله . فقال له العالم : قد علمت أنه هو ، ولكن خفت أن يتأذى الناس بي ، وهم إنما ينتظرون أكل مني ، ولا يملكون إلا أني إنما أكلت لحم الخنزير ، وكذلك كل من أريد على أكله فيها يأتي من الزمان يقول : قد أكله فلان ، فأكون فتنه لهم . فقتل رحمه الله . فينبغي للعالم أن يحذر العمايب ، ويجتنب المحنورات ، فإن زلته ونافسته منظورة يقتدى بها الجاهل . وقال معاذ بن جبل : اتقوا زينة الحكيم ، وقال غيره : اتقوا زلة العالم ، فإنه إذا زل زل بزلته عالم كبير . ولا يفتني له أن يستهين بالزلة وإن صغرت ، ولا يفعل الرخص التي اختلف فيها العلماء ، فإن العالم هو عصاة كل أعمى من العوام ، بها يصول على الحق ليدحضه ، ويقول : رأيت فلانا العالم ، وفلانا وفلانا يفعلون ويفعلون . وليجتنب العوائد النفسية ، فإنه قد يفعل أشياء على حكم المادة فيظنّها الجاهل جائزة أو سنة أو واجبة ، كما قيل : سل العالم يصدقك ولا تقند بفعله الغريب ، ولكن سلّه عنه يصدقك إن كان ذا دين ، وكم أفسد النظر إلى غالب علماء زمانك هذا من خلق ، فإلظن بمخالطتهم ومجالستهم ولكن (من يهدي الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .

وقال محمد بن عبد الملك بن زنجويه : حدثنا عبد الرزاق عن أبيه قال : قلت لوهب بن منبه : كنت ترى الرؤيا فتخبرنا بها ، فلا نلبث أن نراها كما رأيتها ، قال : ذهب ذلك عني منذ وليت القضاء . قال عبد الرزاق : فحدثت به معمراً فقال : والحسن بعد ما ولي القضاء لم يحمدا فيه ، فن يأمن القراء بعدك يا شهر ؟ فكيف حال من قد غرق في قاذورات الدنيا من علماء زمانك هذا ، ولا سيما من بعد فتنه تمرلنك ؟ فإن القلوب قد امتلأت بحب الدنيا ، فلا يجد العلم فيها موصفا ، فجالس من شئت منهم لتنظر مبادئ مجالستهم وغلاياتها ، ولا تستخفك البدوات ، فإنما الأمور بمواقبها وخواتيمها وتسلّجها ، وغلاياتها . (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال وهب : البلاد للؤمن كالشكال للدابّة . وقال أبو بلال الأشعري عن أبي شهاب الصنعاني عن عبد الصمد عن وهب قال : من أصيب بشئ من البلاد قد سلك به طريق الأنبياء . وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا منفر قال : سمعت وهبا يقول : قرأت في كتاب رجل من الحواريين : إذا سلك بك طريق - أو قال سبيل - أهل البلاد فطلب نساء قد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني أمية بن شبل عن عثمان بن بزويه قال : كنت مع وهب وسعيد بن جبيرة يوم عرفة تحت نخيل ابن عامر ، فقال وهب لسعيد : يا أبا عبد الله اكلمك منذ خفت من الحجاج ؟ قال : خرجت عن امرأتني وهي حامل فجاءني الذي في بطنها وقد خرج [شر] وجهه ، فقال له وهب : إن من كان قبلكم كان إذا أصابه بلاء عده رجاء ،

وإذا أصابه رجاء عدم بلاه . وروى عبد الله بن أحمد بسنده عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب : ليس من عبادي من سحر أو سحر له ، أو تكن أو تكن له ، أو تطير أو تطير له ، فمن كان كذلك فليدع غيري ، فإنا هو أنا وخلق كلهم لي . وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح عن جعفر بن محمد عن التيمي عن وهب أنه قال : دخول الجبل في سم الخياط أيسر من دخول الأغنياء الجنة . قالت : هذا إنما هو لشدة الحساب وطول وقوف الأغنياء في الكرب ، كما قد ضربت الأمثال للشدائد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكر قال سمعت وهبا يقول : ترك المكافأة من التعطيف . وقال الامام أحمد : حدثنا الحجاج وأبو النصر قالوا : حدثنا محمد بن طلحة عن محمد بن جعدة عن وهب قال : من يتعبد يزيد قوة ، ومن يتسكل يزداد فقرة . وقد قال غيره : إن حوراء جاءت في المنام في ليلة باردة فقالت له : قم إلى صلاتك فهي خير لك من نومة توهن بدنك . ورأيت في ذلك حديثا لم يحضرني الآن . وهنا أمر مجرب أن العبادة تنشط البدن وتلينه ، وأن النوم يكسل البدن فيفسده ، وقد قال بعض السلف لما تبع ضلة ابن أشيم حين دخل تلك الفيضة ، وأنه قام ليلته إلى أن أصبح ، قال فأصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحت ولي من الكسل والقنور مالا يملحه إلا الله عز وجل .

وقد قيل للحسن : ما بال المتعبدين أحسن الناس وجوها ؟ قال : لأنهم خلوا بالليل فألبسهم نوراً من نوره . وقال يحيى بن أبي كثير : والله ما رجل يخلو بأهله عروساً أقر ما كانت نفسه وآنس ، بأشد سروراً منهم بمناجاة ربهم تعالى إذا خلوا به . وقال عطاء الخراساني : قيام الليل بحياة للبدن ، ونور في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البصر والأعضاء كلها ، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحاً مسروراً ، وإذا نام من حزنه أصبح حزينا مكسوراً القلب كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له فمما .

وقال ابن أبي الدنيا ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن منيع حدثنا هاشم بن القاسم أبو النصر حدثنا بكر بن حبيش عن محمد القرشي عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن بلال قال قال رسول الله ﷺ : « عليكم قيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ، ومنهاة عن الآثم ، وتكفير عن السيئات ، ومطرقة للشيطان عن الجسد » . وقد رواه غيره من طرق : « عليكم قيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » . ويكنى في هذا الباب ما رواه أهل الصحيح والمسانيد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يقعد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكن كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد . فإذا استيقظ وذكر الله انحلت

عقدة ، وإذا توضع انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان . وهذا باب واسع . وقد قال هود فيا أخبر الله عنه : (اعبدوا الله مالم يكن من إله غيره) ثم قال : (ويزدكم قوة إلى قوتكم) وهذه القوة تشمل جميع القوى ، فيزيد الله عابديه قوة في إيمانهم ويقينهم ودينهم وتوكلهم ، وغير ذلك مما هو من جنس ذلك ، ويزدكم قوة في أسماهم وأبصارهم وأجسادهم وأموالهم وأولادهم وغير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد أنه سمع وهبا يقول : تصدق صدقة رجل يعلم أنه إنما قدم بين يديه ماله وما خلف مال غيره .

قلت : وهذا كما في الحديث « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ » قالوا : كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه ، فقال : إن ماله مقدم ، ومال وارثه ما آخر . قال : وصحمت وهبا على المنبر يقول : احفظوا عني ثلاثا ، إياكم وهوى متبعا ، وقرين سوء ، وإعجاب المرء بنفسه . وقد رويت هذه الألفاظ في حديث . وقال الامام أحمد : حدثنا يونس بن عبد الصمد بن مقل حدثنا إبراهيم بن الحجاج قال : سمعت وهبا يقول : أحب بنى آدم إلى الشيطان النوم الأكل .

وقال الامام أحمد : حدثنا غوث بن جابر حدثنا عمران بن عبد الرحمن أبو الهذيل أنه سمع وهبا يقول : إن الله عز وجل يحفظ بالعبد الصالح القليل من الناس . وقال أحمد أيضا : حدثنا إبراهيم بن عقيل حدثنا عمران أبو الهذيل من الأنباء عن وهب بن منبه قال : ليس من الآدميين أحد إلا ومعه شيطان موكل به ، فأما الكافر فيأكل كل ماله ويشرب ماله ، وينام ماله على فراشه . وأما المؤمن فهو بجانب له ينتظر متى يصيب منه غفلة أو غرة . وأحب الآدميين إلى الشيطان الأكل النوم . وقال محمد بن غالب : حدثنا أبو المنذر ابن أخي بشر بن منصور عن داود بن أبي هند عن وهب . قال : قرأت في بعض الكتب التي أنزلت من السماء على بعض الأنبياء : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : أنتدري لم اتخذتك خليلا ؟ قال : لا يا رب ، قال : قل مملوك بين يدي في الصلاة .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن أيوب حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس ابن وهب بن منبه قال : حدثني أبي قال : كان سليمان بن داود ألف بيت أعلاه قوارير وأسفله حديد فركب الريح يوما فرج بمرات فظفر إليه الحراث فاستعظم ما أوتي سليمان من الملك ، فقال : لقد أوتي آل داود ملكا عظيما ، فحملت الريح كلام الحراث فألقته في أذن سليمان ، قال : فأمر الريح فوفقت ، ثم نزل بمشي حتى أتى الحراث فقال له : إني قد سمعت قولك ، وإنما مشيت إليك لتلا تمنى مالا تقدر عليه مما أقدرني الله عليه تفضلا وإحسانا منه علي ، لأنه هو الذي أعطاني لهذا وأعاني . ثم قال : والله لتسيمة واحدة قبيلها الله عز وجل منك أو من مؤمن خير مما أوتي آل داود من الملك ، لأن

ما أوتي آل داود من ملك الدنيا فني ، والتسيحة تبقى ، وما يبق خير مما بقي . فقال الحراث :
أذهب الله هك كما أذهبت مي

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن عقيل بن مقل حدثني أبي عن وهب بن منبه . قال :
إن الله عز وجل أعلم موسى عليه السلام نوراً ، قال له هارون : به لي يا أخي ، فوجه له ، فأعطاه
هارون ابنه ، وكان في بيت المقدس آنية تمظها الأنبياء والملوك ، فكان ابنا هارون يسقيان في
تلك الآنية الحمر ، فزلت نار من السماء فاختطفت ابني هارون فصعدت بهما ، فززع هارون لذلك
فقام مستغيثاً متوجهاً بوجهه إلى السماء بالدعاء والنضرع ، فأوحى الله إليه : يا هارون هكذا أفعل بمن
عصاني من أهل طاعتني ، فكيف فعلت بمن عصاني من أهل معصيتي ؟ . وقال الحكم بن أبان : نزل
بي ضيف من أهل صنعاء فقال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله عز وجل في السماء السابعة داراً
يقال لها البيضاء يجمع فيها أرواح المؤمنين ، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه
عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم . وقال : من جعل شهرته تحت قدمه
فزع الشيطان من ظله ، فمن غلب علمه هواه فنلك العالم الغلاب . وقال فضيل بن عياض : أوحى
الله تعالى إلى بعض أنبيائه : بعني ما يتحمل المتحملون من أجلتي ، وما يكابدون في طلب
مرضاتي ، فكيف بهم إذا صاروا إلى داري ، وتبجحوا في رياض نعتي ؟ هناك فليشر المضغون
لله أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب ، أتراني أنسى لهم عملاً ؟ وكيف وأنا ذو الفضل العظيم
أجود على المولين المرضين عني ، فكيف بالمقبلين علي ؟ وما غضبت على شيء كغضبي على من أخطأ
خطيئة فاستعظمها في جنب عفوي ، ولو تعاجلت بالعقوبة أحداً ، أو كانت المجلة من شأني ، لعاجلت
القائطين من رحمتي . ولو رآني عبادي المؤمنون كيف أستوهمهم عن اعتدوا عليه ، ثم أحكم لمن
وهبهم بالغلة المقيم ، أتهدوا فضلي وكرمي ، أنا الدين الذي لا يحل معصيتي ، والذي أطاعني أطاعني
برحمتي ، ولا حاجة لي بهوان من خاف مقامي . ولو رآني عبادي يوم القيامة كيف أرفع قصوراً تحار
فيها الأبصار فيسألوني : لمن ذا ؟ فأقول : لمن وهب لي ذنباً مالم يوجب علي نفسه معصيتي والقنوط
من رحمتي ، وإني مكافئ على المدح طمحوئي .

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا سلمة بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن عقبة حدثنا عبد الرحمن
أبو طالوث حدثني ماهر الأسدي عن وهب . قال : مرّ عيسى بن مريم ومعه الحواريون بقرية قد
مات أهلها ، إنسا وجنهما ، وهوامها وأنماها وطيورها ، فقام عليها ينظر إليها ساعة ثم أقبل على
أصحابه فقال : إنما مات هؤلاء ينداب من عند الله ، ولولا ذلك لماؤا متفرقين . ثم ناداهم عيسى :
يا أهل القرية ، فأجابه عجيب : لبيك يا روح الله ، فقال : ما كانت جنايتكم وسبب هلاككم ؟ قال

عبادة الطاغوت وحب الدنيا ، قال : وما كانت عبادتكم للطاغوت ؟ قال : طاعة أهل المعاصي هي عبادة الطاغوت . قال : وما كان حيككم للدنيا ؟ قال : كذب الصبي لأمه ، كنا إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا ، مع أمل بعيد ، وإدبار عن طاعة الله ، وإقبال على مساحطه . قال : فكيف كان هلاككم ؟ قال : بقنا ليلة في عافية وأصبحنا في هاوية ، قال : وما الهاوية ؟ قال : سجين ، قال : وما السجين ؟ قال : جرة من نار مثل أطلاق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها ، قال : فما بال أصحابك لا يتكلمون ؟ قال : لا يستطيعون أن يتكلموا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : هم ملجمون بلجم من نار . قال : وكيف كلتنى أنت من بينهم ؟ قال : كنت فيهم لما أصابهم العذاب ولم أكن منهم ولا على أعمالهم ، فلما جاء البلاء عنى معهم ، وأنا ملق بشرة في الهاوية لا أدرى أكرس فيها أم أخرج . فقال عيسى عليه السلام عند ذلك لأصحابه : يبقى أقول لكم : تلخز الشجر وشرب الماء القراح والنوم على المزابيل كثير مع عافية الدنيا والآخرة

وروى الطبراني عنه أنه قال : لا يكون المرء حكيما حتى يطيع الله عز وجل ، وما عصى الله حكيما ، ولا يعصى الله إلا أحق ، وكما لا يكل النهار إلا بالشمس ، ولا يعرف الليل إلا بالظلام ، كذلك لا تكمل الحكمة إلا بطاعة الله عز وجل ، ولا يعصى الله حكيما ، كما لا يطير الطير إلا بمناحين ، ولا يستطيع من لا جناح له أن يطير ، كذلك لا يطيع الله من لا يعمل له ، ولا يطيق عمل الله من لا يعطيه . وكما لا مكث ثلث في الماء حتى تطفأ ، كذلك لا مكث لعمل الرياء حتى يبور . وكما يبدى سر الزانية وفضيحتها فلها ، كذلك يفتضح بالفعل السيئ من كان يقرأ للجليسة بالقول الحسن ولم يعمل به . وكما تكذب معنرة السارق بالسرقة إذا ظهر عليها عنده ، كذلك تكذب معصية القارئ لله قراءته إذا كان يقرؤها لنهر الله تعالى .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن النضر حدثنا علي بن بحر بن بري حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن مقل . قال سمعت وهبا يقول : في مزامير آل داود : طوبى لمن يسلك سبيل الخطابين ولا يجالس البطالين ، وطوبى لمن يسلك طريق الأئمة ويستقيم على عبادة ربه ، فنه كمثل شجرة ثابتة على ساقية لا تزال فيها الحياة ، ولا تزال خضراء . وروى الطبراني أيضا عنه قال : إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء ، وقطرت العضاء دما . وروى عنه أنه قال : ما من شيء إلا يسد صغيرا ثم يكبر ، إلا المصيبة فلها تبدو كبيرة ثم تصغر . وروى عنه أيضا أنه قال : وقف سائل على باب داود عليه السلام ، قال : يا أهل بيت النبوة تصدقوا علينا بشيء رزقكم الله رزق التاجر المقيم في أهله . فقال داود : أعطوه ، فوالقنى نفسى بيده إني أرى الزبور . وقال : من عرف بالكذب لم يميز صدقه ، ومن عرف بالصدق ائتمن على حديثه ، ومن أكثر النية

والبنضاء لم يوثق منه بالنصيحة ، ومن عرف بالفجور والخديعة لم يؤمن إليه في الحنة ، ومن اتحل فوق قدره جحد قدره ، ولا تستحسن فيك ما تستقبح في غيرك . هذه الآثار رواها الطبراني عنه من طرق .

وروى داود بن عمرو عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خثيم . قال : قدم علينا وهب مكة فطلق لا يشرب ولا يتوضأ إلا من زمزم ، فقيل له : مالك في الماء العذب ؟ فقال : ما أبا بالذي أشرب وأتوضأ إلا من زمزم حتى أخرج منها ، إنكم لا تدرون ما ماء زمزم ، والذي نفسى بيده إنها لي كتاب الله طعام طعم ، وشفاء سقم ، ولا يمد أحد إليها ينضلع منها ربا ، ابتغاء بركتها ، إلا تزعت منه ذاء وأحدثت له شفاء . وقال : النظر في زمزم عبادة . وقال : النظر فيها يحط الخطايا حطا . وقال وهب : مسخ يختصر أسداً فكان ملك السباع ، ثم مسخ نسراً فكان ملك الطيور ، ثم مسخ نوراً فكان ملك الدواب ، وهو في كل ذلك يعقل عقل الانسان ، وكان ملكه قائماً يدبر ، ثم رد الله عليه روحه إلى حالة الانسان ، ف دعا إلى توحيد الله وقال : كل إله باطل إلا إله السماء . فقيل له : أملت مؤمناً ؟ قال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : آمن قبل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء ، وحرق الكتب ، وحرق بيت المقدس ، فلم يقبل منه التوبة . هكذا رواه الطبراني عن محمد بن أحمد بن الفرج عن عباس بن يزيد عن عبد الرزاق عن بكار بن عبد الله . قال : سمعت وهب بن منبه يقول ، فذكره .

وقال وهب : كان رجل بمصر فسأله ثلاثة أيام أن يطعموه فلم يطعموه ، فأت في اليوم الرابع فكفتموه ودفعوه ، فأصبحوا فوجدوا الكفن في محرابهم مكتوب عليه : قتلتموه حيا وبرئتموه ميتا ؟ قال يحيى : فأنا رأيت القرية التي مات فيها ذلك الرجل ، وما بها أحد إلا وله بيت ضيافة ، لا غنى ولا فقر . هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي عن علي بن الحسن عن عبد الله بن أخي وهب ، قال : حدثني عمي وهب بن منبه فذكره . قال : وأهل القرية يعترفون بذلك ، فمن ثم اتخضوا بيوتا للضيقات والفقراء خوفاً من ذلك . وقال عبد الرزاق عن بكار عن وهب . قال : إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوة . وقال إبراهيم بن الجنيد : حدثنا إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس عن عبد الصمد عن وهب بن منبه قال : مر نبي من الأنبياء على عابد في كهف جبل ، فقال إليه فلم عليه وقال له : يا عبد الله منذ كم أنت هاهنا ؟ قال : منذ ثلثمائة سنة . قال : من أين مبيتك ؟ قال : من ورق الشجر ، قال : فمن أين شربك ؟ قال : من ماء العيون ، قال : فأين تكون في الشتاء ؟ قال : نمت هذا الجبل ، قال : فكيف صبرك على العبادة ؟ قال : وكيف لأصبر وإتما هو يوى إلى الليل ، وأما أس قد مضى بما فيه ، وأما غد فلم يأت بعد . قال : فسبب النبي من قوله : إتما هو

يومي إلى الليل . ونهنا الاستناد أن وجلا من العباد قال لعله : قطعت الهوى فلست أهوى من الدنيا شيئا . فقال له معلمه : أتفرق بين النساء والقواب إذا رأيتهن معا ؟ قال : نعم ، قال أتفرق بين الدنانير والدرهم والحصا ؟ قال نعم ، قال : يا بني إنك لم تقطع الهوى عنك ولكنك قد أو قمته فاحذر انقلاته وانقلابه .

وقال غوث بن جابر بن غيلان بن منبه : حدثني عتيق بن معقل عن وهب قال : اعمل في نواحي الدين الثلاث ، فان للدين نواحي ثلاثا ، هن جماع الأعمال الصالحة لمن أراد جمع الصالحات « وأولاهن » تعمل شكراً لله على الأ نعم الكثيرات القاديات الرانحات ، الظاهرات الباطنات ، الحاديات القديبات ، يعمل المؤمن شكراً لمن ورجاء تاملهن « والناحية الثانية من الدين » رغبة في الجنة التي ليس لها من وليس لها مثل ، ولا يزهد فيها وفي العمل لها إلا سفيه طاجر ، أو منافق كافر « والناحية الثالثة من الدين » أن يعمل المؤمن فراراً من النار التي ليس لأحد عليها صبر ، ولا لأحد بها طاقة ولا يدان ، وليست مصيبتها كالمصيبات ، ولا حزن أهلها كالأحزان ، نبأها عظيم ، وشأنها شديد ، والآخرة وحزنها فظيع ، ولا يفل من الفرار والتعوذ بالله منها إلا سفيه أحمق خاسر ، (قد خسر الدنيا ذلك هو الخسران المبين) .

وقال إسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الملك بن محمد الدماذي قال أخبرني محمد بن سعيد بن رمانة قال أخبرني أبي قال قيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فمن أتى الباب بمفتاح بأسنانه فتح له ، ومن لم يأت الباب بمفتاح بأسنانه لم يفتح له . وقال محمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول : ركب ابن ملك في جند من قومه وهو شاب ، فصرع عن فرسه فدى عنقه فأت في أرض قريبة من القرى ، فنضب أبوه وحلف أن يقتل أهل تلك القرية عن آخرهم ، وأن يطامم بالأفئال ، فما أبقت الأفئال وطنته الخليل ، فما أبقت الخليل وطنته الرجال ، فتوجه إليهم بعد أن سقى الأفئال والخليل الخمر وقال : طأومم بالأفئال ، وإلا فما أبقت الأفئال فلتطامم الخليل ، فما أخطأته الخليل فلتطامم الرجال فذا ضيع بذلك أهل تلك القرية وعرفوا أنه قد قصدهم لذلك ، خرجوا بأجمعهم فجأروا إلى الله سبحانه وعجوا إليه وابتهلوا يدعونه تعالى ليكشف عنهم شر هذا الملك الظالم ، ومقصدهم من هلاكهم . فبينما الملك وجيشه سائرون على ذلك ، وأهل القرية في الأبتها والنداء والتضرع إلى الله تعالى ، إذ نزل فارس من السماء فوقهم بينهم ، فنفرت الأفئال فطفت على الخليل وطمت الخليل على الرجال ، قتل الملك ومن معه وطأ بالأفئال والخليل ، ونجى الله أهل تلك القرية من بأسهم وشرهم .

وروى عبد الرزاق عن المنذر بن النعمان أنه سمع وهبا يقول : قال الله تعالى لصخرة بيت

القدس : لأضمن عليك عرشي ، ولأحشرن عليك خلقى ، وليأتينك داود يومئذ راكبا . وروى
سليمان بن المغيرة عن وهب قال : إني لأتقصد أخلاقى ومافها شئ يسجنى . وروى عبد الرزاق عن
أبيه قال قال وهب : ربما صليت الصبح بوضوء العتمة . وقال بقية بن الوليد : حدثنا زيد بن خالد
عن خالد بن معدان عن وهب قال : كان نوح عليه السلام من أجل أهل زمانه ، وكان يلبس البرقع
فأصابهم مجاعة في السفينة ، فكان نوح إذا تجلى لهم شبعوا . وقال قال عيسى : الحق أقول لكم :
إن أشدكم جزعا على المصيبة أشدكم حبا لدنيا . وقال جعفر بن برقان : بلغنا أن وهبا كان يقول :
طوبى لمن فطر في عيبه عن عيب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة ، ورحم أهل القل
والمسكنة ، وتصدق من مال جمعه من غير مصيبة ، وجالس أهل العلم والحلم والحكمة ، ووسمته السنة
ولم يمتدحها إلى البدعة . وروى سيار عن جعفر عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال : وجدت
في زبور داود : يا داود هل تدري من أسرع الناس مرآ على الصراط ؟ الذين يرضون بمعصي ،
وأسئتهم رطبة بذكرى . وقيل إن عابداً عبد الله تعالى خمسين سنة فأوحى الله إلى نبيهم : إني قد
غفرت له ، فأخبره ذلك النبي ، قال : أى رب ، وأى ذنب تغفرلى ؟ فأمر عرقا في عنقه ف ضرب
عليه ، فلم ينم ولم يهدأ ولم يصل ليلته ، ثم سكن العرق ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : ما لاقيت
من عرق ضرب على في عنقك ثم سكن . فقال له النبي : إن الله يقول : إن عبادك خسين سنة
ما تعدل سكون هذا العرق . وقال وهب : رموس التميم ثلاثة « إحداها » نعمة الاسلام التى لا تهم
نعمة إلا بها . « والثانية » نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها . « والثالثة » نعمة التنى التى
لا يتم العيش إلا بها . ومر وهب بمبتلى أعمى مجنوم مقعد عريان به وضع وهو يقول : الحمد لله على
نعمه ، وقال له رجل كان مع وهب : أى شئ بقى عليك من النعمة محمد الله عليه ؟ فقال المبتلى : آدم
بصرى إلى أهل المدينة وانظر إلى كثرة أهلها ، أولاً أحد الله أنه ليس فيها أحد يعرف غيرى ؟ .
وقال وهب : المؤمن يخاطب ليلم ، ويسكت ليلسم ، ويتكلم ليققههم ، ويخجل ليقم . وقال : المؤمن مفكر
مذكر مفر ، تذكر فضيلته السكينة ، سكن فتواضع فلم يتهم ، رفض الشهوات فصارحرا ، ألقى عنه
الحسد فظهرت له المحبة ، زهد فى كل فان استكمل العقل ، رغب فى كل باق ففعل المعرفة ، قلبه
منعلق بهبه ، وهمه موكل بمجاهدة ، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا ، بل حزنه عليه سرمد ، وفرحه إذا
نامت العيون بتلو كتاب الله ويروده على قلبه ، فرة يزع قلبه ومرة تدمع عينه ، يقطع عنه الليل
بالتلاوة ، ويقطع عنه النهار بانظرة والمرأة ، مفكرآ فى ذنوبه ، مستصراً لأعماله . وقال وهب : فهذا
ينادى يوم القيامة فى ذلك الجمع العظيم على رموس الخلائق : قم أيها الكريم فادخل الجنة .

وقال إبراهيم بن سعيد عن عبد الرحمن بن مسعود عن ثور بن يزيد . قال قال وهب بن منبه :

الويل لكم إذا ساءكم الناس صالحين ، وأكرمكم على ذلك . وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا همام بن سلمة بن عقبة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن مقل بن منبه قال : سمعت عمي وهب بن منبه يقول : يا بني ! اخلص طاعة الله بسريرة تامة يصنع بها فلك في العلانية ، فان من فعل خيرا ثم أسره إلى الله فقد أصاب مواضعه ، وأبلغه قواره ، ووضعه عند حافظه وإن من أسر عملا صالحا لم يطلع عليه إلا الله ، قد أطلع عليه من هو حسبه ، واستحفظه واستودعه حفيظا لا يضيع أجره ، فلا تخافن يا بني على من عمل صالحا أسره إلى الله عز وجل ضياعا ، ولا تخافن ظلمة ولا هزيمة ، ولا تظنن أن العلانية هي أنجح من السريرة ، فان مثل العلانية مع السريرة كمثل ورق الشجرة مع عرقها ، العلانية ورقها والسريرة أصلها ، إن يحرق العرق هلكت الشجرة كلها ، وإن صلح الأصل صلحت الشجرة ، ثمرها وورقها ، والورق يأتي عليه حين يجف ويصير هباء تفره الريح ، بخلاف العرق ، فانه لا يزال مظهر من الشجرة في خير وعافية ما كان عرقها مستخيا لا يرى منه شيء ، كذلك الدين والعلم والعمل ، لا يزال صالحا ما كان له سريرة صالحة يصنع الله بها علانية المبد ، فان العلانية تنفع مع السريرة الصالحة ، ولا تنفع العلانية مع السريرة الفاسدة ، كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها ، وإن كان حياته من قبل عرقها ، فان فرعها زينتها وجلالها ، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين ، فان العلانية معها تزين الدين وتجمله إذا عملها مؤمن لا يزيد بها إلا رضاه به عز وجل .

وقال الهيثم بن جميل : حدثنا صالح المري عن أبيان عن وهب قال : قرأت في الحكمة : الكفر أربعة أركان ، ركن منه الغضب ، وركن منه الشهوة ، وركن منه الطمع ، وركن منه الخوف . وقال : أوحى الله تعالى إلى موسى : إذا دعوتني فكن خائفا مشقيا وجلا ، وعصر خذك بالغراب ، واسجد لي بحكرك وجهك وبديك ، وسلني حين تسألني بخشية من قلبك ووجل ، واخشني أيام الحياة ، وعلم الجبال آلائي ، وقل لبداي لا يتأدوا في غي مام فيه فان أخذني أليم شديد . وقال وهب : إذا هم الوالي بالجزور أو عمل به دخل النقص على أهل مملكته ، وقلت البركات في التجارات والزراعات والضرع والمواشي ، ودخل الحق في ذلك ، وأدخل الله عليه القتل في ذاته وفي ملكه . وإذا هم بالمدل والخير كان عكس ذلك ، من كثرة الخير ونحو البركات . وقال وهب : كان في مصحف إبراهيم عليه السلام أيها الملك المبتي ، إني لم أبتك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولا لتبني البنيان ، وإنما بمتك لترفع لي دعوة المظلوم فاني لأردعها ولو كانت من كافر .

وروي ابن أبي الدنيا عن محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه أن ذا القرنين قال لبعض الملوك : ما بال ملئكم واحدة ، وطريقكم مستقيمة ؟ قال : من قبل أنا لا نتخادع ولا يتقلب بعضنا بعضا . وروي

ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : ثلاث من كن فيه أصاب البر ، سخاوة النفس ، والصبر على الآذى ، وطيب الكلام . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم عن سلمة بن ميمون عن المقاتي بن عمران عن إدريس قال : سمعت وهيب يقول : كان في بني إسرائيل رجالان بلغت بهما عبادتهما أنهما مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان على البحر إذاهما برجل يمشي في الهواء ، فقالا له : يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة ؟ قال : يسير من البر فقلت له ، ويسير من الشر تركته ، فطمت نفسي عن الشهوات ، وكففت لسائق عما لا يمتني ، ورغبت فيما دعاقي إليه خالقي ، ولزمت الصمت فإن أقسمت على الله عز وجل أبر قسمي ، وإن سألتني أعطاني . وقال : حدثني أبو العباس البصري الأزدي عن شيخ من الأزد . قال : جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : علمني شيئا ينفعني الله به ، قال : أ أكثر من ذكر الموت ، وأقصر أملك ، وخصلة ثالثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى ، وظفرت بالعبادة الكبرى قال : وما هي ؟ قال : التوكل .

ومن توفي فيها من الأعيان

﴿ سليمان بن سعد ﴾

كان جيلا فصيحاً عالماً بالعريضة ، وكان يعلمها الناس هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب ، وتوفي صالح بعده بقليل ، وكان صالح فصيحاً جيلاً عارفاً بكتابة الديوان ، و به يخرج أهل العراق من كتابة الديوان وقد ولاء سليمان بن عبد الملك خراج العراق .

﴿ أم الهذيل ﴾

لها روايات كثيرة ، وقد قرأت القرآن وعمرها اثنى عشر سنة ، وكانت قضيعة عالة ، من خيار النساء ، عاشت سبعين سنة .

﴿ عائشة بنت طلحة بن عبد الله التميمي ﴾

أمها أم كلثوم بنت أبي بكر ، تزوجت يابن خلفا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بعده بمصعب بن الزبير ، وأصدقها مائة ألف دينار ، وكانت بارعة الجمال ، عظيمة الحسن لم يكن في زمانها أجمل منها . توفيت بالمدينة .

﴿ عبد الله بن سعيد بن جبير ﴾

له روايات كثيرة ، وكان من أفضل أهل زمانه ،

﴿ عبد الرحمن بن أبان ﴾

ابن عثمان بن عفان . له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة [^(١)]

(١) من أول الفصل الذي في ص ٢٦٧ إلى هنا زيادة من المصرية .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة ﴾

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ^(١) ، وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى ^(٢) ، حتى بلغ قيسارية من بلاد الروم . وفيها عزل هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله السلي عن إمرة خراسان وولى عليها الجنيدي بن عبد الرحمن ، فلما قدم خراسان تلقته خيول الأتراك منهزمين من المسلمين ، وهو في سبعة آلاف فتصافوا واقتتلوا قتالا شديداً ، وطعموا فيه وفيمن معه لقتلهم بالنسبة إليهم ، ومعهم ملكهم خاقان ، وكاد الجنيدي أن يهلك ، ثم أغفره الله بهم فهزمهم هزيمة منكرة ، وأسرا بن أخى ملكهم ، وبعث به إلى الخليفة . وحج بالناس فيها إبراهيم بن هشام الخزومي ، وهو أمير الحرمين والطائف ، وأمير العراق خالد القسري ، وأمير خراسان الجنيدي بن عبد الرحمن المري .

﴿ ثم دخلت سنة ثلث عشرة ومائة ﴾

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح حصوناً من ناحية ملاطية . وفيها سارت الترك من اللان فلقبهم الجراح بن عبد الله الحكى فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان ، فاقتلوا قبل أن يتكامل إليه جيشه ، فاستشهد الجراح رحمه الله وجماعة معه بمرج أردبيل ، وأخذ العدو أردبيل . فلما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك بعث سعيد بن عمرو الجرشي بجيش وأمره بالأسراع إليهم ، فلحق الترك وهم يسرون بأسارى المسلمين نحو ملكهم خاقان ، فاستنقذ منهم الأسارى ومن كان معهم من نساء المسلمين ، ومن أهل القعة أيضاً ، وقتل من الترك مقتلة عظيمة جدا ، وأسروا منهم خلقاً كثيراً فقتلهم صبرا ، وشق ما كان تغلبت من القلوب ، ولم يكف الخليفة بذلك حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك ، فسار إليهم في برد شديد وشتاء عظيم ، فوصل إلى باب الأبواب واستخلف عنه أميراً وسار هو بن معه في طلب الأتراك وملكهم خاقان ، وكان من أمره معهم ما سئد كره . ونهض أمير خراسان في طلب الأتراك أيضاً في جيش كثيف ، فوصل إلى نهر بلخ ووجه إليهم سرية ثمانية عشر ألفاً ، وأخرى عشرة آلاف بمنة ويسرة ، وجلشت الترك وجيش ، فأثوا سمقر قد فكتب أميرها إليه يملأ بهم ، وأنه لا يقدر على صون سمقر قد منهم ، ومعهم ملكهم الأعظم خاقان ، فالتوت النوت . فسار الجنيدي مسرعاً في جيش كثيف هو نحو سمقر قد حتى وصل إلى شعب سمقر قد وبقى بينه وبينها أربعة فراسخ ، فصعبه خاقان في جمع عظيم ، فحمل خاقان على مقدمة الجنيدي فأنجزوا إلى المسكر والترك تتبعهم من كل جانب ، فترامى الجمعان والمسلمون يتفدون ولا يشعرون بالهزائم مقدمتهم وأنحيازها إليهم ، فقبضوا إلى السلاح واصطفوا على منازلهم ، وذلك في مجال واسع ، ومكان بارز ، فالتقوا وحملت الترك على مينة المسلمين وفيها بنو تميم والأزد ، قتل منهم ومن غيرهم خلق (١) أي البلاد الواقعة في ساحل بلاد الأناضول (٢) أي بر الأناضول من جهة البلاد الداخلية

كثير ، من أراد الله كرامته بالشهادة ، وقد برز بعض شجبان المسلمين لجماعة من شجبان الترك فقتلهم ، فناداه منادى خافن : إن صرت إلينا جملتك من يرقص الصنم الأعظم فتمعدك . قال : وبحكم ، إنما أقاتلكم على أن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ثم تناخى المسلمون وتداغت الأبطال والشجبان من كل مكان ، وصبروا وصابروا ، وحلوا على الترك حملة رجل واحد ، فبهزمهم الله عز وجل ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم عطفت الترك عليهم فقتلوا من المسلمين خلقاً حتى لم يبق سوى ألفين ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وقتل يمينه سودة بن أبيجر واستأسروا من المسلمين جماعة كثيرة فحولهم إلى الملك خافن فأمر بقتلهم عن آخرهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وهذه الوقعة يقال لها وقعة الشعب . وقد بسطها ابن جرير جداً . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ رجاء بن حيوة الكندي ﴾

أبو المقدام ، ويقال أبو نصر ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر ، ثقة فاضل عادل ، وزير صدق خلفاء بني أمية ، وكان مكحول إذا مثل يقول : سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية ، وله روايات وكلام حسن رحمه الله .

﴿ شهر بن حوشب الأشعري الحمصي ﴾

وقال إنه دمشقي ، تابعي جليل ، روى عن مولاته أسماء بنت يزيد بن السكن وغيرها ، وحدث عنه جماعة من التابعين وغيرهم . وكان علماً عابداً تاسكاً ، لكن تكلم فيه جماعة بسبب أخذه خريطة من بيت المال بغير إذن ولي الأمر ، فصابوه وتركوه عرضة ، وتركوا حديثه وأشدوا فيه الشعر ، منهم شعبة وغيره ، ويقال إنه سرق غيرها ففقه أعلم . وقد وثقه جماعة آخرون وقبلوا روايته وأثمروا عليه وعلى عبادته ودينه واجتهاده ، وقالوا : لا يقدح في روايته ما أخذه من بيت المال إن صح عنه ، وقد كان والياعليه منتصراً فيه ففقه أعلم . قال الواقدي : توفي شهر في هذه السنة - أعني سنة اثنتي عشرة ومائة - وقيل قبلها بسنة وقيل سنة مائة ففقه أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة ﴾

ففيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش ، وفيها صار جماعة من دعة بني العباس إلى خراسان وانتشروا فيها ، وقد أخذ أميرهم رجلاً منهم فقتله وتوعد غيره بمثل ذلك . وفيها وغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الترك فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودانت له تلك البلاد من ناحية بلنجر وأعمالها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هاشم الخزومي ، ففقه أعلم . ونواب البلاد المذكورون في التي قبلها . ومن توفي فيها من الأعيان قال ابن جرير : فيها كان مهلك

﴿ الأمير عبد الوهاب بن يثرت ﴾

وهو مع البطل عبد الله بأرض الروم قتل شهيداً وهذه ترجمته

هو عبد الوهلب بن بخت أبو عبيدة ويقال أبو بكر ، مولى آل مروان مكي ، سكن الشام ثم تحول إلى المدينة ، روى عن ابن عمر وأنس وأبي هريرة وجماعة من التابعين . وعنه خلق منهم أيوب ومالك ابن أنس ويحيى بن سعيد الأنصارى وعبيد الله العمري ، حديثه عن أنس مرفوعاً « نضر الله امرأ سمع مقالتي هذه فوعاها ثم بلغها غيره » ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يفتل عليهن صدر مؤمن ، إخلاص العمل لله ، ومناجاة أولى الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، كأن دعوتهم تحيط من ورائهم . . وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة ثم لقيه فليسلم عليه » . وقد وثق عبد الوهلب هنا جماعات من أئمة العلماء . وقال مالك : كان كثير الحج والعمرة والفرو ، حتى استشهد ولم يكن أحق بما في رحله من رفاقه ، وكان محمداً جواداً ، استشهد ببلاد الروم مع الأمير أبي محمد عبد الله البطال ، ودفن هناك رحمه الله . توفي في هذه السنة فله خليفة وغيره ، وذلك أنه لقي العدو ففر بعض المسلمين ، فجعل ينادي ويركض فرسه نحو العدو : أن هلموا إلى الجنة ، ويحكم أفراراً من الجنة ؟ أفرؤن من الجنة ؟ إلى أين ويحكم لا مقام لكم في الدنيا ولا بقاء ؟ ثم قاتل حتى قتل رحمه الله .

﴿ مكحول الشامي ﴾

ثامي جليل القدر ، إمام أهل الشام في زمانه ، وكان مولى لامرأة من هذيل ، وقيل مولى امرأة من آل سعيد بن العاص ، وكان نوبياً ، وقيل من سبي كابل ، وقيل كان من الأبناء من سلالة الأكسرة وقد ذكرنا نسبه في كتابنا التكميل . وقال محمد بن إسحاق : سمعته يقول : طفت الأرض كلها في طلب العلم : وقال الزهري : العلماء أربعة ، سعيد بن المسيب بالحجاز ، والحسن البصري بالبصرة ، والشعي بالكوفة ، ومكحول بالشام . وقال بعضهم : كان لا يستطيع أن يقول قل ، وإنما يقول كل وكان له وجاعة عند الناس ، مهما أمر به من شيء ضل . وقال سعيد بن عبد العزيز : كان أفقه أهل الشام ، وكان أفقه من الزهري . وقال غير واحد : توفي في هذه السنة ، وقيل بعدها فله أعلم :

[مكحول الشامي هو ابن أبي مسلم ، واسم أبي مسلم شهاب بن شاذل . كذا قتله من خط عبد الهادي ، وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طلب ريحه زيد في عقله . وقال مكحول في قوله تعالى (ثم لتأتين يومئذ النعم) قال : بارد الشراب ، وظلال المساكن وشبع البطون ، واعتدال الخلق ، وفداحة النوم . وقال : إذا وضع المجاهدون أعتاقهم عن دوابهم أمتها الملائكة ، فسحت ظهورها ودعت لها بالبركة ، إلا دابة في عنقها جرس] (١) .

(١) زيادة من المصرية .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة ﴾

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وعلى بنى سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام : وفيها التقى عبد الله البطل وملك الروم المسمى فيهم قسطنطين ، وهوا بن هرقل الأول الذى كتب إليه النبي ﷺ فأمره البطل ، فأرسله إلى سليمان بن هشام ، فسار به إلى أبيه . وفيها عزل هشام عن إمرة مكة والمدينة والطائف إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وولى عليها أخاه محمد بن هشام فخرج بالناس في هذه السنة في قول ، وقال الواقدي وأبو معشر : إنما حج بالناس خالد بن عبد الملك بن مروان والله أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ عطاء بن أبي رباح ﴾

الزهرى مولاهم أبو محمد المكي ، أحد كبار التابعين التقت الرفقاء ، وقال إنه أدرك مائتي صحابي وقال ابن سعد : سمعت بعض أهل العلم يقول : كان عطاء أسود أعور أفتطس أشل أعرج ، ثم عفى بعد ذلك ، وكان ثقة فيها علما كثير الحديث ، وقال أبو جعفر الباقور وغير واحد : ما بقي أحد في زمانه أعلم بالنسابة منه ، وزاد بعضهم ، وكان قد حج سبعين حجة ، وعمر مائة سنة ، وكان في آخر عمره يظفر في رمضان من السكر والضعف ويفدى عن إفطاره ، ويتأول الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) وكان ينادى منادى بنى أمية في أيام منى : لا يقبض الناس في الحج إلا عطاء بن أبي رباح ، وقال أبو جعفر الباقور : ما رأيت فيمن لقيت أوقفه منه ، وقال الأوزاعي : مات عطاء يوم مات وهو أَرْضَى أهل الأرض عندهم . وقال ابن جرير : كان في المسجد فراش عطاء عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس به صلاة . وقال قتادة : كان سميد بن المسيب والحسن وإبراهيم وعطاء هؤلاء أئمة الأمصار . وقال عطاء إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنتصت له كأنى لم أكن سمعته ، وقد سمعته قبل أن يولد ، فأريه أنى إنما سمعته الآن منه . وفي رواية : أنا أحفظ منه له فأريه أنى لم أسمع . الجمهور على أنه مات في هذه السنة رحمه الله تعالى والله أعلم .

[فصل]

أسند أبو محمد عطاء بن أبي رباح - واسم أبي رباح أسلم - من عدد كثير من الصحابة ، منهم ابن عمر وابن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو هريرة ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبو سعيد . وسمع من ابن عباس التفسير وغيره . وروى عنه من التابعين عدة ، منهم الزهري ، وعمر بن دينار ، وأبو الزبير ، وقتادة ، ويحيى بن كثير ، ومالك بن دينار ، وحبيب بن أبي ثابت ، والأعشى ، وأيوب السخيتي ، وغيرهم من الأئمة والأعلام كثير . قال أبو هرزان : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول :

من جلس مجلس ذكر كفر الله عنه بذلك المجلس عشر مجالس من مجالس الباطل . قال أبو هران : قلت لعطاء : ما مجلس الذكر ؟ قال : مجالس الحلال والحرام ، كيف تصلى ، كيف تصوم ، كيف تنكح وتطلق وتبيع وتشتري .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة الصنعاني . قال : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في قوله تعالى : (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) قال : كانوا يقرضون الدرهم ، قيل كانوا يقصون منها ويقطعونها . وقال الثوري عن عبد الله بن الوليد - يعني الوصافي - قال : قلت لعطاء : ما ترى في صاحب قلم إن هو كتب به عاش هو وعياله في سعة ، وإن هو تركه افتقر ؟ قال : من الرأس ؟ قلت القسري لخالد . قال عطاء : قال العبد الصالح : (رب بما أنعمت علي قلن أكون ظهيراً للجبرمين) . وقال : أفضل ما أوتي العباد العقل عن الله وهو الدين . وقال عطاء : ما قال العبد : يا رب ، يا رب ، ثلاث مرات إلا نظر الله إليه ، قال : فذكرت ذلك للحسن فقال : أما تقرأ القرآن (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) إلى قوله : (فاستجاب لهم ربهم) الآيات .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عبد الله السلي حدثنا ضمرة عن عمر بن الورد قال قال عطاء : إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل . وقال سعيد بن سلام البصري : سمعت أبا حنيفة النعمان يقول : لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : أنت من أهل القرية الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت : نعم ! قال : فمن أي الأصناف أنت ؟ قلت : من لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب : فقال عطاء : عرفت فإزم . وقال عطاء : ما اجتمعت عليه الأمة أقوى عندنا من الاسناد . وقيل لعطاء : إن هاهنا قوما يقولون : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فقال : (والذين اهتموا زادهم هدى) فها هذا الهدى الذي زادهم ؟ قلت : ويرعون أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله ، قال تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فجعل ذلك ديناً . وقال يعلى بن عبيد : دخلنا على محمد بن سوقة فقال : ألا أحدثكم بمحدث لعله أن ينفعكم ، فانه نفعتي ، قال لي عطاء بن أبي رباح : يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يمدون فضول الكلام إثمًا ، ما عدا كتب الله أن يقرأ ، وأمر معروف أو نهى عن منكر ، أو ينطق العبد بمحاجة في معيشته التي لا بد له منها ، أنتكرون : (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين) و (عن الذين وعن الشهاب قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) أما يستحي أحدكم

لوفشرت عليه صحيفته التي أملاها صدرتهاره فرأى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟ .
وقال : إذا أنت خفت الحر من الليل فأقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

وروى الطبراني وغيره أن الحلقة في المسجد الحرام كانت لابن عباس ، فلما مات ابن عباس كانت لعطاء بن أبي رباح . وروى عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن الفضل بن دكين عن سفيان عن سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحداً يطلب بعمله ما عند الله تعالى إلا ثلاثة ، عطاء ، وطاوس ، ومجاهد . وقال الأمام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط ، وما رأيت على عطاء قيصاً قط ، ولأرأيت عليه نوباً يساوي خمسة دراهم . وقال أبو بلال الأشمري : حدثنا قيس عن عبد الملك بن جريج عن عطاء : أن يعلى بن أمية كانت له حبة ، وكان يقعد في المسجد ساعة ينوي فيها الاعتكاف . وروى الأوزاعي عن عطاء قال : إن كانت طامة بنت رسول الله ﷺ لتجن ، وإن كانت قصتها لتضرب بالحفنة . وعن الأوزاعي عنه قال : (ولا تأخذكم بها رافة في دين الله) قال : ذلك في إقامة الحد عليهما .

وقال الأوزاعي : كنت بالجماعة وعليها رجل وال يمتحن الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، إنه منافق وما هو بمؤمن ، ويأخذ عليهم بالطلاق والعتاق أن يسمى المسي مناقفاً وما يسميه مؤمناً ، فأطاعوه على ذلك وجعلوه له ، قال : فلقيت عطاء فيما بعد فسألته عن ذلك فقال : ما أرى بذلك بأساً يقول الله تعالى : (إلا أن تتقوا منهم فتاة) .

وقال الأمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت فإذا تكلم فخييل البناء أنه يؤيد . وقال في قوله تعالى : (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) قال : لا يلهيهم بيع ولا شراء عن مواضع حقوق الله تعالى التي افترضها عليهم أن يؤدوها في أوقاتها وأوائها . وقال ابن جرير : رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائمه : امسكوا احفظوا عني خساً : القدر خير من شره ، حلوه ومره من الله عز وجل ، وليس للعباد فيه مشيئة ولا تفويض . وأهل قبلتنا مؤمنون حرام دماؤهم وأموالهم إلا بمعها . وقتل الفتنة الباغية بالأيدي والتمال والسلاح ، والشهادة على المخوارج بالضلالة . وقال ابن عمر : يجمعون في المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح .

وقال معاذ بن سعد : كنت جالسا عند عطاء فحدث بحديث ، ففرض رجل له في حديثه ففضض عطاء . وقال : ماهنة الأخلاق ؟ وماهنة الطبائع ؟ والله إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه أنني لأحسن شيئا منه . وكان عطاء يقول : لأن أرى في بيتي شيطانا خيراً من أن أرى فيه وسادة ، لأنها تدعو إلى النوم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن ابن جرير قال : كان عطاء بعد ما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة

وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك . وقال ابن عينة : قلت لابن جرير : ما رأيت مصليا مثلك .
 قال : لو رأيت عطاء ؟ . وقال عطاه : إن الله لا يحب الفتي يلبس الثوب المشهور ، فيعرض الله عنه
 حتى يضع ذلك الثوب . وكان يقال : يغني العبد أن يكون كالريض لا بدله من قوت ، وليس كل
 الطعام بواقته . وكان يقال : الدعوة تسمى حين الحكيم فكيف بالجاهل ؟ ولا تقبطن ذا نعمة بما هو
 فيه فانك لا تدري إلى ماذا يصير بعد الموت [(١)]

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة ﴾

فيها وقع طاعون بالشام ، وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسمايل وهو نائب الحرمين
 والطائف . والنواب في سائر البلاد المذكورون في التي قبلها والله أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان
 ﴿ أبو جعفر الباقر ﴾

وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو جعفر الباقر ، وأمه أم
 عبد الله بنت الحسن بن علي ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر كثيرا ، أحد أعلام هذه الأمة علماء وعلماء
 وسيادة وشرفا ، وهو أحد من تدعى فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثني عشر ، ولم يكن الرجل على
 طريقهم ولا على منوالهم ، ولا يدين بما وقع في أذهانهم وأوهامهم وخيالهم ، بل كان ممن يقسم أيا بكر
 وعمر ، وذلك عنده صحيح في الأثر ، وقال أيضا : ما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما
 رضى الله عنهما . وقد روى عن غير واحد من الصحابة ، وحدث عنه جماعة من كبار التابعين
 وغيرهم . فمن روى عنه ابنه جعفر الصادق ، والحكم بن عتيبة ، وربيعة ، والأعشى ، وأبو إسحاق
 السبيعي ، والأوزاعي والأعرج ، وهو أسن منه ، وابن جريج وعطاء وعمر بن دينار والزهري .
 وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال : حدثني أبي وكان خير محدثي يومئذ على وجه الأرض ،
 وقال السجلى : هو مدني تابعي ثقة ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وكانت وفاته في هذه
 السنة في قول وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها أو في التي هي بعدها وبعد بعدها والله أعلم .
 وقد جاوز السبعين وقيل لم يجاوز الستين فأنه أعلم .

﴿ فصل ﴾

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان أبوه علي زين العابدين ، وجده
 الحسين قتلا شهيدين بالعراق . وسمي الباقر لبقرة العلوم واستنباطه الحكم ، كان ذا كرامة خاشعا صابرا
 وكان من سلاله النبوة ، ووقع النسب على الحسب ، وكان عارفا بالخطرات ، كثير البكاء والعبرات
 معرضا عن الجبال والخصومات .

قال أبو بلال الأشعري : حدثنا محمد بن مروان عن ثابت عن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى : (أولئك يميزون الفرة بما ضبروا) قال : الفرة الجنة بما ضبروا على الفقر في الدنيا . وقال عبد السلام بن حرب عن زيد بن خثمة عن أبي جعفر قال : الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ، ولا تصيب القناكر . قلت : وقد روى نحوه هذا عن ابن عباس قال : لو نزل من السماء صواعق عدد النجوم لم تصب القناكر . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر إني محزون ، وإني لمشتغل القلب . قلت : وما حزنك وشغل قلبك ؟ قال : يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغل عما سواه ، يا جابر ما الدنيا ؟ وما عسى أن تكون ؟ هل هي إلا مركبا ركبته ؟ أو نوبا لبسته ؟ أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر ! إن المؤمنين لم يطمئنتوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ، ولم يصمم عن ذكر الله مسمموا بآذنانهم من الفتنة ، ولم يعمم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة فنزلوا بثواب الأبرار . إن أهل التنوى أيسر أهل الدنيا مؤنة ، وأكثرهم لك معونة ، إن نسيت ذكر وك ، وإن ذكرت أعاتوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله ، قطعوا لجة ربههم عز وجل ، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم ، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم ، وعلموا أن ذلك من أمر خالقهم ، فأنزلوا الدنيا حيث أنزلها عليهم كنزل نزله ثم ارتحلوا عنه وتركوه ، وكما أصبت في منامك فلما استيقظت إذا ليس في يدك منه شيء ، فاحفظ الله فيما استرطاك من دينه وحكمته .

وقال خالد بن يزيد : سمعت محمد بن علي يقول : قال عمر بن الخطاب : إذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص . وكان أبو جعفر يصلي كل يوم وليلة بالكتابة . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : سلاح القمام قبسح الكلام . وروى أبو الأحوص عن منصور عنه قال : لكل شيء آفة ، وآفة العلم النسيان . وقال لابنه : إياك والكسل والضعف فانهما مفتاح كل خبيثة ، إنك إذا كسلت لم تؤد حقا ، وإن ضعجت لم تصبر على حق . وقال : أشد الأعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ، وإصافك من نفسك ، ومواساة الأخ في المال . وقال خلف بن حوشب : قال أبو جعفر : الإيمان ثابت في القلب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية ، وما دخل قلب عبد شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه .

وقال جابر الجعفي : ما يقول قهقهه العراقي في قوله تعالى : (لولا أن رأى برهان ربه) ؟ قال : رأى يعقوب عاشراً على إلهامه . فقال : لا ! حدثني أبي عن جدي علي بن أبي طالب أن البرهان الذي رآه أنها حين همت به وهم بها أي طمع فيها ، قامت إلى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض خشية أن يراها ، أو استحياها منه . فقال لها يوسف : ما هذا ؟ فقالت إلى أستحي

منه أن يرى على هذه الصورة . قال يوسف : تستحيين من صنم لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر ، أفلا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ثم قال : والله لا أتتألمن مني أبدا . فهو البرهان . وقال بشر بن الحارث الحافي : سمعت سفيان الثوري يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعت محمد بن علي يقول : التقي والمزيجولان في قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أو طناه . قال : إن الله يلقى في قلوب شيعة الرعب ، فإذا قام قائمنا ، وظهر مديننا كان الرجل منهم أجراً من ليل وأمضى من سيف . وقال : شيعة من أطاع الله عز وجل وأتاه . قال : إياكم والخصومة فانها تفسد القلب ، وتورث النفاق ، وقال : (الذين يخوضون في آيات الله) هم أصحاب الخصومات .

وقال عروة بن عبد الله : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال : لا بأس به ، قد حلّى أبو بكر الصديق سيفه . قال : قلت : وتقول الصديق ؟ قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل للصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا والآخرة . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ! بلغني أن قوماً بالمراق يزعمون أنهم يجيئون ويتناولون أبا بكر وعمر ويزعمون أني أمرتهم بذلك ، فأبلغهم عني أني إلى الله منهم بري ، والذي نفس محمد بيده - يعني نفسي - لو وليت لتقربت إلى الله بعبادهم ، لآتاني شفاععة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله لناظرون عن فضلها وسابقتها ، فأبلغهم أني بري منهم ومن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وقال : من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة . وقال في قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية ، قال : هم أصحاب محمد ﷺ ، قال : قلت : يقولون : هو علي قال : علي من أصحاب محمد ﷺ .

وقال عبد الله بن عطاء : ما رأيت للماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ، قال : رأيت الحكم عنده كأنه متعلم ، وقال : كان لي أخ في عيني عظيم ، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، وقال جعفر بن محمد : ذهبت بنلة أبي قتال : لئن ردها الله علي لأحمدنه بمحمد يرضاه ، فما كان بأسرع من أن أني بها بسرجه لم يفقد منها شيء ، فقام فركبها ، فلما استوى عليها وجمع إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله ، لم يزد علي ذك ، قبيل له في ذلك ، قال : فهل تركت أو أقيمت شيئا ؟ جعلت الحمد كله لله عز وجل . وقال عبد الله بن المبارك : قال محمد بن علي : من أعطي الخلق والرفق قد أعطى الخير والراحة ، وحسن حاله في دنياه وآخرته ، ومن حرهما كان ذك سبيلا إلى كل شر وبلية ، إلا من عصمه الله . وقال : أيدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريد لما إلا قال : فلمستم إخوانا كما تزعمون ، وقال : اعرف مودة أخيك لك بماله في قلبك من المودة

فان القلوب تسكافاً . ومع عصافير يصحن فقال : أتدري ماذا يقلن ؟ قلت : لا !! قال : يسبحن الله ويسألنه رزقهن يوما بيوم . وقال : تدعو الله بما تحب ، وإذا وقع القى تكره لم تخالف الله عز وجل فيما أحب .

وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل . وما يدفع القضاء إلا الدعاء . وإن أسرع الخير ثوابا البر ، وأسرع الشر عقوبة البنى ، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع أن يفعله ، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحول عنه ، وأن يؤذى جليسه بما لا يئنيه . هذه كليات جوامع موانع لا ينبغي لعاقل أن يضلها . وقال القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق . وقال أبو جعفر : صحب عمر بن الخطاب رجلا إلى مكة فات في الطريق ، فاحتبس عليه عمر حتى صلى عليه ودفنه ، قتل يوم إلا كان عمر يتمثل بهذا البيت :

وبالغ أمر كل يأمل دونه * ومختلج من دون ما كان يأمل

وقال أبو جعفر : والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد . وقال : ما أغرورت عين عبد بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار ، فان سألت على الخدين لم يرهق وجهه قمر ولا نلة ، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الأمة فان الله يكفر بها بمحور الخطايا ، ولو أن يا كيا بكى من خشية الله في أمة رحم الله تلك الأمة . وقال : بش الأخ أخ يرعك غنياً ويقطك فقيراً . قلت : البيت الذى كان يتمثل به قبله بيتان وهو ثالثهما ، وهذه الأبيات تتضمن حكما وزهدا في الدنيا قال :

لقد غفرت الدنيا رجلا فأصبحوا * بمنزلة ما بهما متحول

فساخط أمر لا يبدل غيره * وراض بأمر غيره سيبدل

وبالغ أمر كل يأمل دونه * ومختلج من دون ما كان يأمل^(١)

(ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة)

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة ، وفيها وقع طاعون عظيم بالشام وال عراق ، وكان معظم ذلك في واسط . وفي الحرم منها توفي الجنيد بن عبد الرحمن المرى أمير خراسان من مرض أصابه في بطنه ، وكان قد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فتغضب عليه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فزعه وولى مكانه عاصم بن عبد الله على خراسان ، وقال له : إن أدركته قبل أن يموت فأزق روحه . فاقدم عاصم بن عبد الله خراسان حتى مات الجنيد في الحرم منها بمرور ، وقال فيه أبو الجبر عيسى بن عصمة يرثيه :

هلك الجود والجنيد جميعا * فلى الجود والجنيد السلام

(١) زيادة من المصرية .

أصبحتاوين في بطن مرو . * ما تقنى على القصور الحام
 كتبنا نزهة الكرام فلما * مت مات التدي ومات الكرام
 ولما قدم عاصم خراسان أخذ ثوب الجنيد بالضرب البليغ وأنواع العقوبات ، وعسفهم في
 المصادر والجناليت ، فخرج عن طاعته الحارث بن شريح فبارزه بالحرب ، وجرت بينهما أمور
 يطول ذكرها ، ثم آل الأمر إلى أن انكسر الحارث بن شريح وظهر عاصم عليه . قال الواقدي :
 وفيها حج بالناس الوليد بن يزيد وهو ولي الأمر من بعد عمه هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين
 كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة ﴾

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى ، وهما ابنا
 أمير المؤمنين هشام . وفيها يث مروان بن محمد - وهو مروان الحار - وهو على أرمينية بمثنى ففتح
 حصونا من بلاد اللان ، ونزل كثير منهم على الايمان : وفيها عزل هشام عاصم بن عبد الله الهلالى
 الذى ولاه في السنة قبلها خراسان مكان الجنيد ، فزله عنها وضمها إلى عبد الله بن خالد القسرى
 مع العراق معادة اليه جريا على ما سبق له من العادة ، وكان ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الهلالى
 المعزول عنها ، وذلك أنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام : إن ولاية خراسان لا تصلح إلا مع ولاية
 العراق ، رجاء أن يضيفها إليه ، فانكس الأمر عليه فأجابه هشام إلى ذلك قبولاً إلى نصيبته ،
 وأضافها إلى خالد القسرى . وفيها توفى

﴿ قتادة بن دعامة السدوسى ﴾

أبو الخطاب البصرى الأعمى ، أحد علماء التابعين ، والأئمة العاملين ، روى عن أنس بن مالك
 وجماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ، والبصرى ، وأبو العالية ، ووزارة بن أوفى ، وعطاء
 ومجاهد ، ومحمد بن سيرين ، ومسروق ، وأبو جاز وغيرهم ، وحدث عنه جماعات من السكاك كأبى
 وحاد بن مسلمة ، ونعيم الطويل ، وسعيد بن أبى عروبة ، والأشعث ، وشعبة ، والأوزاعي ،
 ومسعر ، ومعمر ، وهمام . قال ابن المسيب : ما جاهدني عراق أفضل منه . وقال بكر المزنى : ما رأيت
 أحفظ منه . وقال محمد بن سيرين : هو من أحفظ الناس ، وقال مطر : كان قتادة إذا سمع الحديث
 يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه ، وقال الزهرى : هو أعلم من مكحول . وقال معمر : ما رأيت
 أحفظ من الزهرى وحاد وكتادة . وقال قتادة : ما سمعت شيئاً إلا وعاه قلبي . وقال أحمد بن حنبل : هو
 أحفظ أهل البصرة ، لا يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرأ عليه صحيفة جابر مرة واحدة حفظها . وذكر
 يوماً فأتى على علمه وقته وممرقه بالاختلاف والتفسير وغير ذلك ، وقال أبو حاتم : كانت وفاته باسط

في الطاعون - يعني في هذه السنة - وعمره ست أو سبع وخمسون سنة
 [قال قتادة : من وثق بالله كان الله معه ، ومن يكن الله معه تكن معه الفتنة التي لا تغلب ،
 والحارس الذي لا ينام ، والمهادي الذي لا يضل ، والعالم الذي لا ينسى . وقال : في الجنة كوة إلى النار
 فيقولون : ما بال الأتقياء دخلوا النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم ، قالوا : إنما كنا نأمركم
 ولا نأمر ، وننهاكم ولا ننهي . وقال : باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح
 دينه وصلاح الناس ، أفضل من عبادة حول كامل . وقال قتادة : لو كان يكتفي من العلم بشئ لا كفى
 موسى عليه السلام بما عنده ، ولكنه طلب الزيادة] ^(١)
 وفيها توفي : أبو الحباب سعيد بن يسار والأعرج ، وابن أبي مليكة ، وعبد الله بن أبي زكريا
 الخزازي ، وميمون بن مهران بن موسى بن وردان

[فصل ٤]

فأما سعيد بن يسار فكان من ألباد الزهاد ، روى عن جماعة من الصحابة ، وكذلك الأعرج
 وابن أبي مليكة . وأما ميمون بن مهران فهو من أجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادهم وأتقيهم . كان
 ميمون إمام أهل الجزيرة . روى الطبراني عنه أنه قيل له : مالك لا يشاركك أخ لك عن قلى ؟ قال :
 لائى لا أماريه ولا أثاربه . قال عمر بن ميمون : ما كان أبى يكثر الصلاة ولا الصيام ، ولكن كان
 يكره أن يبعث الله عز وجل . وروى ابن أبي عدى عن يونس عنه قال : لا تمارين علما ولا جاهلا ،
 فانك إن ماريت علما خزن عنك علمه ، وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك . وقال عمر بن ميمون :
 خرجت بأبى أقوده في بعض سكك البصرة ، فررنا بمجدول فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه ،
 فاضطجعت له فر على ظهري ، ثم قت فأخفت يده . ثم دفننا إلى منزل الحسن فطرقت الباب
 فخرجت إلينا جارية سداسية ، قالت : من هذا ؟ قلت : هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن ،
 قالت : كاتب عمر بن عبد العزيز ؟ قلت لها : نعم . قالت : يا شقى ما بقلوك إلى هذا الزمان سوء ؟ :
 قال : فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا ، قال ميمون : يا أبا سعيد إني
 قد أنست من قلبى غائلة طستكن لى منه ، قرأ الحسن : (أفرأيت إن متناهم سنين ثم جاءهم
 ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنون) فسقط الشيخ منشأ عليه ، فرأيت يعض برجليه
 كما تعض الشاة إذا ذبحت ، فأقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت : قد أقمتم الشيخ ، قوموا تفرقوا ،
 فأخفت بيد أبى فخرجت فقلت : يا أبت أهنأ هو الحسن ؟ قال : نعم . قلت : قد كنت أحسب في
 (١) زيادة من المصرية .

فرضي أنه أكبر من هذا ، قال : فوكر في صدرى وكزة ثم قال : يا بني لقد قرأ علينا آية لو فهمتها قبلك لألقيت لها فيه كلوما .

وروى الطبراني عنه أنه قال : ما أحب أنى أعطيت درهما في لحو وأن لى مكانه مائة ألف ، أخشى أن تصيبني هذه الآية : (ومن الناس من يشتري لحو الحديث ليضل عن سبيل الله) الآية وقال جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فذاقت قال عمر : إذا ذهب هذا وأضرابه لم يبق من الناس إلا مجاجة

وروى الإمام أحمد عن معمر بن سليمان الرقي عن فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران قال : ثلاث لا تلبون نفسك بهن : لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله ، ولا تدخل على امرأة وإن قالت أعلها كتاب الله ، ولا تصفien بسملك إلى ذى هوى فانك لا تدري ما يملق بقلبك من هواه . وروى عبد الله بن أحمد عنه في قوله تعالى : (إن جهنم كانت مرصدا) (وإن ربك لبالمرصاد) فقال : التمسوا لهذه المرصدين الجواز . وفي قوله تعالى : (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) فيها وعيد شديد للظالم ، وقمزية للظالم . وقال : لو أن أهل القرآن صلحوا لصلح الناس . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا عيسى بن سالم الشاشي حدثنا أبو المليلح قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : لا خير في الدنيا إلا رجلين ، رجل ثاقب - أو قال : ثوب - من الخطيئات ، ورجل يعمل في الدرجات ، فلا خير في العيش والبقاء في الدنيا إلا لهذين الرجلين ، رجل يعمل في الكفارات ورجل يعمل في الدرجات ، وبقاء ماسواهما وإل عليه . وقال جعفر بن برقان : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن هذا القرآن قد خلق في صدور كثير من الناس فالتمسوا ماسواه من الأحاديث ، وإن فمين يقبع هذا العلم قوما يتخفونه بضاعة يلتمس بها الدنيا ، ومنهم من يريد أن يمارى به ، وخيرهم من يتلمه ويطيع الله عز وجل به . وقال : من اتبع القرآن فاده القرآن حتى يحمل به الجنة ، ومن ترك القرآن لم يدعه القرآن يقيمه حتى يهذفه في النار .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : لا يلى للرجل الحلال حتى يحمل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال . وقال ميمون : من كان يريد أن يعلم مامتزته عند الله فلينظر في عمله فانه قام عليه كائنا ما كان . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن عثمان الحراني حدثنا أبو المليلح عن ميمون بن مهران . قال : نظر رجل من المهاجرين إلى رجل يصلى فأخفى الصلاة فتابه ، قال : إني ذكرت ضيعة لى . قال : أكبر الضيعة أضعت . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا جعفر بن محمد القسبي حدثنا أبو جعفر الثنيلبي حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن عن طلحة بن زيد قال قال ميمون : لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه . وروى

عبد الله بن أحمد عنه أيضا قال : لأن أوتعن على بيت مال أحب إلى من أن أوتعن على امرأة .
وقال أبو دلي الموصلي : حدثنا هاشم بن الحارث حدثنا أبو المليح الرقي عن حبيب بن أبي مرزوق
قال قال ميمون : وددت أن إحدى عيني ذهبت و بقيت الأخرى أتمع بها ، وأني لم أَل عملا قط .
قلت : ولا لغير بن عبد العزيز ؟ قال : ولا لغير بن عبد العزيز ، لا خير في العمل لا لغير ولا لغيره .
وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثنا سفيان حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران
قال : ما عرضت قولي على علي إلا وجدت من نفسي اعتراضا . وقال الطبراني : حدثنا المقدم بن
داود حدثنا علي بن مهيد حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر عن ميمون قال : قال لي ميمون : قل
لي في وجهي ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره . وروى عبد الله
ابن أحمد عنه في قوله تعالى : (خافضة رافعة) قال : تخفض أقواما وترفع آخرين . وقال عبد الله بن
أحمد بن حنبل : حدثني عيسى بن سالم حدثنا أبو المليح حدثنا بعض أصحابي قال : كنت أمشي مع
ميمون فنظر فرأى علي ثوب كنان فقال : أما بلنك أنه لا يلبس الكتان إلا غني أو غلو ؟ وبهذا
الاسناد سمعت ميمون بن مهران يقول : أول من مشى الرجال معه وهو راكب الأشعث بن قيس
الكندي ، ولقد أدركت السلف وهم إذا نظروا إلى رجل راكب ورجل يحضر معه ، قالوا : فانه جبار .
وقال عبد الله بن أحمد : بلغني عن عبد الله بن كريم بن حبان - وقد رأيته - حدثنا أبو المليح
قال قال ميمون : ما أحب أن لي ما بين باب الرضا إلى حوران بخمسة دراهم . وقال ميمون : يقول
أحدهم : اجلس في بيتك واغلق عليك بابك وانظر هل يأتيك رزقك ؟ نعم والله لو كان له مثل يقين
مريم وإبراهيم عليهما السلام ، وأغلق عليه بابه ، وأرخى عليه ستره ، لجاءه رزقه . وقال : لو أن كل
إنسان منا يتعاهد كسبه فلم يكسب إلا طيبا ، فأخرج ما عليه ، ما احتجج إلى الأغنياء ، ولا احتاج
الفقراء . وقال أبو المليح عن ميمون قال : ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا كان إسقاط المكروه
عنه أحب إلى من تخفيفه عليه ، فإن قال : لم أقل ، كان قوله لم أقل أحب إلى من ثمانية يشهدون
عليه ، فإن قال : قلت ولم يستخر ، أبفضته من حيث أحببته . وقال : سمعت ابن عباس يقول : ما
بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل ، إن كان فوق عرفت له قدره ، وإن
كان نظيري فضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحزل به . هذه سيرتي في نفسي ، فمن رغب عنها
فإن أرض الله واسعة .

وقال أبان بن أبي راشد القشيري : كنت إذا أردت الصائفة أتيت ميمون بن مهران أو دعه ،
فأزيدني على كتفين . اتق الله ولا يتركك طمع ولا غضب . وقال أبو المليح عن ميمون قال : العلماء
هم ضالقي في كل بلدة ، وهم أحبتي في كل مصر ، ووجنت صلاح قلبي في مجالسة العلماء . وقال في قوله

تمالي : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال : عزنا . وقال : لأن أنصدق بدمي في حياتي أحب إلى من أن أنصدق بمائة درهم بعد موتي . وقال : كل من يقاتل : الله كذا ذكران ، ذكر الله باللسان ، وأفضل من ذلك أن تذكره عند ما أحل وحرم ، وعند المعصية فتكف عنها وقد أشرقت . وقال : ثلاث الكافر المؤمن فبين سواء ، الأمانة تؤديها إلى من أئتمنتك عليها من مسلم وكافر ، وبر الوالدين وإن كانا كافرين ، والهدى تبقى به للأومن والكافر . وقال صفوان عن خلف بن حوشب عن ميمون قال : أدركت من لم يكن يلاً عبيته من السماء فرقا من ربه عز وجل .

وقال أحمد بن بزيع : حدثنا يلى بن عبيد حدثنا هارون أبو محمد البربري أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة وعلى قضائها وخراجها ، فكتب حينئذ كتيب إلى عمر يستغفبه عن ذلك ، وقال : كلتني مالا أطيق ، أقضى بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق فكتب إليه عمر : اجب من الخراج الطيب ، واقض بما استبان لك ، فإذا التبتس عليك أمر فارضه إلى ، فإن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا .

وقال قتبية بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا تلب عيبت من قلبه فترى قلب المؤمن مجلياً مثل المرأة ، ما يأتية الشيطان من ناحية إلا أبصره ، وأما الذي يتتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من أين يأتيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن ثابت حدثنا جعفر عن ميمون قال : ما أقل أكياس الناس : ألا يبصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس وإلى ما أدوا به ، وإلى ما قد أكوا عليه من الدنيا ، فيقول : ما هؤلاء إلا أمثال الأفاعي ، لأم لها إلا ما تجيل في أجوافها ، حتى إذا أبصر غفلتهم نظر إلى نفسه قال : والله إني لأراني من شرهم بغيراً واحداً . وبهذا الأسناد عنه : ما من صدقة أفضل من كلمة حق عند إمام جائر . وقال : لا تعذب الملوك ولا تضربه على كل ذنب ، ولكن احفظ ذلك له ، فإذا عصي الله عز وجل ضاق به على معصية الله وذكره الذنوب التي أذنب بينك وبينه . وقال قتبية : حدثنا جعفر بن برقان سمعت ميمون بن مهران يقول : لا يكون الرجل من المتقين حتى يجالس نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه ، حتى يعلم من أين مطعمه ، ومن أين مشربه ، أمن حلال ذلك أم من حرام ؟

وقال أبو زرعة الأنباري : حدثنا سعيد بن حفص النفيلي حدثنا أبو المليح عن ميمون قال : الناسق بمنزلة السبع فإذا كلت فيه تغليت سبيله قد خليت سببا على المسلمين . وقال جعفر بن برقان : قلت لميمون بن مهران : إن فلانا يستبطن نفسه في زيارتك ، قال : إذا تجتت المودة في اللغو فلا

بأس وإن طال المكث . وقال أحمد : حدثنا ميمون الرقي حدثنا الحسن أبو المليح عن ميمون قال : لا تجد غريبا أهون عليك من بطنك أو ظهرك . وقال الامام أحمد أيضاً : حدثنا عبد الله بن ميمون حدثنا الحسن عن حبيب بن أبي مرزوق قال : رأيت على ميمون جبة صوف تحت ثيابه فقلت له : ما هذا ؟ قال : نعم ! فلا تخبر به أحدا . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني يحيى بن عثمان حدثنا أبو المليح عن ميمون قال : من أساء سرّاً فليتب سرّاً ، ومن أساء علانية فليتب علانية ، فإن الله ينفّر ولا يستر ، وإن الناس يسرون ولا ينفرون .

وقال جعفر قال ميمون : في المال ثلاث آفات ، إن نجما صاحبه من واحدة لم ينجم من اثنتين ، وإن نجما من اثنتين كان قينا أن لا ينجم من الثالثة ، ينبغي أن يكون حلالا طيبا ، فأبكم الذي يسلم كسبه فلم يدخله إلا طيبا ؟ فإن سلم من هذه فينبغي أن يؤدي الحقوق التي تترتب في ماله ، فإن سلم من هذه فينبغي أن يكون في نفسه ليس بمسرف ولا مقتر . وقال : سمعت ميمونا يقول : أهون الصوم ترك الطعام والشراب . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا يحيى بن عثمان الحاربي حدثنا أبو المليح عن ميمون ابن مهران قال : ما قال رجل من جسم الخليل نبي أو غيره إلا بالصبر . وهذا الاستناد قال : الدنيا حلوة خضرة قد حفت بالشهوات ، والشيطان عدو حاضر ، فيظن أن أمر الآخرة أجل ، وأمر الدنيا عاجل . وقال يونس بن عبيدة : كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران ، فكتبت إليه أسأله عن أهله ، فكتب إلى : بلغني كتابك تسألني عن أهلي ، وأنه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنسانا ، وإنني أكره البلاء إذا أقبل ، فإذا أدبر لم يسرفني أنه لم يكن ، وأما أنت فليكن بكتاب الله ، فإن الناس قد بهتوا عنه - يعني أيسوا - واختاروا الأحاديث ، أحاديث الرجال ، وإليك والمرأتى في الدين . قال أبو عبيد في الغريب بهتوا به مهذورا ، ومنعه : أنسوا به .

وقال عمر بن ميمون : كنت مع أبي ونحن نطوف بالكعبة فلقى أبي شيخا فسانفه ، ومع الشيخ فتى نحو منى ، فقال له أبي : من هذا ؟ قال : ابني . فقال : كيف رضاك عنه ؟ فقال : ما بقيت خصلة يا أبا أيوب من خصال الخليل إلا وقد رأيتها فيه ، إلا واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أن يموت فأوجر فيه - أو قال فأحتسبه - ثم طارقه أبي ، فقلت : من هذا الشيخ ؟ قال : مكحول . وقال : شر الناس العياون ، ولا يلبس الكتان إلا غنى أو غوى .

وروى الامام أحمد عنه قال : يا ابن آدم خفف عن ظهرك فإن ظهرك لا يطيق كل هذا الذي يعمل ، من ظلم هذا ، وأكل مال هذا ، وغشم هذا ، وكل هذا على ظهرك تحمله ، تخفف عن ظهرك . وقال : إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل . وقال : ما أتى قوم في تاديبهم المنكر إلا حق هلاكهم . وروى عبد الله بن أحمد عنه أنه قرأ (واستأزوا اليوم أيها المجرمون) ثم طارقه حتى بكى ، ثم قال :

ما سمع الخلائق بنعت قط أشد منه . وقال أبو عوانة : حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا خالد عن حصين بن عبد الرحمن عن ميمون قال : أريد أن أتكم فيهم : علي ، وعثمان ، والقدر ، والنجوم . وقال : احذروا كل هوى يسمى بنبي الإسلام .

وروى شعبة عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون أعلى أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ فارتد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ما كنت أظن أن أبقى إلى زمان يعدل بهما غيرهما ، إني ما كنا ردائي الإسلام ، ورأس الإسلام ، ورأس الجماعة . قلت : فأبو بكر كن أول إسلاماً أم علي ؟ فقال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن مجيئنا الراهب حين مر به ، وكان أبو بكر هو الذي يختلف بينه وبين خديجة حتى أتسكنها إليه ، وذلك كله قبل أن يولد علي ، وكان صاحبه وصديقه قبل ذلك . وروى ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل ما يوجد في آخر الزمان درهم من حلال ، أو أخ يوثق به » . وروى عن ابن عمر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « شر المال في آخر الزمان الممالك » . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : من طلب مرضاة الإخوان بلا شيء فليصادق أهل القبور . وقال : من ظلم أحداً ففاته أن يخرج من مظلمته فاستغفر له دبر كل صلاة خرج من مظلمته . وهذا إن شاء الله يدخل فيه الأعراض والأموال وسائر المظالم . وقال ميمون : القاتل والأمر والمأمور والظالم والراعي بالظلم ، كلهم في الوزر سواء . وقال : أفضل الصبر الصبر على ماتكركه نفسك . من طاعة الله عز وجل .

روى ميمون عن جماعة من الصحابة ، وكان يسكن الرقة ، رحمه الله تعالى [(١)]

﴿ نافع مولى ابن عمر ﴾

أبو عبد الله المدني أصله من بلاد المغرب ، وقيل من نيسابور ، وقيل من كابل ، وقيل غير ذلك . روى عن مولاه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ، مثل نافع بن خديج ، وأبي سعيد وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وغيرهم : وروى عنه خلق من التابعين وغيرهم ، وكان من الثقات النبلاء ، والأئمة الأجلاء ، قال البخاري : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر ، وقال غيره . كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن ، وقد أتته عليه غير واحد من الأئمة ووجهوه ومات في هذه السنة على المشهور [(٢)]

﴿ ذوالمة الشاعر ﴾

واسمه غيلان بن عتبة بن بهيس ، من بني عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، أبو الحارث أحد فحول الشعراء ، وله ديوان مشهور ، وكان يتنزل في بني بخت مقاتل بن طلبه بن قيس

(١) زيادة من المصرية . (٢) سقط من المصرية .

ابن عاصم المتعري ، وكانت جميلة ، وكان هو دميم الخلق أسود اللون ، ولم يكن بينهما غش ولا خنا ولم يكن رأها قط ولا رآته ، وإتما كانت تسمع به ويسمع بها ، ويقال : إنها كانت تنذر إن هي رآته أن تذهب جزورا ، فلما رآته قالت : واسوأناه واسوأناه ، ولم تبد له وجهها قط إلا مرة واحدة ، فأنشأ يقول :

على وجهي غمة من حلاوة * ونحت الثياب العار لو كان ياديا

قال فانسخت من ثيابها فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وإن كان لون الماء أبيض صافيا

فقال : تريد أن تنوق طعمه ؟ قال : إني والله ، فقالت : تنوق الموت قبل أن تنوقه .

فأنشأ يقول :

فواضحة الشرائق راح واخفى * بجي ولم أملك خلال فؤادي

قال ابن خلكان : ومن شعره السأريين الناس ما أنشد :

إذا هبت الأربع من نحو جانب * به أهل مي حاج شوق هبوبها

هوى تنرف السينان منه وإتما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وأنشد عند الموت :

يقابض الأرواح في جسي إذا احتضرت * وغافر القنب زحزحني عن النار

(ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ومائة)

فيها غزا معاوية وسليمان ابنا أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بلاد الروم ، وفيها قصد شخص يقال له : عمار بن يزيد ، ثم محي بغدادش ، إلى بلاد خراسان ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاستجاب له خلق كثير ، فلما التفتوا عليه دعاهم إلى منهج الحزمية الزنادقة ، وأباح لهم نساء بعضهم بعضا ، وزعم لهم أن محمد بن علي يقول ذلك ، وقد كذب عليه فأظهر الله عليه الدولة فأخذ فجئ به إلى خالد بن عبد الله القسري أمير المراق وخراسان ، فأمر به فقطعت يده وسل لسانه ثم صلب بعد ذلك . وفيها حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل أمير المدينة ، وقيل إن إمرة المدينة كانت مع خالد بن عبد الملك بن مروان ، والصحيح أنه كان قد عزل وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل ، وكان أمير المراق القسري . وفيها كانت وفاة :

﴿ علي بن عبد الله بن عباس ﴾

ابن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو الحسن ، ويقال أبو محمد ، وأمه زهرة بنت مسرح بن معديكرب الكندي ، أحد الملوك الأربعة الأقبال المذكورين في الحديث الذي رواه أحمد ، وهم مسرح ، وحمل ، ومخولس ، وأبضة : وأختهم المرأة وكان مولد علي هذا يوم قتل علي بن أبي

طالب ، فجاهد أبوه باسمه ، وكناه بكنيته ، وقيل إنه ولد في حياة علي وهو أقوى سواه وكناه ولقبه بأبي
الأملاك ، فلما وفد على عبد الملك بن مروان أجلسه معه على السرير وسأله عن اسمه وكنيته فأخبره
فقال له : أباك ولد ؟ قال : نعم ولد لي ولد سميت محمدًا ، فقال له : أنت أبو محمد ، وأجزل عطيتي ،
وأحسن إلي . وقد كان على هذا في غاية العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل والمدالة والشفقة
كان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة ، قال عمرو بن علي الفلاس : كان من خيار الناس ، وكانت وفاته
بالجمعة من أرض البلقاء في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين . وقد ذكر ابن خلدون أنه تزوج لبابة
بنت عبد الله بن جعفر ، التي كانت تحت عبد الملك بن مروان ، فطلقها ، وكان سبب طلاقه إيلها أنه
عض فتاحة ثم رمى بها إليها فأخضت السكين فخرت من الفتاحة مامس فم منها ، فقال : ولم تفعلين
هذا ؟ قالت : أزيل الأذى عنها . وذلك لأن عبد الملك كان يأخز - فطلقها عبد الملك ، فلما تزوجها
علي بن عبد الله بن عباس هذا قمع عليه الوليد بن عبد الملك لأجل ذلك ، فضربه بالسياط ، وقال
إنما أردت أن تنزل بيننا من الخلفاء ، وضربه مرة ثانية لأنه اشتره عنه أنه قال : الخلالة صائرة إلى
بيتته ، فوقع الأمر كذلك . وذكر المبرد أنه دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنه السفاح
والمصور وهما صغيران ، فأكرمه هشام وأدنى مجلسه ، وأطلق له مائة وثلاثين ألفاً ، وجعل علي بن
عبد الله يوصيه بابنيه خيراً ، ويقول : إنهما سيلبيان الأمر ، فجل هشام يتمجب من سلامة باطنه
وينسبه في ذلك إلى الحق ، فوقع الأمر كما قال . قالوا : وقد كان علي في غاية الجلال وتمام القامة ، كان
بين الناس كأنه راكب ، وكان إلى منكب أبيه عبد الله ، وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس ،
وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب ، وقد بايع كثير من الناس لابنه محمد بالخلافة قبل أن
يموت علي هذا قبل هذه السنة بسنوات ، ولكن لم يظهر أمره حتى مات تمام بالأمر من بعده وله
عبد الله أبو العباس السفاح ، وكان ظهوره في سنة اثنتين وثلاثين كما سيأتي إن شاء الله تعالى
عمرو بن شعيب ، وعبادة بن نسي ، وأبو صخرة جامع بن شداد ، وأبو عياش المعافري .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة ﴾

ففيها غزا الوليد بن القممق بلاد الروم . وفيها قتل أسد بن عبد الله القسري ملك الترك الأعظم
خاقان ، وكان سبب ذلك أن أسد بن عبد الله أمير خراسان عمل نيابة عن أخيه خالد بن عبد الله
على العراق ، ثم سار بجيوشه إلى مدينة خنزل فافتتحها ، وتفرقت في أرضها جنوده يقتلون ويأسرون
ويغنمون ، فجاءت السيوف إلى ملك الترك خاقان أن جيش أسد قد تفرق في بلاد خنزل ، فاعتزم
خاقان هذه الفرصة فركب من فورده في جنوده قاصداً إلى أسد ، وتزود خاقان وأصحابه سلاحاً كثيراً ،
وقديداً وملحاً ، وساروا في حلق عظيم ، وجاء إلى أسد فأعلموه بقصد خاقان له في جيش عظيم

كثيف ، فجهز لذلك وأخذ أهبته ، فأرسل من قوره إلى أطراف جيشه ، فلما وأشاع بعض الناس أن خاقان قد هجم على أسد بن عبد الله قتله وأصحابه ، ليحصل بذلك خذلان لأصحابه فلا يجتمعون إليه ، فرد الله كيدهم في نحرهم ، وجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك أخذتهم حمية الاسلام وازدادوا حنقا على عدوم ، وعزموا على الأخذ بالثأر ، فقصدوا الموضع الذي فيه أسد ، فإذا هو حي قد اجتمعت عليه العساكر من كل جانب ، وسار أسد نحو خاقان حتى أتى جبل الملح ، وأراد أن يخوض نهر بلخ ، وكان معهم أغنام كثيرة ، فكره أسد أن يتركها وراء ظهره ، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه شاة ، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد ، وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر ، فما خلصوا منه جيداً حتى دهمهم خاقان من ورائهم في خيل دم ، قتلوا من وجدهو لم يقطع التهر وبعض الضمعة ، فلما وقفوا على حافة النهر أجمعوا وظن المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر ، فتشاور الأتراك فيما بينهم ، ثم اتفقوا على أن يحملوا حلة واحدة - وكانوا خمسين ألفاً - فيقتحمون النهر ، ففرضوا بكؤساتهم ضرباً شديداً حتى ظن المسلمون أنهم معهم في عسكرهم ، ثم رموا بأنفسهم في النهر رمية واحدة ، فجعلت خيولهم تنخر أشد النخير ، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين فثبت المسلمون في معسكرهم ، وكانوا قد خندقوا حولهم خندقاً لا يخلصون إليهم منه ، فبات الجيشان تتراعى نارهما ، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين قتل منهم خلقاً وأسراً وأما وإبلا موقرة ، ثم إن الجيشين تواجها في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش أسد أن لا يصلوا صلاة العيد ، فما صلوا إلا على وجل ، ثم سار أسد بمن معه حتى نزل مرج بلخ ، حتى انقضى الشتاء ، فلما كان يوم عيد الأضحى خطب أسد الناس واستشارهم في الذهاب إلى مرو أو في لقاء خاقان ، أو في التحصن ببلخ . فنهض من أشار بالتحصن ، ومنهم من أشار بمقتله والتوكل على الله ، فوافق ذلك رأى أسد الأسد ، فقصده بجيشه نحو خاقان ، وصلى بالناس ركعتين أطال فيهما ، ثم دعا بدعاء طويل ، ثم انصرف وهو يقول : نصرتم إن شاء الله ، ثم سار بمن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقان ، فقتل المسلمون منهم خلقاً وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه ، ثم ساق أسد فانتهى إلى أغنامهم فاستاقها ، فإذا هي مائة ألف وخمسون ألف شاة ، ثم التقى معهم ، وكان خاقان إنما معه أربعة آلاف أو نحوها ، ومعه رجل من العرب قد خامر إليه ، يقال له الحارث بن شريح ، فهو يدلهم على عورات المسلمين ، فلما أقبل الناس هرب الأتراك في كل جانب ، وانهمز خاقان ومعه الحارث ابن شريح بمحمية ويقبته ، فقبعهم أسد ، فلما كان عند الظهيرة انخزل خاقان في أر بعامة من أصحابه ، عليهم انخر ومعهم الكؤسات ، فلما أدركه المسلمون أمر بالكؤسات فضربت ضرباً شديداً ضرب الانصراف ثلاث مرات فلم يستطيعوا الانصراف ، فقتل المسلمون فاحتاطوا على معسكرهم فاحتازوه

بما فيه من الأمانة العظيمة ، والأمان من الذهب والفضة ، والنساء والصبيان ، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمين وغيرهم ، مما لا يحصى ولا يوصف لكثرة وعظمه وقيمه وحسنه . غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته بخنجر قتلها ، فوصل المسلمون إلى المنكر وهي في آخر رمق تتحرك ، ووجدوا قدورهم تملأ بإطعماتهم ، وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها ، فاتفق أنه لمب بالترد مع بعض الأمراء فغلبه الأمير فتوسده خاقان بقطع اليد ، فخنق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله قتله ، وتفرقت الأتراك يمدو بعضهم على بعض ، وينهب بعضهم بعضاً ، وبث أسد إلى أخيه خالد يلهه بما وقع من النصر والظفر بخاقان ، وبث إليه بطبول خاقان . وكانت كباراً لها أصوات كالرعد . وبث كثير من حواصله وأمتعته ، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام فزح بفلك فرحاً شديداً ، وأطلق للرسل أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال . وقد قال بعض الشعراء في أسد مدحه على ذلك :-

لوسرت في الأرض تقيس الأرض * تقيس منها طولها والرضا
لم تلق خيراً إمرة وهضاً * من الأمير أسد وأمضى
أفضى إلينا الخير حتى أفضا * وجع الشمل وكان أرفضا
ما فاته خاقان إلا ركضاً * قد فض من جوعه ما فاضا
يا ابن شريح قد لقيت حمضا * حمضا به تشفى صداع المرضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المنيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابوه على باطله ، وكان هذا الرجل ساحراً طجراً شيعياً خبيثاً ، قال ابن جرير : ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الأعمش قال : سمعت المنيرة بن سعيد يقول : لو أراد أن يحيى عاداً وثموداً وقرى نابين ذلك لأحيام . قال الأعمش : وكان المنيرة هذا يخرج إلى المقبرة فيسكلم فيرى مثل الجراد على القبور ، أو نحو هذا من الكلام . وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأشياء التي تدل على سحره وفجوره . ولما بلغ خالداً أمره أمر بإحضاره فجئ به في ستة فراس أو سبعة فراس ، فأمر خالد فأبرز سريره إلى المسجد ، وأمر بإحضار أئتاب القصب والنفط فصب فوقها ، وأمر المنيرة أن يجتضن طنباً منها ، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنباً واحداً وصب فوق رأسه النفط ، ثم أضرم بالنار . وكذلك فعل ببقية أصحابه .

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له يهلون بن بشر ويلقب بكثارة ، واتبه جماعات من الخوارج دون المائة ، وقصدوا قتل خالد القسري ، فبث إليهم البوثن فكسروا الجيوش واستفعل أمرهم جداً لشجاعتهم وجدهم ، وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش ، فردوا المساكين من الألوف المؤلفة ، ذوات الأسلحة والغيل المسومة ، هذا ولم ييلقوا المائة ، ثم إنهم راموا قدوم الشام لقتل الخليفة

هشام ، قصدوا نحوها ، فاعترضهم جيش بأرض الجزيرة فاقتتلوا معهم قتالا عظيما ، قتلوا عامة أصحاب
بهلول الخارجى . ثم إن رجلا من جديدة يكنى أبا الموت ضرب بهلولا ضربة فصرعه وتفرقت عنه
بقية أصحابه ، وكالوا جميعهم سبعين رجلا ، وقد رثم بعض أصحابهم ^(١) قال :-

بدلت بمد أبى بشر وصحبته * قوما على مع الأحزاب أعوانا
باتوا كأن لم يكونوا من صحابتنا * ولم يكونوا لنا بالأمس خلا
يا عين أذرى دموعا منك تهناتا * وابكى لنا صحبة باتوا وجيرانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها * وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

ثم تجميع طائفة منهم أخرى على بعض أمرائهم فقاتلوا وقتلوا ، وجبرت إليهم المساكر
من عند خالد القسرى ، ولم يزل حتى أباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية . وفيها غزا أسد القسرى بلاد
الترك ، فرض عليه ملكهم طرخان خان ألف ألف فلم يقبل منه شيئا ، وأخذ قهرا قتله صبرا بين
يديه ، وأخذ مدينته وقلعته وحواصله ونساء وأمواله . وفيها خرج الصغارى بن شبيب الخارجى
واتبعه طائفة قليلة نحو من ثلاثين رجلا ، فبعث إليهم خالد القسرى جندا فقتلوه وجميع أصحابه ، فلم
يتروكا منهم رجلا واحدا . وحج بالناس في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحج
معه ابن شهاب الزهرى ليمله مناسك الحج ، وكان أمير مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام بن
إسماعيل ، وأمير العراق والمشرق وخراسان خالد القسرى ، ونايبه على خراسان بكلمها أخوه أسد
ابن عبد الله القسرى ، وقد قيل إنه توفى في هذه السنة ، وقيل في سنة عشرين فله أعلم . ونايب
أرمينية وأذربيجان مروان الحمار والله أعلم .

﴿ سنة عشرين ومائة من الهجرة ﴾

فيها غزا سليمان بن هشام بلاد الروم واقتح فيها حصونا ، وفيها غزا إسحاق بن مسلم العقيلي
تومان شاه ، وافتتحها وخرب أراضيها . وفيها غزا مروان بن محمد بلاد الترك ، وفيها كانت وفاة أسد
ابن عبد الله القسرى أمير خراسان ، وكانت وفاته بسبب أنه كانت له دويلة في جوفه ، فلما كان
مهرجان هذه السنة قدمت الدهاقين - وهم أمراء المدن الكبير - من سائر البلدان بالهدايا والتحف على
أسد ، وكان فيمن قعم نائب هراة ودهقانها ، واسم دهقانها خراسان شاه ، قدم بهدايا عظيمة وتحف
عزيزة ، وكان من جملة ذلك قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وأباريق من ذهب ، وصحاف من
ذهب وفضة ، وتفاصيل من حرير تلك البلاد ألوان ملونة ، فوضع ذلك كله بين يدي أسد حتى امتلأ
الجلس ، ثم قام الدهقان خطيبا فامتدح أسدا بمخصال حسنة ، على عقله ورياسته وعدله ومنعه أهله
وخاصته أن يظفروا أحدا من الرعايا بشئ قل أو كثر ، وأنه قهر الخلق الأعظم ، وكان في مائة ألف

(١) حر الضحاك بن قيس . أنظر الطبرى (٢ : ١٦٧٧) طبع أوروبا

فكسره وقتله ، وأنه يفرح بما يقد إليه من الأموال ، وهو بما خرج من يده أفرح وأشد سرورا ، فأثني عليه أسد وأجلسه ، ثم فرق أسد جميع تلك الهدايا والأموال وما هناك أجمع على الأتراء والأكابر بين يديه ، حتى لم يبق منه شيء ، ثم ظم من مجلسه وهو عليل من تلك الدبيلة ، ثم أطلق إفاقة وجيء بهدية كثرى فجعل يفرقها على الحاضرين واحدة واحدة ، فألقي إلى دهقان خراسان واحدة فانضجرت دبيلته وكان فيها حتفه ، واستخلف على عمله جعفر بن خنظلة البهراني ، فكث أميراً أربعة أشهر حتى جاء عهد نصر بن سيار في رجب منها ، فملى هذا تكون وفاة أسد في صفر من هذه السنة ، وقد قال فيه ابن عرس السدي يرثيه :

فنى أسد بن عبد الله ناع * فريح القلب لللك المطاع
يلخ وافق التدار يسرى * وما لقضاء ربك من دفاع
فجردى عين بالمبرات سحا * ألم يمزتك تخريق الجماع
أناه حمامه في جوف ضيع * وكم بالضيع من بطل شجاع
أناه حمامه في جوف صيغ * وكم بالصيغ من بطل شجاع
كنايب قد يجهيئون المنادى * على جرد مسومة سراع
سقيت الثيب إنك كنت غيتاً * مزياً عند مرثد النجاع

وفيهما عزل هشام خالد بن عبد الله الترسى عن نيابة العراق ، وذلك أنه انحصر منه لما كان يبلعه من إطلاق عبارة فيه ، وأنه كان يقول عنه ابن الحقاء ، وكتب إليه كتاباً فيه غلظة ، فرد عليه هشام رداً عنيفاً ، ويقال إنه حسده على سمة ما حصل له من الأموال والحواصل والنلات ، حتى قيل إنه كان دخله في كل سنة ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، وقيل درهم ، ولولاه يزيد بن خالد عشرة آلاف ألف ، وقيل إنه وفد إليه رجل من أئام أمير المؤمنين من قریش يقال له ابن عمرو ، فلم يرحب به ولم يعبأ به ، فكاتب إليه هشام يستغف ويبيته على ذلك ، وأنه حال وصول هذا الكتاب إليه يقوم من فوره بمن حوله من أهل مجلسه فينطلق على قدميه حتى يأتي باب ابن عمرو صاغراً ذليلاً مستأذاً عليه ، منتصلاً إليه بما وقع ، فإن أخذ لك وإلا قف على بابه حولا غير متحل من مكافك ولا زائل ، ثم أملك إليه إن شاء عزلك وإن شاء أجهلك ، وإن شاء انتصر ، وإن شاء عفا . وكتب إلى ابن عمرو يمل به بما كتب إلى خالد ، وأمره إن وقف بين يديه أن يضربه عشرين سوطاً على رأسه ، إن رأى ذلك مصلحة . ثم إن هشاماً عزل خالداً وأخفى ذلك ، وبعث البريد إلى نائبه على اليمن وهو يوسف ابن عمر فولاه إمرة العراق ، وأمره بالسير إليها والقدوم عليها في ثلاثين ركباً ، فقدموا الكوفة وقت السحر ، فسألوها ، فلما أخذ المؤمن أمره يوسف بالاقامة : قال : إلى أن يأتي الأمام - يعني خالداً -

فأنهره وأمره بالإقامة وتقدم يوسف فعلى وقراً (إذا وقعت الواقعة) و (سأل سائل) ثم انصرف
 فيمض إلى خالد وطارق وأصحابهما ، فاحضروا فأخذ منهم أموالا كثيرة ، صادر خالفاً بمائة ألف ألف
 درهم ، وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ، وعزل عنها في جادى الأولى من هذه السنة
 - أعنى سنة عشرين ومائة - وفي هذا الشهر قدم يوسف بن عمر على الكرماني ، وعزل جعفر بن حنظلة الذي
 عبد الله القسرى ، واستناب على خراسان جديع بن علي الكرماني ، وعزل جعفر بن حنظلة الذي
 كان استنابه أسد ، ثم إن يوسف بن عمر عزل جديعا في هذه السنة عن خراسان ، وولى عليها نصر
 ابن سيار ، وذهب جميع ما كان اقتناه وحصله خالد من المقار والأماك وهلة واحدة ، وقد كان أشار
 عليه بعض أصحابه لما يلقه هشام عليه أن يبعث إليه يرض عليه بعض أملاكه ، فما أحب
 منها أخذه وما شاء ترك ، وقالوا له : لأن يذهب البعض خير من أن يذهب الجميع مع العزل والاختراق
 فامتنع من ذلك واغتر بالدنيا وعزت نفسه عليه أن يذل ، ففجأه العزل ، وذهب ما كان حصله وجمعه
 ومنعه ، واستقرت ولاية يوسف بن عمر على العراق وخراسان ، واستقرت نيابة نصر بن سيار على
 خراسان ، فتمهدت البلاد وأمن العباد لله الحمد والمنة . وقد قال سوار بن الأشجى في ذلك :

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
 لما آتى يوسف اختيار مالتيت * اختار نصراً لها نصر بن سيار

وفي هذه السنة استبطأت شيعة آل العباس كتاب محمد بن علي إليهم ، وقد كان عتب عليهم
 في اتباعهم ذلك الزنديق الملقب بمجنداش ، وكان خرمياً . وهو الذي أحل لهم المنكرات ودنس المحارم
 والمصاهرات ، قتل خالد القسرى كما تقدم ، فكتب عليهم محمد بن علي في تصديقهم له واتباعهم إياه على
 الباطل ، فلما استبطأوا كتابه إليهم بعث إليهم رسولا يخبرهم أمره ، وبعثوا هم أيضاً رسولا ، فلما جاء
 رسولهم أحله محمد بما ذا عتب عليهم بسبب الخرمي ، ثم أرسل مع الرسول كتاباً محتوماً ، فلما فتحوه
 لم يجدوا فيه سوى : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقلوا أنه إنما عتبنا عليكم بسبب الخرمي . ثم أرسل
 رسولا إليهم فلم يصدقوه كثير منهم وهووا به ، ثم جاءت من جهة عصى ملوياً عليها حديد ونحاس ،
 فقلوا أن هذا إشارة لهم إلى أنهم عصاة ، وأنهم مختلفون كالخلاف ألوان النحاس والحديد . قال ابن
 جرير : وحج بالناس فيها محمد بن هشام الخزومي فبها قاله أبو معشر ، قال : وقد قيل إن الذي حج
 بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل ابنه يزيد بن هشام فله سبحانه وتعالى أعلم ،

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة)

ففيها غزا مسلمة بن هشام الروم فاقتنح مطامير وهو حصن ، واقتنح مروان بن محمد بلاد صاحب
 الذهب ، وأخذ قلاعها وخرّب أرضه ، فأذعن له بالجزية في كل سنة بألف رأس يؤديها إليه ، وأعطاه

رهنا على ذلك . وفيها في صفر قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الذي تنسب
 إليه الطائفة الزيدية ، في قول الواقدي ، وقال هشام الكلبي : إنما قتل في صفر من سنة ثنتين
 وعشرين فاقه أعلم . وقد ساق محمد بن جرير سبب مقتله في هذه السنة تبعاً لواقدي ، وهو أن زيداً
 هذا وقد على يوسف بن عمر فسأله هل أودع خالد القسري عندك مالا ؟ فقال له زيد بن علي : كيف
 يدعني مالا وهو يشتم آياتي على منبره في كل جمعة ؟ فأحلفه أنه ما أودع عنده شيئاً ، فأمر يوسف بن
 عمر بإحضار خالد من السجن فجئ به في عباءة ، فقال : أنت أودعت هذا شيئاً نستخلصه منه ؟
 قال : لا ، وكيف وأنا أشتم أباه كل جمعة ؟ فتركه عمر وأعلم أمير المؤمنين بذلك فغاض عن ذلك ، ويقال
 بل استحضرم فخلفوا بما حللوا . ثم إن طائفة من الشيعة التفت على زيد بن علي ، وكانوا نحواً من
 أربعين ألفاً ، فتهاجم بعض النصحاء عن الخرج ، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وقال له :
 إن جددك خير منك ، وقد التفت على بيعته من أهل العراق ثمانون ألفاً ، ثم خاتوه أحوج ما كان
 إليهم ، وإني أحذرك من أهل العراق . فلم يقبل بل استمر يبائع الناس في الباطن في الكوفة ، على
 كتاب الله وسنة رسوله حتى استفحل أمره بها في الباطن ، وهو يتحول من منزل إلى منزل ،
 وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة ، فكان فيها مقتله كما سند كره قريباً . وفيها
 غزا نصر بن سيار أمير خراسان غزوات متعددة في الترك ، وأسر ملكهم كورصول في بعض
 تلك الحروب وهو لا يعرفه ، فلما تيقنه وتحققه ، سأل منه كورصول أن يطلقه على أن يرسل له ألف
 دينار من إبل الترك - وهي البختي - وألف برذون ، وهو مع ذلك شيخ كبير جداً ، فشاور نصر من
 يحضرته من الأمراء في ذلك ، فنهى من أشار بإطلاقه ، ومنهم من أشار بمقتله . ثم سأل نصر بن سيار
 كم غزوت من غزوة ؟ فقال : ثنتين وسبعين غزوة ، فقال له نصر : ما مثلك يطلق ، وقد شهدت
 هذا كله ، ثم أمر به فضربت عنقه وصلبه ، فلما بلغ ذلك جيشه من قتله باتوا تلك الليلة يبحرون
 ويبيكون عليه ، وجنوا اللحم وشعورهم وقطعوا آذانهم وحرقوا خياما كثيرة ، وقتلوا أنفاما كثيرة ،
 فلما أصبح أمر نصر بأحراقه لئلا يأخذوا جثته ، فكان حريقه أشد عليهم من قتله ، وانصرفوا
 خائبين صاغرين خلسرين ، ثم كر نصر على بلادهم قتل منهم خلقاً وأسر أمماً لا يحصون كثرة ،
 وكان فيمن حضر بين يديه عجوز كبيرة جداً من الأعاجم أو الأتراك ، وهي من بيت مملكة ،
 فقالت لنصر بن سيار : كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فهو ليس بملك ، وزير صادق يفضل
 خصومات الناس ويشاوره ويناصحه ، وطباخ يصنع له ما يشتهي ، وزوجة حسناء إذا دخل عليها
 مغتماً فنظر إليها سرته وذهب غمه ، وحصن منيع إذا فرغ رعاياه لجأوا إليه فيه ، وشيف إذا قارع به
 الأقران لم يخش خيافته ، وفخيرة إذا حملها فأتى ما وقع من الأرض عاش بها .

وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف ، ونائب العراق يوسف بن عمر ، ونائب خراسان نصر بن سيار ، وعلى أرمينية مروان بن محمد .
ذكر من توفي فيها من الأعيان :

﴿ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﴾

والمشهور أنه قتل في التي بعدها كما سيأتي بيانه إن شاء الله

﴿ مسلمة بن عبد الملك ﴾

ابن مروان القرشي الأموي ، أبو سعيد وأبو الأصمغ الدهشقي ، قال ابن عساكر : وداره بدمشق في حجة القباب عند باب الجامع القبلي ، ولي الموسم أيام أخيه الوليد ، وغزا الروم غزوات وحاصر القسطنطينية ، وولاه أخوه يزيد إمرة العراقيين ، ثم عزله وتولى أرمينية . وروى الحديث عن عمر بن عبد العزيز ، وعنه عبد الملك بن أبي عثمان ، وعبيد الله بن قزعة ، وعيينة والدة سفيان بن عيينة وابن أبي حمران ، ومعاوية بن خديج ، ويحيى بن يحيى النسابي .

قال الزبير بن بكار : كان مسلمة من رجال بني أمية ، وكان يلقب بالجرادة الصفراء ، وله آثار كثيرة ، وحروب ونسكاية في العدو من الروم وغيرهم . قلت : وقد فتح حصونا كثيرة من بلاد الروم . ولما ولي أرمينية غزا الترك فبلغ باب الأبواب فهدم المدينة التي عنده ، ثم أعاد بناءها بعد تسع سنين . وفي سنة ثمان وتسعين غزا القسطنطينية فحاصرها وافتتح مدينة الصقالبة ، وكسر ملكهم البرجان ، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية . قال الأوزاعي : فأخذوه وهو ينازهم صداع عظيم في رأسه ، فبعث ملك الروم اليه بقلنسوة وقال : ضمها على رأسك يذهب صداعك ، فغشي أن تكون مكيدة فوضها على رأس هيمة فلم ير إلا خيرا ، ثم وضها على رأس بعض أصحابه فلم ير إلا خيرا ، فوضها على رأسه فذهب صداعه ، ففتقها فإذا فيها سبعون سطرا هذه الآية (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) الآية مكررة لاغير ، رواه ابن عساكر .

وقد لقي مسلمة في حصاره القسطنطينية شدة عظيمة ، وجاع المسلمون عندها جوعا شديدا ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أرسل إليهم البريد يأمرهم بالرجوع إلى الشام ، خلف مسلمة أن لا يقلع عنهم حتى يبنوا له جامعا كبيرا بالقسطنطينية ، فبنوا له جامعا ومنارة ، فوهرها إلى الآن يصل فيه المسلمون الجمعة والجماعة ، قلت : وهي آخر ما يتمتع المسلمون قبل خروج الفجال في آخر الزمان ، كما سنورده في الملاحم والفتن من كتابنا هذا إن شاء الله . ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك هناك ، وبالجملة كانت لمسلمة مواقف مشهورة ، ومساعي مشكورة ، وغزوات متتالية منثورة ، وقد افتتح حصونا وقلاعاً وأحيا بزمه قصورا وقبائعا ، وكان في زمانه في الغزوات فظير خالد بن الوليد

في أيامه ، في كثرة مفازيه ، وكثرة فتوحه ، وقوة عزمه ، وشدة بأسه ، وجودة قصره في قضاة وإبرامه ، وهنا مع الكرم والفصاحة ، وقال يوماً لتصيب الشاعر : سلتني ، قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأن كذك بالجزيل أكثر من مسألتني باللسان . فأعطاه ألف دينار . وقال أيضاً : الأنبياء (لا يتناوبون كما يتناوب الناس ما ناب نبي قط) وقد أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب ، وقال : إنها صنعة جحف أهلها . وقال الوليد بن مسلم وغيره : توفي يوم الأربعاء لسبع مضين من المحرم سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل في سنة عشرين ومائة ، وكانت وفاته يوضع يقال له الحاتوت ، وقد رثاه بعضهم ، وهو ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال :

أقول وما البعد إلا الردى • أمسلم لا يبعدن مسلمه
قد كنت تورا لنا في البلاد • مضيتاً قد أصبحت مقلله
ونكتم موتك فحشى اليقين • فأبدي اليقين لنا الجمجه

﴿ عمير بن قيس ﴾

الأشمرى قاضي دمشق ، تابعي جليل ، روى عن حنيفة مرسلأ وأبي موسى مرسلأ وأبي الفرداء وعن معاوية مرسلأ وغير واحد من التابعين ، وحدث عنه جماعة كثير من ، منهم الأوزاعي وسعيد ابن عبد العزيز ويحيى بن الحارث القماري . ولاء هشام بن عبد الملك القضاء بدمشق بعد عبد الرحمن ابن الحشاش الغنوي ، ثم استعفى هشاماً ففعله وولى مكانه يزيد بن عبد الرحمن بن أبي ملك . وكان عمير هذا لا يحكم باليمين مع الشاهد ، وكان يقول : الأدب من الآباء ، والصلاح من الله . قال غير واحد : توفي سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقيل سنة خمس عشرة ومائة ، وهو غريب والله سبحانه أعلم

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة ﴾

ففيها كان مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان سبب ذلك أنه لما أخذ البيعة من يايه من أهل الكوفة ، أمرهم في أول هذه السنة بالخروج والتأهب له ، فشرعوا في أخذ الأهبة لذلك ، فانطلق رجل يقال له سليمان بن سراقة إلى يوسف بن عمر قائب العراق أخبره - وهو بالهيرة يومئذ - خبر زيد بن علي هذا ومن معه من أهل الكوفة ، فبعث يوسف بن عمر يطلبه ويلج في طلبه ، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له : ما قولك برحك الله في أبي بكر وعمر ؟ فقال : فخر الله لها ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيها إلا خيراً ، قالوا : فلم تطلب إذا بدم أهل البيت ؟ قال : إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر ، ولكن القوم استأثروا علينا به ودفعوا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كبراً ، قد ولوا ففعلوا ، وعملوا بالكتاب

والسنة . قالوا : فلم تقاتل هؤلاء إذا ؟ قال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم ، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وإحياء السنن وإمالة البدع ، فإن سمعوا يكن خيراً لكم ولي ، وإن تابوا فليست عليكم بويل . فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه ، فلهاذا سموا الرافضة من يومئذ ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية ، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة ، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية ، وفي منذهبهم حتى ، وهو تعديل الشيخين ، وباطل وهو اعتقاد تقديم علي عليهما ، وإيس على مقدم عليهما ، بل ولا عثمان على أصح قولي أهل السنة الثابتة ، والأخبار الصحيحة الثابتة عن الصحابة ، وقد ذكرنا ذلك في سيرة أبي بكر وعمر فيما تقدم . ثم إن زيدا عزم على الخروج بمن لقي معه من أصحابه ، فواعدهم ليلة الأربعاء من مستهل صفر من هذه السنة ، فبلغ ذلك يوسف بن عمر ، فكتب إلى نائبه على الكوفة وهو الحكم بن الصلت يأمره بجمع الناس كلهم في المسجد الجامع ، فجمع الناس لذلك في يوم الثلاثاء سلع الحرم ، قبل خروج زيد بيوم ، وخرج زيد ليلة الأربعاء في برد شديد ، ووقع أصحابه النيران ، وجعلوا ينادون بالمنصور بالمنصور ، فلما طلع الفجر إذا قد اجتمع معه مائتان وثمانية عشر رجلاً ، فجعل زيد يقول : سبحان الله ! أين الناس ؟ فقيل : هم في المسجد محصورون . وكتب الحكم إلى يوسف يعلمه بخروج زيد بن علي ، فبعث إليه سرية إلى الكوفة ، وركبت الجيوش مع نائب الكوفة ، وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفة كبيرة من الناس ، فالتقى بمن معه جرثومة منهم فبين خمسمائة فارس ، ثم أتى الكناسة فجعل على جمع من أهل الشام فهزمهم ، ثم اجتاز بيوسف بن عمر وهو واقف فوق تل ، وزيد في مائتي فارس ولو قصد يوسف بن عمر قتله ، ولكن أخذ ذات العيين ، وكلا لقي طائفة هزمهم ، وجعل أصحابه ينادون : يا أهل الكوفة اخرجوا إلى الدين والعز والدنيا ، فانكم لستم في دين ولا عز ولا دنيا ، ثم لما أمسوا انضاف إليه جماعة من أهل الكوفة ، وقد قتل بعض أصحابه في أول يوم ، فلما كان اليوم الثاني اقتتل هو وطائفة من أهل الشام فقتل منهم سبعين رجلاً ، وانصرفوا عنه بشر حال ، وأمسوا فبأ يوسف بن عمر جيشه جداً ، ثم أصبحوا فالتقوا مع زيد فكشفهم حتى أخرجهم إلى السبخة ، ثم شد عليهم حتى أخرجهم إلى بني سليم ، ثم تبعهم في خيله ورجله حتى أخذوا على الساء ، ثم اقتتلوا هناك قتالاً شديداً جداً ، حتى كان جنح الليل رمى زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى ، فوصل إلى دماغه ، فرجع ورجع أصحابه ، ولا يظن أهل الشام أنهم رجوا إلا لأجل المساء والليل ، وأدخل زيد في دار في سكة البريد ، وجيء بطبيب فأنزع ذلك السهم من جبهته ، فاعدا أن انزع حتى مات من ساعته رحمه الله .

فاختلف أصحابه أين يدفونه ، فقال بعضهم : ألبسوه درعه وألقوه في الماء ، وقال بعضهم :

احتزوا رأسه واتركوا جسده في القتل ، فقال ابنه : لا والله لا تأكل أبى الكلاب . وقال بعضهم : ادفنوه في العباسية ، وقال بعضهم : ادفنوه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ، فقلوا ذلك وأجروا على قبره الماء لتلا يعرف ، وانفل أصحابه حيث لم يبق لهم رأس يقاتلون به ، فما أصبح الفجر ولهم قائمة ينهضون بها ، وتقبح يوسف بن عمر الجرجي هل يجد زيدا بينهم ، وجاء مولى يزيد سندی قد شهد دفنه فدل على قبره فأخذ من قبره ، فأمر يوسف بن عمر بصلبه على خشبة بالكناسة ، ومعه نصر بن خزيمعة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وزيد التهدي ، ويقال إن زيدا مكث مصلوبا أربع سنين ، ثم أنزل بعد ذلك وأحرق فأكفه أعلم . وقد ذكر أبو جعفر ابن جرير الطبري أن يوسف بن عمر لم يعلم بشئ من ذلك حتى كتب له هشام بن عبد الملك : إنك لتأفل ، وإن زيد ابن علي غارز ذنبه بالكوفة يبيع له ، فألحق طلبه واعطه الأمان ، وإن لم يقبل قتاله ، فتنطلبه يوسف حتى كان من أمره ما تقدم ، فلما ظهر على قبره حزر رأسه وبشه إلى هشام ، وقام من بعده الوليد ابن يزيد فأمر به فأنزل وحرق في أيامه قبح الله الوليد بن يزيد . فأما ابنه يحيى بن زيد بن علي فاستجار بعبد الملك بن بشر بن مروان ، فبعث إليه يوسف بن عمر يهدده حتى يحضره ، فقال له عبد الملك ابن بشر : ما كنت لأوى مثل هذا الرجل وهو عدونا وابن عدونا . فصدقه يوسف بن عمر في ذلك ، ولما هدا الطلب عنه سيره إلى خراسان فخرج يحيى بن زيد في جماعة من الزيدية إلى خراسان فأقاموا بها هذه المدة .

قال أبو مخنف : ولما قتل زيد خطب يوسف بن عمر أهل الكوفة قهدهم ونوعدهم وشتمهم وقال لهم فيما قال : والله لقد استأذنت أمير المؤمنين في قتل خلق منكم ، ولو أخذ لي لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم ، وما صنعت لهذا المنبر إلا لأتممكم ما تكرهون .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم ، ولم يزد ابن جرير على هذا ، وقد ذكر هذا الرجل الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير قال :

(عبد الله أبو يحيى المعروف بالبطال)

كان ينزل إنطاكية ، حكى عنه أبو مروان الانطاكي ، ثم روى بإسناده أن عبد الملك بن مروان حين عقد لابنه مسلة على غزو بلاد الروم ، ولحقه رؤساء أهل الجزيرة والشام البطال ، وقال لابنه : سيره على طلائك ، وأمره فليص بالليل المسكر ، فانه أمين ثقة مقدم شجاع . وخرج معهم عبد الملك يشيهم إلى باب دمشق . قال : قدم مسلة البطال على عشرة آلاف يكونون بين يديه ترسان الروم أن يصلوا إلى جيش المسلمين . قال محمد بن عائد الفعشق : ثنا الوليد بن مسلة حدثني أبو مروان - شيخ من أهل إنطاكية - قال : كنت أغزى مع البطال وقد أوطأ الروم ذلا ،

قال البطال فسألني بعض ولادة بنى أمية عن أعجب ما كان من أمرى في مغازى فيهم ، قلت له : خرجت في سرية ليلا فدفنت إلى قرية قتلت لأصحابي : ارخوا لجم خيلكم ولا تفرحوا أحداً بقتل ولا بشئ حتى تستمکنوا من القرية ومن سكنتها ، فضلوا وافترقوا في أزقتها ، فدفنت في أناس من أصحابي إلى بيت يزهر سراجها ، وإذا امرأة تسكت ابنها من بكائه ، وهي تقول له : لتسكن أو لا دفنك إلى البطال يذهب بك ، وانتقلته من سريره وقالت : خذني بطل ، قال : فأخذته .

وروى محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن أبي مروان الأنطاكي عن البطال قال : انفردت مرة ليس معي أحد من الجند ، وقد سمحت خلفي بخلة فيها شعير ، ومعي منديل فيه خبز وشواء ، فبينما أنا أسير لعل ألقى أحدا منفرداً ، أو أطلع على خبر ، إذا أنا ببستان فيه بقول حسنة ، فقتلت وأكلت من ذلك البقل بالخبز والشواء مع النقل ، فأخذني إسهال عظيم قت منه مراراً ، نجفت أن أضف من كثرة الاسهال ، فركبت فرسي والاسهال مستمر على حاله ، وجعلت أخشى إن أنا نزلت عن فرسي أن أضف من الركوب ، وأفرط في الاسهال في السير حتى خشيت أن أسقط من الضعف ، فأخفت بستان الفرس ونمت على وجهي لا أدري أين يسير الفرس بي ، فلم أشعر إلا بقرع لعماله على بلاط ، فأرفع رأسي فإذا دير ، وإذا قد خرج منه نسوة محبة امرأة حسنة جميلة جداً ، فجعلت تقول بلساتها : أنزلته ، فأترنني فسلن عني ثيابي وسرجي وفرسي ، ووضعني على سريره وعلن لي طعاماً وشرباً ، فكنيت يوماً ولية مستويا ، ثم أقت بقية ثلاثة أيام حتى ترد إلى حالي ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل البطريق وهو يريد أن يتزوجها ، فأمرت فرسي فحول وعلق على الباب الذي أنا فيه ، وإذا هو بطريق كبير فيهم ، وهو إنما جاء لخطبتها ، فأخبره من كل هنالك بأن هذا البيت فيه رجل وله فرس ، فهم بالمجوم على فتنته المرأة من ذلك ، وأرسلت تقول له : إن فتح عليه الباب لم أقض حاجته ، فتناه ذلك عن الهجوم على ، وأقام البطريق إلى آخر النهار في ضيافتهم ، ثم ركب فرسه وركب معه أصحابه وانطلق . قال البطال : قهضت في أثرهم فهمت أن تمنعني خوفاً على منهم فلم أقبل ، وسقت حتى لحقتهم ، فجعلت عليه فأفزع عنه أصحابه ، وأراد الفرار فألقته فأضرب عنقه واستلبته وأخفت رأسه مسطاً على فرسي ، ورجعت إلى القدير ، فخرجن إلى ووقن بين يدي ، قلت : اركبن ، فركبن ما هنالك من الدواب وسقت بهن حتى أتيت أمير الجيش فدفنتن إليه ، فنفقني ماشئت منهن ، فأخفت تلك المرأة الحسناء بعينها ، فهي أم أولادى . والبطريق في لغة الروم عبارة عن الأمير الكبير فيهم ، وكان أبوها بطريقاً كبيراً فيهم - يعني تلك المرأة - وكان البطال بعد ذلك يكتب ابناً ويهاديه .

وذكر أن عبد الملك بن مروان لما ولاة المصيصة بعث البطال سرية إلى أرض الروم ، فغلب عنه خبرها فلم يدبر ما صنعوا ، فركب بنفسه وحده على فرس له وسار حتى وصل حمورية ، فطرق بابها ليلا

قتل له البواب : من هذا ؟ قال البطال : قتل أنا سيف الملك ورسوله إلى البطريرق ، فأخذ لي طريقاً إليه ، فلما دخلت عليه إذا هو جالس على سرير فجلست معه على السرير إلى جانبه ، ثم قلت له : إلى قد جئت في رسالة فر هؤلاء فليصرفوا ، فأمر من عنده فنهبوا ، قال : ثم قام فأغلق باب الكنيسة على وعليه ، ثم جاء فجلس مكانه ، فاختلطت سيقى وضربت به رأسه صفحا وقلت له : أنا البطال فأصدقني عن السرية التي أرسلتها إلى بلادك ، وإلا ضربت عنقك الساعة ، فأخبرني ما خبرها ، فقال : هم في بلادى ينتهبون مائياً لهم ، وهذا كذب قد جاءني بخبر أنهم في وادى كذا وكذا ، والله لقد صدقتك . قلت : هات الأمان ، فأعطاني الأمان ، قلت : إيتني بطلم ، فأمر أصحابه فجاءوا بطلم فوضع لي ، فأكلت قمت لأصرف فقال لأصحابه : اخرجوا بين يدي رسول الملك ، فانطلقوا يتعادون بين يدي ، وانطلقت إلى ذلك الوادى الذى ذكر فانذا أصحابي هناك ، فأخذتهم ورجعت إلى المصيصة . فهذا أغرب ما جرى

قال الوليد : وأخبرني بعض شيوخنا أنه رأى البطال وهو قافل من حجته ، وكان قد شغل بالجهاد عن الحج ، وكان يسأل الله دائماً الحج ثم الشهادة ، فلم يتمكن من حجة الاسلام إلا في السنة التي استشهد فيها رحمه الله تعالى ، وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس ، فبعث البطريرق - ألقى البطال متزوج بابنته التي ذكرنا أمراً - إلى البطال يخبره بذلك ، فأخبر البطال أمير عساكر المسلمين بذلك ، وكان الأمير مالك بن شبيب ، وقال له : المصلحة تقتضى أن تحصن في مدينة حران ، فنكون بها حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، فأبى عليه ذلك ودهمهم الجيش ، فاقتتلوا قتالا شديداً والأبطال يحوم بين يدي البطال ولا يتجاسر أحد أن ينوه باسمه خوفاً عليه من الروم ، فاتفق أن تاداه بعضهم وذكر اسمه غلظاً منه ، فلما سمع ذلك فرسان الروم حملوا عليه حملة واحدة ، فاقتلوه من سريجه برماحهم فألقوه إلى الأرض ، ورأى الناس يقتلون ويأسرون ، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب ، وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة اغراباً فتحصنوا فيها ، وأصبح اليون فوقف على مكان المركبة فانذا البطال با آخر رمق فقال له ليون : ماهذا ياأبا يحيى ؟ قال : هكنا قتل الأبطال ، فلستدى ليون بالأطباء ليدأوه فإذا جراحه قد وصلت إلى مقاتله ، فقال له ليون : هل من حاجة يا أبا يحيى ؟ قال : نعم ، فأمر من ملك من المسلمين أن يلو غسلي والصلاة على ودفي ، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسارى ، وانطلق ليون إلى جيش المسلمين الذين تحصنوا فحاصروهم ، فبينما هم في تلك الشدة والحصار إذ جاءتهم البرد بقدم سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، فز ليون في جيشه الخليلت هاربا راجعا إلى بلاده ، قبحه الله ، فدخل القسطنطينية وتحصن بها .

قال خليفة بن خياط : كانت وفاة البطال ومقتله بأرض الروم في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقال ابن جرير : في سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقال ابن حسان الزبدي : قتل في سنة ثلاث عشرة ومائة ، قبل وقد ظاه غيره وإنه قتل هو والأمير عبد الوهاب بن بخت في سنة ثلاث عشرة ومائة كما ذكرنا ذلك فاعلم ، ولكن ابن جرير لم يورخ وفاته إلا في هذه السنة فاعلم .

قلت : فهذا ملخص ابن عساكر في ترجمة البطال مع تفصيله للأخبار وإطلاعه عليها ، وأما ما يذكره العامة عن البطال من السيرة المنسوبة إلى دلمة والبطال والأمير عبد الوهاب والقاضي عتبة ، فكذب واقتراء ووضع بارد ، وجهل وتخطب فاحش ، لا يروج ذلك إلا على غبي أو جاهل ردى . كما يروج عليهم سيرة عنتره البسبي المكنوبة ، وكذلك سيرة البكري والذف وغير ذلك ، والكذب المتفضل في سيرة البكري أشد وأعظم جرما من غيرها ، لأن واضعها يدخل في قول النبي ﷺ : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وعن توفي في هذه السنة من الأعيان :

﴿ إيلس الديكي ﴾

وهو إيلس بن معاوية بن مرة بن إيلس بن هلال بن رباب بن عبيد بن حريد بن أوس بن سواء ابن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن ثعلبة بن أوس بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، هكذا نسب خليفة بن خياط ، وقيل غير ذلك في نسبه ، وهو أبو واثلة المزني قاضي البصرة ، وهو قاضي ولجده محبة ، وكان يضرب المثل بذكائه ، روى عن أبيه عن جده مرفوعا في الحياة عن أنس وسعيد بن جبير وسعيد بن السبب ونافع وأبي مجاز ، وعنه الحادان وشعبة والأصمعي وغيرهم . قال عنه محمد بن سيرين : إنه لفهم إنه لفهم ، وقال محمد بن سعد والمجلى وابن معين والنسائي : ثقة . زاد ابن سعد وكان حاكما من الرجال فطنا ، وزاد المجلى وكان قتيها عفيفا . وقدم دمشق في أيام عبد الملك بن مروان ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، ومرة أخرى حين عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة . قال أبو عبيدة وغيره : نحاكم إيلس وهو صبي شاب وشيخ إلى قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنه شيخ وأنت شاب فلا تساه في الكلام ، قال إيلس : إن كن كبيرا فالحق أكبر منه ، فقال له القاضي : اسكت ، قال : ومن يشكمكم بمحبي إذا سكت ؟ فقال القاضي : ما أحسبك تنطق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم ، قال إيلس : أشهد أن لا إله إلا الله ، زاد غيره فقال القاضي : ما أنطك إلا ظالما له ، قال : ما على ظن القاضي خرجت من منزلي ، قام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره فقال : اتقى حاجته واخرجه الساعة من دمشق لا يفسد على الناس .

وقال بعضهم : لما عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة فرمته إلى عمر بن عبد العزيز فوجده

قد مات ، فكان يجلس في حلقة في جامع دمشق ، فتكلم رجل من بني أمية فرد عليه إياس ، فأغلظ له الأموي قمام إياس ، فقيل للأموي : هذا إياس بن معاوية المزني ، فلما عاد من النداء اعتذره الأموي وقال : لم أعرفك ، وقد جلست إلينا بغياب السوق وكلتنا بكلام الاشراف فلم نحتمل ذلك .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا نعيم بن حماد ثنا ضمرة عن أبي شاذب قال : كان يقال يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل ، فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم . وقال السجلى : دخل على إياس ثلاث نساء فلما رآهن قال : أما إحداهن فمريض ، والأخرى بكر ، والأخرى ثيب ، فقيل له : بم علمت هذا ؟ قال : أما المريض فكلما قعدت أمسكت ثديها بيدها ، وأما البكر فكلما دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيب فكلما دخلت نظرت ورمت بيمينها . وقال يونس بن صعلب (١) :

ثنا الأخنف بن حكيم بأصبهان ثنا حماد بن سلمة سمعت إياس بن معاوية يقول : أعرف الليلة التي ولدت فيها ، وضعت أمي على رأسى جنة . وقال المدائني قال إياس بن معاوية لأمه : ما شئ سمعته وأنت حامل بي وله جلبه شديدة ؟ قالت : ذاك طست من نحاس سقط من فوق الدار إلى أسفل ، فزعت فوضعتك تلك الساعة . وقال أبو بكر الخزاز عن عمر بن شبة الخيري قال : بلغني أن إياساً قال : ما يسرنى أن أكتب كذبة يطلع عليها أبي معاوية . وقال : ما خاصمت أحدا من أهل الأهواء بعقل كله إلا القدرة ، قلت لم أخبروني عن الظلم ما هو ؟ قالوا : أخذ الانسان ما ليس له ، قلت : فأنف الله له كل شئ . قال بعضهم عن إياس قال : كنت في الكتاب وأنا صبي فجعل أولاد التصاري يصيحون من المسلمين ويقولون : إتهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة ، قلت لفقهي - وكان نصرانيا - : ألست تزعم أن في الطعام ما ينصرف في غذاء البدن ؟ قال : بلى ، قلت فما ينكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبدانهم ؟ فقال له معلمه : ما أنت إلا شيطان .

وهذا الذي قاله إياس وهو صغير بعقله قد ورد به الحديث الصحيح كما سند كره إن شاء الله في أهل الجنة أن طعامهم ينصرف جشاه وعرقا كالسك ، فإذا البطن ضامر . وقال سفيان : وحين قدم إياس واسط فجاهه ابن شبرمة بمسائل قد أعدها ، فقال له : أتأذن لي أن أسألك ؟ قال : سل وقد ارتبت حين استأذنت ، فقال له عن سبعين مسألة يجيبه فيها ، ولم يختلفا إلا في أربع مسائل ، رده إياس إلى قوله ، ثم قال له إياس : أقرأ القرآن ؟ قال : نعم ! قال أتحمض قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) ؟ قال : نعم ! قال : وما قبلها وما بعدها ؟ قال : نعم ! قال : فهل أبقت هذه الآية لا ك شبرمة رأيا ؟

وقال عباس بن يحيى بن معين : حدثنا سعيد بن عمر بن عمر بن علي قال قال رجل لإياس ابن معاوية : يا أبا وأنته حتى متى يبقى الناس ؟ وحتى متى ينواله الناس ويموتون ؟ فقال لجلسائه : أجيبوه فلم يكن عندهم جواب ، فقال إياس : حتى تتكامل المدن ، عدة أهل الجنة ، وعدة أهل النار .

وقال بعضهم : اكرتري إيلس بن معاوية من الشام فاصدا الحج ، فركب معه في الحجارة غيلان القدرى ، ولا يعرف أحدهما صاحبه ، فكنا ثلاثا لا يكلم أحدهما الآخر ، فلما كان بعد ثلاث نحاذنا فتعارفا وتعب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه ، لمباينة ما بينهما في الاعتقاد في القدر ، فقال له إيلس : هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) ويقول أهل النار (ربنا غلبت علينا شقوتنا) وتقول الملائكة (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) ثم ذكر له من أشعار العرب وأمثال المعجم ما فيه إثبات القدر ثم اجتمع مرة أخرى إيلس وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فناظر بينهما قهره إيلس ، وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالمعجز وأظهر التوبة ، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إن كان كاذبا ، فاستجاب الله منه فأمكن من غيلان قتل وصلب بعد ذلك والله الحمد والمنة .

ومن كلام إيلس الحسن : لأن يكون في قتال الرجل فضل عن مقاله خير من أن يكون في مقاله فضل عن قتاله . وقال سفيان بن حسين : ذكرت رجلا بسوء عند إيلس بن معاوية فنظر في وجهي وقال : أغزوت الروم ؟ قلت : لا . قال : السند . والهند . والترك ؟ قلت : لا . قال : أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ قال : فلم أعد بعدها . وقال الأصمعي عن أبيه : رأيت إيلس بن معاوية في بيت ثابت البناني ، وإذا هو أحمر طويل القراع غليظ الثياب ، يلون عمامته ، وهو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا علاه ، وقد قال له بعضهم : ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك ، فقال : يحق أن تكلم أم يباطل ؟ فقيل بل يحق ، فقال : كلما كثر الحق فهو خير ، ولأما بعضهم في لباسه الثياب الغليظة فقال : إنما ألبس ثوبا يخدمني ولا ألبس ثوبا أخدمه ، وقال الأصمعي قال إيلس بن معاوية : إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان ، ومن عدم فضيلة الصدق فقد نجح بأكرم أخلاقه . وقال بعضهم : سألت رجلا إيلسا عن النبيذ فقال : هو حرام ، فقال الرجل : فأخبرني عن الماء فقال : حلال ، قال : فالكسور ، قال : حلال ، قال فالتبر فقال حلال ، قال فما باله إذا اجتمع حرم ؟ فقال إيلس : أرايت لو رميته بهذه الحنفية من التراب أتوجسك ؟ قال : لا ، قال : فهذه الحنفية من اللبن ؟ قال لا توجسني ، قال : فهذه الترفة من الماء ؟ قال لا توجسني شيئا ، قال : أرايت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينا ثم تركته حتى استحجر ثم رميته أتوجسك ؟ قال : إني والله وتقتلني ، قال : فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت . وقال المدائني : بعث عمر بن عبد العزيز عدى ابن أوطاة على البصرة فأتيا وأمره أن يجمع بين إيلس والقاسم بن ربيعة الجوشى ، فأيهما كان أقه فليده القضاء ، فقال إيلس وهو يريد أن لا يتولى : أيها الرجل سل قبحي البصرة ، الحسن وابن سيرين ، وكان إيلس لا يأتيهما ، صرف القاسم أنه إن سألهما أشلأ به . - يعني بالقاسم - لأنه كان

يأتينها ، قال التلمس لعدى : والله الذى لا إله إلا هو إن إيلسا أفضل منى وأقرب منى ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنت صادقا فوله ، وإن كنت كاذبا فإبني أن تولى كاذبا القضاء . فقال إيلس : هذا رجل أوقف على شفير جهنم فافتدى منها يمين كاذبة يستغفر الله ، فقال عدى : أما إذ ظننت إلى هذا قد وليت القضاء . فكث سنة يفصل بين الناس ويصلح بينهم ، وإذا تبين له الحق حكم به ، ثم هرب إلى عمر بن عبد العزيز بدمشق فاستغفاه القضاء ، فولى عدى بعده الحسن البصرى .

قالوا : لما تولى إيلس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أيوب : لقد رموها بمجرها ، وجاءه الحسن وابن سيرين فسلما عليه ، فبكى إيلس وذكر الحديث « القضاء ثلاثة ، قاضيان فى النار وواحد فى الجنة » . فقال الحسن (داود وسليمان إذ يحكمان فى الحرف) إلى قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) قالوا : ثم جلس للناس فى المسجد واجتمع عليه الناس للخصومات ، فقام حتى فصل سبعين قضيه ، حتى كان يشبه بشرى القاضي . وروى أنه كان إذا أشكل عليه شئ « بث » إلى محمد بن سيرين فسأله منه . وقال إيلس : إني لا أكلم الناس بنصف عقلى ، فإذا اختصم إلى اثنين جمعت لهما عقلى كله . وقال له رجل : إنك لتمجيد برأيك ، قال : لولا ذلك لم أفض به ، وقال له آخر : إن فيك خصالا لا تمجيدنى ، قال : ما هي ؟ قال : تحكم قبل أن تفهم ، ولا تجالس كل أحد ، وتلبس الثياب النظيفه . فقال له : أيها أكثر الثلاثة أو الاثنان ؟ قال : الثلاثة . قال : ما أسرع ما فهمت وأجبت ، قال أو يجمل هذا أحد ؟ قال : وكذلك ما أحكم أنا به ، وأما مجالستي لكل أحد فلأن أجلس مع من يعرف لى قدرى أحب إلى من أن أجلس مع من لا يعرف لى قدرى ، وأما الثياب النظافه فأنما ألبس منها ما يقينى لا ما أقيه أنا . قالوا ، ونحنا كم إليه اثنان فدعى أحدهما عند الآخر مالا ، وجعله الآخر ، قال إيلس للودع : أين أودعته ؟ قال : عند شجرة فى بستان . قال : انطلق إليها فقف عندها لملك تذكر ، وفى رواية أنه قال له : هل تستطيع أن تنهب إليها فتأتى بورق منها ؟ قال : نعم ! قال فانطلق ، وجلس الآخر فجعل إيلس يحكم بين الناس ويلاحظه ، ثم استدعاه فقال له : أوصل صاحبك بعد إلى المكان ؟ قال : لا بعد أصلحك الله . فقال له : قم يا عدو الله فاد إليه حقه ، وإلا جملتك نكالا . وجاء ذلك الرجل فقام معه فدفع إليه وديته بكافها . وجاء آخر فقال له : إني أودعت عند فلان مالا وقد جعدنى ، قال له : اذهب الآن واتلنى غدا ، وبث من فوره إلى ذلك الرجل الجاحد فقال له : إنه قد اجتمع عندنا ههنا مائى فلم نزله أميننا فضمه عنده إلا أنت ، فضمه عندهك فى مكان حرير . فقال له سمعا وطاعة ، فقال له اذهب الآن واتلنى غدا ، وأصبح ذلك الرجل صاحب الحق فجاء فقال له : اذهب الآن إليه فقل له اعطنى حتى وإلا رفعتك إلى القاضي ، فقال له ذلك تخاف أن لا يودع إذا سمع الحاكم خبره ، فدفع إليه ماله بكافه ، فجاء إلى

إليس فأعلمه ، ثم جاء ذلك الرجل من القدر وجاء أن يودع فأنهره إليس وطرده وقال له : أنت خائن . ونحاًم إليّ اثنان في جارية فادعى المشتري أنها ضيفة العقل ، فقال لها إليس : أي رجليك أطول ؟ فقالت : هذه ، فقال لها : أنت ذكر بن ليلة ولدت ؟ فقالت نعم . فقال للبائع رد رد .

وروى ابن عساكر أن إليسا سمع صوت امرأة من بيتها فقال : هذه امرأة حامل بصبي ، فلما ولدت ولدت كما قال ، فستل يم عرفت ذلك ؟ قال : سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل ، وفي صوتها فحلم فعلمت أنه غلام . قالوا ثم مر يوماً ببعض المكاتب فإذا صبي هنالك فقال : إن كنت أدري شيئاً فهذا الصبي ابن تلك المرأة ، فإذا هو ابنتها . وقال مالك عن الزهري عن أبي بكر قال شهد رجل عند إليس فقال له : ما اسمك ؟ فقال أبو المنفر فلم يقبل شهادته . وقال الثوري عن الأعشى : دعوني إلى إليس فإذا رجل كلما فرغ من حديث أخذ في آخر . وقال إليس : كل رجل لا يعرف عيب نفسه فهو أحمق ، قيل له : ما عيبك ؟ فقال كثرة الكلام . قالوا : ولما ماتت أمه بكى عليها فقيل له في ذلك فقال : كان لي بابلان مفتوحان إلى الجنة ففلق أحدهما . وقال له أبوه : إن الناس يلدون أبناءاً وولدت أنا أبا . وكان أصحابه يجاسون حوله ويكتبون عنه الفراسة ، فبينما هم حوله جلوس إذ نظر إلى رجل قد جاء فجلس على دكة حاوت ، وجعل كلما مر أحد ينظر إليه ، ثم قام فنظر في وجه رجل ثم عاد ، فقال لأصحابه : هذا قبيح كتاب قد أبقي له غلام أعور فهو يتطلبه ، فقالوا إلى ذلك الرجل فسألوه فوجدوه كما قال إليس ، فقالوا لا إليس : من أين عرفت ذلك ؟ فقال : لما جلس على دكة الحاوت علمت أنه ذو ولاية ، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا لفقهاء المكاتب ، ثم جعل ينظر إلى كل من مر به فعرفت أنه قد قد غلاماً ، ثم لما قام فنظر إلى وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر ، عرفت أن غلامه أعور . وقد أورد ابن خلكان أشياء كثيرة في ترجمته ، من ذلك أنه شهد عنده رجل في بستان فقال له : كم عدد أشجاره ؟ فقال له : كم عدد جنوخ هذا المجلس الذي أنت فيه من مدة سنين ؟ قلت : لا أدري وأقررت شهادته .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة ﴾

ذكر المدائني عن شيوخه أن خاقان ملك الترك لما قتل في ولاية أسد بن عبد الله القسري على خراسان ، تفرق شمل الأتراك ، وجعل بعضهم يتغير على بعض ، وبعضهم يقتل بعضاً ، حتى كادت أن تخرب بلادهم ، واشتغلوا عن المسلمين . وفيها سأل أهل الصفد من أمير خراسان نصر بن سيار أن يردم إلى بلادهم ، وسألوه شرطاً أنكرها العلماء ، منها أن لا يعاقب من ارتد منهم عن الاسلام ، ولا يؤخذ أسير المسلمين منهم ، وغير ذلك ، فأراد أن يوافقهم على ذلك لشدة نكايتهم في المسلمين ، فصاب عليه الناس ذلك ، فكتب إلى هشام في ذلك فتوقف ، ثم لما رأى أن هؤلاء إذا استبرأوا على

معاندهم للمسلمين كان ضررهم أشد ، أجابهم إلى ذلك ، وقد بعث يوسف بن عمر أمير العراق وفدا إلى أمير المؤمنين يسأل منه أن يضم إليه نيابة خراسان ، وتكلموا في نصر بن سيار بأنه وإن كان شهما شجاعا ، إلا أنه قد كبر وضمف بصره فلا يعرف الرجل إلا من قريب بصوته ، وتكلموا فيه كلاما كثيرا ، فلم يلتفت إلى ذلك هشام ، واستمر به على إمرة خراسان ولايتها . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها يزيد بن هشام بن عبد الملك ، والعمال فيها من تقدم ذكركم في التي قبلها . وتوفي في هذه السنة ربيعة بن يزيد القصير من أهل دمشق ، وأبو يونس سليمان بن جبير ، ومعاذ بن حرب ، ومحمد ابن واسع بن حيان ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل والله الحمد

[قال محمد بن واسع : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وقال : خمس خصال تميت القلب : القلب على القلب ، وبجالة الموت ، قيل له : ومن الموت ؟ قال : كل غنى مغرور ، وسلطان جائر . وكثرة مشقة النساء ، وحديثهن ، ومخالطة أهله . وقال مالك بن دينار : إني لأعبط الرجل يكون عيشه كفافا فيقع به . فقال محمد بن واسع : أعبط منه والله عندي من يصبح جائعا وهو عن الله راض . وقال : ما أسي عن الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا عوججت قومي ، وصلاة في جماعة يحمل عنى سهوها وأفور بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحديه منه ، ولا لله على فيه تبة . وروى رواد بن الربيع قال : رأيت محمد بن واسع يسوق بزور وهو يعرض حملا له للبيع ، فقال له رجل : أرضاه لي ؟ فقال لو رضيت لم أبهه .

ولما قتل محمد بن واسع كثر عليه الناس في الميادة ، قال بعض أصحابه : فدخلت عليه فاذا قوم قومود وقوم قيام ، فقال : ماذا يعني هؤلاء عنى إذا أخذ بناصيتي وقدمي غدا وألقيت في النار ؟ ! وبعث بعض الخلفاء مالا مستكثرا إلى البصرة ليقرب في قراء أهلها ، وأمر أن يدفع إلى محمد بن واسع منه فلم يقبله ولم يلتبس منه شيئا ، وأما مالك بن دينار فاته قبل ما أمر له به ، واشترى به أرقاه وأعتقهم ولم يأخذ لنفسه منه شيئا ، فجاءه محمد بن واسع يلومه على قبوله جوائز السلطان . فقال له : يا مالك قبلت جوائز السلطان ؟ فقال له مالك : يا أبا عبد الله ! سل أصحابي ماذا فعلت منه ، فقالوا له : إنه اشترى به أرقاه وأعتقهم ، فقال له : سألتك بالله أن تتركهم الآن لهم مثل ما كان قبل أن يصلوك . فقام مالك وحشى على رأسه التراب وقال : إنما يعرف الله محمد بن واسع ، إنما مالك حمار إنما مالك حمار ، وكلام محمد بن واسع كثير جدا رحمه الله] ^(١)

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة)

فيها غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم فلقى ملك الروم قاتله فلم سليمان وغنم .

وفيهما قدم جماعة من دعة بني العباس من بلاد خراسان قاصدين إلى مكة فمروا بالكوفة فبانتهم أن في السجن جماعة من الأمراء من ثواب خالد القسري ، قد حبسهم يوسف بن عمر ، فاجتمعوا بهم في السجن فدعوم إلى البيعة لبني العباس ، وإذا عندهم من ذلك جانب كبير ، فقبلوا منهم ووجدوا عندهم في السجن أبا مسلم الخراساني ، وهو إذ ذاك غلام يخدم عيسى بن مقبل العجلي ، وكان محبوبا فأعجبهم شهادته وقوته واستجابته مع مولاه إلى هنا الأمر ، فاشترى بكر بن ماهان منه بأربعمائة درهم وخرجوا به معهم فاستقبروه لهذا الأمر ، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب وتنتج ما يوجهونه إليه ، ثم كان من أمره ما سئد كره إن شاء الله تعالى فيها بعد . قال الواقدي : ومات في هذه السنة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو الذي يدعو إليه دعة بني العباس ، فقام مقامه ولده أبو العباس السفاح ، والصحيح أنه إنما توفي في التي بعدها . قال الواقدي وأبو مشر : وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ومعه امرأته أم مسلم بن هشام بن عبد الملك ، وقيل إنما حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل قاله الواقدي ، والأول ذكره ابن جرير والله أعلم . وكان نائب الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل يقف على باب أم مسلم ويهدي إليها الألطاف والتحف ويستدر إليها من التخصير ، وهي لا تلتفت إلى ذلك ، وثواب البلاد المذكورين في التي قبلها . وفيها توفي :

﴿ القاسم بن أبي بزة ﴾

أبو عبد الله المكي القاري ، مولى عبد الله بن السائب ، تابعي جليل ، روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وعنه جماعة ، ووفته الأئمة . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة والله أعلم

﴿ الزهري ﴾

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو بكر القرشي الزهري أحد الأعلام من أئمة الاسلام ، تابعي جليل ، مع غير واحد من التابعين وغيرهم . روى الحافظ ابن عساكر عن الزهري قال : أصاب أهل المدينة جهد شديد فارتحلت إلى دمشق ، وكان عندي عيال كثيرة ، فجت جامعا فجلست في أعظم حلقة ، فإذا رجل قد خرج من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، فقال : إنه قد نزل بأمر المؤمنين مسألة - وكان قد سمع من سعيد بن المسيب فيها شيئا وقد شد عنه في أمهات الأولاد يرويه عن عمر بن الخطاب - قلت : إني أحفظ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب : فأخذني فأدخلني على عبد الملك : فسألني عن أنت ؟ فاقسبت له ، وذكرت له حاجتي وعيالي ، فسألني هل تحفظ القرآن ؟ قلت : نعم والقرآن والسنة ،

(١) في نسخة التسطيطية : القاسم بن أبي يسرة . وفي المصرية : القاسم بن مرة . ومصحفناه من تنقيب الصفي الخزرجي .

فسألني عن ذلك كله فأجبته ، قضى ديني وأمر لي بجائزة ، وقال لي : اطلب العلم فاني أرى لك عينا
حافضة وقلبا ذكيا ، قال : فرجعت إلى المدينة أطلب العلم وأتبعه ، فبلغني أن امرأة بقاء رأت رؤيا
عجبية ، فأتيها فسألها عن ذلك ، قالت : إن بلي غلب وترك لنا خلاما وداجنا ونخيلات ، نشرب
من لبنها ، ونأكل من ثمرها ، فبينما أنا بين الناعة واليقظ رأيت كأن ابني الكبير - وكان مشتتا -
قد أقبل فأخذ الشفرة فذبح ولد الهاجن ، وقال : إن هذا يضيق علينا الابن ، ثم نصب القدر وقطعها
ووضعها فيه ، ثم أخذ الشفرة فذبح بها أخاه ، وأخوه صغيرا قد جاء ، ثم استيقظت مذعورة ، فدخل
ولدى الكبير فقال : أين الابن ؟ فقلت : يا بني شربه ولد الهاجن ، فقال : إنه قد ضيق علينا الابن ،
ثم أخذ الشفرة فذبحه وقطعه في القدر ، فبقيت مشقة خائفة مما رأيت ، فأخذت ولدى الصغير فبقيته في
بعض بيوت الجيران ، ثم أقبلت إلى المنزل وأنا مشقة جدا مما رأيت ، فأخذتني عيني فتمت فرأيت
في المنام قائلا يقول : مالك مشقة ؟ فقلت : إني رأيت مناما فأنا أخضر منه فقال : يارؤيا يارؤيا ،
فأقبلت امرأة حسناء جميلة ، قال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ قالت : ما أردت إلا خيرا ،
ثم قال يا أحلام يا أحلام ، فأقبلت امرأة دونها في الحسن والجمال ، قال : ما أردت إلى هذه المرأة
الصالحة ؟ قالت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال : يا أضغاث يا أضغاث ، فأقبلت امرأة سوداء شبيمة
فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ قالت إنها امرأة صالحة فأجبت أن أعلها ساعة ، ثم
استيقظت فجاء ابني فوضع الطعام وقال : أين أخي ؟ فقلت : درج إلى بيوت الجيران ، فذهب وراءه
فكنا نأكل هدى إليه ، فأقبل به يقبله ، ثم جاء فوضعه وجلسنا جميعا فأكلنا من ذلك الطعام .

ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة مملوكة ، وكان قصيرا قليل اللحية ، له شرات
طوال خفيف العارضين . قالوا : وقد قرأ القرآن في نحو من ثمان وثمانين يوما ، وجالس سعيد بن
المسيب ثمان سنين ، تمس ركبته ركبته ، وكان يختم عبدة الله بن عبدة الله يستسقي له الماء المالح ،
ويدور على مشايخ الحديث ، ومعه ألواح يكتب عنهم فيها الحديث ، ويكتب عنهم كل ما سمع
منهم ، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه ، وقد احتاج أهل عصره إليه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري قال : كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه
هؤلاء الأشرار ، فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين . وقال أبو إسحاق : كان الزهري يرجع من
عند عروة فيقول الجارية عنده فيها لكنت : ثمانية وثلاثون ، ويسرد عليها ما معه منه ،
فتقول له الجارية : والله ما أدرى ما تقول ، فيقول لها : اسكتي لكع ، فاني لا أريدك ، إنما أريد
فضي . ثم وفد على عبد الملك بدمشق كما قدم فأكرمه وقضى دينه وفرض له في بيت المال ، ثم كان
بعد من أصحابه وجلسائه ، ثم كان كذلك عند أولاده من بعده ، الوليد وسليمان ، وكنا عند عمر

ابن عبد العزيز ، وعند يزيد بن عبد الملك ، واستقصاه يزيد مع سليمان بن جبيب ، ثم كان حظيا عند هشام ، وحج معه وجهه معلم أولاده إلى أن توفي في هذه السنة ، قبل هشام بسنة . وقال ابن وهب : سمعت الليث يقول : قال ابن شهاب : ما استودعت قلبي شيئا قط فسينته ، قال : وكان يكره أكل التفاح وسؤر الفأرة ، ويقول : إنه ينسى ، وكان يشرب السمل ويقول إنه يذكي ، وفيه يقول فايد بن أفرم .

زرذا وأئن على الكريم محمد * واذا كر فواضله على الأصحاب

وإذا يقال من الجواد بالله * قيل الجواد محمد بن شهاب

أهل المدائن يعرفون مكانه * وريبع ناديه على الأعراب

يشرى وفاء جفانه وبعدها * بكسور ألتاج وفتق ليل

وقال ابن مهدي : سمعت مالك يقول : حدث الزهري يوماً بحديث فلما ظم أخذت بلجام دابته فاستفهمته فقال : أفتفهمني ؟ ما استفهمت علما قط ، ولا رددت على عالم قط ، ثم جل ابن مهدي يقول تلك الطوال وتلك المغازي .

وروي يعقوب بن سفيان عن هشام بن خالد السلافي عن الوليد بن مسلم عن سميد - يعني ابن عبد العزيز - أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لبيه شيئا من حديثه ، فأملى على كاتبه أربعين حديثا ثم خرج على أهل الحديث فحشم بها ، ثم إن هشاما قال للزهري : إن ذلك الكتاب ضاع ، قال : لا عليك ، فأملى عليهم تلك الأحاديث فأخرج هشام الكتاب الأول فإذا هو لم يفتقر حرفا واحدا ، وإنما أراد هشام امتحان حفظه . وقال عمرو بن عبد العزيز : ما رأيت أحدا أحسن سوقا للحديث إذا حدث من الزهري . وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا أنص للحديث من الزهري ، ولا أهنو من الدينار والدرهم عنده ، وما أدرام والدينارين عند الزهري إلا بمنزلة البعر . قال عمرو بن دينار : ولقد جالست جابرا وابن عباس وابن عمر وابن الزبير فما رأيت أحدا أسبق للحديث من الزهري .

وقال الامام أحمد : أحسن الناس حديثا وأجودهم إسنادا الزهري ، وقال النسائي : أحسن الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ . وقال سميد عن الزهري : مكنت خسا وأربعين سنة أختلف من الحجاز إلى الشام ، ومن الشام إلى الحجاز ، فما كنت أسمع حديثا أسطره . وقال الليث : ما رأيت علما قط أجمع من ابن شهاب ، ولو سمعته يحدث في الترغيب والترهيب لقلت : ما يحسن غير هذا ، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلت لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأعراب والأنساب لقلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدعا جامعا ، وكان يقول : اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك

وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة . قال الليث : وكان الزهري أسخى من رأيت ، يعطى كل من جاء وسأله ، حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف . وكان يطعم الناس الكثير ويقيمهم العسل ، وكان يستمر على شراب العسل كما يستمر أهل الشراب على شرايهم ، ويقول استقونا وحدوثنا ، فإذا نفس أحدهم يقول له : ما أنت من سبار قر يش ، وكانت له قبة معصرة ، وعليه ملحفة معصرة ، وتحت بساط معصر ، وقال الليث قال يحيى بن سعيد : ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب .

وقال عبد الرزاق : أنبا معمر قال قال عمر بن عبد العزيز : عليكم باين شهاب فإنه ما بقي أحد أعلم بسنة ماضية منه ، وكذا قال مكحول . وقال أبوب : ما رأيت أحدا أعلم من الزهري ، قيل له : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أعلم من الزهري ، وقيل لمكحول : من أعلم من لقيت ؟ قال : الزهري ، قيل : ثم من ؟ قال الزهري ، قيل ثم من ؟ قال الزهري . وقال مالك : كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحداً حتى يخرج . وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة : محدثو أهل الحجاز ثلاثة ، الزهري ويحيى بن سعيد وابن جريج . وقال علي بن المديني : الذين أقنوا أربعة ، الزهري ، والحكم ، وحماد وقتادة ، والزهري أقفهم عندي . وقال الزهري : ثلاثة إذا كن في القاضي فليس بقاض ، إذا كره الملام وأحب المحامد ، وكره العزل . وقال أحمد بن صالح : كان يقال فصحاء زمانهم الزهري وعمر بن عبد العزيز وموسى بن طلحة وعبيد الله ، ورحمهم الله . وقال مالك عن الزهري : أنه قال : إن هذا العلم الذي أدب الله به رسول الله ﷺ ، وأدب رسول الله ﷺ به أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدى إليه ، فمن سمع علما فليجده أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل .

وقال محمد بن الحسين عن يونس عن الزهري قال : الاعتصام بالسنة نجاة ، وقال الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال : أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت . وقال محمد بن إسحاق عن الزهري : إن من غوائل العلم أن يترك العالم حتى ينهب علمه ، وفي رواية أن يترك العالم العمل بالعالم حتى ينهب ، فإف من غوائل قلة اتقاع العالم بعلمه ، ومن غوائله النسيان والكذب ، وهو أشد الغوائل . وقال أبو زرعة عن نعيم بن حماد عن محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال : القراءة على العالم والسماع عليه سواء إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه حظ ونصيب ، وقد قضى عنه هشام مرة ثمانين ألف درهم ، وفي رواية سبعة عشر ألفا ، وفي رواية عشرين ألفا . وقال الشافعي : عتب رجاء بن حيوة على الزهري في الاسراف ولكن يستدين ، فقال له : لا آمن أن يجبس هؤلاء القوم ما بأيديهم عنك فتكون قد حملت على أمانيك ، قال : فوعده الزهري أن يقصر ،

فر به بعد ذلك وقد وضع الطعام ونصب موائد للمسل ، فوقف به رجاء وقال : يا أبا بكر ما هذا بالذي
طارقتنا عليه ، فقال له الزهري : أنزل فان السخى لا تؤذبه التجارب . وقد أئند بعضهم في هذا للمنى

له سحاب جرد في أنمله * أمطارها الفضة البيضاء والذهب

يقول في المسرا إن أيسرت ثانية * أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب

حتى إذا عاد أيام اليسار له * رأيت أمواله في الناس تنهب

وقال الواقدي : ولد الزهري سنة ثمان وخسين ، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله
بثلاث شمس زبدا ، فأقام بها فرض هناك ومات وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، وكانت وفاته
لسبع عشرة من رمضان في هذه السنة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، قالوا : وكان ثقة كثير الحديث
والعلم والرواية ، فيها جامعا ، وقال الحسين بن المتوكل العسقلاني : رأيت قبر الزهري بشمس زبدا
من فلسطين مسنا بمحصصا ، وقد وقف الأوزاعي يوما على قبره فقال : يا قبركم فيك من علم ومن حلم
* يا قبركم فيك من علم ومن كرم * وكتمت روايت وأحكاما . وقال الزبير بن بكار : توفي الزهري
بأمواله بشمس ثنين ، ليلة الثلاثاء لسبع عشر ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، عن
ثنتين وسبعين سنة ، ودفن على قارعة الطريق ليدعو له المارة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وعشرين
ومائة ، وقال أبو معشر : سنة خمس وعشرين ومائة ، والصحيح الأول والله أعلم .

[فصل]

وروى الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرني صالح بن
كيسان قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم قتلنا : نحن نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء
عن النبي ﷺ ، ثم قال لي : هلم فلنكتب ما جاء عن أصحابه فانه سنة ، فقلت : إنه ليس بسنة فلا
نكتب ، قال : فكتب ما جاء عنهم ولم أكتب ، فأصبح وضعت . وروى الامام أحمد عن معمر
قال : كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد ، فإذا انفرد قد حلت على الدواب من
خزائنه يقول : من علم الزهري . وروى عن الليث بن سعد قال : وضع الطست بين يدي ابن
شهاب فتذكر حديثا فلم تزل يده في الطست حتى طلع الفجر وضحى . وروى أصبغ بن الفرج عن
ابن وهب عن يونس عن الزهري قال : هلم واد فاذنا هبطت واديه ضلبيك بالثؤدة حتى تخرج منه ،
فانك لا تخطئه حتى يقطع بك .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى قتلنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن بن
زبالة عن مالك بن أنس عن الزهري قال : خدمت عبيد الله بن عتبة ، حتى أن كان خالعه ليخرج
فيقول : من بالباب ؟ فيقول الجارية : غلامك الأعمش ، فظن أني غلامه ، وإن كنت لأخسره

حتى أستقي له وضوءه . وروى عبد الله بن أحمد عن محمد بن عباد عن الثوري عن مالك بن أنس
أراه عن الزهري . قال : تبع سعيد بن المسيب ثلاثة أيام في طلب حديث . وروى الأوزاعي عن
الزهري قال : كنا نأقي النمام فما نتلم من أدبه أحب إلينا من علمه . وقال سفيان : كان الزهري يقول
حدثني فلان ، وكان من أوعية العلم ، ولا يقول كان علما . وقال مالك : أول من دون العلم ابن شهاب .
وقال أبو المليح : كان هشام هو الذي أكره الزهري على كتابة الحديث ، فكان الناس يكتبون بمد
ذلك . وقال رشيد بن سعيد قال الزهري : العلم خزانة وتفتحها المسائل . وقال الزهري : كان يصطاد
العلم بالمسألة كما يصاد الوحش . وكان ابن شهاب ينزل بالأعراب يعلمهم ثلاثا ينسى العلم ، وقال : إنما
ينهب العلم النسيان وترك المذاكرة . وقال : إن هتنا العلم إن أخذته بالكسابة غلبك ولم تقطر منه
بشيء ، ولكن خدمه مع الأيام والأيام أخفا رفيقا تقطر به . وقال : ما أحدث الناس مروءة أعجب إلى
من الفصاحة . وقال : العلم ذكر لا يحبه إلا القكور من الرجال ويكرهه مؤثوم . وروى الزهري عن أبي
حازم وهو يقول : قال رسول الله ﷺ ، فقال : مالي أرى أحاديث ليس لها خطم ولا أزمة ؟ . وقال :
ما عابد الله بشيء أفضل من العلم .

وقال ابن مسلم أبي عاصم : حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم عن القاسم بن هزان أنه سمع الزهري
يقول : لا يوفق الناس علم عالم لا يعمل به ، ولا يؤمن بقول عالم لا يرضى . وقال ضمرة عن يونس عن
الزهري قال : ليالك وغلول الكتب ، قلت : وما غلولها ؟ قال : حبسها عن أهلها . وروى الشافعي عن
الزهري قال : حضور المجلس بلا نسخة ذل . وروى الأصمعي عن مالك بن أنس عن ابن شهاب
قال : جلست إلى ثعلبة بن أبي معين فقال : أراك تحب العلم ؟ قلت : نعم . قال : فعليك بذلك
الشيخ - يعني سعيد بن المسيب - قال : فزمت سعيدا سبع سنين ثم تحولت عنه إلى عروة ففتجرت
تبع بحره . وقال الليث : قال ابن شهاب : ما صبر أحد على العلم صبري ، وما نشره أحد قط نشرى ،
فأما عروة بن الزبير فيشر لا تذكره الفلاء ، وأما ابن المسيب فانتصب للناس فنهب اسمه كل منذهب .
وقال مكى بن عبدان : حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الأوسى حدثنا مالك بن أنس أن
ابن شهاب سأله بعض بني أمية عن سعيد بن المسيب فدكر علمه بخير وأخبره بحاله ، فبلغ ذلك
سعيدا فلما قسم ابن شهاب المدينة جاء فلم على سعيد فلم يرد عليه ولم يكلمه ، فلما انصرف سعيد
مشى الزهري معه فقال : مالي سلت عليك فلم تكلمني ؟ ماذا بلغتني وما قلت إلا خيرا ؟ . قال
له : ذكرتني لبني مروان ؟ . وقال أبو حاتم : حدثنا مكى بن عبدان حدثنا محمد بن يحيى حدثني عطاء
ابن خلف الخزرجي عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن ابن شهاب قال : أصلب أهل
المدينة حاجة زمان فتنة عبد الملك بن مروان ، فممت أهل البلد ، وقد خيل إلى أنه قد أصابنا أهل

البيت من ذلك ما لم يصب أحداً من أهل البلد ، وذلك لخبرتي بأهل ، فذكرت : هل من أحد أمت إليه برحم أو مودة أوجبوا خرجت إليه أن أصيب عنده شيئاً ؟ فاعلمت من أحد أخرج إليه ، ثم قلت : إن الرزق بيد الله عز وجل ، ثم خرجت حتى قدمت دمشق فوضعت رجلي ثم أتيت المسجد فنظرت إلى أعظم حلقة رأيتها وأكبرها فجلست فيها ، فبينما نحن على ذلك إذ خرج رجل من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، كأجسم الرجال وأجلهم وأحسنهم هيئة ، فجاء إلى المجلس الذي أنا فيه فنحنشوا له - أي أوسعوا - فجلس فقال : لقد جاء أمير المؤمنين اليوم كتاب ما جاء مثله منذ استخلفه الله ، قالوا : ما هو ؟ قال : كتب إليه عليه السلام على المدينة هشام بن يساعيل يذكر أن ابنا لمصعب بن الزبير من أم ولد مات ، فأرادت أمه أن تأخذ ميراثا منه فتمنعها عروة بن الزبير ، وزعم أنه لا ميراث لها ، فتوهم أمير المؤمنين حديثا في ذلك سمعه من سعيد بن المسيب يذكر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في أمهات الأولاد ، ولا يحفظه الآن ، وقد شد عنه ذلك الحديث . قال ابن شهاب قلت : أنا أحدثه به ، فقام إلى قبيصة حتى أخذ بيدي ثم خرج حتى دخل الدار على عبد الملك فقال السلام عليك ، فقال له عبد الملك عجيبا : وعليك السلام . فقال قبيصة : أندخل ؟ فقال عبد الملك ادخل ، فنخل قبيصة على عبد الملك وهو أخذ بيدي وقال : هذا يا أمير المؤمنين يحدثك بالحديث الذي سمعته من ابن المسيب في أمهات الأولاد . فقال عبد الملك : إيه ، قال الزهري قلت : سمعت سعيد بن المسيب يذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بأمهات الأولاد أن يقو من أموال أبنائهن بقيمة عدل ثم يستغن ، فكتب عمر بذلك صدراً من خلافة ، ثم توفي رجل من قريش كان له ابن من أم ولد ، وقد كان عمر يعجب بذلك الغلام ، فترك ذلك الغلام على عمر في المسجد بعد وفاة أبيه بليال ، فقال له عمر : ما فعلت يا ابن أخي في أمك ؟ قال : فعلت يا أمير المؤمنين خيراً ، خير وني بين أن يسترقوا أمي ^(١) فقال عمر : أولست إنما أمرت في ذلك بقيمة عدل ؟ ما أرى رأياً وما أمرت بأمر إلا قلتم فيه ، ثم قام فجلس على المنبر فاجتمع الناس إليه حتى إذا رضى من جماعتهم قال : أيها الناس ! إني قد كنت أمرت في أمهات الأولاد بأمر قد علمتموه ، ثم حدث رأي غير ذلك ، فأما امرئ كان عنده أم ولد فليكلها يمينه ما عايش ، فإذا مات فهي حرة لا سبيل له عليها .

فقال لي عبد الملك : من أنت ؟ قلت أنا محمد بن مسلم بن عبيد بن شهاب ، قال : أما والله إن كان أبوك لأباً فمارأ في الفتنة مؤذياً لنا فيها . قال الزهري قلت : يا أمير المؤمنين قل كما قال السيد الصالح : (لا تريب عليكم اليوم ينفر الله لكم) قال : أجل ! (لا تريب عليكم اليوم ينفر الله لكم) قال قلت : يا أمير المؤمنين افرض لي فاني منقطع من الديوان ، قال : إن بلك ما فرضنا فيه

لأحد منذ كان هذا الأمر . ثم نظر إلى قبصة وأنا وهو قائمان بين يديه ، فكأنه أومأ إليه أن افرض له ، فقال : قد فرض إليك أمير المؤمنين ، قلت : إني والله ما خرجت من عند أهلي إلا وهم في شدة وحلجة ما يملها إلا الله ، وقد عمت الحاجة أهل البلد . قال : قد وصلك أمير المؤمنين . قال قلت : يا أمير المؤمنين وخادم يخدمنا ، فإن أهلي ليس لهم خادم إلا أختي ، فاتها الآن تعجن وتخبز وتطحن قال : قد أخذك أمير المؤمنين .

وروى الأوزاعي عن الزهري أنه روى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . قلت للزهري : ما هذا ؟ قال : من الله العلم ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلينا التسليم ، أمرنا أحاديث رسول الله ﷺ كاجامات . وعن ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : كان عمر بن الخطاب يأمر برواية قصيدة لبدي بن ربيعة التي يقول فيها :

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ قُلُّ • وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَالْمَجْلُ
أَحَدُ اللَّهِ فَلَا تَدَّ لَهُ • يَدِيهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلَ
مِنْ هَدَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى • نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وقال الزهري : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة منزله فلذا هو مفتاض يتفخ ، قلت : مالي أراك هكذا ؟ قال : دخلت على أميركم آفنا - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبيد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت عليهما فلم يردا علي السلام ، قلت :

لَا تَعْجَبَا أَنْ تَوْتِيَا فَتَكَلَّمَا • فَا حَشَى الْأَقْوَامَ شَرَّ أَمْرِ الْكَبِيرِ
وَمَسَاتِرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ خَلَقْتُمَا • وَفِيهَا الْمَادُّ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشَرِ

قلت : برحمتك الله ! ! منك في صهك وفضلك وسنك قول الشر ؟ قال : إن المصنوع إذا نفث برأ . وجاء شيخ إلى الزهري قال : حدثني ، قال : إنك لا تعرف القنة ، فقال الشيخ : لعل أعرفها ، قال : فما تقول في قول الشاعر :

صَرِيحٌ نَدَايَ بَرَفِ الشَّرْبِ رَأْسُهُ • وَقَدَمَتِ مِنْهُ كُلُّ عَضْوٍ وَمَفْصَلُ ؟

ما المفصل ؟ قال : اللسان ، قال : عد على أحدك . وكان الزهري يتمثل كثيرا بهذا :

ذَهَبَ الشَّبَابُ فَلَا يَمُودُ جَانَا • وَكَأَنَّ مَا قَدْ كُنْ لَمْ يَكْ كَانَا
فَطَوَيْتُ كَتْفِي بِإِجْمَانٍ عَلَى الْمَصَا • وَكَفَى جِئَانٍ بِطَلْهَا حِدَانَا

وكان قش خاتم الزهري : محمد يسأل الله العافية . وقيل لابن أخي الزهري : هل كان منك يتطيب ؟ قال : كنت أشم دريح المسك من سوط حابة الزهري . وقال : استكثروا من شيء لا تنسه النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المعروف . واستدحه رجل مرة فأعطاه قيصه ، فقيل له : أنملي على كلام

الشيطان؟ قال: إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر. وقال سفيان: سئل الزهري عن الزاهد قال: من لم يمنع الحلال شكراً، ولم يظلم الحرام صبره. وقال سفيان: قالوا للزهري: لو أنك الآن في آخر عمرك أقتت بالمدينة، فمضت إلى مسجد رسول الله ﷺ، ودرجت وجلست إلى عمود من أعمدته فذكرت الناس وعلمتهم؟ قال: لو أني فعلت ذلك لوطي عقي، ولا ينبغي لي أن أفعل ذلك حتى أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة. وكان الزهري يحدث أنه هلك في جبال بيت المقدس بضعة وعشرون نبياً، ما تروا من الجوع والعمل: كانوا لا يأكلون إلا ما عرفوا، ولا يلبسون إلا ما عرفوا وكان يقول: العبادة هي الورع والزهدة، والعلم هو الحسنة، والصبر هو احتمال المسكاره، والدعوة إلى الله على العمل الصالح [(١)] .

ومن توفي في خلافة هشام بن عبد الملك كما أورده ابن عسار

(بلال بن سعد)

ابن تميم السكوني أبو عمرو، وكان من الزهاد الكبار، والعباد الصوام القوام، روى عن أبيه وكان أبوه له محبة، وعن جابر وابن عمر وأبي الدرداء وغيرهم، وعنه جماعات منهم أبو عمرو والأوزاعي وكان الأوزاعي يكتب عنه ما يقوله من الفوائد العظيمة في قصصه ووعظه، وقال: ما رأيت واعظاً قط مثله. وقال أيضاً: ما بلغني عن أحد من العبادة ما بلغني عنه، كان يصلي في اليوم واليلة ألف ركعة. وقال غيره وهو الأصمعي: كان إذا ناس في ليل الشتاء ألقى نفسه في ثيابه في البركة، فصابه بعض أصحابه في ذلك فقال: إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم. وقال الوليد بن مسلم: كان إذا كبر في الحراب ممعوا تكبيره من الأوزاع. قلت: وهي خارج بلب الفرديس. وقال أحمد بن عبد الله الحنبل: هو شامي تابعي ثقة. وقال أبو زرعة الدمشقي: كان أحد العلماء فاضلاً حسن القصد، وقد اتهمه رجاء بن حيوة بالفساد حتى قال بلال يوماً في وعظه: رب مسرور ومفرور، ورب مغرور ولايشمر، فويل لمن له الويل وهو لايشمر، يأكل ويشرب، ويضحك، وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار، فياويل لك روحاً، فياويل لك جسداً، فلتبك وتبكي عليك البواكي لطول الأبد. وقد ساق ابن عسار شيئاً حسناً من كلامه في مواضعه البليغة، فمن ذلك قوله: والله لكني به ذنباً أن الله يهدينا في الدنيا ونحن نرغب فيها، زاهدكم راغب، وعالمكم جاهل، ومجاهدكم مقصر. وقال أيضاً: أعفك كما تقيك ذكرك بنصينك من الله، وأخبرك بسبب فيك، أحب إليك، وخير لك من أعفك كما تقيك وضع في فكك دينارا. وقال أيضاً: لا تمكن ولياً لله في الملاينة وعدوه في السر ولا تمكن عدو إبليس والنفس والشهوات في الملاينة وصديقهم في السر، ولا تمكن ذا وجهين وذات لسانين (١) زيادة من المصرية..

فنظهر الناس أنك تخشى الله ليحمدوك وقلبك طاهر . وقال أيضا : أيها الناس إنكم لم تخلقوا للبقاء
 وإنما خلقتم للبقاء ، ولكسبكم تنتقلون من دار إلى دار ، كما هتتم من الأضلاب إلى الأرحام ، ومن
 الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبور إلى الموقف ، ومن الموقف إلى الجنة أو النار .
 وقال أيضا : عباد الرحمن إنكم تملكون في أيام قصار لأيام طوال ، وفي دار زوال إلى دار مقام ، وفي
 دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود ، فمن لم يعمل على يقين فلا تنفعن ، عباد الرحمن لو قد غفرت خطاياكم
 الماضية لكان فيا تستقبلون لكم شغلا ، ولو علم بما تملكون لكان لكم مقبدا وملجأ ، عباد الرحمن
 أما ما وكلتم به فتضيعونه ، وأما ما تكفل الله لكم به فتطلبونه ، ما هكذا نعت الله عباده الموقنين ،
 أذو وعقول في الدنيا وبه في الآخرة ، وعسى عما خلقتم له بصراء في أمر الدنيا ؟ فكما ترجون رحمة الله
 بما تودون من طاعته ، فكذلك اشقوا من عذابه بما تنهكون من معاصيه ، عباد الرحمن ! هل جاءكم
 مخبر يخبركم أن شيئا من أعمالكم قد تقبل منكم ؟ أو شيئا من خطاياكم قد غفر لكم ؟ (أم حسبتم أنما
 خلقناكم عبدا وأنكم إلينا لاترجعون) والله لو جعل لكم الثواب في الدنيا لاستغلقتم مافرض عليكم .
 أترغبون في طاعة الله لدار معسورة بالآفات ؟ ولا ترغبون وتنافسون في جنة أكلها دائم وظلها ، وعرضها
 عرض الأرض والسماوات (تلك عتبي الذين اتقوا وعتبي الكافرين النار) وقال أيضا : الذكر ذكر أن
 ذكر الله باللسان حسن جميل ، وذكر الله عند ما أحل وحرم أفضل . عباد الرحمن يقال لأحدنا : نحب
 أن نموت ؟ فيقول : لا يقال له : لم ؟ فيقول : حتى أعمل ، فيقال له : اعمل ، فيقول سوف أعمل ، فلا
 نحب أن نموت ، ولا نحب أن نعمل ، وأحب شيء إليه يجب أن يؤخر عمل الله ، ولا يحب أن يؤخر
 الله عنه عرض دنياه . عباد الرحمن إن المبد ليكمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضاع
 ماسواها ، فما يزال يئنه الشيطان ويزين له حتى ما يرى شيئا دون الجنة ، مع إقامته على معاصي الله . عباد
 الرحمن قبل أن تملوا أعمالكم فانظروا ماذا تريدون بها ، فإن كانت خالصة فامضوها وإن كانت لنير
 الله فلا تشقوا على أنفسكم ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، فانه قال (إليه يصعد
 الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال أيضا : إن الله ليس إلى عذابكم بالسريع ، وقبل المقبل ويسع
 المدبر ، وقال أيضا : إذا رأيت الرجل متحرجا لحوسا مماريا ممجيا برأيه قد تمت خسارته . وقال
 الأوزاعي : خرج الناس بيمشوق يستسقون فقام بهم بلال بن سعد فقال : يا معشر من حضر ! ألسنتم
 مقرين بالأساءة ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم إنك قلت (ماعلى المحسنين من سبيل) وقد أقرنا بالأساءة
 فاعف عنا واغفر لنا . قال : فسقوا يومهم ذلك : وقال أيضا : سمعته يقول : لقد أدركت أقواما يشندون
 بين الأغراض ، ويضعك بعضهم إلى بعض ، فإذا جئهم الليل كانوا رهيبا . وسمعت أيضا يقول :
 لا تنظر إلى صنم الذنوب وانظر إلى من عصيت . وسمعت يقول : من بادأك بالود قد استرقتك بالشكر .

وكان من دعائه : اللهم إني أعوذ بك من ذيق القلوب ، ومن قيعات الذنوب ، ومن مرديات الأعمال ومضلات العين . وقال الأوزاعي عنه أنه قال : عباد الرحمن لو أنتم لم تدعوا إلى الله طاعة إلا عملتموها ولا معصية إلا اجتنبتوها ، إلا أنكم تحبون الدنيا لكفاكم ذلك عقوبة عند الله عز وجل . وقال : إن الله ينفذ الذنوب لمن قاب منها ، ولكن لا يحسوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة .

﴿ ترجمة الجعد بن درهم ﴾

هو أول من قال بخلق القرآن ، وهو ائدى ينسب إليه مروان الجعدي ، وهو مروان الحمار ، آخر خلفاء بني أمية . كان شيخه الجعد بن درهم ، أصله من خراسان ، ويقال إنه من موالى بني مروان ، سكن الجعد دمشق ، وكانت له بها دار بالقرب من القلايين إلى جانب الكنيسة ، ذكره ابن عساکر . قلت : وهي محلة من الخواصين اليوم غربها عند حمام القطانين ائدى يقال له حمام قليس . قال ابن عساکر وغيره : وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سحمان ، وأخذها بيان عن طلوت ابن اخت لبيد بن أعصم ، زوج ابنته ، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر ائدى سحر رسول الله ﷺ عن يهودى باليمن ، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الخزرى ، وقيل الترمذى ، وقد أقام يبلغ ، وكان يصلى مع مقاتل بن سليمان فى مسجده ويتناظران ، حتى نفى إلى ترمذ ، ثم قتل الجهم بأصبهان ، وقيل بمر ، قتله ثاقبها سلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشر المريسى عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبى دواد عن بشر ، وأما الجعد فانه أقام بمشقة حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكر الكوفة ، فلقبه فيها الجهم بن صفوان فنقله هنا القول عنه ، ثم إن خالد بن عبد الله القسرى قتل الجعد يوم عيد الاضحى بالكوفة ، وذلك أن خالفاً خطب الناس فقال فى خطبته تلك : أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم ، فاقمض بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا . ولم يكلم موسى تكليمًا ، فمالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم نزل فنبهه فى أصل المنبر .

وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخارى وابن أبى حاتم والبيهقى وعبد الله بن أحمد وذكره ابن عساکر فى التاريخ ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وأنه كان كلما راح إلى وهب يقتل ويقول : أجمع للعقل ، وكان يسأل وهبا عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوما : وبلك يا جعد ، أقصر المسألة عن ذلك ، إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله فى كتابه أن له يدا ما قلنا ذلك ، وأن له عينا ما قلنا ذلك ، وأن له فسا ما قلنا ذلك ، وأن له سمما ما قلنا ذلك ، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك ، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل . ذكره ابن عساکر ، وذكر فى ترجمته أنه قال للحجاج بن يوسف ويروى لمران بن حطان :

ليث على وفي الحروب لعملة • فتخاه تجمل من صغير الصافر
حلا برزت إلى غزالقي الوغي • بل كان قلبك في جناحي طائر

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة)

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا رزق الله بن موسى ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب بن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة ، وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي كريب عن ابن أبي فديك عن عبد الملك بن سعيد بن زيد بن نفيل عن مصعب بن مصعب عن الزهري به . قلت : وهذا حديث غريب منكر ، ومصعب بن مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري تكلم فيه وضعفه علي بن الحسين بن الجنيدي : وكذا تكلم في الراوي عنه أيضا والله أعلم . وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة من بلاد الروم ، وفي ربيع الآخر منها توفي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان

(ذكر وفاته وترجمته رحمه الله)

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي ، أمير المؤمنين . وأمه أم هشام بخت هشام بن إسماعيل الخزومي ، وكانت داره بدمشق عند باب الخواصين ، وبعضها اليوم مدرسة نور الدين الشهيد التي يقال لها النورية الكبيرة ، وتعرف بدار القبايين - يعني القيين يبيعون القباب وهي الخيام - فكانت تلك الحلة داره والله أعلم . وقد بويج له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بمهد منه إليه ، وذلك يوم الجمعة لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وكان له من العمر يومئذ أربع وثلاثون سنة ، وكان جميلا أبيض أحول يخضب بالسواد ، وهو الرابع من ولد عبد الملك الذين ولوا الخلافة ، وقد كان عبد الملك رأى في المنام كأنه يال في الحراب أربع مرات ، ففس إلى سعيد بن المسيب من سألها عنها ففسرها له بأنه يال الخلافة من ولده أربعة ، فوقع ذلك ، فكان هشام آخرهم ، وكان في خلافته حازم الرأي جماعا للأموال يبخل ، وكان ذكيا مدبرا له بصير بالأمور جليها وحقيرها ، وكان فيه حلم وأناة ، شتم مرة رجلا من الأشراف فقال : أنت شتمني وأنت خليفة الله في الأرض ؟ فاستحيا وقال : اقتص مني بدلا أو قال بمنئها ، فقال : إنا أكون سفينا منك ، قال تغذ عوضا قال : لأفضل ، قال : فتركها الله ، قال : هي لله ثم لك ، قال هشام عند ذلك : والله لا أعود إلى مثلها .

وقال الأصمعي : أسمع رجلا هشاما كلاما فقال له : أتقول لي مثل هذا وأنا خليفة الله ؟ وغضب مرة على رجل فقال له : اسكت وإلا ضربتك سوطا ، وكان علي بن الحسين قد اقترض من مروان

ابن الحكم مالا أربعة آلاف دينار ، فلم يتعرض له أحد من بني مروان ، حتى استخلف هشام قال : ما فعل حقا قبلك ؟ قال : موفور مشكور ، قال : هو لك .

[قلت : هذا الكلام فيه نظر ، وذلك أن علي بن الحسين مات سنة التقهاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، قبل أن يلى هشام الخلافة بأحدى عشرة سنة ، فانه إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة ، يقول المؤلف : إن أحداً من خلفاء بني مروان لم يتعرض لمطالبة علي بن الحسين حتى ولى هشام فطالبه بالمال المذكور ، فيه نظر ولا يصح ، لتقدم موت علي على خلافة هشام ، والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١)] وكان هشام من أكره الناس لسفك الدماء ، ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابنه يحيى أمر شديد وقال : وددت أنى افتديتهما بجميع ما أملك . وقال المدائني عن رجل من حبي عن بشر مولى هشام قال : أتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط ، فقال : اكرسوا الطنبور على رأسه وقرنه ، فبكي الشيخ ، قال بشر : فضربه ، قال أترانى أبكى للضرب ، إنما أبكى لاحتفارك البربط حتى مميتة طنبورا ، وأغلظ لهشام رجل يوماً في الكلام قال : ليس لك أن تقول هذا لامامك . وتقدم أحد ولده يوم الجمعة فميت إليه مالك لم تشهد الجمعة ؟ قال : إن بنقى عجزت عني ، فميت إليه أما كان يمكنك المشي ، ومنعه أن يركب سنة ، وأن يشهد الجمعة ماشياً

وذكر المدائني أن رجلاً أهدى إلى هشام طيرين فأوردهما السفير إلى هشام ، وهو جالس على سرير في وسط داره ، فقال له : أرسلهما في الدار ، فأرسلهما ، ثم قال : جازئني يا أمير المؤمنين فقال : ويحك وما جازئتك على هدية طيرين ؟ خذ أحدهما ، فجيل الرجل يسمى خلف أحدهما ، فقال : ويحك ما بالك ؟ قال أختار أجودهما ، قال : ويختار أيضاً الجيد وتترك الردي . ثم أمر له بأربعين أو خمسين درهما . وذكر المدائني عن محرم ^(٢) كاتب يوسف بن عمر ، قال : بعثني يوسف إلى هشام بيلقوة حمراء ولؤلؤة كانتا لرابية ، جارية خالد بن عبد الله القسري ، مشترى البيلقوة ثلاثة وسبعون ألف دينار ، قال : فدخلت عليه وهو على سرير فوقه فرش لم أر رأس هشام من علو تلك الفرش ، فأوردتها له ، فقال : كم زتها ؟ قلت : إن مثل هذه لأمثل لها ، فسكت . قالوا : ورأى قوماً يفرطون الزيتون فقال القطوه لقطا ولا تنفضوه ففضا ، فتفقا عيوته وتكسر غصونه ، وكان يقول : ثلاثة لا يضمن الشريف : تعاهد الصنيعة ، وإصلاح المعيشة ، وطلب الحق وإن قل . وقال أبو بكر انظرا أظنى : قال ابن هشام لم يقتل من الشر سوى هذا البيت :

إذا أنت لم تعص الهوى فاحك الهوى • إلى كل ما فيه عليك مقال

وقد روى له شعر غير هذا ، وقال المدائني عن ابن يسار الأعرجى حدثني ابن أبي مجيبة عن عقاب بن

(١) : زيادة من المصرية . (٢) : كنا ولم نجد له مرجحاً .

شبه قال : دخلت على هشام وعليه قباء فتك أخضر ، فوجهني إلى خراسان ، ثم جل بوسيني وأنا أنظر إلى القباء ، فظن قال : مالك ؟ قلت : عليك قباء فتك أخضر ، [وكنت رأيت عليك مثله] أقبل أن تلي الخلافة فبعلت أتأمل هذا هو ذاك أم غيره ، قال : والله الذي لا إله غيره هو ذاك ، مالي قباء غيره ، وما ترون من جمعي لهذا المال وصونه إلا لكم . قال عقال : وكان هشام محشواً بخلا .

وقال عبد الله بن علي عم السلف : جمعت دواوين بني أمية فلم أر أصليح للعلماء والسلاطين من دواوين هشام . وقال المدايني عن هشام بن عبد الحميد : لم يكن أحد من بني مروان أشد نظراً في أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام ، وهو الذي قتل غيلان القدرى ، ولما أحضر بنى يديه قال له : ويحك قل ما غنيتك ، إن كان حتماً انبعثه ، وإن كان باطلاً رجعت عنه ، فناظره ميمون بن مهران فقال لميمون أشياء فقال له : أيمسى الله كلها ؟ فسكت غيلان قتيده حينئذ هشام وقتله . وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن منفر بن أبي ثور قال : أصبنا في خزائن هشام اثني عشر ألف قيص كلها قد أثر بها . وشكى هشام إلى أبيه ثلثاً إحداها أنه يهاب الصمود إلى المنبر ، والثانية قلته تناول الطعام ، والثالثة أن عنده في القصر مائة جارية من حسان النساء لا يكاد يصل إلى واحدة منهن . فكتب إليه أبوه : أما صودك إلى المنبر فإذا علوت فوقه فارم بيسرك إلى مؤخر الناس فإنه أهون عليك ، وأما قلته الطعام فر الطباخ فليكثر الألوان فذاك أن تتناول من كل لون لقمة ، وعليك بكل بيضاء بضة ، ذات جمال وحسن . وقال أبو عبد الله الشافى : لما بنى هشام بن عبد الملك الرصافة قال : أحب أن أخلو بها يوماً لا يأتيني فيه خبر غم ، فإنا انتصف النهار حتى أتته ريشة دم من بعض الثغور ، فقال : ولا يوماً واحداً ؟ ! وقال سفيان بن عيينة : كان هشام لا يكتب إليه بكتاب فيه ذكر الموت . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا حسين ابن زيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمر بن علي قال : مشيت مع محمد بن علي - يعني ابن الحسين ابن علي بن أبي طالب - إلى داره عند الحمام فقلت له : إنه قد طال ملك هشام وسلطانه ، وقد قرب من العشرين سنة ، وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال : ما أدرى ما أحاديث الناس ، ولكن أبى حدثني عن أبيه عن علي عن النبي ﷺ قال : « لن يمر الله ملكاً في أمة نبي مضى قبله ما بلغ ذلك النبي من العمر في أمته ، فإن الله عمر نبيه ﷺ ثلاث عشرة سنة بمكة وعشراً بالمدينة » . وقال ابن أبي خيثمة : ليس حديث فيه توقيت غير هذا ، قرأه يحيى بن معين على كتابي فقال : من حديثك به ؟ قلت : إبراهيم ، فتلفت أن لا يكون سمعه ، وقد رواه ابن جرير في تاريخه عن أحمد بن زهير عن إبراهيم بن المنذر الحزامي . وروى مسلم بن إبراهيم ثنا القاسم بن الفضل حدثني عباد بن المرأ التتسكي^(١) عن عاصم بن

(١) كذا الاصل .

المنزلة الزبير عن عبد الله بن الزبير أنه سمع علياً يقول : هلاك ملك بني أمية على رجل أحول - يعني هشاماً - .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن أبي معاذ النخعي عن أبيه عن عمرو بن كليج عن سالم كاتب هشام بن عبد الملك : قال خرج علينا يوماً هشام وعليه كآبة وقد ظهر [عليه] الحزن ، فاستدعى الأبرش بن الوليد فجاءه فقال : يا أمير المؤمنين مالي أراك هكذا ؟ فقال : مالي لا أكون وقد زعم أهل العلم بالنجوم أنني أموت إلى ثلاث وثلاثين من يومى هذا . قال : فكنتنا ذلك ، فلما كان آخر ليلة من ذلك جاءني رسوله في الليل يقول : احضر معك دواء للذبحة ، وكان قد أصابته قبل ذلك ، فاستعمل منه فوفى ، فذهبت إليه ومسى ذلك الدواء فتناولوه وهو في وجع شديد ، واستمر فيه عامة الليل ، ثم قال : يا سالم اذهب إلى منزلك قد وجدت خفة وخر الدواء عندى ، فذهبت فافهروا إلا أن وصلت إلى منزلي حتى سمعت الصياح عليه ، فجت فافها هو قد مات .

وذكر غيره أن هشاماً نظر إلى أولاده وهم يبكون حوله فقال : جاد لكم هشام بالدينا وجدتم عليه بالبكاء ، وترككم لكم مابيع ، وترككم له ما كسب ، ما أسوأ منقلب هشام إن لم يغفر الله له . ولما مات جاءت الخزنة فغتموا على حواصله وأرادوا تسخين الماء فلم يقدروا له على فحم حتى استعاروا له ، وكان نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم . وكانت وفاته بالرصافة يوم الأربعاء لست بقين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن بضع وخمسين سنة ، وقيل إنه جاوز الستين ، وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذي ولي الخلافة بعده ، وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشر يوماً ، وقيل وثمانية أشهر وأيام فافه أعلم .

وقال ابن أبي فديك : ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة » . قال ابن أبي فديك : زينتها نور الاسلام وبهجته ، وقال غيره - يعني الرجال - والله أعلم .

قلت : لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية ، وتولى وأدير أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أرمم جداً ، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحو من سبع سنين ، ولكن في اختلاف وهيج ، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العبّاس فاستلبوهم فقتلهم وملكهم ، وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذلك . بسوطاً مقدراً في مواضع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

بحمد الله قد تم الجزء التاسع من البداية والنهاية ويلي الجزء العاشر
وأوله خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

فهرس المجلد التاسع من البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٢٧ سنة تسع وسبعين. وقوع طاعون عظيم بالشام.	٢ سنة أربع وسبعين
٢٩ غزو وتبيل ملك الترك الأعظم	٣ ذكر وفاة أبي سعيد الخدري
٣١ سنة ثمانين من الهجرة. وفيها كان السيل	٤ » » عبد الله بن عمر
الحجاف بمكة.	٥ » » عبيد بن عمير. أبي جحيفة. سلمة
٣٢ وفاة أسلم مولى عمر بن الخطاب	ابن الأكوخ. مالك بن أبي عامر. أبي عبد الرحمن
» جبير بن نفير. عبد الله بن جفر بن	السلي. أبي معرض الأسدي. يشر بن مروان
أبي طالب وترجمته	٦ سنة خمس وسبعين.
» أبي إدريس الخولاني. معبد الجهمي القدري	١١ وفاة أبي ثعلبة الخشني. الأسود بن يزيد.
٣٤ سنة إحدى وثمانين وفيها فتح المسلمون مدينة	حران بن أبان.
قالقلا، وقتل بكبر بن وشاح.	١٢ سنة ست وسبعين
٣٥ فتنة ابن الأشعث	١٠ اجتماع صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد
٣٧ وفاة يمجيد بن ورقاء. سويد بن غفلة.	أحد شجوان الخوارج
عبد الله بن شداد.	١٣ دخول شبيب وأمراته غزاة الكوفة
٣٨ محمد بن علي بن أبي طالب وتاريخ حياته	١٤ ذكر أن عبد الملك نقش على الدرهم والدينار
٣٩ سنة ثنتين وثمانين وفيها كانت وقعة الزاوية	وهو أول من تشها.
بين ابن الأشعث والحجاج	١٥ وفاة أبي عثمان التهمدي. سلمة بن أشيم. زهير
٤٠ وقعة دير الجماجم	ابن قيس البلوي. المنذر بن الجارود
٤٣ وفاة المهلب بن أبي صفرة. أسماء بن خارجة	١٧ سنة سبع وسبعين. وفيها أخرج الحجاج
المنيرة بن المهلب. الحارث بن عبد الله. محمد	جيش الكوفة إلى شبيب
ابن أسلمة بن زيد. عبد الله بن أبي طلحة.	١٩ مقتل شبيب.
عبد الله بن كعب بن مالك.	٢١ وفاة كثير بن الصلت. عياض بن غم الأشري
٤٤ عفان بن وهب. جميل بن عبد الله الشاعر	محمد بن موسى. مطرف بن عبد الله.
وترجمته حياته.	٢١ سنة ثمان وسبعين.
٤٦ عمر بن عبد الله القرشي وشي من ترجمته.	غزو المسلمين بلاد الروم وفتح إرمقيلية.
كميل بن زياد.	٢٢ وفاة جابر بن عبد الله. شرح بن الحارث وترجمته
٤٧ ذاذان أبو عمر والكندى. أم الدرداء الصنري	٢٦ عبد الرحمن بن غم. جنازة بن أمية. البلاء
٤٧ سنة ثلاث وثمانين، القتال بين الحجاج وابن	ابن زياد البصري وترجمته.

صفحة	الاشعث بدير الجناح .	صفحة
٤٩	انتصار الحجاج على ابن الاشعث	٧٦
٥١	بناء واسط .	٧٧
	ذكر من توفي من الأعيان . عبد الرحمن	الحصون وتقال الروم .
٥٢	ابن جبلة . طارق بن شهاب . عبدالله بن عدى	٧٨
٥٣	سنة أربع وثمانين .	سجن الحجاج والتجاوزهما إلى سليمان بن عبد الملك
٥٤	من توفي من الأعيان : أيوب بن القرية .	٨٠
٥٥	عتبة بن منذر السلي .	الطيب . خالد بن يزيد بن معاوية . عبد الله
٥٦	روح بن زنباع . عبد الرحمن بن الأشعث	ابن الزبير الأسدي الشاعر .
٥٧	ترجمة أيوب بن القرية وروح بن زنباع .	٨١
٥٨	سنة خمس وثمانين . عزل يزيد بن المهلب	و بلاد المغرب
٥٩	عن إمرة خراسان	٨٢
٦٠	٦٠ - وفاة عبد العزيز بن مروان بعد عزله عن	سعد الساعدي .
٦١	إمرة الديار المصرية وترجمة حياته	٨٣
٦٢	بيعة عبد الملك بن مروان لولده الوليد ثم من	٨٤
٦٣	بعده لأخيه سليمان	٨٤
٦٤	سنة ست وثمانين . وفاة عبد الملك بن مروان	٨٥
٦٥	وتاريخ حياته وبيان أعماله	٨٨
٦٦	أرطاة بن زفر . مطرف بن عبدالله بن الشخير	٩٢
٦٧	خليفة الوليد بن عبد الملك يأتي جامع دمشق	٩٣
٦٨	سنة سبع وثمانين وما فيها من أعمال الوليد	٩٤
٦٩	من توفي فيها من الأعيان : عتبة بن عبد السلي	٩٥
٧٠	المقدام بن ممدى كرب . أبو أمامة الباهلي .	٩٦
٧١	قبيلة بن ذؤيب . عروة بن المغيرة بن شعبة	٩٩
٧٢	شريح بن الحارث القناصي .	١٠١
٧٣	سنة ثمان وثمانين وما فيها من الفزوات	الزبير بن العوام
٧٤	والفتوحات والغنائم .	١٠٣
٧٥	من توفي فيها من الأعيان : عبد الله بن بسر	١٠٨
	عبد الله بن أبي أوفى . هشام بن إسماعيل .	ابن الحسين

مصحفة	مصحفة
١٨٧ سنة مائة من الهجرة النبوية. وما فيها من الحوادث	١١٥ وفاة أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
١٨٩ بدء دعوة بني العباس. من توفي فيها من الأعيان	١١٦ سنة خمس وتسعين
١٩١ سنة إحدى ومائة. وفيها كانت وفاة عمر ابن عبد العزيز	١١٧ ترجمة الحجاج بن يوسف وذكر وفاته
١٩٢ ترجمة عمر بن عبد العزيز ×	١٢٢ فصل في كيفية دخول الحجاج الكوفة
١٩٦ فصل فيما يؤرخه من الأخبار	١٢٨ «فما روى عنه من الكلمات الثمانية الخ
٢٠١ ما كاله زوجته فاطمة فيه.	١٤٠ ومن توفي في سنة خمس وتسعين من الأعيان
٢٠٥ ما كان يتمثل به من الأشعار	إبراهيم النخعي. الحسن بن محمد بن الحنفية. حميد
٢٠٧ فصل في الحديث الذي ذكر فيه في دلائل النبوة	ابن عبد الرحمن. مطرف بن عبد الله بن الشخير
٢٠٨ «في أعماله الحسنة الطيبة.	١٤٠ سنة ست وتسعين
٢٠٩ ذكر سبب وفاته رحمه الله.	١٤٢ تكامل بناء جامع دمشق ووصفه على ما هو عليه
٢١٢ فصل في أعماله في الدولة	١٥٢ قصيدة لبعض المحدثين في جامع دمشق وفي دمشق
٢١٩ خلافة يزيد بن عبد الملك.	١٥٤ فصل فيما روى في جامع دمشق من الآثار
٢٢٠ سنة ثنتين ومائة وما كان فيها من الحوادث	١٥٦ الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا
وهزيمة ابن المهلب	عليهما السلام.
٢٢٢ ولاية مسلمة بن عبد الملك على بلاد العراق وخراسان	١٥٨ ذكر الساعات التي على يابه
٢٢٣ من توفي في هذه السنة من الأعيان.	١٥٩ ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي
٢٢٤ مجاهد بن جبير المكي وتاريخ حياته	١٦٠ فصل في ابتداء عمارة دمشق
٢٢٩ سنة أربع ومائة	١٦١ ترجمة الوليد بن عبد الملك وذكر وفاته
٢٣٠ من توفي فيها من الأعيان.	١٦٦ خلافة سليمان بن عبد الملك.
٢٣١ سنة ثلاث ومائة. ومن توفي فيها من الأعيان.	١٦٧ ذكر سبب مقتل قتيبة بن مسلم
٢٣٢ مجاهد بن جبير المكي وتاريخ حياته	١٦٩ سنة سبع وتسعين
٢٣٩ سنة أربع ومائة	١٧٠ وفاة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
٢٣٠ من توفي فيها من الأعيان.	١٧١ «موسى بن نصير وترجمته
٢٣١ سنة خمس ومائة	١٧٤ سنة ثمان وتسعين وأعمال سنين ابن عبد الملك فيها
٢٣٢ ترجمة يزيد بن عبد الملك وذكر وفاته	١٧٧ سنة تسع وتسعين. وفيها كانت وفاة سليمان
٢٣٣ خلافة هشام بن عبد الملك.	ابن عبد الملك. وتاريخ حياته.
٢٣٤ سنة ست ومائة.	١٨٤ خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
وفيها كانت وفاة سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب	١٨٥ وفاة الحسن بن محمد بن الحنفية. عبد الله
	ابن عمير بن. وكثير من الأعيان.

صحيفة	صحيفة
٢٣٥ وفاة طالوس بن كيسان البجلي وترجمته .	٣٢٥ ترجمة علي بن عبد الله بن عباس
٢٤٤ سنة سبع ومائة . وعن توفي فيها من الأعيان	٣٢٦ سنة تسع عشرة ومائة
سليمان بن يسار . عكرمة مولى ابن عباس وترجمته	٣٢٧ قتل خاقان ملك الترك الأعظم
٢٥٠ وفاة القاسم بن محمد بن أبي بكر . كثير عزة	٣٢٨ قتل المنيرة بن سعيد الساحر
وماروي من شعره	٣٢٩ سنة عشرين ومائة من الهجرة
٢٥٦ سنة ثمان ومائة وما فيها من الحوادث	٣٣٥ ظهور شيعة آل العباس
٢٥٧ ترجمة محمد بن كعب القرظي ووفاته	٣٣٦ سنة إحدى وعشرين ومائة
٢٥٩ سنة تسع ومائة . سنة عشر ومائة .	٣٣٨ ترجمة مسلمة بن عبد الملك وذكر وفاته
٢٦٠ ترجمة جرير الشاعر ووفاته	٣٣٩ سنة ثنتين وعشرين ومائة
٢٦٥ ترجمة الفرزدق	٣٤٠ كيفية قتل زيد بن علي بن الحسين
٢٦٦ الحسن البصري	٣٣١ » » أبي يحيى المعروف بالبطال
٢٦٧ » محمد بن سيرين	٣٣٤ ترجمة إلياس الكندي
٢٦٧ » وهب بن منبه	٣٣٨ سنة ثلاث وعشرين ومائة
٣٠٢ ذكر باقي من توفي من الأعيان في سنة عشر ومائة	٣٣٩ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
٣٠٣ سنة إحدى عشرة وأثني عشرة ومائة	سباك بن حرب . محمد بن واسع وترجمته
٣٠٤ ترجمة رجاء بن حيوة . شهر بن حوشب .	٣٠٥ سنة أربع وعشرين ومائة
٣٠٥ سنة ثلاث عشرة ومائة	٣٤٠ وفي هذه السنة توفي القاسم بن أبي بزة
٣٠٥ ترجمة الأمير عبد الوهاب بن بخت ووفاته	٣٤٠ تاريخ حياة ابن شهاب الزهري
» مكحول الشامي .	٣٤٤ فصل فيما روى عن الزهري من الآثار والعلم
٣٠٦ سنة أربع عشرة ومائة	والورع والزهد .
٣٠٧ ترجمة عطاء بن أبي رباح	٣٤٨ بلال بن سعد وترجمته وما كان عليه من
٣٠٩ سنة خمس عشرة ومائة	المباينة والزهد والتفك
٣١٠ ترجمة أبي جعفر الباقري	٣٥٠ ترجمة الجعد بن درهم
٣١٢ سنة ست عشرة ومائة .	٣٥١ سنة خمس وعشرين ومائة
٣١٣ سنة سبع عشرة ومائة	٣٥٠ ذكر وفاة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وترجمته
٣١٤ ترجمة قتادة بن دعلج السدوسي	٣٥٢ الرد على من قال : إن هشام بن عبد الملك
٣١٩ فاض مولى ابن عمر - ذوالرمة الشاعر	طالب علي بن الحسين بما كان استدانه من مروان
٣٢٠ سنة ثمان عشرة ومائة	جد هشام .
	(تم الفهرس)

تَارِيخُ بَغْدَادَ

أَوْ مَدِينَةِ السَّلَامِ

لِلْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الطَّلِيبِيِّ الْبَغْدَادِيِّ

وَضَعَهُ فِي أَزْهِى عَصُورِ الْإِسْلَامِ مُنْذُ تَأْسِيسِهَا إِلَى وَقْتَانِهِ عَامَ ٤٦٣ هـ

﴿ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ﴾

تشرف بإعلان الجمهور بأنها أتمت طبع كتاب (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ وهو في ١٤ مجلداً زهاء ٧٠٠٠ صفحة يشتمل على ٧٨٣١ ترجمة .

صدره بمقمة تشتمل على وصفها وبنائها وتخطيطها ومحاسنها موصولا بفتح المدائن ومن كان بها من الصحابة إلى صحيفة ٢١٤ من المجلد الأول . ثم شرع في المقصود من الكتاب فذكر ساكنيها من الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والعلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والعقهاء والأخباريين والكتّاب والشعراء الخ .

مرتباً جميع ذلك على الحروف ثم ختمه بذكر فضليات النساء . والكتاب أحد أهمّات التاريخ الإسلامي وضعه في أزهى عصور الإسلام من خلافة أبي جعفر المنصور إلى خلافة القائم بأمر الله العباسي في مدة (٣١٥) سنة .

وقد قال فيه الحافظ السخاوي : إنه تاريخ الدنيا لتناوله تراجم كل من دخلها من أهل العلم للاستفادة أو الأفادة .

وقد جعلنا منه كلاً في : ورق (بدون تجليد) ١٤٠ مائة وأربعون قرشاً صاعاً و يطلب من مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني وهو يقع في عشرة أجزاء في القطع المتوسط «القلبين الجوز» على ورق أبيض ناعم . طبع منه سبعة أجزاء وجارى الطبع في الثامن، ونحو الجزء الواحد ١٠ عشرة قروش صاغ . (ونسأل الله التوفيق إنه على كل شيء قدير)

البذلينة والنهاية

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر للؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الهمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء العاشر

مطبعة السخاوي بحراية القاهرة مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق

قال الواقدي : برئع له بالخلافة يوم مات عمه هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . وقال هشام بن الكلبي : برئع له يوم السبت في ربيع الآخر ، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة . وكان سبب ولايته أن أباه يزيد بن عبد الملك كان قد جمل الأمر من بعده لأخيه هشام ثم من بعده لولده الوليد هذا ، فلما ولي هشام أكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخلطاء السوء ومجالس اللهو ، فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه فأمره على الحج سنة ست عشرة ومائة ، فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه ، حتى يقال إنه جعلها في صناديق فسقط منها صندوق فيه كلب فسمع صوته فاحلوا ذلك على الجبال فضرب على ذلك . قالوا : واصطنع الوليد قبة على قدر الكعبة ، ومن عزمه أن ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة ويجلس هو وأصحابه هنالك ، واستصحب معه الخمر والآلات الملامى وغير ذلك من المنكرات ، فلما وصل إلى مكة هاب أن يفضل ما كان قد عزم عليه ، من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفاً من الناس ومن إنكارهم عليه ذلك ، فلما تحقق عمه ذلك منه نهاه مراراً فلم يفته ، واستمر على حاله القبيح ، وعلى فعله الرديء ، فزعم عمه على خلمه من الخلافة - وليته فل - وأن يولي بعده مسلمة بن هشام ، وأجابه إلى ذلك جماعة من الأمراء ومن أخواله ، ومن أهل المدينة ومن غيرهم ، وليت ذلك ثم . ولكن لم ينتظم حتى قال هشام يوم الوليد : ويحك ! والله ما أدري أعلى الأسلام أنت أم لا ، فانك لم تدع شيئاً من

المنكرات إلا أتيت غير متحاش ولا مستقر . فكتب إليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا • ديني على دين أبي شاكر

نشرها صراطاً ومزوجة • بالسخر أحيانا وبالفاقر

فغضب هشام على ابنه مسلمة ، وكان يسمى أباشاكر ، وقال له : تشبه الوليد بن يزيد وأنا أريد أن أرقبك إلى الخلافة ، ويثني على الموسم سنة تسع عشرة ومائة فأظهر الفك والوقار ، وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا • نحن على دين أبي شاكر

الواهب الجرد بأرسلها • ليس بزندق ولا كافر

ووقعت بين هشام وبين الوليد بن يزيد وحشة عظيمة بسبب تماطى الوليد ما كان يتماطاه من الفواحش والمنكرات ، فتنكر له هشام وعزم على خلع وتولية ولده مسلمة ولاية العهد ، فخر منه الوليد إلى الصحراء ، وجلا يتراسلان بأقبح المراسلات ، وجعل هشام يتوعده وعيداً شديداً ، ويهدده ، ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليد في البرية ، فلما كانت الليلة التي قسم في صبيحتها عليه البرد بالخلافة ، قلق الوليد تلك الليلة قلقاً شديداً ، وقال لبعض أصحابه : ويحك قد أخذني الليلة قلق عظيم فاركب فلنأمن نيسط ، فساروا ميلين يتكلمان في هشام وما يتعلق به ، من كتبه إليه بالتهديد والوعيد ، ثم رأيا من يدرجها وأصواتها وغبارها ، ثم انكشف ذلك عن برد يقصده به بالولاية ، فقال لصاحبه : ويحك ! إن هذه رسل هشام ، اللهم اعطنا خيرها ، فلما اقتربت البرد منه وتبينوه ترجلوا إلى الأرض وجازاً فسلموا عليه بالخلافة ، فهتف وقال : ويحكم أمأت هشام ؟ قالوا : نعم ، قال : فن بشكم ؟ قالوا : سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل ، وأعطوه الكتاب فقرأه ثم سلمهم عن أحوال الناس وكيف مات عمه هشام ، فأخبروه . فكتب من فورهِ بالاحتياط على أموال هشام وحواصله بالرصافة وقال :

ليت هشام عاش حتى يرى • ميكلاه الأوفر قد طُبما

كناه بالصاع القى كله • وما ظلمناه به إصمما

وما أتينا ذلك من بعده • أحله للفرقان لي أجمما

وقد كان الزهري يحث هشاماً على خلع الوليد هذا ويستبعضه في ذلك ، فيحجم هشام عن ذلك خوف الفضيحة من الناس ، ولثلاث تنكر قلوب الأجناد من أجل ذلك ، وكان الوليد يهجم ذلك من الزهري ويبعضه ويتوعده ويهدده ، فيقول له الزهري : ما كان الله ليساطك على يافاسق ، ثم مات الزهري قبل ولاية الوليد ، ثم فر الوليد من عمه إلى البرية فلم يزل بها حتى مات ، فاحتاط على أموال

عنه ثم ركب من فورده من البرية وقصد دمشق، واستعمل المال وجاءته البيعة من الآفاق، وجاءته الوفود، وكتب إليه مروان بن محمد - وهو إذ ذاك نائب أرمينية - يبارك له في خلافة الله له على عباده والتمكين في بلاده، ويهتته بموت هشام وظفروه به، والتحكم في أمواله وحواصله، ويذكر له أنه جند البيعة له في بلاده، وأنهم فرحوا واستبشروا بذلك، ولولا خوفه من الثغر لاستتاب عليه وركب بنفسه شوقاً إلى رؤيته، ورغبة في مشاقته، ثم إن الوليد سار في الناس سيرة حسنة يادى الرأي وأمر بإعطاء الزمنى والمجنومين والعميان لكل إنسان خادماً، وأخرج من بيت المال الطيب والتحف لميالات المسلمين، وزاد في أعطيات الناس، ولاسيما أهل الشام والوفود، وكان كريماً محسباً شاعراً مجيداً، لا يسأل شيئاً قط فيقول لا، ومن شعره قوله يمدح نفسه بالكرم:

ضمنت لكم إن لم تقب عوائق * بأن ساء الضر عنكم مستلغ
سيوشك الخلق ما وزيادة * وأعطية مني إليكم تبرع
عزكم ديوانكم وعطاكم * به يكتب الكتاب بشراً وقطيع

وفي هذه السنة عقد الوليد البيعة لابنه الحكم ثم عثمان، على أن يكونا وليي العهد من بعده، وبعث البيعة إلى يوسف بن عمر أمير العراق وخراسان، فأرسلها إلى نائب خراسان نصر بن سيار، فغلب بذلك نصر خبطة عظيمة ببلعة طويلة، ساقها ابن جرير بكاملها، واستوثق للوليد المالك في المشارق والمغارب، وأخذت البيعة لولديه من بعده في الآفاق، وكتب الوليد إلى نصر بن سيار بالاستقلال بولاية خراسان، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فسأله أن يرد إليه ولاية خراسان فردها إليه كما كانت في أيام هشام، وأن يكون نصر بن سيار ونوابه من تحت يده، فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يستوفده إلى أمير المؤمنين بأهله وعياله، وأن يكثر من استصحاب الهدايا والتحف. فحمل نصر بن سيار ألف مملوك على الخيل، وألف وصيفة وشيئا كثيراً من أباريق النضة والذهب، وغير ذلك من التحف، وكتب إليه الوليد يستحثه سريعاً ويطلب منه أن يحمل معه طابيره وبرابط ومغنيات وإبازات وبراذين فره، وغير ذلك من آلات الطرب والفسق، فكره الناس ذلك منه وكرهوه. وقال المنعمون لنصر بن سيار: إن الفتنة قريباً ستقع بالشام، فنجعل يقتتل في سيرة، فلما أن كان يبيض الطريق جاءت به البرد فأخبروه بأن الخليفة الوليد قد قتل وهاجت الفتنة العظيمة في الناس بالشام، فدخل بما معه إلى بعض المدن فأقام بها، وبلغه أن يوسف بن عمر قد هرب من العراق واضطربت الأمور، وذلك بسبب قتل الخليفة على ما سنده كره، وبلغه المستمان.

وفي هذه السنة ولي الوليد يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ولاية المدينة ومكة والطائف، وأمره أن يقيم إبراهيم ومحمداً ابني هشام بن إسماعيل الخزاعي بالمدينة مهانين لكونهما خالي هشام، ثم يبعث

بهما إلى يوسف بن عمر نائب العراق فبعثهما إليه . فإزال ينفسهما حتى ماتا وأخذ منهما أموالا كثيرة .
وفي هذه السنة تولى يوسف بن محمد بن يحيى بن سعيد الأنصارى قضاء المدينة ، وفيها بعث الوليد بن
يزيد إلى أهل قبرص جيشا مع أخيه وقال : خيرهم فمن شاء أن يتحول إلى الشام ، ومن شاء أن
يتحول إلى الروم ، فكان منهم من اختار جوار المسلمين بالشام ، ومنهم من انتقل إلى بلاد الروم .
قال ابن جرير : وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الحيثم ولاه بن قريظ وقحطبة بن شبيب
فلقوا - في قول بعض أهل السير - محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم فقال : أحر هو أم لا ؟ قالوا :
أما هو فيزعم أنه حر ، وأما مولاه فيزعم أنه عبده ، فاشتروه فأعتقوه ، ودفعوا إلى محمد بن علي مائتي
ألف درهم وكسوة بثلاثين ألفا ، وقال لهم : لملككم لا تلقوني بعد علمكم هذا ، فان مت فإن صاحبكم
إبراهيم بن محمد - يعني ابنه - فانه ابني ، فأوصيكم به . ومات محمد بن علي في مستهل ذي القعدة في
هذه السنة بعد أبيه بسبع سنين . وفيها قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان . وخرج بالناس فيها يوسف
ابن محمد التتقي أمير مكة والمدينة والطائف . وأمير العراق يوسف بن عمر ، وأمير خراسان نصر بن
سيار ، وهو في حمة الوفود إلى الوليد بن يزيد أمير المؤمنين بما معه من الهدايا والتحف ، قتل الوليد
قبل أن يجتمع به . وعين توفى فيها من الأعيان :

﴿ محمد بن علي ﴾

ابن عبد الله بن عباس أبو عبد الله المدني ، وهو أبو السفاح والمنصور ، روى عن أبيه وجهه
وسعيد بن جبيرة وجماعة ، وحدث عنه جماعة منهم ابنه الخليفة ، أبو العباس عبد الله السفاح ،
وأبو جعفر عبد الله المنصور ، وقد كان عبد الله بن محمد بن الحنفية أوصى إليه بالأمر من بعده ،
وكان عنده علم بالأخبار ، فبشره بأن الخلافة ستكون في ولده ، فدعا إلى نفسه في سنة سبع
وثمانين ، ولم يزل أمره يتزايد حتى توفى في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها ،
عن ثلاث وستين سنة ، وكان من أحسن الناس شكلا ، فأوصى بالأمر من بعده لولده إبراهيم ، فإلى
أبهم الأمر إلا لولده السفاح ، فاستلب من بني أمية الأمر في سنة ثنتين وثلاثين كما سيأتي .

﴿ وأما يحيى بن زيد ﴾

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فانه لما قتل أبوه زيد في سنة إحدى وعشرين ومائة ،
لم يزل يحيى محتفيا في خراسان عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ ، حتى مات هشام ، فكتب
عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يخبره بأمر يحيى بن زيد ، فكتب نصر بن سيار إلى
نائب بلخ مع عقيل بن معقل العجلي ، فأحضر الحريش فواقبه ستائة سوط فلم يدل عليه ، وجاء ولد
الحريش فدلهم عليه فحبس ، فكتب نصر بن سيار إلى يوسف بذلك ، فبعث إلى الوليد بن يزيد

بغيره بنفك ، فكتب الوليد إلى نصر بن سيار يأمره بإطلاقه من السجن وإرساله إليه بحبة
أصحابه ، فأطلقهم وأطلق لهم وجيزم إلى دمشق ، فلما كانوا ببعض الطريق توسع نصر منه غدرًا ،
فبعث إليه جيشًا عشرة آلاف فكسروهم يحيى بن زيد ، وإتمامه سبعون رجلًا ، وقتل أميرهم واستلب
منهم أموالًا كثيرة ، ثم جاءه جيش آخر قتلوه واحتزوا رأسه وقتلوا جميع أصحابه رحمهم الله
(ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة)

فيها كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهذه ترجمته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو العباس الأموي الدمشقي ، يروي له
بالخلافة بعد عمه هشام في السنة الخالية بهد من أبيه كما قمنا . وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف
التقي ، وكان مولده سنة تسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، وقيل سبع وثمانين ، وقتل يوم الخميس
للبتين بقيتا في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين
الناس بسبب قتله ، ومع ذلك إنما قتل لفسقه ، وقيل وزندقته . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المنيرة
ثنا بن عياش حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال :
وللأخى أم سلة زوج النبي ﷺ غلام فسموه الوليد ، قال النبي ﷺ « ميمونه باسم فراعينكم ،
ليكونن : في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، لمو أشد فسادًا لهذه الأمة من فرعون لقومه » . قال
الحافظ ابن عساكر : وقد رواه الوليد بن مسلم ومقل بن زياد ومحمد بن كثير وبشر بن بكر عن
الأوزاعي فلم يذكروا عمر في إسنادهم وأرسلوه ، ولم يذكر ابن كثير سعيد بن المسيب ، ثم ساق طرقه
هذه كلها بأسانيدھا وألفاظھا . وحكى عن البيهقي أنه قال : هو مرسل حسن ، ثم ساق من طريق
محمد بن محمد بن عمر بن عطاء عن زينب بنت أم سلة عن أمها قالت : « دخل النبي ﷺ وعندي
غلام من آل المنيرة اسمه الوليد ، قال : من هذا يا أم سلة ؟ قالت : هذا الوليد ، قال النبي ﷺ :
قد اتخذتم الوليد خنانا (حسانًا) غيروا اسمه ، فإنه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد » .
وروى ابن عساكر من حديث عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا محمد بن غالب الأنطاكي ثنا محمد بن
سليمان بن أبي داود ثنا صدقة عن هشام بن النازع عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة
ابن الجراح عن النبي ﷺ قال : « لا يزال هذا الأمر قائمًا بالنفس حتى يثله رجل من بني أمية » .
(صفة مقتله وزوال دولته)

كان هذا الرجل مجاهرًا بالفواحش مصرا عليها ، منتهكًا محارم الله عز وجل ، لا يتعاضى من
معصية . وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال من الدين ، فله أعلم ، لكن أقوى يظهر أنه كان
عاصيا شاعرا ما جنتا تعاطيا للمعاصي ، لا يتعاضاها من أحد ، ولا يستحي من أحد ، قبل أن يلى

الخلافة وبعد أن ولي ، وقد روى أن أخاه سليمان كان من جملة من سعى في قتله ، قال : أشهد أنه كان شروباً فخر ما جفا سقا ، ولقد أرادني على نفسى الفاسق . وحكى الملقى بن زكريا عن ابن دريد عن أبي حاتم عن المتبي أن الوليد بن يزيد نظر إلى نصرانية من حسان نساء النصارى اسمها سفري فأحبها ، فبعث يرادها عن نفسها فأبى عليه ، فألح عليها وعشها فلم تطاوعه ، فاتفق اجتماع النصارى في بعض كناهم لميد لهم ، فذهب الوليد إلى بستان هناك فتنكر وأظهر أنه مصاب ، ففرج النساء من الكنيسة إلى ذلك البستان ، فرأينه فأحسقن به ، فجعل يكلم سفري ويحادثها وتضاحكه ولا تعرفه ، حتى اشتفى من النظر إليها ، فلما انصرفت قيل لها : ويحك أنتدريين من هذا الرجل ؟ قالت : لا ! قيل لها هو الوليد . فلما تحققت ذلك حنت عليه بمد ذلك وكانت عليه أحرص منه عليها قبل أن نحن عليه . قال الوليد في ذلك أبياتا :

أضحك فؤادك يا وليد عيدا * صبا قديما لحسان صبودا
في حب واهضة الموارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
مازلت أرقمها ببني وامق * حتى بصرت بها قهبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى * منك صليبا مثله مبودا
فألت ربي أن أكون مكانه * وأكون في لب الجميع وقودا
وقال فيها أيضا لما ظهر أمره وعلم بحاله الناس . وقيل إن هذا وقع قبل أن يلى الخلافة :
ألا حبنا سفري وإن قيل إني * كلفت بنصرانية تشرب الخمر
يهون علينا أن نفلل نهارنا * إلى الليل لا نظهر انصلى ولا عصر

قال القاضي أبو الفرج الملقى بن زكريا الجربري المعروف بابن طرار التهر واني بمد إرادته هذه الأشياء : للوليد في نحو هذا من الخلافة والمجون وسخافة الدين ما يطول ذكره ، وقد ناقضناه في أشياء من منظوم شعره المتضمن ريك ضلاله وكفره . وروى ابن عساكر بسنده أن الوليد سمع بخمار صلف بالخيرة قصده حتى شرب منه ثلاثة أطلال من الخمر ، وهو راكب على فرسه ، ومعه اثنان من أصحابه ، فلما انصرف أمر الخمار بمخمسة دينار . وقال القاضي أبو الفرج : أخبار الوليد كثيرة قد جمعها الأخباريون مجموعة ومفردة ، وقد جمعت شيئا من سيرته وأخباره ، ومن شعره الذى ضمنه ما فجر به من جرأته وسفاحته وحقه وهزله ومجونه وسخافة دينه ، وما صرخ به من الإلحاد في التران المزب ، والكفر بمن أنزه وأنزل عليه ، وقد عارضت شعره السخيف بشعر حفيف ، وباطله بحق نبيه شريف ، وتزجيت رضاء الله عز وجل واستجلب مغفرته .

وقال أبو بكر بن أبي خيمشة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان ، قال : أراد الوليد

ابن يزيد الحج وقال : أشرب فوق ظهر الكعبة الحمر ، فهموا ان يشكوا به إذا خرج ، فجاؤا إلى خالد بن عبد الله القسري فسالوه أن يكون معهم فأبى ، فقالوا له : فآكهم علينا ، فقال : أما هذا فنعم ، فجاء إلى الوليد فقال : لا تخرج فأني أخاف عليك ، فقال : ومن هؤلاء الذين نخافهم على ؟ قال : لا أخيرك بهم . قال : إن لم تغير بي بهم يموت بك إلى يوسف بن عمر ، قال : وإن يموت بي إلى يوسف بن عمر ، فبعثه إلى يوسف فباقيه حتى قتله . وذكر ابن جرير أنه لما امتنع أن يعلمه بهم سجنه ثم سلمه إلى يوسف بن عمر يستخلص منه أموال العراق قتله ، وقد قيل إن يوسف لما وفد إلى الوليد اشترى منه خالد بن عبد الله القسري بخمسين ألف ألف يخلصها منه ، فإزال يماقيه ويستخلص منه حتى قتله ، ففضبت أهل اليمن من قتله ، وخرجوا على الوليد .

قال الزبير بن بكار : حدثنا مصعب بن عبد الله قال سمعت أبي يقول : كنت عند المهدي فذكر الوليد بن يزيد فقال رجل في المجلس : كان زنديقاً ، فقال المهدي : خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق . وقال أحمد بن حنبل^(١) بن حوصاء البمشقي : ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا الوليد بن مسلم ثنا حصين بن الوليد عن الأزهر بن الوليد قال : سمعت أم الدرداء تقول : إذا قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين الشام والعراق مظلوماً لم يزل طاعة مستخف بها ودم مسفوك على وجه الأرض يغير حتى . قال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري :

« ذكر قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص لوليد بن يزيد وكيف قتله »

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعه وبعثاته وفسقه وما ذكر عن تهاوته بالصلوات واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته وبسرها ، فانه لم يزد في الخلافة إلا شراً ولموا ولة وركوباً للصيد وشرب السكر ومناذمة الفساق ، فازادته الخلافة على ما كان قبلها إلا تمداً وغروراً ، فقتل ذلك على الأمراء والرعية والجنود ، وكرهوه كراهة شديدة ، وكان من أعظم ما جرى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه ، إفساده على نفسه بنى عليه هشام والوليد بن عبد الملك مع إفسادهم البغائية ، وهي أعظم جند خراسان ، وذلك أنه لما قتل خالد بن عبد الله القسري وسلمه إلى غريمه يوسف بن عمر الذي هو نائب العراق إذ ذاك ، فلم يزل يماقيه حتى هلك ، اقبلوا عليه وتشكروا له وساءم قتله كما سذكروه في ترجمته . ثم روى ابن جرير بسنده أن الوليد بن يزيد ضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى عمان فحسبه بها ، فلم يزل هناك حتى قتل الوليد ، وأخذ جارية كانت لاك عمه الوليد بن عبد الملك ، فكلمه فيها عمر بن الوليد فقال : لا أردّها ، فقال : إذا تكرّر الصواهل حول عسكرك . وجلس الأقم يزيد بن هشام ، وبايع لولاهيه الحكم وعثمان ، وكانا دون

البلوغ ، فشق ذك على الناس أيضا ونصحوه فلم ينتصح ، ونهوه فلم يرتدع ولم يقبل .
قال المدائني في روايته : قتل ذك على الناس ورماه بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر والزندقة
وغشيان أمهات أولاد أبيه ، وبالواط وغيره ، وقالوا : قد اتخذ مائة جملة على كل جملة اسم رجل
من بني هاشم ليقتلها بها ، ورموه بالزندقة ، وكان أشدهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان
الناس إلى قوله أميل ، لأنه أظهر النسك والتواضع ، ويقول مايسنا الرضا بالوليد حتى حمل الناس
على الفتك به ، قالوا : وابتدب قتيام عليه جماعة من قضاة واليانية وخلق من أعيان الأمراء وآل
الوليد بن عبد الملك ، وكان القائم بأعباء ذك كله والمداعي إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ،
وهو من سادات بني أمية ، وكان ينسب إلى الصلاح والدين والورع ، فبايه الناس على ذك ، وقد
نهاه أخوه العباس بن الوليد فلم يقبل ، قال : والله لولا أني أخاف عليك لقيدتك وأرسلتك إليه ،
واخفق خروج الناس من دمشق من وياه وقع بها ، فكان ممن خرج الوليد بن يزيد أمير المؤمنين
في طائفة من أصحابه نحو المائتين ، إلى ناحية مشارف دمشق ، فانتظم إلى يزيد بن الوليد أمره وجعل
أخوه العباس ينهاه عن ذك أشد النهي ، فلا يقبل ، قال العباس في ذك :

إني أعينكم بالله من قتل * مثل الجبال تسلي ثم تندفع
إني البرية قد ملت سياستكم * فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحقن ذئاب الناس أنفسكم * إن القلب إذا ما ألحت رتموا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم * قم لاحسرة رقتي ولا جزع

فلما استوثق ليزيد بن الوليد أمره ، وبايحه من بايحه من الناس ، قصد دمشق فدخلها في غيبة
الوليد فبايحه أكثر أهلها في الليل ، وبلغه أن أهل المزة قد بايخوا كبيرهم معاوية بن مصاد ، فغضب
إليه يزيد ماشيا في نفر من أصحابه ، فأصابهم في الطريق خطر شديد ، فأثرو فطرقوا بابَه ليلا ثم دخلوا
فسكره يزيد في ذلك فبايحه معاوية بن مصاد ، ثم رجع يزيد من ليلته إلى دمشق على طريق القنطرة
وهو على حمار أسود ، خلف أصحابه أنه لا يدخل دمشق إلا في السلاح ، فلبس سلاحا من تحت ثيابه
فدخلها ، وكان الوليد قد استلب على دمشق في غيبته عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف
الثقف ، وعلى شرطها أبو العجاج كثير بن عبد الله السلي ، فلما كان ليلة الجمعة اجتمع أصحاب يزيد
بين المشائين عند باب الفراءيس ، فلما أذن العشاء الآخرة دخلوا المسجد ، فلما لم يبق في المسجد
غيرهم بتموا إلى يزيد بن الوليد فجاهم قصدوا باب المقصورة ففتح لهم خادم ، فدخلوا فوجدوا أبا العجاج
وهو سكران ، فأخذوا خزائن بيت المال وقلوا الحواصل ، وتقوموا بالأسلحة ، وأمر يزيد باغلاق
أبواب البلدة ، وأن لا يخرج إلا لمن يعرف ، فلما أصبح الناس قدم أهل الحواضر من كل جانب

فسدخلوا من سائر أبواب البلد ، كل أهل محلة من الباب الذي يليهم ، فكثرت الجيوش حول يزيد ابن الوليد بن عبد الملك في نصرته ، وكلهم قد بايعة بالخلافة . وقد قال فيه بعض الشعراء في ذلك : -

فجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا * سكسكسها أهل البيوت الصنادير
وكلب فجائهم بخيل وعدة * من البيض والابدان ثم السواعد
فأكرم بها أحياء أنصار سنه * هم منعوا حرمانها كل جاحد
وجاءتهم شيبان والازد شرعاً * وعيس وتلم يبرز حام وذائد
وغسان والحيان قيس وقلب * واحجم عنها كل وان وزاهد
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها * قد استوتقوا من كل عت ومارد

و بعث يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد في مائتي فارس إلى قنطا ليأتوه ببعد الملك بن محمد ابن الحجاج نائب دمشق وله الأمان ، وكان قد تحصن هناك ، فدخلوا عليه فوجدوا عنده خرجين في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار ، فلما مروا بالمرقة قال أصحاب ابن مصاد : خذ هذا المال فهو خير من يزيد بن الوليد ، فقال : لا والله لا تحدث العرب أني أول من خان ، ثم أتوا به يزيد بن الوليد فاستخدم من ذلك المال جنداً لقتال قريباً من أئني فارس ، و بعث به مع أخيه عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك خلف الوليد بن يزيد ليأتوا به ، وركب بعض موالى الوليد فرساً سابقاً فسلك به حتى انتهى إلى مولاة من الليل ، وقد فق الفرس من السوق ، فأخبره الخبير فلم يصدقه وأمر بضربه ، ثم تواترت عليه الأخبار فأشار عليه بعض أصحابه أن يتحول من منزله ذاك إلى حصن فاتها حصينة . وقال الأبرش سعيد بن الوليد السكبي : انزل على قومي بتدمر ، فأبى أن يقبل شيئاً من ذلك ، بل ركب بمن معه ، وهو في مائتي فارس ، وقصد أصحاب يزيد فالتقوا بشقة في أثناء الطريق فأخفوه ، وجاء الوليد فقتل حصن البغراء الذي كان لقنمان بن بشير ، وجاءه رسول العباس بن الوليد إلى أتيك - وكان من أنصاره - فأمر الوليد بإبراز سريره فجلس عليه وقال : أعلى يتوئب الرجال وأنا أئيب على الأسد وأتخصر الأفاعي ؟ وقدم عبد العزيز بن الوليد بمن معه ، وإنما كان قد خلاص منه من الأئني فارس ثمانمائة فارس ، فتصافروا فاقتلوا قتالا شديداً ، فقتل من أصحاب العباس جماعة حملت رؤسهم إلى الوليد ، وقد كان جاء العباس بن الوليد لنصرة الوليد بن يزيد ، فبعث إليه أخوه عبد العزيز في " به قبرا حتى بايع لأخيه يزيد بن الوليد ، واجتمعوا على حرب الوليد بن يزيد ، فلما رأى الناس اجتماعهم فروا من الوليد إليهم ، وبقي الوليد في ذل وقل من الناس ، فلجأ إلى الحصن فجاءوا إليه وأحاطوا به من كل جانب يحاصرونه ، فعدا الوليد من باب الحصن فتدأ ليكلمني رجل شريف ، فكلمه يزيد بن عنبسة السكبي ، فقال الوليد : ألم أدفع الموت عنكم ؟

ألم أعط قراءكم ؟ ألم أخدم نساءكم ؟ فقال يزيد : إنما نتم عليك انتهاك الحرام وشرب الخمر
 ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله عز وجل . فقال ، حسبك يا أبا السكاك ، لقد
 أكثرت وأغرت ، وإن فيها أهل الله لي لسة عما ذكرته . ثم قال : أما والله لئن قتلتموني لارتقن
 فنتكم ولا يلم شعثكم ولا تجتمع كلمكم . ورجع إلى القصر فجلس ووضع بين يديه مصحفا فشره
 وأقبل يقرأ فيه وقال : يوم كيوم عثان ، واستسلم ، وتصور عليه أولئك الحائط ، فكان أول من نزل
 إليه يزيد بن عنبسة ، فتقدم إليه وإلى جانبه سيف فقال : فمه عنك ، فقال الوليد : لو أردت القتال
 به لكان غير هذا ، فأخذ بيده وهو يريد أن يجسه حتى يبعث به إلى يزيد بن الوليد ، فبادره
 عليه عشرة من الأمراء فأقبلوا على الوليد يضربونه على رأسه ووجهه بالسيف حتى قتله ، ثم جروه
 برجله ليخرجه ، فصاحت النسوة فتركوه ، واحتز أبو عقلة القضاعي رأسه ، واحتاطوا على ما كان
 معه مما كان خرج به في وجه ذلك ، وبعثوا به إلى يزيد مع عشرة نفر ، منهم منصور بن جمهور
 وروح بن مقبل وبشر مولى كنانة من بني كلب ، وعبد الرحمن الملقب بوجه الغلس ، فلما انتهوا إليه
 بشروه بقتل الوليد وسلوا عليه بالخلافة ، فأطلق لكل رجل من العشرة عشرة آلاف ، فقال له
 روح بن بشر بن مقبل : أبشرا يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق ، فمجد شكرا لله ورجعت
 الجيوش إلى يزيد ، فكان أول من أخذ يده للبيعة يزيد بن عنبسة السكسي فاتزع يده من يده
 وقال : اللهم إن كان هذا رضي لك فأعني عليه ، وكان قد جعل لمن جاءه برأس الوليد مائة ألف
 درهم ، فلما جرى به - وكان ذلك ليلة الجمعة وقيل يوم الأربعاء - ليلتين بقيتا من جمادى الآخرة
 سنة ست وعشرين ومائة ، فأمر يزيد بنصب رأسه على رمح وأن يطاف به في البلد ، فقيل له إنما
 ينصب رأس الخارجى ، فقال : والله لأنصبته ، فشهره في البلد على رمح ثم أودعه عند رجل شهر ثم
 بعث به إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فقال أخوه بمقالة : أشهد أنك كنت شروبا للخمر ماجنا فاسقا
 ولقد أرادني على قضى هذا الفاسق وأما أخوه ، لم يأف من ذلك . وقد قيل إن رأسه لم يزل معلقا
 بمحاط جامع دمشق الشرقى مما يلي الصحن حتى انقضت دولة بني أمية ، وقيل إنما كان ذلك أثرده ،
 وكان عمره يوم قتل ستا وثلاثين سنة ، وقيل ثمانيا وثلاثين ، وقيل إحدى وثلاثين ، وقيل ثنتان وقيل
 خمس ، وقيل ست وأربعون سنة . ومدة ولايته سنة وستة أشهر على الأشهر ، وقيل ثلاثة أشهر . قال
 ابن جرير : كان شديد البعاش طويل أصابع الرجلين ، كانت تضرب له سكة الحديد في الأرض ويربط
 فيها خيط إلى رجله ثم يشب على الفرس فيركبها ولا يمس الفرس ، فتقطع تلك السكة من الأرض
 مع وقته .

﴿ خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ﴾

وهو الملقب بالناقص لقصه الناس من أعطيتهم ما كان زاده الوليد بن يزيد في أعطيتهم ،

وهي عشرة عشرة ، وورده إليهم إلى ما كانوا عليه في زمن هشام ، ويقال إن أول من قبسه بذلك
 مروان بن محمد ، ببيع له بالخلافة بسد مقتل الوليد بن يزيد ، وذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من
 جمادى الآخرة من هذه السنة - حتى سنة ست وعشرين ومائة - وكان فيه صلاح وورع قبل ذلك ،
 فأول ما صل انتقاصه من أرواق الجند ما كان الوليد زادهم ، وذلك في كل سنة عشرة عشرة ، فسمى
 الناقص لذلك ، ويقال في المثل الأشج والناقص أعداء خلفاء بني مروان - يعني عمر بن عبد العزيز
 وهذا - ولكن لم تطل أيامه ، فانه توفي من آخر هذه السنة ، واضطربت عليه الأمور ، وانتشرت
 الفتن واختلفت كلمة بني مروان قهض سليمان بن هشام ، وكان معتقلا في سجن الوليد بعمان فاستحوذ
 على أموالها وحواصلها ، وأقبل إلى دمشق فجعل يملن الوليد ويصيه ويرميه بالكبر ، فأكرمه يزيد
 ورد عليه أمواله التي كان أخذها من الوليد ، وتزوج يزيد أخت سليمان ، وهي أم هشام بنت هشام ،
 ونهض أهل حمص إلى دار البلبس بن الوليد التي عندهم فهدموها ، وحبسوا أهلها وبنيه ، وهرب هو
 من حمص فلحق يزيد بن الوليد إلى دمشق ، وأظهر أهل حمص الأخذ بدم الوليد بن يزيد ،
 وأغلقوا أبواب البلد ، وأقاموا النوايح والبواكي على الوليد ، وكتبوا الأجناد في طلب الأخذ
 بالتأثر ، فأجابهم إلى ذلك طائفة كبيرة منهم ، على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد الذي أخذ له
 العهد هو الخليفة ، وخلصوا قائمهم ، وهو مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ثم قتلوه وقتلوا
 ابنه وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين ، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد كتب إليهم
 كتابا مع يعقوب بن هاشم ، ومضمون الكتاب أنه يدعو إلى أن يكون الأمر شورى ، فقال عمرو
 ابن قيس : فإذا كان الأمر كذلك قد رضينا بولي عهدنا الحكم بن الوليد ، فأخذ يعقوب بلحيته
 وقال : ويحك ! لو كان هذا الذي تدعو إليه يقينا تحت حجرك لم يحمل لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف
 أمر الأمة ، فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم عنهم وأخرجوهم من بين أظهرهم .
 وقال لم أبو محمد السفياي : لو قدمت دمشق لم يختلف على منهم اثنان ، فركبوا معه وساروا نحو
 دمشق وقد أمروا عليهم السفياي ، فلقاهم سليمان بن هشام في جيش كثيف قد جهزهم معه يزيد ،
 وجهز أيضا عبد العزيز بن الوليد في ثلاثة آلاف يكتون عند ثنية القلب ، وجهز هشام بن مصاد
 المزني في ألف وخمسةة ليكونوا على عقبة السلية ، فخرج أهل حمص فساروا وتركوا جيش سليمان
 ابن هشام ذات اليسار وتقدموا ، فلما سمع بهم سليمان ساق في طلبهم فلحقهم عند السلمانية فجعلوا
 الزيتون عن أعينهم والجبل عن شمالكهم والجبل من خلفهم ، ولم يبق يخلص إليهم إلا من جهة
 واحدة ، فأتوا هنالك في قبالة الحر قتالا شديدا ، قتل طائفة كثيرة من الفريقين ، فبينما هم كذلك
 إذ جاء عبد العزيز بن الوليد بمن معه فجعل على أهل حمص فاخترق جيشهم حتى ركب التل الذي

في وسطهم ، وكانت الهزبة ، فهرب أهل حصن وعزقوا ، فاتبهم الناس يقتلون ويأسرون ، ثم تنادوا باليكف عنهم على أن يبايعوا يزيد بن الوليد ، وأسروا منهم جماعة ، منهم أبو محمد السفياقي ويزيد ابن خالد بن معاوية ، ثم أرحل سليمان وعبد العزيز قترلا عذراء ومهم الجيوش وأشرف الناس ، وأشرف أهل حصن من الأسارى ومن استجاب من غير أسر ، بعد مقتل منهم ثلاثمائة نفس ، فدخلوا بهم على يزيد بن الوليد ، فأقبل عليهم وأحسن إليهم وصفح عنهم ، وأطلق الأعطيات لهم ، لاسيا لأشرافهم ، وولى عليهم أئمة اختاروه وهو معاوية بن يزيد بن الحسين ، وطابت عليه أنفسهم ، وأقاموا عنده في دمشق سلعين مطيعين له .

وفيا بايع أهل فلسطين يزيد بن سليمان بن عبد الملك ، وذلك أن بني سليمان كانت لهم أملاك هناك ، وكانوا يتركونها يبنونها لهم ، وكان أهل فلسطين يحبون مجاورتهم ، فلما قتل الوليد بن يزيد كتب سعيد بن روح بن زبناغ - وكان رئيس تلك الناحية - إلى يزيد بن سليمان بن عبد الملك يدعوهم إلى المباينة له ، فأجابوه إلى ذلك . فلما بلغ أهل الأردن خبرهم بايعوا أيضا محمد بن عبد الملك ابن مروان ، وأمره عليهم ، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد أمير المؤمنين بعث إليهم الجيوش مع سليمان بن هشام في العماشة وأهل حصن القين كانوا مع السفياقي ، فصالحهم أهل الأردن أولا ورجعوا إلى الطاعة ، وكذلك أهل فلسطين . وكتب يزيد بن الوليد ولاية الامرة بالرملة وتلك النواحي إلى أخيه إبراهيم بن الوليد ، واستقرت الممالك هناك ، وقد خطب أمير المؤمنين يزيد ابن الوليد الناس بدمشق بحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، أما والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطرأ نفسى إلى ظلم لنفسى ، إن لم يرحنى ربي فاقى هالك ، ولكنى خرجت فضيا لله ولرسوله ولدينه ، وداعيا إلى الله وكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ ، لما خدمت معالم الدين ، وأطقت نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العتيد المستحل لكل حرمة ، والراكب كل بدعة ، مع أنه والله ما كان مصداقا بالكتاب ، ولا مؤمنا بيوم الحساب ، وإنه لا ينعمى في النسب ، وكفى في الحساب ، فلما رأيت ذلك استخترت الله في أمره ، وسألت أن لا يكتفى إلى نفسى ، ودعوت إلى ذلك من أجابنى من أهل ولايتى ، وسمعت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد ، يحول الله وقوته لا يحول ولا يقوى . أيها الناس ! إن لكم على أن لا أضع حجرا على حجر ، ولا لبنه على لبنه ، ولا أكرى نهرا ولا أكثر مالا ولا أعطي زوجة ، ولا ولدا ، ولا أقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد ثمر ذلك البلد ، وخصاصة أهل بما يقتضيه ، فإن فضل عن ذلك فضل قلته إلى البلد ألقى يليه من هو أحوج إليه ، ولا أجبركم في قنورك فافتنكم وأقتن أحليكم ، ولا أغلق بابي دونكم فبأكل قنورك ضعيفكم ، ولا أجعل على أهل

جزيتكم ما يجلبهم عن بلادهم ويقطع سبلهم ، وإن لكم عندي أعطيانيكم في كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهر ، حتى تستمد المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصام كأدنام ، فإن أنا وفيت لكم بما قلت فضليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلصوني وإلا أن تستقيبوني ، فإن تبئت قبلتي مني ، وإن علمت أحدا من أهل الصلاح والدين يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبأيهم ويدخل في طاعته . أيها الناس ! إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، إنما الطاعة طاعة الله فمن أطاع الله فأطيعوه ما أطاع الله ، فإذا عصي أو دعا إلى معصية فهو أهل أن يعصى ولا يطاع ، بل يقتل ويهان ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن إمرة العراق لما ظهر منه من الخلق على الجانية ، وم قوم خالد بن عبد الله القسري ، حتى قتل الوليد بن يزيد ، وكان قد سجن غالب من ببلاده منهم ، وجعل الأرصاد على الثغور خوفاً من جند الخليفة ، فزله عنها أمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، وولى عليها منصور بن جمهور مع بلاد السند وسجستان وخراسان ، وقد كان منصور بن جمهور أعرابياً جلفاً ، وكان يدين بمذهب الفيلانية القدسية ، ولكن كانت له آثار حسنة ، وعناء كثير في مقتل الوليد بن يزيد ، فغضب بذلك عند يزيد بن الوليد ، ويقال إنه لما فرغ الناس من الوليد ذهب من فوره إلى العراق فأخذ البيعة من أهلها إلى يزيد ، وقرر بالأقاليم نواباً وعمالاً وكر راجعاً إلى دمشق في آخر رمضان ، فذلك ولاء الخليفة ما ولاء والله أعلم .

وأما يوسف بن عمر فانه فر من العراق فلحق ببلاد البلقاء ، فبعت إليه أمير المؤمنين يزيد فأحضره إليه ، فلما وقف بين يديه أخذ بلحيته . وكان كبير الاحية جداً ، ربما كانت تجاوز سترته وكان قصير القامة . فويحه وأنبه ثم سجنه وأمر باستخلاص الحقوق منه . ولما انتهى منصور بن جمهور إلى العراق قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين إليهم في كيفية مقتل الوليد ، وأن الله أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وأنه قد ولى عليهم منصور بن جمهور لما يسلم من شجاعته ومعرفته بالحرب ، فبايع أهل العراق ليزيد بن الوليد ، وكذلك أهل السند وسجستان .

وأما نصر بن سيار نائب خراسان فانه امتنع من السمع والطاعة لمنصور بن جمهور ، وأبى أن ينقاد لأوامره ، وقد كان نصر هذا جهمياً كبيراً للوليد بن يزيد فاستمرت له . وفي هذه السنة كتب مروان الملقب بالحارث كتاباً إلى عمر بن يزيد أخى الوليد بن يزيد ، يحثه على القيام بطلب دم أخيه الوليد ، وكان مروان يومئذ أميراً على أذربيجان وأرمينية ، ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور ابن جمهور عن ولاية العراق وولى عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وقال له : إن أهل العراق يحبون أبوك وقد وليتها ، وذلك في شوال ، وكتب له إلى أمراء الشام الذين بالعراق بوصيهم به

خشية أن يتمتع منصور بن جمهور من تسليم البلاد إليه ، فلم إليه وصم وأطلع وسلم . وكتب الخليفة إلى نصر بن سيار باستمراره بولاية خراسان مستقلاهما ، فخرج عليه رجل يقال له الكرماني ، لأنه ولد بكرمان ، وهو أبو علي جديع بن علي بن شبيب المني ، وابنه خلق كثير بحيث إنه كان يشهد الجمعة في نحو من ألف وخمسة ، وكان يسلم على نصر بن سيار ولا يجلس عنده ، فتعير نصر بن سيار وامرأوه فبا يصنع به ، فاتفق رأيهم بعد جهد على سجنه ، فسجن قريبا من شهر ، ثم أطلقه فاجتمع إليه ناس كثير ، وجم غفير ، وركبوا معه فبث إليهم نصر من قاتلهم قتلهم وقهرهم وكسرم واستخف جماعت من أهل خراسان بنصر بن سيار وتلاشوا أمره وحرمة ، وألحوا عليه في أعطياتهم وأحموه غليظ ما يكره وهو على المنبر ، بسفارة سلم بن احوز أدى إليه ذلك ، وخرجت الباعة من المسجد الجامع وهو مخطب ، واضض كثير من الناس عنه ، فقال لهم نصر فيما قال : والله لقد نشرتمكم وطويتكم وطويتكم ونشرتمكم فاعندى عشرة منكم على دين ، فاقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليتنمين الرجل منكم أن ينخلع من أهله وماله وولده ، ولم يكن رأها ، ثم تمثل بقول النابغة :

فان يثلب شقاؤكم عليكم • فاني في صلاحكم سميت

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن الورد بن المغيرة الجندى . —

أبيت أرمى النجوم مرققا • إذا استقلت نحوى أوائلها
من فتنة أصبحت بحلة • قد عم أهل الصلاة شاملها
من يخرسان والوراق ومن • بالشام كل شعاه شاعها
يمشى السفيه القى يمتف يا • جهل سواء فيها وعاقها
فالناس منها في لون مظلة • دهماء ملتجة غياطلها
والناس في كربة يكاد لها • تنبذ اولادها حواملها
يفدون منها في كل مبهمة • عياه تمنى لهم غوائلها
لا ينظر الناس من عواقبها • الا التي لا بين قائلها
كرغوة البكر أو كصبغة حب • لى طرقت حوملها قوابلها
فجا فينا تزدري بوجته • فيها خطوب حمر زلائها

وفي هذه السنة أخذ الخليفة البيعة من الأمراء وغيرهم بولاية المهدي من بعده لأخيه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، ثم من بعد إبراهيم لسيد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ، وذلك بسبب مرضه الذي مات فيه . وكان ذلك في شهر الحجة منها ، وقد حرضه على ذلك جماعة من الأمراء والأكابر والوزراء . وفيها عزل يزيد عن إمرة الحجاز يوسف بن محمد الثقفي وولى عليها

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قدمها في أو آخر ذي القعدة منها ، وفيها أظهر مروان الحمار اختلاف يزيد بن الوليد ، وخرج من بلاد أرمينية يظهر أنه يطلب بدم الوليد بن يزيد ، فلما وصل إلى حران أظهر الموافقة وبايع لأمر المؤمنين يزيد بن الوليد . وفيها أرسل إبراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس أبا هاشم بكر بن ماهان إلى أرض خراسان ، فاجتمع بمجماعة من أهل خراسان عمرو ، قرأ عليهم كتاب إبراهيم بن محمد الامام إليه وإليه ، ووصيته ، فتلقوا ذلك بالتبويل ، وأرسلوا معه ما كان عندهم من النققات . وفي سلخ ذي القعدة ، وقيل في سلخ ذي الحجة ، وقيل لشهر مضين منه ، وقيل بعد الأضحى منها كان وفاة أمير المؤمنين .

(يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . وهنه ترجمته رحمه الله تعالى)

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي ، أبو خالد الأموي ، أمير المؤمنين ، بويع له بالخلافة أول ما بويع بها في قرية المرة ، من قرى دمشق ، ثم دخل دمشق فطلب عليها ، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد قتلته ، واستحوذ على الخلافة في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكان يلقب بالنقص لنقصه الناس المشرات التي زادهم إياها الوليد بن يزيد ، وقيل إنما ساء بذلك مروان الحمار ، وكان يقول : النقص ابن اليد ، وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزجرد بن كسرى ، كسروية

وقال ابن جرير : وأمه شاه آقريد بنت فيروز بن يزجرد بن شهر يار بن كسرى ، وهو القاتل :

أنا ابن كسرى وأبي مروان * وقيصرجدي وجدى خاقان

وإنما قال ذلك لأن جده فيروز ، وأم أمه بنت قيصر ، وأمه شيرويه وهي بنت خاقان ملك الترك ، وكانت قد سبها قتيبة بن مسلم ، هي وأخت لها فبعثها إلى الحجاج ، فأرسل بهذه إلى الوليد واستبقى عنده الأخرى ، فولدت هذه الوليد بن يزيد النقص هذا ، وهذه أختها الحجاج فكانت عنده بالعراق ، وكان مولده في سنة تسعين ، وقيل في سنة ست وتسعين ، وقد روى عنه الأوزاعي مسألة السلم . وقد ذكرنا كيفية ولايته فيما سلف في هذه السنة ، وأنه كان عادلا ديناً محباً للخير مبغضاً للشر . فأصداً للحق . وقد خرج يوم عيد الفطر من هذه السنة إلى صلاة العيد بين صفين من الخيلة والسيوف مسللة عن يمينه وشماله ، ورجع من المصل إلى الخضراء كذلك ، كان رجلاً صالحاً ، يقال في المثل الأشج والنقص أعدلا بنى مروان ، والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا . وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الأبي قال قال يزيد بن الوليد النقص : يا بني أمية إياكم والفتنة فانه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهجم الرومة ، وإنه لينوب عن الحجر ويضل ما يضل المسكر ، فان كنتم لا بد فاعلمين فجنبيوه النساء فانه داعية الزنا . وقال ابن عبد الحكم

عن الشافعي : لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان القتي قال له الناقص دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب غيلان . قاله ابن عساكر . قال : ولعله قرب أصحاب غيلان ، لأن غيلان قتله هشام بن عبد الملك . وقال محمد بن المبارك : آخر ماتكم به يزيد بن الوليد الناقص واحزناه واشقاآه . وكان قش خاتمه العظيمة لله . وكانت وفاته بالخضراء من طاعون أصابه ، وذلك يوم السبت لسبع مضين من ذى الحجة ، وقيل يوم الاضحى منه ، وقيل بعده بأيام ، وقيل لعشر بقين منه ، وقيل في سلخه ، وقيل في سلخ ذى القعدة من هذه السنة . وأكثر ما قيل في عمره ست وأربعون سنة ، وقيل ثلاثون سنة ، وقيل غير ذلك والله أعلم . وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأشهر ، وقيل خمسة أشهر وأيام . وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد ، وهو ولي العهد من بعده رحمه الله . وذكر مسعود بن كثير بن عفير أنه دفن بين باب الجابية وباب الصغير ، وقيل إنه دفن بباب الفزاديس ، وكان أمير نجيفا حسن الجسم حسن الوجه . وقال علي بن محمد المديني : كان يزيد أمير طويلا صغير الرأس بوجه خال ، وكان جميلا ، في فقه بعض السنة وليس بالمفرط . وحج بالناس فيها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب الحجاز ، وأخوه عبد الله نائب العراق ، ونصر بن سيار على نيابة خراسان ، والله سبحانه أعلم . وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

﴿ خالد بن عبد الله بن يزيد ﴾

ابن أسد بن كرز بن عامر بن عبقري ، أبو الهيثم البجلي القسري البمشقي ، أمير مكة والحجاز للوليد ثم لسليمان ، وأمير العراقيين لهشام خمس عشرة سنة . قال ابن عساكر : كانت داره بدمشق في أربعة الفز وتعرف اليوم بدار الشريف الزيدى ، وإليه ينسب الحمام الذي داخل باب توما ، روى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا أسد ^(١) أحب الجنة » قال : نعم ! قال : فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك . رواه أبو يعلى عن عثمان بن أبي شيبة عن هيثم عن سيار عن أبي الحكم أنه سمعه على المنبر يقول ذلك . وعن روى عنه إسماعيل بن أوسط وإسماعيل بن أبي خالد ، وحبيب بن أبي حبيب ، وحديد الطويل . وروى أنه روى عن جده عن النبي ﷺ في تكفير المرض القنوب . وكانت أمه نصرانية ، وذكره أبو بكر بن عياش في الأشراف ، فبين أمه نصرانية . وقال المدائني : أول ما عرف من رياسته أنه وطأ صيبا بدمشق بفرسه فحمله فأشهد طائفة من الناس أنه هو صاحبه ، فان مات فعليه دية ، وقد استنابه الوليد على الحجاز من سنة تسع وثمانين إلى أن توفي الوليد ثم سليمان ، وفي سنة ست ومائة استنابه هشام على العراق إلى سنة عشرين ومائة ، وسلمه إلى يوسف بن عمر القتي ولاء مكانه فاقبته وأخذ منه أموالا ثم أطلقه ، وأقام بدمشق إلى الحرم من هذه السنة فسلمه الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر يستخلص منه خمسين ألف ألف ، فمات تحت

(١) في تاريخ ابن عساكر (٥ : ٦٧) : « يا يزيد بن أسد » .

العقوبة البليغة ، كسر قدميه ثم ساقيه ثم نغذيته ، ثم صدره ، فأت ولا يتكلم كلمة واحدة ، ولا تأوه حتى خرجت روحه رحمه الله .

قال البيهقي عن أبيه : خطب خالد القسري يوماً فأرتج عليه فقال : يا أيها الناس ! إن هذا الكلام يبيح أحيانا ويمزب أحيانا ، فيتسبب عند مجيئه سيئه ويتعذر عند عزوه مطلبه ، وقد يرد إلى السليط بيانه ويثيب إلى الحصر كلامه ، وسيمود إلينا ما تحبون ، وفمود لكم كما تريدون . وقال الأصمعي وغيره : خطب خالد القسري يوماً براسط فقال : يا أيها الناس تنافسوا في المكارم وسارعوا إلى المنافع واشتروا الحمد بالجود ، ولا تكتسبوا بالمطل دما ، ولا تمتدوا بمحروف لم تجلوه ، ومهما تكن لأحد منكم نعمة عنده أحد لم يبلغ شكرها فإله أحسن له جزاء ، وأجرل عطاء ، واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم فلا تلغوها فتحول قها ، فإن أفضل المال ما كسب أجرا وأورث ذكرا ، ولورأيتم المعروف لرأيتموه رجلا حسنا جميلا يسر الناس إذا نظروا إليه ، ويضوق العالمين . ولورأيتم البخل لرأيتموه رجلا مشوها قبيحا تنفر منه القلوب وتفض دونه الأبصار . إنه من جاد ساد . ومن يخل ذل ، وأكرم الناس من أعطى من لا يرجوه ، ومن عفا عن قدرة ، وأفضل الناس من وصل عن قطيعة ، ومن لم يطب حرته لم يترك قبه ، والفروع عند مفارستها تنمو ، وبأصولها تسمو . وروى الأصمعي عن عمر ابن الهيثم أن أعرابيا قدم على خالد فأثبته قصيدة امتدحه بها يقول فيها :

إليك ابن كرز الخير أقبلت راغبا • لنجبر مني ما وها وتبددا
إلى الماجد بالهول ذى الحلم والندى • واكرم خلق الله فرعا وعنتا
إذا ما نلس قصرنا بضمالم • نهضت فلم تلق هناك مقتدا
فيالك بمرأ يسر الناس موجه • إذا يسأل المعروف جلش وأزبدا
بلوت ابن عبد الله في كل موطن • فألفيت خير الناس نفسا وأجمدا
فلو كان في الدنيا من الناس خالد • لجود بمحروف لكنت مخفدا
فلا تخرمني منك ماقد رجوته • فيصيح وجوى كالح اللون أربدا

قال : فحفظها خالد ، فلما اجتمع الناس عند خالد قام الأعرابي ينشد ما جتدوه إليها خالد فأثبتهها قبله ، وقال : أيها الشيخ إن هذا شعر قد سبقك إليه . فمض الشيخ فولى ذاهبا فأثبته خالد من يسع ما يقول فإذا هو ينشد هذه الايات .

ألفى سبيل الله ما كنت أرتجى • لديه ومالافيت من نكد الجهد
دخلت على بحر يمجد بحله • ويمطى كثير المال في طلب الحمد
نخالفني الجد المشوم لشقوتي • وفاربنى نحسى وفارقتى سعدى

فلو كان لي رزق فيه لنته * ولكنه أمر من الواحد الفرد

فردة إلى خاله وأعلم بما كان يقول فأمر له بمشرة آلاف درهم . وقال الأصمى : سألت أعرابي خالفاً القسري أن يملأ له جرابه دقيقاً فأمر بمكة له درهم ، قيل للأعرابي حين خرج : ما فعل ملك ؟ قال : سألت بما أشتهى فأمر لي بما يشتهي هو . وقال بعضهم : بيتنا خالده يسير في موكبه إذ تلقاه أعرابي فآله أن يضرب عنقه ، قال ويحك ولم ؟ أقطعت السبيل ؟ أأخرجت يدا من طاعة ؟ فكل ذلك يقول لا قال : فلم ؟ قال : من الفقر والفاقة . قال : سل حاجتك ، قال ثلاثين ألفاً . قال خالده : ما ربح أحد مثل ما ربح اليوم ، إني وضعت في ضمي أن يسألني مائة ألف فسأل ثلاثين فربحت سبعين . ارجعوا بنا اليوم ، وأمر له بثلاثين ألفاً . وكان إذا جلس يوضع [المال] بين يديه ويقول : إن هذه الأموال ودائع لا بد من تفرقتها . وسقط خاتم جلارته رابعة يسأى ثلاثين ألفاً ، في بالوعة النار ، فسألت أن تؤتى بمن يخرجه ، قال : إن يدك أكرم على من أن تلبسه بعد ماصر إلى هذا الموضع القفر ، وأمر لها بخمسة آلاف دينار بده . وقد كان رابعة هذه من الحلى شئ عظيم ، من جملة ذلك يقوّة وجوهرة ، كل واحدة بثلاثة وسبعين ألف دينار .

وقد روى البخاري في كتاب فضائل العباد ، وابن أبي حاتم في كتاب السنة ، وغير واحد ممن صنف في كتب السنة أن خالده بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحي قال : أيها الناس ، ضموا يقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ، ولم يكلم موسى تكليمًا ، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً . ثم نزل فنبهه في أصل المنبر . قال غير واحد من الأئمة : كان الجعد بن درهم من أهل الشام ، وهو مؤدب مروان الحمار ، ولهذا يقال له مروان الجعدي ، فنسب إليه ، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون إن الله في كل مكان بذاته ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أيان بن سحمان ، وأخذه أيان عن طالوت ابن أخت لبيد ابن أعسم ، عن خاله لبيد بن أعسم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ في شط وماشطة وجف طلعة ذكر له ، ونحت راعوفة يئثر في اروان الذي كان ملأها قاعة الخناء . وقد ثبت الحديث بنك في الصحيحين وغيرهما . وجاء في بعض الأحاديث أن الله أنزل بسبب ذلك سورتي المودتين .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا محمد بن يزيد الرطاعي سمعت أبا بكر بن عياش قال : رأيت خالفاً القسري حين أتى بالنيرة وأصحابه ، وقد وضع له سرير في المسجد ، فجلس عليه ثم أمر برجل من أصحابه فضربت عنقه ثم قال للنيرة : أحبه . وكان النيرة يزعم أنه يحيى الموتى . قال : والله أصلمك الله ما أحى الموتى . قال : لتحيينه أولاً ثم من عنقك . قال : والله ما أقدر على ذلك . ثم أمر

بطن قصب فأضرموا فيه ناراً ثم قال المنيرة : اعتنقه ، فأبى ، فعدا رجل من أصحابه فاعتنقه ، قال أبو بكر : فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة . قال خالد : هذا والله أحق بالرياسة منك . ثم قتله وقتل أصحابه . وقال المدائني : أتى خالد بن عبد الله برجل تنبأ بالكوفة فقيل له ما علامة نبوتك ؟ قال : قد نزل على قرآن ، قال : إنا أعطيناك الكاهن ، فصل لربك ولا تجاهر ، ولا تطلع كل كافر وطاجر . فأمر به فصلب فقال وهو يصلب : إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود ، فأنا ضامن لك ألا نمود . وقال المبرد : أتى خالد يشاب قد وجد في دار قوم وادعى عليه السرقة ، فسأله فاعترف فأمر بقطع يده فتقدمت حسنة قالت :

أخاك قد أوطأت والله عثرة * وما الماشق المسكين فينا بسارق

أقر بما لم يبينه غير أنه * رأى التقطع أولى من فضيحة عاشق

فأمر خالد باحضار أبيها فزوجها من ذلك النلام وأمرها عنه عشرة آلاف درهم . وقال الأصمعي : دخل أعرابي على خالد فقال : إني قد مدحتك ببنتين ولست أنشدكما إلا بشرة آلاف وخادم ، فقال : نعم ! فأنشأ يقول :

لزمت نعم حتى كأنك لم تكن * سمعت من الأشياء شيئاً سوى نعم

وأنكرت لا حتى كأنك لم تكن * سمعت بها في سالف الدهر والألم

قال : فأمر له بشرة آلاف درهم وخادم يحملها . قال : ودخل عليه أعرابي فقال له : سل حاجتك فقال : مائة ألف . فقال : أكررت حظ منها . قال : أضع تسعين ألفاً ، فتعجب منه خالد فقال : أيها الأمير سألتك على قدرك وضعت على قدرى ، فقال له : لن تغلبني أبداً ، وأمر له بمائة ألف ، قال : ودخل عليه أعرابي ، قال : إني قد قلت فيك شعراً وأنا أستصفره فيك ، قال : قل فأنشأ يقول :

تعرضت لى بلبلود حتى نمشنى * وأعطينى حتى ظننتك تلب

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما لندى عنك مذهب

قال : سل حاجتك . قال : على خسون ألف دينار ، قال : قد أمرت لك بها وأضعفها لك ، فأعطاه مائة ألف . قال أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الواسي : دخل أعرابي على خالد القسري فأنشده

كتبت نعم بيباك فهي تدعو * إليك الناس مسفرة النقاب

وقلت لا عليك بيباب غيري * فانك لن ترى أبداً بيبا

قال فأعطاه على كل بيت خمسين ألفاً . وقد قال فيه ابن معين : كان رجل سوء يقع في على بن أبي طالب رضى الله عنه .

وذكر الأصمعي عن أبيه : أن خلافاً حفر بثراً بمكة ادعى فضلها على زمرم ، وله في رواية عنه

تفضيل الخليفة على الرسول ، وهذا كفر إلا أن يريد بكلامه غير ما يبدو منه والله أعلم .
[والذى يظهر أن هذا لا يصح عنه ، فانه كان قائما في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجمد
ابن درهم وغيره من أهل الالحاد ، وقد نسب إليه صاحب المقد أشياء لا تصح ، لأن صاحب المقد
كان فيه تشيع شنيع ومغالة في أهل البيت ، وربما لا يفهم أحد من كلامه ما فيه من التشيع ، وقد
اغتر به شيخنا القهبي فحده بالحفظ وغيره] (١)

وقد ذكر ابن جرير وابن عساكر وغيرهما أن الوليد بن يزيد كان قد عزم على الحج في إمارته
فمن نيته أن يشرب الخمر على ظهر الكعبة ، فلما بلغ ذلك جماعة من الأمراء اجتمعوا على قتله وتولية
غيره من الجماعة ، فغدر خاله أمير المؤمنين منهم ، فسأله أن يسميهم فأبى عليه فعاقبه عاقبا شديدا ،
ثم بسط به إلى يوسف بن عمر فعاقيه حتى مات شرقاقتة وأسرته ، وذلك في محرم من هذه السنة - أعنى
سنة ست وعشرين ومائة - وذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات وقال : كان متهما في دينه ، وقد
بنى لأمه كنيسة في داره ، قال فيه بعض الشعراء وقال صاحب الأعيان كان في نسبه يهود فانتصروا
إلى القرب ، وكان يقرب [من] شق وسطيح . قال القاضي ابن خلكان : وقد كانت ابنتي خالة ،
وعاش كل منهما ستائة ، وولها في يوم واحد ، وذلك يوم ماتت طريفة بنت الحر بعد ما ماتت في قم
كل منهما وقالت : إنه سيقوم مقامى في الكهانة ، ثم ماتت في يومها .

ومن توفي في هذه السنة جلة بن سحيم ودراج أبو السمح وسعيد بن مسروق في قول ، وسليمان
ابن حبيب الحارثي ، قاضي دمشق ، وعبد الرحمن بن قاسم شيخ مالك وعبيد الله بن أبي يزيد
وعمر بن دينار . وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة ﴾

استهل هذه السنة والخليفة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بوصية أخيه يزيد الناقص إليه ، وبايعه
الأمراء بذلك ، وجميع أهل الشام إلا أهل حصن فلم يبايعوه ، وقد تقدم أن مروان بن محمد الملقب
بالحار كان قائما بأذربيجان وأرمينية ، وتلك كانت لأبيه من قبله ، وكان هم على يزيد بن الوليد في
قتله الوليد بن يزيد ، وأقبل في طلب دم الوليد ، فلما انتهى إلى حران أناب وبايع يزيد بن الوليد ،
فلم يلبث إلا قليلا حتى بلغه موته ، فأقبل في أهل الجزيرة حتى وصل قنسرين فحاصر أهلها فقتلوا على
طاعته ، ثم أقبل إلى حصن وعليها عبد العزيز بن الحجاج من جهة أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد
فحاصره حتى يبايعوا لإبراهيم بن الوليد ، وقد أصروا على عدم مبايعته ، فلما بلغ عبد العزيز قرب
مروان بن محمد ترحل عنها ، وقدم مروان إليها فبايعوه وساروا معه فاصدين دمشق ، ومعهم جنود

(١) وجدت هذه العبارة في نسخة ثانية بالإستانة .

الجزيرة وجند قسرين ، فتوجه مروان إلى دمشق في ثمانين ألفا ، وقد بعث إبراهيم بن الوليد بن هشام بن عبد الملك في مائة وعشرين ألفا ، فالتقى الجيشان عند عين الجر من البقاع ، فعام مروان إلى الكف عن القتال وأن يتخولا عن ابني الوليد بن يزيد وهما الحكم وعثمان اللذان قد أخذ الهدى لهما ، وكان يزيد قد سجنهما بدمشق ، فأبوا عليه ذلك ، فقاتلوا قتالا شديدا من حين ارتفاع النهار إلى العصر ، وبث مروان سرية تأتي جيش ابن هشام من ورائهم ، قم لهم ما أرادوه ، وأقبلوا من ورائهم يكبرون ، وحمل الآخرون من تلقاهم عليهم ، فكانت الهزيمة في أصحاب سليمان ، قتل منهم أهل حصص خلقا كثيرا ، واستبيح عسكرهم ، وكان مقدار ما قتل من أهل دمشق في ذلك اليوم قريبا من سبعة عشر ألفا أو ثمانية عشر ألفا وأمر منهم مثلهم ، فأخذ عليهم مروان البيعة للتلاميذ ابني الوليد ، الحكم وعثمان ، وأطلقهم كلهم سوى رجلين وهما يزيد بن القنار والوليد ابن مصاد الكلبيان ، فضر بهما بين يديه بالسياط وجسهما فاتا في السجن ، لأنها كانا بمن باشر قتل الوليد بن يزيد حين قتل . وأما سليمان وبقية أصحابه فاتهم استمروا منهزمين ، فصار أصبح لهم الصبح إلا بدمشق فأخبروا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع ، فاجتمع معهم رؤس الأمراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، وأبو علاقة السكسكي ، والاصمغين ذوالة السكلي ونظراؤهم ، على أن يمددوا إلى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان ، خشية أن يلي الخلافة فيهلكا من عاداهما وقتل أباهما ، فبشوا إليهما يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، فعد إلى السجن وفيه الحكم وعثمان ابنا الوليد وقد بلغنا ، ويقال وود لاحدهما وقد فشنتها بالمد ، وقتل يوسف بن عمر - وكان مسجونا معهما - وكان في سجنهما أيضا أبو محمد السفيناني فهرب فدخل في بيت داخل السجن وجعل وراء الباب ردما ، فحاصروه فامتنع ، فأتوا بنار ليحرقوا الباب . ثم اشتغلوا عن ذلك بقدم مروان بن محمد وأصحابه إلى دمشق في طلب المنهزمين .

﴿ ذكر دخول مروان الحمار دمشق وولايته الخلافة وعزل إبراهيم بن الوليد عنها ﴾

لما أقبل مروان بن ميم من الجنود من عين الجر واقترب من دمشق وقد انهزم أهلها بين يديه بالأس ، هرب إبراهيم بن الوليد ومعد سليمان بن هشام إلى بيت المال ففتحته وأفق ما فيه على أصحابه ومن اتبعه من الجيوش ، وقام موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه فيها وأنهبوها ونهبوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ، ودخل مروان بن محمد دمشق قتل في أعاليها وأتى بالتلاميذ الحكم وعثمان وهما مقتولان وكذلك يوسف بن عمر فدفنوه . وأتى بأبي محمد السفيناني وهو في حبسه فلم على مروان بالخلافة قال مروان : مه ، قال : إن هذين التلاميذ جلاهما لك من بعدهما ثم أنشد قصيدة قالها الحكم في السجن وهي طويضة منها قوله :

ألا من مبلغ مروان عني • وعني للنمر طال بنا حنيننا
 باقي قد ظلت وصار قومي • على قتل الوليد متابعتنا
 فان أهلك أنا وولي عهدي • فروان أمير المؤمنيننا

ثم قال أبو محمد السفيناني لمروان : أبسط يدك ، فكان أول من يأيده بالخلقة ، فمعاوية بن يزيد بن
 حصين بن نمير ثم يأيده رؤس أهل الشام من أهل دمشق وحمص وغيرهم ، ثم قال لهم مروان : اختاروا
 أمراء توليهم عليكم ، فاختار أهل كل بلد أميراً فولاه عليهم ، فولى دمشق زامل بن عمرو الجيراني ،
 وعلى حمص عبد الله بن شجرة الكندي ، وعلى الأردن الوليد بن معاوية بن مروان ، وعلى فلسطين
 ثابت بن نعيم الجندامي . ولما استوت الشام لمروان بن محمد رجع إلى حران وعند ذلك طلب منه
 إبراهيم بن الوليد الذي كان خليفة وابن عمه سليمان بن هشام الامان فأثبهما ، وقدم عليه سليمان بن
 هشام في أهل تدمر فبأيامه ، ثم لما استقر مروان في حران أظم فيها ثلاثة أشهر فانتفض عليه ما كان
 أنبرم له من مباينة أهل الشام ، فنقض أهل حمص وغيرهم ، فأرسل إلى أهل حمص جيشاً فوافوهم ليلة
 عيد الفطر من هذه السنة ، وقدم مروان إليها بعد الفطر بيومين ، فثابروا مروان في جنود كثيرة ،
 ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد الخثعمي ، وسليمان بن هشام ، وهما عنده مكرمان خصيصان لا يجلس إلا
 بهما وقت النداء والعشاء ، فلما حاصر حمص نادوه إذا على طاعتك ، فقال : افتحوا باب البلد ففتحوه .
 ثم كان منهم بعض القتل فقتل منهم نحو الخبيثة أو السبابة ، فأمر بهم فصلبوا حول البلد ، وأمر بهدم
 بعض سورها . وأما أهل دمشق فأما أهل القوطة فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو وأمسروا عليهم يزيد
 ابن خالد القسري وثبت في المدينة ثابته ، فبعث إليه أمير المؤمنين مروان من حمص عسكراً نحو
 عشرة آلاف ، فلما اقتربوا من دمشق خرج التائب فيمن معه والتفواهم والسكر بأهل القوطة
 فهزموهم وحرقوا المزة وقرى أخرى معها ، واستجار يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة الكلبي برجل
 من أهل المزة من غلم ، فقل عليهم زامل بن عمرو وقتلها وبعث برأسهما إلى أمير المؤمنين مروان
 وهو بمحمص . وخرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين على الخليفة وأتوا طبرية فحاصروها ، فبعث
 الخليفة إليهم جيشاً فأجلوهم عنها واستبلحوا عسكرهم ، وفر ثابت بن نعيم هارباً إلى فلسطين فأنبته
 الأمير أبو الورد فهزمه ثانية وهرق عنه أصحابه ، وأسر أبو الورد ثلاثة من أولاده فبعث بهم إلى
 الخليفة وم جرحي فأمر بحدواتهم ، ثم كتب أمير المؤمنين إلى تائب فلسطين وهو الرماحس بن
 عبد العزيز الكنانى يأمره بطلب ثابت بن نعيم حيث كان ، فإزال يتلطف به حتى أخذه أسيراً ،
 وذلك بعد شهرين ، فبعثه إلى الخليفة وأمر بقطع يديه ورجليه ، وكذلك جماعة كانوا معه ، وبعث
 بهم إلى دمشق فأقيموا على بلب مسجدها ، لأن أهل دمشق كانوا قد أرجؤا بأن ثابت بن نعيم ذهب

إلى ديار مصر فغلب عليها وقتل نائب مروان فيها ، فأرسل إليهم مقلع اليدين والرجلين ليعرفوا
بطلان ما كانوا به أرجعوا . وأقام الخليفة مروان بدير أيوب عليه السلام مدة حتى بايع لابنه عبد الله
ثم عبيد الله وزوجهما ابنتي هشام ، وهما أم هشام وعائشة ، وكان مجرا حافلا وعقدًا هائلًا ، ومباينة
عامة ، ولكن لم تكن في نفس الأمر تامة . وقدم الخليفة إلى دمشق وأمر بنات وأصحابه بعد ما كانوا
تقطعوا أن يصلوا على أبواب البلد ، ولم يستبق منهم أحدًا إلا واحدًا وهو عمرو بن الحارث السكلي ،
وكان عنده فيما زعم علم بدائع كان ثابت بن نعم أودعها عند أقوام . واستنشق أمر الشام لمروان
ماعدًا تمر ، فار من دمشق فترل القسطل من أرض حصص ، وبلغه أن أهل تدمر قد غوروا
ما بينه وبينهم من المياه ، فاشتد غضبه عليهم ومعه جحافل من الجيوش ، فحكم الأبرش بن الوليد
وكانوا قومه فسأل منه أن يرسل إليهم أولًا ليعذر إليهم ، فبعث عمرو بن الوليد أخا الأبرش ، فلما
قدم عليهم لم يلتفتوا إليه ولا سمعوا له قولًا فرجع ، فهم الخليفة أن يبعث الجنود فسأله الأبرش أن
ينهب إليهم بنفسه فأرسله ، فلما قدم عليهم الأبرش كلهم واستألمهم إلى السمع والطاعة ، فأجابه
أكثرهم وامتنع بعضهم ، فكتب إلى الخليفة يطلبه بما وقع ، فأمره الخليفة أن يهزم بعض سورها ، وأن
يقبل من أطاعه منهم إليه ، ففعل . فلما حضروا عنده سار بن معه من الجنود نحو الرصافة على
طريق البرية ومعه من الرؤس إبراهيم بن الوليد المخولع ، وسليان بن هشام ، وجماعة من ولد
الوليد ويزيد وسليان ، فأقام بالرصافة أيامًا ثم شخص إلى البرية ، فاستأذنه سليان بن هشام أن يقيم
هناك أيامًا ليستريح ويجمع ظهره فأذن له ، فأنحدر مروان فترل عند واسط على شط الفرات فأقام
ثلاثًا ثم مضى إلى قرقيسيا ، وابن هبيرة بها ليعثه إلى العراق لحاربة الضحاك بن قيس الشيباني
الخارجي الحروري ، واشتغل مروان بهذا الأمر ، وأقبل عشرة آلاف فارس من كان مروان قد
بهم في بعض المرات ، فاجتازوا بالرصافة وفيها سليان بن هشام بن عبد الملك الذي كان استأذن
الخليفة في المقام هناك للراحة ، فدفعوه إلى البيعة له وخلع مروان بن محمد وعاربه ، فاستزله الشيطان
فأجابهم إلى ذلك ، وخلع مروان وسار بالجيوش إلى قنسرين ، وكتب أهل الشام فاضفوا إليه من
كل وجه ، وكتب سليان إلى ابن هبيرة الذي جهزه مروان لقتال الضحاك بن قيس الخارجي يأمره
بالسير إليه ، فالتف إليه نحو من سبعين ألفًا ، وبعث مروان إليهم عيسى بن مسلم في نحو من
سبعين ألفًا فالتقوا بأرض قنسرين فاقتلوا قتالًا شديدًا وجاء مروان والناس في الحرب فقاتلهم
أشد القتال فهزمهم وقتل يوشع إبراهيم بن سليان بن هشام ، وكان أكبر ولده ، وقتل منهم نيفا
وثلاثين ألف ، وذهب سليان مغلوبًا فأق حصار فالتف عليه من انهزم من الجيش فسكروهم فيها ،
وبنى ما كان مروان هدم من سورها . فجاءهم مروان فحاصرهم بها ونصب عليهم نيفًا وثمانين

منجنيقا ، فحك كنفك ثمانية أشهر برميهم ليلا ونهاراً ، ويخرجون إليه كل يوم ويقاتلون ثم يرجعون . هذا وقد ذهب سليمان وطائفة من الجيش معه إلى تيمر وقد اعترضوا جيش مروان في الطريق وهموا بالفتك به وأن يقتبوه فلم يمكنهم ذلك ، وتبأ لهم مروان قاتلهم قتلوا من جيشه قريبا من ستة آلاف وهم تسعة ، وانصرفوا إلى تيمر ، ولزم مروان محاصرة حصن كال عشرة أشهر ، [فلما تابعت عليهم البلاد ، ولزمهم القتل ، سأله أن يؤمنهم فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ، ثم سأله الأمان على أن يمكنوه من سعيد بن هشام ^(١) وابنيه مروان وعثمان ومن السكسكي الذي كان حبس معه ، ومن حبس كان يقتري عليه ويشتمه فأجابهم إلى ذلك فأمنهم وقتل أولئك ، ثم سار إلى الضحاك ، وكان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق قد صالح الضحاك للخارجي على ما يده من الكوفة وأعمالها ، وجاءت خيول مروان فاصدة إلى الكوفة ، فلقاهم نائبا من جهة الضحاك - ملحان الشيباني - فقاتلهم فقتل ملحان ، واستتب الضحاك عليها المنى بن عمران من بني عائدة ، وسار الضحاك في ذي القعدة إلى الموصل ، وسار ابن هبيرة إلى الكوفة فانزعها من أيدي الخوارج ، وأرسل الضحاك جيشا إلى الكوفة فلم يجد شيئا .

وفي هذه السنة خرج الضحاك بن قيس الشيباني ، وكان سبب خروجه أن رجلا يقال له سعيد بن بهدل - وكان خارجيا - اغتتم غفلة الناس واشتغلهم بقتل الوليد بن يزيد ، فثار في جماعة من الخوارج بال عراق ، فالتف عليه أربعة آلاف - ولم تجتمع قبلها لخارجي - قصدهم الجيوش فقاتلوا معهم ، فثارة يكسرون وثارة يكسرون ، ثم مات سعيد بن بهدل في طاعون أصابه ، واستخلف على الخوارج من بعده الضحاك بن قيس هذا ، فالتف أصحابه عليه ، والتقى هو وجيش كثير فغلبت الخوارج وقتلوا خلقا كثيرا ، منهم عاصم بن عمر بن عبد العزيز - أخو أمير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز - فراه بأشعار . ثم قصد الضحاك بطائفة من أصحابه مروان فاجتاز بالكوفة ، فنهض إليه أهلها فكسروهم ودخل الكوفة فاستحوذ عليها ، واستتب بها رجلا اسمه حسان ، ثم استتب ملحان الشيباني في شعبان من هذه السنة ، وسار هو في طلب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق ، فالتقوا فحرت بينهم حروب كثيرة يطول ذكرها وتفصيلها .

وفي هذه السنة اجتمعت جماعة من العامة إلى بني العباس عند إبراهيم بن محمد الامام ومعهم أبو مسلم الخراساني ، فدفعوا إليه فقتلت كثيرة ، وأعطوه خمس أموالهم ، ولم ينتظم لهم أمر في هذه السنة لكثرة الشرور المنقشرة ، والفتن الواقعة بين الناس . وفي هذه السنة خرج بالكوفة معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فدعا إلى نفسه وخرج إلى مجاورة أمير العراق عبد الله بن عمر (١) زيادة من المصرية .

ابن عبد العزيز، فخرجت بينهما حروب يطول ذكرها، ثم أجلاء عنها فلحق بالجلال فتغلب عليها .
وفي هذه السنة خرج الحارث بن سريج القدي كان لحق ببلاد الترك ومالاًهم على المسلمين فن الله عليه
بالهداية ووجه حتى خرج إلى بلاد الشام، وكان ذلك عن دعاء يزيد بن الوليد إلى الرجوع إلى الاسلام
وأهله فأجابته إلى ذلك، وخرج إلى خراسان فأكرمه نصر بن سيار نائب سورة^(١)، واستمر الحارث
ابن سريج على الدعوة إلى الكتاب والسنة وطاعة الامام، وعنده بعض المناوئة لنصر بن سيار .

قال الواقدي وأبو معشر: وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أمير
الحجاز ومكة والمدينة والطائف، وأمير العراق نصر بن سعيد الحرشي، وقعد خرج عليه الضحاك
الحزوري، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز. وأمير خراسان نصر بن سيار، وقد خرج عليه
الكرماني والحارث بن سريج. ومن توفي في هذه السنة :

بكر بن الأشج وسعد بن إبراهيم وعبد الله بن دينار وعبد الملك بن مالك الجزري وعمر بن
هاني ومالك بن دينار وهب بن كيسان وأبو إسحاق السبيعي .

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة)

فيها كان مقتل الحارث بن سريج، وكان سبب ذلك أن يزيد بن الوليد الناقص كان قد كتب
إليه كتاب أمان، حتى خرج من بلاد الترك وصار إلى المسلمين ورجع عن موالاة المشركين إلى
نصرة الاسلام وأهله، وأنه وقع بينه وبين نصر بن سيار نائب خراسان وحشة ومنافسات كثيرة
يطول ذكرها، فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد استوحش الحارث بن سريج من ذلك. وتولى
ابن هبيرة نيابة العراق، وجاءت البيعة لمروان، فامتنع الحارث من قبولها وتكلم في مروان، وجاءه
مسلمة بن أحوز أمير الشرطة، وجماعة من رؤس الأجناد والأمرأ، وطلبوا منه أن يكف لسانه
ويده، وأن لا يفرق جماعة المسلمين، فأبى وبرز فاحية عن الناس، ودعا نصر بن سيار إلى ما هو
عليه من الدعوة إلى الكتاب والسنة فامتنع نصر من موافقته، واستمر هو على خروجه على الاسلام .
وأمر الجهم بن صفوان مولى بني راسب ويكنى بأبي محرز - وهو الذي نسبت إليه الفرقة الجهمية - أن
يقرأ كتاباً فيه سيرة الحارث على الناس، وكان الحارث يقول أنا صاحب الرايت السود . فبث إليه
نصر يقول : لئن كنت ذاك فلمبري إنكم الذين تخربون سور دمشق وتزيلون بني أمية، تغدمني
خمسائة رأس ومائة بدير، وإن كنت غيره قد أهلكك عشرينك . فبث إليه الحارث يقول :
لعمري إن هذا لكائن . فقال له نصر : قايداً بالكرماني أولاً، ثم سر إلى الري، وأنا في طاعتك
إذا وصلتها . ثم تناظر نصر والحارث ورضيا أن يحكم بينهما مقاتل بن حيان والجهم بن صفوان [حكما

(١) كذا . ولعل فيه تحريفاً صوابه (نائب خراسان)

أن يعزل نصر ويكون الأمر شورى . فامتنع نصر من قبول ذلك ، ولزم الجهم بن صفوان ^(١) وغير قراءة سيرة الحارث على الناس في الجامع والطرق ، فاستجاب له خلق كثير ، وجم غفير فعند ذلك انتدب لقتاله جماعات من الجيوش عن أمر نصر بن سيار ، قصده غارب دونه أصحابه ، قتل منهم طائفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان ، طعن رجل في فيه قتله ، وقال بل أسر الجهم فأوقف بين يدي سلم بن أحوز فأمر بقتله ، قال : إن لي أمانة أليك ، قال : ما كان له أن يؤمنك ، ولو فضل ما أمنتك ، ولو ملأت هذه الملاة كواكب ، وأنزلت عيسى بن مريم ، ما نجوت ، والله ولو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك . وأمر ابن ميسر بقتله . ثم اتفق الحارث بن سريج والكرماني على نصر ومخالفته ، والدعوة إلى الكتاب والسنة واتباع أئمة الهدى وتحريم المنكرات إلى غير ذلك مما جاءت به الشريعة ، ثم اختلفا فيما بينهما واقتتلا قتالا شديدا ، فغلب الكرماني وانهمز أصحاب الحارث . وكان زاكبا على بقل فتحول إلى فرس فخرت أن تمشي ، وهرب عنه أصحابه ولم يبق معه منهم سوى مائة ، فأدركه أصحاب الكرماني قتلوه تحت شجرة زيتون ، وقيل تحت شجرة عيبرا . وذلك يوم الأحد لست بقين من رجب من هذه السنة ، وقتل معه مائة من أصحابه ، واحتاط الكرماني على حواصله وأمواله ، وأخذ أموال من خرج معه أيضاً ، وأمر بصلب الحارث بلا رأس على باب مرو ، ولما بلغ نصر بن سيار مقتل الحارث قال في ذلك :

يا مدخل القتل على قومه • بدا وسحقاك من هالك
شؤمك أردى مُضراً كلها • وغض من قومك بالمارك
ما كانت الازد وأشباعها • قطع في عمرو ولا مالك
ولا بنى سعد إذ ألبوا • كل طير لونه حالك

وقد أجابه عباد ^(٢) بن الحارث بن سريج فيما قال :

ألا يا نصر قد برح الخفاء • وقد طال التقى والرجاء
وأصبحت المزون بأرض مرو • تحفى في الحكومة ما تشاء
يجوز قضاؤها في كل حكم • على مضر وإن جار القضاء
وحير في مجالها قوم • تفرق في رطهم الغماء
فلن مضربنا رضيت وذلت • فطال لها المنة والشقاء
وإن هي أعتبت فيها وإلا • خل على عساكرها الغفاء

وفي هذه السنة بمث إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أجلس الخراساني إلى خراسان

(١) زيادة من المصرية (٢) في المصرية عتب وفي نسخة القسطنطينية غياث ومصحناه من

وكتب معه كتابا إلى شيعتهم بها : إن هذا أبا مسلم فاصموا له وأطيعوا ، وقد وليته على ماغلب عليه من أرض خراسان . فلما قدم أبو مسلم خراسان وقرأ على أصحابه هذا الكتاب ، لم يلتفتوا إليه ولم يعاملوا به وأعرضوا عنه ونبتوه وراء ظهورهم ، فرجع إلى إبراهيم بن محمد أيام الموسم ، فاشتكاكم إليه وأخبره بما قالوه من الخائفة ، فقال له : يا عبد الرحمن ! إنك رجل منا أهل البيت ، إرجع إليهم وعليك بهذا الحى من اليمن فأكرمهم واتزل بين أظهرهم فإن الله لا ينعم هذا الأمر إلا بهم . ثم حذره من بقاء الأحياء وقال له : إن استطعت أن لاتنزع تلك البلاد لسانا عرييا فافعل ، ومن بلغ من أبنائهم خمسة أشبار واتهمته فاقته ، وعليك بذلك الشيخ فلا تقصه - يعنى سليمان بن كثير - وسياقى ما كان من أمر أبى مسلم الخراسانى فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة قتل الضحاك بن قيس الخارجى فى قول أبى مخنف ، وكان سبب ذلك أن الضحاك حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط وواقه على محاصرته منصور بن جهمور ، فكتب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز إليه : إنه لا فائدة لك فى محاصرتى ولكن عليك بمروان بن محمد فسر إليه ، فان قتلته اتبعتك . فاصطلحا على مخالفة مروان بن محمد أمير المؤمنين ، فلما اجتاز الضحاك بالموصل كاتبه أهلها فال إليهم فدخلها ، وقتل ثاقبها واستحوذ عليها ، وبلغ ذلك مروان وهو محاصر حصن ، ومشغل بأهلها وعدم مبايعتهم إليه ، فكتب إلى ابنه عبد الله بن مروان - وكان الضحاك قد التفت عليه مائة ألف وعشرون ألفا فحاصروا نصيبين - وساق مروان فى طلبه فالتقى هناك ، فاقتتلا قتالا شديدا فقتل الضحاك فى المعركة وحجز الليل بين الفريقين ، وقد أصحبا الضحاك الضحاك وشكوا فى أمره حتى أخبرهم من رآه قد قتل ، فبكوا عليه وناحوا ، وجاء الخبر إلى مروان فبعث إلى المعركة بالمشاعل ومن يعرف مكانه بين القتلى ، وجاء الخبر إلى مروان وهو مقتول ، وفى رأسه ووجهه نحو من عشرين ضربة ، فأمروا برأسه فطيف به فى مدائن الجزيرة . واستخلف الضحاك على جيشه من بعده رجلا يقال له الخيرى ، فالتف عليه بقية جيش الضحاك ، والتفت مع الخيرى سليمان ابن هشام بن عبد الملك وأهل بيته ومواليه ، والجيش الذين كانوا قد بايعوه فى السنة الماضية على الخلافة ، وخلموا مروان بن محمد عن الخلافة لأجله ، فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان ، فحمل الخيرى فى أربائة من شجعان أصحابه على مروان ، وهو فى القلب ، فكر منهزما واتبعوه حتى أخرجوه من الجيش ، ودخلوا عسكره وجلس الخيرى على فرشه ، هذا وميمنة مروان ثابته وعليها ابنه عبد الله ، وميسرته أيضا ثابته وعليها إسحاق بن مسلم المقبلى . ولما رأى عبد الله السكر فارين مع الخيرى ، وأن الميمنة والميسرة من جهتهم باقيتان طمعوا فيه فأقبلوا إليه بمعد الخيام فقتلوه بها ، وبلغ قتله مروان وقد سار عن الجيش نحواً من خمسة أميال أو ستة ، فرجع مسرورا وانهمز أصحاب الضحاك ،

وقد ولوا عليهم شيبان ، قصدهم مروان بعد ذلك بمكان يقال له الكراديس فهزمهم .

وقتها بعث مروان الحار على إمارة العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ليقا تل من بهامن الخوارج . وفي هذه السنة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب المدينة ومكة والطائف ، وأمير العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وأمير خراسان نصر بن سيار .

ومن توفي في هذه السنة بكر بن سواة وجابر الجعفي والجهنم بن صفوان ، مقتولا كما قُتلهم ، والحارث ابن سريج أحد كهراء الأمراء ، وقد تقدم شيء من ترجمته ، وعاصم بن عبيدة ، وأبو حصين عثمان بن عاصم ، ويزيد بن أبي حبيب ، وأبو التياح يزيد بن حيد ، وأبو حمزة النعنبى ، وأبو الزبير المكي وأبو عمران الجوني وأبو قبيل المناقري . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة ﴾

فيها اجتمعت الخوارج بعد الخبيري على شيبان بن عبد العزيز بن الحليس اليشكري الخارجي فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينحسروا بالموصل ويمسكوها منزلا لهم ، فتحولوا إليها وتيمم مروان ابن محمد أمير المؤمنين ، فسكروا بظواهرها وخندقوا عليهم مما يلي جيش مروان . وقد خندق مروان على جيشه أيضا من ناحيتهم ، وأقام سنة يحاصروهم ويقتلون في كل يوم بكرة وعشية ، وظفر مروان بابن أخ لسليمان بن هشام ، وهو أمية بن معاوية بن هشام ، أسره بعض جيشه ، فأمر به قطع يده ثم ضرب عنقه ، وعنه سليمان والجيش ينظرون إليه . وكتب مروان إلى نائبه بالعراق يزيد بن عمر بن هبيرة [١] بأمره بقتال الخوارج الذين في بلاده . فجرت له معهم وقتلت عديدة ، فظفر بهم ابن هبيرة [٢] وأباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية بالعراق ، واستنفذ الكوفة من أيدي الخوارج ، وكان عليها المثنى بن عمران العائذي - عائذة قرشي - في رمضان من هذه السنة ، وكتب مروان إلى ابن هبيرة لما فرغ من الخوارج أن يمد بهمارين صبارة - وكان من الشجوان - فبشه إليه في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، فأرسلت إليه سرية في أربعة آلاف فاعترضوه في الطريق فهزمهم ابن صبارة وقتل أميرهم الجون بن كلاب الشيباني الخارجي ، وأقبل نحو الموصل ، ورجع فل الخوارج إليهم . فأشار سليمان بن هشام عليهم أن يرتحلوا عن الموصل ، فانه لم يكن يمكنهم الإقامة بها ، ومروان من أمامهم وابن صبارة من ورائهم ، قد قطع عنهم الميرة حتى لم يجهدوا شيئا يأكلونه ، فارتحلوا عنها وساروا على حلوان إلى الأهواز ، فأرسل مروان ابن صبارة في آكارهم في ثلاثة آلاف ، فاتبهم يقتل من تخلف منهم ويلحقهم في مواطن فيقاتلهم ، وما زال وراهم حتى فرق شملهم شفر مفر ، وهكذا أمرهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري بالأهواز في السنة التالية ، قتله خالد بن مسعود بن جعفر بن خليل الأزدى . وركب سليمان بن هشام في مواليه وأهل بيته السفن وساروا إلى السند ، ورجع

مروان من الموصل فأقام بمنزله بجران [وقد وجد سروراً بزوال الخوارج ، ولكن لم يتم سروره ،
بل أعقبه القدر من هو أقوى شوكة وأعظم أتباعاً ، وأشد بأساً من الخوارج ، وهو ظهور أبي مسلم
الخراساني المأعية إلى دولة بني العباس] . (١)

(أول ظهور أبي مسلم الخراساني)

وفي هذه السنة ورد كتاب من إبراهيم بن محمد الامام المباسي بطلب أبي مسلم الخراساني من
خراسان ، فسار إليه في سبعين من النقباء ، لا يبرون يله إلا سألهم إلى أين تنهبون ؟ فيقول
أبو مسلم : نريد الحج . وإذا توسم أبو مسلم من بعضهم ميلاً إليهم دعاهم إلى ما هم فيه فيجيبه إلى
ذلك ، فلما كان يبعض الطريق جاء كتاب ثان من إبراهيم الامام إلى أبي مسلم : إني بشت إليك
براية النصر فارجع إلى خراسان وأظهر الدعوة ، وأمر قطبة بن شبيب أن يسير بما معه من الأموال
والتحف إلى إبراهيم الامام فيوافيه في الموسم ، فرجع أبو مسلم بالكتاب فدخل خراسان في أول يوم
من رمضان فرفع الكتاب إلى سليمان بن كثير وفيه : أن أظهر دعوتك ولا تتر بص . قدموا عليهم
أبا مسلم الخراساني داعياً إلى بني العباس ، فبث أبو مسلم دعاته في بلاد خراسان ، وأمر خراسان
- نصر بن سيار - مشغول بقتال الكرماني ، وشيخان بن سلة الحروري ، وقد بلغ من أمره أنه
كان يسلم عليه أصحابه بالخلابة في طوائف كثيرة من الخوارج ، فظهر أمر أبي مسلم وقصده الناس من
كل جانب ، فكان من قصده في يوم واحد أهل ستين قرية ، فأقام هناك اثنين وأربعين يوماً ،
فتحت على يديه أقاليم كثيرة . ولما كان ليلة الخميس لحس بقين من رمضان في هذه السنة ، عقد
أبو مسلم ألواء التي بشت إليه الامام ، ويدعى الظل ، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وعقد
الراية التي بشت بها الامام أيضاً ، وتدعى السحاب ، على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً ، وهما
سوداوان ، وهو يتلو قوله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم قدير) وليس
أبو مسلم وسليمان بن كثير ومن أجابهم إلى هذه الدعوة ، السواد ، وصارت شعارهم ، وأوقفوا في هذه
الليلة نارا عظيمة يدعون بها أهل تلك النواحي ، وكانت علامة بينهم فتجمعوا . ومعنى تسمية إحدى
الرايتين بالسحاب أن السحاب كما يطبق جميع الأرض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم أهل الأرض ،
ومعنى تسمية الأخرى بالظل أن الأرض كما أنها لا تخلو من الظل فكذلك بنو العباس لا تخلو الأرض
من قائم منهم . وأقبل الناس إلى أبي مسلم من كل جانب ، وكثر جيشه .

ولما كان يوم عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس ، ونصب له منبراً ، وأن
يخالف في ذلك بني أمية ، ويعمل بالسنة ، فتدعى للصلاة الصلاة جامعة ، ولم يؤذن ولم يقم خلافاً

لهم ، وبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، وكبر ستاً في الأولى قبل القراءة ، لا أرباعاً . وخساً في الثانية لا ثلاثاً ، خلا لهم . وابتدأ الخطبة بالذكر والتكبير وختمها بالقراءة ، وانصرف الناس من صلاة العيد وقد أعد لهم أبو مسلم علملاً فوضه بين أيدي الناس ، وكتب إلى نصر بن سيار كتاباً بدأ فيه بنفسه ثم قال إلى نصر بن سيار : بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فإن الله غير أنوماً في كتابه فقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) إلى قوله (نحويلاً) فمظلم على نصر أن قدم اسمه على اسمه ، وأطال الفكر ، وقال : هذا كتاب له جواب .

قال ابن جرير : ثم بعث نصر بن سيار خيلاً عظيمة لحاربة أبي مسلم ، وذلك بعد ظهوره بثمانية عشر شهراً ، فأرسل أبو مسلم إليهم مالك بن المهيم الخزاعي ، فالتقوا ، فدعاهم مالك إلى الرضا عن آل رسول الله ﷺ فأبوا ذلك ، فمضوا من أول النهار إلى مصر ، فجاء إلى مالك مدد قنوى فظفر بهم مالك ، وكان هذا أول موقف اقتتل فيه جند بني العباس وجند بني أمية .

وفي هذه السنة غلب خازم بن خزيمة على مرو الروذ وقتل عاملها من جهة نصر بن سيار ، وهو بشر بن جعفر السعدي ، وكتب بالفتح إلى أبي مسلم ، وكان أبو مسلم إذ ذاك شاباً حدثاً قد اختاره إبراهيم لدعوتهم . وذلك لشهائته وصراسته ، وقوة فهمه وجودة ذهنه ، وأصله من سواد الكوفة ، وكان مولى لآل دريس بن معقل العجلي ، فاشتره بعض دعاة بني العباس بأربعمائة درهم ، ثم أخذه محمد بن علي ثم آل ولأوه لآل العباس ، وزوجه إبراهيم الامام بابنة أبي النجم إسماعيل بن عمران ، وأصدقها عنه وكتب إلى دعاةهم بخراسان والعراق أن يسمعو منه ، فامتثلوا أمره ، وقد كانوا في السنة الماضية قبل هذه السنة ردوا عليه أمره لصفره فيهم ، فلما كانت هذه السنة أكد الامام كتابه إليهم في الوصاية وطاعته ، وكان في ذلك الخير له ولهم (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ولما فشا أمر أبي مسلم بخراسان تماقت طوائف من العرب الذين بها على حربه ومقاتلته ، ولم يكره الكرماني وشيئان لأنهما خرجا على نصر وأبو مسلم مخالفان لنصر كعالمهما ، وهو مع ذلك يدعو إلى خلع مروان الحمار ، وقد طلب نصر من شيئان أن يكون معه على حرب أبي مسلم ، أو يكف عنه حتى يتفرغ لحربه ، فإذا قتل أبا مسلم عادا إلى عداوتهما ، فأجاباه إلى ذلك ، فبلغ ذلك أبا مسلم فبعث إلى الكرماني يعلمه بذلك فلام الكرماني شيئان على ذلك ، وثناء عن ذلك ، وبعث أبو مسلم إلى هراة التضربين نعيم فأخبرها عن عاملها عيسى بن عقيل البجلي ، وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، وجاء علمها إلى نصر هراة ، ثم إن شيئان وادع نصر بن سيار سنة على ترك الحرب بينه وبينه ، وذلك عن كره من الكرماني ، فبعث ابن الكرماني إلى أبي مسلم إني ملك على قتال نصر ، وركب أبو مسلم في خمسة الكرماني فاصتما على حرب نصر ومخالفته ، وتحول أبو مسلم إلى موضع فسيح وكثر جنده وعظم جيشه ، واستعمل على الحرس والشرط

والرسائل والديوان وغير ذلك مما يحتاج إليه الملك عمالا، وجعل القاسم بن مجاشع التميمي - وكان أحد النقباء - على القضاء وكان يصلي بأبي مسلم الصلوات، ويقص بعض القصص فيذكر محاسن بني هاشم وينم بني أمية. ثم تحول أبو مسلم إلى قرية يقال لها بالين، وكان في مكان منخفض، غشى أن يقطع عنه نصر بن سيار الله، وذلك في سادس ذي الحجة من هذه السنة، وصلى بهم يوم النحر القاضي القاسم بن مجاشع، وصار نصر بن سيار في جعافل كالسحاب قاصدا قتال أبي مسلم، واستخلف على البلاد نوابا وكان من أمرهما ما سنده كره في السنة الآتية.

﴿مقتل ابن الكرماني﴾

ونشبت الحرب بين نصر بن سيار وبين ابن الكرماني - وهو جديع بن علي الكرماني - قتل بينهما من الفريقين خلق كثير، وجعل أبو مسلم يكتب كلاما من الطائفتين ويستميلهم إليه، يكتب إلى نصر وإلى ابن الكرماني: إن الامام قد أوصاني بكم خيرا ولست أعدو رأيه فيكم، وكتب إلى الكور يدعو إلى بني العباس فاستجاب له خلق كثير وجم غفير، وأقبل أبو مسلم فتزل بين خندق نصر وخندق ابن الكرماني، فهابه الفريقان جميعا، وكتب نصر بن سيار إلى مروان يلطه بأمر أبي مسلم، وكثرة من معه، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، وكتب في جله كتابه:

أرى بين الزماد وميض جهر * وأحرى أن يكون له ضرام
فان النار باليدان تذكي * وإن الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التمجيليت شرى * أيقاظ أمية أم نيام
فكتب إلى مروان: الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، قتال نصر: إن صاحبكم قد أخبركم أن لا نصر عنده. وبمضهم يرونها بلفظ آخر: -

أرى خلل الزماد وميض نار * فيوشك أن يكون لها ضرام
فان النار باليدان تذكي * وإن الحرب أولها كلام
فان لم يطفئها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام
أقول من التمجيليت شرى * أيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما * قتل قوموا قد حان القيام
قال ابن خلكان: وهذا كما قال بعض علوية الكوفة حين خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسين على المنصور أخى السفاح:

أرى نارا تشب على بقاع * لها في كل ناحية شعاع
وقد رقت بنو العباس عنها * وبانت وهي آمنة رفاع
كما رقت أمية ثم هبت * تدافع حين لا ينفي القناع

وكتب نصر بن سيار أيضا إلى نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يستعده وكتب إليه :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه * وقد تحققت أن لا خير في الكذب
 بأن أرض خراسان رأيت بها * أيضا إذا أفرخت حدثت بالعجب
 فراخ طعين إلا أنها كبرت * ولم يطرن وقد سر بلن بالزغب
 فان يطرن ولم يحتل لمن بها * يلون نيران حرب أيا لهب

فبعث ابن هبيرة بكتاب نصر إلى مروان ، واتفق في وصول الكتاب إليه أن وجدوا رسولا من جهة إبراهيم الامام ومعه كتاب منه إلى أبي مسلم ، وهو يشتمه فيه ويسبه ، ويأمره أن يناهض نصر بن سيار وابن الكرماني ، ولا يترك هناك من يحسن العربية . فندد ذلك بعث مروان وهو مقيم بمران كتابا إلى نائبه بدمشق وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، يأمره فيه أن يذهب إلى الحمية ، وهي البلدة التي فيها إبراهيم بن محمد الامام ، فيقيد ويرسله إليه . فبعث نائب دمشق إلى نائب البلقاء فذهب إلى مسجد البلدة المذكورة فوجد إبراهيم الامام جالسا قيده وأرسل به إلى دمشق ، فبعثه نائب دمشق من فوره إلى مروان ، فأمر به فسجن ثم قتل كما سيأتي .

وأما أبو مسلم فإنه لما توسط بين جيش نصر وابن الكرماني ، كاتب ابن الكرماني : إني ملك قال إليه ، فكذب إليه نصر ويحك لا تفر فانه إنما يريد قتلك وقتل أصحابك ، فلم حتى نكتب كتابا بيننا بالموادعة ، فدخل ابن الكرماني داره ثم خرج إلى الرحبة في مائة فارس ، وبعث إلى نصر هلم حتى تتكاتب ، فأبصر نصر غرة من ابن الكرماني فنهض إليه في خلق كثير ، فخلعوا عليه قتلوه وقتلوا من جماعته جماعة ، وقتل ابن الكرماني في المركة ، طعن رجل في خصرته ففر عن دابته ، ثم أمر نصر بصلبه وصلب معه جماعة ، وصلب معه سمكة ، وانضاف ولده إلى أبي مسلم انخراساني ومعه طوائف من الناس من أصحاب ابن الكرماني ، فصاروا كتفا واحدا على نصر .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على فارس وكورها ، وعلى حلوان وقوس واصبهان والري ، بعد حرب يطول ذكرها ، ثم اتفق عمر بن ضبارة معه باصطخر فهزمه ابن ضبارة وأسر من أصحابه أربعين ألفا . فكان منهم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، ففسبه ابن ضبارة وقال له : ما جاء بك مع ابن معاوية وقد علمت خلافه لأمر المؤمنين ؟ قال : كان علي دين فأثبتته فيه . فقام ابن [حرب بن] قطن بن وهب الماللي فاستوجه منه وقال : هو ابن أختنا فوجه له ، وقال : ما كنت لأقدم على رجل من قريش ، ثم استلم ابن ضبارة منه أخبار ابن معاوية فغمه ورماه هو وأصحابه بالواط ، وجئ من الأسارى بمائة غلام عليهم الثياب المصبغة ، وقد كان يعمل معهم الفلحشة ، وحمل ابن ضبارة عبد الله بن علي على البريد لاجل هبيرة ليخبره بما أخبر به

ابن ضبارة عن ابن ميناوية . وقد كتب الله عز وجل أن زوال ملك بني أمية يكون على يد هذا الرجل ، وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولا يشمر واحد منهم بذلك .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة ولى الموسم أبو حزة الخارجي فأظهر التحكم والمخالفة لمروان ، وتبرأ منه . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ أمير مكة والمدينة والطائف ، وإليه أمر الحجيج في هذه السنة ، ثم صالحهم على الأمان إلى يوم النفر ، فوقفوا على حدة بين الناس بمرفات ، ثم تحيزوا عنهم ، فلما كان يوم النفر الأول تعجل عبد الواحد وترك مكة فدخلها الخارجي فبدر قتل ، وقال بعض الشعراء في ذلك :-

زار الحجيج عصابة قدخالوا * دين الاله فز عبد الواحد

ترك الحلال والامارة هاربا * ومضى يخط كالبعير الشارد

لو كان والده متصل عرقه * لصفته موارده بقرق الوارد

ولما رجع عبد الواحد إلى المدينة شرع في تجهيز السرايا إلى قتال الخارجي ، وبذل الثغقات وزاد في إعطية الأجناد ، وسيرهم سرياً . وكان أمير المراق يزيد بن هبيرة ، وأمير خراسان نصر بن سيار ، وقد استحوذ على بعض بلاد أبو مسلم الخراساني . وعمن توفى فيها من الأعيان :

سالم أبو النصر ، وعلي بن زيد بن جدعان ، في قول ، ويحيى بن أبي كثير . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله الحمد .

(سنة ثلاثين ومائة)

في يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأول منها ، دخل أبو مسلم الخراساني مرو ، ونزل دار الامارة بها ، وانزعها من يد نصر بن سيار ، وذلك بمساعدة علي بن الكرماني ، وهرب نصر بن سيار في شرفة قليلة من الناس ، نحو من ثلاثة آلاف ، ومسه امرأته المرزبانة ، حتى لحق سرخس وترك امرأته وراه ، ونجا بنفسه ، واستفعل أمر أبي مسلم جداً ، والثفت عليه العساكر .

(مقتل شيبان بن سلمة الحروري)

ولما هرب نصر بن سيار بقي شيبان وكان مماثلته على أبي مسلم ، فبث إليه أبو مسلم رسلاً فغيصهم فأرسل أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث يأمره أن يركب إلى شيبان فيقاتله ، فسار إليه فاقنتلا فهزمه بسام فقتله واتبع أصحابه يقتلهم ويأسرهم ، ثم قتل أبو مسلم عليا وعثمان ابني الكرماني ، ثم وجه أبو مسلم أبا داود إلى بلخ فأخضعها من زياد بن عبد الرحمن القشيري ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة . ثم إن أبا مسلم اتفق مع أبي داود على قتل عثمان بن الكرماني في يوم كنا ، وفي ذلك اليوم بعينه يقتل أبو مسلم على بن جذيع الكرماني ، فوقع ذلك كذلك .

وفي هذه السنة وجه أبو مسلم قطيبة بن شبيب إلى نيسابور لقتال نصر بن سيار ، ومع قطيبة جماعة من كبار الأمراء ، منهم خالد بن برمك . فالتقوا مع تميم بن نصر بن سيار وقد وجهه أبوه لقتالهم بطوس ، فقتل قطيبة من أصحاب نصر نحواً من سبعة عشر ألفاً في المعركة ، وقد كلن أبو مسلم بعث إلى قطيبة مدداً نحو عشرة آلاف فارس ، عليهم على بن معقل ، فاقبلوا وقتلوا من أصحاب نصر خلقاً كثيراً ، وقتلوا تميم بن نصر ، وغنموا أموالاً جزيلة جداً ، ثم إن يزيد بن عمر بن هبيرة نائب مروان على العراق بعث سرية مدداً لنصر بن سيار ، فالتقى معهم قطيبة في مستهل ذي الحجة ، وذلك يوم الجمعة ، فاقبلوا قتالاً شديداً فانهمز جند بني أمية ، وقتل من أهل الشام وغيرهم عشرة آلاف ، منهم ثمانية بن حنظلة عامل جرجان ، فبعث قطيبة برأسه إلى أبي مسلم .

﴿ ذكر دخول أبي حمزة الخارجي المدينة النبوية واستيلائه عليها مدة ثلاثة أشهر حتى ارتحل عنها ﴾
قال ابن جرير : وفي هذه السنة كانت وقعة بقديد بين أبي حمزة الخارجي الذي كان عام أول في أيام الموسم ، فقتل من أهل المدينة من قريش خلقاً كثيراً ، ثم دخل المدينة وهرب ثقاتها عبد الواحد ابن سليمان ، فقتل الخارجي من أهلها خلقاً ، وذلك لتسع عشرة ليلة خلت من صفر من هذه السنة ، ثم خطب على منبر رسول الله ﷺ فوجأ أهل المدينة ، قال : يا أهل المدينة إني مررت بكم أيام الأحول - يعني هشام بن عبد الملك - وقد أصابكم عاهة في محارم فكنتم إليهم تسألونه أن يضع الخرص عنكم فوضعه ، فزاد غنيكم غنى وزاد فقيركم فقراً ، فكنتم إليه جزاك الله خيراً ، فلا جزاء الله خيراً . في كلام طويل . فأقام عندهم ثلاثة أشهر بقية صفر وشهر ربيع وبعض جمادى الأول فبأقال الواقدي وغيره . وقد روى المدائني أن أبا حمزة رقى يوماً منبر رسول الله ﷺ ثم قال : تملكون يا أهل المدينة أنا لم تخرج من بلادنا بطرا ولا أشرا ، ولا لدولة يزيد أن نخوض فيها النار ، وإنما أخرجنا من ديارنا أنا وأبناء مصاييح الحق طمست ، وضف القاتل للحق ، وقتل القائم بالقسط ، فلما رأينا ذلك ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وصحمتا ذاعيا يدعو إلى طاعة الرحمن ، وحكم القرآن ، فأجبنا داعي الله (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) أقبلنا من قبائل شتى ، التفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأهضهم ، يتمادرون لحافاً واحداً قليون مستضعفون في الأرض ، فأوأانا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا والله بنعمة الله إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناكم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بني مروان ، فشتان لعمر الله بين النقي والرشد ، ثم أقبلوا نحونا يهرعون قد ضرب الشيطان فيهم بحراجه وغلت بملأهم مراحله ، وصدق عليهم ظنه فاتبعوه ، وأقبل أنصار الله عصاباً وكتائب ، بكل مهند ذي رونق ، فدارت رحاها واستدارت رحاهم ، فبضرب يرتلب منه المبطون ، وأثم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان يسحتكم الله بنذاب من عنده أو

بأيمننا ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، يا أهل المدينة أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم ، إلا مشركا عابدا ونن أو كافرا أهل كتب ، أو إماما جائرا . يا أهل المدينة من زعم أن الله يكلف نفسا فوق طاقتها ، أو يسألها ما لم يؤتها ، فهو لله عدو ، وأنا له حرب . يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أمهم فرضها الله في كتابه على القوى والضعيف ، فجاء تاسع ليس له منها ولا سهم واحد ، فأخفها لنفسه ، مكابرا محاربا لربه ، يا أهل المدينة بلغني أنكم تفتقصون أصحابي قاتم شباب أحداث ، وأعراب جفلة أجلاف ، ويحكفم فهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابا أحداثا ، شبابا والله مكنهون في شبابهم ، غصة عن الشر أعينهم ، قيلة عن السعي في الباطل أقدامهم ، قد ياعوا لله أنسا تمت بأفئس لا تمت ، قد خالطوا كلامهم بكلامهم ، وقيام ليهم بصيام نهارهم ، منحنية أصلاهم على أجزاء القرآن ، كلاموا بأية خوف شهقوا خوفا من النار ، وإذا مروا بأية شوق شهقوا شوقا إلى الجنة . فلما نظروا إلى السيوف قد انتضيت ، وإلى الرماح قد شرعت ، وإلى السهام قد فوقت ، وارعدت الكتبية بصواعق الموت ، استخفوا والله وعيد الكتبية لوعيد الله في القرآن ، ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتبية ، فطوبى لهم وحسن مآب ، فكم من عين في مناقير الطيور طال ما طاشت في جوف الليل من خشية الله ، وطال ما بكت خالية من خوف الله ، وكم من يد زالت عن مفصلها طال ما ضربت في سبيل الله وجاهدت أعداء الله . وطال ما اعتمدتها صاحبها في طاعة الله . أقول قولي هذا وأستغفر الله من قصيري ، وما توفيقي إلا بالله .

ثم روى المدائني عن العباس عن هارون عن جده قال : كان أبو حمزة الخارجي قد أحسن السيرة في أهل المدينة قالوا إليه حتى مضموه [يقول] برح انظروا أين عن بابك نذهب [ثم قال] من زنا فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، فمن ذلك أبغضوه ورجعوا عن محبته . وأقام بالمدينة حتى يموت مروان الحمار عبد الملك بن محمد بن عطية أحد بني سعد في خيل أهل الشام أربعة آلاف ، قد انتخبها مروان من جيشه ، وأعطى كل رجل منهم مائة دينار وفرسا عربية ، وبغلا تلقه ، وأمره أن يقاتله ولا يرجع عنه ، ولو لم يلحقه إلا باليمن فليقبه إليها ، وليقاتل نائب صنعاء عبد الله بن يحيى . فسار ابن عطية حتى بلغ وادي القرى فلقاه أبو حمزة الخارجي فاصدا قتال مروان بالشام ، فاقفوا هناك إلى الليل ، وقال له : ويحك يا ابن عطية ! إن الله قد جعل الليل سكنا فأخر إلى غد ، فأبى عليه أن يلق عن قتاله ، فزال يقاتلهم حتى كسروهم فولوا ورجع فلمهم إلى المدينة ، فتهض إليهم أهل المدينة فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ودخل ابن عطية المدينة ، وقد انهزم جيش أبي حمزة عنها ، فيقال إنه أقام بها شهرا ثم استخلف عليها ، ثم استخلف على مكة وسار إلى اليمن فخرج إليه عبد الله ابن يحيى نائب صنعاء ، فاحتللا قتله ابن عطية ويمت برأسه إلى مروان وجاء كتاب مروان إليه

بأمره بإقامة الحج للناس في هذه السنة ، ويستجله في السير إلى مكة . فخرج من ضنءاء في اثني عشر راجا ، وترك جيشه بضنءاء ، ومعه خرج فيه أربعمائة دينار ، فلما كان يبيض الطريق نزل منزلا إذ أقبل إليه أميران يقال لهما ابنا جانة من سادات تلك الناحية ، قتالوا ويحكم أنتم لصوص . قال : أنا ابن عطية وهذا كتاب أمير المؤمنين إلى بأمره الحج ، فنحن نمجّل السير لنترك الموسم ، قتالوا : هذا باطل ، ثم حملوا عليهم قتلوا ابن عطية وأصحابه ولم يفلت منهم إلا رجل واحد ، وأخذوا ما معهم من المال .

قال أبو مشر : وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان ، وقد جعلت إليه إمرة المدينة ومكة والطائف ، وثائب المراق ابن هيرة ، وإمارة خراسان إلى نصر بن سيار ، غير أن أبا مسلم قد استحوذ على مدن وقرى كثيرة من خراسان ، وقد أرسل نهر إلى ابن هيرة يستمده بمشرة آلاف قبل أن لا يكفيه مائة ألف ، وكتب أيضا إلى مروان يستمده ، فكتب مروان إلى ابن هيرة يده بما أراد .

وعن توفي فيها من الأعيان شعيب بن الجحباب ، وعبد العزيز بن صهيب ، وعبد العزيز بن رفيع ، وكعب بن علقمة ، ومحمد بن المنكدر . والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة ﴾

في الحرم منها وجه قطيبة بن شبيب وله الحسن إلى قوميس لقتال نصر بن سيار ، وأردفه بالامداد ، فقام بعضهم إلى نصر وارتحل نصر قتل الرى ، فأقام بها يومين ثم مرض فسار منها إلى همدان . فلما كان بساوم قريبا من همدان توفي لمضى ثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة ، عن خمس وعشرين سنة . فلما مات نصر تمكن أبو مسلم وأصحابه من بلاد خراسان ، وقويت شوكتهم جدا ، وسار قطيبة من جرجان ، وقسم أماله زياد بن زرارة التشيرى ، وكان قد نعم على اتباع أبي مسلم ، فترك الجيش وأخذ جماعة معه وسلك طريق أصبهان ليأتى ابن ضبارة ، فبعث قطيبة وراه جيشا قتلوا عامة أصحابه ، وأقبل قطيبة وراه فقدم قومس وقد افتتحها ابنه الحسن فأقام بها ، وبعث ابنه بين يديه إلى الرى ثم ساق وراه فوجده قد افتتحها فأقام بها وكتب إلى أبي مسلم بذلك . وارتحل أبو مسلم من مرو قتل نيسابور واستفعل أمره ، وبعث قطيبة بعد دخوله الرى ابنه الحسن بين يديه إلى همدان ، فلما اقترب منها خرج منها مالك بن آدم وجماعة من أجناد الشام وخراسان ، قتلوا نهلولند ، فافتتح الحسن همدان ثم سار وراه إلى نهلولند ، وبعث إليه أبوه بالامداد فغاصرم حتى افتتحها .

وفي هذه السنة مات عمر بن ضبارة ، وكان سبب ذلك أن ابن هيرة كتب إليه أن يسير إلى

قحطبة وأمدد بالمساكر ، فسار ابن ضبارة حتى التقى مع قحطبة في عشرين ألفاً ، فلما تواجه الفريقان رقع قحطبة وأصحابه المصاحف ونادى المنادى : يا أهل الشام ، إنا ندعوك إلى مائى هذا المصحف ، فشمتموا المنادى وشمتموا قحطبة ، فأمر قحطبة أصحابه أن يحملوا عليهم ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزم أصحاب ابن ضبارة ، واتبهم أصحاب قحطبة قتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وقتلوا ابن ضبارة في المعسكر [لشجاعته فانه لم يول] وأخذوا من عسكرهم مالا يحد ولا يوصف .

وفىها حاصر قحطبة نهالوند حصاراً شديداً حتى سأله أهل الشام الذين بها أن يعمل أهلها حتى يفتحوا له الباب ، ففتحوا له الباب وأخذوا لهم منه أماناً ، فقال لهم من بهامن أهل خراسان : ما فعلتم ؟ فقالوا : أخذنا لنا ولكم أماناً ، نخرجوا ظانين أنهم في أمان ، فقال قحطبة للامراء الذين معه : كل من حصل عنده أسير من الخراسانيين فليضرب عنقه وليأخذ برأسه ، ففعلوا ذلك ولم يبق ممن كان حرب من أبى مسلم أحد ، وأطلق الشاميين وأوفى لهم عهدهم وأخذ عليهم الميثاق أن لا يعملوا عليه عدواً . ثم بسث قحطبة أباه عون إلى شهر زور ، عن أمر أبى مسلم في ثلاثين ألفاً فافتتحتها ، وقتل نائبها عثمان بن سفيان . وقيل لم يقتل بل تحول إلى الموصل والجزيرة وبسث إلى قحطبة بذلك ، ولما بلغ مروان خبر قحطبة وأبى مسلم وما وقع من أمرهما ، تحول مروان من حران فتزول بمكان يقال له الزاب الأكبر .

وفىها قصد قحطبة في جيش كثيف نائب المراق يزيد بن عمر بن هبيرة . فلما اقترب منه تقهر ابن هبيرة إلى ورائه ، وما زال يتقهقر إلى أن جاوز الفرات ، وجاء قحطبة فجازها ورائه ، وكان من أمرهما ما سنده ذكره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائة ﴾

في الحرم منها جاز قحطبة بن شبيب الفرات ومعه الجنود والفرسان ، وابن هبيرة مخيم على فم الفرات مما يلي القلوجة ، في خلق كثير وجم غفير ، وقد أمدد مروان بجنود كثيرة ، وانضاف إليه كل من انهزم من جيش ابن ضبارة . ثم إن قحطبة عدل إلى الكوفة ليأخذها ، فاتبه ابن هبيرة . فلما كانت ليلة الأربعاء بماء ثمان ماضين من الحرم اقتتلوا قتالاً شديداً وكثرت القتل في الفريقين ، ثم ولّى أهل الشام منهزمين واتبهم أهل خراسان ، وقد قحطبة من الناس فأخبرهم رجل أنه قتل وأوصى أن يكون أمير الناس من بعده ولده الحسن ، ولم يكن الحسن حاضراً ، فبايعوا حيد بن قحطبة لأخيه الحسن وذهب البريد إلى الحسن ليحضر . وقتل في هذه الليلة جماعة من الأمراء . والذي قتل قحطبة ممن ابن زائدة ، ويحيى بن حصين . وقيل بل قتل رجل ممن كان معه أخذاً بئار ابنى نصر بن سيار فآله أعلم . ووجد قحطبة في القتلى فدفن هناك ، وجاء الحسن بن قحطبة فسار نحو الكوفة ، وقد خرج بها

محمد بن خالد بن عبد الله القسري ودعا إلى بني العباس وسود ، وكان خروجه ليلة عاشوراء المحرم من هذه السنة ، وأخرج طاهيا من جهة ابن هبيرة ، وهو زياد بن صالح الحارثي ، وتحول محمد بن خالد إلى قصر الامارة قصده حوثة في عشرين ألفاً من جهة ابن هبيرة ، فلما اقترب من الكوفة أصحبل حوثة يذهبون إلى محمد بن خالد فيباليصونه لبني العباس ، فلما رأى حوثة ذلك ارتحل إلى واسط ، ويقال بل دخل الحسن بن قطبة الكوفة ، وكان قطبة قد جعل في وصيته أن تكون وزارة الخلافة إلى أبي سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع الكوفي الخليل ، وهو بالكوفة ، فلما قدموا عليه أشار أن ينهب الحسن بن قطبة في جماعة من الأمراء إلى قتال ابن هبيرة بواسط ، وأن ينهب أخوه حميد إلى المدائن ، وبث البعوث إلى كل جانب يفتحونها ، وفتحوا البصرة ، افتتحها مسلم بن قتيبة لابن هبيرة ، فلما قتل ابن هبيرة جاء أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي فأخذ البصرة لأبي مسلم الخراساني .

وفي هذه السنة ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر منها ، أخذت البيعة لأبي العباس السفاح ، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . قاله أبو معشر وهشام بن الكلبي . وقال الواقدي : في جمادى الأولى من هذه السنة فله أعلم .

﴿ ذكر مقتل إبراهيم بن محمد الامام ﴾

[أخى السفاح ، وهو القدي كانت الدعوة له ، أرسل أبا مسلم إلى بلاد خراسان ليدعو الناس إلى البيعة له كما تقدم ذلك] (١) .

قد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومائة أن مروان اطلع على كتاب من إبراهيم الامام إلى أبي مسلم الخراساني ، يأمره فيه بأن لا يبق أحداً بأرض خراسان ممن يشكلم بالريية إلا أباده ، فلما وقف مروان على ذلك سأل عن إبراهيم قليل له هو بالبقاء ، فككتب إلى نائب دمشق أن يحضره فبعث نائب دمشق بريداً ومعه صفته وفتنه ، فذهب الرسول فوجد أخاه أبا العباس السفاح ، فاعتقد أنه هو فأخذ قليل له : إنه ليس به ، وإنما هو أخوه ، فدل على إبراهيم فأخذه وذهب معه بأم ولد له كان يحبها ، وأوصى إلى أهله أن يكون الخليفة من بعده أخوه أبو العباس السفاح ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة ، فارتحلوا من يومهم إليها ، منهم أعمامه الستة وهم : عبد الله ، وداود ، وعيسى ، وصالح ، وإسماعيل ، وعبد الصمد ، بنوا علي ، وأخوه أبو العباس السفاح ، ومحمد ابنا محمد بن علي ، وابنه محمد وعبد الوهاب ابنا إبراهيم الامام المسوك ، وخلق سوام . فلما دخلوا الكوفة أنزلهم أبو سلمة الخليل دار الوليد بن سعد ، مولى بني هاشم ، وكنم أسرهم نحواً من أربعين ليلة من القواد . (١) زيادة من نسخة الأستاذة .

والأمراء ، ثم ارتحل بهم إلى موضع آخر ، ثم لم يزل ينقلهم من مكان إلى مكان حتى قطعت البلاد .
ثم يبيع السفاح . وأما إبراهيم بن محمد الامام فانه سير به إلى أمير المؤمنين في ذلك الزمان مروان
ابن محمد وهو بحران فحبسه ، وما زال في السجن إلى هذه السنة ، فأتت في صفر منها في السجن ، عن
ثمان وأربعين سنة . وقيل إنه غم بمرقة وضمت على وجهه حتى مات عن إحدى وخمسين سنة ،
وصلى عليه رجل يقال له بهلول بن صفوان ، وقيل إنه هدم عليه بيت حتى مات ، وقيل بل سقى
لبنا مسموماً فأت ، وقيل إن إبراهيم الامام شهد الموسم عام إحدى وثلاثين ، واشتهر أمره هناك لأنه
وقف في أبهة عظيمة ، ونجائب كثيرة ، وحرمة وافرة ، فأنهى أمره إلى مروان وقيل له : إن أبا مسلم
يدعو الناس إلى هذا ويسموه الخليفة ، فبعث إليه في الحرم من سنة ثنتين وثلاثين وقتله في صفر
من هذه السنة ، وهذا أصح مما تقدم : وقيل إنه إنما أخذه من الكوفة لامن حمية البلقاء فأنه أعلم .
وقد كان إبراهيم هذا كريماً جواداً له فضائل وقواضل ، وروى الحديث عن أبيه عن جده ،
وأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وعنه أخواه عبد الله السفاح ، وأبو جعفر عبد الله المنصور ،
وأبو سلمة عبد الرحمن بن مسلم الخراساني ، ومالك بن هاشم . ومن كلامه الحسن : الكامل المروءة
من أحرز دينه ، ووصل رحمه ، واجتنب ما يلام عليه .

﴿ خلافة أبي العباس السفاح ﴾

لما بلغ أهل الكوفة مقتل إبراهيم بن محمد ، أراد أبو سلمة الخللا أن يحول الخلافة إلى آل علي
ابن أبي طالب ، فغلبه بقية النقباء والأمراء ، وأحضروا أبا العباس السفاح وسلوا عليه بالخلافة ،
وذلك بالكوفة ، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة . وكان أول من سلم عليه بالخلافة أبو سلمة
الخللا ، وذلك ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة ، فلما كان وقت
صلاة الجمعة خرج السفاح على بردون أبلق ، والجنود مليئة معه ، حتى دخل دار الامارة ، ثم خرج
إلى المسجد الجامع وصلى بالناس ، ثم صعد المنبر وبأيمه الناس وهو على المنبر في أعلاه ، وعنه داود
ابن علي واقف دونه بثلاث دوج ، وتكلم السفاح ، وكان أول ما نطق به أن قال : الحمد لله الذي
اصطفى الاسلام لنفسه ديناً ، وكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا ، وأيده بنا ، وجعلنا أهل وكهنة
والقوام به واقداين عنه والناصرين له ، وأزمتنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، خصنا برحم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرباته ، ووضنا بالاسلام وأهل في الموضع الرفيع ، وأنزل بفضلك على
أهل الاسلام كتاباً يتلى عليهم . قال تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً) وقال (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) وقال : (وأنذر عشيرتلك

الآخرين) وقال: (ما أظن الله على رسوله من أهل القرى فله والرسول ولدى القرى واليتامى والمساكين)
 الآية . فأعلمهم عز وجل فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا ، وأجزل من النى والغنيمة نصيبنا
 تكمة لنا ، وفضلنا علينا ، والله ذو الفضل العظيم . وزعمت السبابة الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة
 والسياسة والخلافة منا ، فشاعت وجوههم . أيها الناس بنا هدى الله الناس بعد ضلالهم ، ونصرهم
 بعد جهالتهم ، وأهزمهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان
 فاسداً ، ورفع بنا الخسيسة ، وأتمم النقيصة وجمع الفرقة ، حتى عاد الناس بعد المداوة أهل قاطف
 وبر ومواساة في دنياهم ، وإخوانا على سرر متقابلين في أخراهم ، فتح الله علينا ذك منة ومنحة
 محمد ﷺ ، فلما قبضه إليه قام بذلك الأمر بعده أصحابه ، وأمرهم شورى بينهم ، فغزوا مواريث
 الأمم ففدوا فيها ، ووضوها مواضعها ، وأعطوها أهلها ، وخرجوا تحاصفا منها . ثم وثب بنو حرب
 ومروان فابتزوها لأنفسهم ، وتداولوها . فجاروا فيها واستأثروا بها ، وظلموا أهلها ، فألمى الله لهم
 حيناً (فلما آسفونا انتقمنا منهم) فانزع منهم ما بأيديهم بأيدينا ، ورد الله علينا حقنا ، وتدارك بنا
 أمثنا ، وتولى أمرنا والقيام بنصرنا لئلا ينزاع بنا على الذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا ،
 وإني لأرجو [أن] لا يأتكم الجور من حيث جاءكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما
 توفيقنا أهل البيت إلا بالله . يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ، وأنتم أصدق الناس بنا
 وأكرمهم علينا ، وقد زدتم في أعطياتكم مائة درهم ، فاستمدوا فاما السفاح الهائج والثائر المبير . وكان
 به وطك فاشتد عليه حتى جلس على المنبر ونهض عنه داود فقال : الحمد لله شكر آ الذي أهلك عدونا
 وأصار إلينا ميراثنا من بيتنا . أيها الناس الآن اهتشت حنادس الظلمات وانكشف غطاؤها ،
 وأشرقت أرضها وسماؤها ، فطلعت شمس الخلافة من مطلعها ، ورجع الحق إلى نصابه ، إلى أهل نبيكم
 أهل الرأفة والرحمة والمطف عليهم ، أيها الناس إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لنكذب لينا ولا عقيانا
 ولا لنصرف نهراً ولا لنبنى قصراً ولا لنجمع ذخبا ولا فضة ، وإنما أخرجنا الأمانة من انتزاع حقنا
 والغضب لبني عمناء ولسوء سيرة بني أمية فيكم ، واستغلامكم لكم ، واستئثارهم ببيتكم وصدقاتكم ،
 فلکم علينا ذمة الله وذمة رسوله وذمة المباس ، أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل بكتاب الله ،
 ونسير في العلة والخلاصة بسيرة رسول الله ، تبا تبا لبني أمية وبني مروان ، آكروا العاجلة على
 الآجلة ، والهار الفانية على الهار الباقية ، فركبوا الاكمام وظلموا الأتام ، وارتكبوا المحارم ، وغشوا
 الجرائم ، وجاروا في سيرتهم في البلاد ، وسنهم في البلاد التي بها استقلوا تسربل الأوزار ، وتجللب
 الأصار ، ومرحوا في أعتة الملقى ، وركضوا في ميادين النى ، جهلا منهم باستدراج الله ، وعميا عن
 أخذ الله . وأما المسكر الله ، فأقام بأس الله بيانا وهم نائمون ، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق ،

فبعدا لهم الظالمين . وأدان الله من مروان ، وقد غره بالله التور ، أرسل عدو الله في عنائه حتى عثر جواده في فضل خطمه ، أظن عدو الله أن لن يقدر عليه أحد ؟ فنادى حزبه وجمع جنده ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته من مكر الله وبأسه وقمته ما أمات باطله ، وبحق خلاه ، وأحل دائرة السوء به ، وأحاط به خطيئته ، ورد إلينا حقنا وآوانا . أيها الناس ! إن أمير المؤمنين نصره الله نصر آ عز يزأ ، إنما عاد إلى المنبر بعد صلاة الجمعة لأنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استقام الكلام شدة الوعك ، فادعوا الله لأمر المؤمنين بالمعافاة ، قد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن ، وخليفة الشيطان ، المتبع للسفلة الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . المتوكل على الله المقتدى بالأبرار الأخيار الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمالك الحدي ، ومناهج التقى . قال فصح الناس له بالعداء ثم قال : واعلموا يا أهل الكوفة أنه لم يصعد منبركم هنا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا . وأشار يده إلى السفاح . واعلموا أن هذا الأمر قينا ليس بخارج عنا ، حق نسله إلى عيسى بن مريم عليه السلام ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا . ثم نزل أبو العباس وداود حتى دخلا القصر . ثم دخل الناس ييايعون إلى العصر ، ثم من بعد العصر إلى الليل . ثم إن أبا العباس خرج فسكرك بظاهر الكوفة واستخلف عليها عمه داود ، وبث عمه عبد الله ابن علي إلى أبي عون بن أبي يزيد ، وبث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قطيبة . وهو يومئذ بواسط بمحاصر ابن هبيرة ، وبث بجي بن [جعفر بن] تمام بن العباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن ، وبث أبا البقطان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بالأنهار ، وبث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف . وأقام هو بالسكر أشهراً ، ثم ارتحل فقتل المدينة الهاشمية في قصر الامارة ، وقد تنكر لأبي سلمة الخلال ، وذلك لما كان بلغه عنه من المدول بالخلافة عن ابن العباس إلى آل علي بن أبي طالب والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ذكر مقتل مروان بن محمد بن مروان ﴾

آخر خلفاء بني أمية ، وتحول الخلافة إلى بني العباس مأخوذ من قوله تعالى (والله يؤتي ملكه من يشاء) وقوله (قل اللهم مالك الملك) الآية . وقد ذكرنا أن مروان لما بلغه خبر أبي مسلم وأتباعه وما جرى بأرض خراسان ، تحول من حران فقتل على نهر قريب من الموصل ، يقال له الزاب من أرض الجزيرة ثم لما بلغه أن السفاح قد برع له بالكوفة والتفت عليه الجنود ، واجتمع له أمره ، شق عليه جداً ، وجمع جنوده فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد في جيش كثيف وهو أحد أمراء السفاح ، فزاله على الزاب وجاءته الأمداد من جهة السفاح ، ثم نصب السفاح الناس من يلى القتال من أهل

بيته ، فأتدب له عبد الله بن علي فقال : سر على بركة الله ، فسار في جنود كثيرة قدم على أبي عون فتحول له أبو عون عن مرادقه وخلاه وما فيه ، وجعل عبد الله بن علي على شرطته حياش ابن حبيب الطائي ، ونصير بن المختز ، ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلا على اليريد إلى عبد الله بن علي يحثه على مناجزة مروان ، والمباذرة إلى قتاله وتزاه قبل أن تحدث أمور ، وتبرد نيران الحرب . فتقدم عبد الله بن علي بمجنوده حتى واجه جيش مروان ، ونمض مروان في جنوده وتصاف الفريقان في أول النهار ، ويقال إنه كان مع مروان يومئذ مائة ألف وخمسون ألفا ، ويقال مائة وعشرون ألفا ، وكان عبد الله بن علي في عشرين ألفا . فقال مروان لمبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز : إن زالت الشمس يومئذ ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى بن مرزم ، وإما قاتلونا قبل الزوال قاتلنا الله وإنا إليه راجعون . ثم أرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله المواجهة ، فقال عبد الله : كذب ابن زريق ، لا تزول الشمس حتى أوطئه الخليل إن شاء الله ، وكان ذلك يوم السبت لأحدى عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة ، فقال مروان : فتوا لا تبتدئوا بقتال ، وجعل ينظر إلى الشمس تغالغه الوليد بن معاوية بن مروان - وهو ختم مروان على ابنته - فحمل ، فغضب مروان فشنه قاتل أهل الميمنة فأمحاز أبو عون إلى عبد الله بن علي ، فقاتل موسى بن كعب لمبد الله بن علي ، فأمر الناس فقتلوا ونودي الأرض الأرض ، فقتلوا وأشروعوا الرماح وجثوا على الركب وقاتلهم ، وجعل أهل الشام يتأخرون كأنما يذفون ، وجعل عبد الله يمشى قدما ، وجعل يقول : يارب حتى متى قتل فيك ، ونادى : يا أهل خراسان ، يا إشارات إبراهيم الامام ، يا محمد يا منصور ، واشتد القتال جدا بين الناس ، فلا تسمع إلا وفاقا كالرأب على النحاس ، فأرسل مروان إلى قضاة يأمرهم بالتزول فقالوا : قل لبني سليم فليزولوا ، وأرسل إلى السكاسك أن احملوا فقالوا : قل لبني عمر أن يحملوا ، فأرسل إلى السكون أن احملوا فقالوا : قل إلى غطفان فليحملوا . فقال لصاحب شرطته : انزل قتال لا والله لا أجعل غنى غرضا . قال : أما والله لأسوءك . قال : وددت والله لو قدرت على ذلك .

وقال : إنه قال ذلك لابن هيرة . قالوا : ثم انهزم أهل الشام وأتبعهم أهل خراسان في أدبارهم يقتلون ويأسرون ، وكان من غرق من أهل الشام أكثر ممن قتل وكان في جملة من غرق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلع ، وقد أمر عبد الله بن علي بعقد الجسر ، واستخراج من غرق في الماء ، وجعل ينلو قوله تعالى (وإذا فرقتا بكم البحر فاجيئناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وأقام عبد الله ابن علي في موضع المعركة سبعة أيام ، وقد قال رجل من ولد سميد بن المعاصي في مروان وفراره يومئذ :
لج الفرار بمروان قتلت له * عاد الظلم ظليما هم الهرب

أين الفرار وترك الملك إذ ذهب • عنك المورث فلا دين ولا حسب

فراشة الحلم فرعون العقاب وإن • تطلب نداء فكلب دونه كلب

واجتاز عبد الله فاني مسكر مروان من الأموال والائمة والحواصل ، ولم يجد فيه امرأة سوى جارية كانت لعبد الله بن مروان ، وكتب إلى أبي العباس السفاح بما فتح الله عليه من النصر ، وما حصل لهم من الأموال . فصل السفاح وكتبين شكراً لله عز وجل ، وأطلق لكل من حضر الوقعة خمسمائة خمسةائة ، ورفع في أرزاقهم إلى ثمانين ، وجعل ينلو قوله (فلما فصل طالوت بالجنود) الآية

(حصة مقتل مروان)

لما انهزم مروان سار لا يولى على أحد ، فأقام عبد الله بن علي في مقام المعركة سبعة أيام ، ثم سار خلفه بن معه من الجنود ، وذلك عن أمر السفاح له بذلك ، فلما مر مروان بحران اجتازها وأخرج أبا محمد السفياقي من سجنه ، واستخلف عليها أبان بن يزيد . وهو ابن أخته ، وزوج ابنته أم عثمان . فلما قدم عبد الله على حران خرج إليه أبان بن يزيد مسوفاً فأمنه عبد الله بن علي وأقره على عمله ، وهدم الدار التي سجن فيها إبراهيم الامام ، واجتاز مروان قفسرين فأصداً حصص ، فلما جاءها خرج إليه أهلها بالأسواق والمنايش ، فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم شخص منها ، فلما رأى أهل حصص قلة من معه اتبعوه ليقتلوه ونهبوا ماله ، وقالوا : مرعوب مهزوم ، فأدركوه براد عند حصص فأكن لهم أمير بن ، فلما تلاحقوا بمروان عطف عليهم فنشدهم أن يرجعوا فأبوا إلا مقاتلته ، فنار القتال بينهم وفار الكينان من ورأيهم ، فانهزم الحصيون ، وجاء مروان إلى دمشق وعلى ثيابها من جبهته زوج ابنته الوليد ابن معاوية بن مروان ، فتركها بها واجتاز عنها فأصداً إلى القلعة المصرية ، وجعل عبد الله بن علي لا يمر ببلا وقد سودوا فيبايمونه ويطلبهم الأمان ، ولما وصل إلى قفسرين وصل إليه أخوه عبد الصمد ابن علي في أربعة آلاف ، قد بشم السفاح مدحاً له ، ثم سار عبد الله حتى أتى حصص ، ثم سار منها إلى بلبيك ، ثم منها حتى أتى دمشق من ناحية المزة قتل بها يومين أو ثلاثة ، ثم وصل إليه أخوه صالح ابن علي في ثمانية آلاف مدداً من السفاح ، قتل صالح بمرج عنراء ، ولما جاء عبد الله بن علي دمشق نزل على الباب الشرقي ، ونزل صالح أخوه على باب الجابية ونزل أبو عون على باب كيسان ، ونزل بسام على الباب الصغير ، وحيد بن قحطبة على باب توما ، وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب التراويس ، فحاصرها أياماً ثم افتتحها يوم الأربعاء لمشرخلون من رمضان هذه السنة ، قتل من أهلها خلقاً كثيراً وأباحها ثلاث ساعات ، وهدم سورها ، ويقال إن أهل دمشق لما حصرهم عبد الله اختلغوا فيما بينهم ، ما بين عباسي وأموي ، فقتلوا قتل بعضهم بعضاً ، وقتلوا فائهم ثم سلموا البلد ، وكان أول من صعد السور من ناحية الباب الشرقي رجل يقال له عبد الله الطائي ، ومن

لاحية الباب الصغير بسام بن إبراهيم ، ثم أبيض دمشق ثلاث ساعات حتى قيل إنه قتل بها في هذه المدة نحواً من خمسين ألفاً .

[وذكر ابن عساكر في ترجمة عبيد بن الحسن الأعرج من ولد جعفر بن أبي طالب ، وكان أميراً على خمسة آلاف مع عبد الله بن علي في حصار دمشق ، أنهم أطاموا محاصر بها خمسة أشهر ، وقيل مائة يوم ، وقيل شهراً ونصفاً ، وأن البلد كان قد حصنه نائب مروان نحصيناً عظيماً ، ولكن اختلف أهلها فيما بينهم بسبب الجمانية والمضرية ، وكان ذلك سبب الفتنح ، حتى إنهم جعلوا في كل مسجد محرابين لقبيلتين حتى في المسجد الجامع منبرين ، وإمامين يحطبان يوم الجمعة على المنبرين ، وهذا من عجيب ما وقع ، وغريب ما احدث ، وفضيع ما أحدث بسبب الفتنة والحوى والمصيبة ، نسأل الله السلامة والعافية . وقد بسط ذلك ابن عساكر في هذه الترجمة المذكورة ، وذكر في ترجمة محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال : كنت مع عبد الله بن علي أول ما دخل دمشق ، دخلها بالسيف ، وأباح القتل فيها ثلاث ساعات ، وجعل جامعها سبعين يوماً أسطبلًا لقوابه وجاله ، ثم نبش قبور بني أمية فلم يجد في قبر معاوية إلا خيطاً أسود مثل الحباء ، ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجد جحمة ، وكان يجد في القبر المصوب بعد المصوب ، إلا هشام بن عبد الملك فانه وجده صحيحاً لم يبل منه غير أربعة أظفار ، فضر به بالسياط وهو ميت وصلبه أليماً ثم أحرقه ودق رماده ثم ذره في الريح ، وذلك أن هشاماً كان قد ضرب أخاه محمد بن علي ، حين كان قد اتهم بقتل ولده الصغير ، سبائاً سوط ، ثم فناه إلى الحمية بالبلقاء . قال : ثم تتبع عبد الله بن علي بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم ، قتل منهم في يوم واحد اثنين وقسمين ألفاً عند نهر بالرملة ، و بسط عليهم الأنطاغ ومد عليهم سباطاً فأكل وهم يختلجون تحته ، وهذا من الجبروت والظلم الذي يجازيه الله عليه ، وقد مضى ولم يدع له ما أراداه ورجاه ، كما سيأتي في ترجمته . وأرسل امرأة هشام بن عبد الملك وهي عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية صاحبة الخلال ، مع نفر من الخراسانية إلى البرية ماشية حافية حاضرة عن وجهها وجسدها عن ثيابها ثم قتلوها . ثم أحرق ما وجده من عظم ميت منهم . وأطام بها عبد الله خمسة عشر يوماً ^(١)]

وقد استدعى بالأوزاعي فأوقف بين يديه فقال له : يا أبا عمرو ما تقول في هذا الذي صنعناه ؟ قال قتلت له : لا أدري ، غير أنه قد حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » فذكر الحديث . قال الأوزاعي : وانتظرت رأسي أن يسقط بين رجلي ثم أخرجت ، وبثت إلى بمائة دينار . ثم سار (١) سقط من المصرية .

وراء مروان فزول على نهر الكسوة ووجه يحيى بن جعفر الهاشمي قائبا على دمشق ، ثم سار قتل مرج الروم ، ثم أتى نهر أبي قطرس فوجد مروان قد هرب فستل مصر ، وجاءه كتاب السفاح : أبعث صالح بن علي في طلب مروان وأتم أنت بالشام قائبا عليها ، فسار صالح يطلب مروان في ذى القعدة من هذه السنة ، ومعه أبو عمرو وعمر بن إسماعيل ، فزول على ساحل البحر وجمع ما هناك من السفن وبلغه أن مروان قد نزل الفرما ، وقيل القيوم ، فجعل يسير على الساحل والسفن تقاد معه في البحر حتى أتى العريش ، ثم سار حتى نزل على النيل ثم سار إلى الصعيد ، فمصر مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله من الملف والطعام ، ومضى صالح في طلبه . فالتقى بجيول مروان فبرزهم ، ثم جعل كلما التفتوا مع خيول مروان يهزموهم حتى سألوا بعض من أسروا عن مروان فسلم عليه ، وإذا به في كنيسة أبو صير ، فوافوه من آخر الليل فانهزم من معه من الجند وخرج إليهم مروان في فرس يسير معه فأحاطوا به حتى قتله ، طمته رجل من أهل البصرة يقال له مود ، ولا يعرفه حتى قال رجل صرع أمير المؤمنين . فابتدره رجل من أهل الكوفة كان يبيع الزمان فاحترق رأسه ، فبعث به عامر بن إسماعيل أمير هذه السرية إلى أبي عون ، فبعث به أبو عون إلى صالح بن علي ، فبعث به صالح مع رجل يقال له خزيمعة بن يزيد بن هاشم كان على شرطته ، لأمر المؤمنين السفاح .

وكان مقتل مروان يوم الأحد ثلاث بقين من ذى الحجة ، وقيل يوم الخميس لست مضين منها سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام على المشهور ، واختلّفوا في سنة قبيل أربعين سنة ، وقيل ست وقيل ثمان وخمسون سنة ، وقيل ستون وقيل اثنتان وقيل ثلاث وقيل تسع وستون سنة ، وقيل ثمانون والله أعلم .

ثم إن صالح بن علي سار إلى الشام واستخلف على مصر أبا عون بن أبي يزيد والله سبحانه أعلم .

﴿ وهذا شيء من ترجمة مروان الحمار ﴾

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، القرشي الأموي ، أبو عبد الملك أمير المؤمنين آخر خلفاء بني أمية ، وأمه أمة كردية يقال لها لبابة ، وكانت لابراهيم بن الأشتر النخعي ، أخذها محمد بن مروان يوم قتله فاستولدها مروان هذا ، ويقال إنها كانت أولا لمصعب بن الزبير ، وقد كانت دار مروان هذا في سوق الأكافين ، قاله ابن عساكر . بويح له بالخلافة بعد قتل الوليد بن يزيد ، وبعد موت يزيد بن الوليد ، ثم قدم دمشق وخلع إبراهيم بن الوليد ، واستمر له الأمر في نصف صفر سنة سبع وعشرين ومائة . وقال أبو معشر : بويح له بالخلافة في ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائة ، وكان يقال له مروان الجمدي ، نسبة إلى رأى الجمدة بن درهم ، وتلقب بالحمار ، وهو آخر من ملك من بني أمية ، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وقيل

خمس سنين وشهراً ، وبقى بعد أن بيع للسفاح تسعة أشهر ، وكان أبيض مشرباً حمره ، أزرق العينين ، كبير الحية ، ضخيم الهامة ، ربة ، ولم يكن يختضب . ولله هشام نيابة أخو ييجان وأرمينية والجزيرة ، في سنة أربع عشرة ومائة ، فتفتح بلاداً كثيرة وحصوناً متعددة في سنين كثيرة ، وكان لا يغارق الغزو في سبيل الله ، وقاتل طواغيت من الناس الكفار ومن الترك والخرز واللان وغيرهم ، فكسروهم وقهرهم ، وقد كان شجاعاً بطلاً مقداماً حازم الراي ، لولا أن جنده خذلوه بتقدير الله عز وجل لما له في ذلك من حكمة سلب الخلافة لشجاعته وصرامته . ولكن من يخذل الله يخذل ، ومن يهين الله فله من مكرم .

قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله : كان بنو أمية يرون أنه تنهب منهم الخلافة إذا وليها من أمه أمة ، فلما وليها مروان هذا أخذت منهم في سنة ثنتين وثلاثين ومائة . وقد قال الحافظ ابن عساكر : أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسين أخبرنا سهل بن بشر أنبا الخليل ابن هبة الله بن الخليل أنبا عبد الوهاب الكلبي حدثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين أنبا العباس ابن الوليد بن صبح ثنا عباس بن يحيى أبو الحارث حدثني الهيثم بن حميد حدثني راشد بن داود عن أسماء عن ثوبان قال . قال رسول الله ﷺ : « لا تزال الخلافة في بني أمية يتلقونها تلقف النملان الكرة ، فإذا خرجت من أبيهم فلا خير في عيش » . هكذا أورد ابن عساكر وهو منكسر جداً ، وقد سأل الرشيد أبا بكر بن عيش : من خير الخلفاء نحن أو بنو أمية ؟ فقال : هم كانوا أنفع للناس ، وأنتم أقوم للصلاة ، فأعطاه سنة آلاف . قالوا وقد كان مروان هذا كثير المروءة كثير المعجب ، يسجبه الهوى والطرب ، ولكنه كان يشتغل عن ذلك بالحرب .

قال ابن عساكر : قرأت بخط أبي الحسين علي بن مقلد بن نصر بن منقذ بن الأمير في مجموع له : كتب مروان بن محمد إلى جارية له تركها بالرملة عند ذهابه إلى مصر منهزماً :

وما زال يدعوني إلى الصبر ما أرى • فأبى ويدنيني الذي لك في صدري
وكان عزيزاً أن تبتقي وبيننا • حجاب قد أسيت مني على عشر
وأنكاهما والله لقلب فأعلى • إذا زدت مثلها فصرت على شهر
وأعظم من هذين والله أننى • أخلف يان لانتقي آخر الدهر
سأبكيك لاستقبيا فيض عبرة • ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

وقال بعضهم : اجتاز مروان وهو هارب برأب فاطم عليه الأهاب فلم عليه فقال له : يراهب هل عندك علم بالزمان ؟ قال : نعم ! عندي من تلونه ألوان . قال : هل تبلغ الدنيا من الإنسان أن تجعله مملوكاً ؟ بعد أن كان مالكا ؟ قال : نعم ! قال : فكيف ؟ قال : يحبه لها وحرصه على نيل شهواتها

في ليلة القدر) السورة إلى قوله (خير من ألف شهر) مملكة بنى أمية . قال : فحبسنا ذلك فإذا هو كما قال لا يزيد ولا ينقص . وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وحقه يحيى القطان وابن ممدى . قال : وشيخه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن ، رجل مجهور ، ولا يعرف هنا بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه . وأخرجه الحاكم في مستدرکه من حديث القاسم بن الفضل الحداني ، وقد تكلمت على نكارة هذا الحديث في التفسير بكلام مبسوط ، وإتعا يكون متجها إذا قيل إن دولتهم ألف شهر بأن نقط منها أيام ابن الزبير ، وذلك أن معاوية يبيع له مستقلا بالملك في سنة أربعين ، وهي عام الجماعة حين سلم إليه الحسن بن علي الأمر بعد ستة أشهر من قتل علي ، ثم زالت الخلافة عن بنى أمية في هذه السنة ، وهي سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وذلك ثنتان وتسعون سنة ، وإذا أسقط منها تسع سنين خلافة ابن الزبير بقي ثلاث وثمانون سنة ، وهي مباحنة لما ورد في هذا الحديث ، ولكن ليس هذا الحديث مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، أنه فسر هذه الآية بهذا المدد ، وإتعا هنا من قول بعض الرواة ، وقد تكلمنا على ذلك مطولاً في التفسير ، وتقدم في الدلائل أيضاً تقريره والله أعلم .

وقال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن سفیان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت بنى أمية يصعدون منبري فشق ذلك علي فأنزلت : إنا أنزلناه في ليلة القدر » فيه ضعف وإرسال . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا يحيى بن معين ثنا عبد الله بن حمير عن سفیان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب في قوله (وما جئناك إلا أنزلناه في ليلة القدر) : قال : رأيت ناساً من بنى أمية على المنابر فساء ذلك ، فقيل له : إتماماً دنيا يطمونها وتضمحل عن قليل فسرى عنه . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع قال : لما أسرى رسول الله ﷺ رأى فلاناً وهو من بعض بنى أمية على المنبر يخطب الناس فشق ذلك عليه فأنزل الله (وإن أدرى لمنه فتنة لكم ومتاع إلى حين) وقال مالك بن دينار : سمعت أبا الجوزاء يقول والله كبرن الله ملك بنى أمية كما أعز ملك من كان قبلهم ، ثم لينن ملكهم كما أذل ملك من كان قبلهم ، ثم تلا قوله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس) . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم بن سعيد ثنا أبو أسامة ثنا عمر بن حمزة أخبرني عمر بن سيف مولى لعثمان بن عفان قال سمعت سعيد بن المسيب وهو يقول لأبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة - وذكروا بنى أمية - فقال : لا يكون هلاكهم إلا بينهم . قالوا كيف ؟ قال : هلاك خلفائهم وبيع شرارهم فيتنافسوها ، ثم يكثر الناس عليهم فيهلكونهم . وقال يعقوب بن سفیان : أنبأ أحمد بن محمد الأزرق ثنا الزنجعي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت في النوم بنى أبي

الحكم أو بنى أبي العاص يتزرون على منبرى كما تنزرو القردة : قال فاروى رسول الله ﷺ مستجيماً ضاحكاً بعدها حتى توفى . قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارنى [له الدارنى] : حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا سعيد بن زيد - أخرجه حماد بن زيد - عن علي بن الحكم البنائى عن أبي الحسن هو الحمصى عن عمرو بن مرة - وكانت له محبة - قال : جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن على رسول الله ﷺ فصرف كلامه فقال : « اتقوا له صبت عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل مأم ، يشرفون فى الدنيا ويوضعون فى الآخرة ، ذوو دهاء وخديعة ، يدطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق » .

وقال أبو بكر الخطيب البغدادى : أنبأ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد أنبأ محمد بن المظفر الحافظ أنبأ أبو القاسم تمام بن خريم بن محمد بن مروان الدمشقى أنبأ أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملباس ثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد [مولى أم الحكم بنت عبد العزيز ، حدثنا يزيد] ^(١) بن ربيعة حدثنا أبو الأشعث الصنعائى عن ثوبان قال : « كان رسول الله ﷺ قائماً وارضاً رأسه على نخذ أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فحبب ثم تبسم ، فقالوا : يا رسول الله رأيناك نحببت ثم تبسمت ، فقال : رأيت بنى أمية يتماورون على منبرى فسألت ذلك ، ثم رأيت بنى العباس يتماورون على منبرى فسررت ذلك » . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى محمد بن خالد بن العباس ثنا الوليد بن مسلم حدثنى أبو عبد الله عن الوليد بن هشام المصيطى عن أبان بن الوليد عن عقبة بن أبى معيط . قال : قدم ابن عباس على معاوية وأنا حاضر فأجازه فأحسن جائزته ، ثم قال : يا أبا العباس ! هل يكون لكم دولة ؟ قال : اعفنى يا أمير المؤمنين ، قال : لتخبرنى ، قال نعم ! قال فن أنصارك ؟ قال : أهل خراسان . ولبنى أمية من بنى هاشم فطلعت .

وقال المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير : سمعت ابن عباس يقول : يكون منا ثلاثة أهل البيت السفاح ، والمنصور ، والمهدى . رواه البيهقى من غير وجه ، ورواه الأعمش عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعاً . وروى ابن أبى خيثمة عن ابن معين عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبى معبد عن ابن عباس قال : كما افتتح الله بأولنا فأرجو أن يحتمة بنا . وهذا إسناد صحيح إليه ، وكذا وقع ويقع للمهدى إن شاء الله . وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبى معاوية عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد . قال قال رسول الله ﷺ : « يخرج رجل من أهل بيتى عند اقطاع من الزمان وظهور من الفتن ، يقال له السفاح ، يعطى المال حشواً » . وقال عبد الرزاق : حدثنا الثورى عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أبى أسباط عن ثوبان قال قال رسول

الله ﷺ: « يقتل عند حرتكم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة لا تصير إلى واحد منهم ، ثم قيل الرايات من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم ير مثلها . ثم ذكر شيئاً فإذا كان كذلك فأقوه ولو جئوا على التلج ، فانه خليفة الله المهدي . » ورواه بعضهم عن ثوبان فوجهه وهو أشبه والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثني يحيى بن غيلان وقتيبة بن سعيد قالا : ثنا راشد بن سعد حدثني يونس ابن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة هو ابن ذؤيب عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يخرج من خراسان رايات سود لا بردها شيء حتى تنصب بإيليا » . وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث راشد بن سعد المصري . وهو ضعيف . ثم قال : قد روى قريباً من هذا عن كعب الأخبار وهو أشبه . ثم رواه عن كعب أيضاً قال : « تظهر رايات سود لبني العباس حتى يزلوا الشام ، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم » . وروى إبراهيم بن الحسين عن ابن أبي أويس عن ابن أبي ذؤيب عن محمد بن عبد الرحمن العمري عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة . أن رسول الله ﷺ قال للعباس : « فيكم النبوة وفيكم المملكة » . وروى عبد الله بن أحمد عن ابن معين عن عبيد بن أبي قرة عن الليث عن أبي قبيل عن أبي ميسرة مولى العباس قال سمعت العباس يقول : كنت عند رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال : « انظر هل ترى في السماء من شيء ؟ قلت : نعم قال : ما ترى ؟ قلت : الثريا ، قال : أما إنه سيملك هذه الأمة بعدن من صلبك » . قال البخاري : عبيد بن أبي قرة لا يتابع على حديثه . وروى ابن عدى من طريق سويد بن سعيد عن حجاج بن تميم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : « مرت برسول الله ﷺ ومعه جبريل وأنا أظنه دحية الكلبي ، فقال جبريل لرسول الله ﷺ : إنه لوسخ الثياب ، وسيلبس ولده من بعده السواد » . وهذا منكر من هذا الوجه ، ولا شك أن بني العباس كان السواد من شعارهم ، أخذوا ذلك من دخول رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء ، فأخذوا بذلك وجعلوه شعارهم في الأعياد والجمع والمخاض . وكذلك كان جندهم لا بد أن يكون على أحدهم شيء من السواد ، ومن ذلك الشرابوش الذي يلبسه الأمراء إذا خلع عليهم . وكذلك دخل عبد الله بن علي دمشق يوم دخلها وعليه السواد ، فجعل النساء والفلان يمجون من لباسه ، وكان دخوله من باب كيسان . وقد خطب الناس يوم الجمعة وصلى بهم وعليه السواد . وقد روى ابن عساكر عن بعض الخراسانية قال : لما صلى عبد الله بن علي بالناس يوم الجمعة صلى إلى جانبي رجل فقال : الله أكبر ، سبعاثك اللهم وبمحمد وتبارك اسمك وتعالى جددك ولا إله غيرك ، أنظر وا إلى عبد الله بن علي ما أقيح وجهه وأشنع سواده ؟ ! وشعارهم إلى يومك هذا كما تراه على الخطباء يوم الجمعة والأعياد .

(ذكر استقرار أبي العباس السفاح)

وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

واستقلاله بالخلافة وما اعتمد في أيامه من السيرة الحسنة

قد تقدم أنه أول ما ربيع له بالخلافة بالكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر ، وقيل الأول من هذه السنة ، سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ثم جرد الجيوش إلى مروان فطرديه عن المملكة وأجلوه عنها ، وما زالوا خلفه حتى قتلوه ببوسير من بلاد الصعيد ، بأرض مصر ، في العشر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة على ما تقدم بيانه ، وحينئذ استقل السفاح بالخلافة واستقرت يده على بلاد العراق وخراسان والحجاز والشام والجزيرة المصرية ، خلا بلاد الأندلس ، فإنه لم يحكم عليها ولا وصل سلطانه إليها ، وذلك أن بعض من دخلها من بني أمية استحوذ عليها وملكمها كما سيأتي بيانه . وقد خرج على السفاح في هذه السنة طوائف ، فتمهم أهل قنسرين بعد ما بايعوه على يدي عمه عبد الله بن علي وأقر عليهم أميرهم مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي ، وكان من أصحاب مروان وأمرائه ، فغلب السفاح ولبس البياض ، وحمل أهل البلد على ذلك فواقوه ، وكان السفاح يومئذ بالحيرة ، وعبد الله بن علي مشغول باللقاء يقاتل بها حبيب بن مرة المزني ومن واقفه من أهل البلقاء والبقنية وحواران على خلع السفاح ، فلما بلغه عن أهل قنسرين ما قالوا صالح حبيب بن مرة وسار نحو قنسرين ، فلما اجتاز بدمشق - وكان بها أهل وقفه - استخلف عليها أبا غانم عبد الحميد بن ربي الكنكاني في أربعة آلاف ، فلما جاوز البلد وأنهى إلى حصص ، نهض أهل دمشق مع رجل يقال له عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه فغلبوا السفاح وبيضوا وقتلوا الأمير أبا غانم وقتلوا جماعة من أصحابه وأنهبوا قتل عبد الله بن علي وحواصله ، ولم يترضوا لأهله . وتفاقم الأمر على عبد الله وذلك أن أهل قنسرين ترأسوا مع أهل حصص ووزيروا واجتمعوا على أبي محمد السفياقي ، وهو أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فبايعوه بالخلافة وقام معه نحو من أربعين ألفاً قصدوا عبد الله بن علي فالتقوا بمرج الأخرم ، فالتقوا مع مقدمة السفياقي وعليها أبو الورد فالتقوا قتالا شديداً وهزموا عبد الصمد وقتل من الفريقين ألفوف ، فتقدم إليهم عبد الله بن علي ومعه حميد بن قطيبة فالتقوا قتالا شديداً جداً ، وجعل أصحاب عبد الله يرون وهو ثابت هو وحيد . وما زال حتى هزم أصحاب أبي الورد ، وثبت أبو الورد في خمسمائة فارس من أهل بيته وقومه ، فقتلوا جميعاً وهرب أبو محمد السفياقي ومن معه حتى لحقوا بتممر ، وأمن عبد الله أهل قنسرين وسودوا وبايعوه ورجعوا إلى الطاعة ، ثم كر عبد الله راجعاً إلى دمشق وقد بلغته ما صنعوا ، فلما دنا منها ففرقوا عنها ولم يكن منهم قتال فأمهم ودخلوا في الطاعة . وأما أبو محمد السفياقي فإنه ما زال مضيقاً ومشغولاً حتى لحق بإرض الحجاز فقاتله

قائب أبي جعفر المنصور في أيام المنصور ، قتله وبثت رأسه وبأبين له أخذها أسيرين فأطلقهما المنصور في أبيه . وقد قيل إن وقعة السفين في يوم الثلاثاء آخر يوم من ذى الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة فآله أعلم .

وعن خلع السفاح أيضا أهل الجزيرة حين بلغهم أن أهل قنسرين خلعوا ، فواقوهم وبيضوا وركبوا إلى قائب حران من جهة السفاح - وهو موسى بن كعب - وكان في ثلاثة آلاف قد اعتصم بالبلد ، فحاصروه قريبا من شهرين ، ثم بعث السفاح أخاه أبا جعفر المنصور فيمن كان بواسط محاصري ابن هبيرة ، ففر في مسيره إلى حران بقرقيسيا وقد يبيضوا فقتلوا أبوابها دونه ، ثم مر بالرقعة وعليها بكار بن مسلم وم كنفك ، ثم بمحاجر وعليها إسحاق بن مسلم فيمن معه من أهل الجزيرة بمحاصرونها ففرح إسحاق عنها إلى الرضا ، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من جند حران فقتله المنصور ودخلوا في جيشه ، وقدم بكار بن مسلم على أخيه إسحاق بن مسلم بالرها فوجهه إلى جماعة ربيعة بدارا وماردين ، ورئيسهم حروري يقال له بريككة ، فصارا حزبا واحدا ، فقصده إليهم أبو جعفر فقاتلهم قتالا شديدا ، فقتل بريككة في المعركة ، وهرب بكار إلى أخيه بالرها ، فاستخلفه بها ومضى بمعظم المستر [حتى نزل] سميساط وخنق على عسكره ، وأقبل أبو جعفر فحاصر بكار بالرها ، وجرت له معه وقعات . وكتب السفاح إلى عمه عبد الله بن علي أن يسير إلى سميساط وقد اجتمع على إسحاق بن مسلم ستون ألفا من أهل الجزيرة ، فسار إليهم عبد الله واجتمع إليه أبو جعفر المنصور ، فكاظمهم إسحاق وطلب منهم الأمان فأجابوه إلى ذلك ، على إذن أمير المؤمنين . وولى السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة وأذربيجان وأرمينية ، فلم يزل عليها حتى أفضت إليه الغلظة بعد أخيه ، ويقال إن إسحاق بن مسلم المقيلي إنما طلب الأمان لما تحقق أن مروان قد قتل ، وذلك بعد مضي سبعة أشهر وهو محاصر ، وقد كان صاحبا لأبي جعفر المنصور فآمنه .

وفي هذه السنة ذهب أبو جعفر المنصور عن أمر أخيه السفاح إلى أبي مسلم الخراساني وهو أميرها ، ليستطلع رأيه في قتل أبي سلمة ، لأنه كان يريد أن يصرف الغلظة عنهم ، فيسأله هل ذلك كان عن عمالة أبي مسلم لأبي سلمة في ذلك أم لا ؟ فسكت القوم ، فقال السفاح : لئن كان هذا عن رأيي إنا ليعر بلاد عظيم ، إلا أنت يدفعه الله عنا . قال أبو جعفر فقال لي أخى : ما نرى ؟ قلت : الرأي رأيك . فقال : إنه ليس أحد أخص بأبي مسلم منك ، فاذهب إليه فاعلم لي عمله ، فإن كان عن رأيه احتلنا له ، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا . قال أبو جعفر : فخرجت إليه فاصدا على وجل . قال المنصور : فلما وصلت إلى الرى إذا كتب أبي مسلم إلى قائبها يستحثني إليه في المسير ، فزددت وجلا ، فلما انتهيت إلى نيسابور إذا كتابه يستحثني أيضا وقال لتائبها : لاندعه يقر ساعة

واحدة : فلن أؤدك بها خوارج ، فانشرح لذلك . فلما صرت من مرو على فرسخين ، خرج يلتقاني ومعه الناس ، فلما واجهني ترجل قبيل يدي ، فأمرته فركب . فلما دخلت مرو نزلت في داره فبكث ثلاثا لا يسألني في أي شيء جئت ، فلما كان في اليوم الرابع سألتني ما أفعلتك ؟ فأخبرته بالأمر . فقال : أفضلها أبو سلمة ؟ أنا أكنيكوه . فدعا مرار بن أنس الضبي فقال : اذهب إلى الكوفة فحيث لقيت أبا سلمة فاقتله ، وافته في ذلك إلى رأى الامام . هضم مرار الكوفة الهاشمية ، وكان أبو سلمة يسير عند السفاح ، فلما خرج قتله مرار وشاع أن الخوارج قتله ، وغلقت البلد . ثم صلى عليه يحيى بن محمد بن علي أخو أمير المؤمنين ، ودفن بالهاشمية ، وكان يقال له وزير آل محمد . ويقال لأبي مسلم أمير آل محمد . قال الشاعر : -

إن الوزير وزير آل محمد * أودى فني يشنك كل وزيراً

ويقال إن أبا جعفر إتأسر إلى أبي مسلم بعد قتل أبي سلمة وكان معه ثلاثون رجلاً على البريد ، منهم الحاجب بن أوطاة ، وإسحاق بن الفضل الهاشمي ، وجماعة من السادات . ولما رجع أبو جعفر من خراسان قال لأخيه : لست بخليفة مادام أبو مسلم حياً حتى تقتله ، لما رأى من طاعة العساكر له ، فقال له السفاح : اكنمها فسكت . ثم إن السفاح بعث أخاه أبا جعفر إلى قتال ابن هبيرة بواسط ، فلما اجتاز بالحسن بن قسطلبة أخذه معه ، فلما أحبط بابن هبيرة كتب إلى محمد بن عبد الله بن حسن ليبائع له بالخلافة فأبطل عليه جوابه ، قال إلى مصالحة أبي جعفر ، فاستأذن أبو جعفر أخاه السفاح في ذلك فأذن له في المصالحة ، فكتب له أبو جعفر كتاباً بالصلح ، فبكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوماً . ثم خرج يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البخارية ، فلما دنا من سراقق أبي جعفر هم أن يدخل بفرسه فقال الحاجب سلام : انزل أبا خالد . فقتل . وكان حول السراقق عشرة آلاف من أهل خراسان ، ثم أذن له في الدخول فقال : أنا ومن معي ؟ قال : لا بل أنت وحدك ، فدخل ووضعت له وسادة فجلس عليها ، فحدثه أبو جعفر ساعة ثم خرج من عنده فأتبعه أبو جعفر بصره ، ثم جعل يأتيه يوماً بعد يوم في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل ، فشكروا ذلك إلى أبي جعفر فقال أبو جعفر للحاجب : مره فليأت في حاشيته ، فكلت يأتي في ثلاثين نفساً ، فقال الحاجب : كأنك تأتي متأهباً^(١) ؟ قال : لو أمرتوني بالمشي لمشيت إليكم ، ثم كان يأتي في ثلاثة أنفس . وقد خاطب ابن هبيرة يوماً لأبي جعفر فقال له في غيور كلامه : يا هناء - أو قال يا أيها المرء - ثم اعترف إليه بأنه قد سبق لسانه إلى ذلك ، فأعذره . وقد كان السفاح كتب إلى أبي مسلم يستشير في مصالحة ابن هبيرة فتهاه عن ذلك ، وكان السفاح لا يقطع أمراً دونه ، فلما وقع الصلح على يدي أبي جعفر لم يحب السفاح ذلك ولم يحميه ، وكتب إلى أبي جعفر يأمره بقتله ، فراحه أبو جعفر مراراً

(١) في تاريخ ابن جرير « مباهاً » .

لا يفيد ذلك شيئاً ، حتى جاء كتاب السفاح أن اقتله لاحتالة [لاحول ولا قوة إلا بالله التلى العظيم
كيف يعلى الامان وينكت ؟ هذا فعل الجبارة ^(١)] وأقسم عليه في ذلك . فأرسل إليه أبو جعفر طائفة
من انخراسانية فدخلوا عليه وعنده ابنه داود وفي حجره صبي صغير ، وحوله مواله وحلجه ، فدافع
عنه ابنه حتى قتل وقتل خلق من مواله ، وخلصوا إليه ، فألقى الصبي من حجره وخر ساجداً قاتلاً
وهو ساجد ، واضطرب الناس ، فنادى أبو جعفر في الناس بالآمان إلا عبد الملك بن بشر وخالده
ابن سلمة الخزومي وعمر بن خر . فسكن الناس ثم استؤمن لبعض هؤلاء وقتل بعضاً .

وفي هذه السنة بمث أبو مسلم انخراساني محمد بن الأشعث إلى فارس وأمره أن يأخذ عمال أبي
سلمة لخلال فيضرب أعناقهم ، ففعل ذلك . وفيها ولي السفاح أخاه يحيى بن محمد الموصل وأعمالها ،
وولي عمه داود مكة والمدينة واليمن واليمامة ، وعزله عن الكوفة وولى مكانه علياً عيسى بن موسى ،
وولى قضاءها ابن أبي ليلى ، وكان على نيابة البصرة سفيان بن معاوية المهلبى ، وعلى قضائها الحجاج
ابن أرطاة ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى فارس محمد بن الأشعث . وعلى أرمينية وأذربيجان
والجزيرة أبو جعفر المنصور ، وعلى الشام وأعمالها عبد الله بن علي عم السفاح ، وعلى مصر أبو عون
عبد الملك بن يزيد . وعلى خراسان وأعمالها أبو مسلم انخراساني ، وعلى ديوان الخراج خالد بن
برمك . وحج بالناس فيها داود بن علي .

(ذكر من توفى فيها من الأعيان)

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك الأموى ، آخر خلفاء بني أمية ، قتل في
العشر الأخير من ذى الحجة من هذه السنة كما تقدم ذلك مبسوطاً ، ووزيره عبد الحميد بن يحيى بن
سعد مولى بني عامر بن لؤى ، الكاتب البليغ الذى يضرب به المثل ، فيقال قمحت الرسائل بميد
الحميد ، وختمت بابن العميد . وكان إماماً في الكتابة وجميع فنونها ، وهو القدوة فيها . وله رسائل
في ألف ورقة ، وأصله من قيسارية ثم سكن الشام ، وتلم هذا الشأن من سالم مولى هشام بن عبد الملك
وكان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يديه ، وعليه تخرج ، وكان ابنه إسماعيل بن عبد الحميد
ماهرآ في الكتابة أيضاً ، وقد كان أولاً يعلم الصبيان ثم تقلبت به الأحوال أن صار وزيراً لمروان ،
وقتل السفاح ومثل به ، وكان اللائق بمنزلة القو عنه . ومن مستجاد كلامه : العلم شجرة ثمريها
الألفاظ ، والفكر بحر ثلوثه الحكمة . ومن كلامه وقد رأى رجلاً ^(٢) يكتب خطاً رديئاً قال : أطل
جلفه قللك وأمتنها ، وحرقت قللك وأمتنها . قال الرجل : فعلت ذلك فجاء خطي . وسأله رجل
أن يكتب له كتاباً إلى بعض الأكارب يوصيه به ، فكتب إليه : حق موصل كتابي إليك كحقه على

(١) زيادة من نسخة استامبول . (٢) هو إبراهيم بن جيلة .

إذ رآك موضعاً لأمله ، ورآني أهلاً لحاجته ، وقد قضيت أماناجته فصدق أنت أمله . وكان كثيراً ما ينشد هذا البيت : —

إذا خرج الكتاب كل دويهم • قسياً وأقلام القسى لما نبلا
وأبو سلفة حفص بن سليمان ، هو أول من وُزر لآل العباس ، قتله أبو مسلم بالأندلس عن أمر السفاح ، بعد ولايته بأربعة أشهر ، في شهر رجب . وكان ذا هيئة فاضلاً حسن المفاكة ، وكان السفاح يأنس به ويحب مسامحته لطيب محاضراته ، ولكن تومم إليه لآل على ففسد أبو مسلم عليه من قتله غيلة كما تقدم ، فأُنشد السفاح عند قتله :

إلى النار فليذهب ومن كان مثله • على أي شيء فأتانا منه نأسف
كان يقال له وزير آل محمد ، ويعرف بالخلال ، لسكناه بدير الخلالين بالكوفة ، وهو أول من سمى بالوزير ، وقد حكى ابن خلكان عن ابن قتيبة أن اشتغل الوزير من الوزر وهو العمل ، فكان السلطان حله أتعلاً لاستناده إلى رأيه ، كما يلجأ الخائف إلى جبل ينصم به .

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة)

فيها ولي السفاح عه سليمان البصرة وأعمالها ، وكوردجة والبحرين وعمان . ووجه عه إسماعيل ابن علي إلى كور الأهواز . وفيها قتل داود بن علي من بمكة والمدينة من بني أمية ، وفيها توفي داود ابن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول ، واستخلف ابنه موسى على عمله ، وكانت ولايته على الحجاز ثلاثة أشهر ، فلما بلغ السفاح موته استجاب على الحجاز خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي ، وولي اليمن لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الله ، وجعل إمرة الشام لعميه عبد الله ، وصالح بني علي ، وأقر أبا عون على الدير المصرية قائماً . وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية فقاتلهم قتلاً شديداً حتى فتحها . وفيها خرج شريك بن شيخ المهرى ببخارى على أبي مسلم وقال : ما على هذا يا مينا آل محمد ، على سفك الدماء وقتل الأنفس ، واتبته على ذلك نحو من ثلاثين ألفاً ، فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله .

وفيها عزل السفاح أخاه يحيى بن محمد عن الموصل ، وولى عليه عه إسماعيل . وفيها ولي الصائفة من جهة صالح بن علي بن حميد بن عبيد الله وغزا ما وراء الدروب . وجمع وأتس خال السفاح زياد ابن عبيد الله بن عبد الله الحارثي . ونواب البلاد هم الذين كانوا في القى قبلها سوى من ذكرنا أنه عزل .

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة)

فيها خلع إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل الطاعة وخرج على السفاح ، فبعث إليه خازم بن خرزعة فقاتله فقتل عملاً أصحابه ، واستقبل عسكره . وجمع فريلاً من بني عبد الله الحارثي فسلمهم

عن بعض ما فيه نصرة للخليفة ، فلم يردوا عليه ، واستهاتوا به ، وأمر بضرب أعناقهم - وكانوا قريباً من عشرين رجلاً ومثلهم من مواليهم - فاستمدى بنو عبد الدار على خازم بن خزيمه إلى السفاح ، وقالوا : قتل هؤلاء بلا ذنب ، فهم السفاح يقتله فأشار عليه بعض الأمراء بأن لا يقتله ولكن يبعثه مبعثاً صعباً ، فان سلم فذاك ، وإن قتل كان القدي أراد . فبعثه إلى عمان وكان بها طائفة من الخوارج قد تمردوا وجهز معه سبعمائة رجل ، وكتب إلى عمه سليمان بالبصرة أن يحملهم في السفن إلى عمان ففعل ، فقاتل الخوارج فكسروهم وقهرهم واستحوذ على ما هناك من البلاد ، وقتل أمير الخوارج الصفريه وهو الجلندي ، وقتل من أصحابه وأنصاره نحواً من عشرة آلاف ، وبعث برؤسهم إلى البصرة ، فبعث بها نائب البصرة إلى الخليفة . ثم بعد أشهر كتب إليه السفاح أن يرجع فرجع سالماً غانماً منصوراً .

وفيها غزا أبو مسلم بلاد الصند وغزا أبو داود أحد نواب أبي مسلم بلاد كش ، فقتل خلقاً كثيراً وغنم من الأواني الصينية المنقوشة بالذهب شيئاً كثيراً جداً . وفيها بعث السفاح موسى ابن كعب إلى منصور بن جمهور وهو بالهند في اثني عشر ألفاً ، فالتقى موسى بن كعب وهو في ثلاثة آلاف فهزمه واسقبح عسكره . وفيها مات عامل اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد الدار ، فاستخلف السفاح عليها عمه ، وهو خال الخليفة . وفيها تحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار وحج بالناس نائب الكوفة عيسى بن موسى ، ونواب الأقاليم م م . وفيها توفي من الأعيان أبو هارون العبدى ، وعماره بن جوين ، وبزید بن یزید بن جابر الهشقي والله أعلم .

[ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة]

فيها خرج زياد بن صلح من وراء نهر بلخ على أبي مسلم فأظفروه الله بهم فبذلهم واستقر أمره بتلك النواحي . وحج بالناس فيها سليمان بن علي نائب البصرة . والنواب م المذكورون قبلها . ومن توفي فيها من الأعيان : يزيد بن سنان ، وأبو عقيل زهرة بن مبيد ، وعطاء الخراساني [١١]

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

فيها قدم أبو مسلم من خراسان على السفاح ، وذلك بعد استئذائه الخليفة في القدوم عليه ، فكتب إليه أن يقدم في خمسة آلاف من الجند ، فكتب إليه : إني قد تورت الناس ، وإني أخشى من قلة الحشماء . فكتب إليه أن يقدم في ألف ، وقسم في ثمانية آلاف ، ففرقهم وأخذ معه من الأموال والتحف والهدايا شيئاً كثيراً . ولما قسم لم يكن معه سوى ألف من الجند ، فقتله القواد والأمراء إلى مسافة بعيدة . ولما دخل على السفاح أكرمه وعظمه واحترمه وأنزله قريباً منه ، وكان يأتي إلى (١) سقط من المصرية .

الخلافة كل يوم ، واستأذن الخليفة في الحج فأذن له ، وقال : لولا أني عيبت الحج لأخى أبي جعفر لأمرتك على الحج . وكان القتي بين أبي جعفر وأبي مسلم خراباً وكان يفيضه ، وذلك لما رأى ما هو فيه من الحرمة حين قدم عليه نيسابور في البيعة للسفاح وللنصور بعده ، فخاف في أمره لتلك ، فخذ عليه المنصور وأشار على السفاح بقتله ، فأمره بكتم ذلك . وحين قدم أمره بقتله أيضاً وحرضه على ذلك ، فقال له السفاح : قد علمت بلامه معنا وخدمته لنا فقال أبو جعفر : يا أمير المؤمنين إنما ذاك بدولتنا ، والله لو أرسلت سنوراً لسمعوا لها وأطاعوا ، وإنك إن لم تمتش به تقدي بك هو ، فقال له : كيف السبيل إلى ذلك ؟ فقال : إذا دخل عليك فخذته ثم أجبني أنا من ورائه فأضربه بالسيف . قال : كيف بمن معه ؟ قال : هم أذل وأقل . فأذن له في قتله ، فلما دخل أبو مسلم على السفاح ندم على ما كان أذن لأخيه فيه ، فبعث إليه الخادم يقول له : إن ذاك القتي بينك وبينه ندم عليه فلا تفعله . فلما جاءه الخادم وجده محتجباً بالسيف قد تهاى لما يريد من قتل أبي مسلم . فلما تهاى عن ذلك غضب أبو جعفر غضباً شديداً . وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور عن ولاية أخيه السفاح ، وسارمه إلى الحجاز أبو مسلم انخراساني عن أمر الخليفة ، وأذن له في الحج ، فلما رجعا من الحج وكافا بذات عرق جاء الخير إلى أبي جعفر . وكان يسير قبل أبي مسلم بمرحلة . بموت أخيه السفاح ، فكتب إلى أبي مسلم أن قد حدث أمر فالحمل العجل ، فلما استعلم أبو مسلم الخبر عجل السير وراءه ، فلقه إلى الكوفة . وكانت بيعة المنصور على ماسياتي بيانه وتفصيله قريباً والله سبحانه وتعالى أعلم .

(وهذه ترجمة أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس وذكر وفاته)

هو عبد الله السفاح - ويقال له المرتضى ، والقلم أيضاً - ابن محمد ابن الامام ابن علي السجاد ابن عبد الله الخبر ابن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أمير المؤمنين ، وأمه ربيعة - ويقال ربيعة - بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الدار الخزاعي ، كان مولده السفاح بالحيرة من أرض الشراء من البلقاء بالشام ، ونشأ بها حتى أخذ مروان أخاه إبراهيم الامام فانتقلوا إلى الكوفة . برجع له بالخلافة بعد مقتل أخيه في حياة مروان يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول بالكوفة كما تقدم . وتوفي بالجدي بالأندلس يوم الأحد الحادي عشر ، وقيل الثالث عشر من ذي الحجة سنة ست وثلثين ومائة ، وكان عمره ثلاثاً ، وقيل ثنتين ، وقيل إحدى وثلثين سنة ، وقيل ثمان وعشرين سنة . قاله غير واحد . وكانت خلافته أربع سنين وقسمه أشهر ، وكان أبيض جليلاً طويلاً ، أنفي الأنف ، جمد الشعر ، حسن الهيئة ، حسن الوجه ، فصيح الكلام ، حسن الرأي ، جيد البديهة . دخل عليه في أول ولايته عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ومعه مصحف وعند السفاح وجوه بني هاشم من أهل بيته وغيرهم ، فقال له : يا أمير المؤمنين اعطنا حقنا إني جمل الله لنا في هذا

المصحف . قال : فأشفق عليه الحاضرون أن يسجل السفاح عليه بشئ أو يترك جوابه فيبقى ذلك مسبة عليه وعلمهم . فأقبل السفاح عليه غير مضطرب ولا متزعج ، فقال : إن جئتك علياً كان خيراً مني وأعدل ، وقد ولي هذا الأمر فأعطي جديك الحسن والحسين وكانا خيراً منك ، شيئاً قد أعطينكه وزدتك عليه ، فإكل هذا جزائي منك . قال : فما رد عليه عبد الله بن حسن جواباً ، وتعمب الناس من سرعة جوابه وجودته وجودته على البدنية .

وقد قال الأمام أحمد في مسنده : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري . قال قال رسول الله ﷺ : « يخرج عند انقطاع من الزمان وتظهر من الفتن رجل يقال له السفاح ، يكون إعطاؤه المال حياً ، وكذا رواه زائدة وأبو معاوية عن الأعمش به . وهذا الحديث في إسناد عطية العوفي وقد تكلموا فيه . وفي أن المراد بهذا الحديث هذا السفاح نظر والله أعلم . وقد ذكرنا فيما تقدم عند زوال دولة بني أمية أخباراً وآثاراً في مثل هذا المعنى . وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلمة بن محمد بن هشام أخبرني محمد بن عبد الرحمن الخزومي حدثني داود بن عيسى عن أبيه عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وهو والد السفاح - قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من النصارى فقال له عمر : من تعبدون الخليفة بعد سليمان ؟ قال له : أنت . فأقبل عمر بن عبد العزيز عليه فقال له : زدني من بيانك . فقال ثم آخر ، إلى أن ذكر خلافة بني أمية إلى آخرها . قال محمد بن علي : فلما كان بعد ذلك جعلت ذلك النصراني في بالي فرأيت أنه يوماً فأمرت غلامي أن يحبس علي ، وذهبت إلى منزلي فسلته عما يكون في خلفاء بني أمية فذكرهم واحداً واحداً ، ونجاو عن مروان بن عبد . قلت : ثم من ؟ قال : ثم ابن الحارثية ، وهو ابنك . قال : وكان ابني ابن الحارثية إذ ذاك حلاً . قال ووفد أهل المدينة على السفاح فبادروا إلى تقبيل يده غير عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوي ، فانه لم يقبل يده ، وإنما حياه بالخلافة فقط . وقال : والله يا أمير المؤمنين لو كان تقبيلها يزيدك رضة ويزيدني وسيلة إليك ماستبقني إليها أحد من هؤلاء ، وإني لئنني عما لا أجز فيه ، وربما قادنا عمله إلى الوزر ثم جلس . قال : فوالله ما قصه ذلك عنده حطاً من حظ أصحابه ، بل أحبه وزاده . وذكر القاضى المعافى بن زكريا أن السفاح بعث رجلاً ينادى في عسكر مروان بهذين البيتين ليلا ثم رجع :

يا آل مروان إن الله مهلككم • ومبديل أنسكم خوفاً وتشريداً
لا عمر الله من أنسالك أحدًا • وبشكم في بلاد الخلف تطريداً

وروى الخطيب البغدادي أن السفاح نظر يوماً في المرأة - وكان من أجل الناس وجهاً - فقال : اللهم لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك : أنا الخليفة للشباب ، ولكن أقول : اللهم عمرى طويلاً في

طاعتك ممناً بالمافية . فما استتم كلامه حتى سمع غلاماً يقول لا آخر : الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام . فطير من كلامه وقال : حسبى الله لا قوة إلا بالله عليه توكلت وبه أستعين . فبات بعد شهرين وخمسة أيام . وذكر محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي أن الرشيد أمر ابنه أن يسمع من إسحاق بن عيسى بن علي ماريويه عن أبيه في قصة السفاح ، فأخبره عن أبيه عيسى أنه دخل على السفاح يوم عرفة بكرة فوجده صائماً ، فأمره أن يحادثه في يومه هذا ثم يحتم ذلك فطره عنده . قال : فحادثته حتى أخذته النوم فحتمت عنه وقلت : أقبل في منزلي ثم أجيء بعد ذلك . فذهب فتمت قليلاً ثم قمت فأقبلت إلى داره فاذا على بابهِ بشر يبشر بفتح السند ويهيم بالخليفة وتسلم الأمور إلى نوابه . قال : فحمدت الله الذي وهبني في الدخول عليه بهذه البشارة ، فدخلت الدار فاذا بشير آخر معه بشارة بفتح إفريقية ، فحدثت الله فدخلت عليه فبشرته بذلك وهو يسرح لحيته بعد الوضوء ، فسقط المشط من يده ثم قال : سبحان الله ، كل شيء بآئد سواء ، نيت والله إلى نفسي ، حدثني إبراهيم الإمام عن أبي هشام عن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقدم علي في مدينتي هذه وافدان وافد السند والآخر وافد إفريقية بسمهم وطاعتهم ويمتهم ، فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أموت . قال : وقد أتاني الوافدان فأعظم الله أجرك يا عم في ابن أخيك . قلت : كلا ، يا أمير المؤمنين إن شاء الله . قال بلى إن شاء الله ! لأن كانت الدنيا حبيبة إلى فالآخر أحب إلي ، ولقاء ربي خير لي ، وصحة الرواية عن رسول الله ﷺ بذلك أحب إلي منها ، والله ما كذبت ولا كذبت . ثم نهض فدخل منزله وأمرني بالجلوس ، فلما جاء المؤذن يئله بوقت الظهر خرج الخادم يئله أن أصلي عنه ، وكذلك العصر والمغرب والمشاء ، وبت هناك ، فلما كان وقت السحر أتاني الخادم بكتاب منه يأمرني أن أصلي عنه الصبح والميد ثم أرجع إلى داره ، وفيه يقول : يا عم إذا مت فلا تعلم الناس بموتي حتى تقرأ عليهم هذا الكتاب فيبأيما لمن فيه . قال : فصليت بالناس ثم رجعت إليه فاذا ليس به بأس ، ثم دخلت عليه من آخر النهار فاذا هو على حاله غير أنه قد خرجت في وجهه حبتان صغيرتان ، ثم كبراً ، ثم صار في وجهه حب صفاريض يقال إنه جدري ، ثم بكرت إليه في اليوم الثاني فاذا هو قد هجر وذهبت عنه مرفقي ومعرفة غيري ، ثم رجعت إليه بالمشي فاذا هو انتفخ حتى صار مثل الزق ، وتوفي اليوم الثالث من أيام التشريق ، فسجنته كما أمرني ، وخرجت إلى الناس فقرأت عليهم كتابه فاذا فيه : من عبد الله أمير المؤمنين إلى الأولياء وجماعة المسلمين ، سلام عليكم أما بعد فقد قلد أمير المؤمنين اخلافة عليكم بعد وفاته أخاه فاسمعوا وأطيعوا ، وقد قلدها من بعده عيسى بن موسى إن كان . قال : فاختلف الناس في قوله « إن كان » قيل إن كان أهلها . وقال آخرون إن كان حياً . وهذا القول الثاني هو الصواب ، ذكره الخطيب

وابن عساكر مطولا . وهذا ملخص منه . وفيه ذكر الحديث المرفوع وهو منكر جدا . وذكر ابن عساكر أن الطيب دخل عليه فأخذ يديه فأنشأ يقول عند ذلك :
انظر إلى ضعف الحرا * ك ذلك بعد السكون * ينيك أن ييانه • هذا مقدمة المنون
قال له الطيب : أنت صالح . فأنشأ يقول :

ييسرى باقي ذو صلاح • يبين له وبى داء دفين • لقد أمنت أنى غير باقى • ولا شك إذا وضع اليقين
قال بعض أهل العلم : كان آخر ما تكلم به السفاح : الملك لله الحى القيوم ، ملك الملوك ، وجبار الجبابرة . وكان نقش خاتمه الله تمة عبد الله . وكان موته بالجندى فى يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأبواب المتقية ، عن ثلاث وثلاثين سنة . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر على أشهر الأقوال . وصلى عليه مه عيسى بن على . ودفن فى قصر الامارة من الأبواب . وترك تسع جبات وأربعة أفصة وخمس سراويلات وأربعة طبالسة وثلاثة مطارف خز . وقد ترجمه ابن عساكر فى بعض ما أورده الله والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان السفاح كما تقدم ، وأشعث بن سوار ، وجعفر بن أبى ربيعة ، وحسين ابن عبد الرحمن ، وربيعة الراعى ، وزيد بن أسلم ، وعبد الملك بن حمير ، وعبد الله بن أبى جعفر ، وعطاء بن السائب . وقد ذكرنا تراجمهم فى التكميل والله الحمد .

﴿ خلافة أبى جعفر المنصور ﴾

واسمه عبد الله بن عبد بن على بن عبد الله بن عباس

قد تقدم أنه لما مات السفاح كان فى الحجاز قبلته موته وهو بنات عرق راجعا من الحج ، وكان معه أبو مسلم الخراسانى ، فبجل السير وعزاه أبو مسلم فى أخيه ، فبكى المنصور عند ذلك ، وقال له : أتبكي وقد جاءتك الخلافة ؟ أنا أكفيكما إن شاء الله . فسرى عنه ، وأمر زياد بن عبيد الله أن يرجع إلى مكة واليا عليها ، وكان السفاح قد عزله عنها بالعباس بن عبد الله بن معبد بن عباس فأقره عليها . والثواب على أعمالهم حتى انسلخت هذه السنة ، وقد كان عبد الله بن على قسم على ابن أخيه السفاح الأبواب فأمره على الصائفة ، فركب فى جيوش عظيمة إلى بلاد الروم ، فلما كان ببعض الطريق بلغته موت السفاح فكرر راجعا إلى حران ، ودعا إلى نفسه ، وزعم أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى الشام أن يكون ولى العهد من بعده ، فالتفت عليه جيوش عظيمة ، وكان من أمره ما سنده فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة ﴾

﴿ ذكر خروج عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس على ابن أخيه المنصور ﴾

لما رجع أبو جعفر المنصور من الحج بعد موت أخيه السفاح ، دخل الكوفة فغلب أهلها يوم

الجمعة وصلى بهم ، ثم ارتحل منها إلى الأنبار . وقد أخفت له البيعة من أهل الرقاق وخراسان
وسائر البلاد سوى الشام ، وقد ضبط عيسى بن علي بيوت الأموال والحواصل للمنصور حتى قسم ،
فسلم إليه الأمر ، وكتب إلى عمه عبد الله بن علي يعلمه ب وفاة السفاح ، فلما بلغه الخبر نادى في الناس
الصلاة جامعة ، فاجتمع إليه الأمراء والناس ، قرأ عليهم وفاة السفاح ، ثم قام فيهم خطيباً فذكر أن
السفاح كان عهد إليه حين يمتن إلى مروان أنه إن كسره كان الأمر إليه من بعده ، وشهد له بذلك
بعض أمراء العراق ، ونهضوا إليه فبايعوه ، ورجع إلى حران فقتلها من نائب المنصور بعد محاصرة
أربعين ليلة ، وقتل مقاتل المشركي ثمانية . فلما بلغ المنصور ما كان من أمر عمه بعث إليه أبا مسلم
الخراساني ومعه جماعة من الأمراء وقد تحصن عبد الله بن علي بخران ، وأرصد عنده مما يحتاج إليه
من الأطعمة والصلاح شيئا كثيراً جداً ، فسار إليه أبو مسلم الخراساني وعلى مقدمته مالك بن هيثم
الخزاعي ، فلما تحقق عبد الله قدوم أبي مسلم إليه خشى من جيش العراق أن لا يناصره ، فقتل منهم
سبعة عشر ألفاً ، وأراد قتل حميد بن قحطبة فهرب منه إلى أبي مسلم ، فركب عبد الله بن علي قنزل
نصيبين وخندق حول عسكره ، وأقبل أبو مسلم قنزل ناحية وكتب إلى عبد الله : إني لم أؤمر
بقتالك ، وإنما بعثني أمير المؤمنين واليا على الشام فأنا أريدها . فخاف جنود الشام من هذا
الكلام فقالوا : إنا نخاف على ذوارينا وديارنا وأموالنا ، فحقن نهب إليها تمنعهم منه . فقال
عبد الله : ويحكم ! والله إنه لم يأت إلا لقتالنا . فأبوا إلا أن يرتحلوا نحو الشام ، فتحول عبد الله من
منزله ذلك وقصد ناحية الشام ، فنهض أبو مسلم قنزل موضعه وغور ما حوله من المياه . وكان موضع
عبد الله الذي تحول منه موضعاً جيداً جداً . فاحتاج عبد الله وأصحابه قنزلوا في موضع أبي مسلم
فوجدوه منزلاً رديئاً ، ثم أنشأ أبو مسلم القتال خارجهم خمسة أشهر ، وكان على خيل عبد الله أخوه
عبد الصمد بن علي ، وعلى ميمنته بكار بن مسلم العقيلي ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي .
وعلى ميمنة أبي مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى ميسرته أبو نصر خازم بن خزيم ، وقد جرت بينهم
وقعات وقتل منهم جماعات في أيام نهضات ، وكان أبو مسلم إذا حمل يرميهم ويقول :

من كان ينوي أهلهم فلا يرجع * فر من الموت وفي الموت وقع

وكان يعمل له عرش فيكون فيه إذا التقى الجيشان فإراى في جيشه من خلل أرسل فأصلحه .
فلما كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة التقوا فاقتتلا قتالاً شديداً ، فكر
بهم أبو مسلم ! بعث إلى الحسن بن قحطبة أمير الميمنة فأمره أن يتحول بمن معه إلا القليل إلى
الميسرة ، فلما رأى ذلك أهل الشام انحازوا إلى الميمنة بإزاء الميسرة التي تعمرت ، فأرسل حيفند
أبو مسلم إلى القلب أن يحمل بمن بقى في الميمنة على ميسرة أهل الشام فخطبهم ، فجاء أهل القلب

والميسنة من الشاميين تحمل الخراسانيون على أهل الشام وكانت الهزبة ، وانهرم عبد الله بن علي
بمسد تلوم ، واحتاز أبو مسلم ما كان في مسكرهم ، وأمن أبو مسلم بقية الناس فلم يقتل منهم أحداً ،
وكتب إلى المنصور بذلك ، فأرسل المنصور مولاة أبا الخصيب ليحصى ما وجدوا في مسكر عبد الله ،
فغضب من ذلك أبو مسلم الخراساني . واستوسقت الممالك لأبي جعفر المنصور ، ومضى عبد الله بن
علي وأخوه عبد الصمد على وجهيهما ، فلما مرا بالرافقة أقام بها عبد الصمد ، فلما رجع أبو الخصيب
وجده بها فأخذته معه مقيداً في الحديد فأدخله على المنصور فدفعه إلى عيسى بن موسى فاستأمن له
المنصور ، وقيل بل استأمن له إسماعيل بن علي . وأما عبد الله بن علي فإنه ذهب إلى أخيه سليمان
ابن علي بالبصرة فأقام عنده زماناً مخفياً ، ثم علم به المنصور فبعث إليه فسجنه [في بيت بني أسامة
على الملح ثم أطلق عليه الماء فذاب الملح وسقط البيت على عبد الله فلت . وهذه من بعض دواهي
المنصور والله سبحانه أعلم ^(١) . فلبث في السجن سبع سنين ثم سقط عليه في البيت الذي هو فيه
فمات كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر مهلك أبي مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس ﴾

في هذه السنة أيضاً لما فرغ أبو مسلم من الحج سبق الناس بمرحلة فجاءه خبر السفاح في الطريق
فكتب إلى أبي جعفر يزيه في أخيه ولم يهتبه بالخلافة ، ولا رجع إليه . فغضب المنصور من ذلك
مع ما كان قد أضمر له من السوء إذا أقضت إليه الخلافة ، وقيل إن المنصور هو الذي كان قد تقدم
بين يدي الحج بمرحلة ، وأنه لما جاءه خبر موت أخيه كتب إلى أبي مسلم يستعجله في السير كما
قدمنا . قال لأبي أيوب : اكتب له كتاباً غليظاً ، فلما بلغه الكتاب أرسل يهتبه بالخلافة واقمع
من ذلك . وقال بعض الأمراء للمنصور : إنا نرى أن لا تجتمع في الطريق فان معه من الجنود من
لا يخالفه . وهم له أهيب ، وعلى طاعته أحرص ، وليس ملك أحد ، فأخذ المنصور برأيه ثم كان من
أمره في مبايسته لأبي جعفر ما ذكرنا ، ثم بعثه إلى عمه عبد الله فسكره كما تقدم ، وقد بعث في
غبن ذلك الحسن بن قسطلبة لأبي أيوب كاتب رسائل المنصور يشافيه ويخبره بأن أبا مسلم متم عند
أبي جعفر ، فانه إذا جاءه كتاب منه يقرأه ثم يلوى شقيقه ويرى بالكتاب إلى أبي نصر ويضحكان
استهزاء ، فقال أبو أيوب : إن تهمة أبي مسلم عندنا أظهر من هذا . ولما بعث أبو جعفر مولاة أبا
الخصيب يقطن ليحيط على ما أصيب من مسكر عبد الله من الأموال والجواهر الثينة وغيرها ،
غضب أبو مسلم فشم أبا جعفر ومضى بأبي الخصيب ، حتى قيل له : إنه رسول فتركه ورجع . فلما قدم
أخبر المنصور بما كان وبما تم به أبو مسلم من قتله ، فغضب المنصور وخشى أن يذهب أبو مسلم إلى
(١) زليخة وجدت بهامش نسخة الاستانة .

خراسان [فيشق عليه تحصيله بعد ذلك ، وأن تحدث حوادث ، فكتب إليه مع يقطين إلى قد وليت الشام ومصر وهما خير من خراسان] ^(١) . فابعت إلى مصر من شئت وأقم أنت الشام ، لتكون أقرب إلى أمير المؤمنين ، إذا أراد لقاءك كنت منه قريباً . فضب أبو مسلم وقال : قد ولاني الشام ومصر ، ولي ولاية خراسان ، فأذا أذهب إليها وأستخلف على الشام ومصر . فكتب إلى المنصور بذلك قلق المنصور من ذلك كثيراً . ورجع أبو مسلم من الشام قاصداً خراسان وهو عازم على مخالفة المنصور . فخرج المنصور من الأنبار إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم بالمسير إليه ، فكتب إليه أبو مسلم وهو على الزاب عازم على الدخول إلى خراسان : إنه لم يبق لأمر المؤمنين عدو إلا أمكنه الله منه ، وقد كنا نرى عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الداهم . فنحن نأفرون من قربك ، حرصون على الوفاء بعهدك ما وفيت ، حريون بالسبع والطاعة غير أنها من بعيد حيث يقارنها السلامة . فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك ، وإن أبيت إلا أن تطع نفسك إراداتها قصصت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسي عن مقامات القتل والاهانة . فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : قد فهمت كتابك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء المشقة إلى ملوكهم الذين يثمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم ، وإنما راحتهم في تبديد نظام الجماعة ، فلم سويت نفسك بهم وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعت بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ، وليس مع الشريعة التي أوجبت منك جمع ولا طاعة ، وقد حمل أمير المؤمنين عيسى بن موسى إليك رسالة ليسكن إليها قلبك إن أصغيت إليها ، وأسأله أن يحول بين الشيطان وزرغاته وبينك ، فانه لم يجد باباً يفسد به دينك أوكد عنده من هذا ولا أقرب من طبعه من الباب الذي فتحه عليك . ويقال إن أبا مسلم كتب إلى المنصور : أما بعد فاني أتمنت رجلاً إماماً ودليلاً على ما افترض الله على خلقه ، وكان في محلة العلم نازلاً وفي قرابته من رسول الله ﷺ قريباً ، فاستجھلي بالقرآن غرضه عن مواضع طمعاً في قليل قد تمناه الله إلى خلقه ، وكان كالقدي دلي بترور ، وأمرني أن أجرد السيف وأرفع المرحمة ولا أقبل المنعة ولا أقبل العنة ، فضلت توطيداً لسلطانكم حتى عرفكم الله من كن يجهلكم ، وأطاعكم من كن عدوكم ، وأظهركم الله في بعد الاخفاء والحقارة والقل ، ثم استغفرتني الله بالتوبة . فان يف عن قديما عرف به ونسب إليه ، وإن يماقني فيما قدمت يداي ، وما الله بظلام للعبيد . ذكره المدائني عن شيخه .

وبعث المنصور إليه جري بن يزيد بن جري بن عبد الله البجلي . وقد كان أوحده أهل زمانه . في جماعة من الأمراء ، وأمره أن يكلم أبا مسلم بالدين كلاماً يقدر عليه ، وأن يكون في جملة ما يكلمه به

أنه يريد رفع قدرك وعلو منزلتك والاطلاقت لك ، فان جاء بهذا فنذك ، وإن أبى قتل هو برئ من العباس إن شقت المصا وذهبت على وجهك ليسدركك بنفسه وليقاتلك دون غيره ، ولو خضت البحر انظم خلاصه خلطك حتى يدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك . ولا تقل له هذا حتى تئأس من رجوعه بالنبي هي أحسن . فلما قدم عليه أمراء المنصور يحملون دخلا عليه ولاموه فبأهم به من منابذة أمير المؤمنين ، وما هو فيه من مخالفته ، ورغبوه في الرجوع إلى الطاعة ، فشاور ذوى الرأي من أمرائه فكلهم تنهوا عن الرجوع إليه ، وأشاروا بأن يقيم في الري فكون خراسان تحت حكمه ، وجنوده طوعاً له ، فان استقام له الخليفة وإلا كان في عز ومنعة من الجند . ففند ذلك أرسل أبو مسلم إلى أمراء المنصور فقال لهم : ارجعوا إلى صاحبكم فليست ألقاه . فلما امتقأوا منه قالوا له ذلك السلام الذي كان المنصور أمرهم به . فلما سمع ذلك كسره جداً وقال قوموا عنى الساعة .

وكان أبو مسلم قد استخلف على خراسان أبا داود إبراهيم بن خالد ، فكتب إليه المنصور في غيبة أبي مسلم حين اتهم : إن ولاية خراسان لك ما بقيت ، فقد وليتها وعزلت عنها أبا مسلم . ففند ذلك كتب أبو داود إلى أبي مسلم حين بلغه ما عليه من منابذة الخليفة : إنه ليس يليق بنا منابذة خلفاء أهل بيت رسول الله ﷺ ، فارجع إلى إمامك سالماً مطيعاً والسلام . فزاده ذلك كسراً أيضاً فبعث إليهم أبو مسلم : إني سأبعث إليه أبا إسحاق وهو من أتقى به . فبعث أبا إسحاق إلى المنصور فأكرمه ووعده بنبأه الرأى إن هو رده . فلما رجع إليه أبو إسحاق قال له : ما وراءك ؟ قال : رأيتم معظمين لك يعرفون قدرك . فخره ذلك وعزم على الذهاب إلى الخليفة ، فاستشار أميراً يقال له نيزك ، فتهاه ، فصمم على الذهاب ، فلما رأى نيزك عازماً على الذهاب تمثل بقول الشاعر : -

ما للرجال مع القضاء محالة • ذهب القضاء بحيلة الأقوام

ثم قال له : احفظ عنى واحدة . قال : وما هى ؟ قال : إذا دخلت عليه فاقله ثم بايع من شئت بالخلافة فان الناس لا يخالفونك . وكتب أبو مسلم إلى المنصور يعلمه بقدمه عليه . قال أبو أيوب كاتب الرسائل : فدخلت على المنصور وهو جالس في خيابه شعر جالس في مصلاه بعد العصر ، وبين يديه كتاب فألقاه إلى فاذا هو كتب أبو مسلم يعلمه بالقدوم عليه ، ثم قال الخليفة : والله لئن ملأت عيني منه لأقتله . قال أبو أيوب : قتلت إنا لله وإنا إليه راجعون . وبت تلك الليلة لا يأتيني نوم ، أفكر في هذه الواقعة ، وقلت : إن دخل أبو مسلم خائفاً رعباً يئد منه شر إلى الخليفة ، والمصلحة تقتضى أن يسئل آمناً لئتمكن منه الخليفة . فلما أصبحت طلبت رجلاً من الأمراء وقلت له : هل لك أن تتولى مدينة كسكر فاتها منة في هذه السنة ؟ فقال : ومن لى بذلك ؟ فقلت له : فانهب إلى أبي مسلم فتلقيه في الطريق فاطلب منه أن يوليكَ تلك البلد ، فان أمير المؤمنين يريد أن يولي ما وراء بابه

ويستريح نفسه . واستأذنت المنصور له أن يتجهب إلى أبي مسلم فأذن له ، وقال له : سلم عليه وقل له : إنا بلاشواق إليه . فسار ذلك الرجل - وهو سلمة بن فلان - ^(١) إلى أبي مسلم فأخبره بأشواق الخليفة إليه ، فسرّه ذلك واشترح ، وإنا هو غرور ومكر به ، فلما سمع أبو مسلم بذلك عجل السير إلى منيته ، فلما قرب من المداين أمر الخليفة القواد والامراء أن يتلقوه ، وكان دخوله على المنصور من آخر ذلك اليوم ، وقد أشار أبو أيوب على المنصور أن يؤخر قتله في ساعته هذه إلى الغد ، وقبل ذلك منه . فلما دخل أبو مسلم على المنصور من المشى أظهر له الكرامة والتعظيم ، ثم قال : اذهب فأرح نفسك وادخل الحمام ، فإذا كان الغد فأتني . فخرج من عنده وجاءه الناس يسلمون عليه ، فلما كان الغد طلب الخليفة بعض الأمراء فقال له : كيف بلائي عنده ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو أمرتني أن أقتل نفسي لقتلتها . قال : فكيف بك لو أمرتك بقتل أبي مسلم ؟ قال : فوجم ساعة ثم قال له أبو أيوب : مالك لا تتكلم ؟ فقال قولة ضعيفة : أقتله . ثم اختار له من عيون الحرس أربعة فخرضهم على قتله ، وقال لهم : كونوا من وراء الرواق فإذا صقت يدي فآخرجوا عليه فاقتلوه . ثم أرسل المنصور إلى أبي مسلم رسلا تترى يتبع بعضها بعضاً ، فأقبل أبو مسلم فدخل دار الخلافة ثم دخل على الخليفة وهو يتسّم ، فلما وقف بين يديه جعل المنصور يمانيه إلى الذي صنع واحدة واحدة ، فيعتذر عن ذلك كله . ثم قال : يا أمير المؤمنين أرجو أن تكون نفسك قد طابت على . فقال المنصور : أما والله ما زادني هذا إلا غيظاً عليك . ثم ضرب باحدى يديه على الأخرى فخرج عثمان وأصحابه فضربوه بالسيوف حتى قتلوه ولفوه في عباءة ثم أمر بالقائه في دجلة ، وكان آخر العهد به ، وكان مقتله في يوم الأربعاء لأربع بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة .

وكان من جملة ما عاتبه به المنصور أن قال : كتبت إلى مرات تبدأ بنفسك ، وأرسلت نخطب عني أمينة ، وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس إلى غير ذلك . فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين لا يقال لي هذا وقد سميت في أمرك بما عليه كل أحد . فقال : وبك ألوانت في ذلك أمة سوداء لأنتم الله لبدنا وحيطتنا . ثم قال : والله لا تلتك . فقال : استبقني يا أمير المؤمنين لأعدائك . قال : وأنى عدوى أمدى منك . ثم أمر بقتله كما تقدم : فقال له بعض الأمراء : يا أمير المؤمنين الآن صرت خليفة . ويقال إن المنصور أثنى عند ذلك :

فأثنت عصاها واستقر بها النوى * كما قرّ عينا بالأيّلب المسافر

وذكر ابن خلكان أن المنصور لما أراد قتل أبي مسلم تخير في أمره هل يستشير أحداً في ذلك أو يستبد هو به لتلاشي شعير ويفسر ، ثم استشار واحداً من نصحاء أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين

قال الله تعالى (لو كن فيهما آلهة إلا الله لفسدنا) قال له : قد أودعتها أذناً واعية . ثم عزم على ذلك

(وهذه ترجمة أبي مسلم الخراساني)

هو عبد الرحمن بن مسلم أبو مسلم صاحب دولة بني العباس ، ويقال له أمير آل بيت رسول الله ﷺ ، وقال الخطيب : يقال له عبد الرحمن بن شيرين بن اسفنديار أبو مسلم المروزي ، صاحب الدولة العباسية ، يروي عن أبي الزبير وثابت البناني وإبراهيم وعبد الله ابني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، زاد ابن عساكر في شيوخه محمد بن علي وعبد الرحمن بن حرملة وعكرمة مولى ابن عباس . قال ابن عساكر : روى عنه إبراهيم بن ميمون الصائغ ، وبشر والد مصعب بن بشر ، وعبد الله بن شيرة وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن منيب المروزي وقديد بن منيع صهر أبي مسلم . قال الخطيب : وكان أبو مسلم فاضلاً ذا رأي وعقل وتقدير وحزم ، قتله أبو جعفر المنصور بالمداخن . وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصفهان : كان اسمه عبد الرحمن بن عثمان بن يسار ، قيل إنه ولد بأصفهان ، وروى عن السدي وغيره ، وقيل كان اسمه إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس ابن حوذن ، من ولد بزرجمهر ، وكان يكنى أبا إسحاق ، ونشأ بالكوفة وكان أبوه أوصى به إلى عيسى ابن موسى السراج ، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين ، فلما بعثه إبراهيم بن محمد الامام إلى خراسان قال له : غير اسمك وكنيتك . فكنى عبد الرحمن بن مسلم ، واكتنى بأبي مسلم ، فسار إلى خراسان وهو ابن سبع عشرة سنة راكباً على حمارٍ بكاف ، وأعطاه إبراهيم بن محمد فقة ، فدخل خراسان وهو كذلك ، ثم آل به الحال حتى صارت له خراسان بأزمته وحذاقها ، وذكر أنه في ذهابه إليها عدا رجل من بعض الخانات قطع ذنب حماره ، فلما تمكن أبو مسلم جعل ذلك المسكن دكا فكان يمد ذلك خراباً . وذكر بعضهم أنه أصابه سبي في صفره وأنه اشتراه بعض دعاة بني العباس بأربعمائة درهم ، ثم إن إبراهيم بن محمد الامام استوبه واشتراه فأتى إليه وزوجه إبراهيم بنت أبي النجم إسماعيل الطائي ، أحد دعاةهم ، لما بعثه إلى خراسان ، وأصدقها عنه أربعمائة درهم فولد لأبي مسلم بنتان إحداهما أسماء أعقت ، وفاطمة لم تعقب .

وقد تقدم ذكر كيفية استقلال أبي مسلم بأمر خراسان في سنة تسع وعشرين ومائة ، وكيف نشر دعوة بني العباس ، وقد كان ذا هيئة وصرامة وإقدام وتسرع في الأمور . وقد روى ابن عساكر بإسناده أن رجلاً قام إلى أبي مسلم وهو يخطب فقال : ما هذا السواد الذي أرى عليك ؟ قال : حدثني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله « أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء » . وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة . يا غلام أضرب عنقه . وروى من حديث عبد الله بن منيب عنه عن محمد بن علي عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس . قال : قال رسول الله

ﷺ : من أراد هوان قریش أهانہ الله . وقد كان ابراهيم بن ميمون الصائغ من أصحابه وجلسائه في زمن الدعوة ، وكان يصد إذا ظهر أن يقيم الحدود ، فلما تمكن أبو مسلم ألح عليه لإبراهيم ابن ميمون في القيام بما وعده به حتى أخرجہ ، فأمر بضرب عنقه ، وقال له : لم لا كنت تتبرك على نصر بن سيار وهو يعمل أو أياي الخمر من الذهب فيبيعها إلى بني أمية ؟ فقال له : إن أولئك لم يقرؤوا من أنفسهم ويمدوني منها ما وعدتني أنت . وقد رأى بعضهم لإبراهيم بن ميمون هنا منازل عالية في الجنة بصيره على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانه كان آمراً ناهياً قائماً في ذلك ، فقتله أبو مسلم رحمه الله .

وقد ذكرنا طاعة أبي مسلم للسفاح واعتناؤه بأمره وامتناله مراسيمه ، فلما صار الأمر إلى المنصور استخف به واحترمه ، ومع هذا بشه المنصور إلى عمه عبد الله إلى الشام فكسره واستغف منه الشام وردھا إلى حكم المنصور . ثم شجعت نفسه على المنصور ومم بقتله ، ففطن لذلك المنصور مع ما كان مبطلنا له من البغضة ، وقد سأل أخاه السفاح غير مرة أن يقتله كما قدم ذلك فأبى عليه ، فلما تولى المنصور ما زال يماكره ويخادعه حتى قدم عليه بقتله . قال بعضهم : كتب المنصور إلى أبي مسلم أما بعد فانه يرين على القلوب ويطلع عليها المماص ، فع أبها الطائش ، وأفق أبها السكران ، واقبھ أبها التائم ، فانك مفرور بأضغاث أحلام كاذبة ، في برزخ دنيا قد غرت من كان قبلك وسم بها سوائف القرون (هل يخص منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) وإن الله لا يسجزه من حرب ، ولا يفوته من طلب ، فلا تفتري بين مملك من شيعتي وأهل دعوتي ، فكأنهم قد صالحوا عليك بعد أن صالحوا مملك ، إن أنت خلعت الطاعة وطرقت الجماعة وبداءك من الله ما لم تكن تحتسب ، مهلاً مهلاً ، احذر البني أباً مسلم فانه من بني واعتدى تحلى الله عنه ، ونصر عليه من يصرعه ليدين والقم ، واحذر أن تكون سنة في الذين قد خلوا من قبلك ، ومثلني يأتي بسلك ، فقد قامت الحجة وأعذرت إليك ، وإلى أهل طاعتي فيك . قال تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الفاوين)

فأجابه أبو مسلم : أما بعد فقد قرأت كتابك فرأيتك فيه للصواب مجانباً ، وعن الحق حائناً إذ تضرب فيه الأمثال على غير أشكالها ، وكتبت إلى فيه آيات منزلة من الله للكافرين ، وما يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وإنني والله ما انسلخت من آيت الله ، ولكنني يا عبيد الله بن محمد كنت رجلاً متأولاً فيكم من القرآن آيت أوجبت لكم بها الولاية والطاعة ، فأعمت يا أخوين لك من قبلك ثم بك من بعدهما ، فكنت لهما شيعتاً متدينين أحسبني هادياً مهتدياً ، وأخطأت في التأويل وقصماً أخطأ المتأولون ، وقد قال تعالى (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام عليكم كتب ربكم على

نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) وإن أخاك السفاخ ظهر في صورة مهدي وكان ضالاً فأمرني أن أجرد السيف وأقتل بالظنة وأقدم بالشبهة وأرفض الرحمة ولا أقبل الثمرة ، فوترت أهل الدنيا في طاعتكم ، وتوطئة سلطانكم ، حتى عرفكم الله من كان جهلكم . ثم إن الله سبحانه تداركني منه بالندم واستغفرتني بالتوبة ، فإن يدت عنى ويصفر فانه كان للأوابين غفورا ، وإن يماقيني فيذنوبى وما ربك بظلام للعبيد .

فكتب إليه المنصور : أما بعد أيها المجرم العاصي ، فإن أخى كان إمام هدى يدعو إلى الله على بينة من ربه ، فأوضح لك السبيل ، وحملك على المنهج السديد ، فلو بأخى اقتديت لما كنت عن الحق حائلاً ، وعن الشيطان وأوامره صادراً ، ولكنه لم يسنع لك أمران إلا كنت لأرشدكما تاركاً ، ولأغواهما راكباً ، تقتل قتل الفراصة ، وتبتطش بطنش الجبابة ، وتحكم بالجوهر حكم المفسدين ، وتبذر المال وتضعه في غير مواضعه فعل المسرفين ، ثم من خبرى أيها الفاسق أتى قد وليت موسى ابن كعب خراسان ، وأمرته أن يقيم بنيسابور ، فإن أردت خراسان لقبك بمن معه من قوادى وشيخى ، وأنا موجه لقتالك أقرائك ، فاجمع كيذك وأمرك غير مسدد ولا موفق ، وحسب أمير المؤمنين ومن اتبعه الله ونعم الوكيل .

ولم يزل المنصور يرأسه ثابة بالرغبة وثابة بالرهبة ، ويستخف أحلام من حوله من الأمراء والزعماء الذين يمشهم أبو مسلم إلى المنصور ويمدحهم ، حتى حسنوا لأبى مسلم في رأيه القتلوم عليه سوى أمير معه يقال له نيزك ، فانه لم يوافق على ذلك ، فلما رأى أبا مسلم وقد انقطع لهم أنشد عند ذلك البيت المنتقم ، وهو : **مالرجال مع القضاء محالة * ذهب القضاء بحيلة الأقوام**

وأشار عليه بأن يقتل المنصور ويستخلف بدله فلم يمكنه ذلك ، فانه لما قسم المدائن لثلاثة الأمراء عن أمر الخليفة ، فما وصل إلا آخر التهار ، وقد أشار أبو أيوب كاتب الرسائل أن لا يقتله يومه هذا كما تقدم [فلما وقف بين يدى الخليفة أكرمه وعظمه وأظهر احترامه ، وقال : اذهب الليلة فأذهب عنك وعناء السفر ثم اتقنى من الغد .] ^(١) فلما كان الغد أُرصد له من الأمراء من يقتله ، منهم عثمان بن نهيك ، وشيب بن واثق ، وقتلوه كما تقدم . ويقال بل أقام ألياً يظهر له المنصور الاكرام والاحترام ، ثم نشق منه الوحشة تخاف أبو مسلم واستشفع بيمسى بن موسى واستجار به ، وقال : إني أخافك على نفسى . فقال : لا بأس عليك فانطلق فأتى آت وراك ، أنت في ذمتى حتى آتيك ، - ولم يكن مع عيسى خبر بما يريد به الخليفة - فجاء أبو مسلم يستأذن على المنصور فقتلوا له : اجلس هنا فإن أمير المؤمنين يتوضأ ، فجلس وهو يود أن يطول مجلسه ليحجى عيسى بن موسى فأبطأ ، وأذن له الخليفة

(١) زيادة من المصرية .

فسفل عليه فجعل يماثيه في أشياء صدرت منه فيمتنر عنها جيداً ، حتى قال له : فلم قتل سليمان بن كثير ، وإبراهيم بن ميسون ، وفلانا وفلانا ؟ قال : لأنهم عصوني وخالفوا أمرى . فنضب عند ذلك المنصور وقال : ويمحك ! أنت تقتل إذا عصيت ، وأنا لا أقتلك وقد عصيتنى ؟ وصفق يديه وكانت الإشارة بينه وبين المرصدين لقتله - ، فتبادروا إليه ليقبلوه فضربه أحدهم قطع حائل سيفه ، قال : يا أمير المؤمنين استبقنى لأعدائك ، قال : وأى عدو لى أعدى منك . ثم زجره المنصور قطعه قطعا ولغوه في عباءة ، ودخل عيسى بن موسى على إثر ذلك قال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا أبو مسلم ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال له المنصور : احمد الله الذى جمعت على نعمة ، ولم تهجم على نعمة ، ففى ذلك يقول أبو دلالة : -

أبا مسلم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يضرها العبد

أبا مسلم خوفنى القتل فاتتخى * عليك بماخوفنى الأسد الورود

وذكر ابن جرير أن المنصور هدم إلى عثمان بن نهيك وشبيب بن واثق وأبى خزيمة حرب بن قيس وآخر من الحرس أن يكونوا قريبا منه ، فإذا دخل عليه أبو مسلم وخطبه وضرب بأحدى يديه على الأخرى فليقتلوه . فلما دخل عليه أبو مسلم قال له المنصور : ما فعل السيفان اللذان أصبتهما من عبد الله بن على ؟ قال : هنا أحدهما . قال : أرنيه ، فناوله السيف فوضه تحت ركبته ثم قال له : ما حملك على أن تكتب لأبى عبد الله السفاح تنهاه عن الموات ، أردت أن تملنا الدين ؟ قال : إبنى ظننت أن أخنعه لا يجل ، فلما جاءنى كتاب أمير المؤمنين علمت أنه وأهل بيته معدن العلم . قال : فلم هدمت على فى طريق الحج ؟ قال : كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس ، فهدمت التماس الرفق . قال : فلم لارجت إلى حين أنك خبر موت أبى العباس ؟ قال : كرهت التضيق على الناس فى طريق الحج ، وعرفت أنا سنجتمع بالكوفة ، وليس عليك منى خلاف . قال : فجارية عبد الله بن على أردت أن تتخذها لنفسك ؟ قال : لا ! ولكن خفت أن تضعي فخمتها فى قبة وولدت بها من يحفظها . ثم قال له : ألسن الكاتب إلى تبدأ بنفسك والكاتب إلى يخطب أمانة بنت على ؟ وترجم ألك ابن سليل بن عبد الله بن عباس ؟ هنا كله ويد المنصور فى يده يمررها ويقبلها ويمتنر ، ثم قال له : فما حملك على مراغمتى ودخولك إلى خراسان ؟ قال : خفت أن يكون دخلك منى شئ فأردت أن أدخل خراسان وأكتب إليك بمنرى . قال : فلم قتل سليمان بن كثير وكان من شباتنا ودعاتنا قبلك ؟ قال : أراد خلاقى . قال : ويمحك وأنت أردت خلاقى وعصيتنى ، قلنى الله إن لم أقتلك . ثم ضربه بعمود انجليزية وخرج إليه أولئك فضربه عثمان قطع حائل سيفه ، وضربه شبيب قطع رجله ، وحمل عليه بقيتهم بالسيف ، والمنصور يصيح : ويمحك اضربوه قطع الله أيديكم . ثم ذبحوه

وقطعوه قطعاً قطعاً ، ثم ألقى في دجلة . ويروى أن المنصور لما قتله وقف عليه فقال : رحلك الله
أبا مسلم ، يا مبتدئ بايئناك ، وعاهدتنا وعاهدك ، ووفيت لنا فوفينا لك ، وإنا بإيمانك على أن
لا يخرج علينا أحد في هذه الأيام إلا قتلناه ، فخرجت علينا قتلناك ، وحكنا عليك حككك على
نفسك لنا . ويقال إن المنصور قال : الحمد لله الذي أرانا يومك يا عدو الله . قال ابن جرير وقال
المنصور عند ذلك : —

زعمت أن الدين لا يُقتضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم

سُقيت كساً كنت تسقى بها * أمرت في الخلق من الملقم

ثم إن المنصور خطب في الناس بعد قتل أبي مسلم فقال : أيها الناس ، لا تنتفروا أطياف النعم
بترك الشكر ، فتحل بكم النعم ، ولا تُسرُوا غش الأئمة فإن أحداً لا يسر منكم شيئاً إلا ظهر في
فلمات لسانه ، وصفحات وجهه ، وطولع نظره وإنا لن نجعل حقوقكم ما عرقتم حقنا ، ولا ننسى
الاحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا ، ومن نازعنا هذا القميص أو طائفاً أم رأسه ، حتى يستقيم رجالكم ،
وترتدع عمالككم . وإن هذا الثمر أبا مسلم بايع على أنه من ذكبت يميننا وأظهر غشنا فقد أباحنا دمه ،
فكثك وغدر وكفر ، فحكنا عليه لأنفسنا حكك على غيره لنا ، وإن أبا مسلم أحسن مبتدياً
وأساء منتهياً ، وأخذ من الناس بنا لنفسه أكثر مما أعطانا . ورجع قبيح باطنه على حسن ظاهره ،
وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته ما لو علم اللائم لنا فيه لما لام ، ولو اطلع على ما اطلعنا عليه منه
لعنفوا في قتله ، وعنفنا في إيماله ، وما زال ينقض يمينته وينفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا
دمه ، فحكنا فيه حكك في غيره ممن شق المصا ، ولم نمنعنا الحق له من إفضاء الحق فيه ، وما أحسن
ما قال النابغة الذبياني للثمان — يعني ابن المنصور — :

فمن أطاعك فانضه بطاعته • كما أطاعك والله على الرشد

ومن عصاك فضاقه معاقبه • تهي الظالم ولا تهد على ضمه

وقد روى البيهقي عن الحاكم بسند أن عبد الله بن المبارك سئل عن أبي مسلم أهر خير أم
الحجاج ؟ فقال : لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكن كان الحجاج شراً منه ، قد اتهمه
بمضمهر على الاسلام ، وروموه بالزندقة ، ولم أرفأ ذكره عن أبي مسلم ما يدل على ذلك ، بل على
أنه كان ممن يخاف الله من ذنوبه ، وقد ادعى التوبة فيما كان منه من سفك الدماء في إقامة الدولة
العباسية والله أعلم بأمره .

وقد روى الخطيب عنه أنه قال : ارتدبت العبر ، وآثرت الكفاف ، وحالفت الأحرار
والأشجان بوشاخة المقادير والأحكام ، حتى بلغت غاية همتي ، وأدركت نهاية بقيتي . ثم أنشأ يقول :

قد نلت بالعزم والكنان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان إذ حشموا
مازلت أضربهم بالسيف فاقبھوا * من رقعة لم ينمها قبلهم أحد
وظفت أسمى عليهم في ديارهم * والتموم في ملكهم في الشام قد رقدوا
ومن رمى غنا في أرض مسبعة * ونالم عنها تولى رعيها الأسد

وقد كان قتل أبي مسلم بالمدائن يوم الأربعاء لسبع خلون ، وقبل بلخس بقين ، وقيل لأربع ،
وقيل لثلاثين بقينا من شعبان من هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين ومائة - قال بعضهم : كان
ابتداء ظهوره في رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة ، وقيل في شعبان سنة سبع وعشرين ومائة .
وزعم بعضهم أنه قتل ببغداد في سنة أربعين ، وهذا غلط من قائله ، فإن ببغداد لم تكن بنيت بعد
كما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، ورد هذا القول .

ثم إن المنصور شرع في تأليف أصحاب أبي مسلم بالأعطية والرغبة والرهبة والولايات ، واستدعى
أبا إسحاق - وكان من أعز أصحاب أبي مسلم - وكان على شرطة أبي مسلم ، وهم بضرب عنقه فقال : يا أمير
المؤمنين والله ما أمنت قط إلا في هذا اليوم ، وما من يوم كنت أدخل عليك إلا تمخضت ولبست
كنفي . ثم كشف عن ثيابه التي تلي جسمه فإذا هو محنط وعليه أدرع أكفان ، فرق له المنصور وأطلقه
وذكر ابن جرير أن أبا مسلم قتل في حروبه وما كان يتماطله لأجل دولة بني العباس ستمائة ألف
صبرا زيادة عن من قتل بغير ذلك . وقد قال للمنصور وهو يماثبه على ما كان يصنمه : يا أمير المؤمنين
لا يقال لي هذا بعد بلائي وما كان مني . فقال له : يا ابن الخبيثة ، لو كانت أمة مكافكة لأجزأت
فأحبها ، إنما علمت ما علمت بدولتنا وبريحنا ، لو كان ذلك إليك لما وصلت إلى فتيل . ولما قتله
المنصور لف في كساء وهو مقطوع إر با إربا ، فدخل عيسى بن موسى فقال : يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم ؟
قال : قد كان هاهنا آفنا . فقال : يا أمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى إبراهيم الإمام
فيه . فقال له : يا أتوك والله ما أعلم في الأرض عدوا أعدى لك منه ، هاهو ذاك في البساط . فقال :
إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له المنصور : خلع الله قلبك ! وهل كان لكم مكان أو سلطان أو أمر
أو نهى مع أبي مسلم ؟ ثم استدعى المنصور برؤس الأمراء فجعل يستشيرهم في قتل أبي مسلم قبل أن
يصلوا بقتله ، فكلهم يشير بقتله ، ومنهم من كان إذا تكلم أسر كلامه خوفا من أبي مسلم لئلا ينقل إليه ،
فما أطلعهم على قتله أفزعهم ذلك وأظهروا سرورا كثيرا . ثم خطب المنصور الناس بذلك كما تقدم .
ثم كتب المنصور إلى نائب أبي مسلم على أمواله وحواصله يكتب على لسان أبي مسلم أن
يقم بجميع ما عنده من الحواصل والبخائر والأموال والجواهر ، وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم
بكله ، مطبوعا بكل فص الخاتم ، فلما رآه الخازن استراب في الأمر ، وقد كان أبو مسلم تهم إلى

خازنه أنه إذا جاءك كتابي فإن رأيته محتوماً بنصف الفص فامض لما فيه ، فاقى إماماً أختم بنصف فصه على كتفي ، وإذا جاءك الكتلة محتوماً عليه بكلمة فلا تقبل ولا تمض ما فيه . فامتنع عند ذلك خازنه أن يقبل ما بعث به المنصور ، فأرسل المنصور بمد ذلك إليه من أخذ جميع ذلك وقتل ذلك الرجل الخازن ، وكتب المنصور إلى أبي داود إبراهيم بن خالد بأمره خراسان كما وعده قبل ذلك عوضاً عن أبي مسلم .

وفي هذه السنة خرج سفياذ يطلب بدم أبي مسلم ، وقد كان سفياذ هذا مجوسياً تغلب على قومس وأصبهان ، ويسمى بغيروز أصبهيد ، فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشاً من عشرة آلاف فارس عليهم جهور بن مرار السجلى - فالتقوا بين همدان والري بالمقازة ، فهزم جهور لسفياذ وقتل من أصحابه ستين ألفاً وسبب ذراريهم ونسبهم ، وقتل سفياذ بمد ذلك فكانت أيامه سبعين يوماً . وأخذ ما كان استحوذ عليه من أموال أبي مسلم التي كانت بالري . وخرج في هذه السنة أيضاً رجل يقال له ملبد [بن حرمة الشيباني] في ألف من الخوارج بالجزيرة فجهز إليه المنصور جيوشاً متعددة كثيفة كلها تنفر منه وتتكسر ثم قتله حميد بن قحطبة نائب الجزيرة ، فهزمه ملبد وتحصن منه حميد في بعض الحصون ثم صالحه حميد بن قحطبة على مائة ألف فدفعها إليه وقبلها ملبد وتقلع عنه .

وحج بالناس في هذه السنة عم الخليفة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس قاله الواقدي . وكان نائب الموصل - يعنى عم المنصور - وعلى نيابة الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سليمان ابن علي ، وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة ، وعلى مصر صالح بن علي ، وعلى خراسان أبو داود إبراهيم ابن خالد ، وعلى الحجاز زياد بن عبد الله . ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل الخليفة بسفياذ وغيره . ومن مشاهير من توفي فيها أبو مسلم الخراساني كما تقدم ، ويزيد بن أبي زياد أحد من تكلم فيه كما ذكرناه في التكميل ، والله سبحانه أعلم .

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة)

فيها دخل قسطنطين ملك الروم ملطية عنوة فهزم سورها وعفا عن قدر عليه من مقاتلتها . وفيها غزا الصائفة صالح بن علي نائب مصر ، فبنى ما كان هدم ملك الروم من سور ملطية ، وأطلق لأخيه عيسى بن علي أربعين ألف دينار ، وكذلك أعطى لابن أخيه العباس بن محمد بن علي أربعين ألف دينار . وفيها بايع عبد الله بن علي القى كرهه أبو مسلم وانهمز إلى البصرة واستجار بأخيه سليمان بن علي ، حتى بايع للخليفة في هذه السنة ورجع إلى طاعته . ولكن حبس في سجن بغداد كما سيأتي . وفيها خلع جهور بن مرار السجلى الخليفة المنصور بمد ما كسر سفياذ واستحوذ على حواصله وعلى أموال أبي مسلم ، فتويت نفسه بذلك وظن أنه لا يقدر عليه بمد ، فأرسل إليه

الخليفة عبد بن الأشعث الخزازي في جيش كثيف فاقتلوا قتالا شديداً ، فهزم جهود وقتل عامة من معه ، وأخذ ما كان معه من الأموال والحواصل والقدخائر ، ثم لحقوه قتلوه . وفيها قتل الملبد الخارجي على يدي خازم بن خزيمية في ثمانية آلاف ، وقتل من أصحاب الملبد ما يزيد على ألف وانهمز بقيتهم . قال الواقدي : وحج بالناس فيها الفضل بن علي ، والنواب فيها هم المذكورون بالتي قبلها

ومن توفي فيها من الأعيان زيد بن واقد ، والعلاء بن عبد الرحمن ، وليث بن أبي سليم في قول [وفيها كانت خلافة الفاضل من بني أمية إلى بلاد الأندلس وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان الهاشمي . قلت : ليس هو بهاشمي إنما هو من بني أمية ويسى أموياء ، كان قد دخل إلى بلاد المغرب فراراً من عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاجتاز بمن معه من أصحابه الذين فروا معه يقوم يقتلون على عصبية النجاشية والمضربة ، فبعت مولاه بديراً إليهم فاستألم إليه فبايعوه ودخل بهم ففتح بلاد الأندلس واستحوذ عليها وانتزعها من قائمها يوسف بن عبد الرحمن ابن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وقتله . وسكن عبد الرحمن قرطبة واستمر في خلافته في تلك البلاد من هذه السنة إلى سنة ثنتين وسبعين ومائة . فتوفي فيها وله في الملك أربع وثلاثون سنة وأشهر . ثم قام من بعده ولده هشام ست سنين وأشهرآ . ثم مات فولى بعده الحكم بن هشام ستا وعشرين سنة وأشهرآ ثم مات . ثم ولي بعده عبد الرحمن بن الحكم ثلاثا وثلاثين سنة ثم مات . ثم ولي بعده محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ستا وعشرين سنة . ثم ابنه المنذر بن محمد ، ثم أخوه عبد الله بن محمد بن المنذر . وكانت أيلمه بعد الثلاثمائة بدهر ، ثم زالت تلك القولة كما سذكروه من زوال تلك السنون وأهلها وما قضا فيها من النعيم والمعيش الرغيد والنساء الحسان ثم انقضت تلك السنوات وأهلها كأنهم على ميعاد ، ثم أضحوا كأنهم ورق جف ألوت عليه الصبا والقبول] (١) .

فيها أكل صالح بن علي بناء ملطية ثم غزا الصائقة على طريق الحدث ، فوغل في بلاد الروم ، وغزا معه أخته أم عيسى ولبابة ابتنا على ، وكاتنا نفرتا إن زال ملك بني أمية أن يجاهدنا في سبيل الله عز وجل . وفيها كان الفداء الذي حصل بين المنصور وبين ملك الروم ، فاستقذ بعض أسرى المسلمين ثم لم يكن للناس صائقة في هذه السنة إلى سنة ست وأربعين ، وذلك لاشتغال المنصور بأمر ابني عبد الله بن حسن كما سذكروه . ولكن ذكر بعضهم أن الحسن بن قحطبة غزا الصائقة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الامام سنة أربعين لله أعلم .

وفيها وسع المنصور المسجد الحرام ، وكانت هذه السنة خصبة جداً - أي كثيرة الغنص فكان (١) زيادة من نسخة استمبول .

يقال لها السنة الخصبية - وقيل إنما كان ذلك في سنة أربعين . وفيها عزل المنصور عمه سليمان عن إمرة البصرة ، فاختفى عبد الله بن علي وأصحابه خوفاً على أنفسهم ، فبعث المنصور إلى نائبه على البصرة ، وهو سفيان بن معاوية ، يستحثه في إحضار عبد الله بن علي إليه ، فبعثه في أصحابه قتل بعضهم وسجن عبد الله بن علي عمه ، وبعث بقية أصحابه إلى أبي داود نائب خراسان قتلهم هناك وحج بالناس فيها العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها توفي عمرو بن مجاهد ، ويزيد بن عبد الله بن الهادي ، وبنو بن عبيد ، أحد العباد وصاحب الحسن البصري .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين ومائة ﴾

فيها ثار جماعة من الجند على أبي داود نائب خراسان ، وحاصروا داره ، فأشرف عليهم وجعل يستغيث بمجنده ليحضروا إليه ، واتكأ على آجرة في الحائط فانكسرت به فسقط فانكسر ظهره فأت ، تغلفه على خراسان عاصم ، صاحب الشرطة حتى قدم الأمير من جهة الخليفة عليها ، وهو عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، فسلم بلاد خراسان ، وقتل جماعة من الأمراء لأنه بلغه عنهم أنهم يدعون إلى خلافة آل علي بن أبي طالب ، وحبس آخرين ، وأخذ نواب أبي داود بمجباية الأموال المنكسرة عندهم .

وفيها حج بالناس الخليفة المنصور أحرم من الحيرة ورجع بعد انقضاء الحج إلى المدينة ، ثم رحل إلى بيت المقدس فزاره ، ثم سلك الشام إلى الرقة ، ثم سار إلى الهاشمية - هاشمية الكوفة - ونواب الأقاليم هم المذكورون في التي قبلها ، سوى خراسان فإنه ملت قائمها أبو داود ، تغلفه مكانه عبد الجبار الأزدي . وفيها توفي داود بن أبي هند ، وأبو حازم سلمة بن دينار ، وسهيل بن أبي صالح ، وعمارة بن غزية بن قيس السكوني .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة ﴾

فيها خرجت طائفة يقال لها الراوندية على المنصور . ذكر ابن جرير عن المدائني أن أصلهم من خراسان ، وهم على رأي أبي مسلم الخراساني ، كانوا يقولون بالتناسخ ، ويؤمنون أن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور . وأن الهيم بن معاوية جبريل ، فحبهم الله .

قال ابن جرير : فأتوا يوماً قصر المنصور فخلعوا يطوفون به ويقولون : هذا قصر ربنا ، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين ، فضربوا من ذلك وقالوا : علام نحبسهم ؟ ثم عمدوا إلى نقش فخلعوه على كواهلهم وليس عليه أحد ، واجتمعوا حوله كأنهم يشيرون جنازة ، واجتازوا بيباب السجن ، فألقوا النمش ودخلوا السجن قهراً واستخرجوا من فيه من أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور

وم في ساقه ، فتنادى الناس وغلقت أبواب البلد ، وخرج المنصور من القصر ماشياً ، لأنه لم يجد دابة يركبها ، ثم جرى بداية فركبها وقصد نحو الراوندية وجاء الناس من كل ناحية ، وجاء من بن زائدة ، فلما رأى المنصور ترجل وأخذ بلجام دابة المنصور ، وقال : يا أمير المؤمنين أرجع نحن نكفيكم . فأبى وقام أهل الأسواق إليهم فقاتلهم ، وجاءت الجيوش فالتفوا عليهم من كل ناحية فحصدوم عن آخرهم ، ولم يبق منهم بقية . وجرحوا عثمان بن نبيك بسهم بين كتفيه ، ففرض أليماً ثم ملأ ، فصلى عليه الخليفة ، وقام على قبره حتى دفن ودعاه ، وولى أخاه عيسى بن نبيك على الحرس ، وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية من السكوة .

ولما فرغ المنصور من قتال الراوندية ذلك اليوم صلى بالناس الظهر في آخر وقتها ، ثم أتى بالطعام فقال أين ممن بن زائدة ؟ وأمسك عن الطعام حتى جاء ممن فأجلسه إلى جنبه ، ثم أخذ في شكره لمن يحضرته لما رأى من شهامته يومئذ . فقال ممن : والله يا أمير المؤمنين لقد جئت وإني لوجل ، فلما رأيت استبانتك بهم وإقدامك عليهم قوى قلبي واطمأن ، وما ظننت أن أحداً يكون في الحرب هكذا ، فذاك الذي شجني يا أمير المؤمنين . فأمر له المنصور بمشرة آلاف ورضى عنه وولاه اليمن . وكان ممن بن زائدة قبل ذلك محتفياً ، لأنه قاتل المسودة مع ابن هبيرة ، فلم يظهر إلا في هذا اليوم . فلما رأى الخليفة صدقه في قتاله رضى عنه . ويقال : إن المنصور قال عن نفسه : أخطأت في ثلاث : قتلت أبا مسلم وأنا في جماعة قليلة ، وحين خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالمرأى لذهب الخليفة ، ويوم الراوندية لو أصابني سهم غرب لذهب ضياعاً . وهذا من حزمه وصرامته .

وفي هذه السنة ولى المنصور ابنه محمداً المهد من بعده ودعاه بالمهدي وولاه بلاد خراسان وعزل عنها عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وذلك أنه قتل خلقاً من شيعة الخليفة ، فشكاه المنصور إلى أبي أبوب كاتب الرسائل قال : يا أمير المؤمنين أكتب إليه ليثبت جيشاً كثيفاً من خراسان إلى غزو الروم ، فإذا خرجوا بنيت إليه من شئت فأخرجوه من بلاد خراسان ذليلاً . فكتب إليه المنصور بذلك ، فرد الجواب بأن بلاد خراسان قد عانت بها الأتراك ، ومتى خرج منها جيش خيف عليها وفسد أمرها . فقال المنصور لأبي أبوب : ماذا ترى ؟ قال : فأكتب إليه : إن بلاد خراسان أحق بالمدد لتثور المسلمين من غيرها ، وقد جهزت إليك بالجنود . فكتب إليه أيضاً : إن بلاد خراسان ضيقة في هذا العام أقواتها ، ومتى دخلها جيش أفسدها . قال الخليفة لأبي أبوب : ما تقول ؟ فقال : يا أمير المؤمنين هنا رجل قد أبدى صفحته وخلع فلا تناظره . فحينئذ بعث المنصور ابنه محمداً المهدي ليقيم بالري ، فبعث المهدي بين يديه خازم بن خزيمه مقدمة إلى عبد الجبار ، فما زال به يمدعه ومن معه حتى هرب من معه وأخفوه هو فأركبوه بعيراً محملاً وجهه إلى ناحية ذنب البعير . وسيره كذلك

في البلاد حتى أقدموه على المنصور ومعه ابنه وجماعة من أهله ، ف ضرب المنصور عنقه وسير ابنه ومن معه إلى جزيرة في طرف اليمن ، فأمرتهم المنود بعد ذلك ، ثم فودى بعضهم بعد ذلك . واستقر المهدي نائباً على خراسان ، وأمره أبوه أن يفزو طبرستان ، وأن يحارب الأصبهين بمن معه من الجنود وأمنه بجيش عليهم عمر بن علاء ، وكان من أعلم الناس بحرب طبرستان ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

قل للخليفة إن جنته * نصيحاً ولا خير في التهم

إذا أقتلتك حروب العدى * فنيه لما عمراً ثم ثم

فنى لا ينالم على حنة * ولا يشرب الماء إلا بدم

فلما توافقت الجيوش على طبرستان فتحوها وحصروا الأصبهين حتى ألقوه إلى قلعة فصلحهم على ما فيها من الذخائر ، وكتب المهدي إلى أبيه بذلك ، ودخل الأصبهين بلاد الفيل فات هناك . وكسروا أيضاً ملك الترك الذي يقال له المصغتان ، وأمسروا أعمام القداري ، فهذا فتح طبرستان الأول . وفيها فرغ بناء المصيبة على يدى جبريل بن يحيى الخراساني ، وفيها رابط محمد بن إبراهيم الامام ببلاط ملطية . وفيها عزل المنصور زياد بن عبيد الله عن إمرة الحجاز وولى المدينة محمد بن خالد القسري وقدمها في رجب . وولى مكة والطائف المهيم بن معاوية المكي . وفيها توفي موسى بن كعب وهو على شرطة المنصور . وعلى مصر من كان عليها في السنة الماضية ، ثم ولى مصر محمد بن الأشعث ثم عزله عنها وولى عليها نوفل بن الفرات . وحج بالناس فيها صالح بن على وهو نائب قنشرين وحض ودمشق ، وبقية البلاد عليها من ذكرنا في التي قبلها والله أعلم .

وفيها توفي أبان بن تغلب ، وموسى بن عقبة ، صاحب الغازي ، وأبو إسحاق الشيباني في قول والله سبحانه أعلم . ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائة ❦

فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب نائب السند الخليفة ، فجز إليه الساكر محبة عمر بن حفص ابن أبي صخرة ، وولاه السند والمهند ، فخاربه عمر بن حفص وقهره على الأرض وتسلمها منه . وفيها نكث أصبهين طبرستان العهد الذي كان بينه وبين المسلمين ، وقتل طائفة ممن كان بطبرستان ، فجز إليه الخليفة الجيوش محبة خازم بن خزيمه ، وروح بن حاتم ، ومهم مرزوق أبو الخصيب ، مولى المنصور ، فحاصروه مدة طويلة ، فلما أعيام فتح الحصن الذي هو فيه احتالوا عليه ، وذلك أن أبا الخصيب قال : اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ، ففعلوا ذلك ، فذهب إليه كأه مغاضب للمسلمين قد ضربوه وحلقوا لحيته ، فدخل الحصن ففرح به الأصبهين وأكرمه وقر به ، وجعل أبو الخصيب يظهر له النصيح والخلمة حتى خدعه ، وحلق عنده جداً وجعله من جملة من يتولى فتح الحصن وغلقه ، فلما تمكن من ذلك كاتب المسلمين وأعلمهم أنه في القيلة القليلة ينتزع لهم ، فآفروا من الباب حتى

أنتحه لكم ، فلما كانت تلك الليلة فتح لهم باب الحصن فدخلوا قتلوا من فيه من المقاتلة وسبوا القوية وامنص الأصبهيد خاتماً مسموماً فأت . وكان فيمن أسروا يومئذ منصور بن المهدي ، وأم إبراهيم ابن المهدي ، وكاتنا من بنات الملوك الحسان .

وفيهما بني المنصور لأهل البصرة قبلتهم التي يصلون عندها بالجبان ، وتولى بناءها سلمة بن سعيد ابن جابر نائب الفرات والأبلة . وصام المنصور شهر رمضان بالبصرة وصلى بالناس العيد في ذلك المصل . وفيها عزل المنصور نوفل بن الفرات عن إمرة مصر وولى عليها حميد بن قحطبة . وحج بالناس فيها إسماعيل بن علي . وفيها توفي سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة ونائب البصرة . كان ذلك يوم السبت لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وهو ابن تسع وخمسين سنة ، وصلى عليه أخوه عبد الصمد . روى عن أبيه وعكرمة وأبي بردة بن أبي موسى . وعنه جماعة منهم بنوه جعفر ، ومحمد ، وزينب والأصمى . وكان قد شاب وهو ابن عشرين سنة ونحضب لحيته من الشيب في ذلك السن ، وكان كريماً جواداً عديمًا . كان يعتق عشية عرفة في كل سنة مائة نسمة ، وبلغت صلاته ابني هاشم وسائر قریش والأفصار خمسة آلاف ألف واطلع يوماً من قصره فرأى نسوة ينزلن في دار من دور البصرة ، فاتفق في نظره هذا الين أن قالت واحدة منهن : لو أن الأمير نظر إلينا واطلع على حالنا فأغنانا عن الفزل ؟ فنهض من فوره فجعل يدور في قصره ويجمع من حلى نساءه من القعب والجواهر وغيرها ما ملأ به منديلاً كبيراً ، ثم دلّاه إلىهن ونثر عليهن من الدنانير والدرهم شيئاً كثيراً ، فأتت إحداهن من شدة الفرح ، فأعطى ديتها وما تركته من ذلك لوديتها . وقد ولى الحج في أيام السفاح ، وولى البصرة أيام المنصور ، وكان من خيار بني العباس ، وهو أخو إسماعيل وداود واصلح وعبد الصمد وعبد الله وعيسى ومحمد ، وهو عم السفاح والمنصور .

ومن توفي فيها من الأعيان خالد الحفناء ، وعلم الأحول ، وعمر بن عبيد القدرى في قول . وهو عمرو بن عبيد بن ثوبان ، ويقال ابن كيسان ، التيمنى مولاهم أبو عثمان البصرى ، من أبناء فارس ، شيخ القدرية والمعتزلة . روى الحديث عن الحسن البصرى وعبيد الله بن أنس ، وأبي المالية وأبي قلابة ، وعنه الحادان وسفيان بن عيينة والأعمش . وكان من أقرانه . وعبد الوارث ابن سعيد ، وهارون بن موسى ، ويحيى القطان ، يزيد بن زريع . قال الامام أحمد بن حنبل : ليس بأهل أن يحدث عنه . وقال علي بن المديني ويحيى بن معين : ليس بشيء ، وزاد ابن معين وكان رجلاً سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع . وقال الفلاس : متروك صاحب بدعة . كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه وكان ابن مهدي لا يحدث عنه . وقال أبو حاتم : متروك . وقال النسائي ليس بثقة . وقال شعبه عن بونس بن عبيد : كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث .

وقال حماد بن سلمة : قال لي حميد : لا تأخذ عنه فإنه كان يكتسب على الحسن البصري . وكنا قال أيوب وعوف وابن عون . وقال أيوب : ما كنت أعهده عقلا ، وقال مطر الوراق : والله لأصدقه في شيء . وقال ابن المبارك : إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر . وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل ، وأنتهى عليه آخرون في عبادته وزهده وتقشفه . قال الحسن البصري : هذا سيد شباب القراء ما لم يحدث . قالوا : فأحدث والله أشد الحديث . وقال ابن حبان : كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة ، وكان يشتم الصحابة ويكتب في الحديث ، وما لا تمسكاً . وقد روى عنه أنه قال : إن كانت تبت بدا أبي لحب في القروح المحفوظ فما تعد منه على ابن آدم حجة . وروى له حديث ابن مسعود : حدثنا الصادق المصدوق « أن خلقاً أحكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً » حتى قال : « فيؤمر بأربع كلمات . رزقه وأجله ، وعمله ، وشقى أم سعيد » إلى آخره . فقال : لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته ، ولو سمعته من زبدين وهب لما أحببته ، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته ، ولو سمعته من رسول الله ﷺ لرددته ، ولو سمعت الله يقول هنا لقلت ما على هنا أخنت علينا الميثاق . وهذا من أقبح الكفر ، لعنه الله إن كان قال هذا . وإذا كان مكنوياً عليه فلي من كذبه عليه ما يستحقه وقد قال عبد الله ابن المبارك رحمه الله :

أيها الطالب علماً • ليت حماد بن زيد • نغذ العلم بحلم • ثم قيده بقيد

ونذر البدعة من • آثار عمرو بن عبيد

وقال ابن عدي : كان عمرو يثر الناس بتقشفه ، وهو مذموم ضعيف الحديث جداً ، معلن بالبدع . وقال الفاروق : ضعيف الحديث . وقال الخطيب البغدادي : جالس الحسن واشتهر بصحبته ثم أزاله [وأصل بن عطاء عن منزه أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه ، واعتزل أصحاب الحديث ، وكان له سمعة وإظهار زهد . وقد قيل : إنه ^(١)] وأصل بن عطاء ولما سنة ثمانين ، وحكي البخاري أن عمر آملت سنة ثنتين أو ثلاث وأربعين ومائة بطريق مكة ، وقد كان عمرو وعظيماً عند أبي جعفر المنصور ، كان المنصور يحبه ويعظمه لأنه كان ينفذ على المنصور مع القراء فيعطيه المنصور فيأخذون ، ولا يأخذ عمرو منه شيئاً ، وكان يسأله أن يقبل كما يقبل أصحابه فلا يقبل منه ، فكان ذلك مما يثر المنصور وروج به عليه حاله ، لأن المنصور كان بخيلاً وكان يمجبه ذلك منه وينشد :

كلكم يمشي رويد • كلكم يطلب صيد • غير عمرو بن عبيد

ولو تبصر المنصور لعل أن كل واحد من أولئك القراء خير من ملء الأرض مثل عمرو بن عبيد ،

والتعهد لا يدل على صلاح ، فان بعض الزهاد قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه عمرو ولا كثير من المسلمين في زمانه . وقد روينا عن إسماعيل بن خالد التقني قال : رأيت الحسن بن جعفر في المنام بعد ما مات بعبادان فقال لي : أيوب ويونس وابن عون في الجنة . قلت : فعمرو بن عبيد ؟ قال : في النار . ثم رآه مرة ثانية وروي ثالثة ، فيسأله فيقول له مثل ذلك . وقد رويت له منامات قبيحة ، وقد أطل شخبنا في تهذيبه في ترجمته ونلصنا حاصلها في كتابنا التكميل ، وأشرنا ههنا إلى نبيذ من حاله ليعرف فلا يشتر به والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة ﴾

فيها ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم ، لأنهم قتلوا من المسلمين خلقا ، وأمر أهل الكوفة والبصرة من كان منهم بمقدار عشرة آلاف فصاعداً فليذهب مع الجيش إلى الديلم ، فانتدب خلق كثير وجم غفير لذلك . وحج بالناس فيها عيسى بن موسى نائب الكوفة وأعمالها . وفيها توفي حجاج الصواف ، وحيد بن ربيعة الطويل ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وقد ذكرناه في التي قبلها ، وعمرو بن عبيد في قول ، وليث بن أبي سليم على الصحيح . ويحيى بن سعيد الأنصاري .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة ﴾

فيها سار محمد بن أبي العباس السفاح عن أمره المنصور إلى بلاد الديلم ومعه الجيوش من الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة . وفيها قدم محمد بن جعفر المنصور المهدي على أبيه من بلاد خراسان ودخل بآبنة معه رابعة بنت السفاح بالحيرة . وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور واستخلف على الحيرة والسكر خازم بن خزيمه ، وولى رباح بن عثمان المزني المدينة وعزل عنها محمد بن خالد القسري ، وتلقى الناس أبا جعفر المنصور إلى أثناء طريق مكة في حجة في سنة أربع وأربعين ومائة . وكان في جملة من تلقاه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، فأجلسه المنصور معه على السباط ، ثم جبل بمحاذته بآبنة زائده بحيث إن المنصور اشتغل بفلك عن عامة غمائه ، وسأله عن ابنه إبراهيم ومحمد لم لا جاآني مع الناس ؟ فحلف عبد الله بن حسن أنه لا يدري أين صار من أرض الله . وصلى في ذلك ، وما ذاك إلا أن محمد بن عبد الله بن حسن كان قد بايحه جماعة من أهل الحجاز في أواخر دولة مروان الحمار بالخلابة وخلع مروان ، وكان في جملة من بايحه على ذلك أبو جعفر المنصور ، وذلك قبل تحويل الدولة إلى بني العباس ، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور خاف محمد بن عبد الله بن الحسن وأخوه إبراهيم منه خوفاً شديداً .

وذلك لأن المنصور نوم منهما أنهما لا بد أن يخرجاه عليه كما أراد أن يخرجاه على مروان ، والقي نوم منه المنصور وقع فيه ، فذهب هرباً في البلاد الشاسعة فصارا إلى اليمن ، ثم سارا إلى الهند فاختفيا

بها ، فدل على مكاتبا الحسن بن زيد فهربا إلى موضع آخر ، فاستبدل عليه الحسن بن زيد ودل عليهما ، ثم كنفك . وانتصب إليهما عند المنصور . والعجب منه أنه من أتباعهما . واجتهد المنصور بكل طريق على تحصيلهما فلم يفتق له ذلك ، وإلى الآن . فلما سأل أبيهما عنهما حلف أنه لا يرى أين صارا من أرض الله ، ثم أُلج المنصور على عبد الله في طلب ولديه فنضب عبد الله من ذلك وقال : والله لو كانا تحت قدمي مادلتك عليهما . فنضب المنصور وأمر بسجنه وأمر ببيع رقيقه وأمواله ، فلبث في السجن ثلاث سنين ، وأشاروا على المنصور بمحبس بنى حسن عن آخرهم فحبسهم ، وجد في طلب إبراهيم ومحمد جدا ، هنا وهما يحضران الحج في غالب السنين ويكنان في المدينة في غالب الأوقات ، ولا يشعر بهما من يتم عليهما وقف الحمد . والمنصور يزل ثيابا عن المدينة ويولى عليها غيره ويعرضه على إساكهما والفتن عنهما ، وبذل الأموال في طلبهما ، وتمجزه المقادير عنهما لما يريد الله عز وجل .

وقد واطأهما على أمرهما أمير من أمراء المنصور يقال له أبو العساكر خالد بن حسان ، فزموا في بعض الحجات على الفتك بالمنصور بين الصفا والمروة ، فقام عبد الله بن حسن لشرف البقعة . وقد اطلع المنصور على ذلك وعلم بما مالأها ذلك الأمير ، فمذبه حتى أقر بما كانوا يتآلوا عليه من الفتك به . فقال : وما ألقى صرفكم عن ذلك ؟ فقال : عبد الله بن حسن نهانا عن ذلك ، فأمر به الخليفة فنيب في الأرض فلم يظهر حتى الآن . وقد استشار المنصور من يسلم من أمراءه ووزرائه من ذوى الرأي في أمر ابنى عبد الله بن حسن ، وبعث الجواسيس والقصاد في البلاد فلم يقع لهما على خير ، ولا ظهر لهما على عين ولا أثر ، والله غالب على أمره . وقد جاء محمد بن عبد الله بن حسن إلى أمه فقال يا أمه ! إنى قد شقت على أبى وعموتى ، ولقد هممت أن أضع يدي في يدهؤلاء لأريح أهلك . فنهبت أمه إلى السجن ففرضت عليهم ما كالأبنا ، قالوا : لا ولا كرامة ، بل نصبر على أمره فلعل الله أن يفتح على يديه خيرا ، ونحن نصبر وفرجنا بيد الله إن شاء فرج عنا ، وإن شاء ضيق . وتآلوا كلهم على ذلك رحمهم الله .

وفىها هل أكل حسن من حبس المدينة إلى حبس بالوراق وفى أرجلهم القيود ، وفى أعناقهم الأغلال . وكان ابتداء تهديم من الرتبة بأمر أبى جعفر المنصور ، وقد أشخص مهمم محمد بن عبد الله الثماني ، وكان أخا عبد الله بن حسن لأمه ، وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وقد حملت قريبا ، فاستحضره الخليفة وقال : قد حلفت بالعناق والطلاق إنك لم تفتنى ، وهذه ابنتك حملت ، فإن كان من زوجها قد حملت منه وأنت تعلم به ، وإن كان من غيره فأنت دبرث . فأجاب الثماني بجواب أحفظه به ، فأمر به فجردت عنه ثيابه فاذا جسده مثل الفضة النقية ، ثم

ضربه بين يديه مائة وخمسين سوطاً ، منها ثلاثون فوق رأسه ، أصاب أحدها عينه فسادت ، ثم رده إلى السجن وقد بقي كأنه عبد أسود من زرقة الضرب ، وتراكم الدماء فوق جلده ، فأجلس إلى جانب أخيه لأنه عبد الله بن حسن ، فاستسقى ماءً فاجسر أحد أن يسقيه حتى سقاء خراساني من جملة الجلاوزة المولكين بهم . ثم ركب المنصور هودجه وأركبوا أولئك في محامل ضيقة ، وعلمهم القيود والأغلال ، فاجتاز بهم المنصور وهو في هودجه ، فداداه عبد الله بن حسن : والله يا أبا جعفر ما هكنا صنعنا بأسرائكم يوم بدر ، فأخسأ ذلك المنصور وقتل عليه ونفر عنهم . ولما انتهوا إلى العراق حبسوا بالمشمية ، وكان فيهم محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وكان جيلاني ، فكان الناس ينهبون لينظروا إلى حسنه وجهه . وكان يقال له : الديباج الأصفر ، فأحضره المنصور بين يديه وقال له : أما لا تقتلك قتلة ما قتلها أحدنا . ثم ألقاه بين أسطواتين وسد عليه حتى مات . فبلى المنصور ما يستحقه من عذاب الله ولعنته . وقد هلك كثير منهم في السجن حتى فرج عنهم بعد هلاك المنصور على ما سنذكره . فكان فيمن هلك في السجن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وقد قيل والأظهر أنه قتل صبراً ، وأخوه إبراهيم بن الحسن وغيرهما ، وقل من خرج منهم من الحبس ، وقد جعلهم المنصور في سجن لا يسمون فيه أذاناً ، ولا يرفعون فيه وقت صلاة إلا بالتلاوة ، ثم بث أهل خراسان يشفون في محمد بن عبد الله العناني ، فأمر به فضربت عنقه وأرسل برأسه إلى أهل خراسان ، لا جزاء الله خيراً ، ورحم الله محمد بن عبد الله العناني .

وهو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي رحمه الله ، أبو عبد الله المدني المروفي بالديباج ، لحسن وجهه . وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي ، روى الحديث عن أبيه وأمه وخارجه بن زيد وطاوس وأبي الزناد والزهرى ونافع وغيرهم ، وحدث عنه جماعة ، ووفقه النسائي وابن حبان ، وكان أخا عبد الله بن حسن لأنه ، وكانت ابنته رقية زوجة ابن أخيه إبراهيم بن عبد الله ، وكانت من أحسن النساء ، وبسببها قتل أبو جعفر المنصور في هذه السنة . وكان كريماً جواداً عديمًا . قال الزبير بن بكار : أنشدني سليمان بن عباس السعدي لأبي وجرة السعدي يمدحه .

وجداً الخضر الأبيض من قریش * فتى بين الخليفة والرسول

أناك المجد من هنا وهناك * وكنت له بمثلج السيول

فما للمجد دونك من مبيت * وما للمجد دونك من مقيل

ولا يعضى وراك يبتتيه * ولا هو قابل بك من بديل

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة ﴾

فما كان فيها من الأحداث مخرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة ،

على ما سفينه إن شاء الله . أما محمد فانه خرج على أثر ذهاب أبي جعفر المنصور بأهله بنى حسن من المدينة إلى العراق على الصفة والتمت القى تقدم ذكره ، وسجنهم في مكان ساء مستقراً ومقاماً ، لا يسمعون فيه أذاناً ولا يعرفون فيه دخول أوقات صلوات إلا بالأذكار والتلاوة . وقد مات أكثر أكابرهم هناك رحمهم الله . هنا كاه وعهد القى يطلبه مخنف بالمدينة ، حتى أنه في بعض الأحيان اخفى في بئر تزل في مائه كله لإرأسه ، وباقية مغمور بالماء ، وقد تواعد هو وأخوه وقتاً معينا يظهران فيه ، هو بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ، ولم يزل الناس - أهل المدينة وغيرهم - يؤنبون محمد بن عبد الله في اختفائه وعدم ظهوره حتى عزم على الخروج ، وذلك لما أضرب به شدة الاختفاء وكثرة إلحاح رباح نائب المدينة في طلبه ليلاً ونهاراً ، فلما اشتد به الأمر وضاق الحال واعد أصحابه على الظهور في الليلة القلانية ، فلما كانت تلك الليلة جاء بعض الوشاة إلى متولى المدينة فأعلمه بذلك ، فضاقت ذرعا وانزعج لذلك انزعاجاً شديداً ، وركب في جحافل فطاف بالمدينة وحول دار مروان ، وهم مجتمعون بها ، فلم يشعر بهم . فلما رجع إلى منزله بحث إلى بنى حسين بن علي فجمعهم ومعهم رؤس من سادات قریش وغيرهم ، فوعظهم وأنهم وقال : يا معشر أهل المدينة ، أمير المؤمنين يتطلب هذا الرجل في المشارق والمغارب وهو بين أظهركم ، ثم ما كفناكم حتى يابستموه على السمع والطاعة ؟ والله لا يبلغني عن أحد منكم خرج معه إلا ضربت عنقه . فأفكر القديم هناك حاضرون أن يكون عندهم علم أو شمر بشئ من هنا ، وقالوا : نحن نأتيك رجال مسلحين يقاتلون دونك إن وقع شئ من ذلك . فتهضوا فجاءوه بمجاعة مسلحين فاستأذنوه في دخولهم عليه ، فقال : لا إذن لهم ، إني أخشى أن يكون ذلك خديعة . فجلس أولئك على الباب ومكث الناس جلوساً حول الأمير وهو واجم لا يتكلم إلا قليلاً حتى ذهب طائفة من الليل ، ثم ما جرى الناس إلا وأصحاب محمد بن عبد الله قد ظهروا وأعلنوا بالتكبير ، فانزعج الناس في جوف الليل ، وأشار بعض الناس على الأمير أن يضرب أعناق بنى حسين ، فقال أحدهم : علام ونحن مقرون بالطاعة ؟ واشتغل الأمير عنهم بما تجاه من الأمر ، فاعتصموا النفقة ونهضوا سراعاً قسوروا جدار الدار وألقوا أنفسهم على كناسة هناك .

وأقبل محمد بن عبد الله بن حسن في مائتين وخمسين ، فر بالسجن فأخرج من فيه ، وجاء دار الامارة فحاصرها فافتتحها وسلك الأمير رباح بن عثمان نائب المدينة فسجنه في دار مروان ، وسجن معه ابن مسلم بن عقبة ، وهو القى أشار بقتل بنى حسين في أول هذه الليلة فنجوا وأحبط به . وأصبح محمد بن عبد الله بن حسن وقد استظهر على المدينة ودان له أهلها ، فصلى بالناس الصبح وقرأ فيها سورة إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً . وأسفرت هذه الليلة عن مشهل رجب من هذه السنة . وقد خطب محمد بن عبد الله أهل المدينة في هذا اليوم ، فتكلم في بنى العباس وذكر عنهم أشياء منهم

بها ، وأخبرهم أنه لم ينزل بلدًا من البلدان إلا وقد يلبوه على السمع والطاعة ، فبايحه أهل المدينة كلهم إلا القليل .

وقد روى ابن جرير عن الامام مالك أنه أفتى الناس بما يفتيه ، قيل له فإن في أعناقنا بيمة المنصور ، قال : إنما كنتم مكرهين وليس لمكره بيمة . فبايحه الناس عند ذلك عن قول مالك ، ولزم مالك بيته . وقد قال له إسماعيل بن عبد الله بن جعفر حين دعاه إلى بيعة : يا ابن أخي إنك مقتول . فارتدخ بعض الناس عنه واستمر جمهورهم معه ، فاستناب عليهم عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضاها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله الحزوي ، وعلى شرطها عثمان بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن مسور بن مخزومة ، وتلقب بالمهدي طمأن أن يكون هو المذكور في الأحاديث فلم يكن به ، ولا تم له مارجاه ولا ما تنهه ، فأتاه الله . وقد ارتحل بعض أهل المدينة عنها ليلته دخلها ، فطوى المراحل البعيدة إلى المنصور في سبع ليال ، فورد عليه فوجده قائمًا في الليل ، فقال لربيع الحاجب : استأذن على الخليفة ، قال : إنه لا يوقف في هذه الساعة . قال : إنه لا بد من ذلك فأخبر الخليفة فخرج قال : ويحك ! ما وراك ؟ قال : إنه خرج ابن حسن بالمدينة . فلم يظهر المنصور قلبك أكثرًا وانزعاجًا ، بل قال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ! قال : هلك والله وأهلك معه من اتبعه . ثم أمر بالرجل فسجن ، ثم جاءت الأخبار بذلك فتواترت ، فأطلقه المنصور وأطلق له عن كل ليلة ألف درهم فأعطاه سبعة آلاف درهم .

ولما تحقق المنصور الأمر من خروجه ضاق ذرعًا ، وقال له بعض المنجيين : يا أمير المؤمنين لا عليك منه ، فوالله لو ملك الأرض بخلافها فانه لا يقيم أكثر من سبعين يومًا . ثم أمر المنصور جميع رؤس الأمراء أن ينهضوا إلى السجن فيجتمعوا بعبد الله بن حسن - والله محمد - فيخبروه بما وقع من خروج ولده ويسموا ما يقول لهم . فلما دخلوا عليه أخبروه بذلك فقال : ما ترون ابن سلامة فاعلا ؟ - يعني المنصور - قالوا : لا ندري . قال : والله لقد قتل صاحبكم البخل يفتنى له أن يفتق الأموال ويستختم الرجال ، فإن ظهر فاسترجاع ما أفتق سهل ، وإلا لم يكن لصاحبكم شيء في الخزائن وكلن ما خزن لغيره . فخرجوا إلى الخليفة فأخبروه بذلك ، وأشار الناس على الخليفة بمناجزته ، فاستدعى عيسى بن موسى فندبه إلى ذلك ، ثم قال : إني سأكتب إليه كتابًا أنفره به قبل قتله فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسمون في الأرض فسادًا) الآية إلى قوله (فاعلموا أن الله غفور رحيم) ثم قال : فلك عهد الله وميثاقه وفضته وفضة رسوله ، إن أنت رجعت إلى الطاعة لأؤمننك

ومن اتبعك ، ولأعطيتك ألف ألف درهم ، ولأدعيتك هم في أحب البلاد إليك ، ولأقضيت لك جميع حوائجك ، في كلام طويل . فكتب إليه محمد جواب كتابه :

من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله بن حسن : (بسم الله الرحمن الرحيم طم تلك آيات الكتاب المبين ، تلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ، وزيد أن تمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) ثم قال : وإني أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت عليّ ، فأنا أحق بهذا الأمر منك ، وأنتم إنما وصلتم إليه بنا ، فإن علينا كائن الوصي وكائن الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ونحن أشرف أهل الأرض نسباً ، فرسول الله خير الناس وهو جدنا ، وجدتنا خديجة وهي أفضل زوجاته ، وفاطمة ابنته أمنا وهي أكرم بناته ، وإن هاشمًا ولد عليا مرتين ، وإن حسنا وله عبد المطلب مرتين ، وهو وأخوه سيدها شباب أهل الجنة ، وإن رسول الله ﷺ ولد أبي مرتين ، وإني أوسط بني هاشم نسباً ، [وأصرحهم أباً ، لم ترق في المعجم . ولم تنازع في أمهات الأولاد] ^(١) فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة ، وأخفهم عذاباً في النار . فأنا أولى بالأمر منك ، وأولى بالمهد وأوفاً به منك ، فأنت تملأ المهد ثم تتكث ولا تفي ، كما فعلت بأبن هبيرة فأنت أعطيت المهد ثم غدرت به ، ولا أشد عذاباً من إمام غادر ، وكذلك فعلت بمك عبد الله بن علي ، وأبي مسلم الخراساني . [ولو أعلم أنك تصدق لأجبتك لما دعوتني إليه ، ولكن الوفاء بالمهد من مثلك لمثل بييد والسلام] ^(٢)

فكتب إليه أبو جعفر جواب ذلك في كتاب طويل حاصله : أما بعد فقد قرأت كتابك فإذا جل غرك وإدلاك قرابة النساء لتضل به الجفوة والنغواء ، ولم يجعل الله النساء كالمومة والآباء ، ولا كالمصيبة والأولياء ، وقد أنزل الله (وأنذر عشيرتك الأقربين) وكان له حينئذ أربعة أعمام ، فاستجاب له اثنتان أحدهما جدنا ، وكفر اثنتان أحدهما أبوك . يعني جد أبي طالب - قطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينهما إلا ولائمة ، وقد أنزل الله في عدم إسلام أبي طالب (إنك لاهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقد غفرت به وأنه أخف أهل النار عذاباً ، وليس في الشر خيار ، ولا ينبغي للمؤمن أن يفر بأهل النار ، وغفرت بأن عليا وله هاشم مرتين . وأن حسنا وله عبد المطلب مرتين ، فهذا رسول الله ﷺ إنما وله عبد الله مرة واحدة ، وقولك إنك لم تلك أمهات أولاد ، فهذا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية ، وهو خير منك ، وعلي بن الحسن من أم ولد وهو خير منك ، وكذلك ابنه محمد بن علي ، وابنه جعفر بن محمد ، جباهما أمهات أولاد وهما خير منك ،

وأما قولك بنو رسول الله ﷺ قد قال تعالى : (ما كان محمد أباً أحداً من رجالكم) وقد جاءت السنة التي لا خلاف فيها بين المسلمين أن الجد أباً الأم واخلاقه لا يورثون ، ولم يكن لفاتمة ميراث من رسول الله ﷺ بنص الحديث ، وقد مرض رسول الله ﷺ وأبوك حاضر فلم يأمره بالصلاة بالناس ، بل أمر غيره . ولما توفي لم يسدل الناس بأبي بكر وعمر أحدًا ، ثم قدموا عليه عثمان في الشورى واخلاقه ، ثم لما قتل عثمان اتهمه بعضهم به ، وقاله طلحة والزبير على ذلك ، وامتنع سعد من مبايعته ثم بعد ذلك معاوية ، ثم طلبها أبوك وقاتل عليها الرجال ، ثم اتفق على التحكيم فلم يف به ، ثم صارت إلى الحسن فباعها بخرق ودرام ، وأقام بالحجاز يأخذ مالا من غير حله ، وسلم الأمر إلى غير أهله ، وترك شيعة في أيدي بني أمية ومعاوية . فان كانت لكم قدر تركتموها وبتتموها بشئها . ثم خرج عموك حسين على ابن مرجانة وكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بني أمية فتتلوك وصلبوك على جنوع النخل ، وحرقوك بالنار ، وحلوا نساءكم على الابل كالسبايا إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم نحن فأخذنا بتارككم ، وأدركتنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وذكركمنا فضل سلفكم ، فجعلت ذك حجة علينا ، وظننت أنا إنما ذكرنا فضله على أمثاله على حمزة والعباس وجعفر ، وليس الأمر كما زعمت ، فان هؤلاء مضوا ولم يدخلوا في الفتنة ، وسلموا من الدنيا فلم تنقصهم شيئاً ، فاستوفوا نوابهم كلئلا ، وابتلى بملك أبوك . وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلوات المكتوبة ، فأحينا ذكره وذكركمنا فضله وعنفانهم بما قالوا منه ، وقد علمت أن مكروتنا في الجاهلية بسقاية الحجاج الأعظم ، وخسرة زمزم ، وحكم رسول الله ﷺ لنا بها . ولما قُطعت الناس زمن عمر استسقى بأبينا العباس ، وتوسل به إلى ربه وأبوك حاضر ، وقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد رسول الله ﷺ إلا العباس ، فالسقاية سقايته ، والوراثة وراثته ، واخلاقه في ولده ، فلم يبق شرف في الجاهلية والاسلام إلا والعباس وارثه ومورثه ، في كلام طويل فيه بحث ومناظرة وفصاحة . وقد استقصاه ابن جرير بطوله والله سبحانه أعلم .

فصل

(في ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن)

بعث محمد بن عبد الله بن حسن في غيور ذلك رسولا إلى أهل الشام يدعوهم إلى بيعته وخلافته فأبوا قبول ذلك منه ، وقالوا : قد ضجرتنا من الحروب ومقتنا من القتال . وجعل يستميل رؤس أهل المدينة ، فذهب من أجابه ومنهم من امتنع عليه ، وقال له بعضهم : كيف أبائك وقد ظهرت في بلد ليس فيه مال تستعين به على استخدام الرجال ؟ ولزم بعضهم منزله فلم يخرج حتى قتل محمد . وبعث محمد هذا الحسين بن معاوية في سبعين رجلا ونحواً من عشرة فوارس إلى مكة فاتباً إن هو دخلها

فساروا إليها ، فلما بلغ أهلها قلوبهم خرجوا إليهم في ألوف من المقاتلة ، قتل لهم الحسين بن معاوية :
علام قاتلون وقد مات أبو جعفر ؟ قتل السري بن عبد الله زعيم أهل مكة : إن برده جاءتنا من
أربع ليال وقد أرسلت إليه كتاباً فأنا أأنظر جوابه إلى أربع ، فان كان ما تحولون حقا سلمتكم البلد
وعلى مؤنة رجالكم وخيلكم . فامتنع الحسن بن معاوية من الانتظار وأبى إلا المناجزة ، وحلف لا يبيت
الليلة إلا بمكة ، إلا أن يموت . وأرسل إلى السري أن أبرز من الحرم إلى الحل حتى لا تراق الدماء
في الحرم . فلم يخرج ، فتقدموا إليهم فصافوهم فحمل عليه الحسن وأصحابه حملة واحدة فهزموهم وقتلوا
منهم نحو سبعة ، ودخلوا مكة . فلما أصبحوا خطب الحسن بن معاوية الناس وأغرام بأبي جعفر ،
ودعاهم إلى محمد بن عبد الله بن حسن المهدى .

(ذكر خروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بن حسن)

وظهر بالبصرة أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وجاء البريد إلى أخيه محمد فأنهى إليه
ليلاً فاستؤذن له عليه وهو بدار مروان فطرق بابها . فقال : اللهم إني أعوذ بك من شر طوارق الليل
والنهار إلا طارقاتك يطرق بخير يا رحمن . ثم خرج فأخبر أصحابه عن أخيه فاستبشروا جداً وفرحوا
كثيراً ، وكان يقول للناس بعد صلاة الصبح والمغرب : ادعوا لله لاخوانكم أهل البصرة ، وللعسرين
ابن معاوية بمكة ، واستنصروه على أعدائكم .

وأما ما كان من المنصور فإنه جهز الجيوش إلى محمد بن عبد الله بن حسن ، بحبة عيسى بن
موسى عشرة آلاف فارس من الشجعان المنتخبين ، منهم عد بن أبي العباس السفاح وجعفر بن
حنظلة البهراني ، وحديد بن قسطنطين ، وكان المنصور قد استشاره فيه فقال : يا أمير المؤمنين ادع
شئت ممن تنق به من مواليك فأبى بهم إلى وادي القرى بمنهم من ميرة الشام ، فيموت هو ومن
معهجوا ، فإنه يولد ليس فيه مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح . وقدم بين يديه كثير من الحصين
العبدى وقد قال المنصور لعيسى بن موسى حين ودعه : يا عيسى ! إني أبشرك إلى جنبي هذين ، فان
ظفرت بالرجل فشم سيفك وفاد في الناس بالأمان . وإن نسيب فقصمهم إليه حتى يأوك به ، فانهم أعلم
بمناجبه . وكتب معه كتاباً إلى رؤساء قريش والأَنْصار من أهل المدينة يدفعا إليهم خفية يدعوم
إلى الرجوع إلى الطاعة . فلما اقترب عيسى بن موسى من المدينة بعث الكتب مع رجل فأخذه
حرس عد بن عبد الله بن حسن فوجدوا معه تلك الكتب فقصروها إلى محمد فاستحضر جماعة
من أولئك فناقهم وضرهم ضرباً شديداً وقيدوا قهراً ، وأودعهم السجن . ثم إن محمداً استشار
أصحابه بالقيام بالمدينة حتى يأتي عيسى بن موسى فيحاصرهم بها ، أو أنه يخرج بمن معه فيقاتل أهل
المراق ؟ فنهى من أشار بهذا ، ومنهم من أشار بذلك ، ثم اتفق الرأي على القيام بالمدينة ، لأن رسول

الله ﷺ ندم يوم أحد على انطروج منها ، ثم اتفقوا على حفر خندق حول المدينة كما فعل رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ، فأجلب إلى ذلك كله ، وحفر مع الناس في الخندق بيعة اقتصد رسول الله ﷺ ، وقد ظهر لهم لبنه من الخندق اتقى حره رسول الله ﷺ ، فزحوا بذلك وكبروا وبشروه بالنصر . وكان عبد حاضر آ عليه قباه أبيض وفي وسطه منطقة ، وكان شكلاً ضخماً أعير عظيم الهامة . ولما نزل عيسى بن موسى الأعوص واقرب من المدينة ، صعد محمد بن عبد الله المنبر فخطب الناس وحثهم على الجهاد - وكانوا قريباً من مائة ألف - فقال لهم في جملة ما قال : إني جئتكم في حل من بيعتي ، فمن أحب منكم أن يقيم عليها فعل . ومن أحب أن يتركها فعل . فقتل كثير منهم أو أكثرهم عنه ، ولم يبق إلا شريحة قليلة معه ، وخرج أكثر أهل المدينة بأهلهم منها لئلا يشهدوا القتال بها ، فقتلوا الأعراض ورؤس الجبال . وقد بعث محمد أبا الليث ليرد عن الخروج فلم يمكنه ذلك في أكثرهم ، واستمروا ذاهبين . وقال عبد لرجل أتأخذ سيفاً ورعاً وترد هؤلاء الذين خرجوا من المدينة ؟ فقال : نعم إن أعطيتني ربحاً أطعمهم وهم بالأعراض ، وسيفاً أضربهم وهم في رؤس الجبال فعلت . فسكت محمد ثم قال لي : ويحك ؟ إن أهل الشام والعراق وخراسان قد يضيوا - يعني لبسوا البياض - موافقة لي وخلصوا السواد . فقال : وماذا ينبغي أن لو بقيت الدنيا زينة بياض - وأنا في مثل صوفة الدواة - وهذا عيسى بن موسى نازل بالأعوص . ثم جاء عيسى بن موسى قتل قريباً من المدينة ، على ميل منها ، فقال له دليله ابن الأصم : إني أخشى إذا كشفتموه أن يرجعوا إلى معسكرهم سريعاً قبل أن تمر بهم الخيل . ثم ارتحل به فأنزله الجرف على سفاية سليمان بن عبد الملك على أربعة أميال من المدينة ، وذلك يوم السبت لصبح اثنى عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة . وقال : إن الراجل إذا هرب لا يقدر على الهرولة أكثر من ميلين أو ثلاثة فتبركه الخيل .

وأرسل عيسى بن موسى خبيثة فارس فقتلوا عند الشجرة في طريق مكة ، وقال لهم هذا الرجل إن هرب فليس له ملجأ إلا مكة ، فحولوا بينه وبينها . ثم أرسل عيسى إلى محمد يدعوهم إلى السمع والطاعة لأمير المؤمنين المنصور ، وأنه قد أعطاه الأمان له ولا هل بينه إن هو أجابه . فقال محمد للرسول : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك . ثم بعث إلى عيسى بن موسى يقول له : إني أدعوك إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فاحفر أن تمتنع فأقتلك فتكون شر قتيل ، أو تقتل فتكون قتيل من دماءك إلى الله ورسوله . ثم جعلت الرسل تتردد بينهما ثلاثة أيام ، وهذا يدعو هذا ، وهذا يدعو هذا . وجعل عيسى بن موسى يقف في كل يوم من هذه الأيام الثلاثة على للثنية عند سلع فينادي : يا أهل المدينة إن دماءكم غلبنا حرام فمن جاءنا فوقف تحت وايقنا فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن أتى سلاحه فهو آمن ، فليس لنا في قتالكم أرب ، وإنما تريد محمداً

وحده لنذهب به إلى الخليفة . فجعلوا يسبون ويثألون من أمه ، ويكلمونه بكلام شنيع ، ويخطبونه مخاطبة فظيعة . وقالوا له : هذا ابن رسول الله ﷺ معنا ونحن معه ، قتال دونه .

فلما كان اليوم الثالث أتاهم في خيل ورجال وسلاح ورماح لم ير مثلها ، فناداه يا محمد ! إن أمير المؤمنين أمرني أن لا أقاتلك حتى أدعوك إلى الطاعة ، فان فعلت أمك وقضى دينك وأعطاك أموالا وأراضى ، وإن آبيت فانتك قد دعوتك غير مرة . فناداه محمد : إنه ليس لكم عندي إلا القتال . فنشبت الحرب حينئذ بينهم ، وكان جيش عيسى بن موسى فوق أربعة آلاف ، وعلى مقدمته حميد بن قطبة ، وعلى ميمنته محمد بن السفاح ، وعلى يسارته داود بن كزار ، وعلى الساقة الهيثم بن شمية ، ومعهم عدد لم ير مثلها . وفرق عيسى أصحابه في كل قطر طائفة . وكان جد وأصحابه على عدة أصحاب أهل بدر ، واقتتل الفريقان قتالا شديداً جداً ، وترجل محمد إلى الأرض فيقال إنه قتل بيده من جيش عيسى بن موسى سبعين رجلاً من أبطالهم ، وأحاط بهم أهل العراق فقتلوا طائفة من أصحاب محمد بن عبد الله بن حسن ، فالتحموا عليهم الخندق الذي كانوا حذروه وعملوا أبواباً على قدره ، وقيل إنهم ردموه بمخارج الجبال حتى أمكنهم أن يجوزوه ، وقد يكونون فعلوا هذا موضع منه ، وهذا في موضع آخر والله أعلم .

ولم تزل الحرب ناشبة بينهم حتى صليت العصر . فلما صلى محمد العصر نزلوا إلى مسيل الوادي بسلم فسكر جن سيفه وعقر فرسه وفعل أصحابه مثله وصبروا أنفسهم للقتال وجمت الحرب حينئذ جداً ، فاستظهر أهل الرائق ورفضوا راية سوداء فوق سلم ، ثم دنوا إلى المدينة فسطحوها ونصبوا راية سوداء فوق مسجد رسول الله ﷺ .

فلما رأى ذلك أصحاب محمد تنادوا : أخذت المدينة ، وهربوا وبقي محمد في شرملة قليلة جداً . ثم بقي وحده وليس معه أحد ، وفي يده سيف صلت يضرب به من تقدم إليه ، فكان لا يقوم له شيء إلا أنه ، حتى قتل خلفاً من أهل الرائق من الشجان ، ويقال إنه كان في يده يومئذ ذو الفقار ثم تكاثر عليه الناس فتقدم إليه رجل فضربه بسيفه تحت شحمة أذنه اليمنى فسقط لركبته وجعل يحمي نفسه ويقول : ويحكم ابن نبيكم مجروح مظلوم . وجعل حميد بن قطبة يقول : ويحكم ادعوه لا تقتلوه ، فأحجم عنه الناس وتقدم إليه حميد بن قطبة فحز رأسه وذهب به إلى عيسى بن موسى فوضعه بين يديه . وكان حميد قد حلف أن يقتله متى رآه ، فما أدركه إلا كنفك . ولو كان على حاله وقوته لما استطاعه حميد ولا غيره من الجيش .

وكان مقتل محمد بن عبد الله بن حسن عند أحجار الزيت يوم الاثنين بعد العصر ، لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وقال عيسى بن موسى لأصحابه حين وضع

رأسه بين يديه : ما تقولون فيه ؟ فقال منه أقوام وتكلموا فيه ، فقال رجل : كذبتم والله ! لقد كان صواما قواما ، ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصي المسلمين فقتلناه على ذلك . فسكتوا حينئذ .
وأما سيفه ذو العقار فانه صار إلى بني العباس يتوارثونه حتى جرب به بعضهم فضرب به كلباً فاقطع .
ذكره ابن جرير وغيره . وقد بلغ المنصور في غيوب هذا الأمر أن محمداً فر من الحرب فقال : هذا لا يكون ، فاما أهل بيت لا نفر .

وقال ابن جرير : حدثني عبد الله بن راشد حدثني أبو الحجاج قال : إني لقائم على رأس المنصور وهو يسألني عن مخرج محمد ، إذ بلغته أن عيسى بن موسى قد انهزم وكان متكئاً فجلس فضرب بفضيب ممة مصلاه وقال : كلا وأين لعب صبيانتا بها على المنابر ومشورة النساء ؟ ما أتى لثلك بعد .
وبعث عيسى بن موسى بالبيعة إلى المنصور مع القاسم بن الحسن وبالأمر مع ابن أبي الكرام ، وأمر بدفن الجثة فدفن بالبيعة ، وأمر بأصحابه الذين قتلوا معه فصلبوا صفين ظاهر المدينة ثلاثة أيام ثم طرحوا على مقبرة اليهود عند سلم . ثم قتلوا إلى خندق هناك . وأخذ أموال بني حسن كلها فسوغها له المنصور ، ويقال إنه ردّها بعد ذلك إليهم ، حكاه ابن جرير . وتودى في أهل المدينة بالأمان فأصبح الناس في أسواقهم ، وترفع عيسى بن موسى في الجيش إلى الجرف من مطر أصاب الناس يوم قتل محمد ، وجعل يقتاب المسجد من الجرف ، وأقام بالمدينة إلى اليوم التاسع عشر من رمضان ، ثم خرج منها قاصداً مكة وكان بها الحسن بن معاوية من جهة محمد ، وكان محمد قد كتب إليه يقدم عليه ، فلما خرج من مكة وكان ببعض الطريق تلقته الأخبار بقتل محمد ، فاستمر طاراً إلى البصرة إلى أخى محمد إبراهيم بن عبد الله ، الذي كان قد خرج بها ثم قتل بعد أخيه في هذه السنة على ما سذكره .
ولما جئ المنصور برأس محمد بن عبد الله بن حسن فوضع بين يديه أمر به فطيف به في طبق أبيض ثم طيف به في الأقاليم بعد ذلك ، ثم شرع المنصور في استدعاء من خرج مع محمد من أشرف أهل المدينة ، فنهض من قتلهم ومنهم من ضربه ضرباً مبرحاً ، ومنهم من عفا عنه . ولما توجه عيسى إلى مكة استقبل على المدينة كثير بن حصين ، فاستمر بها شهراً حتى بعث المنصور على نيابتها عبد الله بن الربيع ، فمات جنده في المدينة فصاروا إذا اشتروا من الناس شيئاً لا يملطونهم منه ، وإن طولبوا بذلك ضربوا المطالب وخوفوه بالقتل ، فثار عليهم طائفة من السودان واجتمعوا وفضخوا في بوق لهم فاجتمع على صوته كل أسود في المدينة ، وحلوا عليهم حملة واحدة وم ذاهبون إلى الجمعة ، لسبع بقين من ذي الحجة من هذه السنة ، وقيل لحس بقين من شوال منها ، فقتلوا من الجند طائفة كثيرة بالمراريق وغيرها ، وهرب الأمير عبد الله بن الربيع وترك صلاة الجمعة . وكان رؤس السودان : وثيق ويعقل ورمقة وحديا وعنفود ، ومسر ، وأبو النار . فلما رجع عبد الله بن الربيع ركب في جنوده

والتي مع السودان فهزموه أيضا فلقوه بالقيح فألقى لهم وداه يشغلهم فيه حتى نجى نفسه ومن اتبعه ، فلحق يبعث نخل على بلتين من المدينة ، ووقع السودان على طعام المنصور كان مخزونا في دار مروان قد قدم به في البحر قهوه ونهبوا ما لجند القين بالمدينة من دقيق وسويق وغيره ، وباعوا ذلك بأرخص ثمن . وذهب الخبز إلى المنصور بما كان من أمر السودان ، وخاف أهل المدينة من مرة ذلك ، فاجتمعوا وخطبهم ابن أبي سبرة - وكان مسجوناً - فصعد المنبر وفي رجله القيود ، فحثهم على السمع والطاعة للمنصور ، وخوفهم شر ماصنه موالئهم ، فانفق رأيهم على أن يكفوا موالئهم ويفرقوم وينهبوا إلى أميرهم فيردوه إلى عمله ، ففعلوا ذلك ، فسنك الأمر وهذا الناس وانطفاة الشرور ، ورجع عبد الله بن الربيع إلى المدينة فقتل يد وثيق وأبى النار ويقتل ومسر .

(ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن بالبصرة وكيفية مقتله)

كان إبراهيم قد هرب إلى البصرة فقتل في بني ضيعة من أهل البصرة ، في دار الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالتهار ، وكان قدومه إليها بعد أن طاف بلاداً كثيرة جداً ، وجرت عليه وعلى أخيه خطوط شديدة هائلة ، وانعد أسباب هلاكهما في أوقات متحدة ، ثم كان آخر ما استقر أمره بالبصرة في سنة ثلاث وأربعين ومائة ، بعد منصرف الحجيج . وقيل إن قدومه إليها كان في مسهل رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، بعث أخوه إليها بعد ظهوره بالمدينة ، قاله الواقدى . قال : وكان يدعو في السر إلى أخيه ، فلما قتل أخوه أظهر الدعوة إلى نفسه في شوال من هذه السنة ، والمشهور أنه قتلها في حياة أخيه ودعا إلى نفسه كما تقدم والله أعلم .

ولما قدم البصرة نزل عند يحيى بن زياد بن حسان النبطي ، فاخفى عنده هذه المدة كلها ، حتى ظهر في هذه السنة في دار أبي فروة ، وكان أول من يابيه نائلة بن مرة ، وعبد الله بن سفيان ، وعبد الواحد بن زياد ، وعمر بن سلمة الهجبي ، وعبد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي . وندبوا الناس إليه فاستجاب له خلق كثير فتحول إلى دار أبي مروان في وسط البصرة ، واستفحل أمره ، ويابيه قدام من الناس ، وفتاح الخطب به ، وبلغ خبره إلى المنصور فارتدأ غماً إلى غمه بأخيه محمد ، وذلك لأنه ظهر قبل مقتل أخيه وإنما كان سبب تمجيده الظهور كتاب أخيه إليه فامتثل أمره ودعا إلى نفسه ، فانظم أمره بالبصرة ، وكان قائماً من جهة المنصور سفيان بن معاوية وكان ممالئاً لإبراهيم هذا في الباطن ، ويبلغه أخباره فلا يكثر ثبها ، ويكتب من أخبره ويرد أن يتضح أمر إبراهيم ، وقد آمنه المنصور بأمرين من أهل خراسان معهما ألفا فارس وراجل ، فأقرهما عنده ليتقوى بهما على محاربة إبراهيم ، فتحول المنصور من بغداد - وكان قد شرع في عملها - إلى الكوفة ، وجعل كلا اتهم رجلاً من أهل الكوفة في أمر إبراهيم بقتله إليه من يقاتله في الليل في منزله ، وكان الفرائصة

المجلى قدم بالوثوب بالكوفة فلم يمكنه ذلك لمكان المنصور بها ، وجعل الناس يقصدون البصرة من كل فج لمباينة إبراهيم ، ويضنون إليها جماعات وفرادى ، وجعل المنصور يرضد لهم المسالخ فيقتلونهم في الطريق ، ويأتونه برؤسهم فيصلبها بالكوفة ليتعظ بها الناس . وأرسل المنصور إلى حرب الراوندى - وكان مرابطاً بالجزيرة في أنفى فارس لقتال الخوارج - يستدعيه إليه إلى الكوفة ، فأقبل بمن معه فاجتاز بيلدة بها أنصار لا إبراهيم فقالوا له : لا ندعك تجتاز ، لأن المنصور إنما دعاك لقتال إبراهيم . فقال : ويحكم ! دعوني ، فأبوا قتالهم فقتل منهم خمسمائة وأرسل برؤسهم إلى المنصور . فقال : هذا أول الفتح . ولما كانت ليلة الاثنين مستهل رمضان من هذه السنة ، خرج إبراهيم في الليل إلى مقبرة بنى يشكر في بضعة عشر فارساً ، وقدم في هذه الليلة أبو حماد الأبرص في أنفى فارس مدحاً لسفيان ابن معاوية ، فأتزلم الأمير في القصر ، ومال إبراهيم وأصحابه على دواب أولئك الجيش وأسلحتهم فأجنحوها جيماً ، فقتلوا بها ، فكان هذا أول ما أصاب . وما أصبح الصباح إلا وقد استظهن جداً ، فصلى بالناس صلاة الصبح في المسجد الجامع ، والتف الخلائق عليه ما بين ناطر وناصر ، وتحصن سفيان بن معاوية نائب الخليفة بقصر الامارة وجلس عنده الجنود فحاصروا إبراهيم ، فطلب سفيان ابن معاوية من إبراهيم الأمان فأعطاه الأمان ، ودخل إبراهيم قصر الامارة فبسطت له حصير ليجلس عليها في مقدم إربان القصر ، فهبث الريح فقلبت الحصير ظهراً لبطن ، فتنطير الناس بذلك ، فقال إبراهيم : إنما لا تنطير . وجلس على ظهر الحصير ، وأمر بحبس سفيان بن معاوية مقيداً وأراد بذلك براة ساحته عند المنصور ، واستحوذ على ما كان في بيت المال فاذا فيه ستمائة ألف ، وقيل ألفاً ألف . فتوى بذلك جداً .

وكان في البصرة جعفر وعبد ابناسليمان بن علي ، وهما أبناء الخليفة المنصور ، فركبا في ستمائة فارس إليه فهزمها ، وأركب إبراهيم المضاء بن القاسم في ثمانية عشر فارساً وثلثين راجلاً فهزم ستمائة فارس كانت لها . وآمن من بقي منهم ، وبعث إبراهيم إلى أهل الاهواز فيأبوه وأطاعوه ، وأرسل إلى نائبها ماتى فارس عليهم المنيرة فخرج إليه عبد بن الحصين نائب البلاد في أربعة آلاف فارس فهزموه المنيرة واستحوذ على البلاد ، وبعث إبراهيم إلى بلاد فارس فأخذها ، وكذلك واسط والمدائن والسواد ، واستفحل أمره جداً ، ولكن لما جاءه نفي أخيه عبد انكسر جداً ، وصلى بالناس يوم العيد وهو مكسور . قال بعضهم : والله لقد رأيت الموت في وجهه وهو يخطب الناس فنفي إلى الناس أخاه محمداً ، فازداد الناس حقاً على المنصور وأصبح فسكر بالناس واستناب على البصرة نيملة وخلف ابنه حسنا معه .

ولما بلغ المنصور خبره تخير في أمره وجعل يتأسف على ما فرق من جنده في الممالك ، وكان قد

بث مع ابنه المهدي ثلاثين ألفاً إلى الري ، وبث مع محمد بن الأشعث إلى إفريقية أربعين ألفاً والباقيون مع عيسى بن موسى بالحجاز ، ولم يبق مع المنصور سوى ألفي فارس . وكان يأمر بالنيران الكثيرة فتوقد ليلاً ، فيحسب الناظر إليها أن ثم جنداً كثيراً . ثم كتب المنصور إلى عيسى بن موسى : إذا قرأت كتابي هذا فأقبل من فورك ودع كل ما أنت فيه . فلم ينشب أن أقبل إليه فقال له : اذهب إلى إبراهيم بالبصرة ولا يهولتك كثرة من معه ، فاتهم جلابي هاشم المقتولان جميعاً ، فأبسط يدك وثق بما عندهك وستذكر ما أقول لك فكان الأمر كما قال المنصور . وكتب المنصور إلى ابنه المهدي أن وجه خازم بن خزيمة في أربعة آلاف إلى الأهواز ، فذهب إليها فأخرج منها نائب إبراهيم - وهو المنيرة - وأباحها ثلاثة أيام ، ورجع المنيرة إلى البصرة ، وكذلك بث إلى كل كورة من هذه الكور التي قضت بيعته جنداً يردون أهلها إلى الطاعة . قالوا : ولزم المنصور موضع مصلا فلا يرح منه ليلاً ونهاراً في ثياب بذلة قد انسخت ، فلم يزل مقياً هناك بضاً وخمسين يوماً حتى فتح الله عليه . وقد قيل له في غيوب ذلك : إن نساءك قد خبثت فنهبن لفينتك عنهن . فأنهر القتائل وقال : ويحك ليست هذه أيام نساء ، حتى أرى رأس إبراهيم بين يدي ، أو يجعل رأسي إليه . وقال بعضهم : دخلت على المنصور وهو مهوم من كثرة ما وقع من الشرور ، وهو لا يستطيع أن يتابع الكلام من كثرة همه ، وما تفتق عليه من الفتوق والخروق ، وهو مع ذلك قد أعد لكل أمر ما يسد خلله به ، وقد خرجت عن يده البصرة والأهواز وأرض فارس والمدائن وأرض السواد ، وفي الكوفة عنده مائة ألف مضمة سيوفها تفتظر به صيحة واحدة ، فيثوب مع إبراهيم ، وهو مع ذلك يترك التوائب ويمر سها ولم تقم به نفسه وهو كما قال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاماً * وعلمته الكر والاقداما * فصورته ملكاً هماما

وأقبل إبراهيم بمسار من البصرة إلى الكوفة في مائة ألف مقاتل فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً ، وعلى مقدمته حميد بن قسطنطين في ثلاثة آلاف . وجاء إبراهيم فقتل في باخرى في جحافل عظيمة ، فقال له بعض الأمراء : إنك قد اقتربت من المنصور فلو أنك سرت إليه بطائفة من جيشك لأخذت بقفاه فانه ليس عنده من الجيوش ما يردون عنه . وقال آخرون : إن الأولى أن تتأخر هؤلاء الذين بإزائنا ، ثم هو في قبضتنا . فتنام ذلك عن الرأي الأول . ولو فعله لم لم الأمر . ثم قال بعضهم : خندق حول الجيش . وقال آخرون : إن هذا الجيش لا يحتاج إلى خندق حوله ، فترك ذلك . ثم أشار بعضهم أن يبيت جيش عيسى بن موسى قتال إبراهيم : أنا لا أرى ذلك ، فتركه . ثم أشار آخرون بأن يجعل جيشه كراديس فإن غلب كراديس ثبت الآخر ، وقال آخرون : الأولى أن نقاتل صفوفاً لقوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً

كانهم ببيان مرصوص) . [والامر لله وما شاء فعل ولو ساروا إلى الكوفة وبيتوا الجيش أو جعل جيشه كراديس لم له الأمر مع هدير الله تعالى] (١١) .

وأقبل الجيشان فتصافوا في باخرى وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة فاقتلوا بها قتلاً شديداً فانهمز حميد بن قحطبة بن معه من المقدمة ، فجعل عيسى ينشدهم الله في الرجوع والسكر فلا يلقى عليه أحد ، وثبت عيسى بن موسى في مائة رجل من أهله ، وقيل له : لو تنحيت من مكانك هذا لتلا يحط بك جيش إبراهيم فقال : والله لا أزول منه حتى يفتح الله لي أو أقتل هاهنا . وكان المنصور قد قسم إليه بما أخبر به بعض المنجمين أن الناس يكون لهم جولة عن عيسى بن موسى ثم يقومون إليه وتكون العاقبة له ، فاستمر المنهمزون ذاهبين فأنهوا إلى نهر بين جبلين فلم يمكنهم خوضه ففكروا راجعين بأجمعهم ، وكان أول راجع حميد بن قحطبة الذي كان أول من انهزم . ثم اجتهدوا هم وأصحاب إبراهيم فاقتلوا قتلاً شديداً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم انهزم أصحاب إبراهيم وقبضت هو في حسائنه ، وقيل في أربعائة ، وقيل في تسعين رجلاً ، واستظهر عيسى بن موسى وأصحابه ، وقتل إبراهيم في جملة من قتل واختلط رأسه مع رؤس أصحابه ، فجعل حميد يأبى بالروس إلى عيسى بن موسى حتى عرفوا رأس إبراهيم فبشروه مع البشير إلى المنصور ، وكان نبيخت المنجم قد دخل على المنصور قبل مجيئ الرأس فأخبره أن إبراهيم مقتول فلم يصدقه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن لم تصدقني فأجبسني فإن لم يكن الأمر كما ذكرت فاقتلني . فبينما هو عنده إذ جاء البشير بهزيمة جيش إبراهيم ، ولما جئ بالرأس تمثل المنصور ببنت مَعْر بن أوس بن حمار البارق : فألقى عصاها واستقر بها النوى * كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

وقيل إن المنصور لما رأى الرأس بكى حتى جعلت دموعه تسقط على الرأس وقال : والله لقد كنت لهذا كارها ، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك . ثم أمر بالرأس فنصب بالسوق . وأقطع نبيخت المنجم الكذاب ألفي جريب .

[فهذا المنجم إن كان قد أصاب في قضية واحدة قد أخطأ في أشياء كثيرة ، فهم كذبه كفره وقد كان المنصور في ضلال مع منجمه هذا ، وقد ورث الملوك اعتقاد أقوال المنجمين وذلك ضلال لا يجوز] (١٢) .

وذكر صالح مولى المنصور قال : لما جئ برأس إبراهيم جلس المنصور مجلساً علماً وجلس الناس يدخلون عليه فيهنثونه وينالون من إبراهيم ويقبحون الكلام فيه ابتداء مرضاة المنصور ، والمنصور ساكت متغير اللون لا يتكلم ، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فوقف فسلم ثم قال : أعظم الله

أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حتك . قال فاصف لون المنصور وأقبل عليه وقال له : يا أبا خالد مرحباً وأهلاً ، ههنا تاجلس . فسلم الناس أن ذلك وقع منه موقماً جيداً . فجلس كل من جاء يقول كما قال جعفر بن حنظلة . قال أبو نعيم الفضل بن دكين : كان مقتل إبراهيم في يوم الخميس خمس بقين من ذى الحجة من هذه السنة .

﴿ ذكر من توفى فيها من الأعيان ﴾

فن أعيان أهل البيت عبد الله بن حسن وابناه محمد وإبراهيم ، وأخوه حسن بن حسن ، وأخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الملقب بالهبيبا . وقد تقدمت ترجمته .

وأما أخوه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي فتابعي ، روى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسين وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهو صحابي جليل ، وغيرهم . وروى عنه جماعة منهم سفيان الثوري والهراردي ومالك ، وكان معظماً عند العلماء ، وكان طابداً كبير القدر . قال يحيى بن معين : كان ثقة صدوقاً ، وفد على عمر بن عبد العزيز فأكرمه ، وفد على السفاح فظلمه وأعطاه ألف ألف درهم ، فطاول المنصور عمله بمكس ذلك ، وكذلك أولاده وأهله ، وقد مضوا جميعاً والتفوا عند الله عز وجل ، وأخذه المنصور وأهل بيته مقيدتين مغلولين مهانين من المدينة إلى الهاشمية ، فأودعهم السجن الضيق كما قدمنا ، قلت أكثرهم فيه ، فكان عبد الله بن حسن هذا أول من مات فيه بعد خروج ولده محمد بالمدينة ، وقد قيل إنه قتل في السجن عداً . وكان عمره يوم مات خمسا وسبعين سنة ، وصلى عليه أخوه لأمه الحسن بن الحسن بن علي . ثم مات بعده أخوه حسن فصلى عليه أخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان . ثم قتل بعدهما وحل رأسه إلى خراسان كما تقدم .

وأما ابنه محمد الذي خرج بالمدينة فروى عن أبيه ونافع ، وعن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة في كيفية الهوى إلى السجود ، وحدث عنه جماعة ، ووقعه النسائي وابن حبان وقال البخاري : لا يتابع على حديثه . وقد ذكر أن أمه حملت به أربع سنين ، وكان طويلاً سمياً أسمر ضخماً ذاهمة سامية ، وسطوة عالية وشجاعة بالهرة ، قتل بالمدينة في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وله خمس وأربعون سنة . وقد حملوا برأسه إلى المنصور ، وطيف به في الأقاليم . وأما أخوه إبراهيم فكان ظهوره بالبصرة بعد ظهور أخيه بالمدينة وكان مقتله بعد مقتل أخيه في ذى الحجة من هذه السنة وليس له شيء في الكتب الستة ، وحكى أبو داود السجستاني عن أبي عوانة أنه قال : كان إبراهيم وأخوه محمد خارجين . قال داود : ليس كما قال ، ههنا رأى الزيدية . قلت : وقد حكى عن جماعة من العلماء والائمة أنهم مالوا إلى ظهورهما .

(وفيها توفي من المشاهير والأعيان)

الأجلح بن عبد الله ، وإسماعيل بن أبي خالد في قول ، وحبيب بن الشهيد ، وعبد الملك بن أبي سليمان ، وعمر بن مولى عفرة ، ويحيى بن الحارث التماري ، ويحيى بن سعيد أبو حيان التميمي ، ورؤبة بن المعجاج والمعجاج لقب واسمه أبو الششاء عبد الله بن رؤبة ، وأبو محمد التميمي البصري ، الرازي بن الرازي ، ولكل منهما ديوان رجز ، وكل منهما يارع في فسه لا يجاري ولا يمارى ، عالم بالغة . وعبد الله بن المتنع الكاتب المفوء ، أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور ، وكتب له ، وله رسائل وألفاظ صحيحة ، وكان منها بالزندقة ، وهو الذي صنف كتاب كلية ودمنة ، ويقال : بل هو الذي عربها من المجوسية إلى العربية . قال المهدي : ما وجد كتاب زندقة إلا وأصله من ابن المتنع ، ومطيع بن إلياس ، ويحيى بن زياد . قالوا ونسى الجاحظ وهو رابعهم . وكان مع هذا فاضلاً يارع فصيحاً . قال الأصمعي : قيل لابن المتنع من أدبك ؟ قال : فسي ، إذا رأيت من غيري قبيحاً أبيتته ، وإذا رأيت حسناً أتيتته . ومن كلامه : شربت من الخطب رداً ، ولم أضبط لها روياء ، ففاضت ثم فاضت ، فلاحى نظاماً ، ولا نسيت غيرها كلاماً ،

وكان قتل ابن المتنع على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة نائب البصرة ، وذلك أنه كان يعبث به ويسب أمه ، وإثماً كان يسميه ابن المعلم ، وكان كبير الالف ، وكان إذا دخل عليه يقول : السلام عليكما - على سبيل التهمك - وقال لسفيان بن معاوية مرة : ما نمت على سكوت قط . فقال : صدقت ، انخرس لك خير من كلامك . ثم اتفق أن المنصور غضب على ابن المتنع فكتب إلى نائبه سفيان بن معاوية هذا أن يقتله ، فأخذه فأجى له تتورا وجعل يقطعه إرباً إرباً ويلقيه في ذلك التنور حتى حرقه كله وهو ينظر إلى أطرافه كيف تقطع ثم تحرق ، وقيل غير ذلك في صفة قتله . قال ابن خلكان : ومنهم من يقول إن ابن المتنع نسب إلى بيع القناع وهي من الجريد كالزنبيل بلا أذان ، والصحيح أنه ابن المتنع وهو أبو دارويه كان الحجاج قد استعمله على الخراج فخان فعاقبه حتى تقففت يده والله أعلم .

وفيها خرج الترك وانخرز رباب الأبواب فتناولوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة . وحج بالناس في هذه السنة نائب المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي . وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة مسلم بن قتيبة ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

(ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة)

فيها تكامل بناء مدينة السلام ببغداد ، وسكنها المنصور في صفر من هذه السنة ، وكان مقبلاً قبل

ذلك بالمسحية المتاخمة للكوفة ، وكان قد شرع في بنائها في السنة الخارجة ، وقيل في سنة أربع وأربعين ومائة فافقه أعلم .

وقد كان السبب الباعث له على بنائها أن الراوندية لما وثبوا عليه بالكوفة ووقاه الله شرهم ، بقيت منهم بقية غشى على جنده منهم ، فخرج من الكوفة يرتاد لهم موضعا لبناء مدينة ، فسار في الأرض حتى بلغ الجزيرة فلم ير موضعا أحسن لوضع المدينة من موضع بغداد التي هي فيه الآن ، وذلك بأنه موضع ينقاد إليه ويراح بخيرات ماحوله في البر والبحر ، وهو محصن بدجلة والفرات من ههنا وههنا ، لا يقدر أحد أن يتوصل إلى موضع الخليفة إلا على جسر ، وقد بات به المنصور قبل بنائه ليالي فرأى الريح تهب به ليلا ونهارا من غير انجبار ولا غبار ، ورأى طيب تلك البقعة وطيب هوائها ، وقد كان في موضعها قري ودور لعباد التنصاري وغيرهم . ذكر ذلك مفصلا بأسمائه وقصده أبو جعفر ابن جرير . فحينئذ أمر المنصور باخطاطها فرمى بها له بالرماد فتش في طرقها ومسالكها فأعجب ذلك ، ثم سلم كل ربيع منها لأمير يقوم على بنائه ، وأحضر من كل البلاد فضلا وصناعا ومهندسين ، فاجتمع عنده ألوف منهم ، ثم كان هو أول من وضع لبنة فيها يسده وقال : بسم الله والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال : ابنوا على بركة الله . وأمر ببنائها مسدورة محكم سورها من أسفله خسون ذراعا ، ومن أعلاه عشرون ذراعا ، وجعل لها ثمانية أبواب في السور البراني ، ومثلها في الجواني ، وليس كل واحد تجاه الآخر ، ولكن جعله أزور عن الذي يليه ، ولهذا سميت بغداد الزوراء ، لازورار أبوابها بعضها عن بعض ، وقيل سميت بذلك لانحراف دجلة عندها . وبنى قصر الامارة في وسط البلد ليكون الناس منه على حد سواء ، واختط المسجد الجامع إلى جانب القصر ، وكان الذي وضع قبلته الحجاج بن أرطاة . وقال ابن جرير : ويقال إن في قبلته انحرافا يحتاج المصلى فيه أن ينحرف إلى ناحية باب البصرة ، وذكر أن مسجد الرصافة أقرب إلى الصواب منه لأنه بنى قبل القصر ، وجعل المدينة بنى على القصر ، فاختلت قبلته بسبب ذلك . وذكر ابن جرير عن سليمان بن مجاهد أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء بها فأبى وامتنع فحلف المنصور أن يتولى له ، وحلف أبو حنيفة أن لا يتولى له ، فولاه القيام بأمر المدينة وضرب اللبن ، وأخذ الرجال بالعمل ، فتولى ذلك حتى فرغوا من استتمام حائط المدينة مما على الخندق ، وكان استتمامه في سنة أربع وأربعين ومائة . قال ابن جرير : وذكر عن الهيثم بن عدي أن المنصور عرض على أبي حنيفة القضاء والمظالم فامتنع ، فحلف أن لا يقلع عنه حتى يسلم له ، فأخبر بذلك أبو حنيفة فدعا بقصبة ضد اللبن ليبر بذلك بين أبي جعفر ، وملأ أبو حنيفة ببغداد بعد ذلك . وذكر أن خالد ابن برمك هو الذي أشار على المنصور ببنائها ، وأنه كان مستحثا فيها للصنع ، وقد شاور المنصور

الأمراء في قتل القصر الأبيض من المدائن إلى بغداد لأجل قصر الامارة بها ، قالوا : لا نضل
فانه آية في العالم ، وفيه مصلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب . فخالقهم وقتل منه شيئا كثيرا فلم
يف ما تحصل منه بأجرة ما يصرف في حمله فتركه ، وقتل أبواب قصر واسط إلى أبواب قصر الامارة
ببغداد . وقد كان الحاج قتل حجارته من مدينة هناك كانت من بناء سليمان بن داود ، وكانت الجن
قد عملت تلك الأبواب ، وهي حجارة هائلة . وقد كانت الأسواق وضجيجها تسمع من قصر الامارة ،
فكانت أصوات الباعة وهوسات الأسواق تسمع منه ، فصاب ذلك بعض بطارقة النصارى ممن قدم
في بعض الرسائل من الروم ، فأمر المنصور بنقل الأسواق من هناك إلى موضع آخر ، وأمر بتوسعة
الطرقات أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً ، ومن بنى في شيء من ذلك هدم .

قال ابن جرير : وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدت في خزان المنصور في الكتب
أنه أُنقِ على بناء مدينة السلام ومسجدها الجامع وقصر الذهب بها والأسواق وغير ذلك ، أربعة
آلاف ألف وثمانمائة ألف وثلاثة وثمانين ألف درهم ، وكان أجرة الأستاذ من البنائين كل يوم
قيراط فضة ، وأجرة الصانع من الحيتين إلى الثلاثة . قال الخطيب البغدادي : وقد رأيت ذلك في
بعض الكتب ، وحكى عن بعضهم أنه قال : أُنق عليه ثمانية عشر ألف ألف فاقه أعلم .

وذكر ابن جرير أن المنصور ناقص أحد المهندسين الذي بنى له بيتاً حسناً في قصر الامارة
فنفقه درهما درهما عما سواه ، وأنه حاسب بعض المستحقين على القى كان عنده فضل عنده خمسة عشر
درهما فحبسه حتى جاء بها وأحضرها وكان شحيحاً . قال الخطيب : وبنائها مدورة ، ولا يعرف في
أقطار الأرض مدينة مدورة سواها ، ووضع أساسها في وقت اختاره له نوبخت النجم . ثم ذكر عن
بعض المنجمين قال قال لي المنصور لما فرغ من بناء بغداد : خذ الطالع لها ، فنظرت في طالعها -
وكان المشتري في التوس - فأخبرته بما تدل عليه النجوم ، من طول زمتها ، وكثرة عمارتها ،
وانصباب الدنيا إليها وقرر الناس إلى ما فيها . قال : ثم قلت له : وأبشرك يا أمير المؤمنين أنه لا يموت
فيها أحد من الخلفاء أبداً . قال : فرأيت يبتسم ثم قال : الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم . وذكر عن بعض الشعراء أنه قال في ذلك شعراً منه :

قضى ربها أن لا يموت خليفة * بها إله ما شاء في خلقه يقضى

وقد قرره على هذا الخطأ الخطيب وسلم ذلك ولم ينقضه بشئ بل قرره مع اطلاعه ومعرفة .
قال : وزعم بعض الناس أن الأمين قتل بعرب الأنبار منها فذكر ذلك فهاضى أبي القاسم على بن
حسن التنوخي فقال : محمد الأمين لم يقتل بالمدينة ، وإنما كان قد نزل في سفينة إلى دجلة لينتزع قبض
عليه في وسط دجلة وقتل هناك . ذكر ذلك الصولي وغيره .

وذكر عن بعض مشايخ بغداد أنه قال : اتساع بغداد مائة وثلاثون جريباً ، وذلك بقدر ميلين في ميلين ، قال الامام أحمد : بغداد من الصرّة إلى باب التبن . وذكر الخطيب أن بين كل بايين من أبوابها الثمانية ميلاً ، وقيل أقل من ذلك . وذكر الخطيب صفة قصر الامارة وأن فيه القبة الخضراء طولها ثمانون ذراعاً ، على رأسها تمثال فرس عليه فارس في يده رمح يدور به فأى جهة استقبلها واستمر مستقبلها ، علم الساطن أن في تلك الجهة قد وقع حدث فلم يلبث أن أتى الخليفة خبره . [وهذه القبة وهى على مجلس في صدر إيوان المحكمة وطوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً . وقد سقطت هذه القبة في ليلة برد ومطر ورعد وبرق ، ليلة الثلاثاء لسبع خلون من شهر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة] .^(١)

وذكر الخطيب البغدادى أنه كان يباع في بغداد في أيام المنصور الكبش الغنم بدرهم والحمل بأربعة دواقي ، وينادى على لحم الغنم كل ستين طلاً بدرهم ، ولحم البقر كل تسعين رطلاً بدرهم ، والتمر كل ستين رطلاً بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم ، والسمن ثمانية أرطال بدرهم ، والعسل عشرة أرطال بدرهم . ولهذا الأمن والرخى أكثر ساكنوها وعظم أهلها وأكثر البازار في أسواقها وأزقتها ، حتى كان المار لا يستطيع أن يجتاز في أسواقها لكثرة زحام أهلها . قال بعض الأمراء وقد رجع من السوق : طال والله ما طردت خلف الأرانب في هذا المكان .

وذكر الخطيب أن المنصور جلس يوماً في قصره فسمع ضجة عظيمة ثم أخرى ثم أخرى فقال للربيع الحاجب : ما هذا ؟ فكشف فإذا بقرة قد فرت من جازرها هاربة في الأسواق ، فقال الروى : يا أمير المؤمنين إنك بنيت بناء لم يبنه أحد قبلك ، وفيه ثلاثة عيوب ، بعده من الماء ، وقرب الأسواق منه ، وليس عنده خضرة ، واليمين خضرة تحب الخضرة . فلم يرض بها المنصور رأساً ثم أمر بتغيير ذلك ، ثم بعد ذلك ساق إليها الماء وبني عندها البساتين ، وحول الأسواق من ثم إلى الكرخ . قال يعقوب بن سفيان : كل بناء ببغداد في سنة ست وأربعين ومائة ، وفي سنة سبع وخمسين حول الأسواق إلى باب الكرخ وباب الشمير وباب المحول وأمر بتوسعة الأسواق أربعين ألفاً ، وبعد شهرين من ذلك شرع في بناء قصره المسمى بالخلد ، فكل سنة ثمان وخمسين ومائة .

وجعل أمر ذلك إلى رجل يقال له الوضاح ، وبني للامانة جامعاً للصلاة والجمعة ثلاثاً يدخلوا إلى جامع المنصور ، فأما دار الخلافة التي كانت ببغداد بعد ذلك فاتها كانت للحسن بن سهل ، فانتقلت من بعده إلى بوران زوجة المأمون ، فطلبها منها المعتضد . وقيل المستمد . فأقامت له بها ، ثم استنظرته أياماً حتى تنتقل منها فأنظرها ، فشرعت في تلك الأيام في ترميمها وتبييضها وتحسينها ، ثم فرشتها

بأنواع الفرش والبسط ، وعلقت فيها أنواع الستور ، وأرسلت فيها ما يفيى للخلافة من الجوارى
والخدم ، وألبستهم أنواع الملابس ، وجعلت فى الخزائن ما يفيى من أنواع الأطعمة والمأكلى ، وجعلت
فى بعض بيوتها من أنواع الأموال والذخائر ، ثم أرسلت بمفاتيحها إليه ، ثم دخلها فوجد فيها
ما أرسلته بها ، فهاله ذلك واستعظمه جداً ، وكان أول خليفة سكنها وبنى عليها سوراً . ذكره
الخطيب .

وأما التاج فبناه المكتفى على دجلة وحوله القباب والمجالس والميدان والتربا وحير الوحوش . وذكر
الخطيب صفة دار الشجرة التى كانت فى زمن المنتصر بالله ، وما فيها من الفرش والستور والخدم
والممالك والحشمه الباهرة ، والدنيا الظاهرة ، وأنها كان بها إحد عشر ألف طواشى ، وسبعائة
حاجب . وأما الممالك فألوف لا يحصون كثرة ، وسيأتى ذكر ذلك مفصلاً فى أيامهم ودولهم التى
ذهبت كأنها أحلام نوم ، بعد سنة ثلثائة . وذكر الخطيب دار الملك التى بالحرم ، وذكر الجوامع التى
تقام فيها الجمعات ، وذكر الأنهار والجسور التى بها ، وما كان فى ذلك فى زمن المنصور ، وما أحدث
بعده إلى زمانه ، وأشد بعض الشعراء فى جسور بغداد التى على دجلة :

يوم حرقنا العيش فيه خلصة * فى مجلس ببناء دجلة مفرد
رقق الهواء برقة وقدامة * فقدوت رقا للزمان المسعد
فكان دجلة طيلسان أبيض * والجسر فيها كالطراز الأسود
وقال آخر :
إحبننا جسر على متن دجلة * باقنا تأسيس وحسن وروقى
جمال وحسن للعراق وزرعة * وسلوة من أضناه فرط القشوق
نراه إذا ما جتته متأملا * كسر عبير خط فى وسط مرقق
أو العاج فيه الأبنوس مرقش * مثال قبول تحتها أرض رزبق

وذكر الصولى قال : ذكر أحمد بن أبى طاهر فى كتاب بغداد أن فرع بغداد من الجانبين ثلاثة
وخمسون ألف جريب ، وأن الجانب الشرقى ستة وعشرون ألف جريب وسبعائة وخمسون جريباً
وأن عدة حماماتها ستون ألف حمام ، وأقل ما فى كل حمام منها خمسة فزر حمامى وقم وزبال ووقاد
وسقاء ، وأن بأزاء كل حمام خمسة مساجد ، ففلك ثلاثمائة ألف مسجد ، وأقل ما يكون فى كل مسجد
خمس فزر - يعنى إماماً وقياً ومأذوناً وأمويين - ثم تتناقص بعد ذلك ، ثم ذرت بعد ذلك حتى
صارت كأنها خربة صورة ومعنى . على ما سيأتى بيانه فى موضعه .

وقال الحافظ أبو بكر البغدادى : لم يكن لبغداد نظير فى الدنيا فى جلاله قدمها ، ونظامها
أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها ، وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها ، وسعة أطرارها ،

وكثرة دورها ودورها ومنازلها وشوارعها ومساجدها وحماماتها وغالقاتها ، وطيب هوائها وعذوبة ماؤها وبرد ظلالها واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها ، وأكثر ما كانت عارة وأهلا في أيام الرشيد ، ثم ذكر تناقص أحوالها وهلم جرا إلى زمانه . قلت : وكذا من بعده إلى زماننا هذا ، ولا سيما في أيام هولاكو بن تولى بن جنكز بن خان التركي القى وضع ممالها وقتل خليفتها وظلمها وخرب دورها وهدم قصورها وأباد الخواص والعوام من أهلها في ذلك العام ، وأخذ الأموال والحواصل ، ونهب القدرارى والأصائل ، وأورث بها حزنا يمدد به في المبكرات والأصائل ، وصيرها مثلة في الأقاليم ، وعبرة لكل معتبر علم ، وتذكرة لكل ذى عقل مستقيم ، وبدلت بعد تلاوة القرآن بالنفثات والألحان ، وإنشاد الأشعار ، وكفن ، وكان . وبعد سماع الأحاديث النبوية بدرس الفلسفة اليونانية ، والمنهاج الكلامية والتأويلات القرمطية ، وبعد العلماء بالأطباء ، وبعد الخليفة العباسى بشر الولاية من الأمانى ، وبعد الرياسة والنباهة بالخساسة والسفاهة ، وبعد الطلبة المشتغلين بالطفلة والعيارين ، وبعد العلم بالفتنة والحديث وتفسير الرؤيا ، بالوشح ودوبيت وموالي . وما أصابهم ذلك إلا يبعث ذنوبهم (ومار بك بظلام للمبيد) والتحول منها في هذه الأزمان لكثرة ما فيها من المنكرات الحسية والمعنوية ، وأكل الحشيشة ، والانتقال عنها إلى بلاد الشام القى تكفل الله بأهلها أفضل وأكمل وأجل . وقد روى الامام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام ، وشرار أهل الشام إلى العراق » .

(ذكر ما ورد في مدينة بغداد من الآثار والتفصيل على ضف ما روى فيها من الأخبار)

فيها أربع لغات بغداد وبغداد بأهمال الفعال الثانية وإعجمها ، وبغدان بالنون آخره وبالميم مع ذلك أولا مقدان ، وهى كلمة أعجمية قيل إنها مركبة من بىغ وداد قيل بىغ بستان وداد اسم رجل ، وقيل بىغ اسم صنم وقيل شيطان وداد عطية أى عطية الصنم ، ولهذا كره عبد الله بن المبارك والأصمعي وغيرهما تسميتها ببغداد وإنما قال لها مدينة السلام ، وكذا أسماها بانها أبو جعفر المنصور ، لأن دجلة كان يقال لها وادى السلام ، ومنهم من يسميها الزوراء .

فروى الخطيب البغدادى من طريق عمار بن سيف - وهو منهم - قال : سمعت عاصم الأحول يحدث عن سفیان الثورى عن أبي عثمان عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « تبنى مدينة بين دجلة وحجيل وقطربل والصرافة نجي إليها خزائن الأرض ، وملوكها جبابرة ، فلهى أسرع ذهباً في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الزخوة » . قال الخطيب : وقد رواه عن عاصم الأحول سيف ابن أخت سفیان الثورى ، وهو أخو عمار بن سيف . قلت : وكلاهما ضعيف منهم یرى بالكنب ، ومحمد بن جابر البغدادى ضعيف ، وأبو شهاب الخنطلى ضعيف . وروى عن سفیان الثورى

عن عاصم من طرق ثم أسند ذلك كله . وأورد من طريق يحيى بن معين عن يحيى بن أبي كثير عن
عمار بن سيف عن الثوري عن عاصم عن أبي عثمان عن جرير عن النبي ﷺ . وقال أحد ويحيى :
ليس لهذا الحديث أصل . وقال أحمد : ما حدث به إنسان ثقة ، وقد عله الخطيب من جميع طرقه
وساقه أيضاً من طريق عمار بن سيف عن الثوري عن أبي عبيدة حميد الطويل ، عن أنس بن
مالك ، ولا يصح أيضاً . ومن طريق عمر بن يحيى عن سفیان عن قيس بن مسلم عن ربي عن حذيفة
مرفوعاً بنحوه ، ولا يصح . ومن غير وجه عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وثوبان وابن عباس ،
وفي بعضها ذكر السفيناتي « وأنه يخرجها » ولا يصح إسناد شيء من هذه الأحاديث . وقد أوردنا
الخطيب بأسانيدھا وألفاظھا ، وفي كل منها نكارة ، وأقرب ما فيها عن كعب الأخبار وقد جاء في
آثار عن كتب متقدمة أن بابها يقال له مقلص وذو الهوائيق لبعثه .

فصل

(في ذكر محاسن بفساد وسواھا وما روى في ذلك عن الأئمة)

قال يونس بن عبد الأعلى الصدقي : قال لي الشافعي : هل رأيت بفساد ؟ قلت لا ! فقال : ما رأيت
الدنيا . وقال الشافعي : ما دخلت بلدا قط إلا عدتته سفرا ، إلا بفساد فاني حين دخلتها عندي
وطنا . وقال بعضهم : الدنيا يادية وبفساد حاضرته . وقال ابن علية : ما رأيت أعقل في طلب
الحديث من أهل بفساد ، ولا أحسن دعة منهم . وقال ابن مجاهد : رأيت أبا عمرو بن العلاء في
النوم قلت : ما فعل الله بك ؟ فقال لي : دغني من هذا ، من أقام بفساد على السنة والجماعة ومات
قل من جنة إلى جنة . وقال أبو بكر بن عياش : الاسلام بفساد ، وإيها لصيادة تصيد الرجال ،
ومن لم يرها لم ير الدنيا . وقال أبو معاوية : بفساد دار دنيا وآخره . وقال بعضهم : من محاسن الاسلام
يوم الجمعة بفساد ، وصلاة التراويح بمكة ، ويوم العيد بطرسوس . قال الخطيب : من شهد يوم
الجمعة بمدينة السلام عظم الله في قلبه محل الاسلام ، لأن مشايخنا كانوا يقولون يوم الجمعة بفساد كيرم
العيد في غيرها من البلاد . وقال بعضهم : كنت أواظب على الجمعة بجمع المنصور ففرض لي شغل
فصليت في غيره فرأيت في المنام كأن قائلا يقول : تركت الصلاة في جامع المدينة وإنه ليصلي فيه
كل جمعة سبعون وليا . وقال آخر : أردت الانتقال من بفساد فرأيت كأن قائلا يقول في المنام :
أنتنقل من بلد فيه عشرة آلاف ولي لله عز وجل ؟ وقال بعضهم : رأيت كأن ملكين أتيا بفساد
فقال أحدهما لصاحبه : اقلها . فقد حق القول عليها : قال الآخر كيف أقلب ببلد يهجم فيها
القرآن كل ليلة خمسة آلاف خنعة ؟ وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز بن سليمان بن موسى
قال : إذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقيا وصلاته شامية فقد كل . وقالت زينة المنصور

الغري قل شراً تحبب فيه بئداد إلى . قد اختار عليها الراحة فقال :

ما ذا يبئداد من طيب الأفانين * ومن منزله قلدنيا ولدين
تحيي الريح بها المرضى إذا نسمت * وجوشت بين أغصان الراحين
قال : فأعطته أنى دينار . وقال الخطيب : وقرأت في كتاب طلحة بن مظفر بن طاهر الخازن
بخطه من شعره :

سقى الله صوب القاديت محلة * يبئداد بين الكرخ فاطلة فالجسر
هى البلدة الحسناء خصت لأهلها * بأشياء لم يجمعن مذكن في مصر
هواء رقيق في اعتدال وصحة * وماء له طعم أقد من الحمر
ودجلتها شطآن قد نظاً لنا * بناج إلى تاج وقصر إلى قصر
تراها كسك والمياه كفضة * وحصابها مثل اليواقيت والدر
وقد أورد الخطيب في هذا أشعاراً كثيرة وفيها ذكرنا كفاية . وقد كان الفراغ من بناء بئداد
في هذه السنة - أعني سنة ست وأربعين ومائة - وقيل في سنة ثمان وأربعين ، وقيل إن خندقها
وسورها كلاً في سنة سبع وأربعين ، ولم يزل المنصور يزيد فيها ويتأنق في بنائها حتى كان آخر ما بنى
فيها قصر الخلد ، فظن أنه يخلد فيها ، أو أنها تخلد فلا تخرب ، فعند كماله مات . وقد خربت بئداد
مرات كما سيأتي بيانه .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزل المنصور سلم بن قتيبة عن البصرة وولى عليها محمد بن
سليمان بن علي ، وذلك لأنه كتب إلى سلم يأمره بهدم بيوت الذين بايعوا إبراهيم بن عبد الله بن حسن
فتوأن في ذلك فعزله ، وبس ابن عمه محمد بن سليمان فملك بها فساداً ، وهدم دوراً كثيرة . وعزل
عبد الله بن الربيع عن إمرة المدينة وولى عليها جعفر بن سليمان ، وعزل عن مكة السري بن
عبد الله وولى عليها عبد الصمد بن علي . قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم
ابن محمد بن علي قاله الواقدي وغيره . قال : وفيها غزا الصائفة من بلاد الروم جعفر بن حنظلة
البهراني . وفيها توفي من الأعيان أشعث بن عبد الملك ، وهشام بن السائب الكلبي ، وهشام بن
عروة . ويزيد بن أبي عبيد في قول .

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة)

فيها أغار اشترخان الخوارزمي في جيش من الأتراك على ناحية أرمينية فدخلوها فغلبوا وقتلوا
خلقاً كثيراً وأسروا كثيراً من المسلمين وأهل القمة ، وعين قتل يومئذ حرب بن عبد الله الراوندي
الذي تنسب إليه الحربية ببئداد ، وكان مقياً بالموصل في أفنين لمقابلة الخوارج ، فأرسله المنصور

لمساعدة المسلمين ببلاد أرمينية ، وكان في جيش جبريل بن يحيى ، فهزم جبريل وقتل حرب رحمة الله . وفي هذه السنة كان مهلك عبد الله بن علي عم المنصور .

[وهو الذي أخذ الشام من أيدي بني أمية ، كان عليها واليا حتى مات السفاح ، فلما مات دعا إلى نفسه فحبس إليه المنصور بأبى مسلم الخراساني فهزمه أبو مسلم وهرب عبد الله إلى عند أخيه سليمان ابن علي وإلى البصرة فاختفى عنده مدة ثم ظهر المنصور على أمره فاستدعى به وسجنه ، فلما كان في هذه السنة عزم المنصور ^(١) على الحج فطلب عنه عيسى بن موسى . وكان ولي العهد من بعد المنصور عن وصية السفاح . وسلم إليه عمه عبد الله بن علي وقال له : إن هذا عدوى وعدوك ، فاقطعه في غيبتي عنك ولا تتواثق . ولسر المنصور إلى الحج وجعل يكتب إليه من الطريق يستحثه في ذلك ويقول له : ماذا صنعت فيما أودعت إليك فيه ؟ مرة بعد مرة . وأما عيسى بن موسى فإنه لما تسلم عمه حار في أمره وشاور بعض أهله فأشار بعضهم بمن له رأى أن المصلحة تقتضي أن لا تقتله وأبقه عندك وأظهر قتله فانا نخشى أن يطالبك به جبهة فنقول : قتلته ، فيأمر بالقود فتدعي أنه أمرك بقتله بالسريينك وبينه فتعجز عن إثبات ذلك فيقتلك به ، وإما يريد المنصور قتله وقتلك ليستريح منك كما . فتغير عيسى بن موسى عند ذلك وأخفى عمه وأظهر أنه قتله . فلما رجع المنصور من الحج أمر أهله أن يدخلوا عليه ويشفوا في عمه عبد الله بن علي ، وألحوا في ذلك فأجابهم إلى ذلك ، واستدعى عيسى بن موسى وقال له : إن هؤلاء شفوا في عبد الله بن علي وقد أجبتهم إلى ذلك فسلمه إليهم . فقال عيسى : وأين عبد الله ؟ ذاك قتلته منذ أمرتني . فقال المنصور : لم أمرك بذلك ، وجحد ذلك وأن يكون تقدم إليه منه أمره في ذلك ، فأحضر عيسى الكتب التي كتبها إليه المنصور مرة بعد مرة في ذلك فأنكر أن يكون أراد ذلك ، وصمم على الانكار ، وصمم عيسى ابن موسى أنه قد قتله ، فأمر المنصور عند ذلك بقتل عيسى بن موسى قصاصاً بعبد الله ، فخرج به بنو هاشم ليقتلوه ، فلما جاؤا بالسيف قال : ردوني إلى الخليفة ، فردوه إليه فقال له : إن ملك حاضر ولم أقتله ، فقال : هلم به . فأحضره فقط في يد الخليفة وأمر بسجنه . ودار جدرانها مبنية على ملح ، فلما كان من الليل أرسل على جدرانها الماء فسقط عليه البناء فهلك . ثم إن المنصور خلق عيسى بن موسى عن ولاية العهد وقسم عليه ابنه المهدي ، وكان يجلسه فوق عيسى بن موسى عن يمينه ، ثم كان لا يلتفت إلى عيسى بن موسى ويمينه في الاذن والمشورة والدخول عليه والخروج من عنده ، ثم ما زال يقصيه ويبعده ويتهدهد ويتوعده حتى خلق نفسه بنفسه ، وبايع لمحمد بن منصور وأعطاه المنصور على ذلك نحواً من اثني عشر ألف درهم ، وانفصلح أمر عيسى بن موسى وبنيه عند

المنصور ، وأقبل عليه بعد ما كان قد أعرض عنه . وكان قد جرت بينهما قبل ذلك مكاتبات في ذلك كثيرة جداً ، ومرادفات في تمجيد البيعة لابنه المهدي وخلع عيسى نفسه ، وأن العامة لا يمدحون بالمهدي أحداً . وكذلك الأمراء والخواص . ولم يزل به حتى أجاب إلى ذلك مكرهاً ، ففوضه عن ذلك ما ذكرناه ، وسارت بيعة المهدي في الآفاق شرقاً وغرباً ، وبدءوا قرباً ، وفرح المنصور بذلك فرحاً شديداً ، واستقرت الخلافة في ذريته إلى زماننا هذا ، فلم يكن خليفة من بني العباس إلا من سلالة (ذلك تقي الدين العزيز المليم) .

وفيهما توفي عبيد الله بن عمر العمري ، وهاشم بن هاشم ، وهشام بن حسان صاحب الحسن البصري .
(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة)

فيها بئس المنصور حميد بن قحطبة لغزو الترك الذين عاثوا في السنة الماضية ببلاد فليس ، فلم يجد منهم أحداً فانهم انشعروا إلى بلادهم . وحج بالناس فيها جعفر بن أبي جعفر ، ونواب البلاد فيها هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفي جعفر بن محمد الصالح المنسوب إليه كتاب اختلاج الأعضاء وهو مكنوب عليه . [وفيها توفي سليمان بن مهران الأعشى أحد مشايخ الحديث في ربيع الأول منها ^(١)] وعمر بن الحارث ، والعمام بن حوشب ، والزيدي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى . ومحمد بن مجلان .

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة)

فيها فرغ من بناء سور بغداد وخندقها . وفيها غزا الصائفة العباس بن محمد فسئل بلاد الروم وسه الحسين بن قحطبة ومحمد بن الأشعث . ومات محمد بن الأشعث في الطريق . وفيها حج بالناس محمد بن إبراهيم بن علي وولاه المنصور على مكة والحجاز عوضاً عن عمه عبد الصمد بن علي . وغال الأمصار فيها هم الذين كانوا في السنة قبلها . وفيها توفي زكريا بن أبي زائدة ، وكهمس بن الحسن ، والمثنى بن الصباح . وعيسى بن عمر أبو عمرو والثقف البصري النحوي شيخ سيويو . يقال إنه من موالى خالد بن الوليد ، وإنما نزل في قييف ففسب إليهم . كان إماماً كبيراً جليلاً في الفقه والنحو والقراءة ، أخذ ذلك عن عبيد الله بن كثير وابن الحيصن وعبد الله بن أبي إسحاق ، وسمع الحسن البصري وغيرهم . وعنه الخليل بن أحمد والأصمعي وسيويو . ولزمه وعرف به واتقعه به ، وأخذ كتابه القى ساء بالجامع فزاد عليه وبسطه ، فهو كتاب سيويو اليوم ، وإنما هو كتاب شيخه ، وكان سيويو يسأل شيخه الخليل بن أحمد عما أشكل عليه فيه ، فسأله الخليل أيضاً عما صنف عيسى بن عمر قال : جمع بضماً وسبعين كتاباً ذهبت كلها إلا كتاب الإكمال ،

(١) سقط من المصرية .

وهو بأرض فارس . وهو الذى أشتغل فيه وأسألك عن غولاميه ، فاطرق الخليل ساعة ثم أنشد :

ذهب النحر جيماً كله • غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهنا جلع • وهما للناس شمس وقر

وقد كان عيسى يقرب ويتقرّ في عبارته جنّاً . وقد حكى الجوهري عنه في الصحاح أنه سقط يوماً عن حمارة فاجتمع عليه الناس فقال : مالكم تكأ كأتهم على تكأ كؤكم على ذى مرة ؟ أفرنقوا عني . معناه : مالكم تجميعهم على تجميعكم على مجنون ؟ انكشفوا عني . وقال غيره : كان به ضيق النفس فسقط بسببه فاعتقد الناس أنه مصروع . فجعلوا يمدونه ويقرؤن عليه ، فلما أفاق من غشيته قال ، ما قال . فقال بعضهم : إني حسبت - ينكلم بالفارسية - وذكر ابن خلكان أنه كان صاحباً لأبي عمرو بن العلاء ، وأن عيسى بن عمر قال يوماً لأبي عمرو بن العلاء : أنا أفصح من معد بن عدنان . فقال له أبو عمرو كيف تقرأ هذا البيت .

قد كن يخبأن الوجوه تستراً • فاليوم حين بدان للنظار

أو بدين ؟ فقال بدين . فقال أبو عمرو : أخطأت ، ولو قال : بدان لأخطأ أيضاً . وإعما أراد أبو عمرو وتقليطه ، وإعما الصواب بدون من بدايد وإذا ظهر ، وبدأ يبدأ إذا شرع في الشيء .

(ثم دخلت سنة خمسين ومائة من الهجرة)

فيها خرج رجل من الكفرة يقال له استافيس في بلاد خراسان فاستحوذ على أكثرها ، وألف معه نحو من ثلثمائة ألف ، وقتلوا من المسلمين هناك خلقاً كثيراً ، وهزموا الجيوش التي في تلك البلاد ، وسبوا خلقاً كثيراً ، ونحكّم الفساد بسببهم ، وتقام أمرهم ، فوجه المنصور خازم بن خزيمه إلى ابنه المهدي ليؤليه حرب تلك البلاد ، ويضم إليه من الأجناد ما يقاوم أولئك . فتمضى المهدي في ذلك نهضة هاشمية ، وجمع غلازم بن خزيمه الأجرة على تلك البلاد والجيوش ، وبثه في نحو من أربعين ألفاً ، فسار إليهم وما زال يراوهم وبما كرم ويسل الخديعة فيهم حتى طأطأ بالحرب ، وواجههم بالطن والفرس ، وقتل منهم نحواً من سبعين ألفاً ، وأسر منهم أربعة عشر ألفاً ، وهرب ملكهم استافيس فحترز في جبل ، فجاء خازم إلى تحت الجبل وقتل أولئك الأسرى كلهم ، ولم يزل يحاصره حتى نزل على حكم بعض الأمراء ، فحكم أن يقيد بالحديد هو وأهل بيته ، وأن يعتق من معه من الأجناد - وكانوا ثلاثين ألفاً - فضل خازم ذلك كله وأطلق لكل واحد منهم كلن مع استافيس توبين ، وكتب بما وقع من الفتح إلى المهدي ، فكتب المهدي بذلك إلى أبيه المنصور . وفيها عزل الخليفة عن إمرة المدينة جعفر بن سليمان ولولاهما الحسن بن زيد بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب . وفيها حج بالناس عبد الصمد بن علي عم الخليفة . وتوفي فيها

جعفر ابن أمير المؤمنين المنصور ودفن أولاً بمقابر بني هاشم من بغداد ، ثم نقل منها إلى موضع آخر .
وفيهما توفي عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح أحد أئمة أهل الحجاز ، ويقال إنه أول من جمع
السنن . وعثمان بن الأسود ، وعمر بن محمد بن زيد . وفيها توفي الامام أبو حنيفة .

﴿ ذكر ترجمته ﴾

هو الامام أبو حنيفة واسمه النعمان بن ثابت النيسابوري مولاهم الكوفي ، فقيه العراق ، وأحد أئمة
الاسلام ، والسادة الأعلام ، وأحد أركان العلماء ، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتنوعة ،
وهو أقدمهم وفاة ، لأنه أدرك عصر الصحابة ، ورأى أنس بن مالك ، قبل وغيره . وذكر بعضهم
أنه روى عن سبعة من الصحابة طاهه أعلم .

وروى عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحمد بن أبي سليمان ، وسلمة بن كهيل ، وعاصم
الشعبي ، وعكرمة ، وعطاء ، وقتادة ، والزهري ، ونافع مولى ابن عمر ، ويحيى بن سعيد الأنصاري
وأبو إسحاق السبيعي . وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد وإبراهيم بن طهمان ، وإسحاق بن يوسف
الأزرق ، وأسدي بن عمرو القاضى ، والحسن بن زياد اللؤلؤى ، وحزرة الزيات ، وداود الطائي ، وزفر ،
وعبد الرزاق ، وأبو نعيم ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وهشيم ، ووكيع ، وأبو يوسف القاضى . قال
يحيى بن معين : كان ثقة ، وكان من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب ، ولقد ضربه ابن هبيرة على
القضاء فأبى أن يكون قاضياً . وقد كان يحيى بن سعيد يختار قوله في الفتوى ، وكان يحيى يقول :
لا نكذب الله ! ما سمعنا أحسن من رأى أبي حنيفة ، وقد أخذنا بأكثر أقواله . وقال عبد الله بن
المبارك : لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان الثوري لكنت كسائر الناس . وقال في الشافعى :
رأيت رجلاً لو كلك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته : وقال الشافعى : من أراد الفقه فهو
عيال على أبي حنيفة ، ومن أراد السير فهو عيال على محمد بن إسحاق ، ومن أراد الحديث فهو
عيال على مالك ، ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان . وقال عبد الله بن داود الحرابي :
يفنى للناس أن يدعوا في صلاحهم لأبي حنيفة ، لحفظه الفقه والسنن عليهم . وقال سفيان الثوري
وابن المبارك : كان أبو حنيفة أفضه أهل الأرض في زمانه . وقال أبو نعيم : كان صاحب غوص في
المسائل . وقال مكى بن إبراهيم : كان أعلم أهل الأرض . وروى الخطيب بسنده عن أسد بن عمرو
أن أبا حنيفة كان يصلى بالليل ويقرأ القرآن في كل ليلة ، ويبكى حتى يرجمه جيرانه . ومكث أربعين
سنة يصلى الصبح بوضوء المشاء ، وختم القرآن في الموضع الذى توفي فيه سبعين ألف مرة ، وكانت
وفاته في رجب من هذه السنة - أعنى سنة خمسين ومائة - وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين .
وقال غيره : سنة ثلاث وخمسين . والصحيح الأول .

وكان مولده في سنة ثمانين قتم له من العمر سبعون سنة ، وصلى عليه ببغداد ست مرات لكثرة الزلم ، وقبره هناك رحمه الله .

(ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة)

فيها عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وولى عليها هشام بن عمرو التغلبي ، وكان سبب عزله عنها أن محمد بن عبد الله بن حسن لما ظهر بمش ابنه عبد الله الملقب بالأشتر ومعه جماعة بهدية وخبول عتاق إلى عمر بن حفص هذا إلى السند قبلها ، فدعوه إلى دعوة أبيه محمد بن عبد الله بن حسن في السر فأجابهم إلى ذلك وليسوا البياض . ولما جاء خير مقتل محمد بن عبد الله بالمدينة سقط في أيديهم وأخفوا في الاعتذار إلى عبد الله بن محمد ، فقال له عبد الله : إني أخشى على نفسي . قال : إني سأبثك إلى ملك من المشركين في جوار أرضنا ، وإنه من أشد الناس تعظيماً لرسول الله ﷺ ، وإنه متى عرفك أنك من سلالة أحبك . فأجابه إلى ذلك ، وصار عبد الله ابن محمد إلى ذلك الملك وكان عنده آمناء ، وصار عبد الله يركب في موكب من الزيدية ويتصيد في جحفل من الجنود ، وانضم إليه خلق وقدم عليه طوائف من الزيدية .

وأما المنصور فإنه بمش يشتب على عمر بن حفص نائب السند ، قال رجل من الأمراء إمشي إليه واجعل القضية مسندة إلى ، فإني سأعترف إليه من ذلك ، فإن سلمت وإلا كنت فداءك وفداء من هنالك من الأمراء . فأرسله سفيراً في القضية إلى المنصور ، فلما وقف بين يدي المنصور أمر بضرب عنقه ، وكتب إلى عمر بن حفص بمنزله عن السند وولاه بلاد إفريقية عوضاً عن أميرها ، ولما وجه المنصور هشام بن عمرو إلى السند أمره أن يجتهد في تحصيل عبد الله بن محمد ، فجعل يتواني في ذلك ، فبث إليه المنصور يستحثه في ذلك ، ثم اتفق الحال أن سيقا أخا هشام بن عمرو لقي عبد الله بن محمد في بعض الأماكن فاقتلوا قتل عبد الله وأصحابه جميعاً واشتبه عليهم مكانه في القتلى فلم يقدروا عليه . فكتب هشام بن عمرو إلى المنصور يلمه بقتله ، [فبث يشكره على ذلك ويأمره بقتال الملك الذي آواه ، ويلمه أن عبد الله كان قد تسرى بجارية هناك وأولدها ولما أنساه محمد ، فإذا ظفرت بالملك فاحفظ بالسلام قهض]^(١) هشام بن عمرو إلى ذلك الملك فقاتله فغلبه وقهره على بلاده وأمواله وحواصله ، وبث بالفتح والأخماس وبثك النلام والملك إلى المنصور ، ففرح المنصور بملك وبث بالسلام إلى المدينة ، وكتب المنصور إلى نائبها يلمه بصحة نسبه ، ويأمره أن يلحقه بأهله يكون عندهم ثلاثاً يضيغ نسبه ، فهو الذي يقال له أبو الحسن بن الأشتر . وفي هذه السنة قدم المهدي بن المنصور على أبيه من خراسان فلقاه أبوه والأمراء والأكابر

إلى أثناء الطريق ، وقدم بعد ذلك نواب البلاد والشام وغيرها للسلام عليه وتهنئته بالسلامة والتصر .
وحمل إليه من الهدايا والتحف ما لا يحصى ولا يوصف .

﴿ بناء الرصافة ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة شرع المنصور في بناء الرصافة لابنه المهدي بعد مقدمه من خراسان ، وهي في الجانب الشرقي من بغداد ، وجعل لها سوراً وخندقاً ، وعمل عندها ميداناً وبستاناً ، وأجرى إليها الماء من نهر المهدي . قال ابن جرير :

وفيها جدد المنصور البيعة لنفسه ثم لولده المهدي من بعده ، ولعيسى بن موسى من بعدهما ، وجاء الأتراء والغواص فقبلوا وجعلوا يقبلون يد المنصور ويد ابنه ويلسونه يد عيسى بن موسى ولا يقبلونها . قال الواقدي : وولى المنصور ممن بن زائمة سجستان .

وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، وهو نائب مكة والطائف ، وعلى المدينة الحسن بن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة جابر بن زيد الكلابي ، وعلى مصر يزيد بن حاتم . ونائب خراسان حميد بن قحطبة ، ونائب سجستان ممن بن زائمة . وغزا الصائفة فيها عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد .

وفيها توفي حنظلة بن أبي سفيان ، وعبد الله بن عون ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علماً بهندي به ، وغزا يستجلى به ، والناس كلهم عيال عليه في ذلك ، كما قال الشافعي وغيره من الأئمة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة ﴾

فيها عزل المنصور عن إمرة مصر يزيد بن حاتم وولاه محمد بن سعيد ، وبعث إلى نائب إفريقية وكان قد بلغه أنه عصى وخالف ، فلما جرى به أمر بضرب عنقه . وعزل عن البصرة جابر ابن زيد الكلابي وولاه يزيد بن منصور . وفيها قتل الخوارج ممن بن زائمة بسجستان . وفيها توفي عباد بن منصور ، ووفس بن يزيد الأيلي .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة ﴾

وفيها غضب المنصور على كاتبه أبي أيوب المورياتي وسجن أخاه خالفاً وبني أخيه الأربعة سعيداً ومسروداً ومخلداً ومحمداً ، وطالبهم بالأموال الكثيرة . وكان سبب ذلك ما ذكره ابن عساكر في ترجمة أبي جعفر المنصور ، وهو أنه كان في زمن شبينته قد ورد الموصل وهو فقير لا شيء له ولا معه شيء ، فأجر نفسه من بعض الملاحين حتى اكتسب شيئاً تزوج به امرأة ، ثم جعل يمدحها ويعنيها أنه من بيت سيصير الملك إليهم سريعاً ، فاتفق حبلاها منه ، ثم قطبته بنو أمية فهرب عنها

وتركها حاملا ، ووضع عندها رقعة فيها نسبه ، وأنه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمرها إذا بلغت أمه أن تأتيه ، وإذا ولدت غلاماً أن تسميه جعفراً . فولدت غلاماً فسمته جعفراً . ونشأ الغلام فعمل الكتابة وغوى الريبة والأدب ، وأختن ذلك إختاناً جيداً ، ثم أكل الأمر إلى بني العباس ، فسألت عن السفاح فإذا هو ليس صاحبها ، ثم قام المنصور وصار الولد إلى بغداد فاختلط بكتّاب الرسائل فأعجب به أبو أيوب المورياني صاحب ديوان الانشاء للمنصور ، وحظي عنده وقدمه على غيره ، فاتفق حضوره معه بين يدي الخليفة فعمل الخليفة يلاحظه ، ثم بعث يوماً الخادم ليأتيه بكتّاب فدخل ومعه ذلك الغلام ، فكتب بين يدي المنصور كتاباً وجعل الخليفة ينظر إليه ويتأمل ، ثم سأله من اسمه فأخبره أنه جعفر ، قال : ابن من ؟ فسكت الغلام ، قال : مالك لا تسكلم ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن من خبري كيت وكيت ، فتغير وجه الخليفة ثم سأله عن أمه فأخبره ، وسأله عن أحوال بلد الموصل فجعل يخبره والغلام يتعجب . ثم قام إليه الخليفة فاحتضنه وقال : أنت ابني . ثم بعثه بمقدنين ومال جزيل وكتاب إلى أمه يعلمها بحقيقة الأمر وحال الولد . وخرج الغلام ومعه ذلك من باب سر الخليفة فأحرز ذلك ثم جاء إلى أبي أيوب فقال : ما بظا بك عند الخليفة ؟ فقال : إنه استكنبني في رسائل كثيرة ، ثم تناول ، ثم طارقه الغلام منضبا ونهض من فورهِ فاستأجر إلى الموصل ليعلم أمه ويحملها وأهلها إلى بغداد ، إلى أبيه الخليفة . فسار مراحل ، ثم سأل عنه أبو أيوب فقبل سافر فظن أبو أيوب أنه قد أفشى شيئاً من أسرارهِ إلى الخليفة وفر منه ، فبعث في طلبهِ رسولاً وقال : حيث وجدته فردهُ علي . فسار الرسول في طلبهِ فوجده في بعض المنازل تخفقه وألقاه في بئر وأخذ ما كان معه فرجع به إلى أبي أيوب . فلما وقف أبو أيوب على الكتاب أسقط في يده ونظم على يمينه خلفه . وانتظر الخليفة عود ولده إليه واستبطأه وكشف عن خبرهِ فإذا رسول أبي أيوب قد لحقه وقتله . فحينئذ استحضر أبا أيوب وألزمه بأموال عظيمة ، ومازال في العقوبة حتى أخذ جميع أموالهِ وحواصلهِ ثم قتله ، وجعل يقول : هذا قتل جيبِي . وكان المنصور كلما ذكر ولده حزن عليه حزناً شديداً .

وفيها خرجت الخوارج من الصفرية وغيرهم ببلاد إفريقية . فاجتمع منهم ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً ، ما بين فارس وراجل ، وعليهم أبو حاتم الانطلي ، وأبو عباد . وانضم إليهم أبو قرّة الصفرى في أربعين ألفاً ، فقاتلوا نائب إفريقية فهزموا جيشه وقتلوه ، وهو عمر بن عثمان بن أبي صفرة الذي كان نائب السند كما تقدم ، قتله هؤلاء الخوارج رحمه الله . وأكثرت الخوارج الفساد في البلاد ، وقتلوا الحريم والأولاد . وفيها أزم المنصور الناس بليس قلانس سود طوال جيداً ، حتى كانوا يستمنون على رضاهم من داخلها بالقبض ، قال أبو دلالة الشاعر في ذلك :

وكنّا نرجى من إمام زيادة • فزاد الامام المرتضى في القلائس
 تراها على هام الرجال كأنها • ذلن يهود جلّت بالبرانس
 وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحيوورى فأسر خلقاً كثيراً من الروم ينيف على ستة
 آلاف أسير، وغنم أموالاً جزيلة . وحج بالناس المهدي بن المنصور [وهو ولي العهد الملقب بالمهدي .
 وكان على نيابة مكة والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسن بن زيد وعلى الكوفة محمد بن
 سليمان وعلى البصرة يزيد بن منصور ، وعلى مصر محمد بن سعيد . وذكر الواقدي أن يزيد بن
 منصور كان ولده المنصور في هذه السنة الهجرية . ^(١) فله أعلم .
 وفيها توفي أبان بن صمعة ، وأسامة بن زيد اللبني ، ونور بن يزيد الحصى ، والحسن بن عمار ،
 وقطر بن خليفة ، وممر وهشام بن النازي والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة ﴾

فيها دخل المنصور بلاد الشام وزار بيت المقدس وجيز يزيد بن حاتم في خمسين ألفاً وولاه بلاد
 إفريقية ، وأمره بقتال الخوارج ، وأُتفق على هذا الجيش نحواً من ثلاث وستين ألف حرم ، وغزا
 الصائفة زفر بن عاصم الهلالي . وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم . ونواب البلاد والأقاليم هم
 المذكورون في التي قبلها ، سوى البصرة فعليها عبد الملك بن أيوب بن غلبان . وفيها توفي أبو
 أيوب الكاتب وأخوه خالد ، وأمر المنصور ببنى أخيه أن تقطع أيديهم وأرجلهم ثم تضرب بعد
 ذلك أعناقهم ففعل ذلك بهم . وفيها توفي :

﴿ أشعب الطالع ﴾

وهو أشعب بن جبير أبو العلاء ، ويقال أبو إسحاق المدني ، ويقال له أبو حميدة . وكان أبوه
 مولى لآل الزبير ، قتله المختار ، وهو خال الواقدي . روى عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله
 ﷺ كان يتختم في اليمن . وأبان بن عثمان ، وسالم وعكرمة ، وكان ظريفاً ماجناً يحبه أهل زمانه
 لخلاعه وطمعه ، وكان حميد الفناء ، وقد وفد على الوليد بن يزيد دمشق فترجعه ابن هساكر ترجمة
 ذكر عنه فيها أشياء مضحكة ، وأسند عنه حديثين . وروى عنه أنه سئل يوماً أن يحدث فقال :
 حدثني عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « خصلتان من عمل بهما دخل الجنة » ثم
 سكت قليل له : وما هما ؟ فقال : نسي عكرمة الواحدة ونسيت أنا الأخرى . وكان سالم بن عبد الله
 ابن عمر يستغفنه ويستحليه ويضحك منه ويأخذه معه إلى النابة ، وكذلك كان غيره من أكابر
 الناس . وقال الشافعي : عبث الوثاقين يوماً بأشعب فقال لهم : إن هنا أناساً يفرقون الجوز - ليطردم
 (١) زيادة من المضرة .

عنه - ففسارح الصبيان إلى ذلك ، فصار أكرم مسرعين قال : لعله حق فتبعهم . وقال له رجل : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما زلت عروس بالمدينة إلا رجوت أن تزف إلى فأكسح داري وأنظف بابي وأكس يتي . واجتاز يوماً برجل يصنع طبقاً من قش فقال له : زد فيه طورا أو طورين لعله أن يهني يوماً لتنافيه هدية . وروى ابن عساكر أن أشعب غنى يوماً لسالم بن عبد الله بن عمر قول بعض الشعراء :

مضين بها والبدر يشبه وجهها * مطهرة الآثواب والدين وافر
لما حسب ذلك وعرض مهنب * وعن كل مكروه من الأمر زاجر
من الخفريات البيض لم تلق ريبة * ولم يستلمها عن تقي الله شاعر
فقال له سالم : أحسنت فردنا . ففنته :

ألت بنا والليل داج كأنه * جناح غراب عنه قد نفى التظنرا
فقلت أعمار ثوى في رحالتنا * وما علت ليلي سوى ريحها عطرا
فقال له : أحسنت ولولا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة ، وإنك من الأمر لم يكن .
وفيها توفي جعفر بن برقان ، والحكم بن أبان ، وعبد الرحمن بن زيد بن جابر ، وقرعة بن خالد ، وأبو عمرو بن الملا أحد أئمة القراء ، واسمه كنيته ، وقيل اسمه ريان والصحيح الأول .

وهو أبو عمرو بن الملا بن عمار بن الريان بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري ، وقيل غير ذلك في نسبه ، كان علامة زمانه في الفقه والنحو وعلم القراءات ، وكان من كبار العلماء العاملين ، يقال إنه كتب ملء بيت من كلام العرب ، ثم تزهّد فأحرق ذلك كله ، ثم راجع الأمر الأول فلم يكن عنده إلا ما كان يحفظه من كلام العرب ، وكان قد لقي خلقا كثيراً من أعراب الجاهلية ، كان مقدماً أليم الحسن البصري ومن بعده . ومن اختياراته في الريبة قوله في تفسيره النقرة في الجنين : إنها لا يقبل فيها إلا أبيض غلاماً كلن أو جارية . فهم ذلك من قوله عليه السلام : « غرة عبد أو أمة » ولو أريد أي عبد كلن أو جارية لما قيده بالنقرة ، وإنما النقرة البياض . قال ابن خلكان : وهذا غريب ولا أعلم هل يواقه قول أحد من الأئمة المجتهدين أم لا . وذكر عنه أنه كان إذا دخل شهر رمضان لا يشد بينا من الشعر حتى ينسلخ ، وإنما كان يقرأ القرآن وأنه كان يشتري له كل يوم كوزاً جديداً ودرهماً طرياً ، وقد صحبه الأصمعي نحواً من عشر سنين .

كانت وفاته في هذه السنة ، وقيل في سنة ست وخسين ، وقيل تسع وخسين فله أعلم . وقد تارب التسمين ، وقيل إنه جاوزها فله أعلم ، وقبره بالشام وقيل بالكوفة فله أعلم .
[وقد روى ابن عساكر في ترجمة صالح بن علي بن عبد الله بن المبلان عن أبيه عن جده عبد الله

ابن عباس مرفوعاً « لأن يربى أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جرو و كلب خير له من أن يربى ولداً لصليبه » . وهذا منكر جداً وفي إسناده نظر . ذكره من طريق تمام عن خيثمة بن سليمان عن محمد ابن عوف الحمصي عن أبي المنيرة عبد الله بن السمط عن صالح به ، وعبد الله بن السمط هذا لأعره ، وقد ذكره شيخنا الحافظ الذهبي في كتابه الميزان وقال : روى عن صالح بن علي حديثنا موضوعاً (١)

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة)

فيها دخل يزيد بن حاتم بلاد إفريقية فافتتحها عوداً على بده ، وقتل من كان فيها ممن تغلب عليها من الخوارج ، وقتل أمراءهم وأسر كبراهم وأذل أشرفهم واستبدل أهل تلك البلاد بالخوف أمناً وسلامة ، وبالأهانة كرامة ، وكان من جملة من قتل من أمراءهم أبو حاتم وأبو عبد الخالجيان . ثم لما استقامت له وبه الأمور في البلدان دخل بعد ذلك بلاد القيروان فهدمها وأقر أهلها وقرر أمورها وأزال محذورها والله سبحانه أعلم .

﴿ بناء الراقعة وهي المدينة المشهورة ﴾

وفيها أمر المنصور ببناء الراقعة على منوال بناء بغداد في هذه السنة ، وأمر فيها ببناء سور وعمل خندق حول الكوفة ، وأخذ ما غرم على ذلك من أموال أهلها ، من كل إنسان من أهل البصرة أربعين درهما . وقد فرضها أولاً خمسة دراهم ، خمسة دراهم ، ثم جباها أربعين أربعين ، فقال في ذلك بعضهم يا لقوى ما رأينا * في أمير المؤمنين * قسم الحصة فينا * وجباها أربعين

وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمي . وفيها طلب ملك الروم الصلح من المنصور على أن يجعل إليه الجزية . وفيها عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه أموالاً كثيرة . وفيها عزل محمد بن سليمان بن علي عن إمرة الكوفة ، فقيل لأموور بلغته عنه في تعامله منكرات ، وأموور لالتحاق بالمال ، وقيل لقتله محمد بن أبي العوجاء . وقد كان ابن أبي العوجاء هذا زنديقاً . يقال إنه لما أمر بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع أربعة آلاف حديث يحمل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال ، ويصوم الناس يوم الفطر ويفطرون في أيام الصيام ، فأراد المنصور أن يجعل قتله ذنباً فزله به ، وإنما أراد أن يقبده منه ، فقال له عيسى بن موسى : يا أمير المؤمنين لا قمزله بهذا ولا تقتله به ، فإنه إنما قتله على الزندقة ، ومضى عزله به شكره العامة وقموك ، فتركه حينئذ عزله وولى مكانه على الكوفة عمرو بن زهير . وفيها عزل عن المدينة الحسن بن زيد وولى عليها عمه عبد الصمد بن علي ، وجعل معه فليح بن سليمان مشرفاً عليه . وعلى إمرة مكة محمد بن إبراهيم بن محمد ، وعلى البصرة الهيثم بن معاوية ، وعلى مصر محمد بن سعيد ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم . وفيها توفي صفوان (١) سقط من المصرية .

ابن عمرو وعثمان بن أبي الماتكة الهمشقيان ، وعثمان بن عطلة ، ومسر بن كدام .

(واحد الراوية)

وهو ابن أبي ليلى ميسرة - ويقال سابور - بن المبارك بن عبيد القيس الكوفي ، مولى بكير ابن زيد الخليل الطائي ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ولفاتها ، وهو الذي جمع السبع المملكات الطوال ، وإتجا محي الراوية لكثرة روايته الشعر عن العرب ، اختبره الوليد بن يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين في ذلك فأثمه تسماً وعشرين قصيدة على حروف المعجم ، كل قصيدة نحواً من مائة بيت ، وزعم أنه لا يسمى شاعر من شعراء العرب إلا أنشد له مالا يحفظه غيره . فأطلق له مائة ألف درهم . وذكر أبو محمد الحريري في كتابه درة الغواص ، أن هشام بن عبد الملك استدعه من العراق من نائبه يوسف بن عمر ، فلما دخل عليه إذا هو في دار قوراء مرخة بالرخام والذهب ، وإذا عنده جاريان حسنتان جدآ ، فاستنشه شيئاً فأثمه ، فقال له : سل حاجتك : فقال : كائنة ما كانت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : وما هي ؟ فقال تطلق لي إحدى هاتين الجاريتين . فقال : هما وما عليهما لك ، وأخلاه في بعض داره وأطلق له مائة ألف درهم . هذا ملخص الحكاية ، والظاهر أن هذا الخليفة إنما هو الوليد بن يزيد ، فإنه ذكر أنه شرب معه الخمر ، وهشام لم يكن يشرب . ولم يكن نائبه على العراق يوسف بن عمر ، إنما كان نائبه خالد بن عبد الله القسري ، وبسده يوسف بن عمر بن عبد العزيز . كانت وفاة حماد في هذه السنة عن ستين سنة . قال ابن خلكان : وقيل إنه أدرك أول خلافة المهدي في سنة ثمان وخمسين فله أعلم .

وفيهما قتل حماد مجرد على الزندقة . وهو حماد بن عمر بن يوسف بن كليب الكوفي ، ويقال إنه واسطي ، مولى بني سواد ، وكان شاعراً ماجناً ظريفاً زنديقاً منهما على الاسلام ، وقد أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في أيام بني العباس ، وكان بينه وبين بشار بن برد مهاجرة كثيرة ، وقد قتل بشار هذا على الزندقة أيضاً كما سيأتي ، ودفن مع حماد هذا في قبره ، وقيل إن حماداً غمرد مات سنة ثمان وخمسين ، وقيل إحدى وستين ومائة فله أعلم .

(ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة)

ففيها ظفر المهيم بن معاوية نائب المنصور على البصرة ، بمرو بن شداد الذي كان علماً لابراهيم ابن محمد على فارس ، قتل أمر قطعت يده ورجلاه وضربت عنقه ثم صلب . وفيها عزل المنصور المهيم بن معاوية هذا الذي قل هذه القصة عن البصرة وولى عليها قاضياً سوار بن عبد الله ، فجمع له بين القضاء والصلاة ، وجعل على شرطها وأحدثها سعيد بن دعلج ، ورجع المهيم بن معاوية قاتل عمرو بن شداد إلى بغداد فمات فيها فجأة في هذه السنة ، وهو على بطن جارية له ، وصلى عليه

النصور ودفن في مقابر بني هاشم [ويقال إنه أصابته دعوة عمر بن شداد الذي قتلته تلك القتلة ، فليتنق العبد الظلم] ^(١)

وحج بالناس العباس بن محمد أخو المنصور . وتواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وعلى فارس والأهواز وكور دجلة عمارة بن حمزة ، وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو . وفيها توفي حمزة الزيات في قول . وهو أحد القراء المشهورين والعباد المذكورين ، وإليه تنسب المدود الطويلة في القراءة اصطلاحاً من عنده ، وقد تكلم فيه بسببها بعض الأئمة وأنكروها عليه . وسعيد بن أبي عروبة ، وهو أول من جمع السنن في قول ، وعبد الله بن شاذب ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنس الأفرقي ، وعمر بن ذر .

(ثم دخلت سنة سبع وخسين ومائة)

فيها بنى المنصور قصره المسمى بالخلد في بشار ، تنافلاً بالتخليد في الدنيا ، فهدم كاله مات وخرب القصر من بعده ، وكان المستنح في عمارته أبان بن صدقة ، والربيع مولى المنصور وهو حاجبه . وفيها حول المنصور الأسواق من قرب دار الامارة إلى باب الكرخ . وقد ذكرنا فيما تقدم سبب ذلك . وفيها أمر بتوسعة الطرقات . وفيها أمر بعمل جسر عند باب الشمير . وفيها استعرض المنصور جنده وهم ملبسون السلاح وهو أيضاً لأبس سلاحاً عظيماً ، وكان ذلك عند دجلة . وفيها عزل عن السند هشام بن عمرو وولى عليها سعيد بن الخليل . وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلي فأوغل في بلاد الروم ، وبث سناتاً مولى البطال مقمعة بين يديه ففتح حصوناً وسي وغنم . وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي . وتواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفي الحسين بن واقد ، والامام الجليل علامة الوقت أبو عمرو وعبد الرحمن بن عمرو والأوزاعي فقيه أهل الشام وإمامهم . وقد بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحواً من مائتين وعشرين سنة .

(وهذا ذكر شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله)

هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو والأوزاعي . والأوزاع بطن من حير وهم من أنفسهم ، قاله محمد بن سعد . وقال غيره : لم يكن من أنفسهم وإنما نزل في محلة الأوزاع ، وهي قرية خارج باب الفراءيس من قرى دمشق ، وهو ابن عم يحيى بن عمرو الشيباني . قال أبو زرعة : وأصله من سبي السند فقتل الأوزاع فغلب عليه النسبة إليها . وقال غيره : ولد بعيليك ونشأ بالباقع بيقا في حجر أمه ، وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد ، وتأدب بنفسه ، فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أروع ولا أعلم ، ولا أفصح ولا أقر ولا أحلم ، ولا أكثر صمتاً منه ، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من معها من جلسائه أن يكتبها عنه ، من حسنها ،

وكان يثاني الرسائل والكتابة ، وقد اكتب مرة في بحث إلى الإمامة فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير واقطع إليه فأرشدته إلى الرحلة إلى البصرة ليسمع من الحسن وابن سيرين . فصار إليها فوجد الحسن قد توفي من شهرين ووجد ابن سيرين مريضاً ، فجعل يتردد لبيادته ، فقوى المرض به ومات ولم يسمع منه الأوزاعي شيئاً . ثم جاء قتل دمشق بمحلة الأوزاع خارج باب الفرديس ، وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الأسلام . وقد أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم ، وحدث عنه جماعت من سادات المسلمين ، كمالك بن أنس والثوري والزهرى ، وهو من شيوخه . وأثنى عليه غير واحد من الأئمة ، وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته . قال مالك : كان الأوزاعي إماماً يقتدى به . وقال سفيان بن عيينة وغيره : كان الأوزاعي إمام أهل زمانه ، وقد حج مرة فدخل مكة وسفیان الثوري أخذ بزمام جملته ، ومالك بن أنس يسوق به ، والثوري يقول : افسحوا للشيخ حتى أجلسه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه . وقد تنادى كمالك والأوزاعي مرة بالمدينة من الظهر حتى صليا العصر ، ومن العصر حتى صليا المغرب ، فضره الأوزاعي في المغازي ، وغمره مالك في الفقه . أو في شيء من الفقه . وتناظر الأوزاعي والثوري في مسجد الخيف في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه . فاحتج الأوزاعي على الرفع في ذلك بما رواه عن الزهرى عن سالم عن أبيه « أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه في الركوع والرفع منه » . واحتج الثوري على ذلك بحديث يزيد بن أبي زياد ^(١) فضرب الأوزاعي وقال : قمارض حديث الزهرى بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف ؟ فاحار وجه الثوري ، فقال الأوزاعي : لمالك كرهت ما قلت ؟ قال : نعم . قال : قم بنا حتى نلتزم عند الركن أينما على الحق . فسكت الثوري . وقال هقل بن زياد : أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة بمحدثنا . وأخبرنا . وقال أبو زرعة : روى عنه ستون ألف مسألة . وقال غيره : أفتى في سنة ثلاث عشرة ومائة وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، ثم لم يزل يفتي حتى مات وعقله ذاك . وقال يحيى القطان عن مالك : اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة فقلت : أيهم أرجح ؟ قال : الأوزاعي . وقال محمد بن عجلان : لم أر أحداً أفصح للسلمين من الأوزاعي . وقال غيره : ما روى الأوزاعي ضاحكاً مقهقها قط ، ولقد كان يعض الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو قبله ، وما رأينا به يبكى في مجلسه قط وكان إذا خلى بكي حتى يرحم . وقال يحيى بن معين : العلماء أربعة : الثوري ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والأوزاعي . قال أبو حاتم : كان ثقة متبهماً لما سمع . قالوا : وكان الأوزاعي لا يلحن في كلامه ، وكانت كتبه ترد على النصور فينظر فيها ويتأملها ويتمجب من فصاحتها وحلاوة عبارتها .

وقد قال المنصور يوما لأخطى كتابه عنده - وهو سليمان بن جلال - : ينبغي أن نحيب الأوزاعي على ذلك دائما ، لنستعين بكلامه فيما نكتب به إلى الآفاق إلى من لا يعرف كلام الأوزاعي . قال : والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الأرض على مثل كلامه ولا على شيء منه . وقال الوليد ابن مسلم : كان الأوزاعي إذا صلى الصبح جلس يذكر الله سبحانه حتى تطلع الشمس ، وكان يأثر عن السلف ذلك . قال : ثم يقومون فيتناكرون في الفقه والحديث . وقال الأوزاعي : رأيت رب العزة في المنام فقال : أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قلت : بفضلك أي رب . ثم قلت : يا رب أمتني على الإسلام . فقال : وعلى السنة . وقال محمد بن شعيب بن شابور : قال لي شيخ بجامع دمشق : أنانيت في يوم كذا وكذا . فلما كن في ذلك اليوم رأيته في صحن الجامع يغتلى ، فقال لي : اذهب إلى سرير الموتى فحرزه لي عندك قبل أن تسبق إليه . قلت : ما تقول ؟ قال : هو ما أقول لك ، وإني رأيت كأن قائلا يقول فلان قدرى ، وفلان كذا وعثمان بن العاتكة نعم الرجل ، وأبو عمرو الأوزاعي خير من يمشي على وجه الأرض ، وأنت ميت في يوم كذا وكذا . قال محمد بن شعيب : فما جاء الظهر حتى مات وصلينا عليه بعدها وأخرجت جنازته . ذكر ذلك ابن عساكر . وكان الأوزاعي رحمه الله كثير العبادة حسن الصلاة ورعا فاسكا طويل الصمت ، وكان يقول : من أطال القيام في صلاة الليل هوّن الله عليه طول القيام يوم القيامة ، أخذ ذلك من قوله تعالى (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ، إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) وقال الوليد بن مسلم : ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعي في العبادة . وقال غيره : حج فأتى على الراحة ، إنما هو في صلاة ، فإذا نفس استند إلى القتب ، وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى . ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعي فرأت الحصى الذي يصلى عليه مبلولا فقالت لها : لعل الصبي يال هنا . قالت : هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده ، هكذا يصبح كل يوم . وقال الأوزاعي : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه ، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم . وقال أيضا : أصبر على السنة وقف حيث يقف القوم ، وقل ما قالوا وكف عما كفوا ، وليس لك ما وسهمهم . وقال : العلم ما جاء عن أصحاب محمد ، وما لم يحمى عنهم فليس بعلم . وكان يقول : لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلب مؤمن . وإذا أراد الله ب قوم شرأ فتح عليهم باب الجدل وسد عنهم باب العلم والعمل . قالوا : وكان الأوزاعي من أكرم الناس وأسخامهم ، وكان له في بيت المال على الخلفاء أقطاع صار إليه من بنى أمية وقد وصل إليه من خلفاء بنى أمية وأطربهم وبنى العباس نحو من سبعين ألف دينار ، فلم يسلك منها شيئا ، ولا اتقى شيئا من عقار ولا غيره ، ولا ترك يوم ملت سوى سبعة دنانير كانت جهازه ، بل

كان ينفق ذلك كله في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين .

ولما دخل عبد الله بن علي - عم السلاج أئى أجلي بنى أمية عن الشام ، وأزال الله سبحانه دولهم على يده - دمشق فطلب الأوزاعي فتنب عنه ثلاثة أيام ثم حضريين يديه . قال الأوزاعي : دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانة والمسوحة عن يمينه وشله ، معهم السيوف مصلنة - والغمد الحديد - فسلمت عليه فلم يرد ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال : يا أوزاعي ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد ؟ أجهداً ورابطاً هو ؟ قال : قلت : أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصارى يقول سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . قال فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت ، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم ، ثم قال : يا أوزاعي ما تقول في دماء بنى أمية ؟ قلت : قال رسول الله ﷺ : « لا يحمل دم امرئ مسلم إلا بأحدي ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . فنكت بها أشد من ذلك ثم قال : ما تقول في أموالهم ؟ قلت : إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً ، وإن كانت حلالاً فلا فعل لك إلا بطريق شرعى . فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال : ألا نليك القضاء ؟ قلت : إن أسلاكك لم يكونوا يشقون على في ذلك ، وإنى أحب أن يتم ما ابتدؤوا به من الاحسان . فقال : كأنك تحب الانصراف ؟ قلت : إن ورأى حراماً وهم محتاجون إلى القيام عليهم وسترهم ، وقلوبهم مشغولة بسببى . قال : وانتظرت رأسى أن يسقط بين يدي ، فأمرنى بالانصراف . فلما خرجت إذا برسوله من ورأى ، وإذا معه مائتا دينار ، فقال يقول لك الأمير : استنق هذه . قال : فتصدقت بها ، وإنما أخذتها خوفاً . قال : وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً فيقال إن الأمير لما بلنه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يضر عنده .

قالوا : ثم رحل الأوزاعي من دمشق فقتل ببيروت مرابطاً بأهله وأولاده ، قال الأوزاعي : وأعجبني في بيروت أنى مررت بقبورها فإذا امرأة سوداء في القبور فقلت لها : أين العمارة ياهنته ؟ فقالت : إن أردت العمارة فهي هذه - وأشارت إلى القبور - وإن كنت تريد الخراب فأمامك - وأشارت إلى البلد - فزمت على الأقامة بها . وقال محمد بن كثير : سمعت الأوزاعي يقول : خرجت يوماً إلى الصحراء فإذا رجل جراد وإذا شخص راكب على جرادتها وعليه سلاح الحديد ، وكلما قال بيده هكذا إلى جهة مال الجراد مع يده ، وهو يقول : الدنيا باطل باطل باطل ، وما فيها باطل

باطل باطل - وقال الأوزاعي : كان عندما رجل يخرج يوم الجمعة إلى الصيد ولا ينتظر الجمعة يغضب فينقلته فلم يبق منها إلا أذناها ، وخرج الأوزاعي يوما من باب مسجد بيروت وهناك وكان فيه رجل يبيع الناطف وإلى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول : يا بصل أحلى من العسل ، أو قال أحلى من الناطف . فقال الأوزاعي : سبحان الله ! أيعظ هذا أن شيئا من الكذب يباح ؟ فكان هذا ما يرى في الكذب بأسا .

وقال الواقدي قال الأوزاعي : كنا قبل اليوم فضحك ونلعب ، أما إذ صرنا أئمة يقتدى بنا فلا ترى أن يسعدنا ذلك ، ويفيخ أن نتحفظ . وكتب إلى أخ له : أما بعد فقد أحبط بك من كل جانب ، وإنه يسار بك في كل يوم وليلة ، فاحذر الله والقيام بين يديه ، وأن يكون آخر العهد بك والسلام .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إدريس سمعت أبا صالح - كاتب الليث - يذكر عن المغفل

ابن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس ، تقووا بهنئذ النعم التي أصبحت فيها على الحرب من نار الله الموقدة ، التي تطلع الأفتنة ، فانكم في دار التواء فيها قليل ، وأنتم عما قليل عنها راحلون ، خلافت بعد القرون الماضية الذين استقبلوا من الدنيا آفتها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أعماراً وأمد أجساماً ، وأعظم أحلاماً ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، غفدوا الجبال وجابوا الصخر بالواد ، وتغلقوا في البلاد ، مؤيدين يبطش شديد ، وأجساد كالعباد ، فابثت الأيام والأيام أن طوت آثارهم ، وأخرت منازلهم وديارهم ، وأنست ذكركم ، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزا ؟ كانوا بلهو الأمل آمنين ، وعن ميقات يوم موتهم غافلين ، فأبوا إلحاق قوم فادمين ، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بيانا من عقوبة الله ، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثين ، وأصبح الباقيون المتخلفون يصرون في فمة الله وينظرون في آثارهمته ، وزوال نعمته عن قديمهم من المالكين ينظرون والله في مساكن خالية خلوية ، قد كانت بالمزحفوفة ، وبالنم مرفوفة ، والقلوب إليها مصروفة ، والأعين نحوها ناظرة ، فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم ، وعبرة لمن يخشى . وأصبحتم بدمع في أجل منقوص ودنيا منقوصة ، في زمان قد ولي عفوه وذهب رخاؤه وخيره وصفوه ، فلم يبق منه إلا جعة شر ، وصباية كدر ، وأهلويل عبر ، وعقوبات غير ، وإرسال قتن ، وتتابع زلازل ، ورذالة خلف بهم ظهر الفساد في البر والبحر ، يضيقون الفيار ويفلون الأسعار بما يرتكبونه من العار والفساد ، فلا تكونوا أمثالا لمن خدعهم الأمل ، وغيره طول الأجل ، ولعلبت به الأماني ، نسأل الله أن يجعلنا ولياكم من إخوانكم بدم ، وإذا نهى انتهى ، وعقل متواه فهد لنفسه . وقد اجتمع الأوزاعي بالنصور حين دخل الشام ووعظه وأحب المنصور وعظمه ، ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه أن لا يلبس السواد فأذن له ، فلما خرج قال المنصور للربيع

الحاجب : الحق فأسأله لم كره ليس السواد ؟ ولا تعلمه أتى قلت لك . فسأله الربيع فقال : لأني لم أرحم أرحم فيه ، ولا ميتا كفن فيه ، ولا عروسا جليت فيه ، فلهاذا أكرهه . وقد كان الأوزاعي في الشام معظما مكرما أمره أعز عندهم من أمر السلطان ، وقد هم به بعض الولاة مرة فقال له أصحابه : دعه عنك والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لتقتلوا . ولما مات جلس على قبره بعض الولاة فقال : رحك الله ، فوالله لقد كنت أخلف منك أكثر مما أخلف من القى ولائى - يعنى المنصور - وقال ابن أبى العشرين : مات الأوزاعي حتى جلس وحده وسمع شتمه بأذنه .

وقال أبو بكر بن أبى خيشة : حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى قال : كنت جالسا عند الثورى فجاءه رجل فقال : رأيت كأن ريحانة من المغرب - يعنى قلمت - . قال : إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي . فكتبوا ذلك فجاء موت الأوزاعي في ذلك اليوم . وقال أبو مسهر : بلغنا أن سبب موته أن امرأته أغلقت عليه باب حمام فأت فيه ، ولم تكن عامدة ذلك ، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بفتح رقبته . قال : وما خلف ذهب ولا فضة ولا عقاراً ، ولا متاعاً إلا ستة وثمانين ، فضلت من عطائه . وكان قد اكتتب في ديوان الساحل . وقال غيره : كان القى أغلق عليه باب الحمام صاحب الحمام ، أغلقه وذهب لحاجة له ثم جاء ففتح الحمام فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة رحمه الله .

قلت : لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطاً ، واختلفوا في سنة ووفاته ، فروى يعقوب بن سفيان عن سلمة قال قال أحد : رأيت الأوزاعي وتوفى سنة خمسين ومائة . قال العباس بن الوليد البيرونى : توفى يوم الأحد أول النهار ليلتين بقتنا من صفر سنة سبع وخمسين ومائة ، وهو الذى عليه الجمهور وهو الصحيح ، وهو قول أبى مسهر وهشام بن عمار والوليد بن مسلم - في أصح الروايات عنه - ويحيى بن معين وحجيم وخليفة بن خياط وأبى عبيد وسعيد بن عبد العزيز وغير واحد . قال العباس بن الوليد : ولم يبلغ سبعين سنة . وقال غيره : جاوز السبعين ، والصحيح سبع وستون سنة ، لأن ميلاده في سنة ثمان وثمانين على الصحيح . وقيل إنه ولد سنة ثلاث وسبعين ، وهذا ضعيف . وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : دلنى على عمل يقربنى إلى الله . فقال : مارأيت في الجنة درجة أصلا من درجة العلماء العاملين ، ثم الحزونين .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة ﴾

فيها تكامل بناء قصر المنصور المسمى بالملك وسكنه أياما يسيرة ثم مات وتركه ، وفيها مات طاغية الروم . وفيها وجه المنصور ابنه المهدي إلى الرقة وأمره بجزل موسى بن كعب عن الموصل ، وأن يولى عليها خالد بن برمك ، وكان ذلك بعد نكتة غريبة اتهمت ليحيى بن خالد ، وذلك أن

المنصور كان قد غضب على خالد بن برمك ، وألزمه بحمل ثلاثة آلاف ألف ، فضايق ذرعا بذلك ، ولم يبق له مال ولا حل وعجز عن أكثرها ، وقد أجهل ثلاثة أيام ، وأن يحمل ذلك في هذه الثلاثة الأيام وإلا فقمه هدم فجعل يرسل ابنه يحيى إلى أصحابه من الأشراف يستقرض منهم ، فكان منهم من أعطاه مائة ألف ، ومنهم أقل وأكثر . قال يحيى بن خالد : فيينا أنا ذات يوم من تلك الأيام الثلاثة على جسر بغداد ، وأنا مهموم في تحصيل ما طلب منا مما لا طاقة لنا به ، إذ وثب إلى زاجر من أولئك الذين يكونون عند الجسر من الطرقية ، فقال لي : ابشر ، فلم ألفت إليه ، فتقدم إلى حتى أخذ بلجام فرسى ثم قال لي : أنت مهموم ، ليفرجن الله همك ولتقرن غداً في هذا الموضع والواء بين يديك ، فإن كان ما قلت لك حقا فلي عليك خمسة آلاف . قلت : نعم . ولو قال خمسون ألفا لقلت نعم ، لبعد ذلك عندي . وذهبت لثأني ، وقد بقي علينا من الحل ثلاثمائة ألف فورد الخبر إلى المنصور بانتقاض الموصل وانتشار الأكراد فيها ، فاستشار المنصور الأشراف من يصلح للموصل ؟ فأشار بعضهم بخالد بن برمك ، فقال له المنصور : أو يصلح لك بعد ما ضلنا به ؟ قال : نعم . وأنا الضامن أنه يصلح لها ، فأمر بإحضاره فولاه إياها ووضع عنه بقية ما كان عليه ، وعقد له اللواء ، وولى ابنه يحيى أذربيجان وخرج الناس في خدمتهما . قال يحيى : فررنا بالجسر فنار لي ذلك الزاجر فطالبني بما وعدته به ، فأمرت له به قبض خمسة آلاف .

وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الحج فساق الهدى معه ، فلما جاوز السكوة بمراحل أخذته وجسه الذي مات به وكان عنده سوء مزاج فاشتد عليه من شدة الحر وركوبه في الهواجر ، وأخذته إسهال وأقرط به ، قوى مرضه ، ودخل مكة فتوفي بها ليلة السبت لست مضين من ذى الحجة ، وصلى عليه ودفن بكندا عند ثنية باب المملأة التي بأعلام مكة ، وكان عمره يومئذ ثلاثا وقيل أربعا وقيل خمساً وستين ، وقيل إنه بلغ ثمانيا وستين سنة فله أعلم . وقد كتم الربيع الحاجب موته حتى أخذ البيعة المهدي من القواد وروى بنو هاشم ، ثم دفن . وكان الذي صلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، وهو الذي أقام للناس الحج في هذه السنة .

(وهذه ترجمة المنصور)

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو جعفر المنصور . وكان أكبر من أخيه أبي العباس السفاح ، وأمه أم ولد اسمها سلامة . روى عن جده عن ابن عباس « أن رسول الله ﷺ كان يتختم في يمينه » وأورده ابن عساكر من طريق محمد بن إبراهيم السلي عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه المنصور به ، يبيع له بالخلافة بعد أخيه في ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة ، لأنه ولد في سنة خمس وتسعين

على المشهور في صغر منها بالحجبة من بلاد البلقاء ، وكانت خلافة ثنتين وعشرين سنة إلا أياماً ، وكان أسمر اللون موفر الله خفيف الحية ، رطب الجبهة ، أقي الأنف ، أعين كأن عينية لسانان ناطقان ، يخاطله أبهة الملك ، وتقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف في مواضعه ، والغنف في صورته ، والهيث في مشيته ، هكذا وصفه بعض من رآه . وقد صح عن ابن عباس أنه قال : « منا السفاح والمنصور » وفي رواية « حتى نسلها إلى عيسى بن مريم » . وقد روى مرفوعاً ولا يصح ولا وقته أيضاً ، وذكر الخطيب أن أمه سلامة قالت : رأيت حين حملت به كأنه خرج مني أسد فزأر واقفاً على يديه ، فما بقي أسد حتى جاء فسجد له . وقد رأى المنصور في صغره منبأ غريباً كان يقول : ينبغي أن يكتب في ألواح الذهب ، ويعلق في أعناق الصبيان . قال : رأيت كأنني في المسجد الحرام ، وإذا رسول الله ﷺ في الكعبة والناس مجتمعون حولها ، فخرج من عنده مناد : أين عبد الله ؟ فقام أخى السفاح يتخطى الرجال حتى جاء باب الكعبة فأخذ بيده فأدخله إليها ، فما لبث أن خرج معه لواء أسود . ثم نودي أين عبد الله ؟ فقامت أنا وعمي عبد الله بن علي نستقي ، فسبقته إلى باب الكعبة فدخلتها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وبلال ، فقد لي لواء وأوصالي بأمنه وعمي عمارة كورها ثلثة وعشرون كوراً ، وقال : « خفها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة » .

وقد اتفق سجن المنصور في أيام بني أمية واجتمع به نوبخت المنجم وتوسم فيه الرياسة فقال له : ممن تكون ؟ فقال : من بني العباس ، فلما عرف منه نسبه وكنيته قال : أنت الخليفة الذي تلي الأرض . فقال له : ويحك ماذا تقول ؟ فقال : هو ما أقول لك ، فضع لي خطك في هذه الرقعة أن تعطيني شيئاً إذا وليت . فكتب له ، فلما ولي أكرمه المنصور وأعطاه وأسلم نوبخت على يديه ، وكان قبل ذلك مجوسياً . ثم كان من أخص أصحاب المنصور . وقد حج المنصور بالناس سنة أربعين ومائة ، وأحرم من الحيرة ، وفي سنة أربع وأربعين ، وفي سنة سبع وأربعين . وفي سنة ثنتين وخمسين ، ثم في هذه السنة التي مات فيها . وبني بغداد والرافضة والرافقة وقصره الخلد .

قال الربيع بن بونس الحاجب : سمعت المنصور يقول : الخلفاء أربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . والمالوك أربعة معاوية وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك ، وأنا . وقال مالك : قال لي المنصور : من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قلت : أبو بكر . وعمر . قال : أصبت وذلك رأى أمير المؤمنين . وعن إسماعيل البهري قال سمعت المنصور على منبر عرفة يوم عرفة يقول : أيها الناس ! إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوقيفه ورشده ، وخازنه على ماله أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه ، وقد جعلني الله قتيلاً لأن شاه أن يتحنى لأعطيتكم وقسم أرزاقكم فتحنى ، وإذا شاه أن يقتلني عليه قتلى . فارجعوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي

وهيكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه ، إذ يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) . أن يوفقني للصواب ويسدني للرشاد ويلهمني الرأفة بكم والاحسان إليكم ويفتحني لأعطياتكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم ، فانه جميع محجب .

وقد خطب يوماً فاعترضه رجل وهو يثني على الله عز وجل ، فقال : يا أمير المؤمنين اذكر من أنت ذا كره ، وأتى الله فيما تأتبه وتذره . فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل فقال : أعوذ بالله أن أكون ممن قال الله عز وجل فيه (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) أو أن أكون جباراً عصياً ، أيها الناس ! إن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا نبئت . ثم قال للرجل : ما أظنك في مقاتلتك هذه تريد وجه الله ، وإنما أردت أن يقال عنك وعظ أمير المؤمنين ، أيها الناس لا يفرنكم هذا فتعملوا كفعله ثم أمر به فاحتفظ به وعاد إلى خطبته فأكلها ، ثم قال لمن هو عنده : أعرض عليه الدنيا فان قبلها فأعطني ، وإن ردها فأعطني ، فما زال به الرجل القى هو عنده حتى أخذ المال ومال إلى الدنيا فولاه الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزة حسنة ، وثياب وشارة وهيئة دينوية ، وقال له الخليفة : ويحك ! لو كنت محمداً مریداً وجه الله بما قلت على رؤس الناس لما قبلت شيئاً مما أرى ، ولكن أردت أن يقال عنك إنك وعظت أمير المؤمنين ، وخرجت عليه ، ثم أمر به فضربت عنقه . وقد قال المنصور لابنه المهدي : إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة . والريعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه . وقال أيضاً : يا بني استمع النعمة بالشكر ، والقسرة بالعفو ، والطاعة بالتأليف ، والنصر بالتواضع والرحمة للناس ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله .

وحضر عنده مبارك بن فضالة يوماً وقد أمر برجل أن يضرب عنقه وأحضر الذلع والنيف ، فقال له مبارك : سمعت الحسين يقول قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا » فأمر بالعفو عن ذلك الرجل . ثم أخذ يمدد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وماضيه . وقال الأصمى : أتى المنصور برجل ليعاقبه فقال : يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والعفو فضل ، وتموذاً أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، وأدنى القسمين ، دون أرفع الدرجتين . قال فصاعده .

وقال الأصمى : قال المنصور لرجل من أهل الشام : أحمد الله يا أعرابي القى دفع عنك الطاعون وبلايتنا . فقال إن الله لا يجمع علينا حسناً وسوء كيل ، ولا يتكلم الطاعون . والحكايات في ذكر حلمه وعفوه كثيرة جداً . [ودخل بعض الزهاد على المنصور فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها ، وإذا كر ليلة تبليت في القبر لم تبت قبلها ليلة ، وإذا كر ليلة تمخص عن

يوم ليلية بمده . قال : فأغرم المنصور قوله وأمر له بحال فقال : لو احتجت إلى مالك لما وعظمتك ^(١) ودخل عمرو بن عبيد القدرى على المنصور فأكرمه وعظمه وقر به وسأله عن أهله وعياله ، ثم قال له : عظمي . قرأ عليه سورة الفجر إلى (إن ربك لبالمرصاد) فبكى المنصور بكاء شديداً حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات قبل ذلك ، ثم قال له : زدنى . قال : إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها ، وإن هذا الأمر كل من قبلك ثم صار إليك ثم هو صار لمن بعدك ، وإذا كر ليلية تسفر عن يوم القيامة . فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلفت أجنانه . فقال له سليمان بن بجادة : رفقاً بأمر المؤمنين . قال عمرو : وماذا على أمير المؤمنين أن يبكي من خشية الله عز وجل . ثم أمر له المنصور بشرة آلاف درهم قال : لا حاجة لي فيها . قال المنصور : والله لتأخذنها . قال : والله لا آخذنها . قال له المهدي وهو جالس في سواده وصيفه إلى جانب أبيه : أبجلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فالتفت إلى المنصور قال : ومن هذا ؟ قال : هذا ابنى محمد ولي العهد من بمدى . قال عمرو : إنك سميت اسماً لم يستحقه لعله ، وألبسته لبوساً ما هو لبوس الأبرار ، ولقد مهنت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه . ثم التفت إلى المهدي قال : يا ابن أخي ! إذا حلف أبوك وحلف عمك فلا تنح أبوك أيسر من أن يحنث عمك ، لأن أبوك أقدر على الكفارة من عمك . ثم قال المنصور : يا أبا عثمان هل من حاجة ؟ قال : نعم ! قال : وما هي ؟ قال : لا تبت إلى حتى أتيتك . ولا تغطي حتى أسألك . قال المنصور : إذا وافقنا لا نلتقي . قال عمرو : عن حاجتي سألتني . فودعه وانصرف : فلما ولي أمده بصره وهو يقول :

كلكم يمضى رويد * كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

ويقال إن عمرو بن عبيد أنشد المنصور قصيدة في موعظته إليه وهي قوله :

يا أيها الذي قد غره الأمل * ودون ما يأمل التنقيص والأجل
ألا ترى أنما الدنيا وزينتها * كتنزل الركب حلوا تمت ارتحلوا
خوفها رصد وعيشها نكد * وصفوها كدر وملحها دول
تظل تفرح بالروعات ساكنها * فما يسوغ له لين ولا جنل
كأنه للنايا والردى غرض * تظل فيه بنات الهمر تنتقل
تدبره ما تدور به دوائرها * منها المصيب ومنها الخطى الزلل
والنفس هاربة والموت يطلبها * وكل عسرة رجل عندها جلل
والمرء يسمى بما يسمى لوارثه * والتبر وارث ما يسمى له الرجل

وقال ابن دريد عن الريثي عن محمد بن سلام قال : رأيت جارية للمنصور توبه مرقوعاً فقالت :
خليفة وقيص مرقوع ؟ فقال : ويحك أما سمعت ما قال ابن هريرة

قد يدرك الشرف التقي ورداؤه * خلق وبض قيصه مرقوع

وقال بعض الزهاد للمنصور : اذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة مثلها ، واذكر ليلة
تمخض عن يوم القيامة لاليلة بعدها فأخبره المنصور قوله فأمر له بمال . فقال : لو احتجت إلى مال
ما وعظمتك . ومن شعره لما عزم على قتل أبي مسلم : -

إذا كنت ذا رأي فكأن ذا عزيمة * فإن فساد الرأي أن يترددا

ولا تمهل الأعداء وما لفكرة * ولا تدرم أن يملكوا مثلها غدا

ولما قتله وراه طريقاً بين يديه قال : -

قد اكتنتك خلالات ثلاث * جلبن عليك محنوم الحمام

خلافاً وامتناعك من يميني * وقودك للجواهر المظلم

ومن شعره أيضاً : -

المرء يأمل أن يعيد * ش وطول عمر قد يضره

تبلى بشاشته ويد * في بعد حلو الميث مره

وتخونه الأيام حتى * لا يرى شيئاً يسره

كم شامت في إن هلك * ت وقائل لله دمه

قالوا : وكان للمنصور في أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات والمزول
والنظر في مصالح العامة ، فإذا صلى الظهر دخل منزله واستراح إلى العصر ، فإذا صلاها جلس لأهل
بيته ونظر في مصالحهم الخاصة ، فإذا صلى المشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الأفاق ،
وجلس عنده من يسلمه إلى ثلث الليل ، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الآخر ،
فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى يتفجر الصباح ، ثم يخرج فيصلي بالناس ، ثم يدخل فيجلس في إيوانه .
وقد ولي بعض العمال على بلد قبله أنه قد تصدى للصيد وأعد لذلك كلاباً وبزاة ، فكتب إليه
تلكك أمك وعشيرتك ، ويحك إنما استكفيناك واستعملناك على أمور المسلمين ، ولم نستكفك
أمر الوحوش في البراري ، فلم تأتني من عملنا إلى فلان والحق بأهلك ملوماً مدحوراً .

وأني يوماً بخارجي قد هزم جيوش المنصور غير مرة فلما وقف بين يديه قال له المنصور : ويحك
يا ابن الفاعلة ! مثلك يهزم الجيوش ؟ فقال الخارجى : ويحك سواء لك بيني وبينك أس سيف
والقتل واليوم التنف والسب ، وما يؤمنك أن أرد عليك وقد يثقت من الحياة فما أستقبلها أبداً .

قال فاستحي منه المنصور وأطلقه . فأرأى له وجها إلى الحول [وقال لابنه لما ولاه المهدي : يا بني
انتمد النعمة بالشكر ، والقعدة بالعفو ، والنصر بالتواضع ، والتألف بالطاعة ، ولا تنس نصيبك من
الدنيا ونصيبك من رحمة الله] ^(١)

وقال أيضا : يا بني ليس السائل من يجتال للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه ، ولكن السائل
الذي يجتال للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه . وقال المنصور : يا بني لا تجلس مجلساً إلا وعندك من
أهل الحديث من يحدثك ، فان الزهري قال : علم الحديث ذكر لا يجبه إلا ذكران الرجال ، ولا يكرهه
إلا مؤنثوم ، وصديق أخو زهرة . وقد كن المنصور في شببته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه
فقال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً ، وقد قيل له يوما : يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من الفوائد لم تله ؟
قال : شيء واحد ، قالوا : وما هو ؟ قال : قول المحدث للشيخ من ذكرت رحمة الله . فاجتمع وزراؤه
وكتابه وجلسوا حوله وقالوا : لئيل علينا أمير المؤمنين شيئا من الحديث ، فقال : لستم بهم ، إنما هم
الدنس ثيابهم ، المشقة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، رواد الآفاق وقطاع المسافات ، تارة بالعراق
وتارة بالحباز ، وتارة بالشام ، وتارة باليمن . فهؤلاء قلة الحديث .

. وقال يوما لابنه المهدي : كم عندك من دابة ؟ فقال لا أدري . قال : هذا هو التقصير ، فأنت لأمر
اختلافة أشد تصميماً فائق الله يا بني . وقالت خالصة إحدى حظيات المهدي : دخلت يوما على
المنصور وهو يشتكي ضرره ويدهاء على صدغه فقال لي : كم عندك من المال يا خالصة ؟ قلت ألف
درهم . فقال : ضعي يدك على رأسي وأحلفي ، قلت : عندي عشرة آلاف دينار . قال : اذهبي فأحلفيها
إلي . قالت : فنهبت حتى دخلت على سيدي المهدي وهو مع زوجته الخيزران فشكوت ذلك إليه
فوكزني برجله وقال : ويحك ! إنه ليس به وجع ولكني سألته بالأس مالا قمارض ، وإنه لا يسلك
إلا ما أمرك به . فنهبت إليه خالصة ومعهما عشرة آلاف دينار ، فاستدعى بالمهدي فقال له : تشكو
الحاجة وهذا كله عند خالصة ؟ وقال المنصور لخازنه : إذا علمت بمجيء المهدي فأتني بخلفان الثياب
قبل أن يجيء ، فجاء بها فوضعا بين يديه ودخل المهدي والمنصور يقبلها ، فجعل المهدي يضحك ،
فقال : يا بني من ليس له خلق ليس له جديد ، وقد حضر الشتاء فنحتاج نعين العيال والولد . فقال
المهدي : على كسوة أمير المؤمنين وعياله ، فقال : دونك فاضل .

وذكر ابن جرير عن الهيثم أن المنصور أطلق في يوم واحد لبعض أعمامه ألف ألف درهم . وفي
هذا اليوم فرق في بيته عشرة آلاف درهم ، ولا يعلم خليفة فرق مثل هذا في يوم واحد . وقرأ بعض
القراء عند المنصور (الذين يبيعون ويأمرون الناس بالمبخل) فقال : والله لولا أن المال حصن
(١) زيادة من المعربة .

السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزمها مابت ليلة واحدة وأنا أحرص منه ديناراً ولا درهما لما أجد لبذل المال من القنّة ، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة . وقرأ عنده قارئ آخر (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) الآية . فقال : ما أحسن ما أدبنا ربنا عز وجل . وقال المنصور : سمعت أبي يقول سمعت علي بن عبد الله يقول : سادة أهل الدنيا في الدنيا الأغنياء ، وسادة أهل الآخرة في الآخرة الأتقياء .

ولما عزم المنصور على الحج في هذه السنة دعا ولده المهدي فأوصاه في خاصة نفسه وبأهل بيته وبسائر المسلمين خيراً ، وعلمه كيف فضل الأشياء وقصد الثنور ، وأوصاه بوصايا يطول بسملها وخرج عليه أن لا يفتح شيئاً من خزائن المسلمين حتى يتحقق وفاته فإن بها من الأموال ما يكفي المسلمين لو لم يُجب إليهم من الخراج درهم عشرين ، وعهد إليه أن يقضى ما عليه من الدين وهو ثلاثمائة ألف دينار ، فانه لم يرقضها من بيت المال . فامتلأ المهدي ذلك كله . وأحرم المنصور بمحج وعمرة من الرصافة وساق بدنه وقال : يا بني إني ولدت في ذى الحجة وقد وقع لي أن أموت في ذى الحجة ، وهذا الذي جرى على الحج على هذا . وودعه وسار واعتراه مرض الموت في أثناء الطريق فسا دخل مكة إلا وهو تهيل جداً ، فلما كان بآخر منزل نزله دون مكة إذا في صدر منزله مكتوب :

(بسم الله الرحمن الرحيم) .

أيا جعفر حانت وفاتك واهضت * سنوك وأمر الله لا بد واقع
أيا جعفر هل كاهن أو منجم * لك اليوم من كرب النية مانع
فدعا بالحجة فأقرأهم ذلك فلم يروا شيئاً ففروا أن أجله قد نفي إليه . قالوا : ورأى المنصور في منامه ويقال بل هتف به هاتف وهو يقول : —

أما ورب السكون والحرك * إن الدنيا كثيرة الشرك
عليك يا نفس إن أسأت وإن * أحسنت يا نفس كان ذلك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك
إلا ينقل السلطان عن ملك * إذا اهضى ملكه إلى ملك
حتى يُصير أنه إلى ملك * ما عجز سلطاناه بمشرك
ذاك بديع السماء والأرض والمر * سى الجبال السخر الفلك

فقال المنصور : هذا أوان حضور أجلى واهضاء عمري . وكان قد رأى قبل ذلك في قصره الخلد الذي بناه وتأنق فيه مناما أفرغه قال للربيع : ويحك يا ربيع لقد رأيت مناما هالتي ، رأيت قائلاً وقف في باب هذا القصر وهو يقول :

كأنى بهذا القصر قد بادأه • وأوحش منه أهله ومنازله
وصار رئيس القصر من بعد بهجة • إلى جثث يبني عليه جناذله
فا أقام في الخلد إلا أقل من سنة حتى مرض في طريق الحج ، ودخل مكة مدفناً هتيلا . وكانت
وفاته ليلة السبت لست وقيل لسبع مضين من ذى الحجة ، وكان آخر ما تكلم به أن قال : اللهم
بارك لي في لقاءك . وقيل : إنه قال يا رب إن كنت عضيتك في أمور كثيرة قد أعطتك في أحب
الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا الله مخلصا . ثم مات . وكان قش خاتمه : الله هة عبد الله وبه
يؤمن . وكان عمره يوم وفاته ثلاثا وستين سنة على المشهور ، منها عنتان وعشرون سنة خليفة . ودفن
بباب الملاة رحمه الله . قال ابن جرير : ومما رثى به قول سلم الخلس الشاعر :

عجبا للذي نعى الناعيان • كيف طاعت بموته الشفتان
ملك أن عدا على الدهر يوما • أصبح الدهر ساقطاً للجران
ليت كفاحت عليه تراباً • لم تعد في يمينها بينان
حين دانت له البلاد على العدا • ف وأغضى من خوفه التقلان
أين رب الزوراء قد قلده لا • ملك عشرين حجة وانفتان
إنما المرء كالزناد إذا ما • أخذته قوادح النيران
ليس يثقي هواء زجر ولاية • مسح في جبهه ذوو الأذهان
قلده أعتة الملك حتى • قاد أعدامه بنهر عنان
يكسر الطرف دونه وترى الای • مدى من خوفه على الأذهان
ضم أطراف ملكه ثم أضحي • خلف أقصام ودون الهان
هاشمي التشهير لا يحمل التث • ل على غلب الشرود المدان
ذو أناة ينسى لها الخائف الخو • ف وعزم يلوى بكل جنان
ذهبت دونه النفوس حذاراً • غير أن الارواح في الابدان
وقد دفن عند باب الملاة بمكة ولا يعرف قبره لأنه أعى قبره ، فان الربيع الحلاب حفر مائة
قبر ودفنه في غيرها لتلا يعرف .

﴿ ذكر أولاد المنصور ﴾

محمد المهدي وهو ولي عهده ، وجعفر الأكبر مات في حياته ، وأمهأ أروى بنت منصور .
وعيسى ، وبمقرب ، وسليمان ، وأهم طامطة بنت محمد من ولد طلمة بن عبيد الله . وجعفر الأصغر
من أم ولد كردية ، وصالح المسكين من أم ولد رومية . يقال لها قلى الفراشة . والقلم من أم

ولد أيضاً . والمالية من امرأة من بني أمية .

﴿ ذكر خلافة المهدي بن المنصور ﴾

لما مات أبوه بمكة لست أو لسبع مضي من ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة أخذت البيعة للمهدي من رؤس بني هاشم والقواد الذين هم مع المنصور في الحج قبل دفنه ، وبعث الربيع الحاجب بالبيعة مع البرد إلى المهدي وهو ببغداد ، فدخل عليه البريد بذلك يوم الثلاثاء النصف من ذي الحجة ، فلم عليه بالخلافة وأعطاه الكتب بالبيعة ، وبأية أهل بغداد ، وتفتت بيعة إلى سائر الآفاق . وذكر ابن جرير أن المنصور قبل موته بيوم تحامل وتساند واستدعى بالأمراء ليجدد البيعة لابنه المهدي ، فتنساروا إلى ذلك وتباذروا إليه . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس عن وصية عمه المنصور ، وهو الذي صلى عليه ، وقيل إن الذي صلى على المنصور عيسى بن موسى ولي المهدي من بعد المهدي ، والصحيح الأول ، لأنه كان نائب مكة والطائف ، وعلى إمرة المدينة عبد الصمد بن علي ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي - أخو المسيب ابن زهير أمير الشرطة للخليفة - وعلى خراسان حميد بن قحطبة ، وعلى خراج البصرة وأرضها عمارة ابن حمزة ، وعلى صلاتها وقضائها عبد الله بن الحسن المنبري ، وعلى أحداتها سعيد بن دعلج .

قال الواقدي : وأصاب الناس في هذه السنة وباء شديد فتوفي فيه خلق كثير وجم غفير ، منهم أفلح بن حميد ، وحياة بن شريح ، ومعاوية بن صالح بمكة ، وزفر بن الهذيل بن قيس بن سليم ثم ساقى نسبه إلى معد بن عدنان ، يقال له التميمي المنبري الكوفي الفقيه الحنفي ، أقسم أصحاب أبي حنيفة وفاة ، وأكثروا استعمال القياس ، وكان عابداً ، اشتغل أولاً بعلم الحديث ثم غلب عليه الفقه والقياس . ولقد سنة ست عشرة ومائة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة عن ثنتين وأربعين سنة رحمه الله وإيانا .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة ﴾

استهلت هذه السنة وخليفة الناس أبو عبد الله محمد بن المنصور المهدي ، فبعث في أولها المباس ابن محمد إلى بلاد الروم في جيش كثيف ، وركب معهم مشيعاً لهم ، فساروا إليها فافتتحوها مدينة عظيمة للروم ، وغنموا غنائم كثيرة ورجعوا سالمين لم يفقد منهم أحد . وفيها توفي حميد بن قحطبة نائب خراسان ، فولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد ، وولى حمزة بن مالك سجستان ، وولى جبريل بن يحيى سمرقند . وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة وخندقها . وفيها جهز جيشا كثيفا إلى بلاد الهند فوصلوا إليها في السنة الآتية ، وكان من أمرهم ما سنده ذكره . وفيها توفي نائب السند معبد بن الخليل فولى المهدي مكانه روح بن حاتم بمشورة وزيره أبي عبد الله . وفيها أطلق المهدي من كان في السجون إلا من كان محبوباً على دم ، أو من سقى في الأرض فساداً ، أو من كان عنده

حق لأحد . وكان في جملة من أخرج من المطبق يعقوب بن داود مولى بني سليم ، والحسن بن إبراهيم ابن عبد الله بن حسين ، وأمر بصيرورة حسن هذا إلى نصير الخادم ليحتجز عليه . وكان الحسن قد عزم على الحرب من السجن قبل خروجه منه ، فلما خرج يعقوب بن داود ناصح الخليفة بما كان عزم عليه فنفذه من السجن وأودعه عند نصير الخادم ليحتاط عليه ، وحظي يعقوب بن داود عند المهدي جداً حتى صار يدخل عليه في الليل بلا استئذان ، وجعله على أمور كثيرة ، وأطلق له مائة ألف درهم . وما زال عنده كذلك حتى تمكن المهدي من الحسن بن إبراهيم فمقتلته منزلة يعقوب عنده . وقد عزل المهدي نواباً كثيرة عن البلاد وولى بدم . وفي هذه السنة تزوج المهدي بآمنة عمة أم عبد الله بنت صالح بن علي ، وأعتق جاريته الخيزران وتزوجها أيضاً ، وهي أم الرشيد . وفيها وقع حريق عظيم في السفن التي في دجلة ببغداد . ولما ولي المهدي سأل عيسى بن موسى . وكان ولي العهد من بعده . أن يخلع نفسه من الأمر فامتنع على المهدي ، وسأل المهدي أن يقيم بأرض الكوفة في ضيعة له فأذن له ، وكان قد استقر على إمرة الكوفة روح بن حاتم ، فكتب إلى المهدي : إن عيسى بن موسى لا يأتي الجمعة ولا الجمعة مع الناس إلا شهرين من السنة ، وإنه إذا جاء يدخل بدوابه إلى داخل باب المسجد فتروث دوابه حيث يصلى الناس . فكتب إليه المهدي أن يعمل خشباً على أفواه السلك حتى لا يصل الناس إلى المسجد إلا مشاة . فسلم بذلك عيسى بن موسى فاشترى قبل الجمعة دار المختار بن أبي عبيدة من ورثته . وكانت ملاصقة للمسجد . وكان يأتي إليها من يوم الخميس ، فإذا كان يوم الجمعة ركب حماراً إلى باب المسجد فنزل إلى هناك وشهد الصلاة مع الناس وأقام بالكلية بالكوفة بأهله ، ثم ألح المهدي عليه في أن يخلع نفسه وتوعد إن لم يفل ، ووعده إن فعل فأجابته إلى ذلك فأعطاه أقطاعاً عظيمة ، وأعطاه من المال عشرة آلاف ألف ، وقيل عشرين ألف ألف ، وبايع المهدي لولديه من بعده موسى الهادي ، ثم هارون الرشيد ، كما سيأتي .

وحج بالناس يزيد بن منصور خال المهدي ، وكان نائباً على اليمن فولاه الموسم واستقمه عليه شوقاً إليه ، وغالب ثواب البلاد عزمهم المهدي ، غير أن إفريقية مع يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد ابن سليمان أبو ضرة ، وعلى خراسان أبو عون ، وعلى السند بسطام بن عمرو ، وعلى الأهواز وفارس عمارة بن حمزة ، وعلى اليمن رجاء بن روح ، وعلى الجبلية بشر بن المنذر ، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح ، وعلى المدينة عبيد الله بن صفوان الجمحي ، وعلى مكة والطائف إبراهيم بن يحيى ، وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي ، وعلى خراجها ثابت بن موسى ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي ، وعلى أحداث البصرة عمارة بن حمزة ، وعلى صلاتها عبد الملك بن أيوب بن زليخان التميمي ، وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن التميمي .

وفيهما توفي عبد العزيز بن أبي رواد ، وعكرمة بن عمار ، ومالك بن مغول ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب المدني : فظفر مالك بن أنس في القف ، وربما أنكروا على مالك أشياء ترك الأخذ فيها ببعض الأحاديث ، كان يراها مالك من إجماع أهل المدينة وغير ذلك من المسائل .

(ثم دخلت سنة ستين ومائة)

فيها خرج رجل بخراسان على المهدي منكراً عليه أحواله وسيرته وما يتعامله ، يقال له يوسف البرم ، والتف عليه خلق كثير ، وتفاقم الأمر وعظم الخطب به ، فتوجه إليه يزيد بن يزيد فلقبه باقتلا قتلاً شديداً حتى تنازلاً وتماقوا ، فأمر يزيد بن يزيد يوسف هذا ، وأمر جماعة من أصحابه فبمنهم إلى المهدي فأدخلوا عليه ، وقد حملوا على جمال محولة وجوههم إلى ناحية أذنب الابل ، فأمر الخليفة هرثمة أن يقطع يدي يوسف ورجليه ثم تضرب عنقه وأعناق من معه وصلبهم على جسر دجلة الأكبر مما يلي عسكر المهدي وأطلقا الله فارتنهم وكفى شرهم .

(ذكر البيعة لموسى الهادي)

ذكرنا أن المهدي أُلح على عيسى بن موسى أن يخلع نفسه وهو مع كل ذلك يتمتع وهو مقبى بالكوفة ، فبعث إليه المهدي أحد القواد الكبار وهو أبو هريرة محمد بن فروخ في ألف من أصحابه لاحتضاره إليه ، وأمر كل واحد منهم أن يحمل طبلًا ، فإذا واجهوا الكوفة عند إضاءة الفجر ضرب كل واحد منهم على طبله ، ففعلوا ذلك فارتجت الكوفة ، وخاف عيسى بن موسى ، فلما انتهوا إليه دعوه إلى حضرة الخليفة فأظهر أنه يشتكي ، فلم يقبلوا ذلك منه بل أخذوه معهم فدخلوا به على الخليفة في يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم من هذه السنة ، فاجتمع عليه وجوه بني هاشم والقضاة والأعيان وسألوه في ذلك وهو يتمتع ، ثم لم يزل الناس به بالرغبة والرغبة حتى أجاب في يوم الجمعة لأربع مضي من المحرم بعد العصر . وبيع لولدي المهدي موسى وهارون الرشيد صباحة يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم وجلس المهدي في قبة عظيمة في إيوان الخلافة ، ودخل الأمراء فبايعوا ثم نهض فصعد المنبر وجلس ابنه موسى الهادي تحته ، وقام عيسى بن موسى على أول درجة ، وخطب المهدي فأعلم الناس بما وقع من خلع عيسى بن موسى نفسه وأنه قد حلل الناس من الأيمان التي له في أعناقهم وجعل ذلك إلى موسى الهادي : فصعد عيسى بن موسى ذلك وبايع المهدي على ذلك . ثم نهض الناس فبايعوا الخليفة على حسب مراتبهم وأساتنهم ، وكتب على عيسى بن موسى مكتوباً مؤكداً بالإيمان البالغة من الطلاق والعتاق ، وأشهد عليه جماعة الأمراء والوزراء وأعيان بني هاشم وغيرهم وأعطاه ما ذكرنا من الأموال وغيرها .

وفيهما دخل عبد الملك بن شهاب السلمي مدينة بلربد^(١) من الهند في جعل كبير فحاصرها

(١) وفي بعض النسخ من تلخيص ابن جرير (ثابت) ومعنى بلد الصنم .

ونصبوا عليها المجانيق ، ورموها بالنفط فأحرقوا منها طائفة ، وهلك بشر كثير من أهلها ، وفتحوها عنوة وأرادوا الانصراف فلم يمكنهم ذلك لاعتلاء البحر ، فأقاموا هنالك فأصابهم داء في أنفوسهم يقال له حمام قرُّ فمات منهم ألف نفس منهم الربيع بن صبيح ، فلما أمكنهم السير ركبوا في البحر فهاجت عليهم ريح ففرق طائفة أيضا ، ووصل بقيتهم إلى البصرة ومعهم سبي كثير ، فيهم بنت ملكهم . وفيها حكم المهدي بالخلق وله أبي بكر التقي إلى ولاء رسول الله ﷺ وقطع نسبهم من قبيص ، وكتب بذلك كتابا إلى والي البصرة . وقطع نسبه من زياد ومن نسب نافع في ذلك يقول بعض الشعراء وهو خالد النجار : —

إن زياداً ونافسا وأبا * بكرة عندي من أعجب العجب

ذا قرشي كما يقول وذا * مولى وهنا بزعمه عربي

وقد ذكر ابن جرير أن نائب البصرة لم ينفذ ذلك .

وفي هذه السنة حج بالناس المهدي واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي ، واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وخلقا من الأمراء ، منهم يعقوب بن داود على منزله ومكاته ، وكان الحسن ابن إبراهيم قد هرب من الخادم فلحق بأرض الحجاز ، فاستأمن له يعقوب بن داود فأحسن المهدي صلته وأجزل جالزته ، وفرق المهدي في أهل مكة مالا كثيرا جدًّا ، كان قد قدم معه ثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف ثوب ، وجاء من مصر ثلثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار ، فأعطاهما كلها في أهل مكة والمدينة . وشكت الحجة إلى المهدي أنهم يخافون على الكعبة أن تنهدم من كثرة ما عليها من الكساوى ، فأمر بتجريدتها ، فلما انتهوا إلى كساوى هشام بن عبد الملك وجدها من ديباج فحين جدًّا ، فأمر بإزالتها وبقيت كساوى الخلفاء قبله وبمسده ، فلما جردها طلائها بالخلوف وكساها كسوة حسنة جدًّا ، ويقال إنه استغنى مالكها في إعادة الكعبة إلى ما كانت عليه من بناية ابن الزبير ، فقال مالك : دعها فاني أخشى أن يتخنها الملوك ملعبة . فتركها على ما هي .

وحمل له محمد بن سليمان نائب البصرة الثلج إلى مكة ، وكان أول خليفة حمل له الثلج إليها . ولما دخل المدينة وسع المسجد النبوي ، وكان فيه مقصورة فأزالها وأراد أن ينقص من النبر ما كان زاده معاوية بن أبي سفيان فقال له مالك : إنه يخشى أن يتكسر خشبه العتيق إذا زعزع ، فتركه . وتزوج من المدينة رقية بنت عمرو العثمانية ، وانتخب من أهلها خمسمائة من أعيانها ليكونوا حوله حرسا بالمرأق وأنصاراً وأجرى عليهم أرواقاً غير أعطياتهم وأقطعهم أقطعا مرفوعة بهم .

وفيها توفي الربيع بن صبيح ، وسفيان بن حسين ، أجد أصحاب الزهري ، وشعبة بن الحجاج بن الورد المتسكى الأزدي أبو بسطام الواسطي ، ثم انتقل إلى البصرة . رأى شعبة الحسن وابن سيرين ،

وروى عن أمم من التابعين ، وحدث عنه خلق من مشايخه وأقرانه وأئمة الاسلام . وهو شيخ
المحدثين الملقب فيهم بأبیر المؤمنين قاله الثوري . وقال يحيى بن معين : هو إمام المتقين ، وكان في
غاية الزهد والورع والتشف والحفظ وحسن الطريقة . وقال الشافعي : لولاه ما عرف الحديث بالعراق .
وقال الامام أحمد : كان أمة وحده في هذا الشأن ، ولم يكن في زمانه مثله . وقال محمد بن سعد : كان
قوة مأمونا حجة صاحب حديث . وقال وكيع : إني لأرجو أن يرفع الله لشعبة في الجنة درجات بذبه
عن حديث رسول الله ﷺ . وقال صالح بن محمد بن حرزة : كان شعبة أول من تكلم في الرجال
وتبسه يحيى القطان ثم أحمد وابن معين . وقال ابن مهدي : ما رأيت أعقل من مالك ، ولا أشد
تشفا من شعبة ، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك ، ولا أحفظ للحديث من الثوري . وقال مسلم بن
إبراهيم : ما دخلت على شعبة في وقت صلاة الا ورأيت يصلي ، وكان أباه فقراء وأما لهم . وقال النضر
ابن شمير : ما رأيت أرحم بمسكين منه ، كان إذا رأى مسكينا لا يزال ينظر إليه حتى يفيب عنه .
وقال غيره : ما رأيت أعبد منه لقد عبد الله حتى لصق جلده بعظمه . وقال يحيى القطان : ما رأيت
أرق للمسكين منه ، كان يدخل المسكين في منزله فيعطيه ما أمكنه . قال محمد بن سعد وغيره : مات
في أول سنة ستين ومائة في البصرة عن ثمان وسبعين سنة .

(ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة)

فيها غزا الصائفة ثمانية بن الوليد قتل دابق ، وجاشت الروم عليه فلم يتمكن المسلمون من
الدخول إليها بسبب ذلك . وفيها أمر المهدي بحفر الركبا وعمل المصانع وبناء القصور في طريق مكة
وولي يقطين بن موسى على ذلك ، فلم يزل يعمل في ذلك إلى سنة إحدى وسبعين ومائة ، مقدار
عشر سنين ، حتى صارت طريق الحجاز من العراق من أرقط الطرقات وآمنها وأطيبها . وفيها وسع
المهدي جامع البصرة من قبلته وغربه . وفيها كتب إلى الأفاق أن لا تبقى مقصورة في مسجد
جماعة ، وأن تقصر المنابر إلى مقدار منبر رسول الله ﷺ ، فضل ذلك في المداين كلها . وفيها
اتضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهدي وظهرت عنده خيافته فضم إليه المهدي من يشرف عليه ،
وكان من ضم إليه إسماعيل بن علي ، ثم أبوه وأقصاه وأخرجه من مفسكه . وفيها ولي القضاء
حافية بن يزيد الأزدي وكان يحكم هو وابن علاثة في عسكر المهدي بالرصافة . وفيها خرج رجل يقال
له المنع بخراسان في قرية في قرى مرو ، وكان يقول بالتسلخ واتبه على ذلك خلق كثير ، فجهز
إليه المهدي عدة من أمرائه وأفند إليه جيوشا كثيرة ، منهم معاذ بن مسلم أمير خراسان ، وكان من
أمره وأمرهم ما سنده كره .

وحج بالناس فيها موسى الهادي بن المهدي . وفيها توفي إسرائيل بن يونس بن إسحاق السبيعي

وزائدة بن قدامة و (سفيان بن سعيد) بن مسروق الثوري أحد أئمة الاسلام وعبدالم والمقتدى به أبو عبد الله الكوفي . روى عن غير واحد من التابعين وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم ، قال شعبة وأبو عاصم وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين وغير واحد : هو أمير المؤمنين في الحديث . وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ هو أفضلهم . وقال أبوب : ما رأيت كوفيًا أفضله عليه . وقال يونس بن عبيد : ما رأيت أفضل منه . وقال عبد الله : ما رأيت أحقه من الثوري . وقال شعبة : ساد الناس بالورع والعلم . وقال : أصحاب المذاهب ثلاثة : ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه ، والثوري في زمانه . وقال الامام أحمد : لا يتقدمه في قلبي أحد . ثم قال : تدرى من الامام ؟ الامام سفيان الثوري . وقال عبد الرزاق : سمعت الثوري يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فغفاني حتى إني لأمر بالهلكة بتقني فأسد أذني مخافة أن أحفظ ما يقول . وقال : لأن أترك عشرة آلاف دينار يحاسبني الله عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس .

قال محمد بن سعد : أجموا أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، وكان عمره يوم مات أربعاً وستين سنة ، ورآه بعضهم في المنام يطير في الجنة من نخلة إلى نخلة ، ومن شجرة إلى شجرة ، وهو يقرأ (الحمد لله الذي صدقنا وعده) الآية . وقال : إذا ترأس الرجل سريراً آخر بكثير من العلم . ومن توفي فيها :

(أبو دلالة)

زيد بن الجون الشاعر الماجن ، أحد الظرفاء ، أصله من الكوفة وأقام ببغداد وحظي عند المنصور لأنه كان يضحك وينشد الأشعار ويمدحه ، حضر يوماً جنازة امرأة المنصور . وكانت ابنة عمه . يقال لها حادة بنت عيسى ، وكان المنصور قد حزن عليها ، فلما سوا عليها التراب وكان أبو دلالة حاضراً ، قال له المنصور : ويحك يا أبا دلالة ، ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : ابنة عم أمير المؤمنين . فضحك المنصور حتى استلقى ، ثم قال : ويحك فضحتنا . ودخل يوماً على المهدي بهنته بقدمه من سفره وأنشده :

إني حلفت لئن رأيتك سالماً • بقرى العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبي محمد • ولتلاؤن دراهما حجرى

قال المهدي : أما الأول فتم ، فصلى على النبي محمد ﷺ ، وأما الثاني فلا . قال : يا أمير المؤمنين هما كلمتان فلا تفرق بينهما . فأمر أن يملأ حجره دراهم ، ثم قال له : قم ! قال : ينخرق منها قميصي فأفرغت منه في أكياسها ثم قام فحملها وذهب . وذكر عنه ابن خلكان أنه مرض ابن له فداواه طبيب فلما عوفي قال له : ليس عندنا ما نطيك ، ولكن ادع على فلان اليهودي مبلغ ما تستحقه عندنا من أجرتك حتى أشهد أنا وولدي عليه بالمبلغ المذكور . قال : فذهب الطبيب إلى فاضى الكوفة محمد

ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى - وقيل ابن شبرمة - فادعى عليه عنده فأنكر اليهودى فشهد عليه أبو دلالة وابنه ، فلم يستطع القاضي أن يرد شهادتهما وخاف من طلب التزكية فأعطى الطيبى المدعى المال من عنده وأطلق اليهودى . وجمع القاضي بين المصالح . توفي أبو دلالة في هذه السنة ، وقيل إنه أدرك خلافة الرشيد سنة سبعين فآله أعلم .

❦ ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة ❦

فيها خرج عبد السلام بن هاشم اليشكرى بأرض قنسرين واتبه خلق كثير ، وقويت شوكلته فقاتله جماعة من الأمراء فلم يقدروا عليه ، وجيز إليه المهدي جيوشا وأعفق فيهم أموالا فهزمهم مرات ثم آكل الأمراء به أن قتل بسد ذلك . وفيها غزا الصائفة الحسن بن قسطلبة في ثمانين ألفا من المرتزقة سوى المنطوقة ، ففسد الروم وحرقت بلدانا كثيرة ، وغرب أماكن وأسر خلقا من القدرارى . وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد السلمى بلاد الروم من باب قالقلا فغنم وسلم وسبى خلقا كثيرا .

وفيها خرجت طائفة يمحرجان فلبسوا الحرمة مع رجل يقال له عبد القهار ، فغزاه عمرو بن الملا من طبرستان فظهر عبد القهار وقته وأصحابه . وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق على المجذمين والمحبوسين ، وهذه مثوبة عظيمة ومكرمة جسيمة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن منصور . وفيها توفي من الأعيان :

❦ إبراهيم بن آدم ❦

أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد . كانت له همة عالية في ذلك رحمه الله . فهو إبراهيم بن آدم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمي ، ويقال له العجلي ، أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق ، وروى الحديث عن أبيه والأعشى ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة وأبي إسحاق السبيعي وخلق . وحدث عنه خلق منهم بقية والنوري وأبو إسحاق الفزاري ومحمد بن حميد . وحكى عنه الأوزاعي . وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجزري عن إبراهيم بن آدم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة . قال : « دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي جالسا فقلت : يا رسول الله إنك تصلي جالسا فما أصابك ؟ قال : الجوع يا أبا هريرة . قال : فبكت فقال : لا تبتك فان شدة يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا » . ومن طريق بقية عن إبراهيم بن آدم حدثني أبو إسحاق الهمداني عن عمارة بن غزيرة عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « إن الفتنة نجى فتتسبف العباد نفسا ، وينجو العالم منها بطنه » .

قال النسائي : إبراهيم بن آدم ثقة مأمون أحد الزهاد . وذكر أبو نعيم وغيره أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان ، وكان قد حبيب إليه الصيد ، قال : فخرجت مرة فأثرت ثمليا ففتفت في حاتم

من قريوس مرجي : ما لم نأخذ خلقت ، ولا بهذا أمرت . قال : فوقفت وقلت : انتهيت انتهيت ، جاءني نذير من رب العالمين . فرجعت إلى أهلي تغليت عن قريوس وجئت إلى بعض رعاة أبي فأخبرت منه جبة وكساء . ثم أقفيت ثيابي إليه ، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً فلم يصف لي بها الحلال ، فسألت بعض المشايخ عن الحلال فأرشدني إلى بلاد الشام فأقبت طرسوس فعملت بها أياماً أنظر البساتين وأحصد الحصاد ، وكان يقول : ما نهيت بالمشي إلا في بلاد الشام . أفر يديني من شاهق إلى شاهق ومن جبل إلى جبل ، فن براني يقول هو موسوس . ثم دخل البادية ودخل مكة ومحجب الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه مثل الحصاد وعمل القاعل وحفظ البساتين وغير ذلك . وما روى عنه أنه وجد رجلاً في البادية فعلمه اسم الله الأعظم فكان يدعو به حتى رأى الخضر فقال له : إنما علمك أخى داود اسم الله الأعظم ، ذكره القشيري وابن عساكر عنه بإسناد لا يصح . وفيه أنه قال له : إن إلياس علمك اسم الله الأعظم . وقال إبراهيم : أطلب معلمك ولا عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار .

وذكر أبو نعيم عنه أنه كان أكثر دعائه اللهم اغفر لي من ذل مصيبتك إلى عز طاعتك . وقيل له إن اللحم قد غلا فقال : أرخصوه أي لا تشتروه فانه يرخص . وقال بعضهم : هتب به الهائف من فوق يا إبراهيم ما هذا البعث (أنصبتم إنما خلقناكم عبداً وأنكم إلينا لا ترجون) اتق الله وعليك بالزاد ليوم القيامة . قتل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة . وروى ابن عساكر بإسناد فيه نظر في ابتداء أمره قال : بينا أنا يوماً في منظر في لي يبلغ وإذا شيخ حسن الهيئة حسن الهيئة قد استظل بظله فأخذ بمجامع قلبي ، فأمرت غلاماً فدعاه فدخل فعرضت عليه الطعام فأبى . قلت : من أين أقبلت ؟ قال : من وراء النهر . قلت : أين تريد ؟ قال الحج . قلت في هذا الوقت ؟ - وقد كان أول يوم من ذى الحجة أو ثانيه - فقال : يفعل الله ما يشاء . قلت : الصعبة . قال : إن أحببت ذلك فوعدك الليل ، فلما كان الليل جاءني فقال : قم بسم الله فأخضت ثياب سفري وسرنا نمشي كأنما الأرض تجنب من تحتنا ، ونحن نمر على البلدان ونقول : هذه فلاة هذه فلاة ، فإذا كان الصباح فارقتي ويقول : موعدك الليل ، فإذا كان الليل جاءني ففعلنا مثل ذلك . فأنهينا إلى مدينة النبي ﷺ ثم سرنا إلى مكة فجتأها ليلاً فقصينا الحج مع الناس ثم رجعنا إلى الشام فزرتا بيت المقدس وقال : إني عازم على المقام بالشام ، ثم رجعت أنا إلى بلدي بلغ كاتر الضملاء حتى رجعنا إليها ولم أسأله عن اسمه ، فكان ذلك أول أمرى .

[وروى من وجه آخر فيه نظر . وقال أبو حاتم الرازي عن أبي نعيم عن سفيان الثوري قال : كان إبراهيم بن آدم يشبه إبراهيم الخليل ، ولو كان في الصحابة كان رجلاً فاضلاً له سرار وما رأيته

يظهر تسبيحاً ولا شيئاً ولا أكل مع أحد طاماً إلا كان آخر من يرفع يديه . [١١]

وقال عبد الله بن المبارك : كان إبراهيم رجلاً فضله سراير ومعاملات بينه وبين الله عز وجل وما رأيتُهُ يظهر تسبيحاً ولا شيئاً من عمله ، ولا أكل مع أحد طاماً إلا كان آخر من يرفع يده . وقال بشر بن الحارث الحافي : أربعة رقصهم الله بطيب المطعم ، إبراهيم بن آدم ، وسليمان بن النخوص وهيب بن الورد ، ويوسف بن أسباط . وروى ابن عساكر من طريق معاوية بن حص قال : إنما سمع إبراهيم بن آدم حديثاً واحداً فأخذ به فساد أهل زمانه . قال : حدثنا منصور عن ربيع بن خراش قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس قال : « إذا أردت أن يحبك الله فابض الدنيا ، وإذا أردت أن يحبك الناس فما كان عندك من فضولها فانبه إليهم » . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو الربيع عن إندريس قال : جلس إبراهيم إلى بعض العلماء فجعلوا يتناكرون الحديث وإبراهيم ساكت ، ثم قال : حدثنا منصور ثم سكت فلم ينطق بحرف حتى قام من ذلك المجلس : فعاتبه بعض أصحابه في ذلك فقال : إني لأخشى مضرة ذلك المجلس في قلبي إلى اليوم . وقال رشدين بن سعد : مر إبراهيم بن آدم بالأوزاعي وحوله حلقة فقال : لو أن هذه الحلقة على أبي هريرة لعجز عنهم . فقام الأوزاعي وتركهم . وقال إبراهيم بن يشار قيل لابن آدم : لم تركت الحديث ؟ فقال : إني مشغول عنه بثلاث ، بالشكر على النعم ، وبالاتقار من الذنوب ، وبالاتتماد للوئ ، ثم صاح وغشى عليه فسمعوا هاتفاً يقول : لاتدخلوا بيوتنا وبين أوليائنا . وقال أبو حنيفة يوماً لإبراهيم بن آدم : قد رزقت من العبادة شيئاً صالحاً فليكن العلم من مالك فانه رأس العبادة وقوام الدين . فقال له إبراهيم : وأنت فليكن العبادة والعمل بالعلم من مالك وإلا هلك . وقال إبراهيم : ماذا أنعم الله على الفقراء لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم ، إنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين الأغنياء . وقال شقيق بن إبراهيم : لقيت ابن آدم بالشام وقد كنت رأيته بالعراق وبين يديه ثلاثون شاكرية . قلت له : تركت ملك خراسان ، وخرجت من فمكت ؟ قال : اسكت ما تهيت بالمشي إلا همتا ، أفر بدني من شاق إلى شاق ، فن يراي يقول هو موسوس أو حال أو ملاح ، ثم قال : بلغني أنه يؤتى بالفقير يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له : يا عبدي مالك لم تهج ؟ فيقول : يا رب لم تعطني شيئاً أحج به . فيقول الله : صدق عبدي اذهبوا به إلى الجنة . وقال أقت بالشام أربعمائة وعشرين سنة لم أقم بها لجهاد ولا رباط إنما نزلتها لأشبع من خير حلال . وقال : الحزن حزنان حزن لك وحزن عليك ، فحزنك على الآخرة لك ، وحزنك على الدنيا وزينتها عليك . وقال : الزهد ثلاثة ، واجب ،

(١) زيادة من المصرية .

ومستحب ، وزهد سلامة ، فأما الواجب فالزهد في الحرام ، والزهد عن الشهوات الحلال مستحب ،
والزهد عن الشهوات سلامة . وكان هو وأصحابه يمتنعون أنفسهم الحمام والماء البارد والحذاء ولا يحملون
في ما حرمهم أبواؤهم ، وكان إذا جلس على سفرة فيها طعام طيب رعى بطيها إلى أصحابه وأكل هو الخبز
والزيتون . وقال قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع ، وكثرة الحرص والطمع تورث النم
والجزع . وقال له رجل : هذه جبة أحب أن تلبها مني . فقال : إن كنت غنياً قبلتها ، وإن كنت
فقيراً لم أقبلها . قال : أنا غني . قال : كم عندك ؟ قال ألفان . قال : تود أن تكون أربعة آلاف ؟
قال : نعم ، قال فأنت فقير ، لا أقبلها منك . وقيل له : لو تزوجت ؟ قال : لو أمكنتني أن أطلق
نفسى لطلقتها . ومكث بمكة خمسة عشر يوماً لا شيء له ولم يكن له زاد سوى الرمل بالماء ، وصلى بوضوء
واحد خمس عشرة صلاة ، وأكل كل يوماً على حافة الشريعة كثيرات مبلولة بالماء وضعها بين يديه أبو
يوسف النسوي ، فأكل منها ثم قام فشرب من الشريعة ثم [جاء واستلقى على قفاه وقال : يا أبا يوسف
لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعم لجلادونا بالسيف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ
المعيش . فقال له أبو يوسف : طلب القوم الراحة والنعم فأخطأوا الطريق المستقيم . فنبههم إبراهيم
وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ وبينما هو بالمبيصة في جماعة من أصحابه إذ جاءه ركب قال :
أيكم إبراهيم بن آدم ؟ فأرشد إليه ، فقال : يا سيدي أنا غلامك ، وإن أباك قد مات وترك مالا هو
عند القاضي ، وقد جئتكم بشرة آلاف درهم لتتقوها عليكم إلى بلخ ، وفرس وبغلة . فسكت
إبراهيم طويلاً ثم رفع رأسه وقال : إن كنت صادقاً فالدرهم والفرس والبغلة لك ، ولا تخبر به أحداً .
ويقال : إنه ذهب بعد ذلك إلى بلخ وأخذ المال من الحاكم وجعله كله في سبيل الله .

وكان معه بعض أصحابه فكثروا شهرين لم يحصل لهم شيء يأكلونه ، فقال له إبراهيم : ادخل إلى
هذه النيفة . وكان ذلك في يوم شات . قال : فدخلت فوجدت شجرة عليها خوخ كثير فلأت
منه جرابي ثم خرجت ، فقال : ما مملك ؟ قلت : خوخ . فقال : يا ضيف اليقين الوصرت لو وجدت
رطباً جنياً ، كاردقت مريم بنت عمران . وشكاً إليه بعض أصحابه الجوع فضلى ركبتين فإذا حوله
دنانير كثيرة فقال لصاحبه : خذ منها ديناراً ، فأخذته واشترى لهم به طعاما . وذكروا أنه كان
يعمل بالفاعل ثم ينهب فيشتري البيض والزبد وتارة الشواء والجوزبان والغبيص فيطعمه أصحابه
وهو صائم ، فإذا أفطر يأكل من ردى الطعام ويحرم نفسه المظم الطيب لير به الناس تأليفاً لهم
وتحبياً وتودداً إليهم .

وأضاف الأوزاعي إبراهيم بن آدم قصر إبراهيم في الأكل قال : مالك قصرت ؟ قال :
لأنك قصرت في الطعام . ثم عمل إبراهيم طعاماً كثيراً ودعا الأوزاعي فقال الأوزاعي : أما تخاف

أن يكون سراً ؟ قال : لا ! إنما السرف ما كان في مصيبة الله ، فأما ما أفقته الرجل على إخوانه فهو من الدين . وذكروا أنه حصد مرة بعشرين ديناراً ، فجلس مرة عند حجلهم هو وصاحب له ليحلق رؤسهم ويحجمهم ، فكأنه تيرم بهم واشتغل عنهم بنيرم ، فتأذى صاحبه من ذلك ثم أقبل عليهم الحجام فقال : ماذا تريدون ؟ قال إبراهيم : أريد أن تحلق رأسي ونحجمني ، ففعل ذلك فأعطاه إبراهيم العشرين ديناراً ، وقال : أردت أن لا تحقر بعدها حقيراً أبداً . وقال مضاء بن عيسى : ما فاق إبراهيم أصحابه بصوم ولا صلاة ولكن بالصدق والسخاء .

[وكان إبراهيم يقول : فروا من الناس كفراركم من الأسد الضاري ، ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة . وكان إذا سافر مع أحد من أصحابه يحدّثه إبراهيم ، وكان إذا حضر في مجلس فكأنما على رؤسهم الطير هيبة له وإجلالا . وربما تسامر هو وسفيان الثوري في الليلة الثانية إلى الصباح ، وكان الثوري ينحزمه في الكلام . ورأى رجلاً قيل له : هذا قاتل خالك ، فذهب إليه فسلم عليه وأهدى له وقال : بلغني أن الرجل لا يبلغ درجة اليقين حتى يأمنه عدوه . وقال له رجل : طوبى لك أنضيت عمرك في العبادة وتركت الدنيا والزوجات . فقال : ألك عيال ؟ قال : نعم . فقال : لروعة الرجل بعباله - يعني في بعض الأحيان من الفاقة - أفضل من عبادة كذا وكذا سنة . وراه الأوزاعي ببغروت وعلى عنقه حزمة حطب فقال : يا أبا إسحاق إن إخوانك يكونونك هذا . فقال له : اسكت يا أبا عمرو ! قد بلغني أنه إذا وقف الرجل موقف منة في طلب الحلال وجبت له الجنة . وخرج ابن آدم من بيت المقدس فر بطريق فأخذته المسلحة في الطريق فقالوا : أنت عبد ؟ قال : نعم . قالوا : آتني ؟ قال : نعم . فسجنوه . فبلغ أهل بيت المقدس خبره فجاءوا برمتهم إلى نائب طبرية فقالوا : علام سجنتم إبراهيم بن آدم ؟ قال : ما سجنته . قالوا : بلى هو في سجنك . فاستحضره فقال : علام سجنتم . فقال : سل المسلحة ، قالوا : أنت عبد ؟ قلت نعم وأنا عبد الله . قالوا : آتني ؟ قلت نعم وأنا عبد آتني من ذنوبي . غلّى سبيله .

وذكروا أنه مرع رقة فاذا الأسد على الطريق فتقدم إليه إبراهيم بن آدم فقال له : يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشئ فامض لما أمرت به وإلا فمطوك على بدئك . قالوا : فولى السبع ذاهبا يضرب بذنبه ، ثم أقبل علينا إبراهيم فقال : قولوا : اللهم راعنا بعينك التي لا تنام ، واكنفنا بكنفك الذي لا يرام ، وارحنا بقدرتك علينا ، ولا تتركنا وأنت رجاءنا يا الله ، يا الله ، يا الله . قال خلف بن عيم : فما زلت أقولها منذ سمعتها فإعرض لي لص ولا غيره .

وقد روى لهذا شواهد من وجوه أخر . وروى أنه كان يصلي ذات ليلة فجاءه . [(١) أسد

ثلاثة فتقدم إليه أحدهم فشم ثيابه ثم ذهب فربض قريباً منه ، وجاء الثاني فضل مثل ذلك ، وجاء الثالث فضل مثل ذلك ، واستمر إبراهيم في صلاته ، فلما كان وقت السحر قال لهم : إن كنتم أمرتم بشئ ففعلوا ، وإلا فانصرفوا فانصرفوا . وصعد مرة جبلاً بمكة ومعه جماعة فقال لهم : لو أن ولياً من أولياء الله قال لجبل زل زل ! فتحرك الجبل تحتة فوكزه برجله وقال : اسكن فأتاهم ربك مثلاً لأصحابي . وكان الجبل أباً قيس . وركب مرة سفينة فأخذهم الموج من كل مكان فلف إبراهيم رأسه بكسائه واضطجع وعج أصحاب السفينة بالضجيج والدعاء ، وأيقظوه وقالوا : ألا ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : ليس هذه شدة ، وإنما الشدة الحاجة إلى الناس . ثم قال : اللهم أريقنا قدرتك فأرنا عقوقك . فصار البحر كأنه قسح زيت . وكان قد طالبه صاحب السفينة بأجرة حمله دينارين وألح عليه ، فقال له : اذهب معي حتى أعطيك ديناراً ، فأتى به إلى جزيرة في البحر فوضأ إبراهيم وصلى ركعتين ودعا وإذا ما حوله قد ملئ دنانير ، فقال له : خذ حقك ولا تزد ولا تذكر هذا لأحد . وقال حذيفة المرعشي : أويت أنا وإبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة ، وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئاً ، فقال لي : كأنك جائع . قلت : نعم . فأخذ رقعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال ، المثار إليه بكل معنى ،

أنا حامد أنا ذاك أنا شاك • أنا جائع أنا عارى

هى ستة وأنا الضمين لنصفها • فكى الضمين لنصفها يلأرى

مدى لنفرك وهج فارخصتها • فأجر عبيدك من دخول النار

ثم قال لي : اخرج بهذه الرقة ولا تملق قلبك بنير الله سبحانه وتعالى ، وادفع هذه الرقة لأول رجل تلقاه . فخرجت فإذا رجل على بطة فدفعها إليه فلما قرأها بكى ودفع إلى سبعة دنانير وانصرف ، فسألت رجلاً من هذا القى على البطة ؟ فقالوا : هو رجل نصراني . فبحث إبراهيم فأخبرته فقال : الآن يبعي فيسلم . فما كان غير قريب حتى جاء فأكب على رأس إبراهيم وأسلم . وكان إبراهيم يقول : دارنا أماناً وحياتنا بدم وقاتنا . فاما إلى الجنة وإما إلى النار . مثل لبصرك حضور ملك الموت وأعوانه لقبض روحك وانظر كيف تكون حيثئذ ، ومثل له هول المضجع ومسألة منكر ونكير وانظر كيف تكون . ومثل له القيامة وأهوالها وأفزاعها والعرض والحساب ، وانظر كيف تكون . ثم صرخ صرخة خرمشياً عليه . ونظر إلى رجل من أصحابه يضحك فقال له : لا تطعم فلان لا يكون ، ولا تنس ما يكون . فقيل له : كيف هذا يا أبا إسحاق ؟ فقال : لا تطعم في البقاء والموت يطلبك ، فكيف يضحك من يموت ولا يدري أين يذهب به إلى جنة أم إلى نار ؟ ولا تنس ما يكون الموت يأتيك صباحاً أو مساء . ثم قال : أوه أوه ! ثم خر مغشياً عليه . وكان يقول : مالنا نشكو قدرنا إلى

مثلنا ولا نسال كشفه من ربنا . ثم يقول : فكلت عبداً أمه أحب الدنيا ونفى ما في خزان مولاه
وقال : إذا كنت بالليل قائماً وبالنهار قائماً وفي المعاصي دائماً فكيف ترضى من هو بأمرورك قائماً .
ورآه بعض أصحابه وهو بمسجد بيروت وهو يبكي ويضرب يديه على رأسه ، فقال : ما يبكيك ؟
فقال : ذكرت يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . وقال : إنك كلما أمنت النظر في مرآة التوبة
بان لك قبح شين المعصية .

وكتب إلى الثوري : من عرف ما يطلب هان عليه ما ينزل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ، ومن
أطلق أمه ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قتل نفسه . وسأله بعض الولاد من أين معيشتك ؟ فأنشأ يقول :
نرفع دنيا ما يمزق ديفنا * فلا ديفنا يبقى ولا ما نرفع
وكان كثيراً ما يمثل بهذه الأبيات :

لما توعد الدنيا به من شرورها * يكون بكاء الطفل ساعة يضع
وإلا فابيكي منها وإنها * لأروح مما كان فيه وأوسع
إذا أبصر الدنيا استهل كأنما * يرى ماسيلتي من أذاهل يسمع

وكان يمثل أيضاً :

رأيت القلوب عمت القلوب * وورثها القتل إجماعها
وترك القلوب حياة القلوب * وخير لنفسك عصبيتها
وما أفد الدين إلا ملوك * وأجبار سوء ورهباتها
وباعوا النفوس فلم يربحوا * ولم يفل بالبيع أثماتها
قد رقع القوم في جيفة * تبين لني الهب أثنائها

وقال : إنما يتم الورع بقسوة كل الخلق في قلبك ، والاشتغال عن عيوبهم بذكبك ، وعليك
باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل ، فكر في ذنبك وتب إلى ربك ينبت الورع في قلبك ،
واقطع الطمع إلا من ربك . قال : ليس من أعلام الحب أن تحب ما ييفضه حبيبك ، ذم مولانا
الدنيا فدنحناها ، وأبغضها فأحببناها ، وزهدنا فيها فأثرناها ورغبنا في طلبها ، ووعدهم خراب
الدنيا فحصدتموها ، ونهاكم عن طلبها فطلبتموها ، وأنفركم الكنوز فكنتزعوها ، دعتمكم إلى هذه
الفرارة فدواعبها ، فأجبتهم مسرعين منادياً ، خدعتكم بفروها ، ومنتمكم فاهتدم خاضعين لأمانها
تسرغون في زهراتها وخافوها ، وتنتعمون في لقائها وتقلبون في شهواتها ، وتتلوون ببيعاتها ،
تنبشون بمخالب الحرص عن خزائنها ، وتحفرون بمحاول الطمع في معادنها . وشكى إليه رجل كثرة
عياله فقال : ايمت إلى منهم لا رزقه على الله . فسكت الرجل . وقال : مررت في بعض جبال
فإذا حجر مكتوب عليه بالعربية :

كل حى وإن بقى • فن الميث يستقى

فاعمل اليوم واجتهد • واحذر الموت يا شقى

قال : فيينا أنا واقف أقرأ وأبكي ، وإذا برجل أشمر أغبر عليه مدرعة من شمر فسلم وقال : مم تبكى ؟ قلت : من هنا . فأخذ يبدى ومضى غير بعيد فإذا بصخرة عظيمة مثل المحراب قال اقرأ وابك ولا تقصر . وقام هو يصلى فإذا في أعلاه نقش بين عربى :

لا تبئين جاهاً وجاهك ساقط • عند المليك وكن لجاهك مصلحاً

وفي الجانب الآخر نقش بين عربى :

من لم يثق بالقضاء والقدر • لا فى هوماً كثيرة الضرر

وفي الجانب الأيسر منه نقش بين عربى :

ما أزين التقى وما أقبح الخنا • وكل مأخوذ بما جنا • وعند الله الجزا

وفي أسفل المحراب فوق الأرض بنواع أو أكثر :

أما النور والنقى • فى تقى الله والعمل^(١)

قال : فلما فرغت من القراءة التفت فإذا ليس الرجل هناك ، فما أدري أنصرف أم حجب عني . وقال : أهمل الأعمال فى الميزان أثقلها على الأبدان ، ومن وفى العمل وفى له الأجر ، ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير . وقال : كل سلطان لا يكون عدلاً فهو والى بمنزلة واحدة ، وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والدثب بمنزلة واحدة ، وكل من خدع سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة . وقال : ما ينبغي لمن ذل لله فى طاعته أن يدل لغير الله فى مجاعته ، فكيف بمن هو يتقلب فى نعم الله وكفايته ؟ وقال : أعر بنا فى كلامنا فلم نلحن ، ولحنا فى أعمالنا فلم نهرب . وقال : كنا إذا رأينا الشاب يتكلم فى المجلس أيسنا من خيره . وقال : جانبوا الناس ولا تنقطعوا من جمعة ولا جماعة .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب : أخبرنا القاضى أبو محمد الحسن بن الحسن بن محمد بن زامين الأسترابادى قال : أنبأ عبد الله بن محمد الحميدى الشيرازى أنبأ القاضى أحمد بن خرزاد الأهوازي حدثنى على بن محمد القصرى حدثنى أحمد بن محمد الحلبى سمعت سرياً السقطى يقول سمعت بشر ابن الحارث الحافى يقول : قال إبراهيم بن آدم : وقفت على راهب فأشرف على قتلته : عظمى فأنشأ يقول :

خذ عن الناس جانباً • كن بمدوك راهباً

(١) قد صححنا هذه الأبيات من الحلية لأبى نعيم فى ترجمة ابن آدم .

إن دهرًا أطلق • قد أراى العجايبا
 قلب الناس كيف شئ • ت تجمد عقارب
 قال بشر قتل لا إبراهيم : هذه موعظة الزاهب لك ، فظنى أنت . فأنشأ يقول :
 توحش من الاخوان لا تبغ مؤنسًا • ولا تتخذ خلولا تبغ صاحبًا
 وكن سامرى القمل من نسل آدم • وكن أوحديا ما قدرت بجانبًا
 قد قد الاخوان والحب والاخا • فلست ترى إلا مذوقًا وكاذبا
 قتل ولولا أن يقال مدهم • وتسكر حالتي قد صرت راهبا
 قال سرى : قتل لبشر : هذه موعظة إبراهيم لك فظنى أنت ، قال : عليك بالحقول ولزوم
 بيتك . قلت بلغنى عن الحسن أنه قال : لولا اقليل وملاقة الاخوان ما باليت متى مت . فأنشأ بشر
 يقول :
 يا من يسر برؤية الاخوان • مهلا أمنت مكاييد الشيطان
 خلت القلوب من الماد وذكره • وتشاغلوا بالحرص والحسنان
 صارت مجالس من ترى وحديتهم • فى هنك مستور وموت جنان
 قال الحلبي قتل لسرى : هذه موعظة بشر فظنى أنت . قال : عليك بالاخلاق قتل
 أحب ذاك ، فأنشأ يقول :

يا من يروم بزعمه إخلا • إن كان حقا فاستمد خصلا
 ترك المجالس والتذاكر يا أخى • واجعل خروجك للصلاة خيلا
 بل كن بها حيا كأنك ميت • لا يرتجى منه القريب وصلا
 قال على بن محمد القصرى : قلت للحلبي هذه موعظة سرى لك فظنى أنت . قال : يا أخى
 أحب الأعمال إلى الله ما صمد إليه من قلب زاهد فى الدنيا فزهد فى الدنيا يحبك الله . ثم أنشأ يقول :
 أنت فى دار شتات • فتأهب لشتاتك • واجعل الدنيا كبروم • صمت عن شهواتك
 واجعل النظر إذا • ما صمت يوم وفاتك
 قال ابن خرزاد قتل لعل : هذه موعظة الحلبي لك فظنى أنت . قال لى : احفظ وقتك
 واسخ بنفسك لله عز وجل ، واتزع قيمة الأشياء من قلبك يصفوك بذلك سرك ويدك به
 ذكرك . ثم أنشدنى :

حياتك أفضل قد فكلمنا • مضى نفس منها اتقصمت به جزا
 فتصبح فى قص وتسمى بمنله • ومالك مقول تحس به رزا
 يمينك ما يمينك فى كل ساعة • ومجدوك حاد ما يزيد بك الهزا

قال أبو محمد قلت لأحمد : هذه موعظة على لك فضلى . فقال : يا أئى عليك بلزوم الطاعة وإياك أن تغرق باب القناعة ، وأصلح متواك ، ولا تؤثر هواك ، ولا تبع آخرتك بدنك ، واشتغل بما يملك بترك مالا يملك . ثم أنشدنى : -

نمت على ما كان منى ندامة • ومن يتبع ما تشهى النفس يندم
تغافوا ليكم تأمنوا بعد موتكم • ستلقون ربا عادلا ليس يظلم
فليس لمخروور بدنياء زاجر • سيندم إن زلت به النمل فاعلوا

قال ابن زامين قلت لأبي محمد : هذه موعظة أحمد لك فضلى أنت . فقال : اعلم رحلك الله أن الله عز وجل ينزل العبيد حيث نزلت قلوبهم بهومها ، فانظر أين ينزل قلبك ، واعلم أن الله سبحانه يقرب من القلوب على حسب ما تقرب منه ، وتغرب منه على حسب ما قرب إليها . فانظر من التريب من قلبك . وأنشدنى :

قلوب رجال فى الحجاب نزول • وأرواحهم فيها هناك حلول
روح أنيم الأنس فى عز قرب • بأفراد توحيد الجليل تحول
لهم قضاء القرب من محض بره • عوائد بذل خطيئهم جليل

قال الخطيب : قلت لابن زامين : هذه موعظة الحيدى لك فضلى أنت . فقال : اتق الله وثق به ولا تهمه فان اختياره لك خير من اختيارك لنفسك وأنشدنى :

اتخذ الله صاحباً • ودع الناس جانباً
جرب الناس كيف شئ • ت تهجم عقارباً

قال أبو الفرج غيث الصورى : قلت لخطيب : هذه موعظة ابن زامين لك فضلى أنت . فقال : احذر نفسك التى هى أعدى أعدائك أن تنابها على هواها ، ففك أعضل دالك ، واستشرّف الخوف من الله تعالى بخلافها ، وكر على قلبك ذكر موتها وأوصافها ، فانها الأمانة بالسوء والفحشاء ، والمودة من أطاعها موارد المطب والبلاء ، واعمد فى جميع أمورك إلى تحرى الصدق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . وقد ضمن الله لمن خالف هواه أن يجعل الجنة الخلا قراره وماواه ثم أنشد نفسه :

إن كنت تبغى الرشاد محضاً • فى أمر دينك والمعاد
تخالف النفس فى هواها • إن الهوى جامع القصاد

قال ابن عساكر : المحفوظ أن إبراهيم بن آدم توفى سنة ثنتين وستين ومائة . وقال غيره : إحدى وستين وقيل سنة ثلاث . والصحيح ما قاله ابن عساكر والله أعلم . وذكروا أنه توفى فى جزيرة من

جزائر بحر الروم وهو رابط ، وأنه ذهب إلى الظلاء ليلة مات نحواً من عشرين مرة ، وفي كل مرة يجعد الوضوء بعد هذا ، وكان به البطن ، فلما كانت غشية الموت قال : أوتروا لي قومي ، فأوتروه قبض عليه فأت وهو قابض عليه يريد الرمي به إلى المدورحة الله وأكرم مثواه .

وقد قال أبو سعيد بن الأعرابي : حدثنا محمد بن علي بن يزيد الصائغ قال سمعت الشافعي يقول : كان سفيان مسجاً به :

[أجاعتهم الدنيا غافقوا ولم يزل • كذلك ذو التقوى عن العيش ملجما
أخو ملء داود منهم ومسر • ومنهم وهيب والريب ابن أدهما
وفي ابن سعيد قبرة البر والتهبي • وفي الوارث الفاروق صدقا مقدما
وحسبك منهم بالفضل مع ابنه • ويوسف ان لم يأل أن يقلما
أولئك أمحاي وأهل مودتي • فصلى عليهم ذو الجلال وسلا
فما ضر ذا التقوى نصال أسنة • وما زال ذو التقوى أعز وأكرما
وما زالت التقوى تريك على الفتى • إذا محض التقوى من المز ميسما]

وروى البخاري في كتاب الأئمة عن إبراهيم بن أدهم وأخرج الترمذي في جامعه حديثا معلقا في المسح على الخفين . والله سبحانه أعلم . [(١)

وفيهما توفي أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي الفقيه الزاهد ، أخذ الفقه عن أبي حنيفة . قال سفيان بن عيينة : ثم ترك داود الفقه وأقبل على العبادة ودفن كتبه . قال عبد الله بن المبارك : وهل الأمر إلا ما كان عليه داود الطائي . وقال ابن معين : كان ثقة ، وفد على المهدي ببغداد ثم عاد إلى الكوفة . ذكره الخطيب البغدادي . وقال : مات في سنة ستين ومائة ، وقيل في سنة ست وخمسين ومائة . وقد ذكر شيخنا الذهبي في تاريخه أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة ثنتين وستين ومائة - **فله أعلم .**

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة)

فيها حصر المتنع الزنديقي الذي كان قد نبغ بخراسان وقال بالتناسخ ، واتبه على جهالته وضلالته خلق من الطغام وسفهاء الأثام ، والسفلة من العوام ، فلما كان في هذا العام لجأ إلى قلعة كش فحاصره سعيد المريثي فألح عليه في الحصار ، فلما أحس بالقلعة تحسب ما وسع نساها فاتوا جميعاً ، عليهم لسان الله . ودخل الجيش الإسلامي قلعة فاحتزوا رأسه وبنوا به إلى المهدي ، وكان المهدي يحلب . قال ابن خلكان : كان اسم المتنع عطاء ، وقيل حكيم ، والأول أشهر . وكان أولاً قصاراً ثم ادعى الربوبية ، مع أنه كان أمور قبيح المنظر ، وكان يتخذ له وجهاً من ذهب ، وقام به على جهالته خلق . (١) زيادة من المصرية .

كثير ، وكان يرى الناس قرأ برى من مسيرة شهرين ثم يقبض ، فغظم اعتقادهم له ومنعوه بالسلاح ، وكان يزعم لعنه الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً أن الله ظهر في صورة آدم ، ولهذا سجدت له الملائكة ، ثم في نوح ، ثم في الأنبياء واحداً واحداً ، ثم تحول إلى أبي مسلم الخراساني ، ثم تحول إليه . ولما حاصره المسلمون في قلعة التي كان جدها بناحية كاش مما وراء النهر ، يقال لها سامان ، تحصى هو ونساؤه معاً فاتوا واستحوذ المسلمون على حواصله وأمواله

وفيها جهز المهدي البعوث من خراسان وغيرها من البلاد لغزو الروم ، وأمر على الجميع ولده هارون الرشيد ، وخرج من بغداد مشيعاً له ، فسار معه مراحل واستخلف على بغداد ولده موسى الهادي ، وكان في هذا الجيش الحسين بن قطبة والربيع الحجاب وخالد بن برمك - وهو مثل الوزير الرشيد ولي المهدي - ويحيى بن خالد - وهو كاتبه وإليه التفتت - وما زال المهدي مع ولده مشيعاً له حتى بلغ الرشيد إلى بلاد الروم ، وارتاد هناك المدينة المسماة بالمهدية في بلاد الروم ، ثم رجع إلى الشام وزار بيت المقدس ، فسار الرشيد إلى بلاد الروم في جحافل عظيمة ، وفتح الله عليهم فتوحات كثيرة ، وغنموا أموالاً جزيلة جداً ، وكان خالد بن برمك في ذلك أثر جميل لم يكن لنبيه ، وبعثوا بالبشارة مع سليمان بن برمك إلى المهدي فأكرمه المهدي وأجزل عطاه .

وفيها عزل المهدي عمه عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى عليها زفر بن عاصم الهلالي ، ثم عزله وولى عبد الله بن صالح بن علي . وفيها ولى المهدي ولده هارون الرشيد بلاد المغرب وأذر يجان وأرمينية ، وجعل على رسائله يحيى بن خالد بن برمك ، وولى وعزل جماعة من النواب . وحج بالناس فيها على بن المهدي .

وفيها توفي إبراهيم بن طهمان ، وحرير بن عثمان الحمصي الرحبي ، وموسى بن علي الغنمي المصري وشعيب بن أبي حمزة ، وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وإليه ينسب قصر عيسى ، ونهر عيسى ببغداد ، قال يحيى بن معين : كان له منعب جميل ، وكان معتزلاً لسلطان . توفي في هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة . وهمام بن يحيى ، ويحيى بن أبي أيوب المصري ، وعبيدة بنت أبي كلاب العابد ، بكت من خشية الله أربعين سنة حتى عميت . وكانت تقول : أشتى الموت فاق أخشى أن أجنى على فسي جناية تكون سبب هلاكي يوم القيامة .

(ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة)

فيها غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بلاد الروم ، فأقبل إليه ميخائيل البطريق في نحو من تسعين ألفاً ، فيهم طلائع الأرمي البطريق فقتل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف راجعاً - فأراد المهدي ضرب عنقه فكلّم فيه فحبسه في المطبق .

وفي يوم الأربعاء في أواخر ذي القعدة أسس المهدي قصرًا من لبن ببيضا باذ ، ثم عزم على القهاب إلى الحج فأصابه حمى فرجع من أثناء الطريق ، فطش الناس في الرجفة حتى كاد بعضهم يهلك ، فغضب المهدي على يقاين صاحب المصانع ، وبث من حيث رجع الملب بن صالح بن أبي جعفر ليحج بالناس فحج بهم عائد . وفيها توفي شيان بن عبد الرحمن النحوي ، وعبد العزيز بن أبي سلة الماجشون ، ومبارك بن فضالة صاحب الحسن البصري .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة ﴾

فيها جهز المهدي ولده الرشيد لغزو الصائفة ، وأخذ معه من الجيوش خمسة وتسعين ألفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلاً ، وكان معه من النفقة مائة ألف دينار ، وأربعة وتسعون ألف دينار ، وأربعمائة وخمسون ديناراً ، ومن النفقة إحدى وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف ، وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم . قال ابن جرير . فبلغ بمجنوده خليج البحر الذي على القسطنطينية ، وصاحب الرم يوشد أغطه امرأة أليون ، وممها ابتها في حجرها من الملك الذي توفي عنها ، فطلبت الصلح من الرشيد على أن تدفع له سبعين ألف دينار في كل سنة ، وقبل ذلك منها ، وذلك بعد ما قتل من الروم في الواقع أربعة وخمسين ألفاً وأسر من القداري خمسة آلاف رأس وستمائة وأربعة وأربعين رأساً ، وقتل من الأسرى أنفي قتيل صبراً ، وغنم من الدواب بأدواتها عشرين ألف فرس ، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس . وبيع البرذون بدرهم والبلل بأقل من عشرة دراهم ، والدرع بأقل من درهم وعشرون سيفاً بدرهم . فقال في ذلك مروان بن أبي حفصة :

أطفت بـعـنـطـيـنـيـة الـروم مسنداً • إليها القنا حتى اكتفى القل سورها

وما ربتها حتى أتتك ملوكها • بمجزيتها والحرب قتل قدورها

وحج بالناس صالح بن أبي جعفر المنصور ، وفيها توفي سليمان بن المنيرة ، وعبد الله بن العلاء ابن دبر ، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان . ووهب بن خالد .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين ومائة ﴾

في الحرم منها قدم الرشيد من بلاد الروم فدخل بغداد في أيلة عظيمة ومعه الروم يحملون الجزية من الذهب وغيره . وفيها أخذ المهدي البيعة لولده هارون من بعد موسى الهادي ، ولقب بالرشيد . وفيها سخط المهدي على يعقوب بن داود وكان قد حطى عنده حتى استوزره وارتفعت منزلته في الوزارة حتى فوض إليه جميع أمر الخلافة ، وفي ذلك يقول بشار بن برد : -

بني أمية هبوا طال نومكم • إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا • خليفة الله بين الحر^(١) والمرد

فلم تزل السعة والوشاة بينه وبين الخليفة حتى أخرجه عليه ، وكما سوا به إليه دخل إليه فأصلح أمره معه ، حتى وقع من أمره ما سأذكره ، وهو أنه دخل ذات يوم على المهدي في مجلس عظيم قد فرش بأنواع الفرش وألوان الحرير ، وحول ذلك المكان أبحان مزهرة بأنواع الأزاهير ، فقال : يا يعقوب كيف رأيت مجلسنا هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ما رأيت أحسن منه . قال : هو لك بما فيه ، وهذه الجارية ليتم بها سرورك ، ولي إليك حاجة أحب أن ترضيها . قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : حتى تقول نعم . قلت : نعم ! وعلى السمع والطاعة . فقال ! الله ؟ قلت : الله . قال : وحياة رأسى قلت وحياة رأسك . قال : ضع يدك على رأسى وقل ذلك ، ففعلت . قال : إن ههنا رجلا من الدويين أحب أن تكفيته ، والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب . قلت : نعم ، قال : وعجل علي ، ثم أمر بتحويل ما في ذلك المجلس إلى منزلي وأمر لي بمائة ألف درهم وتلك الجارية ، فافرحت بشئ فرح بها . فلما صارت بمنزلي حجبته في جانب القمار في خمر ، فأمرت بنفك الدوي فجئني به فجلس إلى فتكلم ، فلما رأيت أعقل منه ولا أنهم . ثم قال لي : يا يعقوب تلقى الله بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ؟ قلت : لا والله ولكن اذهب حيث شئت وأين شئت . قال : إني أختار بلاد كذا وكذا . قلت : اذهب كيف شئت ، ولا يظهرن عليك المهدي قهرك وأهلك . فخرج من عندي وجبرت معه رجلين يسفرانه ويوصلانه بعض البلاد ، ولم أشعر بأن الجارية قد أحاطت علما بما جرى ، وأنها كالجاسوس على ، فبعثت بخادمها إلى المهدي فأخبرته بما جرى ، فبعث المهدي إلى تلك الطريق فردوا ذلك الدوي فحبسه عنده في بيت من دار الخلافة ، وأرسل إلى من اليوم الثاني فنهبته إليه ولم أشعر من أمر الدوي بشئ ، فلما دخلت عليه قال : ما فعل الدوي ؟ قلت : مات . قال : الله ! قلت : الله . قال : فضع يدك على رأسى واحلف بحياته ، ففعلت . قال : يا غلام أخرج ما في هذا البيت ، فخرج الدوي فأسقط في يدي ، فقال المهدي : دمك لي حلال . ثم أمر به فألقي في بئر في المطبق . قال يعقوب : فكنت في مكان لا أسمع فيه ولا أبصر ، فذهب بصري وطال شعري حتى صرت مثل البهائم ، ثم مضت على مدد متطلوة ، فبينما أنا ذات يوم إذ دعيت فخرجت من البئر فقيل لي : سلم على أمير المؤمنين . فسلمت وأنا أظنه المهدي ، فلما ذكرت المهدي قال : رحم الله المهدي . قلت : الهادي ؟ فقال : رحم الله الهادي . قلت : الرشيد ؟ قال نعم . قلت : يا أمير المؤمنين قد رأيت ما حل بي من الضعف والملة ، فإن رأيت أن تطلقني . قال : أين تريد ؟ قلت : مكة . قال : اذهب راشداً ، فسار إلى مكة فما لبث بها إلا قليلا حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد كان يعقوب هنا يفظ المهدي في قنابله شرب النبيذ بين يديه ، وكثرة سماع الفناء فكان

يلومه على ذلك ويقول : ما على هذا استوزرتي ، ولا على هذا محبتك ، أبعد الصلوات الحسنى
فى المسجد الحرام يشرب الخمر ويتنى بين يديك ؟ فيقول له المهدي : قد سمع عبد الله بن جعفر ،
قَالَ له يعقوب : إن ذلك لم يكن له من حسناته ، ولو كان هذا قرية لكان كلما داوم عليه العبد
أفضل . وفى ذلك يقول بعض الشعراء حساً للمهدي على ذلك :

فدع عنك يعقوب بن داود جانباً * وأقبل على صبيها طيبة النشر

وفىها ذهب المهدي إلى قصره المسمى بميسا باذ - بنى له بالآجر بعد القصر الأول الذى بناه
باللبن - فسكنه وضرب هناك القرامم والدنانير . وفىها أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة والمدينة
والين ولم يضل أحد هذا قبل هذه السنة . وفىها خرج موسى الهادي إلى جرجان . وفىها ولى القضاء
أبا يوسف صاحب أبي خنيفة . وفىها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد عامل الكوفة . ولم يكن فى هذه
السنة صائفة لهدنة التى كانت بين الرشيد وبين الروم . وفىها توفى صدقة بن عبد الله السمين ،
وأبو الأشهب المطاردى ، وأبو بكر التهليلى ، وعفيرة بن معدان .

(ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة)

ففىها وجه المهدي ابنه موسى الهادي إلى جرجان فى جيش كثيف لم ير مثله ، وجعل على رسائله
أبان بن صدقة . وفىها توفى عيسى بن موسى الذى كان ولى العهد من بعد المهدي : مات بالكوفة
فاشهد نائبها روح بن حاتم على وفاته القاضى وجماعة من الأعيان . ثم دفن . وكان قد امتنع من
الصلاة عليه فكتب إليه المهدي يمنعه أشد التننيف ، وأمر بمحاسبته على عمله . وفىها عزل المهدي
أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع بن يونس الحاجب ، فاستخلف
فيه سعيد بن واقد وكان أبو عبيد الله يدخل على مراتبه . وفىها وقع وباء شديد وسعال كثير ببغداد
والبصرة ، وأظلمت الدنيا حتى كانت كالليل حتى تمالى النهار ، وكان ذلك ليال بقين من ذى الحجة
من هذه السنة . وفىها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة فى سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبراً بين
يديه ، وكان المتولى أمر الزنادقة عمر الكلواذى . وفىها أمر المهدي بزينة كثيرة فى المسجد الحرام ،
فدخل فى ذلك دور كثيرة ، وولى ذلك ليقطين بن موسى الموكل بأمر الحرمين ، فلم يزل فى عمارة ذلك
حتى مات المهدي كاسياً . ولم يكن للناس صائفة لهدنة . وحج بالناس نائب المدينة إبراهيم بن محمد .
وتوفى بعد فراغه من الحج بألم : وولى مكانه إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس .
ومن توفى فيها من الأعيان .

بشار بن برد أبو صاذ الشاعر مولى عقيل ، ولد أعمى ، وقال الشعر وهو دون عشرين سنين ، وله
التشبيهات التى لم يبتد إليها البصراء . وقد أثنى عليه الأصمى والجاحظ وأبو تمام وأبو عبيدة ، وقال

له ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر . فلما بلغ المهدي أنه هجاه وشهد عليه قوم أنه زنديق أمر به فضرب حتى مات عن بضع وسبعين سنة . وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات ، وقال : بشار بن برد بن يرجوخ القيلي مولاهم ، وقد نسب صاحب الأغاني فأطال نفسه . وهو بصرى قدم بغداد أصله من طخارستان ، وكان ضخما عظيم الخلق ، وشعره في أول طبقات المولدين ، ومن شعره البيت المشهور :

هل تملين وراء الحب منزلة * تُمدني إليك فإن الحب أقصا

وقوله : أنا والله أشبهى سحر عيني * لك وأخشى مصارع العشاق

وله : يا قوم أذن لي بعض الحى عاشقة * والأذن تمشق قبل العين أحيانا

قالوا لم لا نرى عينيك قلت لهم * الأذن كالعين تروى القلب بمكنا^(١)

وله : إذا بلغ الرأي التشاور فاسمن * يحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولاقبل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافي قوة للقوام

وما خير كف أسك الفلأخنها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم

كان بشار يمدح المهدي حتى وشى إليه الوزير^(٢) أنه هجاه وقذفه ونسبه إلى شئ من الزندقة ،

وأنه يقول بتفضيل النار على التراب ، وعنف إبليس في السجود لآدم ، وأنه أنشد : —

الأرض مظلة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

فأمر المهدي بضربه فضرب حتى مات . ويقال : إنه غرق ثم قتل إلى البصرة في هذه السنة .

وفيهما توفي الحسن بن صالح بن حي ، وحامد بن سلمة ، والربيع بن مسلم ، وسعيد بن عبد العزيز

ابن مسلم ، وعتبة الغلام : وهو عتبة بن أبان بن صمعة أحد العباد المشهورين بالكائن المذكورين ،

كان يأكل من عمل يده في الخوص ، ويصوم الدهر ويفطر على الخبز والملح . والقاسم الحنفاء ،

وأبو هلال محمد بن سليم ، ومحمد بن طلحة ، وأبو حمزة اليشكري محمد بن ميمون .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

فبها في رمضان منها قضت الروم ما بينهم وبين المسلمين من الصلح الذي عقده هارون الرشيد

عن أمر أبيه المهدي ، ولم يستروا على الصلح إلا فنتين وثلاثين شهرا ، فبث نائب الجزيرة

خيلا إلى الروم قتلوا وأسروا وغنموا وسلوا . وفيها اتخذ المهدي دواوين الأئمة^(٣) ولم يكن بنو أمية

يعرفون ذلك . وفيها حج بالناس على بن محمد المهدي الذي يقال له ابن ربيعة . وفيها توفي الحسن

(١) في هذا البيت تحريف (٢) بهامش التركية : أي نسب الوزير لبشار .

(٣) ويسمى واحدها (ديوان الزمام) . وروى أنه لما جمعت الدواوين لعمر بن بزيع فنكر فاذا

هو لا يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان فأتخذ دواوين اللازمة في خلافة المهدي .

ابن يزيد بن حسن بن علي بن أبي طالب ، ولاء المنصور المدينة خمس سنين ، ثم غضب عليه فضر به وجسه وأخذ جميع ماله . [وحامد مجرد . كان ظريفاً ماجناً شاعراً ، وكان ممن يماثر الوليد ابن يزيد وبهاجى بشار بن برد . وقسم على المهدي ونزل الكوفة واتهم بالزندقة . قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : ثلاثة حمادون بالكوفة يرمون بالزندقة : حماد الراوية ، وحامد مجرد ، وحامد بن الزبرقان النحوى . وكانوا يتشاعرون ويتماجنون .] ^(١) وخارجه بن مصعب ، وعبد الله بن الحسن ابن الحسين بن أبي الحسن البصرى ، قاضى البصرة بعد سوار . سمع خالفاً الحذاء وداود بن أبي هند ، وسعيداً الجري . وروى عنه ابن مهدي . وكان ثقة قتيماً له اختيارات ترمى إليه غريبة في الأصول والفروع ، وقد سئل عن مسألة فأخطأ في الجواب فقال له قائل : الحكيم فيها كذا وكذا . فأطرق ساعة ثم قال : إذا أرجع وأنا صاغر ، لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلى من أن أكون رأساً في الباطل . توفي في ذى القعدة من هذه السنة ، وقيل بعد ذلك بعشر سنين فله أعلم . غوث ابن سليمان بن زياد بن ربيعة أبو يحيى الجرمى ، قاضى مصر ، كان من خيار الحكماء ، ولى الديار المصرية ثلاث مرات في أيام المنصور والمهدي . [وفليح بن سليمان ، وقيس بن الربيع في قول ، ومحمد بن عبد الله بن علاقة بن علقمة بن مالك ، أبو اليسر الثقيل ، قاضى الجانب الشرقى من بغداد للمهدي ، هو وعافية بن يزيد . وكان يقال لابن علاقة قاضى الجن ، لأنه كانت يثرى يصاب من أخذ منها شيئاً فقال : أيها الجن ! إنا حكمتنا أن لكم الليل ولنا النهار . فكان من أخذ منها شيئاً في النهار لم يصبه شيء . قال ابن معين : كان ثقة . وقال البخارى : في حفظه شيء .] ^(٢)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة ﴾

فيها في الحرم منها توفي المهدي بن المنصور بمكان يقال له ماسبندان ، بالحلى ، وقيل مسموماً وقيل عضه فرس فلت . ﴿ وهذه ترجمته ﴾

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أبو عبد الله المهدي ، أمير المؤمنين وإنما لقب بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به ، وإن اشتركا في الاسم فقد افترقا في الفعل ، ذلك يأتي في آخر الزمان عند فساد الدنيا فيبلا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . وقد قيل إن في أيامه يتزل عيسى بن مريم بمشوق كما سيأتى ذلك في أحاديث الفتن والملاحم . وقد جاء في حديث من طريق عثمان بن عفان أن المهدي من بنى العباس ، وجاء موقوفاً على ابن عباس وكعب الأخبار ولا يصح ، وبتقدير صحة ذلك لا يلزم أن يكون على التمين ، وقد ورد في حديث آخر أن المهدي من ولد فاطمة فهو يمارض هذا والله أعلم . وأم المهدي بن المنصور أم موسى

بنت منصور بن عبد الله الحنظلي . روى عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس « أن رسول الله ﷺ جهر بيسم الله الرحمن الرحيم » . رواه عنه يحيى بن حمزة التمشلي قاضي دمشق ، وذكر أنه صلى خلف المهدي حين قدم دمشق فجهر في السورتين بالبسمة ، وأسند ذلك عن رسول الله ﷺ ورواه غير واحد عن يحيى بن حمزة ، ورواه الهادي عن المبارك بن فضالة ، ورواه عنه أيضا جعفر ابن سليمان الضبيعي ، ومحمد بن عبد الله الرقاشي ، وأبو سفيان سعيد بن يحيى بن مهدي .

وكان مولد المهدي في سنة ست أو سبع وعشرين ومائة ، أو في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وولى الخلافة بعد موت أبيه في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وعمره إذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة ، ولد بالحيرة من أرض البلقاء ، وتوفي في المحرم من هذه السنة - أعني سنة تسع وستين ومائة - عن ثلاث أو ثمان وأربعين سنة ، وكانت خلافته عشرين سنين وشهراً وبض شهر ، وكان أمير طويلا جعد الشعر ، على إحدى عينيه نكتة بيضاء ، قيل على عينه اليمنى ، وقيل اليسرى . قال الربيع الحاجب : رأيت المهدي يصلي في ليلة مقمرة في بهوله عليه ثياب حسنة ، فما أدري هو أحسن أم القمر ، أم بهوه ، أم ثيابه . فقرأ (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) الآية . ثم أمرني فأحضرت رجلا من أئمة كان مسجونا فأطلقه . ولما جاء خبر موت أبيه بمكة كما تقدم ، كتم الأمر يومين ثم روى في الناس يوم الخميس الصلاة جامعة ، فقام فيهم خطيباً فأعلمهم بموت أبيه وقال : إن أمير المؤمنين دعي فأجاب ففند الله أحقائب أمير المؤمنين وأستبينه على خلافة المسلمين . ثم بايعه الناس بالخلافة يومئذ . وقد عزاه أبو دلالة وهناء في قصيدته له يقول فيها : -

عيناي واحدة ترى مسرورة * بأمرها جفلا وأخرى تنرف
تبكي وتضحك تارة ويسرها * ما أنكرت ويسرها ما تنرف
فيسوها موت الخليفة محرماً * ويسرها أن قام هذا الأراف
ما إن رأيت كما رأيت ولا أدري * شراً أرجله وآخر يفتف
هلك الخليفة يال أمة أحمد * وأناكم من بعده من يخلف
أهدى لهذا الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخر

وقد قال المهدي يوماً في خطبة : أيها الناس أسروا مثلاً تملتون من طاعتنا تنكم المافية ، وتحمدوا الماقبة ، واخضعوا جناح الطاعة لمن ينشر ممدته فيكم ، ويطوى ثوب الاصر عنكم ، وأهال عليكم السلامة ولين الميثة من حيث أراه الله ، فمما ذلك على فضل من تقدمه ، والله لأعفين عررى من عقوبتكم ، ولأحلن نفسي على الاحسان إليكم . قال : فأشرقت وجوه الناس من حسن كلامه . ثم استخرج حواصل أبيه من الذهب والفضة التي كانت لا تعد ولا توصف كثرة ، ففرقها

في الناس ، ولم يسل أهله ومواليه منها شيئاً ، بل أجرى لهم أرزاقاً بحسب كفايتهم من بيت المال ، لكل واحد خمسمائة في الشهر غير الأعطيات . وقد كن أبوه حريصاً على توفير بيت المال ، وإنما كان ينفق في السنة ألفي درهم من مال السراة . وأمر المهدي ببناء مسجد الرصافة وعمل خندق وسور حولها ، وبني مدناً ذكرناها فيما تقدم .

وذكر له عن شريك بن عبد الله التفاضي أنه لا يرى الصلاة خلفه ، فأحضره فنكلم معه ثم قال له المهدي في جملة كلامه : يا ابن الزانية ! فقال له شريك : مه مه يا أمير المؤمنين . فلقد كانت صوامع قومة . فقال له : يا زنديق لأقتلك . فضحك شريك ، وقال : يا أمير المؤمنين إن الزنادقة علامات يعرفون بها ، شربهم القهوات ، واتخاذهم القينات . فأطرق المهدي وخرج شريك من بين يديه . وذكروا أنه هاجت ريح شديدة ، فدخل المهدي بيتاً في داره فألقى خده بالقرب وقال : اللهم إن كنت أنا المطلوب بهذه العقوبة دون الناس فما أناذا بين يديك ، اللهم لا تشمت بي الأعداء من أهل الأديان . فلم يزل كذلك حتى اتعبت . ودخل عليه رجل يوماً ومعه نمل فقال : هذه نمل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك . فقال : هاتها ، فنالوه إياها ، وقبلها ووضعها على عيفيه وأمر له بشرة آلاف درهم . فلما انصرف الرجل قال المهدي : والله إني لأعلم أن رسول الله ﷺ لم ير هذه النمل ، فضلاً عن أن يلبسها ، ولكن لو رددته لذهب يقول الناس : أهديت إليه نمل رسول الله ﷺ فردها على ، فتصدقه الناس ، لأن العامة تميل إلى أمثالها ، ومن شأنهم نصر الضعيف على القوى وإن كان ظالماً ، فاشترينا لسانه بشرة آلاف درهم ، ورأينا هذا أرجع وأصلح .

واشتهر عنه أنه كان يحب اللعب بالحمام والسباق بينها ، فدخل عليه جماعة من المحدثين فيهم عتاب بن إبراهيم فحدثه بحديث أبي هريرة : « لاصبق إلا في خف أو نعل أو حافر » . وزاد في الحديث « أو جناح » فأمر له بشرة آلاف . ولما خرج قال : والله إني لأعلم أن عتاباً كذب على رسول الله ﷺ . ثم أمر بالحمام فذبح ولم يذكر عتاباً بعدها . وقال الواقدي : دخلت على المهدي يوماً فحدثته بأحاديث فكتبها عني ثم قام فدخل بيوت نسائه ثم خرج وهو ممتلئ غيظاً فقالت : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : دخلت على الخيزران فقالت لي ومزقت ثوبي وقالت : ما رأيت منك خيراً ، وإني والله يا واقدي إنما اشتريتها من نخاس ، وقد قالت عندي ما قالت ، وقد بايت لولديها بأمر المؤمنين من بمدى . فقالت : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قال : « إنهن يئلين الكرام ويئلين الأثام » . وقال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله » ، وقد خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومه كسرتة . وحدثته في هذا الباب بكلام حضري . فأمر لي بألفي دينار ، فلما وافيت المنزل إذا رسول الخيزران قد لحقني بألفي دينار إلا عشرة دنانير ، وإذا معه أثواب أخر ، وبشت تشكرني وتثني على معروفها .

وذكروا أن المهدي كان قد أهدى رجل من أهل الكوفة وجعل لمن جاء به مائة ألف ، فدخل الرجل بغداد منتكراً فلقبه رجل فأخذ بجميع ثوبه ونادى : هذا طلبه أمير المؤمنين . وجعل الرجل يريد أن ينفلت منه فلا يقدر ، فبيناهما ، يتجاذبان وقد اجتمع الناس عليهما ، إذ مر أمير في موكبه - وهو ممن بن زائدة - فقال الرجل : يا أبا الوليد خائف مستجير . فقال ممن : ويك مالك وله ؟ فقال هذا طلبه أمير المؤمنين ، جعل لمن جاء به مائة ألف . قال ممن : أما علمت أنني قد أجرته ؟ أرسله من يدك . ثم أمر بعض غلمانه فترجل وأركبه وذهب به إلى منزله ، وانطلق ذلك الرجل إلى باب الخليفة وأنهى إليهم الخبر ، فبلغ المهدي فأرسل إلى ممن فنخل عليه فسلم فلم يرد عليه السلام وقال : يا ممن أبلغ من أمرك أن تجير علي ؟ قال : نعم قال : ونعم أيضا قال : نعم ! قد قتلت في دولتك أربعة آلاف مصل فلا يحار لي رجل واحد ؟ فأطرق المهدي ثم رفع رأسه إليه وقال : قد أجرنا من أجزت يا ممن . فقال : يا أمير المؤمنين إن الرجل ضعيف ، فأمر له بثلاثين ألفا . فقال : إن جريته عظيمة وإن جوائز الخلفاء على قدر جرائم الرعية . فأمر له بمائة ألف ، فحملت بين يدي ممن إلى ذلك الرجل ، فقال له ممن : خذ المال وادع لأمر المؤمنين وأصلح نيتك في المستقبل .

وقسم المهدي مرة البصرة فخرج ليصل بالناس فجاء أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين مر هؤلاء فليقتلوني حتى أؤوضاً - يعني المودنين - فأمرهم بانتظاره ، ووقف المهدي في الحراب لم يكبر حتى قيل له هذا لأعرابي قد جاء . فكبر ، فتمج الناس من ساحة أخلاقه . وقسم أعرابي ومعه كتاب مختم فجعل يقول : هذا كتاب أمير المؤمنين إلى ، أين الرجل الذي يقال له الربيع الحاجب ؟ فأخذ الكتاب وجاء به إلى الخليفة وأوقف الأعرابي وفتح الكتاب فإذا هو قطعة أديم فيها كتابة ضعيفة ، والأعرابي يزعم أن هذا خط الخليفة ، فتبسم المهدي وقال : صدق الأعرابي ، هذا خطي ، إلى خرجت يوماً إلى الصيد فضمت عن الجيش وأقبل الليل فتعذبت بتعذيب رسول الله ﷺ فرجع لي ناز من بعيد فقصتها فإذا هذا الشيخ وامرأته في خباء يوقدان ناراً ، فسلمت عليهما فردا السلام وفرش لي كساء وسقاني منقة من لبن مشوب بهاء ، فما شربت شيئاً إلا وهى أطيب منه ، وغت نومة على تلك المباءة ما أذكر أنني تمت أحلى منها . فقام إلى شوية له فلقبها فسمعت امرأته تقول له : عمدت إلى مكسبك ومميشة أولادك فنبهتها ، هلكت نفسك وعيالك . فما التفت إليها ، واستيقظت فاشتريت من لحم تلك الشوية وقلت له : أعنتك شيء أكتب لك فيه كتاباً ؟ فألقى جهنم القطعة فكتبت له بعد من ذلك الرماد خمسمائة ألف ، وإما أردت خمسين ألفاً ، والله لا أفننها لك كلها ولو لم يكن في بيت المال سواها . فأمر له بخمسمائة ألف فقبضها الأعرابي واستمر مقبلاً في ذلك الموضع في طريق الحاج من ناحية الأنبار ، فجعل يقرى الضيف ومن مر به من الناس ، فعرف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي .

وعن سوار - صاحب رجة سوار - قال : انصرفت يوماً من عند المهدي فجت منزلي فوضع لي الغداء فلم تقبل فغضب علي ، فخلعت خلوتي لأنام في القاعة فلم يأخذني نوم ، فاستدعيت بعض حظاي لم تأتلي بها فلم تنبسط فغضب عليا ، فتهضت فخرجت من المنزل وركبت بغلتي فاجاوزت الدار إلا قليلا حتى لقيت رجلا ومعه ألفا درهم ، قلت : من أين هذه ؟ قال : من ملكك الجديد . فاستصحبته معي وسرت في أزقة بغداد لأتشاغل عما أنا فيه من الضجر ، فغانت صلاة المصير عند مسجد في بعض الحارات ، فزلت لأصلي فيه ، فلما قضيت الصلاة إذا برجل أعشى قد أخذ بثيابي فقال : إن لي إليك حاجة ، قلت : وما حاجتك ؟ قال : إني رجل ضريب ولكنني لما شمت رائحة طيبك ظننت أنك من أهل النعمة والثروة ، فأحببت أن أفضي إليك بما جئني . قلت : وما هي ؟ قال : إن هذا القصر الذي تجاه المسجد كان لأبي فساقر منه إلى خراسان فباعه وأخذني معه وأنا صغير ، فافترقنا هناك وأصابني آفة الضرر ، فرجنا إلى بغداد بعد أن مات أبي ، فجت إلى صاحب هذا القصر أطلب منه شيئا أتبلغ به لعل أجمع بسوار ، فانه كان صاحباً لأبي ، فله أن يكون عنده سعة يجوز منها علي . قلت : ومن أبوك ؟ قد ذكر رجلا كان أحب الناس إلي ، قلت : إني أنا سوار صاحب أبيك ، وقد منعتني الله يومك هذا النوم والقرار والأكل والراحة حتى أخرجني من منزلي لأجتمع بك ، وأجلسني بين يديك ، وأمرت وكيلي فدفع له الألفي درهم التي معه ، وقلت له : إذا كان الغد فأت منزلي في مكان كذا وكذا . وركبت فجت دار الخلافة وقلت : ما أعجب المهدي الليلة في السر بأعرب من هذا . فلما قصصت عليه القصة تعجب من ذلك جداً وأمر لذلك الأعمى بأنني دينار ، وقال لي : هل عليك دين ؟ قلت نعم ! قال : كم ؟ قلت : خمسون ألف دينار . فسكت وحادثني ساعة ثم لما قت من بين يديه فوصلت إلى المنزل إذا الخالون قد سبقوني بخمسين ألف دينار وألني دينار للأعمى ، فانتظرت الأعمى أن يجيء في ذلك اليوم فتأخر فلما أمسيت عدت إلى المهدي فقال : قد فكرت في أمرك فوجدتك إذا قضيت دينك لم يبق ملك شيء ، وقد أمرت لك بخمسين ألف دينار أخرى . فلما كان اليوم الثالث جاءني الأعمى فقلت : قد رزقني الله بسببك خيراً كثيراً ، ودفعت له الألفي الدينار التي من عند الخليفة وزدته ألفي دينار من عندي أيضاً .

ووقت امرأة للمهدي فقالت : يا عصبية رسول الله اقض حاجتي . فقال المهدي : ما معتك من أحد غيرها ، اقضوا حاجتها واعطوها عشرة آلاف درهم . ودخل ابن الخياط على المهدي فامتدحه فأمر له بخمسين ألف درهم فزحها ابن الخياط وأنشأ يقول :-

أخنت بكفى كنه أبنتي الفتى • ولم أد أن الجود من كنه يمدى

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الفتى • أفنت وأعدائي فبدت ماعندي

قال : فبايع ذلك المهدي فأعطاه بديل كل درهم ديناراً . وبالجملة فإن للمهدي مآثر وعجائب كثيرة ، وقد كانت وفاته بما سيذنان ، كان قد خرج إليها ليعث إلى ابنه الهادي ليحضر إليه من جرجان حتى يحمله من ولاية العهد ويجهله بعد هارون الرشيد ، فاستمتع الهادي من ذلك ، فركب المهدي إليه فأصداً لحضاره ، فلما كان بماسبينان ملت بها . وكان قد رأى في النوم وهو بقصره ببغداد المسمى بقصر السلامة - كان شيئاً وقف يبلب القصر ، وقال إنه سمع هاتفاً يقول : -

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة * وملك إلى قبر عليه جنازله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه * تنادى عليه معولات حلائله
فأعش بعدها إلا عشراً حتى مات . وروى أنه لما قال له الهاتف : -

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وقد درست أعلامه ومنازله
فأجابه المهدي : كذاك أمور الناس يلبى جديدها * وكل فتى يوما ستبلى فضائله
فقال الهاتف : تزود من الدنيا فانك ميت * وإنك مسئول فما أنت قائمه
فأجابه المهدي : أقول بأن الله حق شهادته * وذلك قول ليس تحصى فضائله
فقال الهاتف : تزود من الدنيا فانك راحل * وقد أرف الأمر القى بك نازل
فأجابه المهدي : متى ذاك خبرني هديت فاني * سأفعل ما قد قلت لي وأعاجله
فقال الهاتف : تلبث ثلاثاً بعد عشرين ليلة * إلى منتهى شهر وما أنت كلمه
قالوا : فلم يمش بعدها إلا تسعاً وعشرين يوماً حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير اختلافاً في سبب موته ، فقيل إنه ساق خلف ظلي والكلاب بين يديه فدخل الظلي إلى خربة فدخلت الكلاب وراءه وجاء الفرس فجعل يمشوا به فدخل الخربة فسكر ظهروه ، وكانت وفاته بسبب ذلك . وقيل إن بعض خطايه بعث إلى أخرى لبنا مسموماً فرأى الرسول بالمهدي فأكل منه فمات . وقيل بل بعث إليها بصفيية فيها الكثرى وفي أعلاها واحدة كبيرة مسمومة ، وكان المهدي يحب الكثرى ، فمرت به الجارية ومعه تلك الصفيية فأخذ التي في أعلاها فأكلها فمات من ساعته ، فجمعت الحظية تنده وتقول : وأمر المؤمنين ، أردت أن يكون لي وحدي فتنتله يدي . وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة - أعني سنة تسع وستين ومائة - وله من العمر ثلاث وأربعون سنة على المشهور ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً وكسوراً ، وورثه الشعراء برأى كثيرة قد ذكرها ابن جرير وابن عساكر .

وفيهما توفي عبيد الله بن زياد ، ونفع بن عمر الجعي ، ونافع بن أبي نعيم القاري .

(خلافة موسى الهادي بن المهدي)

توفي أبوه في المحرم من أول سنة تسع وستين ومائة وكان ولي العهد من بعد أبيه ، وكان أبوه قد عزم قبل موته على تقديم أخيه الرشيد عليه في ولاية العهد ، فلم يتفق ذلك حتى مات المهدي بماسبهان . وكان الهادي إذ ذاك بمجرجان ، فهم بعض الدولة منهم الربيع الحالب وطائفة من القواد على تقديم الرشيد عليه والمباينة له ، وكان الرشيد حاضراً ببغداد ، وعزموا على الثقة على الجند لذلك تنفيذاً لما رآه المهدي من ذلك . فأسرع الهادي السير من جرجان إلى بغداد حين بلغه الخبر ، فساق منها إليها في عشرين يوماً ، فدخل بغداد وقام في الناس خطيباً ، وأخذ البيعة منهم فبايعوه ، وتقيب الربيع الحالب فطلبه الهادي حتى حضر بين يديه ، ففعا عنه وأحسن إليه وأقره على حجو بيته ، وزاده الوزارة وولايات أخر . وشرع الهادي في طلب الزنادقة من الأفاق قتل منهم طائفة كثيرة ، واقتدى في ذلك بأبيه ، وقد كان موسى الهادي من أفكك الناس مع أصحابه في الخلوة ، فإذا جلس في مقام الخلافة كانوا لا يستطيعون النظر إليه ، لما يعلوه من المهابة والرياسة ، وكان شاباً حسنًا وقوراً مهيئاً .

وفها - أثنى سنة تسع وستين ومائة - خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وذلك أنه أصبح يوماً وقد لبس البياض وجلس في المسجد النبوي ، وجاء الناس إلى الصلاة فلما رأوه ولوا راجعين ، والتف عليه جماعة فبايعوه على الكتاب والسنة والرضى من أهل البيت . وكان سبب خروجه أن متولياً خرج منها إلى بغداد ليهنئ الخليفة بالولاية ويمزيه في أبيه . ثم جرت أمور اقتضت خروجه ، والتف عليه جماعة وجعلوا مأوام المسجد النبوي ، ومنعوا الناس من الصلاة فيه ، ولم يحبه أهل المدينة إلى ما أرادوه ، بل جعلوا يدعون عليه لأنها كه المسجد ، حتى ذكر أنهم كانوا يقترون في جنبات المسجد ، وقد اقتبلوا مع المسودة مرات قتل من هؤلاء وهؤلاء . ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها إلى زمن الحج ، فبث إليه الهادي جيشاً قاتلوه بعد فراغ الناس من الموسم قتلوه وقتلوا طائفة من أصحابه ، وهرب بقيتهم وفرقوا شذروهم . فكان مدة خروجه إلى أن قتل تسعة أشهر وعثمانية عشر يوماً ، وقد كان كريماً من أجود الناس ، دخل يوماً على المهدي فأطلق له أربعين ألف دينار فرقها في أهله وأصدقائه من أهل بغداد والكوفة ، ثم خرج من الكوفة وما عليه قميص ، إنما كان عليه فروة وليس تحتها قميص .

وفها حج بالناس سليمان بن أبي جعفر عم الخليفة . وغزا الصائفة من طريق درب الراهب مستوفق بن يحيى في جعل كثيف ، وقد أقبلت الروم مع بطريقها فبليتوا الحدث . وفيها توفي الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب قتل في أيام التشريق كما تقدم .

والربيع بن يونس الخالج مولى المنصور ، وكان حاجبه ووزيره ، وقد وزر للهدى والمهادى ، وكان بعضهم يظن في نسبة . وقد أورد الخطيب في ترجمته حديثاً من طريقه ولكنه منكر ، وفي صحته عنه نظر . وقد ولى الحجورية بعده وله الفضل بن الربيع ، ولاء إياها المهادى .

(ثم دخلت سنة سبعين ومائة من الهجرة النبوية)

وفيهما عزم المهادى على خلع أخيه هارون الرشيد من الخلافة ولاية العهد لابنه جعفر بن المهادى فاقاد هارون لذلك ولم يظهر منازعة بل أجاب ، واستدعى المهادى جماعة من الأمراء فأجابوه إلى ذلك ، وأبى ذلك أمهما الخيزران ، وكانت تميل إلى ابنها هارون أكثر من موسى ، وكان المهادى قد منعها من التصرف في شيء من المملكة لذلك ، بعدما كانت قد استحوذت عليه في أول ولايته ، واقتلبت الدول إلى بابها والأمراء إلى جنبها ، خلف المهادى لثن عاد أمير إلى بابها ليضرب عنقه ولا يقبل منه شفاعاً ، فامتنعت من الكلام في ذلك ، وحلفت لا تكلمه أبداً ، وانتقلت عنه إلى منزل آخر . وألح هو على أخيه هارون في الخلع وبش إلى يحيى بن خالد بن برمك . وكان من أكبر الأمراء القين هم في صف الرشيد . فقال له : ماذا ترى فيما أريد من خلع هارون وتولية ابني جعفر ؟ فقال له خالد : إني أخشى أن تهون الأيمان على الناس ، ولكن المصلحة تقتضى أن تميل جعفرأ ولى العهد من بعد هارون ، وأيضاً فإني أخشى أن لا يجيب أكثر الناس إلى البيعة لجعفر ، لأنه دون البلوغ ، فيفتاقم الامر ويختلف الناس . فأطرق ملياً . وكان ذلك ليلاً . ثم أمر بسجنه ثم أطلقه . وجاء يوماً إليه أخوه هارون الرشيد فجلس عن يمينه بعيداً ، فجعل المهادى ينظر إليه ملياً ثم قال : يا هارون ! تطمع أن تكون ولياً للعهد حقاً ؟ فقال : إني والله ، ولئن كان ذلك لأصلن من قطعت ، ولأنصف من ظلمت ، ولأوزجن بنيك من بناتى . فقال ذاك الظن بك . فقام إليه هارون ليقبل يده فلف المهادى ليجلس معه على السرير فجلس معه ، ثم أمر له بألف ألف دينار ، وأن يدخل الخزانة فيأخذ منها ما أراد ، وإذا جاء الخراج دفع إليه نصفه . فعزل ذلك كله ورضى المهادى عن الرشيد . ثم سافر المهادى إلى حديقة الموصل بعد الصلح ، ثم عاد منها فلت بميساباذ ليلة الجمعة لث نصف من ربيع الأول ، وقيل لآخر سنة سبعين ومائة ، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة ، وكانت خلافته ستة أشهر ^(١) وثلاثة وعشرون يوماً . وكان طويلاً جميلاً ، أبيض ، بشفته العليا تخلص . وقد توفى هذه الليلة خليفة وهو المهادى ، وولى خليفة وهو الرشيد ، وولد خليفة وهو المأمون بن الرشيد . وقد قالت الخيزران أمهما في أول الليل : إنه بلغنى أن يولد خليفة ويموت خليفة ويولى خليفة . يقال إنها سمعت ذلك من الأوزاعي قبل ذلك بمدة ، وقد سرها ذلك جداً . ويقال : إنها

(١) في المصرية : سنة وثلاثة وعشرين يوماً .

تمت ولها الهادي خواتمه على ابنها الرشيد ، ولأنه كان قد أبغها وأقصاها وقرب حظيته خالصة وأدناها لله أعلم .

﴿ وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي ﴾

هو موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو محمد الهادي . ولي الخلافة في محرم سنة تسع وستين ومائة . ومات في النصف من ربيع الأول أو الآخر سنة سبعين ومائة ، وله من العمر ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل ست وعشرون سنة ، والصحيح الأول ، ويقال إنه لم يل الخلافة أحد قبله في سنه ، وكان حسنًا جميلًا طويلًا ، أبيض ، وكان قوي البأس شيب على الدابة وعليه درعان ، وكان أبوه يسميه ريمحاني . ذكر عيسى بن دأب قال : كنت يومًا عند الهادي إذ جئ بطست فيه رأس جارتين قد ذبحا وقطعا ، لم أر أحسن صوراً منهما ، ولا مثل شعورهما ، وفي شعورهما اللآلئ والجواهر منضدة ، ولا رأيت مثل طيب ريمحما . فقال لنا الخليفة : أتدرون ما شأن هاتين ؟ قلت : لا . قال : إنه ذكر أنه تركب إحداهما الأخرى يغلان الفاحشة ، فأمرت الخادم فرصدتهما ثم جاءني فقال : إنيما مجتمعتان ، فنجت فوجدتهما في لحاف واحد وهما على الفاحشة ، فأمرت بحرقهما . ثم أمر برفع رؤسهما من بين يديه ورجع إلى حديثه الأول كأنه لم يصنع شيئاً . وكان شهماً خبيراً بالملك كريماً ، ومن كلامه : ما أصلح الملك بمثل تمجيل القوبة للجنائي ، والنفو عن الزلات ، ليقط الطمع عن الملك . وغضب يوماً على رجل فاسترضى عنه فرضى ، فشرع الرجل يمتدح الهادي : إن الرضا كفك مؤنة الاعتذار . وعزى رجلاً في ولده فقال له : سررك وهو عدو وقتنة ، وساءك وهو صلاة ورحمة . وروى الزبير بن بكار أن مروان بن أبي حفصة أنشد الهادي قصيدة له منها قوله : -

تشابه يوماً بأسه ونواله * فإأحد يدري لأيهما الفضل

قال له الهادي : أيما أحب إليك ؟ فلاون ألفاً معجلة أو مائة ألف تدور في الدواوين ؟ قال : يا أمير المؤمنين أو أحسن من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : تكون ألفاً معجلة ومائة ألف تدور بالدواوين . قال الهادي : أو أحسن من ذلك ، فمعجل الجميع لك . فأمر له بمائة ألف وثلاثين ألفاً معجلة . قال الخطيب البغدادي : حدثني الأزهرى ثنا سهل بن أحمد الديباجي ثنا الصولي ثنا الغلابي حدثني محمد بن عبد الرحمن التميمي المكي حدثني المطلب بن عكاشة المزني قال : قمنا على أبي محمد الهادي شهوداً على رجل منا أنه شتم قريشاً وتخطى إلى رسول الله ﷺ ، فجلس لنا مجلساً أحضر فيه قهراً أهل زمانه ومن كان بالحضرة على بابه ، وأحضر الرجل وأحضرنا فشهدنا عليه بما سمعنا منه . فتغير وجه الهادي ثم نكس رأسه ثم رضمه ثم قال : إني سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور

عن أبيه على بن عبد الله بن عباس قال : من أهان قريشاً أهانه الله ، وأنت يا عبد الله لم ترض بأن
أذيت قريشاً حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله ﷺ ؟ اضر بوا عنقه . فإبرحنا حتى قتل .

توفي الهادي في ربيع الأول من هذه السنة ، وصلى عليه أخوه هارون ، ودفن في قصر بناء
وسماه الأبيض بميساباذ من الجانب الشرقي من بغداد ، وكان له من الولد تسعة ، سبعة ذكور وابنتان ،
فالح كور جعفر ، وعباس ، وعبد الله ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وسليمان ، وموسى الأعشى ، الذي ولد
بعد وفاته فسمى بأبيه . والبنتان هما أم عيسى التي تزوجها المأمون ، وأم العباس تلقب توبة .

(خلافة هارون الرشيد بن المهدي)

بويح له بإخلافة ليلة مات أخوه ، وذلك ليلة الجمعة لثلاثين من ربيع الأول سنة سبعين ومائة
وكان عمر الرشيد يومئذ ثلثين سنة ، فبث إلى يحيى بن خالد بن برمك فأخرجهم من السجن ،
وقد كان الهادي عزم تلك الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد ، وكان الرشيد ابنه من الرضاة ،
فولاه حينئذ الوزارة ، وولى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الأمان . وكان هو الذي قام خطيباً
بين يديه حتى أخذت البيعة له على المنبر بميساباذ ، ويقال إنه لما مات الهادي في الليل جاء يحيى
ابن خالد بن برمك إلى الرشيد فوجده نائماً فقال : قم يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : كم تروني ،
لو حملك هذا الرجل لكان ذلك أكبر ذنوبي عنده ؟ فقال : قد مات الرجل . فجلس هارون فقال :
أشر على في الولايات . فجل يذكر ولايات الأقاليم لرجال يسبهم فيولهم الرشيد ، فبينما كذلك إذ
جاء آخر فقال : أبشراً يا أمير المؤمنين قد ولد لك الساعة غلام . فقال : هو عبد الله وهو المأمون . ثم
أصبح فصلى على أخيه الهادي ، ودفنه بميساباذ ، وحلف لا يصلي الظهر إلا ببغداد . فلما فرغ من
الجنائزة أمر بضرب عنق أبي عصمة القائد لأنه كان مع جعفر بن الهادي ، فزاحوا الرشيد على جسر
فقال أبو عصمة : أصبر وقف حتى يجوز لي المهدي . فقال الرشيد : السمع والطاعة للأمير . فجاز
جعفر وأبو عصمة وقف الرشيد مكسوراً ذليلاً . فلما ولي أمر بضرب عنق أبي عصمة ، ثم سار إلى
بغداد . فلما انتهى إلى جسر بغداد استدعى بالتواصين فقال إني سقطت مني ههنا خاتم كان والدي
المهدي قد اشتراه لي بمائة ألف ، فلما كان من أيام بئس إلى الهادي يطلبه فألقته إلى الرسول فسقط
ههنا . فخاص التواصون وراءه فوجدوه فسر به الرشيد سروراً كثيراً . ولما ولي الرشيد يحيى بن
خالد الوزارة قال له : قد فوضت إليك أمر الرعية وخلفت ذلك من عنقي وجملته في عنقك ، فوال
من رأيت وأعزل من رأيت . ففى ذلك يقول إبراهيم بن الموصلي : —

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة • فلما ولي هارون أشرق نورها

بين أمين الله هارون ذي الندى • فهارون واليها ويحيى وزيرها

ثم إن هارون أمر يحيى بن خالد أن لا يقطع أمراً إلا بمشاورة والدهته الخيزران . فكانت هي المشاورة في الأمور كلها ، فحرم وتحل وتمضى وبُحِمَ .

وفيهما أمر الرشيد بسهم ذوى القربى أن يقسم بين بنى هاشم على السواء . وفيها تتبع الرشيد خلقاً من الزنادقة قاتل منهم طائفة كثيرة . وفيها خرج عليه بعض أهل البيت . وفيها ولد الأمين محمد بن الرشيد ابن زبيدة . وذلك يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة . وفيها كل بناء مدينة طرسوس على يدى فرج الخادم التركى ونزلها الناس . وفيها حج بالناس أمير المؤمنين الرشيد ، وأعطى أهل الحرمين أموالاً كثيرة ، ويقال إنه غزا في هذه السنة أيضاً . وفي ذلك يقول داود بن رزين الشاعر : —

بهارون لاح النور في كل بلدة • وقام به في عدل سيرته التهج
إمام بذات الله أصبح شغله • وأكث ما يبنى به الفزو والحج
تضيق عيون الناس عن توجوه • إذا ما بدا للناس منظره البليج
وإن أمين الله هارون ذا الندى • فيل ألقى برجوه أضعاف ما يرجو
وغزا الصائفة فيها سليمان بن عبد الله البكائي .

(ذكر من توفى فيها من الأعيان)

الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم أبو عبد الرحمن الفراهيدى ، ويقال الفرهودى الأزدى ، شيخ النحاة ، وعنه أخذ سيدييه والنضر بن شميل ، وغير واحد من أكابرهم ، وهو الذى اخترع علم العروض . قسمه إلى خمس دوائر ورفعه إلى خمسة عشر بحراً ، وزاد الأخفش فيه بحراً آخر وهو الغلب ، وقد قال بعض الشعراء : —

قد كان شعر الورى صحيحاً • من قبل أن يخلق الخليل
وقد كان له معرفة بعلم النعم ، وله فيه تصنيف أيضاً ، وله كتاب العين في اللغة ، ابتدأه وأكمله النضر بن شميل وأضرابه من أصحاب الخليل ، كزورج السدوسى ، ونضر بن على الجهمضى . فلم يناسبوا ما وضعه الخليل . وقد وضع ابن درستويه كتاباً وصف فيه ما وقع لهم من الخلل فأطاد . وقد كان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً وقوراً كاملاً ، وكان متقللاً من الدنيا جداً ، صبوراً على خشونة العيش وضيقه ، وكان يقول : لا يجاوز همى ما وراء يافى ، وكان ظريفاً حسن الخلق ، وذكر أنه اشتغل رجل عليه في العروض وكان يبيد القهن فيه ، قال قلت له يوماً : كيف تقطع هذا البيت ؟

إذا لم تستطع شيئاً فدعه • وجاوزه إلى ما تستطيع
فشرع معى في قطعيه على قدر معرفته ، ثم إنه نهض من عندى فلم يمد إلى ، وكأنه فهم ما أشرت

إليه . ويقال إنه لم يسم أحد بعد النبي ﷺ بأحد سوى أبيه . روى ذلك عن أحمد بن أبي خيشمة والله أعلم . ولد انخليل سنة مائة من الهجرة ، ومات بالبصرة سنة سبعين ومائة على المشهور ، وقيل سنة ستين ، وزعم ابن الجوزي في كتابه شذور العقود أنه توفي سنة ثلاثين ومائة ، وهذا غريب جداً . والمشهور الأول .

وفيهما توفي الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كمال المرادي مولاهم ، المصري المؤدب راوية الشافعي ، وآخر من روى عنه . وكان رجلاً صالحاً فخر فيه الشافعي وفي البويطي والمزني وابن عبد الحكم العلم فوافق ذلك ما وقع في نفس الأمر . ومن شعر الربيع هذا :

صبراً جيلاً ما أسرع الفرجا * من صدق الله في الأمور نجاً

من خشى الله لم ينله أذى * ومن رجا الله كان حيث رجا

فأما الربيع بن سليمان بن داود الجيزي فإنه روى عن الشافعي أيضاً . وقد مات في سنة ست وخسين ومائتين والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة ﴾

فيها أضاف الرشيد الخاتم إلى يحيى بن خالد مع الوزارة . وفيها قتل الرشيد أباه زهرة محمد بن فروخ نائب الجزيرة صبراً في قصر الخلد بين يديه . وفيها خرج الفضل بن سعيد الحروري قتل . وفيها قدم روح بن حاتم نائب إفريقية . وفيها خرجت الخيزران إلى مكة فأقامت بها إلى أن شهدت الحج ، وكان الذي حج بالناس فيها عبد الصمد بن علي عم الخلفاء .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائة ﴾

فيها وضع الرشيد عن أهل العراق المشرقي كان يؤخذ منهم بعد النصف . وفيها خرج الرشيد من بغداد يرثاه موضعاً يسكنه غير بغداد ففشوش فرجع . وفيها حج بالناس يعقوب بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد . وفيها غزا الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة ﴾

فيها توفي بالبصرة محمد بن سليمان فأمر الرشيد بالاحتياط على حواصله التي تصلح للخلفاء ، فوجدوا من ذلك شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والأمتعة وغير ذلك ، فنضدوه ليستمان به على الحرب وعلى مصالح المسلمين . وهو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمه أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي ، وكان من رجال قريش وشجاعتهم . جمع له المنصور بين البصرة والكوفة ، وزوجه المهدي ابنته العلبسة ، وكان له من الأموال شيء كثير ، كان دخله في كل يوم مائة ألف . وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم ير مثله . وروى الحديث عن أبيه عن جده الأكبر ،

وهو حديث مرفوع في مسح رأس التقيم إلى مقدم رأسه ، ومسح رأس من له أب إلى مؤخر رأسه .
وقد وفد على الرشيد فهناك بخلالة فأكرمه وعظمه وزاده في عمله شيئا كثيرا . ولما أراد الخروج
خرج معه الرشيد يشيعه إلى كلوذا . توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وخمسين
سنة ، وقد أرسل الرشيد من اصطفى من ماله الصلوات فوجد له من الذهب ثلاثة آلاف ألف دينار ،
ومن الدرهم ستة آلاف ألف ، خارجا عن الأملاك .

وقد ذكر ابن جرير أن وفاته ووفاة الخيزران في يوم واحد ، وقد وقفت جارية من جواريه على
قبره فأنشأت تقول :

ألمسى التراب لمن هويت ميتا • ألقى التراب قل له حيننا

إنا نحبك يا تراب وما بنا • إلا كرامة من عليه حيننا

وفيها توفيت الخيزران جارية المهدي وأم أمير المؤمنين المهدي والرشيد ، اشتراها المهدي
وحظيت عنده جدا ثم أعنتها وتزوجها وولدت له خليفتين : موسى المهدي والرشيد . ولم يتفق هذا
لنهرها من النساء إلا الولادة بنت العباس العباسية ، زوجة عبد الملك بن مروان ، وهي أم الوليد
وسليمان . وكذلك لشاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد ، وولدت لمولاه الوليد بن عبد الملك : مروان
وإبراهيم . وكلاهما ولي الخلافة . وقد روى من طريق الخيزران عن مولاه المهدي عن أبيه عن
جده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « من اتقى الله وقاه كل شيء » . ولما عرضت الخيزران
على المهدي ليشتريها أعجبته بالإدقة في ساقها ، فقال لها : يا جارية إنك لعل غاية المنى والجمال لولا
دقة ساقك وخو شهما . قالت : يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما تكون إليهما لا تراهما . فاستحسن
جوابها واشترأها وحظيت عنده جدا . وقد حجت الخيزران مرة في حياة المهدي فكتبت إليها وهي
بمكة يستوحش لها ويقشوق إليها بهذا الشعر :-

نحن في غاية السرور ولكن • ليس إلا بكم ينم السرور

عيب مانع فيه يا أهل ودي • أنكم غيب ونحن حضور

فأجدها في السير بل إن قدرتم • أن تطيروا مع الرياح فطيروا

فأجابته أو أمرت من أجابه :

قد أتانا الذي وصفته من الشو • ق فكندا وما قدرنا نظير

ليت أن الرياح كن يؤدين • إليكم ما قد يكن الضمير

لم أزل صبة فإن كنت بمدى • في سرور فدلنا ذلك السرور

وذكروا أنه أهدى إليها محمد بن سليمان نائب البصرة الذي مات في اليوم الذي ماتت فيه مائة

وصيفة ، مع كل وصيفة جام من فضة مملوء مسكا . فكتبت إليه : إن كن ما بعثته ثمنا عن ظننا فيك
فظننا فيك أكثر مما بعثت ، وقد يحسنتا في الثمن ، وإن كنت تريد به زيادة المودة فقد أهتممتي في
المودة . وردت ذلك عليه . وقد اشترت الدار المشهورة بها بمكة المروقة بدار الخيزران ، فزادتها
في المسجد الحرام .

وكان مثل ضياعها في كل سنة ألف ألف وستين ألفا . واتفق موتها ببغداد ليلة الجمعة لثلاث
بقي من جمادى الآخرة من هذه السنة . وخرج ابنها الرشيد في جنازتها وهو حامل سربرها يحجب
في الطين . فلما انتهى إلى المقبرة أتى بهاء فضل رجله ولبس خفاً وصلى عليها ، ونزل لحدها . فلما
خرج من القبر أتى بسربر مجلس عليه واستدعى بالفضل بن الربيع فولاه الخاتم والتفات . وأنشد
الرشيد قول ابن نورية حين دفن أمه الخيزران :

وكنا كنتمائي جذبة برهة • من العمر حتى قيل لن يتصدقا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً • لطول اجتماع لم نبت ليلة مما

(غادر)

وفيهما توفيت :

جارية كانت لموسى الهادي ، كان يحبها حباً شديداً جداً ، وكانت تحسن الفناء جداً ، وفيها هي
يوماً ففنيها إذ أخذته فكرة فغيبته عنها وتغير لونه ، فسأله بعض الحاضرين : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟
فقال : أخذتني فكرة أتى أموت وأخى هارون يتولى الخلافة بعدى ويتزوج جاريته . فنداه
الحاضرون ودعوا له بطول العمر . ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع فوذه الرشيد من ذلك ،
فاستعطفه الهادي بالإيمان المنطق من الطلاق والعتاق والحج ماشياً حافياً أن لا يزوجها ، فحلف له
واستحلف الجارية كذلك فحلفت له ، فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات ، ثم خطبها الرشيد
فقال : كيف بالإيمان التي حلفناها أنا وأنت ؟ فقال : إني أكفر عني وعنك . فزوجها وحظيت عنده
جداً ، حتى كانت تلام في حجره فلا يتحرك خشية أن يرميها . وفيها هي ذات ليلة فائت إذ اقتبعت
منذورة تبكي ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين رأيت الهادي في منامي هذا وهو

يقول :

أخلفت عهدي بعد ما • جلوتُ سكان القابر

ونسيتي وحنث في • أيمانك الكذب الفجابر

ونكحت غلدة أخي • صدق الذي سلك غادر

أسميت في أهل البلى • وعدت في الموتى القوابر

لا يهنك الألف الجديد • ولا قدر عنك الدوائر

ولحقت بي قبل العبا • حوصرت حيث غدت صائر

قال لها الرشيد : أضأت أحلام . قالت : كلا والله يا أمير المؤمنين ، فكأنما كتبت هذه الآيات في قلبي . ثم ما زالت ترعد وتضطرب حتى ماتت قبل الصباح . وفيها ماتت :
 ﴿ هيلانه ﴾ جارية الرشيد ، وهو الذي سماها هيلانة لكثرة قولها هي لانه . قال الأصمعي : وكان لها محباً ، وكانت قبله لخالد بن يحيى بن برمك ، فدخل الرشيد يوماً منزله قبل الخلفة فاعترضته في طريقه وقالت : أماننا منك نصيب ؟ قال : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ قالت : استوهبني من هذا الشيخ . فاستوهبها من يحيى بن خالد فوهبها له وحظيت عنده ، ومكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها وكان من قوله فيها : —

قد قلت لما ضمنوك الثرى • وجالت الحسرة في صدري
 اذهب فلاق الله لا سرى • بمدك شيء آخر الدهر
 وقال العباس بن الأخنف في موتها :

يا من تباشرت القبور بموتها • قصد الزمان مساقي فرماك
 أبنى الأنيس فأرى لي مؤنساً • إلا التردد حيث كنت أراك
 قال : فأمر له الرشيد بأربعين ألفاً ، لكل بيت عشرة آلاف ، فله أعلم .
 ﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة من الهجرة النبوية ﴾

فيها وقعت عصابة بالشام ونحيط من أهلها . وفيها استقضى الرشيد يوسف ابن القاضي أبي يوسف وأبوه حي . وفيها غزا الصائفة عبد الملك بن صالح فدخل بلاد الروم . وفيها حج بالناس الرشيد ، فلما أقرب من مكة بلغه أن فيها وباء فلم يدخل مكة حتى كان وقت الوقوف وقف ثم جاء المزدلفة ثم منى ثم دخل مكة فطاف وسعى ثم ارتحل ولم ينزل بها .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة ﴾

فيها أخذ الرشيد بولاية العهد من بعده لولده محمد بن زبيدة وسماه الأمين ، وعمره إذ ذاك خمس سنين ، قال في ذلك سلم الخراسر :

قد وفق الله الخليفة إذ بنى • بيت الخلفة للجان الأزهر
 فهو الخليفة عن أبيه وجهه • شهدا عليه بمنظر وبمخبر
 قد بايع الثقلان في مهد الهدى • لمحمد بن زبيدة ابنة جفر

وقد كان الرشيد يتوسم النجابة والرجاحة في عبد الله المأمون ، ويقول : والله إن فيه حرم المنصور ، ونسك الهدى ، وعزة قس الهادي . ولوشئت أن أقول الرابعة مني قلت ، وإني لأقسم محمد بن زبيدة وإني لأعلم أنه متبع هواه ولكن لا أستطيع غير ذلك . ثم أنشأ يقول :

لقد بان وجه الرأى لى غير أنى • غلبت على الأمر القدى كن أحزما
وكيف يرد الدار فى الضرع بمدما • توزع حتى صار نهبا مقسا
أخلف التواء الأمر بمد استوائه • وأن ينقض الأمر القدى كن أبرما
وغزا الصافقة عبد الملك بن صالح ، فى قول الواقدى . وحج بالناس الرشيد . وفيها سار يحيى
ابن عبد الله بن حسن إلى الديلم وتحرك هناك . وفيها توفى من الأعيان .

(شعوانة العابدة الزاهدة)

كانت أمة سوداء كثيرة العبادة ، روى عنها كالت حسان ، وقد سأها الفضيل بن عياض الدعاء
فقال : أما بينك وبينه ما إن دعوته استجاب لك ؟ فشق الفضيل ووقع مغشيا عليه . وفيها توفى
(الليث بن سعد بن عبد الرحمن) الفهمى مولاهم . قال ابن خلكان : كان مولى قيس بن ربيعة
وهو مولى عبد الرحمن بن مسافر الفهمى ، كان الليث إمام الفيار المصرية بلا مدافعة ، وولد
بقرقشنة من بلاد مصر سنة أربع وتسعين . وكانت وفاته فى شعبان من هذه السنة ، ونشأ بالفيار
المصرية . وقال ابن خلكان : أصله من قرقشنة وضبطه بلامين الثانية متحركة . وحكى عن بعضهم
أنه كان جيد الفهم ، وأنه ولى القضاء بمصر فلم يحمدا ذهبه بعد ذلك ، ولد سنة أربع وعشرين
ومائة ، وذلك غريب جداً . وذكروا أنه كان يدخله من ملكه فى كل سنة خمسة آلاف دينار .
وقال آخرون : كان يدخله من الفقة فى كل سنة ثمانون ألف دينار ، وما وجبت عليه زكاة ، وكان
إماماً فى الفقه والحديث والعربية . قال الشافى : كان الليث أقفه من مالك إلا أنه ضيعه أحمابه .
وبعث إليه مالك يستهديه شيئاً من المصفر لأجل جهاز ابنته ، فبعث إليه بثلاثين حملاً ، فاستعمل
منه مالك حاجته وباع منه بخمسة دنانير ، وبقيت عنده منه بقية . وحج مرة فأهدى له مالك طبقاً
فيه رطب فرد الطبق وفيه ألف دينار . وكان يهب للرجل من أحمابه من الملاء الألف دينار وما
يقارب ذلك . وكان يخرج إلى الاسكندرية فى البحر هو وأحمابه فى مركب ومطبخه فى مركب .
ومناقبه كثيرة جداً . وحكى ابن خلكان أنه سمع قائلاً يقول يوم مات الليث :

ذهب الليث فلا ليث لكم • ومضى العلم غريباً وقبر
فالتفتوا فلم يروا أحداً . وفيها توفى :

(المنبر بن عبد الله بن المنبر)

القرشى ، عرض عليه المهدي أن يلى القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم ، فقال : إني
عاهدت الله أن لا ألى شيئاً ، وأعيد أمير المؤمنين بالله أن أخيس بهدى . فقال له المهدي : الله ؟
قال : الله . قال : انطلق قد أعفيتك .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة ﴾

فيها كان ظهور يحيى بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب بيلاد الديلم ، واتبعه خلق كثير وجم غفير ، وقويت شوكته ، وارتحل إليه الناس من السكور والأمصار ، فارتفع لذلك الرشيد وقلق من أمره ، فذهب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين ألفاً ، وولاه كور الجبل والري وجرجان وطبرستان وقومس وغير ذلك . فسار الفضل بن يحيى إلى تلك الناحية في أبهة عظيمة ، وكتب الرشيد تلحقه مع البرد في كل منزلة ، وأنواع التحف والبر ، وكتب الرشيد صاحب الديلم ووعده بألف درهم إن هو سهل خروج يحيى إليهم ، وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يبعده ويمنه ويؤمله ويرجيه ، وأنه إن خرج إليه أن يقيم له المنذر عند الرشيد . فامتنع يحيى أن يخرج إليهم حتى يكتب له الرشيد كتاب أمان بيده . فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك ففرح الرشيد ووقع منه موقعا عظيما . وكتب الأمان بيده وأشهد عليه القضاة والعقهاء ومشيخة بني هاشم ، منهم عبد الصمد بن علي ، وبعث الأمان وأرسل معه جوائز وتحفا كثيرة إليهم ، ليدفخوا ذلك جيمه إليه . فقبلوا وسلمه إليه فسخلوا به بغداد ، وتلقاه الرشيد وأكرمه وأجرل له في المطاء ، وخدمه آل برمك خدمة عظيمة ، بحيث إن يحيى بن خالد كان يقول : خدمته بنفسى وولسى : وعظم الفضل عند الرشيد جداً بهذه الغلة حيث سعى بالصلح بين العباسيين والفاطميين ، ففي ذلك يقول مروان ابن أبي حفصة يمدح الفضل بن يحيى ويشكره على صنيعه هذا :

ظفرت فلا شلت يد برمكية • رقت بها الفتق القى بين هاشم
على حين أعياء الراغبين الثلثة • فكفوا وقالوا ليس بالسلام
فأصبحت قد فازت يدك بخطة • من المجد باق ذكرها في المواسم
وما زال قبح الملك يخرج ثائراً • لكم كلا ضمت قداح المسام

قالوا : ثم إن الرشيد تنكر ليحيى بن عبد الله بن حسن وتغير عليه ، وقال : إنه سجنه ثم استحضره وعنده جماعت من الهاشمين ، وأحضر الأمان القى بعث به إليه فسأل الرشيد محمد بن الحسن عن هذا الأمان أصبح هو ؟ قال : نعم ! فخطب الرشيد عليه . وقال أبو البخترى : ليس هذا الأمان بشئ فاحكم فيه بما شئت ، ومزق الأمان . وبصق فيه أبو البخترى ، وأقبل الرشيد على يحيى بن عبد الله فقال : هيه هيه ، وهو يسم تسم الغضب ، وقال : إن الناس يزعمون أنا سميتك . فقال يحيى : يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة ورحا وحقا ، فسلام تمدبني وتحبسي ؟ فرق له الرشيد ، فاعترض بكار بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : يا أمير المؤمنين لا يترك هذا الكلام من هذا ، فإنه علس شاق ، وإنا هذا منه مكر وخبث . وقد أقصد علينا مدينتنا وأظهر

فيها المصيان . فقال له يحيى : ومن أنتم عاظم الله ؟ وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بأبائي وآباء هذا . ثم قال يحيى : يا أمير المؤمنين لقد جاني هذا حين قتل أخى محمد بن عبد الله فقال : لمن الله قاتله ، وأنشدني فيه نَحْواً من عشرين بيتاً ، وقال لي ، إن تحركت إلى هذا الأمر فأنا أول من يبايعك ، وما يمنعك أن تلحق بالبصرة وأيد بنا ملك ؟ قال : فتغير وجه الرشيد ووجه الزبيرى وأنكر وشرع يخلف بالأيمان المخلفة إنه لكاذب في ذلك ، وتحير الرشيد . ثم قال يحيى : أتخفظ شيئاً من المرمية ؟ قال : نعم . وأنشده منها جانباً . فزاد الزبيرى في الانكار ، فقال له يحيى بن عبد الله : قل : إن كنت كاذباً فقد برئت من حول الله وقوته ، ووكلى الله إلى حولى وقوى . فامتنع من الخلف بذلك ، فمزم عليه الرشيد وتقيظ عليه ، فخلف بذلك فما كان إلا أن خرج من عند الرشيد فرماه الله بالفالج فأت من ساعته . ويقال إن امرأته غمت وجهه بمخدة فقتله الله .

ثم إن الرشيد أطلق يحيى بن عبد الله وأطلق له مائة ألف دينار ، ويقال إنما حبسه بعض يوم وقيل ثلاثة أيام . وكان جملة ما وصله من المال من الرشيد أربعمائة ألف دينار من بيت المال ، وعاش بعد ذلك كله شهراً واحداً ثم مات رحمه الله .

وفيها وقعت فتنة عظيمة بالشام بين التزارية ، وهم قيس ، والجمانية وهم يمن ، وهذا كان أول بدو أمر المشيرتين بحوران ، وهم قيس ويمن ، أضلوا ما كانوا عليه في الجاهلية في هذا الآن . وقتل منهم في هذه السنة بشر كثير . وكان على نياحه الشام كلها من جهة الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى ، وقيل عبد الصمد بن علي فآله أعلم . [وكان على نيابة دمشق بمخصوصها سندی بن سهل أحد موالى جعفر المنصور ، وقد هدم سور دمشق حين ثارت الفتنة خوفاً من أن يتغلب عليها أبو الهيثم المزي رأس القيسية ، وقد كان مزي هذا دميم الخلق . قال الجاحظ : وكان لا يخلف المكارى ولا الملاح ولا الحائك ، ويقول : القول قولهم ، ويستخير الله في الحال ومعلم للكتاب . وقد توفي سنة أربع ومائتين ^(١) فلما تقام الأمر بئث الرشيد من جهة موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من القواد ورؤس الكتاب ، فأصلحوا بين الناس وهدأت الفتنة واستقام أمر الرعية ، وحلوا جماعات من رؤس الفتنة إلى الرشيد فرد أمرهم إلى يحيى بن خالد فصفا عنهم وأطلقهم ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

قد هاجت الشام هيجاً • يشيب رأس وليد

فصب موسى عليها • بجيلة وجنوده

فدانت الشام لما • أتى بسنح وحيد

هذا الجواد الذى • ذك كل جود بجوده

أعداء جود أميه * يحيى وجود جوده
 فجاد موسى بن يحيى * بطارف وتليده
 وتال موسى ذرى الحج * د وهو حشو مهوده
 خصسته بمديحي * منثوره وقصيده
 من البراءك عوداً * له فأكرم بموده
 حووا على الشعر طرا * خفيه ومديده

وفيهما عزل الرشيد الفطريف بن عطاء عن خراسان وولاهما حمزة بن ملاك بن الهيثم الخراساني الملقب بالعروس . وفيها ولي الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد نيابة مصر ، فاستجاب عليها جعفر عمر بن مهران ، وكان رديء الخلق رديء الشكل زمن الكف أحول ، وكان سبب ولايته إيهاها أن ثابتهاموسى ابن عيسى كان قد عزم على خلع الرشيد . فقال الرشيد : والله لأعزله ولأولين عليها أحسن الناس . فاستدعى عمر بن مهران هذا فولاه عليها عن ثابته جعفر بن يحيى البرمكي . فسار إليها على بقل وغلامه أبو درة على بقل آخر ، فدخلها كذلك فأنتهى إلى مجلس ثابتهاموسى بن عيسى فجلس في آخر يات الناس ، فلما انفض الناس أقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرف من هو ، قال : ألك حاجة يا شيخ ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير . ثم دفع الكتب إليه فلما قرأها قال : أنت عمر بن مهران ؟ قال : نعم ! قال : لمن الله فرعون حين قال : أليس لي ملك مصر ؟ ثم سلم إليه العمل وارتحل منها ، وأقبل عمر بن مهران على عمله ، وكان لا يقبل شيئاً من الهدايا إلا ما كان ذهباً أو فضة أو قاشاً ، ثم يكتب على كل هدية اسم مهديها ، ثم يطالب بالخراج و يبلع في طلبه عليهم ، وكان بعضهم يماطله به ، فأقسم لا يماطله أحد إلا فعل به وفعل . فجمع من ذلك شيئاً كثيراً ، وكان يبعث ما جمعه إلى بغداد ، ومن ماطله بعثه إلى بغداد . فتأدب الناس معه . ثم جاءهم القنسط الثاني فسجز كثير منهم عن الأداء فجعل يستحضر ما كانوا أدوه إليه من الهدايا ، فان كان قد أداه عنهم ، وإن كان برأ باعه وأداه عنهم ، وقال لهم : إني إنما اخترت هذا لكم إلى وقت حاجتكم . ثم أكل استخراج جميع الخراج بديار مصر ولم يفعل ذلك أحد قبله ، ثم انصرف عنها لأنه كان قد شرط على الرشيد أنه إذا مهد البلاد وحجى الخراج ، فذاك إذنه في الانصراف . ولم يكن معه بالديار المصرية جيش ولا غيره سوى مولاة أبو درة وحاجبه ، وهو منفذ أموره . وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك ففتح حصناً . وفيها حجت زبيدة زوجة الرشيد ومهما أخوها ، وكان أمير الحج سليمان بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد . وفيها توفي :

﴿ إبراهيم بن صالح ﴾

ابن علي بن عبد الله بن عباس ، كان أميراً على مصر ، توفي في شبان . (وإبراهيم بن حمزة)

كان شاعراً . وهو إبراهيم بن علي بن سلة بن عاصم بن هرمه أبو إسحاق الفهرى المدني ، وقد عثر على المنصور في وفد أهل المدينة حين استوفدم عليه ، فجلسوا إلى ستر دون المنصور ، يرى الناس من ورائه ولا يرونه ، وأبو الخضير الحاجب واقف يقول : يا أمير المؤمنين هذا فلان الخطيب ، فيأمره فيخطب ، ويقول : هذا فلان الشاعر فيأمره فينشد . حتى كان من آخرهم ابن هرمه هذا ، فسمعته يقول : لا مرجأ ولا أهلا ولا أنعم الله بك عينا . قال : قلت : هلكت ، ثم استنشدني فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :
سرى ثوبه عند الصبا المتجايل ^(١) * وقرب لبين الخليط المزابل
حتى انتهيت إلى قولي :

فأما الذي أمنتَه يأمن الردى * وأما الذي حاولت بالشكل فأكل

قال : فأمر برفع الحجاب فأنما وجهه كأنه فلقه قر ، فاستنشدني بقية القصيدة وأمر لي بالقرب بين يديه ، والجلس إلي ، ثم قال : ويحك يا إبراهيم ! لو لا ذنوب بلغتني عنك لفضلتك على أمحبابك ، قلت : يا أمير المؤمنين كل ذنب بلفك عني لم تقف عنه فأنا مقربه . قال : فتناول الخصرة فضربني بها ضربتين وأمر لي بمشرة آلاف وخلمة وعفا عني وألحقني بنظرائي . وكان من جملة ما تم المنصور عليه قوله :-
ومهما ألام على حبهم * فاني أحب بني فاطمة
بني بنت من جاء بالحكما * ت وبالدين وبالسنة التامه
فلست أبالي بمجي لهم * سوام من النعم الساعه

قال الأخش . قال لنا ثعلب قال الأصمى : ختمت الشعراء بابن هرمه . ذكر وفاته في هذه السنة أبو الفرج ابن الجوزي . وفيها توفي الجراح بن مليح والد وكيع بن الجراح ، وسعيد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن جميل أبو عبد الله المدني ، ولي قضاء بغداد سبعة عشر سنة لسكر المهدي ، وقعه ابن معين وغيره . وفيها توفي :
(صالح بن بشير المري)

أحد العباده الزهاد ، كان كثير البكاء وكان يعظ فيحضر مجلسه سفيان الثوري وغيره من العلماء ، ويقول : سفيان هذا تذكير قوم ، وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده فجاء إليه راكبا على حمار فدنا من بساط الخليفة وهو راكب فأمر الخليفة ابنه - ولي العهد من بعده موسى الهادي وهارون الرشيد - أن يقوموا إليه ليتزلا من دابته ، فابتدراه فأنزلوه ، فأقبل صالح على نفسه فقال : لقد خبت وخسرت إن أنا داهنت ولم أصدع بالحق في هذا اليوم ، وفي هذا المقام . ثم جلس إلى المهدي فوعظه موعظة بلغة حتى أبكاه ، ثم قال له : اعلم أن رسول الله ﷺ خصم من خالفه في أمته ، ومن كان محمد خصمه كان الله خصمه ، فأعد لخاصة الله ومحاسبة رسوله حججا تضمن لك النجاة ، وإلا فاستسلم للهلكة ، واعلم أن أبنا الصريعي نهضة صريع هوى بدعته ، واعلم أن الله ظاهر فوق عباده ، وأن أثبت الناس قدما
(١) كذا ولعل فيه تحريفا .

أخذهم بكتل الله وسنة رسوله ، وكلام طويل . فبكى المهدي وأمر بكتابة ذلك الكلام في دواوينه .
وفيهما توفي عبد الملك بن محمد بن أبي بكر عمرو بن حزم قدم قاضياً بالمرقي . وفرج بن فضالة التنوخي الحمصي ، كان على بيت المال ببغداد في خلافة الرشيد ، توفي في هذه السنة ، وكان مولده سنة ثمان وثمانين فلت وله ثمان وثمانون سنة . ومن مناقبه أن المنصور دخل يوماً إلى قصر الذهب فقام الناس إلا فرج بن فضالة فقال له وقد غضب عليه : لم لم تهم ؟ قال : خفت أن يسأني الله عن ذلك ويسألك لم رضيت بذلك ، وقد كره رسول الله ﷺ القيام للناس . قال : فبكى المنصور وقر به وقضى حوائجه . والمسبيب بن زهير بن عمرو أبو سلمة الضبي ، كان والي الشرطة ببغداد في أيام المنصور والمهدي والرشيد ، وولي خراسان مرة للمهدي . عاش ستاً وتسعين سنة . والوضاح بن عبد الله أبو عوانة السري مولاهم ، كان من أئمة المشايخ في الرواية . توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة)

فيها عزل الرشيد جعفر البرمكي عن مصر وولى عليها إسحاق بن سليمان ، وعزل حمزة بن مالك عن خراسان وولى عليها الفضل بن يحيى البرمكي مضافاً إلى ما كان بيده من الأعمال بالري وسجستان وغير ذلك . وذكر الواقدي أنه أصاب الناس ريح شديدة وظلمة في أواخر الحرم من هذه السنة ، وكذلك في أواخر صفر منها . وفيها حج بالناس الرشيد . وفيها توفي (شريك بن عبد الله) القاضي الكوفي النحوي ، سمع أبا إسحاق وغير واحد ، وكان مشكوراً في حكمة وتنفيذ الأحكام ، وكان لا يجلس للحكم حتى يتنهد ثم يخرج ورقة من خفه فينظر فيها ثم يأمر بتقديم الخصومة إليه ، وحرص بعض أصحابه على قراءة ما في تلك الورقة فإذا فيها يا شريك بن عبد الله اذكر الصراط وحدته يا شريك بن عبد الله اذكر الموقف بين يدي الله عز وجل . كانت وفاته يوم السبت مستهل ذي القعدة منها .

وفيها توفي عبد الواحد بن زيد ، وعمره بن مسلم وموسى بن أعين .

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة)

فيها وثبت طائفة من الخوفاة من قيس وقضاة على عمل مصر إسحاق بن سليمان قاتلوه وجرت فتنة عظيمة . فبغت الرشيد هرثة بن أعين نائب فلسطين في خلق من الأمراء مدداً لإسحاق ، قاتلهم حتى أذعنوا بالطاعة وأدوا ما عليهم من الخراج والوظائف ، واستمر هرثة نائباً على مصر نحواً من شهر عوضاً عن إسحاق بن سليمان ، ثم عزله الرشيد عنها وولى عليها عبد الملك بن صالح . وفيها وثبت طائفة من أهل إفريقية قتلوا الفضل بن روح بن حاتم وأخرجوا من كان بها من آل الملب ، فبغت إليهم الرشيد هرثة فرجعوا إلى الطاعة على يديه . وفيها فوض الرشيد أمور الخلافة كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك . وفيها خرج الوليد بن طريف بالجزيرة وحكم بها وقتل خلقاً من أهلها ، ثم

مضى منها إلى أرمينية فكان من أمره ما سذكروه . وفيها سار الفضل بن يحيى إلى خراسان فأحسن
السيرة فيها وبنى فيها الربط والمساجد ، وغزا ما وراء النهر ، واتخذ بها جنداً من المعجم سماهم
العباسية ، وجعل ولدهم له ، وكانوا نحواً من خمسمائة ألف ، وبث منهم نحواً من عشرين ألفاً إلى
بغداد ، فكانوا يعرفون بها بالكرمينية ، وفي ذلك يقول مروان بن أبى حفصة :

ما الفضل إلا شهاب لا أقول له * عند الحروب إذا متأفل الشهب
حلم على ملك قوم غرّ سهمهم * من الوراثة في أيديهم سبب
أست يد لبني ساق الحبيج بها * ككتاب مالم في غيرهم أرب
كتاب لبني العباس قد عرفت * ما ألف الفضل منها المعجم والعرب
أثبت خمس مئين في عداهم * من الألف التي أحصت لها الكتب
يقارعون عن القوم الذين هم * أولى بأحد في الفرقان إن نسوا
إن الجواد ابن يحيى الفضل لا ورق * يبق على جود كفيه ولا ذهب
ما مر يوم له مذ شد مؤزره * إلا تحول أقوام بما يهب
كم غاية في الندى والبأس أحرزها * للطالبين مداها دونها تعب
يعطى التهي حين لا يعطى الجواد ولا * ينو إذا سلت الهندية النضب
ولا الرضى والرضى لله غايته * إلى سوى الحق يدعو ولا النضب
قد فاض عرفك حتى ما يمدله * غيث مغيث ولا يجر له حطب
وكان قد أنشده قبل خروجه إلى خراسان :

ألم تر أن الجود من يد آدم * تحد حق صار في راحة الفضل
إذا ما أبو العباس سحت سلاؤه * فيالك من هطل ويالك من وبل

وقال فيه أيضاً :

إذا أم طفل راعها جوع طفلها * دعت باسم الفضل فاعتصم الطفل
ليحيى بك الاسلام إنك عزه * وإنك من قوم صغير كهل
قال فأمر له بمائة ألف درهم . ذكره ابن جرير . وقال سلم الخلس فهم أيضاً :

وكيف تخاف من يؤس بدار * يجاورها^(١) البرامكة البحور
وقوم منهم الفضل بن يحيى * فخير ما يوازيه فخير
له يومان يوم ندى وبأس * كأن الدهر بينهما أسير

(١) في المصرية والطبرى : تكتفها .

إذا ما البرمكي غدا ابن عشر • فهتمه أمير أو وزير
وقد اتفق للفضل في هذه السفرة إلى خراسان أشياء غريبة ، وفتح بلادا كثيرة ، منها كابل وما
وراء النهر ، وقهر ملك الترك وكان محتما ، وأطلق أموالا جزيلة جدا ، ثم قتل راجعا إلى بغداد ،
فلما اقترب منها خرج الرشيد وجوه الناس إليه ، وقدم عليه الشعراء والخطباء وأكابر الناس ، فجعل
يطلق الألف ألف ، والخمسة ألاف ونحوها ، وأخذ في ذلك من الأموال شيئا كثيرا لا يمكن حصره
إلا بتعب وكلفة ، وقد دخل عليه بعض الشعراء والبدو موضوعة بين يديه وهي تفرق على الناس فقال :

كنى الله بالفضل بن يحيى بن خالد • وجود يديه بخل كل بخيل

فأمر له بعال جزيل . وغزا الصائفة في هذه السنة معاوية بن زفر بن عاصم . وغزا الشامية سليمان
ابن راشد . وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس نائب مكة .
وفيها توفي جعفر بن سليمان ، وعنتر بن القاسم ، وعبيد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن
حزم القاضي ببغداد ، وصلى عليه الرشيد ودفن بها ، وقد قيل إنه مات في التي قبلها فأن الله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة ﴾

فيها كان قدوم الفضل بن يحيى من خراسان وقد استخلف عليها عمر بن حنبل ، فولى الرشيد
عليها منصور بن يزيد بن منصور الحميري . وفيها عزل الرشيد خالد بن برمك عن الحجابة وردها
إلى الفضل بن الربيع . وفيها خرج بخراسان حمزة بن أترك السجستاني ، وكان من أمره ما سبأني
طرف منه . وفيها رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتد شوكته وكثر أتباعه ، فبعث
إليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني فراوغه حتى قتله وتفرق أصحابه ، فقالت الفارعة في أخيها الوليد
ابن طريف ترحيه :

أيما شجر الخابور مالك موقعا • كأنك لم تجزع على ابن طريف

فنى لا يجب الزاد إلا من التقى • ولا المال إلا من قنا وسيوف

وفيها خرج الرشيد معتمرا من بغداد شكر الله عز وجل ، فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى حج
بالناس في هذه السنة ، فبقي من مكة إلى متى ثم إلى عرط ، وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشيا ، ثم
انصرف إلى بغداد على طريق البصرة . وفيها توفي :

﴿ إسماعيل بن محمد ﴾

ابن يزيد بن ربيعة أبو هاشم الحميري الملقب بالسيد ، كان من الشعراء المشهورين المبرزين
فيه ، ولكنه كان رافضيا خبيثا ، وشيعيا غثينا ، وكان ممن يشرب الخمر ويقول بالرجعة - أي
بالدور - قال يوما لرجل : أقرضني دينارا ولك عندي مائة دينار إذا رجعتا إلى الدنيا . فقال له

الرجل : إني أخشى أن تمود كلباً أو خنزيراً فينهب دينارى .

وكان قبضه الله بسب الصحابة في شمره . قال الأصمى : ولولا ذلك ما قمت عليه أحد آ فى طبقته ، ولا سباً الشيخين وابنيهما . وقد أورد ابن الجوزى شيئاً من شمره فى ذلك كرهت أن أذكره لبشاعته وشناعته ، وقد اسود وجهه عند الموت وأصابه كرب شديد جداً . ولما مات لم يدفنه له سبه الصحابة رضى الله عنهم . وفيها توفى ﴿ حجاج بن زيد ﴾

أحد أئمة الحديث . وخالد بن عبد الله أحد الصلحاء ، كان من سادات المسلمين ، اشترى نفسه من الله أربع مرات . ومالك بن أنس الامام ، والهلل بن زياد صاحب الأوزاعي ، وأبو الأحوص . وكلهم قد ذكرناهم فى التكميل . ﴿ والامام مالك ﴾

هو أشهرهم وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة ، فهو مالك بن أنس بن مالك بن عمار بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيلان بن حشد بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح الحيرى ، أبو عبد الله المدنى إمام دار الهجرة فى زمانه ، روى مالك عن غير واحد من التابعين ، وحدث عنه خلق من الأئمة ، منهم السفياخان ، وشعبة ، وابن المبارك ، والأوزاعى ، وابن مهدي وابن جريج والليث والشافعى والزهرى شيخه ، ويحيى بن سعيد الأنصارى وهو شيخه ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويحيى بن يحيى الأندلسى ، ويحيى بن يحيى النيسابورى . قال البخارى : أصبح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر . وقال سفيان بن عيينة : ما كان أشد انتقاده للرجال . وقال يحيى بن معين : كل من روى عنه مالك فهو ثقة ، إلا أبا أمية . وقال غير واحد : هو أثبت أصحاب نافع والزهرى . وقال الشافعى : إذا جاء الحديث فمالك النجم . وقال : من أراد الحديث فهو عيال على مالك . ومنافيه كثيرة جداً ، وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر فى هذا المكان . قال أبو مصعب : سمعت مالكا يقول : ما أفنيت حتى شهد لى سبعم أنى أهل ليلك . وكان إذا أراد أن يحدث تنظف وتطيب وصرح لحيته ولبس أحسن ثيابه ، وكان يلبس حسناً . وكان نقش خاتمه حسبي الله ونعم الوكيل ، وكان إذا دخل منزله قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . وكان منزله مبسوطاً بأنواع المفارش . ومن وقت خروج محمد بن عبد الله بن حسن لزم مالك بيته فلم يكن يأتى أحداً لا لزماء ولا لهناء ، ولا يخرج لجمعة ولا لجماعة ، ويقول : ما كل ما يعلم يقال ، وليس كل أحد يقدر على الاعتذار ولما احتضر قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم جعل يقول : لله الأمر من قبل ومن بعد ، ثم قبض فى ليلة أربعة عشر من صفر ، وقيل من ربيع الأول من هذه السنة ، وله خمس وثلاثون سنة . قال الواقدي : بلغ سبعمين سنة ودفن بالبقيع . وقد روى الترمذى عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة : « يوشك أن يضرب الناس أباك الأبل

يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة ». ثم قال : هذا حديث حسن . وقد روى عن ابن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس . وكنا قال عبد الرزاق . وعن ابن عيينة رواية أنه عبد المززين عبد الله الممرى . وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات فأطنب وأتى بفرائد جمة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين ومائة ﴾

فيها هاجت الفتنة بالشام بين التزارية والنجية ، فانزعج الرشيد لذلك فندب جعفر البرمكي إلى الشام في جماعة من الأمراء والجنود ، فدخل الشام فأهاد الناس له ولم يدع جعفر بالشام فرساً ولا سيفاً ولا رمحاً إلا استلبه من الناس ، وأطلقاً الله به فارتكبت الفتنة . وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

لقد أوقعت بالشام نيران فتنة * فهذا أوان الشام تحمد ظارها
إذا جاش موج البحر من آل برمك * عليها خبت شهبانها وشرارها
رماها أمير المؤمنين بجعفر * وفيه تلافى صدعها وانكسارها
رماها يميمون النقية ماجد * تراضى به قطعتها وزارها

ثم كر جعفر راجعاً إلى بغداد بعد ما استخلف على الشام عيسى المكي ، ولما قدم على الرشيد أكرمه وقر به وأدناه ، وشرع جعفر يذكّر كثرة وحشته له في الشام ، ويحمد الله الذي من عليه برجوعه إلى أمير المؤمنين ورويته وجهه . وفيها ولي الرشيد جعفر أخراسان وسجستان فاستعمل على ذلك محمد بن الحسن بن قحطبة ، ثم عزل الرشيد جعفر أخراسان بعد عشرين ليلة . وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب كثرة الخوارج ، وجعل الرشيد جعفر أخراسان على الحرس ، ونزل الرشيد الرقة واستوطنها واستناب على بغداد ابنه الأمين محمداً وولاه المراقين ، وعزل هرثمة عن إفريقية واستدعاه إلى بغداد فاستنابه جعفر على الحرس . وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة سقط منها رأس منارة الاسكندرية . وفيها خرج بالجزيرة خراشة الشيعاني قتلته مسلم بن بكار بن مسلم العقيلي . وفيها ظهرت طائفة بجرجان يقال لها الحمرة لبسوا الحرّة واتبعوا رجلاً يقال له عمرو بن محمد العمركي ، وكان ينسب إلى الزندقة ، فبعث الرشيد يأمر بقتله قتل وأطلقاً الله فارم في ذلك الوقت . وفيها غزا الصائفة زفر بن عاصم . وحج بالناس موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان :

﴿ إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ﴾

فارق أهل المدينة ومؤدب على بن المهدي ببغداد . وقد مات على بن المهدي في هذه السنة أيضاً . وقد ولي إمارة الحج غير مرة ، وكان أسن من الرشيد بشهور .

﴿ حسان بن أبي سنن ﴾

ابن أبي أوفى بن عوف التنوخي الأنباري ، ولد سنة ستين ، ورأى أنس بن مالك ودعا له فجاء من

نسله قضاة ووزراء وصلحاء ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية . وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه وكان يكتب بالبرية والفارسية والسريانية ، وكان يعرب الكتب بين يدي ربيعة لما ولأه السفاح الأتبار . وفيها توفي : ﴿ عبد الوارث بن سعيد البيرقي أحد الثقات ﴾

﴿ وعافية بن يزيد ﴾

ابن قيس القاضي للمهدى على جانب بغداد الشرق ، هو وابن علانة ، وكانا يحكيان بمجامع الرصافة ، وكان عافية عبداً زاهداً ورعاً ، دخل يوماً على المهدى في وقت الظهيرة فقال : يا أمير المؤمنين اعفني ، فقال له المهدى : ولم أعفيك ؟ هل اعترض عليك أحد من الأمراء ؟ فقال له : لا ولكن كان بين اثنين خصومة عندي فهدم أحدهما إلى رطب السكر . وكأنه سمع أني أحبه . فأهدى إلى منه طبقاً لا يصلح إلا لأمر المؤمنين ، فرددته عليه ، فلما أصبحنا : وجلسنا إلى الحكومة لم يستويا عندي في قلبي ولا نظري ، بل مال قلبي إلى المهدى منهما ، هذا مع أني لم أقبل منه ما أهدها فكيف لو قبلت منه ؟ فأعفني عفا الله عنك فأعفاه . وقال الأصمعي : كنت عند الرشيد يوماً وعنده عافية وقد أحضره لأن قوماً استمدوا عليه إلى الرشيد ، فجعل الرشيد يوقفه على ما قيل عنه وهو يجيب عما يسأله . وطال المجلس فطس الخليفة فشمته الناس ولم يشمته عافية ، فقال له الرشيد : لم تشمتني مع الناس ؟ فقال : لأنك لم تحمد الله ، واحتج بالحديث في ذلك . فقال له الرشيد : أرجع لملك فوالله ما كنت لتفعل ما قيل عنك ، وأنت لم تسأعني في عطسة لم أحده الله فيها . ثم رده رداً جميلاً إلى ولايته .

﴿ سيويه ﴾

وفيها توفي :

إمام النحاة ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، المروفي بسيويه ، مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل مولى آل الربيع بن زياد ، وإنما سمي سيويه لأن أمه كانت ترقصه وتقول له ذلك ، ومعنى سيويه رائحة التفاح ، وقد كان في ابتداء أمره يصحب أهل الحديث والعقهاء ، وكان يستعمل على حماد بن سلمة ، فلحق يوماً فرد عليه قوله فأنف من ذلك ، فلزم الخليل بن أحمد فبرع في النحو ، ودخل بغداد وناظر الكسائي . وكان سيويه شاباً حسناً جميلاً نظيفاً ، وقد تملق من كل علم بسبب ، وضرب مع كل أهل أدب بسهم ، مع حداثة سنه . وقد صنف في النحو كتاباً لا يلحق شأوه ، وشرحه أئمة النحاة بعده فانتمروا في الحج بحره ، واستخرجوا من درره ، ولم يلبثوا إلى قمره . وقد زعم ثعلب أنه لم ينفرد بتصنيفه ، بل ساعده جماعة في تصنيفه فمحو من أربعين فناً هو أحدهم ، وهو أصول الخليل ، فأعطاه سيويه إلى نفسه . وقد استبعد ذلك السيرافي في كتاب طبقات النحاة . قال : وقد أخذ سيويه الفلتات عن أبي الخطاب والأخفش وغيرهما ، وكان سيويه يقول : سعيد بن أبي العروبة ، والعروبة يوم الجمعة ، وكان يقول : من قال عروبة فقد أحبطاً . فذكر ذلك ليونس فقال

أصابه الله دمه ، وقد ارتحل إلى خراسان ليحظى عند طلحة بن طاهر فانه كان يحب النحر فرض
هناك مرضه الذي توفي فيه فتمثل عند الموت :

يؤمل دنيا لتبقى له * قلت المؤمل قبل الأمل

يرى قسلا لبقى له * فاش الفسيل ومات الرجل

ويقال : إنه لما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فسمعت عين أخيه فاستغاث فراءه يبكي فقال :

وكنا جميعاً فرق الدهر بيننا * إلى الأمد الأقصى فنأمن الدهرا

قال الخطيب البغدادي : يقال إنه توفي وعمره ثنتان وثلاثون سنة . وفيها توفيت :

﴿ عفيفة العابدة ﴾

كانت طويلة الحزن كثيرة البكاء . قدم قريب لها من سفر فجعلت تبكي ، فقيل لها في ذلك
فقال : لقد ذكرني قدوم هذا النقي يوم القدوم على الله ، فسرور ومشبور . وفيها مات مسلم بن
خالد الزنجي شيخ الشافعي ، كان من أهل مكة ، ولقد تكلما فيه لسوء حفظه .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة ﴾

فيها غزا الرشيد بلاد الروم فافتتح حصنا يقال له الصفصاف ، قال في ذلك مروان بن أبي حفصة :
إن أسير المؤمنين المنصفا * قد ترك الصفصاف قاعاً صفصفا

وفيها غزا عبد الملك بن صالح بلاد الروم فبلغ أقرة وافتتح مطبورة . وفيها تغلبت الحمرة على
جرجان . وفيها أمر الرشيد أن يكتب في صدور الرسائل الصلاة على رسول الله ﷺ بعد التناء على
الله عز وجل . وفيها حج بالناس الرشيد وتجل بالنفر ، وسأله يحيى بن خالد أن يعفيه من الولاية فأعفاه
وأقام يحيى بمكة . وفيها توفي : ﴿ الحسن بن قحطبة ﴾

أحد أكبر الأمراء ، وحمة بن مالك ، ولي إمرة خراسان في أيام الرشيد ، وخلف بن خليفة شيخ
الحسن بن عرفة عن مائة سنة : ﴿ وعبد الله بن المبارك ﴾

أبو عبد الرحمن المروزي ، كان أبوه تركياً مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان ،
وكان ابن المبارك إذا قدمها أحسن إلى ولد مولاهم ، وكانت أمه خوارزمية ، وقد كان عشرة ومائة ،
وسمع إسماعيل بن خالد ، والأعمش ، وهشام بن عروة ، وحيد الطويل ، وغيرهم من أئمة التابعين .
وحدث عنه خلافتي من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ والفقہ والزهد والكرم والشجاعة والشعر ،
له التصانيف الحسان ، والشعر الحسن المنضج حكاية ، وكان كثير الغزو والحج ، وكان له رأس
مال نحو أربعمائة ألف يدور يتجر به في البلدان ، فحيث اجتمع بعالم أحسن إليه ، وكان يبر كسبه
في كل سنة على مائة ألف ينقها كلها في أهل البلدة والزهد والعلم ، وربما أتق من رأس ماله . قال

سفيان بن عيينة : نظرت في أمره وأمر الصحابة فما رأيتمهم يفضلون عليه إلا في محبتهم رسول الله ﷺ . وقال إسماعيل بن عياش : ما على وجه الأرض مثله ، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله في . ابن المبارك ، ولقد حدثني أصحابي أنهم محبوبه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم . وقدم مرة الرقة وبها هارون الرشيد ، فلما دخلها احتفل الناس به وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد الرشيد من قصر هناك فقالت : ما للناس ؟ قيل لها : قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك فأنجفل الناس إليه . فقالت المرأة : هذا هو الملك ، لأمك هارون الرشيد الذي يجمع الناس عليه بالسوط والمصا والرغبة والرهبة .

وخرج مرة إلى الحج فجتاز بيمض البلاد فأت طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك ، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم ، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخفت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعته به إلى القمار ، فجاء فسألها عن أمرها وأخبرها الميتة ، فقالت : أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الأزار ، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة ، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام ، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل . فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله : كم ملك من النقعة ؟ قال : ألف دينار . قال : عد منها عشرين ديناراً تكفيننا إلى مرو واعطها الباقي . فهذا أفضل من حجتنا في هذا العام ، ثم رجع .

وكان إذا عزم على الحج يقول لأصحابه : من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأتني بنقته حتى أكون أنا أفق عليه ، فكان يأخذ منهم نقاتهم ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجمعها في صندوق ، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النققات والركوب ، وحسن الخلق والتيسير عليهم ، فإذا قضا حاجتهم فيقول لهم : هل أوصاكم أهلوكم بهدية ، فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المكية والنجنية وغيرها ، فإذا جاؤا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية ، فإذا رجعوا إلى بلادهم بث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت وبيضت أبوابها ورسم شعبها ، فإذا وصلوا إلى البلد عمل ولية بمدقودهم ودامهم فأكلوا وكسبهم ، ثم دعا بنفك الصندوق ففتحته وأخرج منه تلك الصرد ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نقته التي عليها اسمه ، فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون تشاركون لواء الثناء الجميل . وكانت سفرته تعمل على بصر وحدها ، وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والخولوى وغير ذلك ، ثم يعلم الناس وهو الدهر صائم في الحر الشديد . وسأله مرة سائل فأعطاه درهما فقال له بعض أصحابه : إن هؤلاء يأكلون الشواء والتالودج ، وقد كان يكفيه قطعة . قال : والله ما ظننت أنه يأكل إلا البقل والخبز ، فأما إذا كان يأكل التالودج والشواء فانه لا يكفيه درهم . ثم أمر بعض غلمانه فقال : رده وادفع إليه عشرة دراهم . وفضائله ومناقبه كثيرة جداً .

قال أبو عمر بن عبد البر : أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعده . توفي عبد الله بن المبارك بهيت في هذه السنة في رمضان عن ثلاث وستين سنة

﴿ ومفضل بن فضالة ﴾

ولى قضاء مصر مرتين ، وكان ديناً قتيلاً ، فسأل الله أن يذهب عنه الأمل فأذهبه ، فكان بعد ذلك لا يهتبه الميث ولا شيء من الدنيا ، فسأل الله أن يرد عليه فرده فرجع إلى حاله .

﴿ ويسقوب التائب ﴾

المابد الكوفي ، قال علي بن الموفق عن منصور بن عمار : خرجت ذات ليلة وأنا أعلن أنى قد أصبحت ، فإذا على ليل ، فجلست إلى باب صغير وإذا شاب يبكي وهو يقول : وعزتك وجلالك ما أردت بمصبتك مخالفتك ولكن سولت لى نفسى ، وغلبتني شقوى ، وغرتنى سترك المرنخى على فلا أن من عذابك من يستغفنى ؟ وبجبل من أقصبل إن أنت قطعت حبلك عنى ؟ واسوأناه على ماضى من أيامى فى مصيبة ربى ، يا ولى كم أتوب وكم أعود ، قد حان لى أن أستعى من ربى عز وجل . قال منصور رقأت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) قال : فسمعت صوتا واضطرابا شديدا فذهبت لحاجتى ، فلما رجعت مررت بذلك الباب فإذا جنازة موضوعة ، فسألت عنه فإذا ذاك الفتى قد مات من هذه الآية .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة ﴾

فيها أخذ الرشيد لولده عبد الله المأمون ولاية العهد من بعد أخيه محمد الأمين بن زبيدة ، وذلك بالركة بعد مرجعه من الحج ، وضم ابنه المأمون إلى جعفر بن يحيى البرمكى وبثه إلى بغداد وسه جماعة من أهل الرشيد خدمة له ، وولاه خراسان وما يتصل بها ، وساه المأمون . وفيها رجع يحيى بن خالد البرمكى من مجاورته بمكة إلى بغداد . وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ مدينة أصحاب الكهف . وفيها سملت الروم عيسى ملكهم قسطنطين بن اليون وملكوا عليهم أمه ريفي وتلقب أغسطس . وحج بالناس موسى بن عيسى بن العباس .

وفيها توفي من الأعيان إسماعيل بن عياش الحمصى أحد المشاهير من أئمة الشافيين ، وفيه كلام . وروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور المشكور ، كان يجمع الخلفاء والبرامكة .

﴿ ومن بن زائلة ﴾

حصل من الأموال شيئا كثيراً جداً ، وكان مع ذلك من أبخل الناس ، لا يكاد يأكل اللحم من بخله ، ولا يشغل فى بيته سراجا ، ولا يلبس من الثياب الا الكرباسى والفر والثلث ، وكان رفيقه

سلم الخمار إذا ركب إلى دار الخلافة يأتي على يردون وعليه حلة تساوي ألف دينار ، والطبيب ينفع من ثيابه ، ويأتي هو في شر حلة وأسوئها . وخرج يوماً إلى المهدي فقاتل امرأة من أهله : إن أطلق لك الخليفة شيئاً فاجلس لي منه شيئاً . قال : إن أعطاني مائة ألف درهم فلك درهم . فأعطاه ستين ألفاً فأعطاهما أربعة دوايق . توفي ببغداد في هذه السنة ، ودفن في مقبرة نصر بن مالك .

(والقاضي أبو يوسف)

واسمه يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حسنة ، وهي أمه ، وأبوه بجير بن معاوية ، استصر يوم أحد ، وأبو يوسف كان أكبر أصحاب أبي حنيفة ، روى الحديث عن الأعشى وهمام ابن عروة ومحمد بن إسحاق ويحيى بن سعيد وغيرهم . وعنه محمد بن الحسن وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين . قال علي بن الجعد : سمعته يقول : توفي أبي وأنا صغير فأسلمتني أمي إلى قصار فكنت أمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها ، فكانت أمي تتبعني فتأخذ يدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار ، ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة ، فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة : إن هذا صبي يقيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي ، وإني قد أفسدته على . فقال لها : اسكتي يا رحماء ، ها هوذا يتعلم العلم وسياً كل الفالوذج بدهن الفسق في صحن الفير وزج . قالت له : إنك شيخ قد خرفت . قال أبو يوسف : فلما وليت القضاء - وكان أول من ولاه القضاء الهادي وهو أول من لقب قاضي القضاء ، وكان يقال له : قاضي قضاة الدنيا ، لأنه كان يستقبل في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة - . قال أبو يوسف : فبينما أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتني بفالوذج في صحن فير وزج فقال لي : كل من هذا ، فإنه لا يصنع لنا في كل وقت . وقلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الفالوذج . قال فتبسمت فقال : مالك تبسم ؟ قلت : لا شيء أبق الله أمير المؤمنين . فقال : لتخبرني . فقصصت عليه القصة فقال : إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة . ثم قال : رحم الله أبا حنيفة ، فلقد كان ينظر بين عقله ما لا ينظر بين رأسه . وكان أبو حنيفة يقول عن أبي يوسف : إنه أعلم أصحابه . وقال المزني : كان أبو يوسف أتبعهم للحديث . وقال ابن المديني : كان صدوقاً . وقال ابن معين : كان ثقة . وقال أبو زرعة : كان سليماً من التجهم . وقال بشار الخفاف : سمعت أبا يوسف يقول : من قال القرآن مخلوق فخرام كلامه ، وفرض مبايسته ، ولا يجوز السلام ولا رده عليه . ومن كلامه الذي ينبغي كتابته جاء الذهب قوله : من طلب المال بالكفا أفلس ، ومن تتبع غرائب الحديث كذب ، ومن طلب العلم بالكلام تزندق . ولما تناظر هو ومالك بالمدينة بمحضرة الرشيد في مسألة الصاع وزكاة الخضر اوات احتج مالك بما استدعى به من تلك الصيغان المنقولة عن أبيهم وأسلانهم ، وبأنه لم يكن الخضر اوات يخرج فيها شيء في زمن الخلفاء الراشدين . فقال

أبو يوسف : لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت . وهذا انصاف منه .

وقد كان يحضر في مجلس حكمة العلماء على طبقاتهم ، حتى إن أحد بن حنبل كان شاباً وكان يحضر مجلسه في أثناء الناس فيقتاضون ويقتاضون ، وهو مع ذلك يحكم ويصنف أيضاً . وقال : ولبت هذا الحكم وأرجو الله أن لا يسألني عن جور ولا ميل إلى أحد ، إلا يوما واحداً جاءني رجل فذكر أن له بسناً وأنه في يد أمير المؤمنين ، فدخلت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال : البستان لي اشتراه لي المهدي . قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يحضره لأسمع دعواه . فأحضره فادعى بالبستان قلت : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو بستان . قلت للرجل : قد سمعت ما أجاب . فقال الرجل : يحلف ، قلت ، تحلف يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قلت سأعرض عليك اليمين ثلاثاً فإن حلفت وإلا حكمت عليك يا أمير المؤمنين . فرفضها عليه ثلاثاً فامتنع فحكمت بالبستان للمهدي . قال : فكنت في أثناء الخصومة أو دأن ينفصل ولم يمكن أن أجلس الرجل مع الخليفة . وبث القاضي أبو يوسف في تسليم البستان إلى الرجل .

وروى المعافي بن زكريا الجري عن محمد بن أبي الأزهر عن حماد بن أبي إسحاق عن أبيه عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف . قال : بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش ، إذا رسول الخليفة يطرق الباب ، فخرجت متزعجاً فقال : أمير المؤمنين يدعوك ، فذهبت فإذا هو جالس ومعه عيسى ابن جعفر قال لي الرشيد : إن هذا قد طلبت منه جارية يهذيها فلم يفعل ، أو يمينها ، وإني أشبهك إن لم يميني إلى ذلك قتله . قلت لميسى : لم لم تفعل ؟ قال : إني خائف بالطلاق والعناق وصدقة مالي كله أن لا أبيعها ولا أهبطها . قال لي الرشيد : فهل له من مخلص ؟ قلت : نعم يبيعك نصفها ويهبك نصفها . فوهبه النصف وباعه النصف بمائة ألف دينار ، فقبل منه ذلك وأحضرت الجارية ، فلما رآها الرشيد قال : هل لي من سبيل عليها البيلة ؟ قلت : إنها مملوكة ولا بد من استبرائها ، إلا أن تمتعها وتزوجها فإن الحرة لا تستبرأ . قال فأعتقها وتزوجها منه بمشرين ألف دينار ، وأمر لي بمائتي ألف درهم وعشرين نخعاً من ثياب ، وأرسلت إلى الجارية بعشرة آلاف دينار .

وقال يحيى بن معين : كنت عند أبي يوسف فجاءته هدية من ثياب ديبق وطيب وغانيل ند وغير ذلك ، فذا كرتي رجل في إسناد حديث « من أهديت له هدية وعنده قوم جلوس فهم شركؤه » فقال أبو يوسف : إنما ذاك في الأقطار والزبيب ، ولم تكن الهدايا في ذلك الوقت ماترون ، يا غلام ارفع هذا إلى الخزانة ، ولم يعطهم منها شيئاً . وقال بشر بن غياث الريسي : سمعت أبا يوسف يقول : صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم انصبت على الدنيا سبع عشرة سنة ، وما أظن أجلي إلا أن اقترب . فامكك بعد ذلك إلا شهوراً حتى ملت .

وقد مات أبو يوسف في ربيع الأول من هذه السنة عن سبع وستين سنة ، ومكث في القضاء بعده ولده يوسف . وقد كان قائمه على الجانب الشرقي من بغداد . ومن زعم من الرواة أن الشافعي اجتمع بأبي يوسف كما يقوله عبد الله بن محمد البلوي الكذاب في الرحلة التي ساقها الشافعي قد أخطأ في ذلك ، وإنما ورد [الشافعي] ببغداد في أول قصة قدمها إليها في سنة أربع وثمانين . وإنما اجتمع الشافعي بمحمد بن الحسن الشيباني فأحسن إليه وأقبل عليه ، ولم يكن بينهما شأن كما يذكره بعض من لا خبرة له في هذا الشأن والله أعلم . وفيها توفي :

﴿ يعقوب بن داود بن طهمان ﴾

أبو عبد الله مولى عبد الله بن حازم السلمي ، استوزره المهدي وحظي عنده جداً ، وسلم إليه أزمة الأمور ، ثم لما أمر بقتل ذلك العلوي كما تقدم فأطلقه ونمت عليه تلك الجارية سجنه المهدي في بئر وبنيت عليه قبة ، ونبت شعره حتى صار مثل شعور الأنعام ، وعُمي ، ويقال بل غشى بصره ، ومكث نحواً من خمسة عشر سنة في ذلك البئر لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً إلا في أوقات الصلوات يملونه بذلك ، ويدلى إليه في كل يوم رغيف وكوز ماء ، فكث كذلك حتى اهضمت أيام المهدي وأيام الهادي وصدر من أيام الرشيد ، قال يعقوب : فأتاني آت في منامي فقال :

عسى الكرب الذي أسيئت فيه * يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويضك عابر * ويأتي أهله الثاني التريب

فلما أصبحت توديت فظننت أني أعلم بوقت الصلاة ، ودلى إليّ حبل وقيل لي : اربط هذا الحبل في وسطك ، فأخرجوني ، فلما نظرت إلى الضياء لم أبصر شيئاً ، وأوقفت بين يدي الخليفة فقبل لي : سلم على أمير المؤمنين ، فظننته المهدي فسلمت عليه باسمه ، فقال : لست به ، قلت الهادي ؟ فقال : لست به . قلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين الرشيد . فقال : نعم ، ثم قال : والله إنه لم يشفع فيك عندي أحد ، ولكني البارحة حملت جارية لي صغيرة على عنق فذكرت حملك ليأني على عنقك فرحمت ما أنت فيه من الضيق فأخرجتك . ثم أنعم علي وأحسن إليه . فنار منه يحيى بن خالد بن برمك ، وخشى أن يئده إلى منزلته التي كان عليها أيام المهدي ، وفيهم ذلك يعقوب فاستأذن الرشيد في الذهاب إلى مكة فأذن له ، فكان بها حتى مات في هذه السنة رحمه الله . وقال يخشى يحيى أن أرجع إلى الولايات لا والله ما كنت لأفضل أبداً ، ولوردت إلى مكاني . وفيها (توفي يزيد بن زريع) أبو معاوية شيخ الامام أحمد بن حنبل في الحديث ، كان همة علماً عبداً ورعاً ، توفي أبوه وكان والي البصرة وترك من المال خمسمائة درهم ، فلم يأخذ منها يزيد درهما واحداً ، وكان يسمل الخوص بيده ويقتل منه هو وعياله . توفي بالبصرة في هذه السنة ، وقيل قبل ذلك والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة ﴾

ففيها خرجت الخزر على الناس من ثلثة أرمينية فقاتوا في تلك البلاد فساداً ، وسبوا من المسلمين وأهل القلعة نحواً من مائة ألف ، وقتلوا بشراً كثيراً ، وانهزم نائب أرمينية سعيد بن مسلم ، فأرسل الرشيد إليهم خازم بن خزيمه ويزيد بن مزيد في جيوش كثيرة كثيفة ، فأصلحوا ما فسد في تلك البلاد . وحج بالناس العباس بن موسى الهادي .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ علي بن الفضل بن عياض ﴾ في حياة أبيه . كان كثير العبادة والورع وانخوف وانخشية . ﴿ ومحمد بن صبيح ﴾ أبو العباس مولى بني عجل المذكور . ويعرف بابن السماك . روى عن إسماعيل بن أبي خاله والأعشى والثوري وهشام بن عروة وغيرهم ، ودخل يوماً على الرشيد فقال : إن لك بين يدي الله . وقفاً فانظر أين منصرفك ، إلى الجنة أم النار ؟ فيكي الرشيد حتى كاد يموت .

﴿ وموسى بن جعفر ﴾

ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن الهاشمي ، ويقال له الكاظم ، ولد سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة ، وكان كثير العبادة والورع ، وإذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل إليه بالذهب والتحف ، ولده من الذكور والآنث أربعةون نسمة . وأهدى له مرة عبد عصبية فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار وأعتقه ، وهوب المزرعة له . وقد استنصاه المهدي إلى بغداد فحسه ، فلما كان في بعض الليالي رأى المهدي علي بن أبي طالب وهو يقول له : يا محمد ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ فاستيقظ مذعوراً وأمر به فأخرج من السجن ليلاً فأجلسه معه وعاقه وأقبل عليه ، وأخذ عليه العهد أن لا يخرج عليه ولا على أحد من أولاده ، فقال : والله ما هذا من شأني ولا حدث فيه نفسي ، فقال : صدقت . وأمر له بثلاثة آلاف دينار ، وأمر به فرداً إلى المدينة ، فما أصبح الصباح إلا وهو على الطريق ، فلم يزل بالمدينة حتى كانت خلافة الرشيد فخرج ، فلما دخل ليسلم على قبر النبي ﷺ ومعه موسى بن جعفر الكاظم ، فقال الرشيد : السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم . فقال موسى : السلام عليك يا أبت . فقال الرشيد : هذا هو الفخر يا أبا الحسين . ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استنصاه في سنة تسع وستين وسجنته فأطال سجنه ، فكتب إليه موسى رسالة يقول فيها : أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عني يوم من البلاد إلا اقضى عنك يوم من الرخاء ، حتى يقضى بنا ذلك إلى يوم يحضر فيه المبطلون . توفي لحس بقين من رجب من هذه السنة ببغداد وقبره هناك مشهور . وفيها توفي :

﴿ هاشم بن بشير بن أبي حازم ﴾

القاسم بن دينار أبو معاوية السلي الواسطي ، كان أبوه طباطبا للحجاج بن يوسف الثقفي ، ثم كان

بعد ذلك يبيع الكواخج ، وكان يبيع ابنه من طلب العلم ليساعده على شغله ، فأبى إلا أن يسمع الحديث . فاتفق أن هاتما مرض فجاءه أبو شيبة قاضى واسط عائداً له ومعه خاق من الناس ، فلما رآه بشير فرح بذلك وقال : يا بني أبلغ من أمرك أن جاء القاضى إلى منزلى ؟ لا أمنك بعد هذا اليوم من طلب الحديث . كان هاشم من سادات العلماء ، وحدث عنه مالك وشعبة والثورى وأحمد بن حنبل وخلق غير هؤلاء ، وكان من الصالحاء العباد ، ومكث يصلى الصبح بوضوء المشاء قبل أن يموت بعشر سنين .

﴿ ويحيى بن زكريا ﴾

ابن أبى زائدة قاضى المدائن ، كان من الأئمة الثقات . ويونس بن حبيب أحد النحاة النجباء ، أخذ النحو عن أبى عمرو بن العلاء وغيره ، وأخذ عنه الكسائى والفراء ، وقد كانت له حلقة بالبصرة يفتابها أهل العلم والأدب والفصحاء من الحاضرين والقرباء . توفى فى هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة ﴾

فيها رجع الرشيد من الرقة إلى بغداد فأخذ الناس بأداء بقايا الخراج التى عليهم ، وولى رجلاً يضرب الناس على ذك ويحبسهم ، وولى على أطراف البلاد . وعزل وولى وقطع ووصل . وخرج بالجزيرة أبو عمرو الشارح فيمت إليه الرشيد من قبلة شهر زور . وحج بالناس فيها إبراهيم بن محمد العباسى . وفيها توفى :

﴿ أحمد بن الرشيد ﴾

كان زاهداً عابداً قد تنسك ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده فى الطين ، كان يعمل فاعلاً فيه ، وليس يملك الامور أو زينبلا - أى بحرفة وقفة - وكان يعمل فى كل جمعة بدم ودافق ينقوت بهما من الجمعة إلى الجمعة ، وكان لا يعمل إلا فى يوم السبت فقط . ثم قبل على العبادة بقية أيام الجمعة . وكان من زبيدة فى قول بعضهم ، والصحيح أنه من امرأة كان الرشيد قد أحبها فزوجها فحملت منه بهذا القلام ، ثم إن الرشيد أرسلها إلى البصرة وأعطها خاتماً من ياقوت أحمر ، وأشياء نفيسة ، وأمرها إذا أفضت إليه الخلافة أن تأتيه . فلما صارت الخلافة إليه لم تأته ولا ولدها ، بل اختفى ، وبلغه أنها ماتت ، ولم يكن الأمر كذلك ، وغص عنها فلم يطلع لها على خبر ، فكان هذا الشاب يعمل بيده ويأكل من كدها ، ثم رجع إلى بغداد ، وكان يعمل فى الطين ويأكل مدة زمانية . هذا وهو ابن أمير المؤمنين ، ولا يذكر الناس من هو إلى أن اتفق مرضه فى دار من كان يستعمله فى الطين فمرضه عنده ، فلما احتضر أخرج الخاتم وقال لصاحب المنزل : اذهب بهذا إلى الرشيد وقل له : صاحب هذا الخاتم يقول لك : إياك أن تموت فى سكرتك هذه فتندم [حيث لا ينفع تادمك] ، واحذر انصرافك من بين يدي الله إلى العارين ، وأن يكون آخر العهد بك ، فان ما أنت فيه لو دام لتغيرك لم يصل إليك ، وسيصير إلى غيرك وقد بلغت أخبار من مضى [١١] .

قال : فلما مات دفنته وطلبت الحضور عند الخليفة ، فلما أوفقت بين يديه قال : ما حاجتك ؟ قلت : هذا الخاتم دمه إلى رجل وأمرني أن أدفعه إليك ، وأوصاني بكلام أقوله لك ، فلما نظر الخاتم عرفه فقال : وبمك وأمين صاحب هذا الخاتم ؟ قال قلت : ملت يا أمير المؤمنين . ثم ذكرت الكلام الذي أوصاني به ، وذكرت له أنه كان يعمل بالفاعل في كل جمعة يوماً بدم وأربع دوانيق ، أو بدم ودانق ، يتقوت به سائر الجمعة ، ثم يقبل على العبادة . قال : فلما سمع هذا الكلام قام فضرب بنفسه الأرض وجعل يترغ ويتقلب ظهراً لبطن ويقول : والله لقد نصحتني يابني ، ثم بكى ، ثم رفع رأسه إلى الرجل وقال : أعترف قبره ؟ قلت : نعم ! أنا دفنته . قال : إذا كان المشي فائتني . قال : فأتيته فذهب إلى قبره فلم يزل يبكي عنده حتى أصبح ، ثم أمر فلانك الرجل بمسرة آلاف درهم . وكتب له ولديه رزقاً . وفيها ملت :

(عبد الله بن مصعب)

ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي ، والده بكار . أئزمه الرشيد بولاية المدينة قبلها بشروط عدل اشترطها ، فأجابته إلى ذلك ، ثم أضاف إليه نيابة اليمن ، فكان من أعدل الولاة ، وكان عمره يوم تولى نحواً من سبعين سنة .

(وعبد الله بن عبد العزيز العمري)

أدرك أبا طوالة ، وروى عن أبيه وإبراهيم بن سعد ، وكان عابداً زاهداً ، وعظ الرشيد يوماً فأطرب وأطيب . قال له وهو واقف على الصفا : أنتظركم حولها - يعني الكعبة - من الناس ؟ فقال : كثير . قال : كل منهم يسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت تسأل عنهم كلهم . فبكى الرشيد بكاء كثيراً ، وجعلوا يأتونه بمندبل بعد مندبل يشف به دموعه . ثم قال له : يهاورون إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرف في أموال المسلمين كلهم ؟ ثم تركهم وانصرف والرشيد يبكي . وله منه مواقف محمودة غير هذه . توفي عن ست وستين سنة .

(ومحمد بن يوسف بن ممدان)

أبو عبد الله الأصمعي ، أدرك التابعين ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة . كان عبد الله بن المبارك يسميه عروس الزهاد . وقال يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت أفضل منه ، كان كأنه قد عاين . وقال ابن مهدي : ما رأيت مثله ، وكان لا يشتري خبزه من خباز واحد ، ولا يقبله من بقال واحد ، كان لا يشتري إلا ممن لا يعرفه ، يقول : أخشى أن يجاورني فأكون ممن يعيش بدنيه . وكان لا يضع جنبه النوم صيفاً ولا شتاء . ومات ولم يجاوز الأربعين سنة رحمه الله .

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة)

فيها قتل أهل طبرستان متولهم مروه الرازي ، فولى الرشيد عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي . وفيها قتل عبد الرحمن الأنباري أبان بن قحطبة الخارجي بمرج العلقة . وفيها عك حزة الشاري ببلاد باغليس من خراسان ، قهض عيسى بن علي بن عيسى إلى عشرة آلاف من جيش حزة قتلهم ، وسار وراء حزة إلى كابل وزابلستان . وفيها خرج أبو الخصيب قنقلب على أبيورد وطوس ونيسابور وناصر مرو وقوى أمره . وفيها توفي يزيد بن مزيد برذعة ، فولى الرشيد مكانه ابنه أسد بن يزيد . واستأذن الوزير يحيى بن خالد الرشيد في أن يتم في رمضان فأذن له ، ثم رابط بجنده إلى وقت الحج . وكان أمير الحج في هذه السنة منصور بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها توفي :

﴿ عبد الصمد بن علي ﴾

ابن عبد الله بن عباس عم السفاح والمنصور . ولد سنة أربع ومائة ، وكان ضخماً خلق جدياً ولم يبدل أسنانه ، وكانت أصولها صفيحة واحدة ، قال يوما للرشيد : يا أمير المؤمنين هذا المجلس اجتمع فيه عم أمير المؤمنين ، وعم عمه ، وعم عم عمه ، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد ، والعباس بن محمد بن علي عم سليمان ، وعبد الصمد بن علي عم السفاح ، وتلخيص ذلك أن عبد الصمد عم عم الرشيد لأنه عم جده . روى عبد الصمد عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « إن البر والصلة ليطيلان الأعمار ، ويمران الديار ، وينريان الأموال ، ولو كان القوم غياراً » . وبه أن رسول الله ﷺ قال : « إن البر والصلة ليخففان الحساب يوم القيامة » ثم تلا رسول الله ﷺ (والذين يصولون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) . وغير ذلك من الأحاديث .

ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، المعروف بالامام ، كان على إمارة الحاج ، وإقامة سقانيته في خلافة المنصور عدة سنين . توفي ببغداد فصلى عليه الأمين في شوال من هذه السنة ، ودفن بالبليسية .

وفيها توفي من مشايخ الحديث تمام بن إسماعيل ، وعمر بن عبيد . والمطلب بن زياد . والمناقي ابن همران . في قول . ويوسف بن الماجشون . وأبو إسحاق الفزاري إمام أهل الشام بعد الأوزاعي في المنازى والعلم والعبادة ،

(ورابعة المدوية)

وهي رابعة بنت إسماعيل مولاة آل عتيك ، المدوية البصرية العابدة المشهورة . ذكرها أبو نعيم في الحلية والرسائل ، وابن الجوزي في صفوة الصفوة ، والشيخ شهاب الدين السهروردي في المعارف ، والقشيري . وأثنى عليها أكثر الناس ، وتكلم فيها أبو داود السجستاني ، وأتهمها بالزندقة ،

فلله بلغة عنها أمر . وأشد لها السهر وردى في المارق :-

إني جلستك في الفؤاد عذتى * وأجبت جسى من أراد جلوسى

فالجسم منى فجلوسى موانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسى

وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً صالحة ، وصيام نهار وقيام ليل ، ورؤيت لها منامات صالحة فآله

أعلم . توفيت بالقدس الشريف وقبرها شرقيها بالطور وآله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة ﴾

فيها خرج علي بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبي الغصيب إلى نسا قاتله بها ، وسى

نساءه وذراريه . واستقامت خراسان . وحج بالناس فيها الرشيد ومعه ابنه محمد الأمين ، وعبد الله

المأمون ، فبلغ جولة ما أعطى لأهل الحرمين ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وذلك أنه كان

يمطى الناس فيذهبون إلى الأمين فيعطيه ، فيذهبون إلى المأمون فيعطيه . وكان إلى الأمين

ولاية الشام والعراق ، وإلى المأمون من همدان إلى بلاد المشرق . ثم تابع الرشيد لوفده القاسم من

بمذ ولديه ، ولقبه المؤمنين ، وولاه الجزيرة والثغور والمواصم ، وكان الباعث له على ذلك أن ابنه

القاسم هذا كان في حجر عبد الملك بن صالح ، فطابع الرشيد لوفده كتب إليه :-

يا أيها الملك القى * لو كان نجماً كان مصدا

اعقد لقاسم ييمة * واقفح له في الملك زندا

ظله فرد واحد * فاجل ولادة العهد فردا

فضل الرشيد ذلك ، وقد حمده قوم على ذلك ، وفمه آخرون . ولم ينتظم لقاسم هذا أمر ، بل

اختلطته المنون والأقدار عن بلوغ الأمل والأوطار . ولما قضى الرشيد حجة أحضر من معه من

الأمراء والوزراء ، وأحضر ولي العهد محمداً الأمين وعبد الله المأمون . وكتب بمضمون ذلك

صحيفة ، وكتب فيها الأمراء والوزراء خطوطهم بالشهادة على ذلك ، وأراد الرشيد أن يعلقها في

الكعبة فبطلت قبيل : هذا أمر سريع انتفاضه . وكنا وقع كاسياني . وقال إبراهيم الموصلي في

عقد هذه البيعة في الكعبة :

خير الأمور مقية * وأحق أمر بالتقام

أمر قضى أحكامه الر * حن في البلاد الحرام .

وقد أطل القول في هذا المقام أبو جعفر بن جرير وبنو ابن الجوزي في المنتظم .

﴿ وفيها توفي من الأعيان ﴾

أصبح بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبورين في رمضان منها . وحسان بن إبراهيم قاضي

كرمان عن مائة سنة . ﴿وسلم الخمار الشاعر﴾

وهو سلم بن عمرو بن حاد بن عطاه ، وإثما قيل له الخمار لأنه باع مصحفا واشترى به دوان شعر لأمري القيس ، وقيل لأنه أنفق مائتي ألف في صناعة الأدب . وقد كان شاعراً منطبقاً له قدرة على الانشاء على حرف واحد ، كما قال في موسى الهادي :

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر كم اعتبر ثم فتر وكم قدر ثم غفر عدل السير باقى الأثر
خير البشر فرع مضر بدر بدر لمن نظر هو الوزر لمن حضر والمفتخر لمن غير
وذكر الخطيب أنه كان على طريقة غير مرضية من المجون والفسق ، وأنه كان من تلاميذ بشار
ابن برد ، وأن نظمه أحسن من نظم بشار ، فيما غلب فيه بشاراً قوله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته • وفاز بالطيبات الفاتك الهيج

فقال سلم من راقب الناس مات غمًا • وفاز بالفسخ الجسور

فغضب بشار وقال : أخذ معاني كلامي فكساها ألفاظاً أخف من ألفاظي . وقد حصل له من الخلفاء والبرامكة نحواً من أربعين ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك . ولما مات ترك ستة وثلاثين ألف دينار وديعة عند أبي الشعر النسائي ، فنفق إبراهيم الموصلي يوماً الرشيد فأطربه فقال له : سل . قال : يا أمير المؤمنين أسألك شيئاً ليس فيه من مالك شيء ، ولا أروأوك شيئاً سواه . قال : وما هو ؟ فذكر له وديعة سلم الخمار ، وأنه لم يترك وارثاً . فأمر له بها . ويقال إنها كانت خمسين ألف دينار .

﴿والمبلس بن محمد﴾

ابن علي بن عبد الله بن عباس عم الرشيد ، كان من سادات قريش ، ولى إمارة الجزيرة في أيام الرشيد ، وقد أطلق له الرشيد في يوم خمسة آلاف ألف درهم ، وإليه تنسب المباسية ، وبها دفن وعمره خمس وستون سنة ، وصلى عليه الامين .

﴿ويططين بن موسى﴾

كان أحد الدعاة إلى دولة بني العباس ، وكان داهية ذا رأى ، وقد احتال مرة حيلة عظيمة لما حبس مروان الحمار إبراهيم بن محمد بجرآن ، فتحررت الشيعة المباسية فيمن يولون ، ومن يكون ولى الأمر من بعدهم إن قتل ؟ فنهب يططين هذا إلى مروان فوقف بين يديه في صورة تاجر فقال : يا أمير المؤمنين إني قد بعت إبراهيم بن محمد بضاعة ولم أقبض ثمنها منه حتى أخذته رسلك ، فان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بيني وبينه لأطالبه بمالى فل . قال : نعم ! فأرسل به إليه مع غلام ، فلما رآه قال : يا عبد الله إلى من أوصيت بفسدك أخذ مالى منه ؟ فقال له : إلى ابن الحارثية - يعنى أخاه عبد الله السفاح - فرجع يططين إلى الدعاة إلى بني العباس فأعلمهم بما قال ، فبايعوا السفاح ، فكان من أمره

ما ذكرناه . (ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة)

فيها كان مهلك البرامكة على يدى الرشيد ، قتل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ، وصهر ديارم واندرست آثارهم ، وذهب صغارهم وكبارهم . وقد اختلف في سبب ذلك على أقوال ذكرها ابن جرير وغيره ، قيل إن الرشيد كان قد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر البرمكى ليسجنه عنده ، فما زال يحيى يترقب له حتى أطلقه ، فتم الفضل بن الربيع ذلك إلى الرشيد فقال له الرشيد : ويحك لا تدخل بينى وبين جعفر ، فلعله أطلقه عن أمرى وأنا لا أشعر . ثم سأل الرشيد جعفرأ عن ذلك فصدقه فنفيظ عليه وحلف ليقتله ، وكره البرامكة ، ثم قتلهم وقلام بمد ما كانوا أحطى الناس عنده ، وأجهم إليه ، وكانت أم جعفر والفضل أم الرشيد من الرضاعة ، وقد جعلهم الرشيد من الرقة في الدنيا وكثرة المال بسبب ذلك شيئاً كثيراً لم يحصل لمن قبلهم من الوزراء ولا لمن بعدهم من الأكابر والرؤساء ، بحيث إن جعفرأ بنى داراً غرم عليها عشرين ألف ألف درهم ، وكان ذلك من جهة ماومه عليه الرشيد . ويقال : إنما قتلهم الرشيد لأنه كان لا يرغب ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر ، ويقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزنقة . وقيل إنما قتلهم بسبب العباسية . ومن العلماء من أنكر ذلك وإن كان ابن جرير قد ذكره .

وذكر ابن الجوزى أن الرشيد سئل عن سبب قتله البرامكة فقال : لو أعلم أن قيصي يعلم ذلك لأحرقته . وقد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو في الفراش مع حظاياه . وهذه وجهة وميزة عالية . وكان عنده من أحطى المشراء على الشراب المسكر . فان الرشيد كان يستعمل في أواخر أيام خلافته المسكر . وكان أحب أهله إليه أخته العباسية بنت المهدي ، وكان يحضرها معه ، وجعفر البرمكى حاضر أيضاً معه ، فزوجه بها ليحل النظر إليها ، واشترط عليه أن لا يراها . وكان الرشيد ربما قام وتركها وهما تملآن من الشراب فرجما واقصها جعفر فجلت منه فولدت ولداً وبنته مع بعض جواربها إلى مكة ، وكان يربى بها .

وذكر ابن خلكان أن الرشيد لما زوج أخته العباسية من جعفر أحبها جداً شديداً ، فراودته عن نفسه فامتنع أشد الامتناع خوفاً من الرشيد ، فاحتالت عليه . وكانت أمه تهدي له في كل ليلة جمعة جارية حسنة بكرًا . فقالت لأمه : أدخليني عليه بصفة جارية . فهايت ذلك فتهديتها حتى قفلت ذلك . فلما دخلت عليه لم يتحقق وجهها فواقصها فقالت له : كيف رأيت خديعة بنات الملوك ؟ وحملت من تلك الهيلة ، فدخل على أمه فقال : بنتنى والله برخيص . ثم إن والده يحيى بن خالد جعل يضيق على عيال الرشيد في النقمة حتى شكت زبيدة ذلك إلى الرشيد مرات ، ثم أفشت له سر العباسية ، فاستشاط غيظاً ، ولما أخبرته أن الولد قد أرسلت به إلى مكة حج عام ذلك حتى تحقق الأمر . ويقال :

إن بعض الجوارى نمت عليها إلى الرشيد وأخبرته بما وقع، وأن الولد بمكة وعنده جوار وأموال وحلى كثيرة. فلم يصدق حتى حج في السنة الخالية، ثم كشف الأمر عن الحال، فإذا هو كاذب. وقد حج في هذه السنة التي حج فيها الرشيد يحيى بن خالد، فجعل يدعو عند الكعبة: اللهم إن كان برضيك عنى سلب جميع مالى وولدى وأهلى فأفضل ذلك وأبقى على من أفاضلهم، ثم خرج. فلما كان عند باب المسجد رجع فقال: اللهم والفضل معهم فإني راض برضاك عنى ولا تستن منهم أحداً.

فلما قتل الرشيد من الحج صار إلى الحيرة ثم ركب في السفن إلى الفهر من أرض الأنبار، فلما كانت ليلة السبت سلخ الحرم من هذه السنة أرسل مسروراً الخادم ومعه حماد بن سالم أبو عصمة في جماعة من الجن، فأطلقوا بجعفر بن يحيى ليلاً، فدخل عليه مسروراً الخادم وعنده يفتنوشع المتطبيب، وأبو ركانة الأعمى المنفى السكوداني، وهو في أمره وسروره، وأبو ركانة يئننه:

فلا تبعد فكل فنى سيأتى • عليه الموت يطرق أو ينادى

قال الخادم له: يا أبا الفضل هذا الموت قد طرقتك، أحب أمير المؤمنين. فقام إليه يقبل قدميه ويدخل عليه أن يمكنه فيدخل إلى أهله فيوصى إليهم ويدعهم، قال: أما الدخول فلا سبيل إليه، ولكن أوص. فأوصى وأعتق جميع عماليكه أو جماعة منهم، وجاءت رسل الرشيد تستحثه فأخرج إخراجاً عنيفاً، فجعلوا يقدرونه حتى أتوا به المنزل الذى فيه الرشيد، فحبسه وقيده قيد حار، وأعلموا الرشيد بما كان يفعل، فأمر بضرب عنقه، فجاء السيف إلى جعفر فقال: إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن آتية برأسك. قال: يا أبا هاشم لعل أمير المؤمنين سكران، فإذا صحت عاتبك في، فعاوده. فرجع إلى الرشيد فقال: إنه قول: لملك مشغول. قال: يا ماص بظر أمه اتنى برأسه. ففكر عليه جعفر المقتلة فقال الرشيد في الثالثة: برئت من المهدي إن لم تأتني برأسه لأتني من يأتني برأسك ورأسه. فرجع إلى جعفر فخر رأسه وأتى به إلى الرشيد فألقاه بين يديه، وأرسل الرشيد من ليلته البرد بالاحتياط على البرامكة جميعهم بيناد وغيرها، ومن كان منهم بسبيل. فأخذوا كلهم عن آخرهم. فلم يفلت منهم أحد. وحبس يحيى بن خالد في منزله، وحبس الفضل بن يحيى في منزل آخر. وأخذ جميع ما كانوا يملكونه من الدنيا، وبث الرشيد برأس جعفر وجهته فنصب الرأس عند الجسر الأعلى، وشقت اللجنة بأفتنين فنصب نصفها الواحد عند الجسر الأسفل، والآخر عند الجسر الآخر، ثم أحرقت بعد ذلك. وتودى في بغداد: أن لا أمان للبرامكة ولا لمن آوأم، إلا محمد بن يحيى بن خالد فإنه مستثنى منهم لنصحه للخليفة. وأتى الرشيد بآنس بن أبى شيخ كان يهتم بالزندقة، وكان مصاحباً لجعفر، فدار بينه وبين الرشيد كلام، ثم أخرج الرشيد من تحت فراشه سيفاً وأمر بضرب عنقه به. وجعل يمثل بيوت قبل في قتل أنس قبل ذلك:

تلمظ السيف من شوق إلى أنس • فالسيف يلحظ والأقبار تنتظر

فضربت عنق أنس فسبق السيف الدم فقال الرشيد : رحم الله عبد الله بن مصعب ، قال الناس : إن السيف كان الزبير بن العوام . ثم شحنت السجون بالبرامكة واستلبت أموالهم كلها ، وزالت عنهم النعمة . وقيد كان الرشيد في اليوم الذي قتل جعفر آ في آخره ، هو وإياه راكين في الصيد في أوله ، وقد خلا به دون ولاية اليهود ، وطيه في ذلك بالغالية بينه ، فلما كان وقت المغرب ودعه الرشيد وضه إليه وقال : لولا أن الليلة ليسة خلوتى بالنساء ما فارتك ، فذهب إلى منزلك واشرب وأطرب وطب عيشا حتى تكون على مثل حالى ، فأكون أنا وأنت في الأفنة سواء . قال : والله يا أمير المؤمنين لا أشتى ذلك إلا منك . قال : لا ! انصرف إلى منزلك . فانصرف عنه جعفر فاهو إلا أن ذهب من الليل بعضه حتى أوقع به من البأس والتكال ما تقسم ذكره . وكان ذلك ليلة السبت آخر ليلة من الحرم ، وقيل إنها أول ليلة من صفر في هذه السنة ، وكان عمر جعفر إذ ذاك سبعا وثلاثين سنة ، ولما جاء الخبر إلى أبيه يحيى بن خالد بقتله قال : قتل الله ابنه . ولما قيل له : قد خربت دارك قال : خرب الله دوره . ويقال : إن يحيى لما نظر إلى دوره وقد هتكت ستورها واستبيحت قصورها ، وانهب ما فيها . قال : هكنا قوم الساعة . وقد كتب إليه بعض أصحابه يريه فيها جرى له ، فكتب إليه جواب التعزية : أنا بقضاء الله راض ، وباختياره عالم ، ولا يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم ، وما الله بظلام للعبيد . وما ينفر الله أكثره الحمد . وقد أكثر الشعراء من المراثى في البرامكة فمن ذلك قول الرقائى ، وقيل إنها لأبي نواس :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا • وأمسك من يحدى ومن كان يحدى
قل للمطايا قد أمنت من الشرى • وطى النياقي فدفداً بعد دفد
وقل للدنيا قد ظفرت بجعفر • ولن تظفرى من بعده بمسود
وقل للمطايا بعد فضل تطل • وقل لفرزاي كل يوم يحدى
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً • أصيب بسيف هاشمى مهند
وقال الرقائى ، وقد نظر إلى جعفر وهو على جفنه :

أما والله لولا خوف واش • وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جندك واستلنا • كالناس بالبحر استلام
فأبصرت قبلك يا ابن يحيى • حساماً فله السيف الحسام
على القنات والدنيا جميعاً • ودولة آل برمك السلام
قال فاستدله الرشيد فقال له : كم كان يطيك جعفر كل عام ؟ قال : ألف دينار . قال : فأمر له

بألفي دينار . وقال الزبير بن بكار عن عمه مصعب الزبيري قال : لما قتل الرشيد جعفرًا وقتت امرأة على حمار فاره فقالت بلسان فصيح : والله يا جعفر لئن صرت اليوم آية لقد كنت في المكارم غاية ، ثم أنشأت تقول :

ولما رأيت السيف خالط جعفرًا • ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت أنما • قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
وما هي إلا دولة بعد دولة • تحوّل ذا نعمي ونعمب ذا بلوى
إذا أنزلت هذا منازل رمة • من الملك حطت ذا إلى الغاية القصوى

قال : ثم حرك حمارها فذهبت فكأنها كانت ريحاً لا أثر لها ، ولا يعرف أين ذهبت .

وذكر ابن الجوزي أن جعفرًا كان له جارية يقال لها قتيبة مفضية ، لم يكن لها في الدنيا نظير ، كان يشتراها عليه بن منها من الجوارى مائة ألف دينار ، فطلبها منه الرشيد فامتنع من ذلك ، فلما قتله الرشيد اصطفى تلك الجارية فأحضرها ليلة في مجلس شرابه وعندم جماعة من جلسائه وسامره ، فأمر من معها أن يفتين فاندفعت كل واحدة فتى ، حتى انتهت التوبة إلى قتيبة ، فأمرها بالبقاء فأسبلت دمها وقالت : أما بعد السادة فلا . فضرب الرشيد غضباً شديداً ، وأمر بعض الحاضرين أن يأخذها إليه فقد وهبها له ، ثم لما أراد الانصراف قال له فيما بينه وبينه : لا تطأها . فضمهم أنه إنما يريد بذلك كسرهما . فلما كان بعد ذلك أحضرها وأظهر أنه قد رضى عنها وأمرها بالبقاء فامتنعت وأرسلت دمها وقالت : أما بعد السادة فلا . فضرب الرشيد أشد من غضبه في المرة الأولى وقال : النطع والسيف ، وجه السيف فوقف على رأسها فقال له الرشيد : إذا أمرتك ثلاثاً وعقدت أصابعي ثلاثاً فاضرب . ثم قال لها غن : فبكت وقالت : أما بعد السادة فلا . فقد أصبغه الخنصر ، ثم أمرها الثانية فامتنعت ، فقد اثنتين ، فارتعد الحاضرون وأشفقوا غاية الاشفاق وأقبلوا عليها يسألونها أن تفتي لثلاث تقتل نفسها ، وأن نجيب أمير المؤمنين إلى ما يريد . ثم أمرها الثالثة فاندفعت فتى كارهة :

لما رأيت الدنيا قد درست • أيقنت أن النعم لم يمد

قال فوثب إليها الرشيد وأخذ العود من يدها وأقبل يضرب به وجهها ورأسها حتى تكسر ، وأقبلت الدماء وتطايرت الجوار من حولها ، وحلت من بين يديه فانت بعد ثلاث .

وروى أن الرشيد كان يقول : لمن الله من أغرائي بالبرامكة ، فاجدت بدم فقة ولا راحة ولا رجاء ، وحدث والله أني شطرت نصف عمرى وملكت وأنى تركهم على حلهم .

وحكى ابن خلكان أن جعفرًا اشترى جارية من رجل بأربعمائة ألف دينار ، فالتفت إلى بائعها وقالت : إذ ذكر العهد الذي بيني وبينك ، لا تأكل من ثمنى شيئاً . فبكى سيدها وقال : اشهدوا أنها

حرة ، وأتى قد تزوجتها . فقال جعفر : اشهدوا أن الثمن له أيضا . وكتب إلى نائب له : أما بعد فقد
كثر شاكوك ، وقل شاكر وك ، فأما أن قتل ، وإما قتل . ومن أحسن ما وقع منه من التلطف
في إزالة هم الرشيد ، وقد دخل عليه منجم يهودى فأخبره أنه سيموت في هذه السنة ، فعمل الرشيد
هما عظيما ، فدخل عليه جعفر فسأله : ما الخبر ؟ فأخبره بقول اليهودى . فاستدعى جعفر اليهودى
فقال له : كم بقى لك من العمر ؟ فذكر مدة طويلة . فقال : يا أمير المؤمنين اقتله حتى تعلم كذبه فيما
أخبر عن عمره . فأمر الرشيد باليهودى قتل ، وسرى عن الرشيد الذى كان فيه .

وبعد مقتل البرامكة قتل الرشيد إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، وذلك أنه حزن على البرامكة ،
ولا سيما على جعفر ، كان يكثر البكاء عليهم ، ثم خرج من حيز البكاء إلى حيز الانتصار لهم والأخذ
بأمرهم ، وكان إذا شرب في منزله يقول لجاريته : اثنتى بسقى ، فيسقه ثم يقول : والله لأقتلن قاتله ،
فأكثر أن يقول ذلك ، فغشى ابنه عثمان أن يطلع الخليفة على ذلك فيهلكهم عن آخرهم ، ورأى أن
أباه لا ينزع عن هذا ، فذهب إلى الفضل بن الربيع فأعلمه ، فأخبر الفضل الخليفة ، فاستدعى به
فاستخبره فأخبره ، فقال : من يشهد مملك عليه ؟ فقال : فلان الخادم . فجاء به فشهد ، فقال الرشيد :
لا يحل قتل أمير كبير بمجرد قول غلام وخصى ، لعلهما قد تواطأ على ذلك . فأحضره الرشيد معه
على الشراب ثم خلا به فقال : ويحك يا إبراهيم إن عندى سرا أحب أن أطلعك عليه ، أفقتنى في
الليل والنهار . قال : وما هو ؟ قال : إني نمت على قتل البرامكة ووددت أنى خرجت من نصف
ملكى ونصف عمرى ولم أكن فعلت بهم ما فعلت ، فأتى لم أجدهم قلة ولا راحة . فقال : رحمة الله
على أبى الفضل - يعنى جعفر - وبكى ، وقال : والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله . فقال له : قم
لنك الله ، ثم حبسه ثم قتله بعد ثلاثة أيام . وسلم أهله وولده .

وفي هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بسبب أنه بلغه أنه يريد الخلافة ، واشتد
غضبه بسببه على البرامكة الذين هم في الحبوس ، ثم سجنه فلم يزل في السجن حتى مات الرشيد
فأخرجوه الأمين وعقد له على نياحة الشام . وفيها ثلث المصيبة بالشام بين المضرية والتزارية ،
فبث إليهم الرشيد محمد بن منصور بن زيد فأصلح بينهم .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالمصيبة فاتهم بعض سورها ونضب ماؤها ساعة من الليل . وفيها
بث الرشيد ولده القاسم على الصائفة ، وجعله قربانا وسيلة بين يديه ، وولاه المواسم ، فسار إلى
بلاد الروم فغاصرهم حتى اقتصدوا بخلق من الأسارى يطلقونهم ويرجع عنهم ، فعمل ذلك . وفيها
تقضت الروم الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين ، اتقى كل عنده الرشيد بينه وبين رضى ملكة
الروم الملقبة أعطه . وذلك أن الروم عزلوها عنهم وملكوا عليهم التتور ، وكان شجاعا ، يقال إنه

من سلاة آل جنة ، فغفلوا رنى وسلموا عيبتها . فكتب تغفور إلى الرشيد : من تغفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلى أمانتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها ، وذلك من ضعف النساء وحققن ، فإذا قرأت كتابى هذا فاردد إلى ماحلته إليك من الأموال وافند نفسك به ، وإلا فالسيف بيننا وبينك . فلما قرأ هارون الرشيد كتابه أخذه الغضب الشديد حتى لم يتمكن أحد أن ينظر إليه ، ولا يستطيع مخاطبته ، وأشفق عليه جلساؤه خوفاً منه ، ثم استدعى بدواة وكتب على ظهر الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى تغفور ملك الروم . قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب مآراه دون ما تسمه والسلام . ثم شخص من فوره وسار حتى نزل بياب هرقة ففتحها واصطلى ابنه ملكها ، وغنم من الأموال شيئاً كثيراً ، وخرب وأحرق ، فطلب تغفور منه المودة على خراج يؤديه إليه فى كل سنة ، فأجابته الرشيد إلى ذلك . فلما رجع من غزوته وصار بالركة قضى الكافر المهدي وخان الميثاق ، وكان البرد قد اشتد جداً ، فلم يقدر أحد أن يجيئ فيخبر الرشيد بذلك فظفهم على أنفسهم من البرد ، حتى يخرج فصل الشتاء . وحج بالناس فيها عبد الله بن عباس بن محمد بن على .

﴿ ذكر من توفى فيها من الأعيان ﴾

جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل البرمكى الوزير ابن الوزير ، ولاء الرشيد الشام وغيرها من البلاد ، وبعثه إلى دمشق لما ثارت الفتنة المشيران بمحوران بين قيس ويعن ، وكان ذلك أول ما ظهرت بين قيس ويعن فى بلاد الاسلام ، كان حامداً من زمن الجاهلية فأثاروه فى هذا الأوان ، فلما قدم جعفر بجيشه خعت الشرور وظهر السرور ، وقيلت فى ذلك أشمار حسان ، قد ذكر ذلك ابن عساكر فى ترجمة جعفر من تاريخه منها : —

لقد أوقفت فى الشام نيران فتنة * فهنا أوان الشام فحمد نارها
إذا جاش موج البحر من آل برمك * عليها خبت شهباتها وشرارها
رمها أمير المؤمنين بجعفر * وفيه تلافى صدعها وأنجبارها
هو الملك المأمول لهم والتقى * وصولاته لا يستطاع خطارها

وهى قصيدة طويلة ، وكانت له فصاحة وبلاغة وذكره وكرم زائد ، كان أبوه قد ضمه إلى القاضى أبى يوسف فتفقه عليه ، وصار له اختصاص بالرشيد ، وقد وقع ليله بمحضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع ، ولم يخرج فى شئ منها عن موجب الفقه . وقد روى الحديث عن أبيه عن عبد الحميد الكاتب عن عبد الملك بن مروان كاتب عثمان بن زيد بن ثابت كاتب الرضى . قال قال رسول الله

عليه السلام : « إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فين السنين فيه » . رواه الخطيب وابن عساكر من طريق أبي القاسم الكعبي المتكلم ، واسمه عبد الله بن أحمد البلخي - وقد كان كاتباً لمحمد بن زيد - عن أبيه عن عبد الله بن طاهر عن طاهر بن الحسين بن زريق عن الفضل بن سهل ذي الرياستين عن جعفر بن يحيى به . وقال عمرو بن بحر الجاحظ قال جعفر الرشيد : يا أمير المؤمنين ! قال لي أبي يحيى : إذا أقبلت الدنيا عليك فاعط ، وإذا أدبرت فاعط ، فاتها لا تبق ، وأنشدني أبي :

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

فان تولت فأحرى أن تجود بها * فالخدمتها إذا ما أدبرت خلف

قال الخطيب : ولقد كان جعفر من علو القدر وفناء الأمر وعظم المحل وجلالة المنزلة عند الرشيد على حالة انفردها ، ولم يشاركه فيها أحد . وكان سمح الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر . أما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فأشهر من أن يذكر . وكان أيضاً من ذوى الفصاحة والمذكورين بالبلاغة .

وروى ابن عساكر عن مهذب حاجب العباس بن محمد صاحب قطعة العباس والعباسية أنه أصابته فاقة وضائقة ، وكان عليه ديون ، فألح عليه المطالبون وعنده سبط فيه جواهر شراؤه عليه ألف ألف ، فأتى به جعفراً فرضه عليه وأخبره بما هو عليه من الثمن ، وأخبره بالحاج المطالبين بدينهم ، وأنه لم يبق له سوى هذا السبط . فقال : قد اشتريته منك بألف ألف ثم أقبضه الممال وقبض السبط منه ، وكان ذلك ليلاً . ثم أمر من ذهب للمال إلى منزله وأجلسه معه في السر تلك الليلة ، فلما رجع إلى منزله إذا السبط قد سبقه إلى منزله أيضاً . قال فلما أصبحت غدوت إلى جعفر لا تشكر له فوجدته مع أخيه الفضل على باب الرشيد يستأذنان عليه ، فقال له جعفر : إني قد ذكرت أمرك للفضل ، وقد أمرك بألف ألف ، وما أنظمت إلا قد سبقتك إلى منزلك ، وسأفاوض فيك أمير المؤمنين . فلما دخل ذكر له أمره وما لحقه من الديون فأمر له بثلاثمائة ألف دينار .

وكان جعفر ليلة في سمره عند بعض أصحابه فجاءت الخنفساء فركبت ثياب الرجل فألقاها عنه جعفر وقال : إن الناس يقولون : من قصده الخنفساء يبشر بمال يصيبه . فأمر له جعفر بألف دينار . ثم عادت الخنفساء ، فركبت إلى الرجل فأمر له بألف دينار أخرى .

وحج مرة مع الرشيد فلما كانوا بالمدينة قال لرجل من أصحابه : انظر جارية أشتريها تكون فاقعة في الجمال والغناء والطاعة ، فقتش الرجل فوجد [جارية] على التمت فطلب سيدها فيها مالا كثيراً على أن يراها جعفر ، فذهب جعفر إلى منزل سيدها فلما رآها أعجب بها ، فلما غنته أعجبه أكثر ، فسأله صاحبها فيها ، فقال له جعفر : قد أحضرتا مالا فأن أعجبك وإلا زدناك ، فقال لما سيدها : إني كنت في نعمة وكنت عندى في غاية السرور ، وإنه قد أقبض على حالي ، وإني قد أحبيت أن

أيملك لهذا الملك ، لكي تكوني عنده كما كنت عندى . قالت له الجارية : والله يا سيدى لو ملكت منك كما ملكت منى لم أملك بالدنيا وما فيها ، وأين ما كنت عاهدتني أن لا يبيحن ولا تأكل من ثمنى . فقال سيدها جعفر وأصحابه : أشهدكم أنها حرة لوجه الله ، وأتى قد تزوجتها . فلما قال ذلك نهض جعفر وقام أصحابه وأمروا الحمال أن يحمل المال . فقال جعفر : والله لا يتبعنى ، وقال للرجل : قد ملكتك هذا المال فأفقه على أهلك ، وذعب وتركه .

هذا وقد كان يبخل بالنسبة إلى أخيه الفضل ، إلا أن الفضل كان أكثر منه مالا . وروى ابن عساکر من طريق الهارثى بنسبه أنه لما أصيب جعفر وجندوا له فى جرة ألف دينار ، زنة كل دينار مائة دينار ، مكتوب على صفحة الدينار جعفر

وأصغر من ضرب دار الملوك • يلوح على وجهه جعفر

يزيد على مائة واحداً • متى تطلعه مفسراً يوسر

وقال أحمد بن المولى الراوية : كتبت عنان جارية الناطقى لجعفر تطلب منه أن يقول لأبيه

يجب أن يشير على الرشيد بشرائها ، وكتبت إليه هذه الأبيات من شعرها فى جعفر :-

يا لائى جهلا ألا تهمر • من ذا على حر الهوى يصير

لا تلحنى إذا شربت الهوى • صرفاً فمزوج الهوى سكر

أحاط بى الحب تغلقى له • بحر وقد أوى له أبحر

تخفق رايت الهوى بالردى • فوق وحولى للهوى عسكر

سيان عندى فى الهوى لائم • أقل فيه والذى يكثر

أنت المصق من بنى برمك • يا جعفر الخيرات يا جعفر

لا يبلغ الواصف فى وصفه • ما فى من فضل ولا يمشر

من وفر المال لأغراضه • فجعفر أغراضه أوفر

ديباجة الملك على وجهه • وفى يديه العارض المطر

سحت علينا منها ديمة • ينهل منها الذهب الأحر

لو مسحت كفاه جلوده • نضر فيها الورق الأخضر

لا يستم المجد إلا نقى • يصير للبذل كما يصير

بهتر تلج الملك من فوقه • تغراً ويزهى تحته المنبر

أشبه البدر إذا ما بدا • أو غرة فى وجهه يزهر

والله ما أدرى أبدر الدجى • فى وجهه أم وجهه أنور

يستمر الزوار منك اللدى * وأنت بازوار تستبشر
وكتبت تحت أبياتها حاجتها ، فركب من فوره إلى أبيه فأدخله على الخليفة فأشار عليه بشرائها
قال : لا والله لا أشتريها ، وقد قال فيها الشراء فأكثرها ، واشتهر أمرها وهي التي يقول فيها أبو نواس :
لا يشتريها إلا ابن زانية * أو قلعطين يكون من كاتا
وعن ثعلبة بن أشرس قال : بت ليلة مع جعفر بن يحيى بن خالد ، فالتقه من منامه يبكي مذعوراً
قلت : ما شأنك ؟ قال : رأيت شيخاً جاء فأخذ بمضادتي هذا الباب وقال :
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسر بمكة سائر
قال فأجبت : بلى نحن كنا أهلها فأبدنا * صروف الهال والجدود العوائر
قال ثعلبة : فلما كانت الليلة القابلة قتله الرشيد ونصب رأسه على الجسر ثم خرج الرشيد فنظر
إليه فتأمله ثم أنشأ يقول :

تقاضاك دهرك ما أسلفنا * وكدم عيشك بعد الصفا
فلا تسجين فان الزمان * رهين بتفريق ما ألفنا
قال : فنظرت إلى جعفر وقلت : أما لئن أصبحت اليوم آية فلقد كنت في الكرم والجدود غاية ،
قال : فنظر إلى كأنه جمل صؤول ثم أنشأ يقول : -

ما يعجب العالم من جعفر * ما عاينوه فبنا كاتا
من جعفر أو من أبوه ومن * كانت بنو برمك لولانا

ثم حول وجه فرسه وانصرف .

وقد كان مقتل جعفر ليلة السبت مستهل صفر من سنة سبع وثمانين ومائة ، وكان عمره سبعمائة
وثلاثين سنة ، ومكث وزيراً سبع عشرة سنة . وقد دخلت عبادة أم جعفر على أناس في يوم عيد
أنهى تستمنحهم جلد كبش تدفأ به ، فسألوها عن ما كانت فيه من النعمة فقالت : لقد أصبحت في
مثل هذا اليوم وإن على رأسي أربعمائة وصيفة ، وأقول إن ابني جعفر ألقى لي . وروى الخطيب
البغدادي بإسناده أن سفيان بن عيينة لما بلغه قتل الرشيد جعفرًا وما أحل بالبرامكة ، استقبل القبلة
وقال : اللهم إن جعفرًا كان قد كفاني مؤنة الدنيا فأكفه مؤنة الآخرة .

(حكاية غريبة)

ذكر ابن الجوزي في المنتظم أن المأمون بلغه أن رجلاً يأتي كل يوم إلى قبور البرامكة فيبكي
عليهم ويندبهم ، فبعث من جاء به ففصل عليه وقد يئس من الحياة ، فقال له : ويحك ! ما يملكك على
صنيعك هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنهم أسدوا إلى معروفًا وخيراً كثيراً . قال : وما الذي

أسدوه إليك ؟ قال : أنا المنزورين المنير من أهل دمشق ، كنت بدمشق في بقعة عظيمة واسعة ، فزالت عني حتى أفضى بي الحال إلى أن بعت داري ، ثم لم يبق لي شيء ، فأشار بعض أصحابي على بقصد البرامكة ببغداد ، فأتيت أهلي وتحمّلت بعالي ، فأتيت ببغداد ومعي نيف وعشرون امرأة فأنزلن في مسجد مهجور ثم قصصت مسجدا مأهولا أصلي فيه . فدخلت مسجدا فيه جماعة لم أر أحسن وجوها منهم ، فجلست إليهم فجعلت أدبر في نفسي كلاما أطلب به منهم قوتا لغيلال الذين معي ، فيمنعني من ذلك السؤال الحياء ، فبينما أنا كذلك إذا بخادم قد أقبل فنعاهم فقاموا كلهم وقت معهم ، فدخلوا دارا عظيمة ، فإذا الوزير يحيى بن خالد جالس فيها فجلسوا حوله ، فقد عقد ابنته عائشة على ابن عم له ونثروا فلق المسك وبنادق المنير ، ثم جاء الخدم إلى كل واحد من الجماعة بصفيّة من فضة فيها ألف دينار ، ومهما فئات المسك ، فأخذها القوم ونهضوا وبقيت أنا جالسا ، وبين يدي الصفيّة التي وضعوها لي ، وأنا أهلب أن آخذها من عظمتها في نفسي ، فقال لي بعض الحاضرين : ألا تأخذها وتنهب ؟ فعدت يدي فأخذتها فأفرغت ذهبها في جيبتي وأخذت الصفيّة تحت إبطي وقت ، وأنا خائف أن تؤخذ مني ، فجعلت أتلفت والوزير ينظر إلى وأنا لا أشعر ، فلما بلغت الستارة أمرم فردوني فبست من المال ، فلما رجعت قال لي : ما شأنك خائف ؟ قصصت عليه خبري ، فبكى ثم قال لأولاده : خنوا هنا فضموه إليكم . فجاءني خادم فأخذ مني الصفيّة والذهب وأقت عندهم عشرة أيام من ولد إلى ولد ، وخاطري كله عند عيالي ، ولا يمكنني الانصراف ، فلما انقضت العشرة الأيام جاءني خادم فقال : ألا تنهب إلى عيالك ؟ قلت : بلى والله ، فقام يمشي أمامي ولم يعطني الذهب ولا الصفيّة ، قلت : يا ليت هذا كان قبل أن يؤخذ مني الصفيّة والذهب ، ياليت عيالي رأوا ذلك . فسار يمشي أمامي إلى دار لم أر أحسن منها ، فدخلتها فإذا عيالي يتمرغون في الذهب والحريز فيها ، وقد بعثوا إلى الدار مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ، وكتبا فيه تملك الدار بما فيها ، وكتبا آخر فيه تملك قريتين جليلتين ، فكننت مع البرامكة في أطيب عيش ، فلما أصيبوا أخذ مني عمرو بن مسعدة القريتين وألزمني بخراجهما ، فكلما لحقني فاقة قصصت دورم وبقورم فبكت عليهم . فأمر المأمون برد القريتين ، فبكى الشيخ بكاء شديدا فقال المأمون : مالك ؟ ألم استأنف بك جميلا ؟ قال : بلى ! ولكن هو من بركة البرامكة . فقال له المأمون : امض مصاحباً فإن الوفاء مبارك ، ومراعاة حسن العهد والصحبة من الايمان . وفيها توفي :

﴿ الفضيل بن عياض ﴾

أبو علي التميمي أحد أئمة السباد الزهاد ، وهو أحد العلماء والأولياء ، ولد ببغراسان بكورة دینور وقدم الكوفة وهو كبير ، فسمع بها الأعشى ومنصور بن المعتز وعطاء بن السائب وحسين بن

عبد الرحمن وغيرهم . ثم انتقل إلى مكة فتعبد بها ، وكان حسن التلاوة كثير الصلاة والصيام ، وكان سيداً جليلاً من أئمة الرواية رحمه الله ورضي عنه . وله مع الرشيد قصة طويلة ، وقد روي ذلك مطولاً في كيفية دخول الرشيد عليه منزله ، وما قال له الفضيل بن عياض ، وعرض عليه الرشيد المال فأبى أن يقبل منه ذلك . توفي بمكة في المحرم من هذه السنة . وذكروا أنه كان شاطراً يقطع الطريق ، وكان يتمشى جارية ، فيبينا هو ذات ليلة يتصور عليها جداراً إذ سمع قارئاً يقرأ (ألم بأن الذين آمنوا أن نخضع قلوبهم لذكر الله) فقال : بلى ! وتلب وأقلع عما كان عليه . ورجع إلى خربة فبث بها فسمع سفاراً يقولون : خذوا حذركم إن فضيلاً أمامكم يقطع الطريق ، فأمهم واستمر على توبته حتى كان ممناً كان من السيادة والعبادة والزهادة ، ثم صار علماً يقتدى به ويهتدى بكلامه وفعله . قال الفضيل : لو أن الدنيا كلها حلال لا أحاسب بها لكننت أتعفوها كما يتعفرون أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه ، وقال : العمل لأجل الناس شرك ، وترك العمل لأجل الناس رياء ، والاختلاص أن ينافيك الله منهما . وقال له الرشيد يوماً : ما أزهك ، قال : أنت أزهد مني ، لأنني أنا زهدت في الدنيا التي هي أقل من جناح بعوضة ، وأنت زهدت في الآخرة التي لا قيمة لها ، فأنا زاهد في الفاني وأنت زاهد في الباقي ، ومن زهد في درة أزهد من زهد في برة . وقد روى مثل هذا عن أبي حازم أنه قال ذلك لسليمان بن عبد الملك .

وقال : لو أن لي دعوة مستجابة لجمعتها للامام ، لأن به صلاح الرعية ، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد . وقال : إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حمارى وخادى وأمرأتى وأقاربى [وقال في قوله تعالى : (ليلوكم أيكم أحسن عملاً) . قال : يعنى أخلصه وأصوبه ، إن العمل يجب أن يكون خالصاً لله ، وصواباً على متابعة النبي ﷺ] ^(١) وفيها توفي :

بشر بن المفضل . وعبد السلام بن حرب . وعبد العزيز بن محمد الدراوردي . وعبد العزيز المسمى . وعلى بن عيسى ، الأمير ببلاد الروم مع القاسم بن الرشيد في الصائفة . ومعتز بن سليمان وأبو شبيب البرائي الزاهد ، وكان أول من سكن يربا في كوخ له يتعبد فيه ، فهو يته امرأة من بنات الرؤساء فأنخلت مما كانت فيه من الدنيا والسعادة والحشمة ، وتزوجته وأقامت معه في كوخه تتعبد حتى مات ، يقال إن اسمها جوهرة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة ﴾

فيها غزا إبراهيم بن إسرائيل الصائفة فدخل بلاد الروم من درب الصفصاف فخرج النعمان للقاءه فخرج النعمان ثلاث جراح ، وأهزم ، وقتل من أصحابه أكثر من أربعين ألفاً ، وغنموا أكثر من

أربعة آلاف دابة . وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق . وفيها حج بالناس الرشيد ، وكانت آخر حجاته . وقد قال أبو بكر حين رأى الرشيد منصرفاً من الحج - وقد اجتاز بالكوفة - لا يبيع الرشيد بسدها ، ولا يبيع بدمه خليفة أبداً . وقد رأى الرشيد يهلول الموله فوعظه موعظة حسنة ، فروينا من طريق الفضل بن الربيع الحجاب قال : حججت مع الرشيد فرزنا بالكوفة فإذا يهلول المجنون يهذى ، قلت : اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين ، فسكت . فلما حاذاه المودج قال : يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن قائل ثنا قدامة بن عبد الله العامري قال : رأيت النبي ﷺ يمشي على جبل وتحتة رحل رث ، ولم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك . قال الربيع قلت : يا أمير المؤمنين إنه يهلول ، فقال : قد عرفته ، قل يا يهلول فقال :

هب أن قد ملكت الأرض طرأ • ودان لك العباد فكان ماذا

أليس غداً مصيرك جوف قبر • ويحنو عليك التراب هنا ثم هذا

قال : أجبته يهلول ، أفنيره ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! من رزقه الله مالا وجالاً فف في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الله من الأبرار . قال : فظن أنه يريد شيئاً ، فقال : إنا أمرنا بقضاء دينك . فقال : لا فعل يا أمير المؤمنين ، لا يقضى دين بدين ، اردد الحق إلى أهله واقضى دين نفسك من نفسك . قال : إنا أمرنا أن يجرى عليك رزق قنات به . قال : لا فعل يا أمير المؤمنين فانه سبحانه لا يعطيك وينسأني ، [وها أنا قد عشت عمراً لم فجر على رزقا ، انصرف لاجلتي في جراتك . قال : هذه ألف دينار خفها . فقال : ارددها على أصحابها فهو خير لك ، وما أصنع أنا بها ؟ انصرف عني فقد آذيتني . قال : فانصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا] ^(١) ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ أبو إسحاق الفزاري ﴾

إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة ، إمام أهل الشام في المنازى وغير ذلك . أخذ عن الثوري والأوزاعي وغيرهما ، توفي في هذه السنة . وقيل قبلها .

﴿ وإبراهيم الموصلي ﴾

النديم ، وهو إبراهيم بن ماهان بن بهمن أبو إسحاق ، أحد الثمراء والمنين والندماء للرشيد وغيره ، أصله من الفرس وولد بالكوفة وصحب شبابه وأخذ عنهم الفناء ، ثم سافر إلى الموصل ثم عاد إلى الكوفة فقالوا : الموصلي . ثم اتصل بالخلفاء أولهم المهدي وحظي عند الرشيد ، وكان من جملة ساره وندمائه ومنفيه ، وقد أئزى وكثر ماله جداً ، حتى قيل إنه ترك أربعة وعشرين ألف ألف

درهم ، وكانت له طرف وحكايت غريبة ، وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة في الكوفة ، ونشأ في
كفالة بني تميم ، فتعلم منهم ونسب إليهم ، وكان فاضلاً بلوغاً في صناعة القناء ، وكان مزوجاً بأخت
النصور الملقب بزحل ، التي كان يضرب معه ، فإذا غنى هذا وضرب هذا اهتز المجلس . توفي في
هذه السنة على الصحيح ، وحكى ابن خلكان في الوفيات أنه توفي وأبو المتاهية وأبو عمرو الشيباني
يبتعدان في يوم واحد من سنة ثلاث عشرة ومائتين . وصحح الأول . ومن قوله في شعره عند احتضاره
قوله :

ملّ والله طيبي * من مقاساة التي بي

سوف أنفي عن قريب * لسوء وحيب

وفيها مات جرير بن عبد الحميد . ورشد بن سعد . وعبد بن سليمان . وعقبة بن خالد . وعمر
ابن أيوب العابد أحد مشايخ أحمد بن حنبل . وعيسى بن يونس في قول .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة ﴾

فيها رجع الرشيد من الحج وسار إلى الرى فولى وعزل . وفيها رد علي بن عيسى إلى ولاية
خراسان ، وجاءه ثواب تلك البلاد بالهدايا والتحف من سائر الأشكال والألوان ، ثم عاد إلى بغداد
فأدركه عيد الأضحى بقصر القصوص فضحى عنده ، ودخل إلى بغداد لثلاث بقين من ذى الحجة ،
فلما اجتاز بالجرس أمر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي فأحرقت ودفنت ، وكانت مصلوبة من حين قتل
إلى هذا اليوم ، ثم ارتحل الرشيد من بغداد إلى الرقة ليسكنها وهو متأسف على بغداد وطيبها ، وإثما
مراده بقتله بالرقعة دفع المفسدين بها ، وقد قال العباس بن الأحنف في خروجهم من بغداد مع الرشيد :

ما أمتحنا حتى ارتحلنا فإنا : * فرق بين المنان والارتحال

ساملونا عن حالنا إذ قمنا * قرئنا وداعهم بالسؤال

وفيها قُتل الرشيد الأسارى من المسلمين الذين كانوا يملأون الروم ، حتى يقال إنه لم يترك بها
أسيراً من المسلمين . قتال فيه بعض الثمراء :

وفكت بك الأسرى التي شيدت لها * محابس ما فيها جيم يزورها

على حين أعياء المسلمين فكأكها * وقالوا سجون المشركين قبورها

وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق بمحاصر الروم . وفيها حج بالناس العباس بن موسى
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

﴿ ذكر من توفي فيها من الأعيان ﴾

علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز أبو الحسن الأسدي مولاهم ، الكوفي المعروف بالكسائي
لاحرامه في كساء ، وقيل لاشتغاله على حمزة الزيت في كساء ، كان نحوياً لغوياً أحد أئمة القراء ، أصله

من الكوفة ثم استوطن بغداد فأحب الرشيد وولاه الأمين ، وقد قرأ على حمزة بن حبيب الزيات قراءته ، وكان يقرئ بها ، ثم اختار لنفسه قراءة وكان يقرأ بها . وقد روى عن أبي بكر بن عياش وسفيان بن عيينة وغيرهما ، وعنه يحيى بن زياد القراء وأبو عبيد . قال الشافعي : من أراد النحو فهو عيال على الكسائي . أخذ الكسائي عن الخليل صناعة النحو فسأله يوماً : عن من أخذت هذا العلم ؟ قال : من بوادي الحجاز . فرحل الكسائي إلى هناك فكتب عن العرب شيئاً كثيراً ، ثم عاد إلى الخليل فإذا هو قد مات وتصور في موضعه يونس ، فحرت بينهما مناظرات أقر له فيها يونس بالفضل ، وأجلسه في موضعه .

قال الكسائي : صليت يوماً بالرشيد فأعجبني قراءتي ، فقلطت غلطة ما غلطها صبي ، أردت أن أقول لهم يجمعون ، قلطت لهم ترجمين ، فأتجاسر الرشيد أن يردّها . فلما سلط قال : أي لغة هذه ؟ قلطت : إن الجواد قد يثر . فقال : أما هذا فقم . وقال بعضهم : لقيت الكسائي فإذا هو مهموم ، قلطت : مالك ؟ فقال : إن يحيى بن خالد قد وجه إلى لسانني عن أشياء فأخشى من الخطأ ، قلطت : قل ما شئت فأنت الكسائي ، فقال : قطعه الله - يعني لسانه - إن قلت ما لم أعلم . وقال الكسائي يوماً قلت لنجار : بكم هذان البابان ؟ فقال : بسالجيان يا مصفان .

توفي الكسائي في هذه السنة على المشهور ، عن سبعين سنة . وكان في محبة الرشيد يبلاد الري فأت بنوا حبيها هو ومحمد بن الحسن في يوم واحد ، وكان الرشيد يقول : دفنت الفقه والعريبة بالري . قال ابن خلكان : وقيل إن الكسائي توفي بطوس سنة ثنتين وثمانين ومائة ، وقد رأى بعضهم الكسائي في المنام ووجهه كالبرق فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي بالقرآن . قلطت : ما فعل حمزة ؟ قال : ذاك في عليين ، ما نراه إلا كما نرى الكوكب . وفيها توفي :

﴿ محمد بن الحسن بن زفر ﴾

أبو عبد الله الشيباني مولاهم ، صاحب أبي حنيفة . أصله من قرية من قرى دمشق ، قدم أبوه العراق فولد بواسط سنة ثنتين وثمانين ومائة ، ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة ومسلم والثوري وعمر بن ذر ومالك بن مغول ، وكتب عن مالك بن أنس والأوزاعي وأبي يوسف ، وسكن بغداد وحدث بها ، وكتب عنه الشافعي حين قسمها في سنة أربع وثمانين ومائة ، وولاه الرشيد قضاء الرقة ثم عزله . وكان يقول لأهله : لا تسألوني حاجة من حاجات الدنيا فخشعوا قلبي . وخشعوا ما شئتم من مالي فانه أقل لمي وأفرغ قلبي . وقال الشافعي : ما رأيت حبراً حزيناً مثله ، ولا رأيت أخف روحاً منه ، ولا أفصح منه . كنت إذا سمعته يقرأ القرآن كأنما ينزل القرآن بلغته . وقال أيضاً : ما رأيت أعقل منه ، كان يملأ العين والقلب ، قال الطحاوي : كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن

كتب السير فلم يجبه إلى الاعارة فكتب إليه :-

قل لذى لم تر عينى مثله • حتى كأن من رآه قد رأى من قبله

العلم ينهى أهله أن يمنوه أهله • لعله بينه لأهله لعله

قال : فوجه به إليه في الحال هدية لاعارية . وقال إبراهيم الحربي : قيل لأحمد بن حنبل : هذه المسائل اللطيفة من أين هي لك ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن رحمه الله . وقد تقدم أنه مات هو والكسائي في يوم واحد من هذه السنة . فقال الرشيد : دفنت اليوم اللثة والفقه جميعاً . وكان عمره ثمانية وخمسين سنة . ﴿ ثم دخلت سنة تسعين ومائة من الهجرة ﴾

فيها خلع رافع بن ليث بن نصر بن سيار نائب عمركند الطاعة ودعا إلى نفسه ، وتابمه أهل بلده وطائفة كثيرة من تلك الناحية ، واستفعل أمره ، فسار إليه نائب خراسان علي بن عيسى فهزمه رافع وضاق الأمر به . وفيها سار الرشيد لفز وبلاد الروم لمشرقيين من رجب ، وقد لبس على رأسه قلنسوة فقال فيها أبو المملا الكلابي :

فمن يطلب لقاءك أو يرده • فبلحمرين أو أقصى التنور

ففي أرض العدو على طير • وفي أرض الترفه فوق كور

وما حاز التنور سواك خلق • من المتخلفين على الأمور

فسار حتى وصل إلى الطوانة فسكر بها وبث إليه قفور الطاعة وحمل الخراج والجزية حتى عن رأس ولده ورأسه ، وأهل مملكته ، في كل سنة خمسة عشر ألف دينار ، وبث يطلب من الرشيد جارية قد أسروها وكانت ابنة ملك هرقة ، وكان قد خطبها على ولده ، فبث بها الرشيد مع هدايا ونحف وطيب بئث يطلبه من الرشيد ، واشترط عليه الرشيد أن يحمل في كل سنة ثلثمائة ألف دينار ، وأن لا يمر هرقة . ثم انصرف الرشيد راجعاً واستناب على التزويعبة بن جعفر . ونقض أهل قبرص المهدي فزاهم معيوف بن يحيى ، فسي أهلها وقتل منهم خلقاً كثيراً . وخرج رجل من عبد القيس فبثت إليه الرشيد من قتله . وحج بالناس فيها عيسى بن موسى الهادي .

﴿ ذكر من توفي فيها من الأعيان والمشاهير ﴾

أسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر البجلي الكوفي صاحب أبي خنيفة ، حكم بيفداد وبواسط ، فلما انتكف بصره عزل نفسه عن القضاء . قال أحمد بن حنبل : كان صديقاً . ووقفه ابن معين ، وتكلم فيه علي بن المديني والبخاري ﴿ وسعدون المجنون ﴾ صام ستين سنة نخف دماغه فبهام الناس مجنوناً ، وقف يوماً على حلقة ذي النون المصري فسمع كلامه فصرخ ثم أنشأ يقول :

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكي • ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

وقال الأصمى : مررت به وهو جالس عند رأس شيخ سكران ينقب عنه ، قلت له : مالى أراك عند رأس هذا الشيخ ؟ قال : إنه مجنون . قلت : أنت مجنون أو هو ؟ قال : لا بل هو ، لأننى صليت الظهر والعصر في جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى . وهو مع هذا قد شرب الخمر وأنا لم أشربها . قلت : فهل قلت في هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشأ يقول : -

تركت التبيذ لأهل التبيذ • وأصبحت أشرب ماء قراحا

لأن التبيذ ينل المزيز • ويكسو السواد الوجوه الصباحا

فإن كان ذا جازراً للشباب • فما المنرمته إذا الشيب لاحا

قال الأصمى : قلت له : صدقت ، أنت المائل وهو المجنون .

(وعبيدة بن حيد) بن صبيب ، أبو عبد الرحمن التميمي الكوفي ، مؤدب الأمين . روى عن الأعمش وغيره ، وعنه أحمد بن حنبل . وكان يثق عليه . وفيها توفى :

(يحيى بن خالد بن برمك)

أبو علي الوزير والدة جعفر البرمكي ، ضم إليه المهدي ولده الرشيد فرباه ، وأرضعته امرأته مع الفضل بن يحيى ، فلما ولي الرشيد عرف له حقه ، وكان يقول : قال أبي ، قال أبي . وفوض إليه أمور الخلافة وأزمته ، ولم يزل كذلك حتى نكبت البرامكة قتل جعفر وخلد أباه يحيى في الحبس حتى مات في هذه السنة . وكان كريماً فصيحاً ، ذا رأى شديد ، يظهر من أموره خير صلاح . قال يوماً لوفده : خذوا من كل شيء طرفة ، فإن من جهل شيئاً عاداه . وقال لأولاده : اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحذثوا بأحسن ما تحفظون . وكان يقول لهم : إذا أقبلت الدنيا فأهقوا منها فاتها لا تبق ، وإذا أدبرت فأهقوا منها فاتها لا تبق ، وكان إذا سأل سائل في الطريق وهو راكب أقل ما يأمر له بما تقي دهم . قال رجل يوماً : -

يا صمى المصور يحيى • أتيتك لك من فضل ربنا جنتان

كل من مر في الطريق عليكم • فله من نوالكم مائتان

مائتا دهم مثل قليل • هي الفارس السيلان

قال : صدقت . وأمر فسبق به إلى القار ، فلما رجع سأل عنه فإذا هو قد تزوج وهو يريد أن ينخل على أهله فأعطاه صدقاً أربعة آلاف ، وعن دار أربعة آلاف ، وعن الأمتة أربعة آلاف . وكلفة الدخول أربعة آلاف ، وأربعة آلاف يستظهر بها . وجاء رجل يوماً فسأله شيئاً فقال : ويحك لقد جئتني في وقت لا أملك فيه مالا ، وقد بثت إلى صاحب لي يطلب منى أن يهدي إلى ما أحب ، وقد بلغنى أنك تريد أن تبيع جارية لك ، وأنت قد أعطيت فيها علامة آلاف دينار ، وإلى سأطلبها

فلا تبهما منه بأقل من ثلاثين ألف دينار . فجأزنى فبلغوا مئى بالمسومة إلى عشرين ألف دينار ، فلما سمعتها ضف قلبى عن ردها ، وأجبت إلى بيعها ، فأخذها وأخت العشرين ألف دينار . فأهداها إلى يحيى ، فلما اجتمعت بيحيى قال : بكى بعتها ؟ قلت : بعشرين ألف دينار . قال : إنك تخسيس خذ جاريتك إليك وقد بعث إلى صاحب فارس يطلب منى أن أسهديه شيئاً ، وإنى سأطلبها منه فلا تبهما بأقل من خمسين ألف دينار . فجأزنى فوصلوا فى تمها إلى ثلاثين ألف دينار ، فبعتهما منهم . فلما جثته لامنئ أيضاً وردها على ، فقلت : أشهدك أنها حرة وأنى قد تزوجتها ، وقلت : جارية قد أعادتنى خمسين ألف دينار لا أفرط فيها بعد اليوم .

وذكر الخطيب أن الرشيد طلب من منصور بن زياد عشرة آلاف ألف درهم ، ولم يكن عنده منها سوى ألف ألف درهم ، فضاق ذرعاً ، وقد توعد بالقتل وخراب الهيار إن لم يجمها فى يومه ذلك ، فدخل على يحيى بن خالد وذكر أمره فأطلق له خمسة آلاف ألف ، واستطلق له من ابنه الفضل أنئى ألف ، وقال لابنه : يا بنئى بلغنى أنك تريد أن تشتري بها ضيمة . وهذه ضيمة تفل الشكر وتبقى مدى الدهر . وأخذ له من ابنه جعفر ألف ألف ، ومن جاريته دنانير عقداً اشتراه بمائة ألف دينار ، وعشرون ألف دينار ، وقال للترسم عليه : قد حسبناه عليك بأنئى ألف . فلما عرضت الأموال على الرشيد رد العقد ، وكان قد وهبه لجارية بيحيى ، فلم يمد فيه بمد إذ وهبه . وقال له بعض بنئى وم فى السجن والقيود : يا أبت بمد الأمر والنهى والنعمة صرنا إلى هذا الحال ، فقال : يا بنئى دعوة مظلوم سرت بليل ونحن عنها غافلون ولم يغفل الله عنها . ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غدوا فى نمة • زمتا والهمز ريلن غسق

سكت الدهر زمانا عنهم • ثم أبكاهم دماحين نطق

وقد كان يحيى بن خالد هذا يجرى على سفيان بن عيينة كل شهر ألف درهم ، وكان سفيان يدعو له فى سجوده يقول : اللهم إنه قد كفأتى المؤنة وفرغنى للعبادة فاكفه أمر آخرته . فلما مات بيحيى رآه بعض أصحابه فى المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بدعاء سفيان .

وقد كانت وفاة يحيى بن خالد رحمه الله فى الحبس فى الرأقة ثلاث خلون من المحرم من هذه السنة من سبعين سنة ، وصلى عليه ابنه الفضل ، ودفن على شط القرات ، وقد وجد فى جيبه رقعة مكتوب فيها بخطه : قد قدم انظم والمدعا عليه بالأثر ، والحاكم الحكم المدل الذى لا يجوز ولا يحتاج إلى بيئة . فحملت إلى الرشيد فلما قرأها بكى يومه ذلك ، وبقى أياماً يقين الأسى فى وجهه . وقد قال بعض الشعراء فى يحيى بن خالد : -

سألت النداء هل أنت حر فقال لا • ولكننى عبد ليحيى بن خالد

قلت شراء قال لا بل وراثة * توارث رقي والد بعد والد

﴿ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة﴾

فيها خرج رجل بسواد العراق يقال له ثروان بن سيف ، وجعل يقتل فيها من بلد إلى بلد ، فوجه إليه الرشيد طوق بن مالك فهزمه وجرح ثروان وقتل عدة أصحابه ، وكتب بالفتح إلى الرشيد . وفيها خرج بالشام أبو النداء فوجه إليه الرشيد يحيى بن معاذ واستنابه على الشام . وفيها وقع الثلج ببغداد . وفيها غزا بلاد الروم يزيد بن مخلد الهبيري في عشرة آلاف ، فأخنت عليه الروم المضيق فقتلوه في خسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس ، وانهزم الباقون ، وولى الرشيد غزو الصائفة لهرثة بن أعين ، وضم إليه ثلاثين ألفا فيهم مسرور الخادم ، وإليه التفات .

وخرج الرشيد إلى الحشد ليكون قريباً منهم . وأمر الرشيد بهدم الكنائس والديور ، وأزاح أهل القعة بتميز لباسهم وهياكلهم في بغداد وغيرها من البلاد . وفيها عزل الرشيد علي بن موسى عن إمرة خراسان وولاه هرة بن أعين . وفيها فتح الرشيد هرة في شوال وخرتها وسي أهلها وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم إلى عين زربة ، والكنيسة السوداء ، وكان دخل هرة في كل يوم مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق ، وولى حميد بن معيوف سواحل الشام إلى مصر ، ودخل جزيرة قبرص فسي أهلها وحلهم حتى باعهم بالرافقة ، فبلغ ثمن الأسقف ألني دينار ، باعهم أبو البختري القاضي .

وفيها أسلم الفضل بن سهل على يدى المأمون . وحج بالناس فيها الفضل بن عباس بن محمد بن علي الباسي ، وكان والي مكة ، ولم يكن للناس بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين . وفيها توفي من الأعيان :

سلمة بن الفضل الأبرش . وعبد الرحمن بن القاسم القتيبي الراوى عن مالك بن يونس بن أبي إسحاق ، قدم على الرشيد فأمر له بالجزيل ، نحواً من خمسين ألفاً فلم يقبله . والفضل بن موسى الشيباني . ومحمد بن سلمة . ومحمد بن الحسين المصيصي أحد الزهاد الثقات . قال لم أتكلم بكلمة أحتاج إلى الاعتذار منها منذ خسين سنة . وفيها توفي معمر الرقي .

﴿ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة﴾

فيها دخل هرة بن أعين إلى خراسان نائباً عليها فوقيض على علي بن عيسى فأخذ أمواله وحواصله وأركبه على بئر وجهه لثنيه ونادى عليه ببلاد خراسان ، وكتب إلى الرشيد بذلك فشكره على ذلك ، ثم أرسله إلى الرشيد بعد ذلك فقبض بداره ببغداد . وفيها ولى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك نياية الثور فدخل بلاد الروم وفتح مطمورة . وفيها كان الصلح بين المسلمين والروم على يد ثابت

ابن نصر . وفيها خرجت الخرمية بالجبل و بلاد أذربيجان . فوجه الرشيد إليهم عبد الله بن مالك بن الميثم الخزازي في عشرة آلاف فارس قتل منهم خلقاً وأسر وسبي ذراريهم ، وقدم بهم بغداد فأمر له الرشيد بقتل الرجال منهم ، وبالندرية فيبيعوا فيها . وكان قد غرام قبل ذلك خزيمة بن خازم . وفي ربيع الأول منها قسم الرشيد من الرقة إلى بغداد في السفن وقد استخلف على الرقة ابنه القاسم وبين يديه خزيمة بن خازم ، ومن نية الرشيد الذهاب إلى خراسان لنزو و رافع بن ليث الذي كان قد خلع الطاعة واستحوذ على بلاد كثيرة من بلاد سمرقند وغيرها ، ثم خرج الرشيد في شعبان قاصداً خراسان ، واستخلف على بغداد ابنه محمداً الأمين ، وسأل المأمون من أبيه أن يخرج معه خوفاً من غدر أخيه الأمين ، فأذن له فسار معه وقد شكوا الرشيد في أثناء الطريق إلى بعض أمراءه جفاء بنه الثلاثة الذين جعلهم ولاية العهد من بعده ، وأراه داه في جسده ، وقال إن لكل واحد من الأمن والمأمون والقاسم عندى عينا على ، وهم يعدون أقامى ويتمنون انقضاء أيامى ، وذلك شر لهم لو كانوا يعلمون . فدعا له ذلك الأمير ثم أمر له الرشيد بالانصراف إلى عمله وودعه ، وكان آخر العهد به .

وفيها تحرك ثروان الحرورى وقتل عامل السلطان بطف البصرة . وفيها قتل الرشيد الميهم البائى . ومات عيسى بن جعفر وهو يريد اللحاق بالرشيد قاتل في الطريق . وفيها حج بالناس العباس ابن عبد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور . وفيها توفي :

✽ إسماعيل بن جامع ✽

ابن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبى وداعة أبو القاسم ، أحد المشاهير بالفناء ، كان ممن يضرب به المثل ، وقد كان أولاً يحفظ القرآن ثم صار إلى صناعة الفناء وترك القرآن ، وذكر عنه أبو الفرج بن على بن الحسين صاحب الأغاني حكايات غريبة ، من ذلك أنه قال كنت يوماً مشرفاً من غرفة بحران إذ أقبلت جارية سوداء معها قربة تستقي الماء ، فجلسْتُ ووضعت قربةً بها واندمغت نفى :

إلى الله أشكو بخلها وسلاحى * لها عسل منى وتبذل علقما
فردى مصاب القلب أنت قتله * ولا تتركه هائم القلب مفزما

قال : فسمعت مالا صبر لى عنه ورجوت أن تعيده فقامت وانصرفت ، فزلت وانطلقت وراها وسألها أن تعيده فقلت : إن على خراجاً كل يوم درهمين ، فأعطيتها درهمين فأعادته فحفظته وسلكته يومى ذلك ، فلما أصبحت أنسيت فأقبلت السوداء فسألها أن تعيده فلم تفعل إلا بدرهمين ، ثم قالت : كأنك تستكثر أربعة دراهم ، كأنى بك وقد أخذت عليه أربعة آلاف دينار . قال ففنيته ليلة لرشيد فأعطاني ألف دينار ، ثم استعادني ثلاث مرات أخرى وأعطاني ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت فقال : مم تبسمت ؟ فقد كرت له القصة فضحك وألقى إلى كيسا آخر فيه ألف دينار . وقال :

لا أكذب السوداء . وحكى عنه أيضاً قال : أصبحت يوماً بالمدينة وليس مئى إلا ثلاثة دراهم ، فإذا جارية على رقبتها جرة تريد الركي وهي تسمى وتترنم بصوت شجي : -

شكوتنا إلى أحبابنا طول ليلنا • قالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

وذاك لأن النوم يفتى عيونهم • سريماً ولا يفتى لنا النوم أعينا

إذا مادنا الليل المضرب بنى الهوى • جزعنا وهم يستبشرون إذا دعا

فهر أنهم كانوا يلاقون مثلنا • نلاق لكاتوا في المضاجع مثلنا

قال : فاستعده منها وأعطيتها الدرهم الثلاثة فقالت : لتأخذن بملأ ألف دينار ، وألف دينار وألف دينار . فأعطاني الرشيد ثلاثة آلاف دينار في ليلة على ذلك الصوت . وفيها توفي :

(بكر بن النطاح) أبو وائل الحنفي البصري الشاعر المشهور ، نزل بفناد زمن الرشيد ، وكان يخاطب أبا المتاهية . قال أبو عفان : أشمر أهل المدل من المحدثين أربعة ، أولهم بكر بن النطاح . وقال المبرد : سمعت الحسن بن رجاء يقول اجتمع جماعة من الشمراء ومعهم بكر بن النطاح يتناشدون ، فلما فرغوا من طولهم أنشد بكر بن النطاح لنفسه :

ما ضرها لو كتبت بالرضى • جف جفن العين أو أغضى

شفاعة مردودة عندها • في عاشق يود لو قد قضى

ياض صبراً واعلى أنما • يأمل منها مثلما قد مضى

لم تمض الأختان من قاتل • بلحظه إلا لأن أمرضى

قال : فابتدروه يقبلون رأسه . ولما مات رثاه أبو المتاهية قال :

ملت ابن نطاح أبو وائل • بكر فأسى الشر قد باتا

وفيها توفي جلول المجنون ، كان يأوى إلى مقابر الكوفة ، وكان ينكلم بكلمات حسنة ، وقد وعظ الرشيد وغيره كما تقدم . (وعبد الله بن إدريس)

الأودى الكوفي ، سمع الأعشى وابن جريج وشعبة ومالكاً وخلقاً سوام . وروى عنه جماعات من الأئمة ، وقد استدله الرشيد ليؤليه القضاء فقال : لا أصلح ، وامتنع أشد الامتناع ، وكان قد سأل قبله وكيعاً فامتنع أيضاً ، فطلب حفص بن غياث قبل . وأطلق لكل واحد خمسة آلاف عرضاً عن كلفته التي تكلفها في السفر ، فلم يقبل وكيع ولا ابن إدريس ، وقبل ذلك حفص ، فغلف ابن إدريس لا يكلمه أبداً . وحج الرشيد في بعض السنين فاجتاز بالكوفة ومعه القاضي أبو يوسف والأمين والمأمون ، فأمر الرشيد أن يجتمع شيوخ الحديث ليسموا ولديه ، فاجتمعوا إلا ابن إدريس هنا ، وعيسى بن يونس . فركب الأمين والمأمون بعد فراغهما من سماعهما على من اجتمع من

الشيخ إلى ابن إدريس فأجمعها مائة حديث ، فقال له المأمون : يا عم إن أردت أعدتها من حفظي ، فأذن له فأعادها من حفظه كما سمعها ، فتمجب لحفظه . ثم أمر له المأمون بحال فلم يقبل منه شيئاً ، ثم سارا إلى عيسى بن يونس فسمعا عليه ثم أمر له المأمون بشرة آلاف فلم يقبلها ، فظن أنه استقلها فأضفها فقال : والله لو ملأت لي المسجد مالا إلى سقفه ما قبلت منه شيئاً على حديث رسول الله ﷺ . ولما احتضر ابن إدريس بكت ابنته فقال : علام تبكي ؟ قد خنت في هذا البيت أربعة آلاف ختمة .

﴿ عصمة بن سلام ﴾

ويقال ابن عبد الله أبو عبد الله الهشقي ، ثم تحول إلى الأندلس فاستوطنتها في زمن عبد الملك ابن معاوية وابنه هشام ، وهو أول من أدخل علم الحديث ومنه الأوزاعي إلى بلاد الأندلس ، وولى الصلاة بقرطبة ، وفي أيامه غرست الأشجار بالمسجد الجامع هناك كما يراه الأوزاعي والشاميون ويكرهه مالك وأصحابه . وقد روى عن مالك والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز . وروى عنه جماعة منهم عبد الملك بن حبيب الفقيه ، وذكره في كتاب الفقهاء ، وذكره ابن يونس في تاريخه . تاريخ مصر . والحديث في تاريخ الأندلس ، وحرر وفاته في هذه السنة . وحكى عن شيخه ابن حزم أن عصمة هذا أول من أدخل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس . وقال ابن يونس : أول من أدخل علم الحديث إليها . وذكر أنه توفي قريباً من سنة ثمانين ومائة ، والله حرره الحديث في هذه السنة أثبت

﴿ علي بن غليان ﴾

أبو الحسن العبسي فاضى الشريعة من بغداد ، ولده الرشيد ذلك . كان ثقة عالماً من أصحاب أبي حنيفة ، ثم ولده الرشيد قضاء القضاة ، وكان الرشيد يخرج معه إذا خرج من عنده ، مات بقميسين في هذه السنة .

﴿ العباس بن الأخف ﴾

ابن الأسود بن طلحة الشاعر المشهور ، كان من عرب خراسان ونشأ ببغداد ، وكان لطيفاً ظريفاً مقبولاً حسن الشعر . قال أبو العباس قال عبد الله بن الممتز : لوقيل لي من أحسن الناس شعراً تعرفه ؟ قلت العباس : —

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقاً

فكانت قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدري أنه صدق

وقد طلبه الرشيد ذات ليلة في أثناء الليل فأتعج ذلك وخلف نساءه ، فلما وقف بين يدي الرشيد قال له : ويحك إنه قد عد لي بيت في جارية لي فأحببت أن تشغبه بمنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خفت أعظم من هذه الليلة ، فقال : ولم ؟ فذكر له دخول الحرس عليه في الليل ، ثم جلس حتى سكن روعه ثم قال : ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ فقال :

حنان قدر أيناها فلم نرمثها بشرآ • يزبك وجهها حسنا إذا ما زدته نظرا
 فقال الرشيد : زد . فقال :

إذا ما أهبل مال عليك بالأفلام واعتكرا • ودج فلم تر فجرا فابرها تر قرا
 فقال : إنا قد رأيناها ، وقد أمرناك بمشرة آلاف درهم . ومن شعره التي أقر له فيه بشار
 ابن برد وأثبتته في سلك الشعراء بسببه قوله :

أبكي الذين أذاقوني موثهم • حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
 واستمضوني فلما قت منتصبا • بتقل ما جعلوني منهم قمدوا
 وله أيضا وحدتني يا سعد عنها فزدتني • جنوا فزدني من حديثك يا سعد
 هواها هوى لم يعرف القلب غيره • فليس له قبل وليس له بعد
 قال الأصمعي : دخلت على العباس بن الأحنف بالبصرة وهو طريق على فراشه يبجود بنفسه وهو
 يقول :
 يا بعيد المار عن وطنه • مفرداً يبكي على شجنه
 كلما جد التحيب به • زادت الأسقام في بدنه
 ثم أغشى عليه ثم اتقه بصوت طائر على شجرة فقال :

وقد زاد الفؤاد شجاً • هاتف يبكي على فتنه
 شاقه ما شلقني فيكي • كلنا يبكي على سكنه
 قال ثم أغشى عليه أخرى فحركته فاذا هو قد مات . قال الصولي : كانت وفاته في هذه السنة ،
 وقيل بسدها ، وقيل قبلها في سنة ثمان وثمانين ومائة فافه أعلم . وزعم بعض المؤرخين أنه بقي بسده
 الرشيد .

أخو زبيدة ، كان قائماً على البصرة في أيام الرشيد فات في أثناء هذه السنة . وفيها توفي :

(الفضل بن يحيى)

ابن خالد بن برمك أخو جعفر وأخوته ، كان هو والرشيد يتراضعان : أرضعت الخيزران فضلاً ،
 وأرضعت أم الفضل وهي زبيدة بنت بن بريح هارون الرشيد . وكانت زبيدة هذه من مولدات بقبين
 البرية ، وقد قال في ذلك بعض الشعراء :

كني لك فضلاً أن أفضل حرة • غدتك بشدى واخليفة واحد
 لقد زنت يحيى في المشاهد كلها • كما زان يحيى خلافاً في المشاهد
 قالوا : وكان الفضل أكرم من أخيه جعفر ، ولكن كان فيه كبر شديد ، وكان عبوساً ، وكان
 جعفر أحسن بشرآ منه وأطلق وجهها ، وأقل عطاه . وكان الناس إليه أميل ، ولكن خصلة الكرم

أنفطى جميع التبايع ، فهي تستر تلك الخصلة التي كانت في الفضل . وقد وهب الفضل لطباخه مائة ألف درهم فباه أبوه على ذلك ، قال : يا أبت إن هنا كل يصحبني في السر واليسر والميش الخشن ، واستمر ممي في هذا الحال فأحسن صحبتي ، وقد قال بعض الشعراء :

إن السكرام إذا ما أيسروا ذكروا • من كان يتادم في المنزل الخشن

وهب يوماً لبعض الأدباء عشرة آلاف دينار فبكى الرجل فقال له : مم تبكي ، أسقطتها ؟ قال : لا والله ، ولكنني أبكي أن الأرض تأكل منك ، أو توارى مثلك .

وقال علي بن الجهم عن أبيه : أصبحت يوماً لا أملك شيئاً حتى ولا علف الدابة . قصصت الفضل ابن يحيى ، فإذا هو قد أقبل من دار الخلافة في موكب من الناس ، فلما رأى رجب بن وقال : هلم . فسرت معه ، فلما كان ببعض الطريق جمع غلاماً يدعو جارية من دار ، وإذا هو يدعوها باسم جارية له يحبها ، فارتفع لذلك وشكا إلى ما لقي من ذلك ، قتلت : أصابك ما أصاب أخى بنى عامر حيث يقول : وداع دعا إذ نحن بالخيف من مني • فبهج أحران الفؤاد ولا يدري دعا باسم ليلي غيرها وكأنما • أطار بليلي طائراً كان في صدى

قال : اكتب لي هذين البيتين . قال : فنصبت إلى بقال فرهنت عنده خاتمي على ثمن ورقة وكتبتهما له ، فأخذهما وقال : انطلق راشداً . فرجعت إلى منزلي فقال لي غلامى : هات خاتمك حتى نرهنه على طمام لنا وعلف الدابة ، قتلت : إني رهنته . فما أمسينا حتى أرسل إلى الفضل بثلاثين ألفاً من الذهب ، وعشرة آلاف من الورق ، أجراه على كل شهر ، وأسلفني شهراً .

ودخل على الفضل يوماً بعض الأكرام فأكرمه الفضل وأجلسه معه على السرير ، فشكا إليه الرجل ديناً عليه وسأله أن يكلم في ذلك أمير المؤمنين . قال : نعم ، وكم دينك ؟ قال ثلاثمائة ألف درهم . فخرج من عنده وهو مهموم لضعف رده عليه ، ثم مال إلى بعض إخوانه فاستراح عنده ثم رجع إلى منزله فإذا المال قد سبقه إلى داره . وما أحسن ما قال فيه بعض الشعراء :

لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد • وما كل من يدعى فضل له فضل

رأى الله فضلاً منك في الناس وأساساً • فسبك فضلاً فالتقى الاسم والفعل

وقد كان الفضل أكبر رتبة عند الرشيد من جعفر ، وكان جعفر أحظى عند الرشيد منه وأخص . وقد ولى الفضل أعمالاً كباراً ، منها نيابة خراسان وغيرها . ولما قتل الرشيد الترامكة وحبسهم جدد الفضل هذا مائة مائة وسط وخلفه في الحبس حتى مات في هذه السنة ، قبل الرشيد بشهور خمسة في الرقة . وصلى عليه بالقصر الذى مات فيه أصحابه ، ثم أخرجت جنازته فصلى عليها الناس ، ودفن هناك وله خمس وأربعون سنة ، وكان سبب موته قتل أصابه في لسانه اشتد به يوم الخميس ويوم الجمعة ، وتوفي

قبل أذان الصلوة من يوم السبت . قال ابن جرير : وذلك في الحرم من سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقال ابن الجوزي : في سنة ثنتين وتسعين فآله أعلم .

وقد أطل ابن خلكان ترجمته وذكر طرفاً صالحاً من محاسنه ومكارمه ، من ذلك أنه ورد بلغ حين كان قائماً على خراسان ، وكان بها بيت النار التي كانت تمسحها الجوس ، وقد كان جده يملك من خدامها ، فهم بعضه ولم يتمكن من همه كله ، لقوة إحكامه ، وبني مكانه مسجداً لله تعالى . وذكر أنه كان يتمثل في السجن بهذه الأبيات ويبيكي :

إلى الله فبا لنا ترفع الشكوى • فقي يده كشف المضرة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها • فلاحن في الأموات فيها ولا الأحياء

إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة • عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ومحمد بن أمية الشاعر الكاتب ، وهو من بيت كلهم شعراء ، وقد اختلط أشعار بعضهم في بعض

﴿ ومنصور بن الزبرقان ﴾

ابن سلمة أبو الفضل النخعي الشاعر ، امتدح الرشيد ، وأصله من الجزيرة وأقام ببغداد ويقال لجده مطعم الكيش الرخم ، وذلك أنه أضاف قوماً فجعلت الرخم تحوم حولهم ، فأمر بكيش يذبح للرخم حتى لا يتأذى بها ضيفانه ، فضل له ذلك . قال الشاعر فيه :

أبوك زعيم بنى قاطط • وخالك ذو الكيش ينفذ الرخم

وله أشعار حسنة ، وكان يروي عن كلثوم بن عمرو ، وكان شيخه القتي أخذ عنه الفناء .

﴿ يوسف ابن القاضى أبى يوسف ﴾

مع الحديث من السرى بن يحيى ويونس بن أبى إسحاق ، ونظر في الرأي وفتحه ، وولى قضاء الجانب الشرق ببغداد في حياة أبيه أبى يوسف ، وصلى بالناس الجمعة بجمع المنصور عن أمر الرشيد . توفي في رجب من هذه السنة وهو قاضى ببغداد .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة ﴾

قال ابن جرير : في الحرم منها توفي الفضل بن يحيى ، وقال ابن الجوزي توفي الفضل في سنة ثنتين وتسعين كما تقدم . وما قاله ابن جرير أقرب . قال : وفيها توفي سعيد الجوهري ، قال : وفيها وافى الرشيد جرجان وانتهت إليه خزائن على بن عيسى تحمل على ألف وخمسمائة بعير ، وذلك في سفر منها ، ثم تحول منها إلى طوس وهو عليل ، فلم يزل بها حتى كانت وفاته فيها . وفيها واقع هرمة نائب العراق هو ورافع بن الليث فكسره هرمة واقتنح بخاري وأسر أخاه بشير بن الليث ، فبعثه إلى الرشيد وهو بطوس قد ثقل عن السير ، فلما وقف بين يديه شرع يترقق له فلم يقبل منه ، بل قال :

والله لو لم يبق من عمرى إلا أن أحرك شقي بقلك لقتلتك ، ثم دعا بقصاب فجزأه بين يديه أربعة عشر عضواً ، ثم رفع الرشيد يديه إلى السماء يدعو الله أن يمكنه من أخيه رافع كما يمكنه من أخيه بشير .

﴿ ذكر وفاة الرشيد ﴾

كان قد رأى وهو بالكوفة رؤيا أفزعته وغم ذلك ، فدخل عليه جبريل بن مجنيشوع فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رأيت كفا فيها تربة حمراء خرجت من تحت سريري فأثلا يقول : هذه تربة هارون . فهون عليه جبريل أمرها وقال : هذه من أضغاث الأحلام من حديث النفس ، فتناسها يا أمير المؤمنين . فلما سار يريد خراسان وصربطوس واعتقلته العلة بها ، ذكر رؤياه فهاله ذلك وقال لجبريل : ويحك ! أما تذكر ما قصصته عليك من الرؤيا ؟ فقال : بلى . فدعا مسروراً الخادم وقال : اثني بشئ من تربة هذه الأرض ، فجاءه بتربة حمراء في يده ، فلما رآها قال : والله هذه الكف التي رأيت ، والتربة التي كانت فيها . قال جبريل : فوالله ما أتت عليه ثلاث حتى توفي ، وقد أمر بحفر قبره قبل موته في الدار التي كان فيها ، وهي دار حميد بن أبي غاتم الطائي ، فجعل ينظر إلى قبره وهو يقول : يا ابن آدم تصير إلى هذا . ثم أمر أن يقرأوا القرآن في قبره ، فقرأوه حتى ختموه وهو في حفرة على شفير القبر ولما حضرته الوفاة احتجى بملادة وجلس يقامى سكرات الموت ، فقال له بعض من حضر : لو اضلجت كان أهون عليك . فضحك ضحكا صحيحاً ثم قال : أما سمعت قول الشاعر :

وإني من قوم كرام يزيدهم • شماساً وصبراً شدة الحدنان

مات ليلة السبت ، وقيل ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، عن خمس ، وقيل سبع وأربعين سنة . وكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة .

﴿ وهذه ترجمته ﴾

هو هارون الرشيد أمير المؤمنين ابن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشي الهاشمي ، أبو محمد ، ويقال أبو جعفر . وأمه الخيزران أم ولد . كان مولفه في شوال سنة ست وقيل سبع ، وقيل ثمان وأربعين ومائة ، وقيل إنه ولد سنة خمسين ومائة ، وبويع له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادي في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، بعهد من أبيه المهدي . روى الحديث عن أبيه وجده ، وحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا النار ولو يشق ثمرة » . أوردوه وهو على المنبر وهو يضطرب الناس ، وقد حدث عنه ابنه وسليمان الهاشمي والد إسحاق ، ونباتة بن عمرو . وكان الرشيد أبيض طويلاً سميناً جميلاً ، وقد غزا الصائقة في حياة أبيه مراراً ، وعقد الهدنة بين المسلمين والروم بعد محاصرته القسطنطينية ، وقد لقي السلون من ذلك جهداً جهيداً وخوفاً شديداً ، وكان

الصلح مع امرأة ليون وهي الملقبة بأعسطه على حل كثير تبذله للمسلمين في كل عام ، ففرح المسلمون بذلك ، وكان هذا هو الحقى حدا أباه على البيعة له بعد أخيه في سنة ست وستين ومائة ، ثم لما أفضت إليه الخلالة في سنة سبعين كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزوا وحجا ، ولهذا قال فيه أبو السلي :

فن يطلب لقاءك أو يردك • فبالحرمين أو أقصى الثنور
ففي أرض المدو على طمر • وفي أرض الترفه فوق كور
وما حاز الثنور سواك خلق • من المتخلفين على الأمور

وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم ، وإذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنقعة السابغة والكسوة التامة ، وكان يحب التشبه بمحمد أبي جعفر المنصور إلا في العطاء ، فانه كان سريع العطاء جزيله ، وكان يحب الفقهاء والشمراء ويعطيهم ، ولا يضع فيه بر ومعرفة ، وكان قس خاتمه لا إله إلا الله . وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة تطوعا ، إلى أن فارق الدنيا ، إلا أن تعرض له علة ، وكان ابن أبي مريم هو الذي يضحكه ، وكان عنده فضيلة بأخبار الحجاز وغيرها ، وكان الرشيد قد أئزله في قصره وخلطه بأهله . بهه الرشيد يوما إلى صلاة الصبح فقام فتوضأ ثم أدرك الرشيد وهو يقرأ (ومالي لا أعبد الاقنى فطرى) فقال ابن أبي مريم : لا أدري وأله . فضحك الرشيد وقطع الصلاة ، ثم أقبل عليه وقال : ويحك اجتنب الصلاة والقرآن وقل فيها عدا ذلك . ودخل يوما العباس بن محمد على الرشيد ومعه برنية من فضة فيها غالبية من أحسن الطيب ، فجعل يمسحها ويزيد في شكرها ، وسأل من الرشيد أن يقبلها منه قبلها فاستوهبها منه ابن أبي مريم فوهبها له ، فقال له العباس : ويحك اجتث بشئ منعت نفسي وأهلي وآثرت به أمير المؤمنين سيدي فأخذته . فحلف ابن أبي مريم ليطيبين به استه ، ثم أخذ منها شيئا فطلى به استه ودهن جوارحه كلها منها ، والرشيد لا يتأكل نفسه من الضحك . ثم قال لخادم قائم عندهم يقال له خاقان : اطلب لي خلاعى . فقال الرشيد : ادع له غلامه . فقال له : خذ هذه النالية واذهب بها إلى ستك فرها فلتطيب منها إستها حتى أرجع إليها فأنيكها . فذهب الضحك بالرشيد كل منذهب ، ثم أقبل ابن أبي مريم على العباس بن محمد فقال له : جئت بهذه النالية تمسحها عند أمير المؤمنين الاقنى ما تحضر السماء شيئا ولا تنبت الأرض شيئا إلا وهو تحت تصرفه وفي يده ؟ وأعجب من هذا أن قيل للملك الموت : ما أمرك به هذا فأنفذه . وأنت تسمع هذه النالية عنده كأنه يبال أو خباز أو طبانخ أو تخار ، فكاد الرشيد يهلك من شدة الضحك . ثم أمر لابن أبي مريم بمائة ألف درهم .

وقد شرب الرشيد يوما دواء فأنه ابن أبي مريم أن يلى الحجابة في هذا اليوم ، ومهما حصل له كان بينه وبين أمير المؤمنين ، فواله الحجابة ، فجاءت الرسل بالهدايا من كل جانب ، من عند زبيدة

والبرامكة وكبار الأمراء ، وكان حاصله في هذا اليوم ستين ألف دينار ، فأنه الرشيد في اليوم الثاني عما تحصل فأخبره بذلك ، قال له : فأين نصيبي ؟ فقال ابن أبي مریم : قد صالحتك عليه بمشرة آلاف فخالحة .

وقد استدعى إليه أبو معاوية للضرب محمد بن حازم لسمع منه الحديث قال أبو معاوية : ماذا كنت عنده حديثاً إلا قال صلى الله وسلم على سيدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبيل الثرى ، وأكلت عنده يوماً ثم قت لا غسل يدي فصب الماء على وأنا لا أراه . ثم قال : يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك الماء ؟ قلت : لا . قال : يصب عليك أمير المؤمنين . قال أبو معاوية : فدعوت له ، فقال : إنما أردت تعظيم العلم . وحده أبو معاوية يوماً عن الأعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة يحدث احتجاج آدم وموسى ، فقال عم الرشيد : أين التقيا يا أبا معاوية ؟ فغضب الرشيد من ذلك غضباً شديداً ، وقال : أتعترض على الحديث ؟ على بالنطع والسيف ، فأحضر ذلك فقام الناس إليه يشغفون فيه فقال الرشيد : هذه زندقة . ثم أمر بسجنه وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من أتى إليه هنا ، فأقسم عه بالأيان المشاهدة ما قال هذا له أحد ، وإنما كانت هذه الكلمة بادرة مني وأنا أستغفر الله وأتوب إليه منها . فأطلقه .

وقال بعضهم : دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول ، فقال الرشيد : قتلته لأنه قال القرآن مخلوق ، قتلته على ذلك قرينة إلى الله عز وجل . وقال بعض أهل العلم : يا أمير المؤمنين انظر هؤلاء الذين يحبون أبا بكر وعمر ويقدمونهما فأكرمهم بمن سلطانك ، فقال الرشيد : أولست كذلك ؟ أنا والله كذلك أحبهما وأحب من يحبهما وأعاقب من يينفضهما . وقال له ابن السكك : إن الله لم يجعل أحداً فوقك فاجتهد أن لا يكون فيهم أحد أطوع إلى الله منك . قال : لئن كنت أقصرت في الكلام لقد أبليت في الموعظة .

[وقال له الفضيل بن عياض - أو غيره - إن الله لم يجعل أحداً من هؤلاء فوقك في الدنيا ، فاجتهد نفسك أن لا يكون أحد منهم فوقك في الآخرة ، فأكح لنفسك وأعملها في طاعة ربك]^(١) ودخل عليه ابن السكك يوماً فاستسقى الرشيد فأنى بقله فيها ماء مبرد فقال لابن السكك : عطش . فقال : يا أمير المؤمنين ! بك كنت مشرباً هذه الشرية لو منعتها ؟ فقال : بنصف ملكي . قال : اشرب هنيئاً ، فلما شرب قال : أرايت لو منعت خروجا من بدنك بك كنت تشترى ذلك ؟ قال بنصف ملكي الآخر . قال : إن ملكاً قيمة نصفه شرية ماء ، وقيمة نصفه الآخر بولة ، فخليق أن لا يقتانس فيه . فبكي هارون .

وقال ابن قتيبة : ثنا الريثي سمعت الأصمعي يقول : دخلت على الرشيد وهو يقيم أفطاره يوم الجمعة فقلت له في ذلك فقال : أخذ الأفطار يوم الخميس من السنة ، وبلغني أن أخذها يوم الجمعة ينفي القتر . فقلت : يا أمير المؤمنين أو تخشى القتر ؟ قال : يا أصمعي وهل أحد أخشى القتر مني ؟ وروى ابن عساكر عن إبراهيم الهدي قال : كنت يوماً عند الرشيد فدعا طبائحه فقال : أعنتك في الطعام لحم جزور ؟ قال : نعم ، ألوان منه . فقال : أحضره مع الطعام . فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منه فوضها في فيه فضحك جعفر البرمكي ، فترك الرشيد مضغ اللقمة وأقبل عليه فقال : مم تضحك ؟ قال : لا شيء يا أمير المؤمنين ، ذكرت كلاماً بيني وبين جاريتي البارحة . فقال له : بحق عليك لما أخبرتني به . فقال : حتى تأكل هذه اللقمة ، فألقاها من فيه وقال : والله لتخبرني . فقال : يا أمير المؤمنين بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور يقوم عليك ؟ قال : بأربعة دراهم . قال : لا والله ، يا أمير المؤمنين بل بأربعمائة ألف درهم . قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنك طلبت من طبائحك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده ، فقلت : لا يتخلون المطبخ من لحم جزور ، فنحن نتحر كل يوم جزوراً لأجل مطبخ أمير المؤمنين ، لأننا لا نشترى من السوق لحم جزور . فصرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة ألف درهم ، ولم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور إلا هذا اليوم . [قال جعفر : فضحكت لأن أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمة . فهي على أمير المؤمنين بأربعمائة ألف] (١) :

قال : فبكى الرشيد بكاء شديداً وأمر برفع السباط من بين يديه ، وأقبل على نفسه ويحضا ويقول : هلكت والله يا هارون . ولم يزل يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة الظهر ، فخرج فصلى بالناس ثم رجع يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة العصر ، وقد أمر بألف ألف تصرف إلى فقراء الحرمين في كل حرم ألف ألف صدقة ، وأمر بألف ألف يتصدق بها في جانبي بغداد الغربي والشرقي ، وبألف ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة . ثم خرج إلى صلاة العصر ثم رجع يبكي حتى صلى المغرب ، ثم رجع ، فدخل عليه أبو يوسف القاضي فقال : ما شأنك يا أمير المؤمنين يا كيا في هذا اليوم ؟ فذكر أمره وما صرف من المال الجزيل لأجل شهوته ، وإنما ناله منها لقمة . فقال أبو يوسف لجعفر : هل كان ما تنصحه من الجزور يفسد ، أو يأكله الناس ؟ قال : بل يأكله الناس . فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال الذي أكله المسلمون في الأيام الماضية ، وبما يسره الله عليك من الصدقة ، وبما رزقك الله من خشيته وخوفه في هذا اليوم ، وقد قال تعالى (ولن خلف مقام ربه جنتان) . فأمر له الرشيد بأربعمائة ألف . ثم استدعى بطعام فأكل منه فكان غداؤه في هذا اليوم عشاء .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : اجتمع للرشيـد من الجـد والمـزل ما لم يـجتمع لغيره من بعده ، كان أبو يوسف قاضيـه ، والبرامكة وزراءه ، وحاجبه الفضل بن الربيع أنبه الناس وأشدهم تعاطفا ، وندبه عمر بن العباس بن محمد صاحب المباسية . وشاعره مروان بن أبي حفصة ، ومنتهى إبراهيم الموصلي واحد عصره في صناعته ، ومضحكه ابن أبي مريم ، وزامره برصوما . وزوجته أم جعفر - يعني زبيدة - وكانت أرغب الناس في كل خير وأسرعهم إلى كل بر ومروءة ، أدخلت الماء الحريم بعد امتناعه من ذلك ، إلى أشياء من المروءة أجزاها الله على يدها .

وروى الخطيب البغدادي أن الرشيد كان يقول : إنا من قوم عظمت رزيتهم ، وحسنت بئسهم ، ورتنا رسول الله ﷺ وبقيت فينا خلافة الله . وبينما الرشيد يطوف يوما بالبيت إذ عرض له رجل فقال : يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلك بكلام فيه غلظة ، فقال لا ولا نعمت عين قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره أن يقول له قولا ليثا . وعن شعيب بن حرب قال : رأيت الرشيد في طريق مكة قتل في نفسي : قد وجب عليك الأمر بالمروءة والنهي عن المنكر ، فغضبي فقالت : إنه الآن يضرب عنقك . قتل : لا يد من ذلك ، فناديته قتل : يا هارون ! قد أنبت الأمة والبهائم . فقال : خنوه . فأدخلت عليه وفي يده لث من حديد يلعب به وهو جالس على كرسي ، قال : ممن الرجل ؟ قتل : رجل من المسلمين . فقال ثكلتك أمك ممن أنت ؟ قتل : من الأنبار . قال : ما حلاك على أن دعوتني باسمي ؟ قال : نخطرب بئالي شيء لم يخطر قبل ذلك ، قتل : أنا أدعو الله باسمه يا الله ، أفلا أدعوك باسمك ؟ وهذا الله سبحانه قد دعا أحب خلقه إليه بأسمائهم : يا آدم ، يا نوح ، يا هود ، يا صالح ، يا إبراهيم ، يا موسى يا عيسى ، يا محمد ، وكنت أبيض خلقه إليه فقال : ثبت يدا أبي لوب . قال الرشيد : أخرجه أخرجه .

وقال له ابن السكك يوما : إنك تموت وحدا ، وتدخل القبر وحدا ، وتبث منه وحدا ، فأحضر المقام بين يدي الله عز وجل ، والوقوف بين الجنة والنار ، حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم ، ويقع الندم ، فلا توبة تقبل ، ولا عثرة تقال ، ولا يقبل فداء بمال . فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته فقال يحيى بن خالد له : يا ابن السكك ! لقد شققت على أمير المؤمنين القيلة . فقام فخرج من عنده وهو يبكي . وقال له الفضيل بن عياض - في كلام كثير ليلة وعظه بمكة - : يا صبيح الوجه إنك مسؤل عن هؤلاء كلهم ، وقد قال تعالى (وتعلمت بهم الأسباب) قال حدثنا ليث عن مجاهد : الروايات التي كانت بينهم في الدنيا . فبكي حتى جعل يشق . وقال الفضيل : استندعني الرشيد يوما وقد زخرف منزله وأكثر الطعام والشراب والفنات فيها ، ثم استدعى أبا المتاهية فقال له : صف لنا ما نحن فيه من الميش والتعيم فقال :-

عش ما بدا لك سلسلا • في ظل شائعة التصور
تسمى عليك بما اشتبه • ت لدى الرواح إلى البكور
فاذا النفوس تنفقت • عن ضيق حشرة الصدور
فهناك تعلم موقنا • ما كنت إلا في غرور

قال : فبكى الرشيد بكاء كثيراً شديداً . فقال له الفضل بن يحيى : دعك أمير المؤمنين تسره فأحزنته ؟ فقال له الرشيد : دعه فإنه رأى نافي عي فكره أن يزيدنا عي . ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبي العنابية : عظمي بأبيات من الشعر وأوجز قال : —

لأتأمن الموت في طرف ولا نفس • ولو تحننت بلحجب والحرس
واعلم بأن سهام الموت صائبة • لكل مدرع منها وسترس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها • إن السفينة لا تجري على اليبس

قال : غر الرشيد مغشياً عليه . وقد حبس الرشيد مرة أبا العنابية وأرصد عليه من يأتيه بما يقول ، فكتب مرة على جدار الحبس :

أما والله إن الظلم شوم • وما زال المسقى هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نغضى • وعند الله تجتمع الخصوم

قال : فاستدعاه واستجبه في حل ووجه ألف دينار وأطلقه . وقال الحسن بن أبي الفهم : ثنا محمد بن عباد عن مفيان بن عيينة قال : دخلت على الرشيد فقال : ما خبرك ؟ قلت :

بين الله ما تخفى البيوت • قد طال التحمل والسكوت

قال : يا فلان مائة ألف لابن عيينة تغني وتغني عقبه ، ولا تضر الرشيد شيئاً . وقال الأصمعي : كنت مع الرشيد في الحج فررنا براد فاذا على شفيره امرأة حسناء بين يديها قصعة وهي تسال منها وهي تقول : —

طحططنا طحاطح الأعوام • ورمتنا حوادث الأيام
فأتيناكم نمد أكفأ • ثأثلاث لزادكم والطعام
فاطلبوا الأجر والثوبة فينا • أبها الزائر بيت الحرام
من رأى قد رآني ورحلى • فارحوا غربي وذل مقامي

قال الأصمعي : فذهبت إلى الرشيد فأخبرته بأمرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمها فرحها وبكى وأمر مسروراً الخادم أن يملأ قصعتها ذهباً ، ففلاها حتى جعلت تغني بيننا وشمالاً . وسمع مرة الرشيد أعرابياً يحمو إليه في طريق الحج :

أيها المجمع عما لا هم * أنت قضى ذلك الحى نعم
كيف ترقيك وقد جف القلم * حطت الصحة منك والسقم
قال الرشيد لبعض خدمه : ما ملك ؟ قال : أربعمائة دينار ، قال : ادفنها إلى هذا الأعرابي .
فلما قبضها ضرب رفيقه يده على كتفه وقال متمثلا :

وكننت جليس قفقاع بن عمرو * ولا يشقى بقفقاع جليس
فأمر الرشيد بعض الخدم أن يعطى المتمثل ما معه من الذهب فإذا ما أتنا دينار . قال أبو عبيد
إن [أصل] هذا المثل أن معاوية بن أبى سفيان أهديت له هدية جامات من ذهب فرمها على
جلسائه وإلى جانبه قفقاع بن عمرو ، وإلى جانب القفقاع أعرابي لم يفضل له منها شيء . فأطرق
الأعرابي حياء فنفخ إليه القفقاع الجمام الذى حصل له ، فبهض الأعرابي وهو يقول : وكننت جليس
قفقاع بن عمرو إلى آخره .

وخرج الرشيد يوما من عند زبيدة وهو يضطك فقبل له مم تضطك يا أمير المؤمنين ؟ قال :
دخلت اليوم إلى هذه المرأة - يعنى زبيدة - فأقلت عندها وبت ، فما استيقظت إلا على صوت
ذهب يصب ، قالوا : هذه ثلثمائة ألف دينار قدمت من مصر ، قالت زبيدة : هبالي يا ابن عم ،
فقلت : هي لك ، ثم ما خرجت حتى عربدت على وقالت : أى خير رأيته منك ؟ وقال الرشيد مرة
للفضل الضبي : ما أحسن ما قبل فى القرب ، ولك هذا الخاتم ، وشراؤه ألف وستائة دينار ، فأئند
قول الشاعر :
ينام بأحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى الرزايا فهو يقظان فأم
قال : ما قلت هذا إلا لتسلينا الخاتم . ثم ألقاه إليه فبعثت زبيدة فاشتريته منه بألف وستائة
دينار ، وبعثت به إلى الرشيد وقالت : إني رأيته ممجبا به . فرده إلى الفضل والدنانير ، وقال :
ما كنا لتهب شيئا ونرجع فيه .

وقال الرشيد يوما لعباس بن الأحنف : أى بيت قالت العرب أرق ؟ قال : قول جميل فى بثينة :
ألا ليتنى أسمى أسم قودى * بثينة لا يخفى على كلامها
قال له الرشيد : أرق منه قولك فى مثل هذا :

طاف الهوى فى عباد الله كلهم * حتى إذا مررت من بينهم وقفا
قال له العباس : قولك يا أمير المؤمنين أرق من هذا كله :
أما يكفينك أنك تملكينى * وأن الناس كلهم عبيدى
وأنتك لو قطعت يدي ورجلي * لقلت من الهوى أحسنت زبدي
قال : فضطك الرشيد وأعجبه ذلك . ومن شعر الرشيد فى ثلاث حظيات كن عنده من الخواص

قوله : ملك الثلاث النشآت عناني • وحلان من قلبي بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها • وأطيمهن وهنّ فى عصياتى
ماذاك إلا أن سلطان الهوى • وبه قوين أعز من سلطانى
ومما أورد له صاحب المقد فى كتابه :

تبدى الصدود وتحنى الحب عاشقة • فالنفس راضية والطرف غضبان
وذکر ابن جرير وغيره أنه كان فى دار الرشيد من الجوارى والحظايا وخدمين وخدم زوجته
وأخواته أربعة آلاف جارية ، وأثنى حضرن يوما بين يديه ففنته المطربات منهن فطرب جداً ،
وأمر بحال ففتر عليهن . وكان مبلغ ما حصل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم فى ذلك اليوم .
رواه ابن عساکر أيضاً

وروى أنه اشترى جارية من المدينة فأعجب بها جداً فأمر بإحضار موالها ومن يلوذ بهم ليقضى
حوالجمهم ، فقدموا عليه بثمانين فضا فأمر الحاجب - وهو الفضل بن الربيع - أن يتلقاهم ويكتب
حوالجمهم ، فكان فيهم رجل قد أقام بالمدينة لأنه كان يهوى تلك الجارية ، فبعثت إليه فأتى به فقال
له الفضل : ما حاجتك ؟ قال : حاجتى أن يجلسنى أمير المؤمنين مع فلانة فأشرب ثلاثة أرطال من
خمر ، وتقضى ثلثة أصوات . فقال : أبجئون أنت ؟ فقال : لا ولكن أعرض حاجتى هذه على
أمير المؤمنين . فذكر الرشيد ذلك فأمر بإحضاره وأن يجلس معه الجارية بحيث ينظر إليهما ولا يراه
فجلست على كرسى والخدم بين يديها ، وأجلس على كرسى فشرب رطلا وقال لها غنى :

خليلي عوجا بارك الله فيكما • وإن لم تكن هند بأرضكما قصدا

وقولا لما ليس الضلال أجازا • ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

غدا يكثر البادون منا ومنكم • وتزداد دارى من دياركم بعدا

قال : ففنته ثم استعجله الخدم فشرب رطلا آخر ، وقال : غنى جملت فداك :

تكلم منا فى الوجوه عيوننا • فنحن سكوت والهوى يتكلم

ونفضب أحيانا ونرضى بطرفنا • وذلك فيما بيننا ليس يعلم

قال : ففنته . ثم شرب رطلا ثالثا وقال : غنى جملنى الله فداك :

أحسن ما كنا نغرقنا • وخاتنا الدهر وما كنا

فليت ذا الدهر لنا مرة • عاد لنا يوماً كما كنا

قال ثم قام الشب إلى درجة هناك ثم ألقى نفسه من أعلاها على أم رأسه فأت . قال الرشيد :

عجل الفتى ، والله لو لم يسجل لوهبتها له .

وفضائل الرشيد ومكارمه كثيرة جداً . قد ذكر الأئمة من ذلك شيئاً كثيراً فقد كان منه أنموذجاً صالحاً . وقد كان الفضيل بن عياض يقول : ليس موت أحد أعز علينا من موت الرشيد ، لما اتخوف بعده من الحوادث ، وإني لأدعو الله أن يزيد في عمره من عمري . قالوا : فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات ، وظهر القول بخلاف القرآن ، فرقمنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك . وقد خدمت رؤياه لتلك الكف وتلك التربة الحراء وقاتل يقول : هذه تربة أمير المؤمنين . فكان موته بطوس . وقد روى ابن عساكر أن الرشيد رأى في منامه قاتلاً يقول : كأني بهذا القصر قد باد أهله . الشعر إلى آخره .

وقد تقدم أن ذلك إنما رآه أخوه موسى الهادي . وأبوه محمد المهدي بالله أعلم . وقدمنا أنه أمر بحفر قبره في حياته ، وأن تقرأ فيه ختمه ثامة ، وحمل حتى نظر إليه فجعل يقول : إلى هنا نصير يا ابن آدم . ويكي ، وأمر أن يوسع عند صدره وأن يمد من عند رجله ، ثم جسل يقول : (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه) ويكي . وقيل : إنه لما احتضر قال : اللهم اغفنا بالاحسان ، واغفر لنا الاساءة ، يا من لا يموت ارحم من يموت . وكان مرضه بالقم ، وقيل بالسل ، وجبريل الطيب يكتم ما به من اللة ، فأمر الرشيد رجلاً أن يأخذ مائه في قارورة وينهب به إلى جبريل فيريه إيّاه ، ولا يذكر له بول من هو ، فان سأله قال : هو بول مريض عندنا . فلما رآه جبريل قال لرجل عنده : هذا مثل ماء ذلك الرجل . فهم صاحب القارورة من عني به ، فقال له : بالله عليك أخبرني عن حال صاحب هذا الماء : فان لي عليه مالا ، فان كان به رجاء وإلا أخنت مالي منه . فقال : اذهب فتخلص منه فانه لا يمشي إلا أيلماً . فلما جاء وأخبر الرشيد بعث إلى جبريل فتغيب حتى مات الرشيد . وقد قال الرشيد وهو في هذه الحال :

إني بطوس مقب مالي بطوس حميم أرجو إلهمي لما بي فانه بي رحيم
لقد أتني بي طوساً قضائه المحتوم وليس إلا رضائي والصبر والتسليم

مات بطوس يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل إنه توفي في جمادى الأولى ، وقيل في ربيع الأول ، وله من العمر خمس ، وقيل سبع ، وقيل ثمان وأربعون سنة . ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية عشر يوماً . وقيل ثلاثة أشهر . وصلى عليه ابنه صالح ودفن بقرية من قرى طوس يقال لها سنبلاذ . وقال بمصهم : قرأت على خيام الرشيد بسنبلاذ والناس منصرفون من طوس من بعد موته .

منازل المسكر معمورة * والمنازل الأعظم مهجور
خليفة الله بدار البلى * قسى على أجداده المور

أقبلت المير تباهى به • وانصرفت تنديه المير
وقد رثاه أبو الشيص قال :

غربت في الشرق شمس • فلها العينان تنعم
ما رأينا قط شمساً • غربت من حيث تطلع

وقد رثاه الشعراء بقصائده . قال ابن الجوزي : وقد خلف الرشيد من الميراث ما لم يخلفه أحد من الخلفاء ، خلف من الجواهر والأثاث والأمتعة سوى الضياع والصور ما قيمته مائة ألف ألف دينار ، وخمسة وثلاثون ألف دينار . قال ابن جرير : وكان في بيت المال سبعمائة ألف ألف ونيّف .

(ذكر زوجاته وبنيه وبناته)

تزوج أم جعفر زبيدة بنت عمه جعفر بن أبي جعفر المنصور ، تزوجها في سنة خمس وستين ومائة في حياة أبيه المهدي ، فولدت له محمداً الأمين . وماتت زبيدة في سنة ست عشرة ومائتين كاسياني . وتزوج [أمة العزيز] أم ولد كانت لأخيه موسى الهادي فولدت له علي بن الرشيد . وتزوج أم محمد بنت صالح المسكين ، والعباسة بنت عمه سليمان بن أبي جعفر فزقنا إليه في ليلة واحدة سنة سبع وعشرين ومائة بالزفة ، وتزوج عزيزة بنت النضر ، وهي بنت خاله أختي أمه الخيزران ، وتزوج ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الثمالية ، ويقال لها الجرشيّة ، لأنها ولدت بجرش باليمن . وتوفى عن أربع : زبيدة ، وعباسة ، وابنة صالح ، والتمانية هنه . وأما الخظايا من الجوار فكثير جداً حتى قال بعضهم : إنه كان في داره أربعة آلاف جارية سراري حسان .

وأما أولاده المذكور فمحمد الأمين بن زبيدة ، وعبد الله المأمون من جارية اسمها مراحيل ، ومحمد أبو إسحاق المنعم من أم ولد يقال لها ماردة ، والقاسم المؤمن من جارية يقال لها قصف . وعلى أمه أمة العزيز . وصالح من جارية اسمها رثم . ومحمد أبو يعقوب . ومحمد أبو عيسى . ومحمد أبو العباس . ومحمد أبو علي كل هؤلاء من أمهات أولاد . وكان من الأملاك سكينة من قصف . وأم حبيب من ماردة . وأروى . وأم الحسن . وأم محمد وهي حمدونة واطمة وأما غصص . وأم سلمة . وخديجة . وأم القاسم دملة . وأم علي . وأم الفالية . وريلة كلهن من أمهات أولاد .

﴿ خلافة محمد الأمين ﴾

(ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور)

لما توفى الرشيد بطوس في جمادى الآخرة من هذه السنة - أعني سنة ثلاث وتسعين ومائة - كتب صالح بن الرشيد إلى أخيه ولي العهد من بعد أبيه محمد الأمين بن زبيدة وهو ينفذاد يملئه بؤسة أبيه ويمزجه فيه ، فوصل الكتاب محبة رجاء الخادم ومعه الخاتم والتضييب والبردة ، يوم

الحفيس الرابع عشر من جلدى الآخرة ، فركب الأمين من قصره الخلد إلى قصر أبي جعفر المنصور - وهو قصر القهب - على شط بغداد ، فصلى بالناس ثم صد التبر فخطبهم وعزام في الرشيد ، وبسط آبال الناس ووعدهم الخير : فبايحه الخواص من قومه ووجوه بني هاشم والأمراء ، وأمر بصرف أعطيات الجند عن سنتين ، ثم نزل وأمر عمه سليمان بن جعفر أن يأخذ له البيعة من بقية الناس فلما انظم أمر الأمين واستقام حاله حسده أخوه المأمون ووقع الخلف بينهما على ما سذكروه إن شاء الله تعالى .

(ذكر اختلاف الأمين والمأمون)

كان السبب في ذلك أن الرشيد لما وصل إلى أول بلاد خراسان وهب جميع ما فيها من الخواص والهدايا والسلاح لولاه المأمون ، وجد له البيعة ، وكان الأمين قد بعث بكر بن المشر بكتب في خفية ليوصلها إلى الأمراء إذا مات الرشيد ، فلما توفى الرشيد فغزت الكتب إلى الأمراء وإلى صالح بن الرشيد ، وفيها كتاب إلى المأمون يأمره بالسمع والطاعة ، فأخذ صالح البيعة من الناس إلى الأمين ، وأرسل الفضل بن الربيع بالجيش إلى بغداد وقد بقى في قوسهم مخرج من البيعة التي أخذت للمأمون ، وكتب إليهم المأمون يدعوهم إلى بيعته فلم يجيبوه ، فوقعت الوحشة بين الأخوين ، ولكن تحول عملة الجيش إلى الأمين ، فشد ذلك كتب المأمون إلى أخيه الأمين بالسمع والطاعة والتمظيم ، وبعث إليه من هدايا خراسان وتحفها من الهدايا والمسك وغير ذلك ، وهو نائبه عليها ، وقد أمر الأمين في صبيحة يوم السبت بعد أخذ البيعة يوم الجمعة ببناء ميدانين للصيد ، فقال في ذلك بعض الشعراء : -

بنى أمين الله ميدانا • وصير الساحة بستانا

وكانت الفزلان فيه يانا • يهدى إليه فيه غزلانا

وفي شعبان من هذه السنة قدمت زبيدة من الرقة بالخزائن وما كان عندها من التحف والتماش من الرشيد ، فتلقتها ولها الأمين إلى الأنبار ومعه وجوه الناس . وأقر الأمين أخاه المأمون على ما تحت يده من بلاد خراسان والرى وغير ذلك ، وأقر أخاه القاسم على الجزيرة والنخور ، وأقر عمال أبيه على البلاد إلا القليل منهم .

وفيها مات قنور ملك الروم ، قتله البرجان ، وكان ملكه تسع سنين ، وأقام بعده ولده استبراق شهرين فمات ، فملكهم ميخائيل زوج أخت قنور لعنهم الله . وفيها واقع هرمة نائب خراسان ورافع ابن القيث فاستجاش رافع بالترك ثم هربوا وبقى رافع وحده فضنف أمره . وحج بالناس نائب الحجاز داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي . وفيها توفى :

﴿ إسماعيل بن علي ﴾

وهو من أئمة العلماء والمحدثين الرفاء ، روى عنه الشافعي وأحمد بن حنبل ، وقد ولى المظالم ببغداد ، وكان فاضل الصدقات بالبصرة ، وكان ثقة جليلاً كبيراً ، وكان قليل التيسر وكان يتجر في البرز وينفق على عياله منه ويحج منه ، ويبر أصحابه منه مثل السفينيين وغيرهما ، وقد ولاه الرشيد القضاء فلما بلغ ابن المبارك أنه تولى القضاء كتب إليه يلومه لفظاً ونبراً ، فاستفى ابن علي من القضاء فأعفاه . وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة ، ودفن في مقابر عبد الله بن مالك وفيها مات :

﴿ محمد بن جعفر ﴾

الملقب ببندر . روى عن شعبة وسعيد بن أبي عروبة وعن خلق كثير ، وعنه جماعة منهم أحمد بن حنبل ، وكان ثقة جليلاً حافظاً متقناً . وقد ذكر عنه حكايات تدل على تفنيه في أمور الدنيا ، كانت وفاته بالبصرة في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . وقد لقب بهذا القلق جماعة من المتقدمين والمتأخرين . وفيها توفى :

﴿ أبو بكر بن الميثاق ﴾

أحد الأئمة ، سمع أبا إسحاق السبيعي والأعشى وهشام بن عروة وجماعة . وحدث عنه خلق منهم أحمد بن حنبل . وقال يزيد بن هارون : كان حبراً فاضلاً لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة ، قالوا : ومكث ستين سنة يحتم القرآن في كل يوم ختمه كلمة ، وصام ثمانين رمضان ، وتوفى وله ست وتسعون سنة . ولما احتضر بكى عليه ابنه فقال : يا بني علام تبكي ؟ والله ما أنى أبوك فاحشة قط .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة ﴾

فيها خلع أهل حمص نائبهم فزله عنهم الأمين وولى عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل طائفة من وجوه أهلها وحرق نواحيها ، فسألوه الأمان فأمنهم ثم هاجوا فضرب أعناق كثير منهم أيضاً . وفيها عزل الأمين أخاه القاسم عن الجزيرة والنعمور ، وولى على ذلك خزيمه بن خازم ، وأمر أخاه بالمقام عنده ببغداد . وفيها أمر الأمين باللهاء لولده موسى على المنابر في سائر الأمصار ، وبالامرة من بعده ، وسماه الناطق بلحق ، ثم يدعى من بعده لأخيه المأمون ثم لأخيه القاسم ، وكان من نية الأمين الوفاء لأخويه بما شرط لهما ، فلم يزل به الفضل بن الربيع حتى غير نيته في أخويه ، وحسن له خلع المأمون والقاسم ، وصغر عنده شأن المأمون . وإتمامه على ذلك خوفه من المأمون إن أفضت إليه الخلافة أن يخلعه من الحجابة . فوافقه الأمين على ذلك وأمر باللهاء لولده موسى وبولاية العهد من بعده ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة . فلما بلغ المأمون قطع البريد عنه وترك ضرب اسمه على السكة والطرز ، وتشكر للأمين . وبث رافع بن الليث إلى المأمون يسأل منه الأمان فأمنه

فسار إليه بن منه فأكرمه المأمون وعظمه ، وجاء هرثمة على إثره فلقاه المأمون ووجوه الناس وولاء الحرس ، فلما بلغ الأمين أن الجنود انتفت على أخيه المأمون ساء ذلك وأنكره ، وكتب إلى المأمون كتاباً وأرسل إليه رسلاً ثلاثة من أكابر الأمراء ، سأله أن يجيبه إلى تقديم ولده عليه ، وأنه قد سمى الناطق بالحق ، فأظهر المأمون الامتناع فشرع الأمراء في مطايته وملايقته ، وأن يجيبهم إلى ذلك فأبى كل الإباء ، فقال له العباس بن موسى بن عيسى : قد خلع أبى نفسه فإذا كان ؟ فقال المأمون إن أباك كان امرئاً مكرهاً ، ثم لم يزل المأمون يمد العباس ويمنيه حتى يأمه بالخلقة ، ثم لما رجع إلى بغداد كان يرأسه بما كان من أمر الأمين ويناصحه ، ولما رجع الرسل إلى الأمين أخبروه بما كان من قول أخيه ، فعند ذلك صمم الفضل بن الربيع على الأمين في خلع المأمون ، فغله وأمر بالبدء لولده في سائر البلاد ، وأقاموا من يتكلم في المأمون ويذكر مساويه ، وبعثوا إلى مكة فأخفوا الكتاب الذي كتبه الرشيد وأودعه في الكعبة ، فرقه الأمين وأكد البيعة إلى ولده الناطق بالحق على ما ولده من الأعمال ، ووجرت بين الأمين والمأمون مكاتبات ورسل يطول بسطها . وقد استقصاها ابن جرير في تاريخه ، ثم آل بهما الأمر إلى أن احتفظ كل منهما على بلاده وحصنها وهما الجيوش والجنود وتأنف الرعايا ، وفيها غدرت الروم بملكهم ميخائيل فراموا خله وقتله فترك الملك وترهب وولوا عليهم اليون . وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود بن عيسى ، وقيل على بن الرشيد . وفيها توفي من الأعيان :

(سلم بن سالم أبو بحر البلخي)

قدم بغداد وحدث بها عن إبراهيم بن طهمان والثوري . وعنه الحسن بن عرفة . وكان عابداً زاهداً ، مكث أربعين سنة لم يفرش له فراش ، وصامها كلها إلا يومى العيد ، ولم يرفع رأسه إلى السماء ، وكان داعية الأرجاء ضعيف الحديث ، إلا أنه كان رأساً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان قد قدم بغداد فأنكر على الرشيد وشنع عليه فحبسه وقيده بأثنى عشر قيداً ، فلم يزل أبو مملوكة يشفع فيه حتى جملوه في أربعة قيود ، ثم كان يدعو الله أن يردّه إلى أهله . فلما توفي الرشيد أطلقت زوجته زبيدة فرجع - وكأوا بمكة قد جاؤا حجاجاً - فرض بمكة . واشتهى يوماً برداً فستط في ذلك الوقت برد حين اشتباه فأكل منه . مات في ذى الحجة من هذه السنة .

(وعبد الوهاب بن عبد المجيد)

التقى كانت غلته في السنة قرياً من خمسين ألفاً ينفعها كلها على أهل الحديث . توفي عن أربع وثمانين سنة .

(وأبو النصر الجيني المصاب)

كان مقياً بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد في الحائظ الشالي منه ، وكان طويل السكوت ، فإذا سئل أجاب بمجواب حسن ، ويتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه وتكتب ، وكان يخرج يوم الجمعة

قبل الصلاة فيقف على مجامع الناس فيقول : (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) و (يوم لا يجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) ثم ينتقل إلى جماعة أخرى ثم إلى أخرى ، حتى يدخل المسجد فيصل في الجمعة ثم لا يخرج منه حتى يصلي العشاء الآخرة .

وقد وعظ مرة هارون الرشيد بكلام حسن قال : اعلم أن الله سائلك عن أمة نبيه فأعد لذلك جوابا ، وقد قال عمر بن الخطاب لو ماتت سخة بالعراق ضياعا غلشت أن يسألني الله عنها . قال الرشيد : إني لست كعمر ، وإن دهري ليس كدهره . قال : ما هنا بمن عنك شيئا . فأمر له بثلاثة دينار ، قال : أنا رجل من أهل الصفة فربها فلتقسم عليهم وأنا واحد منهم .

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة)

فيها في صفر منها أمر الأمين الناس أن لا يتعاملوا بالدرهم والدينار التي عليها اسم أخيه المأمون ونهى أن يدعى له على المنابر ، وأن يدعى له ولولده من بعده : وفيها تسمى المأمون بإمام المؤمنين . وفي ربيع الآخر فيها عقد الأمين لملي بن عيسى بن ماهان الإمارة على الجبل وحمدان واصبهان وقم وتلك البلاد ، وأمره بحرب المأمون وجيز معه جيشا كثيرا ، وأفق فهم نققات عظيمة ، وأعطاه مائتي ألف دينار ، ولولده حسين ألف دينار وألفى سيف محلى ، وستة آلاف ثوب للخلع . فخرج علي بن موسى بن ماهان بن بشاد في أربعين ألف مقاتل فارس ، ومعه قيد من فضة ليأتي فيه بالمأمون . وخرج الأمين معه مشيعا فسار حتى وصل الرى فتلقاه الأمير طاهر في أربعة آلاف ، فحرت بينهم أمور آل الحلال فيها أن اقتتلوا ، قتل علي بن عيسى وانهزم أصحابه وحمل رأسه وجنته إلى الأمير طاهر فكتب بذلك إلى وزير المأمون ذى الرياستين ، وكان القى قتل علي بن عيسى رجل يقال له طاهر الصغير فسعى ذا اليمينين ، لأنه أخذ السيف بيديه للثنتين فذبح به علي بن عيسى بن ماهان ، ففرح بذلك المأمون وذووه ، وانتهى الخبر إلى الأمين وهو يصيد السمك من دجلة : قال : ويحك دعني من هنا فإن كثرأ قد صاد سمكتين . ولم أحد بعد شيئا . وأرجف الناس ببشاد وخفوا غائلة هذا الأمر ، وندم محمد الأمين على ما كان منه من نكث العهد وخلع أخيه المأمون ، وما وقع من الأمر الفظيع . وكان رجوع الخبر إليه في شوال من هذه السنة . ثم جيز عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في عشرين ألفا من المقاتلة إلى همدان ليقاتلوا طاهر بن الحسين بن مصعب ومن معه من الخراسانية ، فلما اقتربوا منهم تواجبوا فقتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم ، ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن ابن جبلة فلجئوا إلى همدان فحاصروهم بها طاهر حتى اضطروهم إلى أن دعوا إلى الصلح ، فصلحهم وأمنهم ووفى لهم ، وانصرف عبد الرحمن بن جبلة على أن يكون راجعا إلى بشاد ، ثم غدروا بأصحاب

طاهر وحلوا عليهم وهم غافلون قتلوا منهم خلقاً وصير لهم أصحاب طاهر ثم نهضوا إليهم وحلوا عليهم فبرزهم وقتل أميرهم عبد الرحمن بن جبلة ، وفر أصحابه خائبين .

فلما رجعوا إلى بغداد اضطربت الأمور وكثرت الأراجيف ، وكان ذلك في ذى الحجة من هذه السنة ، وطرد طاهر عمال الأميين عن قزوين وتلك النواحي ، وقوى أمر المأمون جداً بذلك البلاد . وفي ذى الحجة من هذه السنة ظهر أمر السفياقي بالشام ، واصله على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فزول نائب الشام عنها ودعا إلى نفسه ، فبعث إليه الأميين جيشاً فلم يقيموا عليه بل أقاموا بالرقعة ، ثم كلن من أمره ما سنده كره . وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود ابن عيسى . وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان منهم :

﴿ إسحاق بن يوسف الأزرق ﴾

أحد أئمة الحديث . روى عنه أحمد وغيره . ومنهم :

﴿ بكار بن عبد الله ﴾

ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، كان نائب المدينة الرشيد ثقتي عشرة سنة وشهراً ، وقد أطلق الرشيد على يديه لأهلها ألف دينار ومائتي ألف دينار ، وكان شريفاً جواداً مظلماً .

﴿ أبو نواس الشاعر المشهور ﴾

وفيها توفي :

واصله الحسن بن هاني بن صباح بن عبد الله بن الجراح بن هنب بن داود بن غنم بن سليم ، ونسبه عبد الله بن سعد إلى الجراح بن عبد الله الحكيم ، ويقال له أبو نواس البصري ، كان أبوه من أهل دمشق من جند مروان بن محمد ، ثم صار إلى الأهواز وتزوج امرأة يقال لها خلبان ، فولدت له أبا نواس وابناً آخر يقال له أبا معاذ ، ثم صار أبو نواس إلى البصرة فتأحب بها على أبي زيد وأبي عبيدة ، وقرأ كتاب سيبويه ولزم خلقاً الأحرار ، ومحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي . وقد قال القاضي ابن خلكان : محب أبا أسلمة وابن الحباب الكوفي ، وروى الحديث عن أزهر بن سعد وحامد بن زيد وحامد بن سلمة وعبد الواحد بن زيد ومتمم بن سليمان ، ويحيى القطان . وعنه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي . وحدث عنه جماعة منهم الشافعي وأحمد بن حنبل وغندر ومشاهير العلماء ومن مشاهير حديثه ما رواه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة » . وقال محمد بن إبراهيم : دخلنا عليه وهو في الموت فقال له صالح بن علي الهاشمي : يا أبا علي ! أنت اليوم في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، وبينك وبين الله هنات ، فتب إلى الله من عملك . قال : إياي تخوف ؟ بالله استمدوني . قال : فأستندته فقال : حدثني حماد بن سلمة

عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي شفاعة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي يوم القيامة » . ثم قال : أفلا تراني منهم . وقال أبو نواس : ما قلت الشعر حتى رويت عن ستين امرأة منهم خنساء وليلي ، فما الظن بالرجال ؟ وقال يعقوب بن السكيت : إذا رويت الشعر عن امرئ القيس والأعشى من أهل الجاهلية ، ومن المسلمين جرير والفرزدق ، ومن المحدثين عن أبي نواس فحسبك . وقد أثنى عليه غير واحد منهم الأصمعي والجاحظ والنظام . قال أبو عمرو والشيباني : لولا أن أبا نواس أفسد شعره بما وضع فيه من الأقذار لاحتججنا به . - يعني شعره الذي قاله في الخريات والمردان ، وقد كان يميل إليهم - ونحو ذلك مما هو معروف في شعره . واجتمع طائفة من الشعراء عند المأمون قليل لهم : أيكم القاتل :

فلما نحلها وقفنا كأنا • نرى قرأ في الأرض يبلغ كوكبا
قالوا : أبو نواس . قال : فأبيكم القاتل : -

إذا نزلت دون الهابة من الفتى • دعى همه عن قلبه برحيل
قالوا أبو نواس . قال : فأبيكم القاتل : -

فتمشت في مفاسلهم • كتمشى البرية في السقم
قالوا : أبو نواس . قال : فهو أشركم . وقال سفيان بن عيينة لابن منذر : ما أشعر ظريفكم أبا نواس في قوله :
يا قرأ أبصرت في مائتم • يندب شجوا بين أتراب
أبرزه المائتم لي كلها • برغم ذي باب وحجاب
يبكي فينري الدم من عينه • ويلطم الورد بعناب
لا زال موتا دأب أحبابه • ولم تزل رؤيته دأب
قال ابن الأعرابي أشعر الناس أبو نواس في قوله : -

تسرت من دهرى بكل جناحه • فبني نرى دهرى وليس يراني
فلو تسأل الأيام عنى ما درت • وأين مكاتى ما عرفن مكاتى
وقال أبو العتاهية : قلت في الزهد عشرين ألف بيت ، ودعت أن لي مكاتها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس وهي هذه ، وكانت مكتوبة على قبره :

يا نواسى توقر • أو فقير أو نصير
إن يكن بملك دهر • فلما سرك أكثر
يا كثير القنب • عفو الله من ذنبك أكبر
ومن شعر أبي نواس يمدح بعض الأمراء : -

أوجده الله فما مثله • بطالب ذلك ولا تأسد
ليس على الله يستكر • أن يجمع العالم في واحد
وأشدوا سفيان بن عينة قول أبي نواس :

ما هوى إلا له سبب • يبتدى منه وينشعب
فتنت قلبي عجة • وجهها بالحسن منتقب
خلته والحسن تأخذه • تلتقي منه وتنتخب
فاكتست منه طرائفه • واستردت بعض ما تهب
فهو لو صيرت فيه لما • عودة لم يثنها أرب
صار جداً ما مزحت به • رب جد جره القسب

قال ابن عينة : آمنت بالله خلقها . وقال ابن دريد قال أبو حاتم : لو أن العامة بدلت هذين
البيتين كتبتهما بماء الذهب :

ولو أني استزدتك فوق ما بي • من البلوى لأعوزك المزيد
ولو عرضت على الموتى حياتي • بعيش مثل عيشي لم يريدوا
وقد سمع أبو نواس حديث سهيل عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « القلوب
جنود مجندة فما تمارف منها اتلفت وما تناكر منها اختلف » . فنظم ذلك في قصيدة له قال :
إن القلوب لأجناد مجندة • لله في الأرض بالأهواء تمارف
فما تناكر منها فهو مختلف • وما تمارف منها فهو مؤتلف
ودخل يوماً أبو نواس مع جماعة من المحدثين على عبد الواحد بن زياد فقال لهم عبد الواحد
ليختر كل واحد منكم عشرة أحاديث أحدثه بها ، فأختر كل واحد عشرة إلا أبا نواس ، فقال له :
مالك لا تختار كما اختاروا ؟ فأشأ يقول :

ولقد كنا رويناه • عن سميد عن قتاده عن سميد بن المسيد • بمحمد بن عباد
وعن الشعبي والشه • بي شيخ ذو جلالة وعن الأخيار نحيك • وعن أهل الأفاة
أن من مات محبا • فله أجر شهادة

قال له عبد الواحد : قم عني يا فاجر ، لاحدثتك ولا حدث أحدنا من هؤلاء من أجلك . فبلغ
ذلك مالك بن أنس وإبراهيم بن أبي يحيى فقالا : كان ينبغي أن يحدته لعل الله أن يصلحه .
قلت : وهذا الذي أنشده أبو نواس قد رواه ابن عدى في كامله عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً
« من عشق فف فكتم مات شهيداً » . ومعناه أن من اجتلي بالمشق من غير اختيار منه فصبر

وعف عن الفاحشة ولم يش ذك فأت بسبب ذلك حصل له أجر كثير . فان صح هذا كان ذلك له نوع شهادة والله أعلم .

وروى الخطيب أيضاً أن شعبة لقي أبا نواس فقال له : حدثنا من طرفك ، قال مرتجلاً : حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر ومسر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عمر قالوا جميعاً : أيما طفلة علقها ذو خاق طاهر فواصلته ثم دامت له على وصال الحافظ القباكر ، كانت له الجنة مفتوحة يرتفع في مرتعها الزاهر ، وأي معشوق جفا عاشقاً بمد وصال دائم لا يصرأ في عذاب الله بمدآله نعم وسحقاً دائم ذاخر . فقال له شعبة : إنك لجليل الأخلاق ، وإني لأرجو لك . وأنشد أبو نواس أيضاً

يا ساحر المقتلين والجيد * وقاتلي منك بلواعيد
توعدي الوصل ثم تخلفني * ويلاي من خلفك موعودي
حدثني الأزرق المحدث عن * شهر وعوف عن ابن مسعود
ما يخلف الوعد غير كلفة * وكافر في الجحيم مصفود

فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال : كتب عدو الله على وعلى التابعين وعلى أصحاب محمد ﷺ . وعن سليم بن منصور بن عمار قال : رأيت أبا نواس في مجلس أبي يبيك بكاء شديداً فقلت : إني لأرجو أن لا يمدبك الله بمد هذا البكاء فأنشأ يقول :

لم ابك في مجلس منصور * شوقاً إلى الجنة والحور
ولا من القبر وأهواله * ولا من النفحة في الصور
ولا من النار وأغلالها * ولا من الخذلان والجور
لكن بكائي لبكا شادن * فقيه غسي كل محذور

ثم قال : إنما بكيت لبكاء هذا الأرملة التي إلى جانب أبيك . وكان صيباً حسن الصورة يسمع الوعظ فيبكي خوفاً من الله عز وجل -

قال : أبو نواس : دعاني يوماً بعض الحاككة وألح علي ليضيفني في منزله ، ولم يزل بي حتى أجنبت فصار إلى منزله وسرت منه فإذا منزل لا بأس به ، وقد احتفل الحائك في الطعام وجمع جمعاً من الحياك ، فأكلنا وشربنا ثم قال : يا سيدي أشتهى أن تقول في جاريتي شيئاً من الشعر - وكان مفرماً بجارية له - قال فقلت أرنيها حتى أنظم على شكائها وحسنها ، فكشف عنها فإذا هي أجمع خلق الله وأرحشهم ، سوداء شحطاء ديدانية يسيل لعابها على صدرها . فقلت لسيدها : ما اسمها ؟ قال تسيم ، فأنشأت

أقول : أسهر ليلى حب تسيم * جارية في الحسن كالبيوم
كأنما فكتهما كلخ * أو حزمة من حزم الثوم

خرطت من حبي لها خرطة * أفزعت منها ملك الروم
قال قتلم الحائك برقص ويصفق ساثريومه ويرجح ويقول : إنه شبهها والله بملك الروم . ومن
شعره أيضاً^(١) أبرمى الناس يقولون * بزعمهم كثرت أوزاريه
إن كنت في النار أم في جنة * ماذا عليكم يا بني الزانية
وبالجمل قد ذكرناه أموراً كثيرة ، وبجونا وأشماراً منكراً ، وله في الخريجات والقنازوات
والتشبيب بالردان والنسوان أشياء بشعة شنيعة ، فن الناس من يفسقه ويرميه بالفاحشة ، ومنهم من
يرميه بالزندقة ، ومنهم من يقول : كان إنما يجرب على نفسه ، والأول أظهر ، لما في أشعاره . فاما
الزندقة فبعبدة عنه ، ولكن كان فيه عجون وخلاعة كثيرة . وقد عزوا إليه في صفه وكبره أشياء
منكرة الله أعلم بصحتها ، والمامة تنقل عنه أشياء كثيرة لا حقيقة لها . وفي ضمن جامع دمشق قبة
يفور منها الماء يقول الدماشقة قبة أبي نواس ، وهي مبنية بمد مائة وخمسين سنة ، فما
أدرى لأي شيء نسبت إليه فله أعلم بهذا .

وقال محمد بن أبي عمر : سمعت أبا نواس يقول : والله ما فتحت سراويلي لحرام قط . وقال له
محمد الأمين بن الرشيد : أنت زنديق . فقال : يا أمير المؤمنين لست بزنديق وأنا أقول :
أصل الصلاة الحسن في حين وقتها * وأشهد بالتوحيد لله خاضعا
وأحسن غسلي إن ركبت جنابة * وإن جاءني المسكين لم أك مانعا
وإني وإن حانت من الكس دعوة * إلى بيعة الساق أجيبت مسارعا
وأشربها صرفا على جنب ما عز * وجدى كثير الشحم أصبح راضعا
وجوذا ب حواري ولوز وسكر * وما زال للخمار ذلك ناضعا
وأجمل تخليط الروافض كلام * لنفخة يحنشوع في النار طائعا
فقال له الأمين : ويحك ! وما الذي ألك إلى نفخة يحنشوع ؟ قال : به تمت القافية . فأمر له
بجائزة . و يحنشوع الذي ذكره هو طبيب الخلفاء . وقال الجاحظ : لا أعرف في كلام الشعراء أرق
ولا أحسن من قول أبي نواس حيث يقول :

أية نار قدح القادح * وأى جد بلغ المازح
له در الشيب من واعظ * وتاصح لو خلت الناصح
يا بني الفتى الاتباع الموى * ومنهج الحق له واضح
ظنم بميفيك إلى نسوة * مهورهن العمل الصالح
لا يجتلي الحوراء في خمرها * إلا امرؤ ميزانه راجح

من اتقى الله فذاك الذي • سبق إليه المتجر الرابع
 فاعذ قنا في الدين أغلوطه • وروح لما أنت له رائح
 وقد استنشده أبو عفان تصديته التي في أولها : لانتس ليل ولا تنظر إلى هند . فلما فرغ منها
 سجد له أبو عفان ، فقال له أبو نواس : والله لا أكلك مدة . قال : ففني ذلك ، فلما أردت
 الانصراف قال : متى أراك ؟ فقلت : ألم تقسم ؟ فقال : الدهر أقصر من أن يكون معه هجر .
 ومن مستجاد شعره قوله :

الأرب وجه في التراب عتيق • ويارب حسن في التراب رقيق
 ويارب حزم في التراب ونجدة • ويارب رأى في التراب وثيق
 قل لقریب الدار إنك ظاعن • إلى سفر فأنى المحل سحيق
 أرى كل حي هالكا وابن هالك • وذا نسب في الهالكين عريق
 إذا امتحن الدنيا لبیب تكشفت • له عن عدو في لباس صديق
 لا تشهرن فان القل في الشره • والعز في الحلم لافي الطيش والسفه
 وقل لمتميط في التيه من حق • لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
 التيه مفسدة للدين منقصة • للعقل مهلكة للعرض فاقبته
 وجلس أبو النعامة القاسم بن إسماعيل على دكان وراق فكتب على ظهر دفتر هذه الأبيات :
 أيا عجبا كيف يعصى الال • ه أم كيف يمجده الجاحد
 وفي كل شيء له آية • تدل على أنه الواحد
 ثم جاء أبو نواس قراءها فقال : أحسن قائله والله . والله لو ددت أنها لي بجميع شيء قلته ، لمن
 هذه ؟ قيل له : لأبي النعامة ، فأخذ فكتب في جانبها :

سبعان من خلق الخلق • ق من ضعف مهين
 يسوقه من قرار • إلى قرار مكين
 يخلق شيئا فشيئا • في الحجب دون العيون
 حتى بدت حركات • مخلوقة في سكون

ومن شعره المستجاد قوله :

اقطعت شدتي ففتت الملاهي إذ • رمى الشيب مفرق بالوداعي
 ونهنتي النهى فلت إلى المدل • وأشقت من مثلة ناهي
 أيها النافل المثر على السهو • ولا عنز في الماد لساهي

لا بأعمالنا نطبق خلاصا • يوم تبدو السماء فوق الجباه
على أنا على الاسامة والثقة • ريط نرجو من حسن عفو الاله
وقوله : تموت ونبلى غير أن ذنوبنا • إذا نحن متنا لا تموت ولا تبلى
الأرب ذى عينين لا تنفضاه • وما تنفع العينان من قلبه أعمى
وقوله : لو أن عينا أو همتها نفسها • يوم الحساب مثلا لم تطرف
سبحان ذى الملكوت آية ليلة • محنت صبيحتها بيوم الموقف
كتب الفناء على البرية ربها • فالتاس بين مقدم ومخلف
وذكر أن أبى نواس لما أراد الاحرام بالبحر قال :

يا مالكا ما أعدك ملك كل من ملك • لبيك إن الحمد لك والملك لاشريك لك
عبدك قد أهل لك أنت له حيث ملك • لولاك يارب ملك لبيك إن الحمد لك
والملك لاشريك لك والليل لما أن ملك • والسبحات فى الملك على مجارى تنفك
كل نبي و... لك وكل من أهل لك • سبى أو صلى فك لبيك إن الحمد لك
والملك لاشريك لك ياخذك ما أجهدك • عصيت ربا عدلك وأقدرك وأهلك
عجل وبادر أمك واختم بخير عملك • لبيك إن الحمد لك والملك لاشريك لك

وقال المصطفى بن زكريا الحزبرى : ثنا محمد بن العباس بن الوليد سمعت أحمد بن يحيى بن ثعلب
يقول : دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلا تهمة نفسه لا يجب أن يكثر عليه كأن النيران قد
سمرت بين يديه ، فازلت أترقب به وتوسلت إليه أنى من موالى شيان حتى كفى ، قال : فى أى
شئ نظرت من العاصم ؟ قلت : فى اللثة والشعر . قال : رأيت بالبصرة جماعة يكتبون عن رجل
الشعر ، قيل لى هذا أبو نواس . فتخلت الناس ورأى فلما جلست إليه أملى علينا :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل • خلوت ولكن فى اخلاء رقيب
ولا تحسبن الله يفضل ساعة • ولا آتيا يخفى عليه يتيب
لموانع الآثام حتى تابعت • ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله ينفر ما مضى • ويأذن فى نوباتنا فتوب

وزاد بعضهم فى رواية عن أبى نواس بعد هذه الأبيات :

أقول إذا ضاقت على مناهي • وحلت بقلبي للموم ندوب
لطول جنبا لى وعظم خطيئتي • هلكت ومالى فى المتاب نصيب
وافرق فى بحر الحاجة آيسا • وترجع فضى قارة فتتوب

وتذكرني عفو الكرم عن الوری • فأحيا وأرجو عفوہ فأنيب
وأخضع في قولي وأرغب سائلا • عسى كاشف البلي على يتوب
قال ابن طراز الجريري : وقد رويت هذه الآيات لمن ؟ قيل لأبي نواس وهي في زعمياته .
وقد استشهد بها النحاة في أماكن كثيرة قد ذكرناها . وقال حسن بن الهادية : دخلت على أبي نواس
وهو في مرض الموت فقلت : عظمي . فأثأ يقول :

فكثر ما استطعت من الخطايا • فانك لا قيا ربا غفورا
تقبصر إن وردت عليه عفوآ • وتلقى سيدآ ملكا قديرا
تعض ندامة كفيك مما • تركت مخافة النار الشرورا

فقلت : ويحك ! يمثل هذا الحال تمنى بهمه الموعظة ؟ فقال : اسكت حدثنا حداد بن سلمة عن
ثابت عن أنس قال قال النبي ﷺ : « ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي » . وقد تقدم بهذا
الاسناد عنه « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » . وقال الربيع وغيره عن الشافعي قال :
دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه فقلنا : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فأثأ

يقول :
تماظني ذنبي فلما قرنته • بعفوك ربى كان عفوك أعظما
ومازلت ذاعفون القنب لم نزل • تجود ونعمو منة وتكرما
ولولاك لم يقدر لابلis عابد • وكيف وقد أغوى صفيك آدمآ
رواه ابن عساكر . وروى أنهم وجدوا عند رأسه رقعة مكتوبا فيها بخطه :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة • فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك ربى كما أمرت تضرعآ • فاذا رددت يدي فن ذا يرحم
ان كان لا يبرحك إلا بحسن • فن الذي يرحو المسى المحرم
مالى إليك وسيلة إلا الرجا • وجيل عفوك ثم أنى مسلم

وقال يوسف بن الهادية : دخلت عليه وهو في السياق فقلت : كيف تجدك ؟ فأطرق مليا ثم رفع
رأسه فقال :

دب في الفناء سفلا وعلوآ • وأرائى أموت عضوآ فعضوآ
ليس يعضى من لحظة بي إلا • قصصنى بمرها في جزوآ
ذهبت جذى بلقة عيشى • وتذكرت طاعة الله نضوآ
قد أسأنا كل الاساءة فلا • هم صغفآ عنا وغفرا وعفوآ

ثم مات من ساعته صلحنا الله وإليه آمين .

وقد كان قش خاتمه لا إله إلا الله مخلصا ، فأوصى أن يجعل في فيه إذا غسلوه ففعلوا به ذلك . ولما

مات لم يجدوا له من المال سوى ثلثة درهم وثيابه وأثابه ، وقد كانت وفاته في هذه السنة ينفد ودفن في مقابر الشونيزى في تل اليهود . وله خمسون سنة . وقيل ستون سنة ، وقيل سبع وخمسون سنة . وقد رآه بعض أصحابه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بأبيات قلتها في الترجس :

فكر فى نبت الأرض وانظر • إلى آثار ما صنع الملك

عيون من لجين شاخصات • بأبصار هى الذهب السبك

على قضب الزرجد شاهدات • بأن الله ليس له شريك

وفى رواية عنه أنه قال : غفر لى بأبيات قلتها وهى تحت وسادى فجاءوا فوجدوها برقة فى خطه

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة • فقد علمت أن عفوك أعظم

الآيات . وقد تقدمت . وفى رواية لابن عساكر قال بعضهم : رأيته فى المنام فى هيئة حسنة

ونعمة عظيمة فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ، قلت : لماذا وقد كنت مخطئاً على نفسك ؟

فقال : جاء ذات ليلة رجل صالح إلى المقابر فيسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيها أثنى قل هو الله أحد

ثم أهدى نواب ذلك لأهل تلك المقابر فدخلت أنا فى جلتهم ، فغفر الله لى . وقال ابن خلكان :

أول شعر قاله أبو نواس لما صحب أبا أسامة والبة بن الحبلب :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب • إن بكى يحق له ليس ما به لب

تضحكين لاهية والمحبة ينحب • تصبين من مسمى صحى هى المعجب

وقال المأمون : ما أحسن قوله :

وما الناس إلا هالك وابن هالك • وذو نسب فى المالكين عريق

إذا امتحن الدنيا ليب تكشفت • له عن عدو فى لباس صديق

قال ابن خلكان : وما أشد رجاءه بربه حيث يقول :

نحمل ما استطعت من الخطايا • فانك لا قيا رباً غفورا

ستبصر إن قدمت عليه عفواً • وتلقى سيداً ملكاً كبيراً

تدعى ندامة كفيك مما • تركت مخافة النار الشرورا

(ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة)

ففيها توفى أبو معاوية الضرير أحد مشايخ الحديث الثقات المشهورين . والوليد بن مسلم الدمشقي

تلميذ الأوزاعي . وفيها حبس الأمين أسد بن يزيد لأجل أنه قهر على الأمين لربه وتهاوته فى أمر

الرعية ، وأرتكابه للصيد وغيره فى هذا الوقت . وفيها وجه الأمين أحمد بن يزيد وعبد الله بن حميد

ابن قحطبة فى أربعين ألفاً إلى حلوان لقتال طاهر بن الحسين من جهة المأمون ، فلما وصلوا إلى قريب

من حلوان خندق طاهر على جيشه خندقاً وجعل يعمل الحيلة في إقناع الفتنة بين الأميرين ، فاختلعا فرجعا ولم يقاتلاه ، ودخل طاهر إلى حلوان وجاءه كتب المأمون بسلام ما تحت يده إلى حرمة بن أعين ، وأن يتوجه هو إلى الأهواز . فسل ذلك . وفيها رفع المأمون وزيره الفضل بن سهل وولاه أعمالاً كباراً وسماه ذا الرياستين . وفيها ولي الأمين نيابة الشام لعبد الملك بن صالح بن علي - وقد كان أخرجه من سجن الرشيد - وأمره أن يبعث له رجالاً وجنوداً لقتال طاهر وحرمة ، فلما وصل إلى الرقة أقام بها وكتب إلى رؤساء الشام يتألفهم ويدعوهم إلى الطاعة ، فقدم عليه منهم خلق كثير ، ثم وقفت حر وب كان مبدؤها من أهل حمص ، وتناقم الأمر وطال القتال بين الناس ، ومات عبد الملك ابن صالح هناك فرجع الجيش إلى بفسداد بحجة الحسين بن علي بن ماهان ، فقتلوا أهل بفسداد بالاكرام ، وذلك في شهر رجب من هذه السنة . فلما وصل جاء رسول الأمين يطلبه فقال : والله ما أنا بمسامر ولا مضحك ، ولا وليت له عملاً ولا جبي على يدي مالا ، فلماذا يطلبني في هذه الليلة ؟

﴿ ذكر سبب خلع محمد بن زبيدة الأمين ﴾

(وكيف أفضت الخلافة إلى أخيه عبد الله المأمون)

لما أصبح الحسين بن علي بن ماهان ولم يذهب إلى الأمين لما طلبه ، وذلك بعد مقدمه بالجيش من الشام ، قام في الناس خطيباً وألبهم على الأمين ، وذكر لبعه وما يتعاطاه من الظهور وغير ذلك من المعاصي ، وأنه لا تصلح الخلافة لمن هذا حاله ، وأنه يريد أن يقع البأس بين الناس ، ثم حثهم على القيام عليه والتهوض إليه ، وتبسم تلك ، فالتف عليه خلق كثير وجم غفير ، وبعث محمد الأمين إليه خيلاً فاقتتلوا ملياً من النهار ، فأمر الحسين أصحابه بالترجل إلى الأرض وأن يقاتلوا بالسيف والرمح ، فانهمز جيش الأمين وخلعه وأخذ البيعة لعبد الله المأمون ، وذلك يوم الأحد الحادي عشر من شهر رجب من هذه السنة ، ولما كان يوم الثلاثاء قتل الأمين من قصره إلى قصر أبي جعفر وسط بفسداد ، وضيق عليه وقيده واضطهده ، وأمر العباس بن عيسى بن موسى أمه زبيدة أن تنقل إلى هناك فامتعت فضر بها بالسوط وقهرها على الانتقال فانتقلت مع أولادها ، فلما أصبح الناس يوم الأربعاء طلبوا من الحسين بن علي أعطيائهم واختلفوا عليه وصار أهل بفسداد فرقتين ، فرقة مع الأمين وفرقة عليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فغلب حزب الخليفة أولئك ، وأسروا الحسين بن علي ابن عيسى بن ماهان وقيموه ودخلوا به على الخليفة فحكوا عنه قيوده وأجلسوه على سريره ، فعند ذلك أمر الخليفة من لم يكن معه سلاح من العامة أن يعطى سلاحاً من الخزانة ، فانهب الناس الخزانة التي فيها السلاح بسبب ذلك ، وأمر الأمين فأتى بالحسين بن علي بن عيسى فلامه على ما صدر منه فاعتذر إليه بأن عفو الخليفة حله على ذلك . ففأعنه وخلع عليه واستوزره وأعطاه

انغلق وولاه ما وراء بابه ، وولاه الحرب وسيره إلى حلوان ، فلما وصل إلى الجسر هرب في حاشيته وخدعه فبث إليه الأمين من رده ، فركبت الخيول وراه فأدركوه قاتلهم وقتلوه وقتلوه لانتصف رجب ، وجاؤا برأسه إلى الأمين ، وجدد الناس البيعة للأمين يوم الجمعة ، ولما قتل الحسين بن علي بن عيسى هرب الفضل بن الربيع الحاجب واستحوذ طاهر بن الحسين على أكثر البلاد للمأمون ، واستناب بها النواب ، وخلع أكثر أهل الأقاليم الأمين وبايعوا المأمون ، ودنا طاهر إلى المدائن فأخذها مع واسط وأعمالها ، واستناب من جهته على الحجاز واليمن والجزيرة والموصل وغير ذلك ، ولم يبق مع الأمين من البلاد إلا القليل . وفي شعبان منها عقد الأمين أربعمائة لواء مع كل لواء أمير ، وبنهم لقتال هرثة ، فالتقوا في شهر رمضان فكسروهم هرثة وأسروهم على بن محمد بن عيسى بن نبيك ، وبث به إلى المأمون . وهرب جماعة من جند طاهر فساروا إلى الأمين فأعطاهم أموالا كثيرة ، وأكرمهم وغلف لحام بالغالية فسموا جيش الغالية . ثم نهبهم الأمين وأرسل معهم جيشا كثيرا لقتال طاهر فهزمهم طاهر وفرق شمالهم ، وأخذ ما كان معهم . واقترب طاهر من بغداد فحاصرها وبث القصد والجواسيس يلقون الفتنة بين الجند حتى تفرقوا شيئا ، ثم وقع بين الجيش وتشعبت الأصاغر على الأكبر واختلفوا على الأمين في سادس ذي الحجة فقال بعض البغاددة :

قل لأمين الله في نفسه * ماشقت الجند سوى الغالية
وطاهر نضى فدا طاهر * برسه والمنة الكافية
أضحى زمام الملك في كفه * مقاتلا للفتنة الباغية
يا فاكنا أسلمه نكته * عيوبه في خبئه فاشبه
قد جارك الليث بشداته * مستكلبا في أسد ضاربه
فاهرب ولا مهرب من مثله * إلا إلى النار أو الهلوه

فتفرق على الأمين شماله ، وحار في أمره ، وجاء طاهر بن الحسين بمجيوشه قنزل على باب الأنبار يوم الثلاثاء لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، واشتد الحال على أهل البلد وأخاف القطار والسطار أهل الصلاح ، وخربت الفيار ، وقاترت الفتنة بين الناس ، حتى قاتل الأخ أخاه للاحواء المختلفة ، والابن أباه ، وجرت شروء عظيمة ، واختلفت الأهواء وكثر الفساد والقنصل داخل البلد .

وحج بالناس فيها العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي من قبل طاهر ، ودعا للمأمون باخلانة مكة والمدينة ، وهو أول موسم دعى فيه للمأمون .
وفيهما توفي قبة بن الوليد الحمصي إمام أهل حمص وقببها وعمدتها .

﴿ وحفص بن غياث القاضي ﴾

عاش فوق التسعين ، ولما احتضر بكى بعض أصحابه فقال له : لا تبك ! والله ما حلت سراويل على حرام قط ، ولا جلس بين يدي خصيان فباليث غلى من وقع الحكم عليه منهما ، قريبا كان أو بعيداً ، ملكاً أو سوقة .

وعبد الله بن مرزوق أبو محمد الزاهد ، كان وزيراً لرشيد فترك ذلك كله وتزهد وأوصى عند موته أن يطرح قبل موته على مزبلة لعل الله أن يرحمه .

﴿ وأبو شيبان ﴾

الشاعر محمد بن رزين بن سليمان ، كان أستاذ الشعراء ، وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء ، كذا قال ابن خلكان وغيره . وكان هو وأبو مسلم بن الوليد - الملقب صريع الفواق - وأبو نواس ودعبل يمتعون ويتناشدون . وقد عى أبو الشيبان في آخر عمره ، ومن جيد شعره قوله :

وقف الهوى في حيث أنت فليس لي • متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذينة • حباً لذكرك فليكني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم • إذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً • ما من يهون عليك ممن تكرم

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة ﴾

استهلكت هذه السنة وقد ألع طاهر بن الحسين وهرثة بن أعين ومن مهمما في حصار بغداد والتضييق على الأمين ، وهرب القاسم بن الرشيد وعنه منصور بن المهدي إلى المأمون فأكرمهما ، وولى أخاه القاسم جرجان . واشتد حصار بغداد ونصب عليها الجانيق والعرادات . وضاق الأمان بهم ذرعاً ، ولم يبق معه ما ينفق في الجند ، فاضطر إلى ضرب آنية الفضة والذهب دراهم ودنانير ، وهرب كثير من جنده إلى طاهر ، وقتل من أهل البلد خلق كثير ، وأخذت أموال كثيرة منهم ، وبث الأمين إلى قصور كثيرة ودور شهيرة مزخرفة وأما كن ومحال كثيرة فخرقها بالنار لما رأى في ذلك من المصلحة ، فل كل هذا فراراً من الموت ولتدوم الخلافة له فلم تدم ، وقتل وخربت دياره كما سيأتي قريباً ، وفل طاهر مثل ما فعل الأمين حتى كادت بغداد تمخرّب بكاملها ، فقال بعضهم في ذلك :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين • ألم تكوني زماناً قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم • وكان قريهم زينا من الزين
صالح التراب بهم بالبين فافترقوا • ماذا لقيت بهم من لوعة البين
استودع الله قوماً ما ذكرتهم • إلا تحدماء العين من عيني

كانوا يفرقهم دهرٌ وصدهم * والهدر يصدع ما بين الفريقين
وقد أكثر الشعراء في ذلك . وقد أورد ابن جرير من ذلك طرفاً صالحاً ، وأورد في ذلك قصيدة
طويلة جداً فيها بسط ما وقع ، وهي حول من الأحوال اقتصرناها بالكلمة .

واستحوذ طاهر على ما في الضياع من الثلث والحواصل للأمرء وغيرهم ، ودعاهم إلى الأمان
والبيعة للمأمون فاستجابوا جميعهم ، منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة ، ويحيى بن علي بن ماهان ،
ومحمد بن أبي العباس الطوسي ، وكتبه خلق من الهاشميين والأمرء ، وصارت قلوبهم معه . واتفق في
بعض الأيام أن غلر أصحاب الأمين يبعض أصحاب طاهر فقتلوا منهم طائفة عند قصر صالح ، فلما
سمع الأمين بذلك بطر وأشر وأقبل على الهو والشرب والعب ، ووكّل الأمور وتديرها إلى محمد بن
عيسى بن نهيك ، ثم قويت شوكة أصحاب طاهر وضعف جانب الأمين جداً ، وأنحاز الناس إلى
جيش طاهر . وكان جانبه آمناً جداً لا يخاف أحد فيه من سرقة ولا نهب ولا غير ذلك . وقد أخذ
طاهر أكثر محال بغداد وأرباضها ، ومنع الملاحين أن يحملوا طعاماً إلى من خالفه ، فزلت الأسعار
جداً عند من خالفه ، وندم من لم يكن خرج من بغداد قبل ذلك ، ومنعت التجار من القدوم إلى
بغداد بشئ من البضائع أو اللقيق ، وصرفت السفن إلى البصرة وغيرها ، وجرت بين الفريقين
حروب كثيرة ، فمن ذلك وقعة درب الحجارة كانت لأصحاب الأمين ، قتل فيها خلق من أصحاب
طاهر كان الرجل من العيارين والحرافشة من البغاددة يأتي عرياقاً ومعه بارية مقيرة ، وتحت كنفه
مخللة فيها حجارة ، فإذا ضرب به الفارس من بعيد بالسهم اتقاء بيلارته فلا يؤذيه ، وإذا اقترب منه
رماه بمحجر في المقلع أصابه ، فهزمهم قتل . ووقعة الثمالية أسر فيها هرثة بن أعين ، فشق ذلك
على طاهر وأمر بمقد جسر على دجلة فوق الثمالية ، وعبر طاهر بنفسه ومن معه إلى الجانب الآخر
فقاتلهم بنفسه أشد القتال حتى أزالهم عن مواضعهم ، واسترد منهم هرثة وجماعة ممن كانوا أسروهم
من أصحابه ، فشق ذلك على محمد الأمين وقال في ذلك : -

منيت بأشجع الثقلين قلباً * إذا ما طال ليس كما يطول

له مع كل ذي بدء رقيب * يشاهده ويعلم ما يقول

فليس يخفل أمرها عناداً * إذا ما الأمر ضيعة الفول

وضف أمر الأمين جداً ولم يبق عنده مال ينقذه على جنده ولا على نفسه ، وتفرق أكثر
أصحابه عنه ، وبقى مضطهداً ذليلاً . ثم انتهت هذه السنة بكملها والناس في بغداد في فلال وأهوية
مختلفة ، وقتال وحرى ، وسراقات ، وسامت بغداد فلم يبق فيها أحد يرد عن أحدكم هي عادة القتل .
وحج بالناس فيها العباس بن موسى الهاشمي من جهة المأمون . وفيها توفي شبيب بن حرب أحد

الزهاد . وعبد الله بن وهب إمام أهل الديار المصرية . وعبد الرحمن بن مسهر أخو علي بن مسهر .
وعثمان بن سعيد الملقب بورش أحد القراء المشهورين الرواة عن نافع بن أبي نعيم . ووكيع بن
الجراح الراسي أحد أعلام المحدثين . مات عن ست وستين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة ﴾

فيها خلع خزيم بن خازم على محمد الأمين وأخذ الأمان من طاهر . ودخل حرمة بن أعين من
الجانب الشرقي . وفي يوم الأربعاء ثمان خلون من المحرم وثب خزيم بن خازم ومحمد بن علي بن
عيسى على جسر بغداد قطعاه ونصبا رأيتهما عليه . ودعوا إلى بيعة عبد الله المأمون وخلع محمد
الأمين ، ودخل طاهر يوم الخميس إلى الجانب الشرقي فباشر القتال بنفسه ، ونادى بالأمين لمن لزم
منزله ، وجرت عند دار الرقيق والكرخ وغيرها وقعات ، وأحاطوا بمدينة أبي جعفر والخلد وقصر
زبيدة ، ونصب المجانيق حول السور وحذاء قصر زبيدة ، ورموا بالمنجنيق ، فخرج الأمين بأمة
وولده إلى مدينة أبي جعفر ، وتفرق عنه عامة الناس في الطريق ، لا يولى أحد على أحد ، حتى دخل
قصر أبي جعفر وانتقل من الخلد لكثرة ما يأتيه فيه من رمي المنجنيق ، وأمر بتحريق ما كان فيه
من الأثاث والبسط والأمتعة وغير ذلك ، ثم حصر حصراً شديداً . ومع هذه الشدة والضيق وإشرافه
على المهلاك خرج ذات ليلة في ضوء القمر إلى شاطئ دجلة واستدعى بفييد وجارية فغنته فلم ينطلق
لساتها إلا بالترانيم وذكر الموت وهو يقول : غير هذا ، وقد كر نظيره حتى غنته آخر ما غنته :

أما ورب السكون والحرك • إن الدنيا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا • دارت نجوم السماء في الفلك
إلا لنقل السلطان من ملك • قد انقضى ملكه إلى ملك
وملك ذى العرش دائم أبداً • ليس بمان ولا بمشرك

قال : فيها وأقامها من عنده فغرت في قنح كان له من بلور فكسرتة فتطير بذلك . ولما ذهبت
الجارية صمغ صارخاً يقول (قضى الأمر القى فيه تستفتيان) فقال جليسه : ويحك ألا تسمع ،
فتسمع فلا تسمع شيئاً ، ثم عاد الصوت بذلك فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى قتل في رابع صفر يوم
الأحد ، وقد حصل له من الجهد والضيق في حصره شيئاً كثيراً بحيث إنه لم يبق له طعام يأكله
ولا شراب يبيح إنه جاع ليلة فما أتى برغيف ودجاجة إلا بعد شدة عظيمة ، ثم طلب ماء فلم يوجد
له فبات عطشاً فصار أصبح قتل قبل أن يشرب الماء .

﴿ كيفية مقتله ﴾

لما اشتد به الأمر اجتمع عنده من يقي معه من الأمراء والخدم والجند ، فشاورهم في أمره فقالت

طائفة : تذهب بمن بقي منك إلى الجزيرة أو الشام فتتقوى بالأموال وتستخضع الرجال . وقال بعضهم
تخرج إلى طاهر وتأخذ منه أماتا وتبايع لأخيك ، فإذا فعلت ذلك فإن أخاك سيأمر لك بما يكفيك
ويكفي أهلك من أمر الدنيا ، وغاية مرادك الدعة والراحة ، وذلك يحصل لك تماماً . وقال بعضهم : بل
هرثة أولى بأن يأخذ لك منه الأمان فانه مولاكم وهو أحنى عليكم . قال إلى ذلك ، فلما كانت ليلة
الأحد الرابع من صفر بعد عشاء الآخرة واعد هرثة أن يخرج إليه ، ثم لبس ثياب الخلقة
وطيلساتا واستدعى بولديه فشمهما وضمهما إليه وقال : أستودعكما الله ، ومسح دموعه بطرف كفه ، ثم
ركب على فرس سوداء وبين يديه شحمة ، فلما انتهى إلى هرثة أكرمه وعظمه وركبا في حراقة في دجلة ،
وبلغ ذلك طاهراً فضرب من ذلك وقال : أنا الذي فعلت هذا كله ويذهب إلى غيري ، وينسب
هذا كله إلى هرثة ؟ فلحقهما وهما في الحراقة فأمالها أصحابه ففرق من فيها ، غير أن الأمين سبى إلى
الجانب الآخر وأمره بعض الجند : وجاء فأعلم طاهراً فبعث إليه جنداً من المعجم فجاءوا إلى البيت
الذي هو فيه وعنده بعض أصحابه وهو يقول له : ادن مني فأجد وحشة شديدة ، وجعل يلتف في
ثيابه شديداً وقلبه يخفق خفقاناً عظيماً ، كاد يخرج من صدره . فلما دخل عليه أولئك قال : إنا لله
وإنا إليه راجعون . ثم دنا منه أحدهم فضربه بالسيف على مفرق رأسه فجعل يقول : ويحكم أنا ابن
عم رسول الله ﷺ ، أنا ابن هارون ، أنا أخو المؤمن ، الله الله في دمي . فلم يلتفتوا إلى شيء من
ذلك ، بل تكاثروا عليه وذبحوه من قفاه وهو مكبى على وجهه وذهبوا برأسه إلى طاهر وتركوا جثته ،
ثم جاؤا بكرة إليها فلفوها في جل فرس وذهبوا بها . وذلك ليلة الأحد لأربع ليال خلت من صفر
من هذه السنة . (وهذا شيء من ترجمته)

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور ، أبو عبد الله ، يقال أبو موسى
الهاشمي العباسي ، وأمه أم جعفر زينة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، كان مولده بالرصافة سنة
سبعين ومائة [قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عياش بن هشام عن أبيه قال : ولد محمد الأمين بن
هارون الرشيد في شوال سنة سبعين ومائة ^(١)] . وأتته الخلقة بمدينة السلام بغداد ثلاث عشرة
ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وقيل ليلة الأحد لحس بقين من المحرم ، وقيل
سنة ثمان وتسعين ومائة ، قتله قريش القنناني ، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رصع
وتلاه هذه الآية (قل اللهم مالك الملك) وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام ، وكان
طويلاً سمحاً أبيض أفتى الألف صغير السنين ، عظيم الكراديس بعبداً ما بين المتكبين . وقد رماه
بعضهم بكثرة السب والشرب وقلة الصلاة . وقد ذكر ابن جرير طرفاً من سيرته في إكثاره من
(١) زيادة من المصرية .

اقتناء السودان والخصيان ، وإعطائه الأموال والجواهر ، وأمره بإحضار الملاحى والمغنين من سائر البلاد ، وأنه أمر بعمل خمس حراقات على صورة الفيل والأسد والعقاب والحية والفرس ، وأُنفق على ذلك أموالاً جزيلاً جداً ، وقد امتدحه أبو نواس بشعر أقبح فى مناه من صنيع الأمين فانه قال فى أوله :

سخر الله للأمين مطالباً • لم تسخر لصاحب المحراب

فاذا ما ركا به سرن برأ • سارق الماء راكباً لث غلب

ثم وصف كلاماً من تلك الحراقات . واعتنى الأمين بينايلت هائلة لفنزهة وغيرها ، وأُنفق فى ذلك أموالاً كثيرة جداً . فكثر التكبر عليه بسبب ذلك .

وذكر ابن جرير أنه جلس يوماً فى مجلس أُعق عليه ملاً جزيلاً فى الخلد ، وقد فرش له بأنواع الحرير ، ونضد بأنية الذهب والفضة ، وأحضر نغماء وأمر القهرمان أن تهب له مائة جارية حسناء وأمرها أن تبشمن إليه عشرين بعد عشر يفتينه ، فلما جاءت العشر الأول اندفن يفتين بصوت واحد :
هو قتلوه كي يكونوا مكانه • كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

فغضب من ذلك وتبرم وضرب رأسها بالسكاس ، وأمر القهرمان أن تلقى إلى الأسد فأكلها . ثم استدعى بشرة فاندفن يفتين :

من كان مسروراً بمقتل مالك • فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسراً يندبته • يطلعن قبل تبليج الأسحار

فطردهن واستدعى بشراً غيرهن ، فلما حضرن اندفن يفتين بصوت واحد :

كليب لعمرى كان أكثر ناصراً • وأيسر ذنباً منك ضرج بالهم

فطردهن وقام من فورده وأمر بتخريب ذلك المجلس وتحويل ماقاه .

وذكر أنه كان كثير الأدب فصيحاً يقول الشعر ويعطى عليه الجوائز الكثيرة ، وكان شاعره أبا نواس ، وقد قال فيه أبو نواس مدائح حسناً ، وقد وجدته مسجوناً فى حبس الرشيد مع الزنادقة فأحضره وأطلقه وأطلق له مالا وجعله من نغمائه ، ثم حبسه مرة أخرى فى شرب الخمر وأطال حبسه ثم أطلقه وأخذ عليه العهد أن لا يشرب الخمر ولا يأتى الذكور من الرمدان فامتنل ذلك ، وكان لا يفعل شيئاً من ذلك بعد ما استتابه الأمين ، وقد تأدب على الكسائى وقرأ عليه القرآن . وروى الخطيب من طريقه حديثاً أورده عنه لما عزى فى غلام له توفى بمكة فقال : حدثنى أبى عن أبيه عن المنصور عن أبيه عن على بن عبد الله عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول . « من مات محرماً حشر ملئياً » .

وقد قدمنا ما وقع بينه وبين أخيه من الاختلاف والفرقة ، حتى أنفضى ذلك إلى خله وعزله ، ثم

إلى التضيق عليه ، ثم إلى قتله ، وأنه حصر في آخر أمره حتى احتاج إلى مصافحة هرمة ، وأنه أتى في حراسة ثم أتى منها فسبح إلى الشط الآخر فدخل دار بعض العامة وهو في غاية الخوف والهش والجوع والعري ، فجعل الرجل يلقيه الصبر والاستغفار ، فاشتغل بذلك ساعة من الليل ، ثم جاء الطلب وراءه من جهة طاهر بن الحسين بن مصعب ، فدخلوا عليه وكان الباب ضيقاً فتدافضوا عليه وقام إليهم فجعل يدافعهم عن نفسه بمخدة في يده ، فما وصلوا إليه حتى عرقوه وضربوا رأسه وأخضرت به السيوف ، ثم ذبحوه وأخذوا رأسه وجثته فأتوا بهما طاهراً ، فخرج بذلك فرحاً شديداً ، وأمر بنصب الرأس فوق رمح هناك حتى أصبح الناس ينظرون إليه فوق الرمح عند باب الأنبار ، وكثر عدد الناس ينظرون إليه . ثم بعث طاهر برأس الأمين مع ابن عمه محمد بن مصعب ، وبعث معه بالبردة والتضييب والنمل - وكان من خواص مبطن - فسله إلى ذى الرياستين ، فدخل به على المأمون على ترس ، فلما رآه سجد وأمر لمن جاء به بألف ألف درهم . وقد قال ذو الرياستين حين قدم الرأس يؤلب على طاهر : أمرته بأن يأتي به أسيراً فأرسل به إلينا عقيراً . فقال المأمون : مضى ما مضى . وكتب طاهر إلى المأمون كتاباً ذكر فيه صورة ما وقع حتى آل الحال إلى ما آل إليه .

ولما قتل الأمين هدأت الفتن وخمدت الشرور ، وأمن الناس ، وطابت النفس ، ودخل طاهر بغداد يوم الجمعة وخطبهم خطبة بليغة ذكر فيها آيات كثيرة من القرآن ، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وأمرهم فيها بالجماعة والسمع والطاعة ثم خرج إلى معسكره فأقام به وأمر بنحويل زينة من قصر أبي جعفر إلى قصر الخلد ، فخرجت يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، وبعث موسى وعبد الله ابني الأمين إلى عمهما المأمون بخراسان ، وكان ذلك رأياً سديداً . وقد وثب طائفة من الجنود على طاهر بعد خمسة أيام من مقتل الأمين وطلبوا منه أرواحهم فلم يكن عنده إذ ذاك مال ، فحزبوا واجتمعوا ونهبوا بعض متاعه ونادوا : يا موسى يا منصور ، واعتقدوا أن موسى بن الأمين الملقب بالناطق هناك ، وإذا هو قد سيره إلى عمه . وانحاز طاهر بمن معه من القواد فاحية وعزم على قتالهم بمن معه ، ثم رجعوا إليه واعتنقوا وندموا ، فأمرهم برزق أربعة أشهر بمشربين ألف دينار أقرضها من بعض الناس ، فطابت الخواطر . ثم إن إبراهيم بن المهدي قد أسف على قتل محمد الأمين بن زينة وركله بأبيات ، فبلغ ذلك المأمون فبعث إليه لينفه ويلومه على ذلك . وقد ذكر ابن جرير مرأتين كثيرتين للناس في الأمين ، وذكر من أشمل القدين هجوم طرقة ، وذكر من شعر طاهر بن الحسين حين قتله قوله : -

ملكك الناس قسراً واقتداراً • وقتلت الجبابرة الكبارا
ووجهت انطلاقة نحر مرو • إلى المأمون تتندر ابتدارا

﴿ ذكر خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد هارون ﴾

لما قتل أخوه محمد في رابع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل في المحرم ، استوسقت البيعة شرقاً وغرباً للمأمون : فولى الحسن بن سهل نيابة العراق وطرس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن ، وبث نوابه إلى هذه الأقاليم ، وكتب إلى طاهر بن الحسين أن ينصرف إلى الرقة لحرب نصر بن شبث ، وولاه نيابة الجزيرة والشام والموصل والمغرب . وكتب إلى هرمة بن أعين بنيابة خراسان . وفيها حج بالناس بالبلس بن عيسى الهاشمي . وفيها توفي سفيان بن عيينة . وعبد الرحمن ابن مهدي . ويحيى القطان . فهؤلاء الثلاثة سادة العلماء في الحديث والفقه وأما الرجال .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة ﴾

فيها قسم الحسن بن سهل بغداد نائباً عليها من جهة المأمون ، ووجه نوابه إلى بقية أعماله ، ونوجه طاهر إلى نيابة الجزيرة والشام ومصر وبلاد المغرب . وسار هرمة إلى خراسان نائباً عليها ، وكان قد خرج في أواخر السنة الماضية في ذى الحجة منها ، والحسن المرش يدعو إلى الرضى من آل محمد ، فجبي الأموال وانتهب الأنعام وطث في البلاد فساداً فبعث إليه المأمون جيشاً فقتلوه في المحرم من هذه السنة . وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يوم الخميس لمشرخلون من جمادى الآخرة ، يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وهو القى يقال له ابن طباطبا ، وكان القائم بأمره وتدبير الحرب بين يديه أبو السرايا السري بن منصور الشيباني ، وقد اتفق أهل الكوفة على موافقته واجتمعوا عليه من كل فجح عميق ، ووفدت إليه الأعراب من نواحي الكوفة ، وكان النائب عليها من جهة الحسن بن سهل سليمان ابن أبي جعفر المنصور ، فبعث الحسن بن سهل يلومه ويؤنبه على ذلك ، وأرسل إليه بعشرة آلاف فارس محبة زاهر بن زهير بن المسيب ، فقتلوا خارج الكوفة فهزموا زاهراً واستباحوا جيشه ونهبوا ما كان معه ، وذلك يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة ، فلما كان الغد من الوقعة توفي ابن طباطبا أمير الشيعة فجأة ، يقال إن أبا السرايا سمع وأقام مكانه غلاماً أسرد يقال له محمد بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن طالب . وانزل زاهر بن بقي معه من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة ، وأرسل الحسن بن سهل مع عبوس بن محمد أربعة آلاف فارس ، صورة مدد زاهر ، فالتقوا وأبو السرايا فهزمهم أبو السرايا ولم يفلت من أصحاب عبوس أحد ، وانتشر الطالبيون في تلك البلاد ، وضرب أبو السرايا الهدام والذناير في الكوفة ، وحش عليه (إن الله يحب القين يقاتلون في سبيله صفا) الآية . ثم بعث أبو السرايا جيوشه إلى البصرة وواسط والمدائن فهزموا من فيها من النواب ودخلوها قهراً ، وقويت شوكتهم ، فأم ذلك الحسن بن سهل وكتب إلى هرمة يستدعيه لحرب أبي السرايا

فمنع ثم قدم عليه فخرج إلى أبي السرايا فهزم أبا السرايا غير مرة وطرده حتى رده إلى الكوفة ،
 ووثب الطالبيون على دور بنى البلس بالكوفة قهوبها وخر بها ضيعهم ، وفلوا أفضلا قبيحة ،
 وبث أبو السرايا إلى المداين فاستجابوا ، وبث إلى أهل مكة حسين بن حسن الأفطس ليقم لهم
 الموسم فخاف أن يدخلها جيرة ، ولما جمع نائب مكة - وهو داود بن عيسى بن موسى بن علي بن
 عبد الله بن عباس - هرب من مكة طالبا أرض العراق ، وبقى الناس بلا إمام فثقل مؤذنها أحمد
 ابن محمد بن الوليد الأزرق أن يصل بهم فأبى ، فقبل لقاضيا محمد بن عبد الرحمن الخزومي
 فامتنع ، وقال : لمن أدعو وقد هرب ثواب البلاد . فقدم الناس رجلا منهم فصلى بهم الظهر والعصر ،
 وبلغ الخبر إلى حسين الأفطس فدخل مكة في عشرة أنفس قبل الترويب فطلق بالبيت ، ثم وقف
 بركة ليلا وصلى بالناس الفجر بمزدلفة وأقام بقية المناسك في أيامه ، ففزع الناس من عرفة بفير
 إمام . وفيها توفي إسحاق بن سليمان . وابن نمير . وابن سابور . وعمر والعميرى ، والد مطيع البلخي .
 ويونس بن بكير . (ثم دخلت سنة مائتين من الهجرة)

في أول يوم منها جلس حسين بن حسن الأفطس على طنفسة مثلثة خلف المقام وأمر بتجريد
 الكعبة عما عليها من كساوى بنى العباس ، وقال : نظرها من كساويهم . وكساها ملاءتين صفراوتين
 عليهما اسم أبي السرايا ، ثم أخذ ما في كنز الكعبة من الأموال ، وتبع وذائع بنى العباس
 فأخفها ، حتى أنه أخذ مال ذوى المال ويزعم أنه للسودة . وهرب منه الناس إلى الجبال ، وسبك
 ما على رؤس الأساطين من الذهب ، وكان ينزل مقدار يسير بعد جهد ، وقلعوا ما من المسجد الحرام
 من الشبابيك وباعوها بالبخص ، وأسأوا السيرة جدآ . فلما بلغه مقتل أبي السرايا كتم ذلك وأمر
 رجلا من الطالبين شيخا كبيرا ، واستمر على سوء السيرة ، ثم هرب في سادس عشر المحرم منها ،
 وذلك لما قهر هرمة أبا السرايا وهزم جيشه وأخرجه ومن معه من الطالبين من الكوفة ، ودخلها
 هرمة ومنصور بن المهدي فأمنوا أهلها ولم يتعرضوا لأحد . وسار أبو السرايا بن معه إلى القادسية ، ثم
 سار منها فاعترضهم بعض جيوش المأمون فهزمهم أيضا وجرح أبو السرايا جراحة منكرة جدآ ،
 وهربوا يريدون الجزيرة إلى منزل أبي السرايا برأس العين ، فاعترضهم بعض الجيوش أيضا فألصقهم
 وأتوا بهم الحسن بن سهل وهو بالهرم وأن حين طرده الحربية ، فأمر بضرب عنق أبي السرايا فجزع
 من ذلك جزعا شديدا جدآ وليف برأسه وأمر بجسده أن يقطع اثنتين وينصب على جبرى
 بفسداد ، فكان بين خروجه وقتله عشرة أشهر . فبعث الحسن بن سهل بن محمد إلى المأمون مع
 رأس أبي السرايا . وقال بعض الشعراء :

لم ترضية الحسن بن سهل • بسيفك يا أمير المؤمنين

أدارت مرو رأس أبي السرايا • وأبقت عبدة للمالينا .

وكان الذي في يده البصرة من الطالبين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي ، ويقال له زيد النار ، لكثرة ما حرق من البيوت التي للمسودة ، فأسره علي بن سعيد وأمنه وبث به وبمن معه من القواد إلى اليمن لقتال من هناك من الطالبين .

وفيها خرج باليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، ويقال له الجزار لكثرة من قتل من أهل اليمن ، وأخذ من أموالهم . وهو الذي كان بمكة وفعل فيها ما فعل كما تقدم ، فلما بلغه قتل أبي السرايا هرب إلى اليمن ، فلما بلغ نائب اليمن خبره ترك اليمن وسار إلى خراسان واجتاز بمكة وأخذ أمه منها . واستحوذ إبراهيم هذا على بلاد اليمن وجرت حروب كثيرة يطول ذكرها ، ورجع محمد بن جعفر العلوي عما كان يزعمه ، وكان قد ادعى الخلافة بمكة ، وقال : كنت أظن أن المأمون قد مات وقد تحققت حياته ، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما كنت ادعيت من ذلك ، وقد رجعت إلى الطاعة وأنا رجل من المسلمين . ولما هزم هرثة أبا السرايا ومن كان معه من ولاية الخلافة وهو محمد بن محمد بن محمد وشي بعض الناس إلى المأمون أن هرثة راسل أبا السرايا وهو الذي أمره بالظهور ، فاستدعاه المأمون إلى مرو فأمر به فضرب بين يديه ووطئ بطنه ثم رفع إلى الحبس ثم قتل بعد ذلك بأيام ، وأطوى خبره بالكلية . ولما وصل خبر قتله إلى بغداد عبت العامة والحربية بالحسن ابن سهل نائب المراق وقالوا : لا نرضى به ولا بماله ببلادنا ، وأعطوا إسحاق بن موسى المهدي نائباً ، واجتمع أهل الجانبين على ذلك ، والتفت على الحسن بن سهل جماعة من الأمراء والأجناد ، وأرسل من وافق العامة على ذلك من الأمراء يحرضهم على القتال ، وجرت الحروب بينهم ثلاثة أيام في شعبان من هذه السنة . ثم اتفق الحال على أن يعطيهم شيئاً من أرزاقهم ينفقونها في شهر رمضان ، فما زال يملطهم إلى ذى القعدة حتى يدرك الزرع ، فخرج في ذى القعدة زيد بن موسى الذي يقال له زيد النار ، وهو أخو أبي السرايا ، وقد كان خرج به هذه المرة بناحية الأنبار ، فبعث إليه علي بن هشام نائب بغداد عن الحسن بن سهل والحسن بالمدائن إذ ذاك فأخذ وأتى به إلى علي ابن هشام ، وأطفا الله نوره .

وبعث المأمون في هذه السنة يطلب من بقي من العباسيين ، وأحصى كم العباسيون فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ، ما بين ذكور وأنثى . وفيها قتلت الروم ملكهم اليون ، وقد ملكهم سبع سنين ، وملكوا عليهم ميخائيل نائبه . وفيها قتل المأمون يحيى بن عمر بن إسماعيل ، لأنه قال للمأمون : يا أمير الكافرين . قتل صبراً بين يديه . وفيها حج بالناس محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد . وفيها توفي من الأعيان :

أسباط بن محمد . وأبو ضرة أنس بن عياض . ومسلم بن قتيبة . وعمر بن عبد الواحد . وابن أبي فديك . ومبشر بن إسماعيل . ومحمد بن جبير . ومعاذ بن هشام .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى ومائتين ﴾

فيها راود أهل بندگان منصور بن المهدي على الخلة فامتنع من ذلك ، فرأوه على أن يكون نائباً للمأمون يدعو له في الخطبة فأجابهم إلى ذلك ، وقد أخرجوا على بن هشام نائب الحسن بن سهل من بين أظهرهم بعد أن جرت حروب كثيرة بسبب ذلك . وفيها عم البلاء بالعيارين والشطار والفساق ببندگان وما حولها من القرى ، كانوا يأتون الرجل يسألونه ما لا يرضهم أو يصلهم به فيمتنع عليهم فيأخذون جميع مافي منزله ، وربما ترضوا للفلان والفسوان ، ويأتون أهل القرية فيستاقون من الأنعام والمواشي ويأخذون ما شاؤوا من الفلان والفسوان ، ونهبوا أهل قطر بل ولم يدعوا لهم شيئاً أصلاً ، فانتدب لهم رجل يقال له خالد الدريوش ، وآخر يقال له سهل بن سلامة أبو حاتم الأنصاري من أهل خراسان . والتف عليهم جماعة من العامة فكفكفوا شرهم وقايلهم ومنعهم من الفساد في الأرض ، واستقرت الأمور كما كانت ، وذلك في شعبان ورمضان . وفي شوال منها رجع الحسن بن سهل إلى بندگان وصالح الجند ، وانفصل منصور بن المهدي ومن واقته من الأمراء . وفيها بايع المأمون لمي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أن يكون ولي العهد بعده ، وبهاء الرضى من آل محمد ، وطرح لبس السواد وأمر بلبس الخضرة ، فلبسها هو وجنده ، وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم ، وكانت مبايعته له يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، وذلك أن المأمون رأى أن عليا الرضى خير أهل البيت وليس في بني العباس مثله في عمله ودينه ، فجعله ولي عهده من بعده .

﴿ ذكر بيعة أهل بندگان لأبراهيم بن المهدي ﴾

لما جاء الخبر أن المأمون بايع لمي الرضى بالولاية من بعده اختلفوا فيما بينهم ، فمن يجيب مبايع ، ومن آب عمانع ، وجمهور العباسيين على الامتناع من ذلك ، وقام في ذلك ابنا المهدي إبراهيم ومنصور ، فلما كان يوم الثلاثاء تحس قتين من ذى الحجة أظهر العباسيون البيعة لأبراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك . وكان أسود اللون . ومن بعده لابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي ، وخلفوا المأمون . فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذى الحجة أرادوا أن يدعو المأمون ثم من بعده لأبراهيم فقالت العامة : لا تدعوا إلا إلى إبراهيم فقط ، واختلفوا واضطربوا فيما بينهم ، ولم يصلوا الجمعة ، وصلى الناس فرائد أربع ركعات .

وفيها انتح نائب طبرستان جبالها وبلاد اللارز والشيرز . وذكر ابن حزم أن سلا الخلف

قال في ذلك شعرا . وقد ذكر ابن الجوزي وغيره أن مسلماً توفي قبل ذلك بسنين فآله أعلم .
وفيهما أصاب أهل خراسان والري وأصبهان جماعة شديدة وغلا الطعام جداً . وفيها تحرك بابك
الغزني واتباعه طوائف من السفلة والجهلة وكان يقول بالناسخ ، وسيأتي ما أكل أمره إليه . وفيها حج
بالتاس إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي .

وفيهما توفي من الأعيان : أبو أسامة حماد بن أسامة . وحامد بن مسعدة . وحرص بن عمارة .
وعلى بن عاصم . ومحمد بن محمد صاحب أبي السرايا الذي قد كان بإمته أهل الكوفة بعد ابن طليطلة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين ومائتين ﴾

في أول يوم منها برع لبراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المأمون ، فلما كان يوم الجمعة
خامس المحرم صعد إبراهيم بن المهدي المنبر فبايعه الناس ولقب بالمبارك ، وغلب على الكوفة وأرض
السواد ، وطلب منه الجند أرزاقهم فاعطاهم ثم أعطاهم مائتي درهم لكل واحد ، وكتب لهم بتوزيع
من أرض السواد ، فخرجوا لا يبرون بشئ إلا انتهبوه ، وأخذوا حاصل الفلاح والسطان ، واستجاب
على الجانب الشرق العباس بن موسى الهادي ، وعلى الجانب الغربي إسحاق بن موسى الهادي .
وفيهما خرج خارجي يقال له مهدي بن علوان ، فبعث إليهم إبراهيم جيشاً عليهم أبو إسحاق المعتصم
ابن الرشيد في جماعة من الأمراء فكسره ورد كيده . وفيها خرج أخو أبي السرايا فيبيض بالكوفة
فأرسل إليه إبراهيم بن المهدي من قاتله فقتل أخو أبي السرايا وأرسل برأسه إلى إبراهيم ، ولما كان
ليلة أربع عشرة من ربيع الآخر من هذه السنة ظهرت في السماء حمرة ثم ذهبت وبقى بعدها
عمودان أحمران في السماء إلى آخر الليل ، وجرت بالكوفة حروب بين أصحاب إبراهيم وأصحاب
المأمون ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وعلى أصحاب إبراهيم السواد ، وعلى أصحاب المأمون الغضرة ،
واستمر القتال بينهم إلى أواخر رجب .

وفيهما غفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوع فسجنه ، وذلك أنه التفت عليه جماعة من الناس
يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن كانوا قد جاوزوا الحد وأنكروا على السلطان
ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة ، وصار باب داره كأنه باب دار السلطان ، عليه السلاح والرجال
وغير ذلك من أبهة الملك ، فقاتله الجند فكسروا أصحابه فألقى السلاح وصار بين النساء والنظارة
ثم اختفى في بعض الدور ، فأخذ وجيء به إلى إبراهيم فسجنه سنة كاملة . وفيها أقبل المأمون من
خراسان قاصداً العراق ، وذلك أن علي بن موسى الرضي أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتن
والاختلاف بارض العراق ، وبأن الهاشميين قد أتوا إلى الناس بأن المأمون مسحور ومسجون ،
وأنهم قد هموا عليك ببيعتك لعلي بن موسى ، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين إبراهيم

ابن المهدي . فاستدعى المأمون بجماعة من أمرائه وأقربائه فسألهم عن ذلك فصدموا علياً فبأ قال ،
بعد أخذهم الأمان منه ، وقالوا له : إن الفضل بن سهل حسن لك قتل هريرة ، وقد كان ناصحاً لك .
فما جله بقتله ، وإن طاهر بن الحسين مهد لك الأمور حتى قاد إليك الخلافة بزمامها فطردته إلى الرقة
فقد لاملح له ولا تستهذه في أمر ، وإن الأرض تفتت بالشرور والفتن من أقطارها . فلما تحقق
ذلك المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ، وقد فطن الفضل بن سهل بما تمالأ عليه أولئك الناصحون ،
فضرب قوماً وتنف لحي بعضهم . وسار المأمون فلما كان بسر خس عدا قوم على الفضل بن سهل
وزير المأمون وهو في الحمام يقتلوه بالسيوف ، وذلك يوم الجمعة ليلتين خلتا من شوال وله ستون
سنة ، فبعث المأمون في آثارهم فجئ بهم وهم أربعة من المالك قتلهم ، وكتب إلى أخيه الحسن بن
سهل يميزه فيه ، وولاه الوزارة مكانه ، وارتحل المأمون من سرخس يوم عيد الفطر نحو العراق
وإبراهيم بن المهدي بالمدائن ، وفي مقابلته جيش يقاتلونه من جبهة المأمون .

وفيه تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل ، وزوج على بن موسى الرضى بابنته أم حبيب
وزوج ابنة محمد بن علي بن موسى بابنته الأخرى أم الفضل . وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر
أخو علي الرضى ، ودعا لأخيه بعد المأمون ، ثم انصرف بعد الحج إلى اليمن ، وقد كان تغلب عليها
حمويه بن علي بن موسى بن ماهان . وفيها توفي : أيوب بن سويد . وضمره . وعمر بن حبيب .
والفضل بن سهل الوزير . وأبو يحيى الخثعمي .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين ﴾

فيها وصل المأمون العراق وصر بطوس قتل بها وأقام عند قبر أبيه أياماً من شهر صفر ، فلما كان
في آخر الشهر أكل على بن موسى الرضى عتياً فأت فجأة فصرى عليه المأمون ودفعه إلى جانب أبيه
الرشيد ، وأسف عليه أسفاً كثيراً فيما ظهر ، وكتب إلى الحسن بن سهل يميزه فيه ويخبره بما حصل
له من الحزن عليه ، وكتب إلى بني العباس يقول لهم : إنكم إنما تعتم على بسبب تولي العهد من
بصدي لعل بن موسى الرضى ، وها هو قد ملت فارجعوا إلى السمع والطاعة . فأجابوه بأغلظ جواب
كتب به إلى أحد . وفيها قتل التوار على الحسن بن سهل حتى قيد بالحديد وأودع في بيت ،
فكتب الأشرار بذلك إلى المأمون ، فكتب إليهم إني واصل على إثر كتابي هذا . ثم جرت حروب
كثيرة بين إبراهيم وأهل بغداد ، وتنكروا عليه وأبغضوه . وظهرت الفتن والشطار والساق بين بغداد
وتنقم الحال ، وصلوا يوم الجمعة ظهراً ، أمهم المؤذنون فيها من غير خطبة ، صلوا أربع ركعات ،
واشتد الأمر واختلف الناس فيما بينهم في إبراهيم والمأمون ، ثم غلبت المأمونية عليهم .

﴿ ذكر خلع أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي ودعاهم للمأمون ﴾

لما كان يوم الجمعة المتبعة دعا الناس للمأمون وخلعوا إبراهيم ، وأقبل حميد بن عبد الحميد في جيش

من جهة المأمون فحاصر بغداد . وطبع جندها في المعطاء إذا قسم فطاعوه على السمع والطاعة للمأمون . وقد قاتل عيسى بن محمد بن أبي خالد في جماعة من جهة إبراهيم بن المهدي ، ثم احتال عيسى حتى صار في أيدي المأمونية أسيراً ، ثم آل الحال إلى اخنفاء إبراهيم بن المهدي في آخر هذه السنة . وكانت أيامه سنة واحد عشر شهراً واثني عشر يوماً . وقدم المأمون في هذا الوقت إلى همدان وجيوشه قد استغنوا ببغداد إلى طاعته . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان ابن علي . وفيها توفي من الأعيان :

✽ علي بن موسى ✽

ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي العلوي الملقب بالرضي ، كان المأمون قد هم أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك ، فجعله ولي العهد من بعده كما قدمنا ذلك . توفي في صفر من هذه السنة بطوس . وقد روى الحديث عن أبيه وغيره ، وعنه جماعة منهم المأمون وأبو السلط المروري وأبو عثمان المازني النحوي ، وقال سمعته يقول : الله أعدل من أن يكلف العباد مالا يطيقون ، وهم أعجز من أن يملوا ما يريدون . ومن شعره :

كلنا يأمل مدأ في الأجل • والنيا من آفات الأمل

لأنفرك أباطيل المني • والزم القصد ودع عنك الملل

إنما الدنيا كظل زائل • حل فيه راكب ثم ارتحل

✽ ثم دخلت سنة أربع ومائتين ✽

فيها كان قدوم المأمون أرض المراق ، وذلك أنه مر بمرجان فأقام بها شهراً ، ثم سار منها وكان ينزل في المنزل يوماً أو يومين ، ثم جاء إلى التبروان فأقام بها ثمانية أيام ، وقد كتب إلى طاهر بن الحسين وهو بالرقّة أن يوافيه إلى التبروان فوافاه بها وتلقاه رؤس أهل بيته والقواد وجهور الجيش ، فلما كان يوم السبت الآخر دخل بغداد حين ارتفع النهار لأربع عشرة ليلة خلت من صفر ، في أبهة عظيمة وجيش عظيم ، وعليه وعلى جميع أصحابه وقتياته الخضرة ، فلبس أهل بغداد وجميع بني هاشم الخضرة ، ونزل المأمون بالرصافة ثم تحول إلى قصر على دجلة ، وجعل الأمراء ووجوه الدولة يترددون إلى منزله على العادة ، وقد تحول لباس البناتدة إلى الخضرة ، وجلوا يجرقون كل ما يجدهونه من السواد ، فكثروا كذلك ثمانية أيام . ثم استعرض حوائج طاهر بن الحسين فكان أول حاجة سألها أن يرجع إلى لباس السواد ، فانه لباس آباءه من دولة ودة الأنبياء . فلما كان السبت الآخر وهو الثامن والعشرين من صفر جلس المأمون للناس وعليه الخضرة ، ثم إنه أمر بخضرة سوداء فألبسها طاهرآ ، ثم ألبس بعده جماعة من الأمراء السواد ، فلبس الناس السواد وعلوا إلى

ذلك ، فلم منهم بذلك الطاعة والمواظقة ، وقيل إنه مكث يلبس الخضر بعد قدومه بفساد سبعا وعشرين يوماً ، فله أعلم .

ولما جاء إليه عمه إبراهيم بن المهدي بعد اختفائه ست سنين وشهوراً قال له المأمون : أنت الخليفة الأسود ، فأخذ في الاعتذار والاستغفار ، ثم قال : أنا الذي منعت عليه يا أمير المؤمنين بالقفو ، وأنشد المأمون عند ذلك :

ليس يزدى السواد بالرجل الشهم * ولا بالفتى الأديب الأريب

إن يكن للسواد منك نصيب * فيباض الأخلاق منك نصيب

قال ابن خلدان : وقد نظم هذا المعنى بعض المتأخرين وهو نصر الله بن قلاؤن الاسكندري

فقال : رب سوداء وهي بيضاء فل * حصد المك عندها الكافور

مثل حب العيون يحسبه الناس * سوداء وإنما هو نور

وكان المأمون قد شاور في قتل عمه إبراهيم بن المهدي بعض أصحابه فقال له أحمد بن خالد الوزير الأحول : يا أمير المؤمنين إن قتله فك نظراء في ذلك ، وإن عفوت عنه فإلك نظير . ثم شرع المأمون في بناء قصور على دجلة إلى جانب قصره ، وسكنت الفتن وانزاحت الشرور ، وأمر بمقاسمة أهل السواد على الحسين ، وكاتوا يقاسمون على النصف . واتخذ التقيز للمعمر وهو عشرة مكاكي بالمركوك الأهوازي ، ووضع شيئاً كثيراً من خراجات بلاد شتى ، وورق بالناس في مواضع كثيرة ، وولى أخاه أبا عيسى بن الرشيد الكوفة ، وولى أخاه صالحاً البصرة ، وولى عبيد الله بن الحسين ابن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب نيابة الحرمين ، وهو الذي حج بالناس فيها . وواقع يحيى بن معاذ بابل الخرمي فلم يظفر به . وفيها توفي من الأعيان جماعة منهم :

(أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي)

وقد أفردنا له ترجمة مطولة في أول كتابنا طبقات الشافعيين ، ولندكر هنا ملخصاً من ذلك وبالله المستعان .

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، القرشي المطلبي ، والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر ، وابنه شافع ابن السائب من صفار الصحابة ، وأمه أزدية . وقد رأت حين حملت به كأن المشتري خرج من فرجها حتى أفض بمصر ، ثم وقع في كل بلد منه شظية . وقد ولد الشافعي بفترة ، وقيل بمسقلان ، وقيل باليمن سنة خمسين ومائة ، ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن ستين لثلاث يضع نسبه ، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر ، وأفتى وهو ابن

خمس عشرة سنة . وقيل ابن ثمانى عشرة سنة ، أذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي ، وعنى بالغة والشعر ، وأقام في هذيل نحواً من عشر سنين ، وقيل عشرين سنة ، قتل منهم لغات العرب وفصاحتها ، وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة ، وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فأعجبته قراءته وسمته ، وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجي . وروى عنه خلق كثير قد ذكرنا أسماءهم مرتبين على حروف المعجم ، وقرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين عن شبل عن ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل .

وأخذ الشافعي اللقمة عن مسلم بن خالد عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهما عن جماعة من الصحابة ، منهم عمرو بن علي وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم . وكلمهم عن رسول الله ﷺ . وفتح أيضاً على مالك عن مشايخه ، وفتح به جماعة قد ذكرناهم ومن بعدهم إلى زماننا في تصنيف مفرد . وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي بشر الدولابي عن محمد بن إدريس وراق الحميدي عن الشافعي أنه ولي الحكم بنجران من أرض اليمن ، ثم تمصبوا عليه وشوا به إلى الرشيد أنه يروم الخلافة ، فحمل على بغل في قيد إلى بغداد فدخلها في سنة أربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة ، واجتمع بالرشيد فتناظر هو ومحمد بن الحسن بين يدي الرشيد ، وأحسن القول فيه محمد بن الحسن ، وتبين للرشيد براءته مما نسب إليه ، وأنزله محمد بن الحسن عنده . وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنة ، وقيل بستين ، وأكرمته محمد بن الحسن وكتب عنه الشافعي وقر بغيره ، ثم أطلق له الرشيد ألفي دينار وقيل خمسة آلاف دينار . وعاد الشافعي إلى مكة ففرق عامة ما حصل له في أهل وذوي رحمه من بني عمه ، ثم عاد الشافعي إلى العراق في سنة خمس وتسعين ومائة ، فاجتمع به جماعة من العلماء هذه المرة منهم أحمد بن حنبل وأبو نعيم والحسين بن علي الكرابيسي ، والمارث بن شريح البقال ، وأبو عبد الرحمن الشافعي ، والزعفراني ، وغيرهم . ثم رجع إلى مكة ثم رجع إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة ، ثم انتقل منها إلى مصر فأقام بها إلى أن مات في هذه السنة ، سنة أربع ومائتين . وصنف بها كتابه الأم وهو من كتبه الجديدة لأنها من رواية الربيع ابن سليمان ، وهو مصري . وقد زعم إمام الحرمين وغيره أنها من القديم ، وهذا بعيد وعجيب من مثله والله أعلم .

وقد أثنى على الشافعي غير واحد من كبار الأئمة منهم عبد الرحمن بن مهدي وسأله أن يكتب له كتاباً في الأصول فكتب له الرسالة ، وكان يدعو له في الصلاة دائماً ، وشيخه مالك بن أنس وقتيبة ابن سعيد . وقال : هو إمام . وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وكان يدعو له أيضاً في

صلاته . وأبو عبيد ، وقال : ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أورع من الشافعي . ويحيى بن اكنم القاضي ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن الحسن ، وغير واحد ممن يطول ذكرهم وشرح أقوالهم .

وكان أحمد بن حنبل يدعوه في صلاته نحواً من أربعين سنة ، وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود من طريق عبد الله بن وهب عن سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد عن أبي علقمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . قال فصر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى ، والشافعي على رأس المائة الثانية . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا جعفر بن سليمان عن نصر بن مبدل الكندي - أو العبدى - عن الجارود عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا قريشاً فإن علماً ببلاد الأرض علماً ، اللهم إنك إذ أذنت أولها عذاباً وولاً فأذن آخرها نوالاً » . وهذا غريب من هذا الوجه ، وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه . قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد الأسفرائيني : لا ينطبق هذا إلا على محمد بن إدريس الشافعي . حكاه الخطيب . وقال يحيى بن معين عن الشافعي : هو صدوق لا بأس به . وقال مرة : لو كان الكذب له مباحاً مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب . وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : الشافعي فقيه البدن ، صدوق اللسان . وحكى بمضمون عن أبي زرعة أنه قال : ما عند الشافعي حديث غلط فيه . وحكى عن أبي داود نحوه .

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة - وقد سئل هل سنة لم تبلغ الشافعي ؟ - قال : لا . ومعنى هذا أنها تارة تبلغه بسندها ، وتارة مرسله ، وتارة منقطعة كما هو الموجود في كتبه والله أعلم . وقال حرمة : سمعت الشافعي يقول : سمعت ينفذ ناصر السنة . وقال أبو نور : ما رأينا مثل الشافعي ولا هو رأى مثل نفسه . وكذا قال الزعفراني وغيره . وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمعه في فضائل الشافعي : للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ، من شرف نسبه ، وصحة دينه ومعتقده ، وسخاوة نفسه ، ومعرفة بصحة الحديث ومقمة وناسخه ومفسوخه ، وحفظه الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء وحسن التصنيف ، وجودة الأصحاب والتلامذة ، مثل أحمد بن حنبل في زهد وورعه ، وإقامته على السنة . ثم سرد أعيان أصحابه من البغاددة والمصريين ، وكذا عبد أبو داود من جملة تلاميذه في الفقه أحمد بن حنبل . وقد كان الشافعي من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة ، وأشد الناس نزوعاً للدلائل منهما ، وكان من أحسن الناس قصداً وإخلاصاً ، كان يقول : وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إلي شيء منه أبداً فأوجر عليه ولا يحمدونى . وقد قال غير واحد عنه : إذا صح عندك الحديث عن رسول الله ﷺ فقولوا به ودعوا قولى ، فأنى أقول به ، وإن لم تسمعوا منى .

وفي رواية فلا تقدرني . وفي رواية فلا تلتفتوا إلى قولي . وفي رواية فاضربوا بقولي عرض الحائط ، فلا قول لي مع رسول الله ﷺ . وقال : لأن يلقى الله المبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشئ من الأهواء . وفي رواية خير من أن يلقاه بسل الكلام . وقال : لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لغروا منه كما يغرون من الأسد . وقال : حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويطاف بهم في القبائل وينادي عليهم هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وقال البيهقي : سمعت الشافعي يقول : عليكم بأصحاب الحديث فانهم أكثر الناس صواباً . وقال : إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، جزام الله خيراً ، حفظوا لنا الأصل ، فلهم علينا الفضل . ومن شعره في هذا المعنى قوله :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة * إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا * وما سوى ذلك وسواس الشياطين

وكن يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر . وقد روى عن الربيع وغير واحد من رؤس أصحابه ما يدل على أنه كان يبر بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ، على طريقة السلف . وقال ابن خزيمة : أنشدني الزبيدي وقال أنشدنا الشافعي لنفسه قوله :

ما شئتَ كان وإن لم أشأ * وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت * ففي العلم يجري الفتي والمسن
فهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا منفت وهذا خذلت * وهذا أعنت وهذا لم تن

وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . وعن الربيع قال : أنشدني الشافعي :

قد عوج الناس حتى أخذوا بدعاً * في الدين بالرأي لم تبت بها الرسل
حتى استخف بحق الله أكرهم * وفي الذي حملوا من حقه شغل

وقد ذكرنا من شعره في السنة وكلامه فيها وفيما قال من الحكم والروايع طرفاً صالحاً في الذي كتبه في أول طبقات الشافعية . وقد كانت وفاته بمصر يوم الخميس ، وقيل يوم الجمعة ، في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ، وعن أربع وخمسين سنة ، وكان أبيض جليلاً طويلاً مهيئاً بخصب بلخاه ، مخالفاً لشبهة رحمة الله وأكرم مثواه .

وفيهما توفي : إسحاق بن الفرات . وأشهب بن عبد العزيز المصري المالكي . والحسن بن زياد القزويني الكوفي الخنفي . وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند ، أحد الحفاظ . وأبو بدر شجاع بن الوليد . وأبو بكر الخنفي . وعبد الكريم . وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف . والنضر بن شميل أحد أئمة اللغة . وهشام بن محمد بن السائب الكلبي أحد علماء التاريخ .

﴿ ثم دخلت سنة خمس ومائتين ﴾

ففيها ولي المأمون طاهر بن الحسين بن مصعب نياية بغداد والعراق وخراسان إلى أقصى عمل المشرق ، ورضي عنه ورفع منزلته جداً ، وذلك لأجل مرض الحسن بن سهل بالسواد . وولى المأمون مكان طاهر على الرقة والجزيرة يحيى بن معاذ . وقسم عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى بغداد في هذه السنة ، وكان أبوه قد استخلفه على الرقة وأمره بمقاتلة نصر بن شبث . وولى المأمون عيسى ابن يزيد الجلودى مقاتلة الرط . وولى عيسى بن محمد بن أبي خالد أذربيجان . ومات نائب مصر السري بن الحكم بها ، ونائب السند داود بن يزيد ، فولى مكانه بشر بن داود على أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم . وحج بالناس فيها عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين . وفيها توفي من الأعيان : إسحاق بن منصور السلولي . وبشر بن بكر البمشقي . وأبو طاهر القدي . ومحمد بن عبيد الطنافسي . ويعقوب الحضري . ﴿ وأبو سليمان الداراني ﴾ عبد الرحمن بن عطية ، وقيل عبد الرحمن ابن أحمد بن عطية ، وقيل عبد الرحمن بن عسكر أبو سليمان الداراني ، أحد أئمة العلماء العاملين ، أصله من واسط سكن قرية غربي دمشق يقال لها داريا .

وقد جمع الحديث من سفيان الثوري وغيره ، وروى عنه أحمد بن أبي الحواري وجماعة . وأسند الحفاظ ابن عساكر من طريقه قال : سمعت علي بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد يقول سمعت إبراهيم بن آدم يقول سمعت ابن عجلان يذكر عن القنقاع بن حكيم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : « من صلى قبل الظهر أبغض الله ذنوبه يومه ذلك » . وقال أبو القاسم التشريفي : حكى عن أبي سليمان الداراني قال : اختلفت إلى مجلس فأتى كلامه في قلبي ، فلما قلت لم يبق في قلبي منه شيء ، فمضت إليه ثانية فأتى كلامه في قلبي بعد ما قلت وفي الطريق ، ثم عدت إليه ثالثة فأتى كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي ، فكسرت آلات الخافلات ولزمت الطريق ، فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ قال : منصور اصطلاح كركيا - يعني بالمنصور القاسم وبالكركي أبا سليمان - وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول : ليس لمن ألم شيئاً من انغير أن يحمل به حتى يسمع به في الأثر ، فإذا سمع به في الأثر عمل به فكان توراً على نور . وقال الجنيدي قال أبو سليمان ربما يقع في قلبي التنكته من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة .

قال : وقال أبو سليمان : أفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال لكل شئ علم وعلم الخذلان ترك البكاء من خشية الله . وقال : لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن . وقال كل ما شغفك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو شؤم . وقال : كنت ليلة في الحراب أدعو ويداي ممدودتان ففلبنى البرد فضممت إحداهما وبيت الأخرى مبسوطة أدعواها ، وغلبتني عيني فتمت فتهتف بي هاتف : يا أبا سليمان قد وضعتنا في هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها . قال : فأليت على نفسي ألا أدعو إلا ويداي خارجتان ، حرّاً كان أو برداً . وقال : تمت ليلة عن وردى فاذا أنا بحوراء تقول لي : تنام وأنا أربي لك في الخدور منذ خمسمائة عام ؟ وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول : إن في الجنة أنهاراً على شاطئها خيام فيهن المحور ، ينشئ الله خلق الحوراء إنشاء ، فاذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيام ، الواحدة منهن جالسة على كرسى من ذهب ميل في ميل ، قد خرجت عجبتها من جانب الكرسى ، فيجئ أهل الجنة من قصورهم ينتزهون على شاطئ تلك الأنهار ما شاؤا ثم يخلو كل رجل بواحدة منهن . قال أبو سليمان : كيف يكون في الدنيا حال من يريد انقضاء الأبدان على شاطئ تلك الأنهار في الجنة .

وقال : سمعت أبا سليمان يقول : ربما مكثت خمس ليال لا أقرأ بعد الفاتحة بآية واحدة أنفكر في معانيها ، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل ، فسبحان من يرد به يد . وسمعت يقول : أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل ، ومفتاح الدنيا الشيع ، ومفتاح الآخرة الجوع . وقال لي يوماً : يا أحمد جوع قليل وعري قليل وقصر قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا . وقال أحمد : اشتهى أبو سليمان يوماً رغيماً حاراً بملح فجثته به فضض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي ويقول : يلرب عجائب شهوتي ، لقد أطأت جهدي وشقوتي وأنا قاتل ؟ فلم يبق الملع حتى لحق بالله عز وجل . قال : وسمعت يقول : ما رضية عن نفسي طرفة عين ، ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يضموني كاتضاعى عند نفسي ما قدروا . وسمعت يقول : من رأى لنفسه قيمة لم يثق حلالة الخدعة . وسمعت يقول : من حسن ظنه بالله ثم لم يخفه ويطمه فهو مخدوع . وقال : ينبغي للخوف أن يكون على العبد أغلب الرجاء ، فاذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب . وقال لي يوماً : هل فوق الصبر منزلة ؟ فقلت : نعم - يعني الرضا - فصرخ صرخة غشى عليه ثم أطلق وقال : إذا كان الصابرون يوفون أجورهم بنير حساب ، فما ظنك بالآخرى وهم الذين رضى عنهم . وقال : ما يسرى أن في الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها أفتة في وجوه البر ، وإني أغفل عن الله طرفة عين . وقال : قال زاهد زاهد : أوصني ، فقال : لا يراك الله حيث نهك ولا يفتدك حيث أمرك ، قال : زدني . فقال : ما عندني زيادة . وقال من أحسن في نهاره كوفي في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفي في نهاره ، ومن صدق في

ترك شهوة أذهبها الله من قلبه ، والله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له . وقال : إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة ، وإذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة ، لأن الدنيا لثيمة والآخرة كريمة ، وما ينبغي لكريم أن يزاحم لثيماً .

وقال أحمد بن أبي الحواري : بت ليلة عند أبي سليمان فسمعتة يقول : وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبتك بفنوك ، ولئن طالبتني ببخل لأطالبتك بكرمك ، ولئن أمرتني إلى النار لأخبرن أهل النار أنني أحبك . وكان يقول : لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي . وكان يقول : ما خلق الله خلقاً أهون عليّ من إبليس ، ولولا أن الله أمرني أن أتخذ منه مأخوذة منه أبداً ، ولو تبدي لي ما طلمت إلا صفحة وجهه . وقال : إن العسل لا ينجي إلى خربة ينقب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أي مكان شاء ، وإنما ينجي إلى البيت المعمور ، كذلك إبليس لا ينجي إلا إلى كل قلب علم ليستتره وينزله عن كرسيه ويسلبه أعز شيء . وقال : إذا أخلص العبد أقطعت عنه الوسوس والرؤيا . وقال : الرؤيا - يعني الجنابة - . وقال : مكثت عشرين سنة لم أحتمل فدخلت مكة فقاتني صلاة المشاء جماعة فاحتلت تلك الليلة . وقال : إن من خلق الله قوماً لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعم عنه فكيف يشتغلون بالدنيا عنه ؟ وقال : الدنيا عند الله أقل من جناح بموضة فما الزهد فيها ، وإنما الزهد في الجنان والحور العين ، حتى لا يرى الله في قلبك غيره . وقال الجنيد : شيء يروى عن أبي سليمان أنا استحضنت كثيراً قوله : من اشتغل بنفسه شغل عن الناس ، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس . وقال : خير السخاء ما وافق الحاجة . وقال : من طلب الدنيا حلالاً واستغناه عن المسألة واستغناه عن الناس لقي الله يوم يلقاه ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً فماتراً ومكثراً لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان . وقد روى نحوه هذا مرفوعاً . وقال : إن قوماً طلبوا النفي في المال وجمه فأخطأوا من حيث ظنوا ، ألا وإنما النفي في الضاعة ، وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة ، وطلبوا الكرامة من الخلق وإنما هي في التقوى ، وطلبوا التنم في اللباس الرقيق اللين ، والطعام الطيب ، والمسكن الأنيق المنيف ، وإنما هو في الإسلام والإيمان والعمل الصالح والستر والمافية وذكر الله . وقال : لولا قيام الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وما أحب الدنيا لنرس الأشجار وللكرى الأنهار ، وإنما أحبها لصنم الهواجر وقيام الليل . وقال : أهل الطاعة في ليهم أقدم أهل اللهو في لهوهم . وقال : ربما استقبلني الفرح في جوف الليل ، وربما رأيت القلب يضحك ضحكاً . وقال : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً فأقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان يقول : بينا أنا ساجد إذ خبب بي النوم فاذا

أنا بها - بنى الحوراء - قد ركضتني برجلها فقالت : حبيبي أترقد عينك والملاك يقظان ينظر إلى التهجدين في تهجدهم ؟ يؤسأ لعين آثرت نومة على لثة مناجاة المزمز ، قم فقد دنا الفراغ ولقي الحبون بعضهم بعضاً ، فإهذا الرقاد ؟ حبيبي ورقة عيني أترقد عينك وأنا أترب لك في الخلدور منذ كذا وكذا ؟ قال : فوثبت فزعا وقد عرقت حياه من توبيخها إلي ، وإن حلاوة منقطعها لاني سمى وقلبي . وقال أحمد : دخلت على أبي سليمان فإذا هو يبكي فقلت : مالك ؟ فقال : زجرت البارحة في منامي . قلت : ما الذي زجرك ؟ قال : بينا أنا نائم في محرابي إذ وقعت على جارية تفوق الدنيا حسنا ، ويدها ورقة وهي تقول : أتمام يا شيخ ؟ فقلت : من غلبت عنه نام . قالت : كلا إن طالب الجنة لا ينام ، ثم قالت : أختراً ؟ قلت : نعم ، فأخفت الورقة من يدها فإذا فيها مكتوب :

لمت بك لقة عن حسن عيش • مع الخيرات في غرف الجنان
تميش غفلاً لا موت فيها • وتتم في الجنان مع الحسان
تقظ من منامك إن خيراً • من النوم التهجد في القران

وقال أبو سليمان : أما يستحي أحدكم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم ؟ وقال أيضاً : لا يجوز لأحد أن يظهر للناس الزهد والشهوات في قلبه ، فإذا لم يبق في قلبه شيء من الشهوات جازله أن يظهر إلى الناس الزهد بلبس العبا فلما علم من أعلام الزهاد ، ولو ليس توبين أبيضين ليستر بهما أبصار الناس عنه وعن زهدهم كان أسلم زهدهم من لبس العبا . وقال : إذا رأيت الصوفي يقتوق في لبس الصوف فليس بصوفي ، وخيار هذه الأمة أصحاب القطن ، أبو بكر الصديق وأصحابه ، وقال غيره : إذا رأيت ضوء الفقير في لباسه فاعسل يديك من فلاحه . وقال أبو سليمان : الأخ الذي يظنك برؤيته قبل كلامه ، وقد كنت أنظر إلى الأخ من أصحاب المراق فأتفتع برؤيته شهراً . وقال أبو سليمان قال الله تعالى : عبيد إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك ، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك وعحوت ولائك من أم الكتاب ولم أناقشك الحسب يوم القيامة . وقال أحمد : سألت أبا سليمان عن الصبر فقال : والله إنك لا تحدر عليه في الذي تحب فكيف تحدر عليه فيما تكره ؟ وقال أحمد تنهدت عنده يوماً فقال : إنك مسؤول عنها يوم القيامة ، فإن كانت على ذنب سلف فطوبى لك ، وإن كانت على فرت دنيا أو شهوة فويل لك . وقال إنما رجعت من رجعت من الطريق قبل وصول ، ولو وصلا إلى الله ما رجوا . وقال إنما عصي الله من عصاه لمواتهم عليه ، ولو عزوا عليه وكرموا لحجزهم عن معاصيه وحال بينهم وبينها . وقال : جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصال الكرم والحلم والهم والحكمة والراقة والرحمة والفضل والصفح والاحسان والبر والقو والطف .

وذكر أبو عبد الرحمن السلي في كتاب عن المشايخ أن أبا سليمان الداراني أخرج من دمشق

وقالوا : إنه يرى الملائكة ويكلمونه ، فخرج إلى بعض الثغور فرأى بعض أهل الشام في منامه أنه إن لم يرجع إليهم هلكوا . فخرجوا في طلبه وأشفعوا له وتدخلوا له حتى رده .

وقد اختلف الناس في وفاته على أقوال قليل : مات سنة أربع ومائتين ، وقيل سنة خمس ومائتين ، وقيل خمس عشرة ومائتين ، وقيل سنة خمس وثلاثين ومائتين فأخبر أعلم . وقد قال مروان الطاطري يوم مات أبو سليمان : لقد أصيب به أهل الاسلام كلهم . قلت : وقد دفن في قرية داريا في قبلتها ، وقبره بها مشهور وعليه بناء ، وقبلته مسجد بناه الأمير فاضل الدين عمر التبرواني ، ووقف على القديين عنده وفقاً يدخل عليهم منه غلة ، وقد جدد مزاره في زماننا هذا . ولم أر ابن عساكر تعرض لموضع دفنه بالكلية ، وهذا منه عجيب . وروى ابن عساكر عن أحمد بن أبي الحواري قال كنت أشتبه أن أرى أبا سليمان في المنام فرأيتُه بعد سنة قتلت له : ما ضل الله بك يا علم ؟ قال : يا أحمد دخلت يوماً من باب الصغير فرأيتُ رجل شيخ فأخفت منه عوداً فما أدري تخلفت به أوريته ، فأنا في حسابه إلى الآن . وقد توفي ابنه سليمان بعده بنحو من سنتين رحهما الله تعالى

(ثم دخلت سنة ست ومائتين)

فيها ولي المأمون داود بن ماسجور بلاد البصرة وكور دجلة والحلجة والبحرين ، وأمره بمحاربة الزط . وفيها جاءه مد كثير ففرق أرض السواد وأهلك للناس شيئاً كثيراً . وفيها ولي المأمون عبد الله ابن طاهر بن الحسين أرض الرقة وأمره بمحاربة نصر بن شيث ، وذلك أن نائبها يحيى بن معاذ مات وقد كان استخلف مكانه ابنه أحمد فلم يرض ذلك المأمون ، واستقلب عليها عبد الله بن طاهر لشهامته وبصره بالأمر ، وحنه على قتال نصر بن شيث ، وقد كتب إليه أبوه من خراسان بكتاب فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الكتاب والسنة . وقد ذكره ابن جرير بطوله ، وقد تداوله الناس بينهم واستحسنوه وتهادوه بينهم ، حتى بلغ أمره إلى المأمون فأمر قارئاً بين يديه فاستجاده جداً ، وأمر أن يكتب به نسخ إلى سائر العمال في الأقاليم . وحج بالناس عبید الله بن الحسن نائب الحرمين . وفيها توفي إسحاق بن بشر الكاهلي أبو حذيفة صاحب كتاب المبتدأ . وحجاج بن محمد الأعور . وداود بن الحبر الذي وضع كتاب العقول . وسليمان بن سوار (شهاب) وعاضد بن الموردي . وقطرب صاحب المثلث في اللغة . ووهب بن جرير . ويزيد بن هارون شيخ الامام أحمد

(ثم دخلت سنة سبع ومائتين)

فيها خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عك في اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد ، وذلك لما أساء المال السيرة وظلموا الرعايا ، فلما ظهر بأيمه الناس فبست إليه المأمون دينار بن عبد الله في جيش كثيف ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن هذا إن هو جمع

وأطاع ، فغضروا الموسم ثم سلوا إلى اليمن وبنشوا بالكتاب إلى عبد الرحمن فسمع وأطاع وجاء حتى وضع يده في يد دينار ، فساروا به إلى بغداد ولبس السواد فيها .

وفي هذه السنة توفي طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق وخراسان بكاملها ، وجد في فراشه ميتاً بعد ما صلى المشاء الآخرة والثف في الفراش ، فاستبطأ أهله خروجه لصلاة التجر فدخل عليه أخوه وعمره فوجداه ميتاً ، فلما بلغ موته المأمون قال : ليدفن ولهم الحمد لله الذي قسمه وأخرنا . وذلك أنه بلغه أن طاهر آ خطب يوماً ولم يدع للمأمون فوق المنبر ، ومع هذا ولي ولده عبد الله مكانه وأضاف إليه زيادة على ما كان ولده أباه الجزيرة والشام نيابة فاستخلف على خراسان أخاه طلحة بن طاهر سبع سنين ، ثم توفي طلحة فاستقل عبد الله بجميع تلك البلاد ، وكان نائبه على بغداد إسحاق ابن إبراهيم وكان طاهر بن الحسين هو الذي انتزع بغداد والعراق من يد الأمين وقتله ، وقد دخل طاهر يوماً على المأمون فسأله حاجة قضائها له ، ثم نظر إليه المأمون واغر ورت عيناه فقال له طاهر : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فلم يجبه ، فأعطى طاهر حسيناً الخادم مائتي ألف درهم حتى استلم له مما يبكي أمير المؤمنين فأخبره المأمون وقال لا تخبره أحداً [أو إلا] أقفك ، إلى ذكرت قتله لأخي وما ناله من الإهانة على يدي طاهر ، ووالله لا تنوته مني . فلما تحقق طاهر ذلك سمى في الثقة من بين يدي المأمون ، ولم يزل حتى ولده خراسان وأطلق له خادماً من خدمه ، وعهد المأمون إلى الخادم إن رأى منه شيئاً يريه أن يسمه ، ودفع إليه سماً لا يطاق . فلما خطب طاهر ولم يدع للمأمون سمه الخادم في كالمخ فأت من ليلته . وقد كان طاهر هذا يقال له ذو اليمينين ، وكان أعور بفرد عين . فقال فيه عمرو بن نباتة :

إذا اليمينين وعين واحدة • قصبان عين ويمين زائده

واختلف في معنى قوله ذو اليمينين فقيل لأنه ضرب رجلاً بشاله قدمه نصفين ، وقيل لأنه ولي العراق وخراسان . وقد كان كريماً محباً يحب الشعراء ويعطيهم الجزيل ، ركب يوماً في حراقة فقال فيه شاعر :-

عجبت لحراقة ابن الحسين • لا غرقت كيف لا تفرق

ومجران من فوقها واحد • وآخر من تحنها مطبق

وأعجب من ذلك أعوادها • وقد مسها كيف لا توردق

فأجازه بثلاثة آلاف دينار . وقال ابن زدتنا زدناك . قال ابن خلكان : وما أحسن ما قاله بعض

الشعراء في بعض الرؤساء وقد ركب البحر :

ولما امتلأ البحر ابتهلته نضراً • إلى الله يا مجرى الرياح بلطفه

جملت الندام من كفة مثل موجه • فسله واجبل موجه مثل كفة

مات طاهر بن الحسين هذا يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين ، وكان مولده سنة سبع وخسين ، وكان الذي سار إلى ولده عبد الله إلى الرقة يزيه في أبيه وبهنية ولاية تلك البلاد ، القاضى يحيى بن أكرم عن أمر المأمون . وفيها غلا السر ببنداد والكوفة والبصرة ، حتى بلغ سر القفيز من الخطة أربعين درهما . وفيها حج بالناس أبو علي بن الرشيد أخو المأمون . وفيها توفي بشر بن عمر الزهراني . وجعفر بن عون . وعبد الصمد بن عبد الوارث . وقراد ابن نوح . وكثير بن هشام . ومحمد بن كناسة . ومحمد بن عمر الواقدي قاضي بغداد وصاحب السير والمغازي . وأبو النضر هاشم بن القاسم . والميثم بن عدي صاحب التصانيف .

و (يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور)

أبو زكريا الكوفي نزيل ببنداد مولى بني سعد المشهور بالفراء شيخ النحاة والقنوين والقراء ، كان يقال له أمير المؤمنين في النحو ، وروى الحديث عن جازم بن الحسن البصري عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك . قال : « قرأ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان مالك يوم الدين بألف » رواه الخطيب قال : وكان ثقة إماماً . وذكر أن المأمون أمره بوضع كتاب في النحو فأملأه وكتبه الناس عنه ، وأمر المأمون بكتبه في الخزائن ، وأنه كان يؤدب ولديه وليي العهد من بعده ، فقام يوماً فابتدأهما أيهما يقدم فعلية ، فتنافعا في ذلك ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فعلا ، فأطلق لهما أبوهما عشرين ألف دينار ، وفلغوا عشرة آلاف درهم . وقال له : لا أعزمتك إذ يقدم نملك ولها أمير المؤمنين ووليا العهد من بعده . وروى أن بشر المريسى أو محمد بن الحسن سأل الفراء عن رجل سها في سجدتي السهو فقال : لا شيء عليه ، قال : ولم ؟ قال : لأن أصحابنا قالوا المصغر لا يصغر . فقال : ما رأيت أن امرأة تلد مثلك . والمشهور أن محمداً هو الذي سأله عن ذلك وكان ابن خالته الفراء ، وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : توفي الفراء سنة سبع ومائتين . قال الخطيب : كانت وفاته ببنداد ، وقيل بطريق مكة ، وقد امتدحوه وأثروا عليه في مصنفاته .

(ثم دخلت سنة ثمان ومائتين)

فيها ذهب الحسن بن الحسين بن مصعب أخو طاهر فاراً من خراسان إلى كرمان فقصي بها ، فسار إليه أحد بن أبي خلف فحاصره حتى نزل قهرآ ، فذهب به إلى المأمون فقتلناه فاستحسن ذلك منه . وفيها استغنى محمد بن سباعة من القضاء فأعفاة المأمون وولى مكانه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة . وفيها ولى المأمون محمد بن عبد الرحمن الخزوعي القضاء بمكة المهدي في شهر المحرم ، ثم عزله عن قريب وولى مكانه بشر بن سعيد بن الوليد الكندي في شهر ربيع الأول منها ، فقال الخزوعي في ذلك : —

ألا أيها الملك الموحد ربه • فاضيك بشرين الوليد حار
ينفي شهادة من يدين بما به • نطق الكتاب وجاءت الأخبار
ويعد عدلا من يقول بانه • شيخ تحيط بحججه الأقطار
وفيها حج بالناس صالح بن هارون الرشيد عن أمر أخيه المأمون .

وفيها توفي من الأعيان : الأسود بن عامر . وسعيد بن عامر . وعبد الله بن بكر أحد مشايخ
الحديث . والفضل بن الربيع الحاجب . ومحمد بن مصعب . وموسى بن محمد الأمين الذي كان قد
ولاه المهدي من بعده ولقبه بالناطق فلم يتم له أمره حتى قتل أبوه وكان ما كان كما تقدم . ويحيى بن
أبي بكر . ويحيى بن حسان . ويعقوب بن إبراهيم الزهري . وبنس بن محمد المؤدب .

﴿ وفاة السيدة فتيمة ﴾

وهي فتيمة بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، القرشية الهاشمية ،
كان أبوها نائباً للمنصور على المدينة النبوية خمس سنين ، ثم غضب المنصور عليه فغزاه عنها وأخذ
منه كل ما كان يملكه وما كان جمعه منها ، وأودعه السجن ببغداد . فلم يزل به حتى توفي المنصور
فأطلقه المهدي وأطلق له كل ما كان أخذ منه ، وخرج معه إلى الحج في سنة ثمان وستين ومائة ، فلما
كان بالحاجر توفي عن خمس وعشرين سنة . وقد روى له النسائي حديثه عن عكرمة عن ابن عباس
« أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محرم » . وقد ضعفه ابن معين وابن عدي ، ووثقه ابن حبان .
وذكره الزبير بن بكار وأثنى عليه في ريلسته وشهاته . والمقصود أن ابنته فتيمة دخلت الديار
المصرية مع زوجها المؤمن إسحاق بن جعفر ، فأظمت بهلوكات ذات مال فأحسنّت إلى الناس والجندى
والزمنى والمرضى وعموم الناس ، وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير . ولما ورد الشافعي مصر أحسنت
إليه وكان ربما صلى بها في شهر رمضان . وحين مات أمرت بمجنازته فأدخلت إليها المنزل فصلت
عليه . ولما توفيت عزم زوجها إسحاق بن جعفر أن ينقلها إلى المدينة النبوية فتمه أهل مصر من
ذلك وسألوه أن يدفنها عندهم ، فدفنت في المنزل الذي كانت تسكنه بمحلة كانت تعرف قديماً بدرب
السباع بين مصر والقاهرة ، وكانت وقاتها في شهر رمضان من هذه السنة فيا ذكره ابن خلكان .
قال : ولأهل مصر فيها اعتقاد . قلت : وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً
جداً ، ولا سيما عوام مصر فانهم يطلقون فيها عبارات بشيمة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك ،
والغفلة كثيرة يبنى أن يعرفوا أنها لا يجوز . وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من
سلاته . والذي يبنى أن يستند فيها ما يليق بمنزلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من
الغفلة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطسها ، والمغلاة في البشر حرام .

ومن زعم أنها خلفك من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك . رحمها الله وأكرمها .

﴿ الفضل بن الربيع ﴾

ابن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان ، كان الفضل هذا متمكناً من الرشيد ، وكان زوال دولة البرامكة على يديه ، وقد وزر مرة للرشيد ، وكان شديد التشبه بالبرامكة ، وكانوا يتشبهون به ، فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدم . وذكر ابن خلكان أن الفضل هذا دخل يوماً على يحيى بن خالد وابنه جعفر فوقع بين يديه ، ومع الفضل عشر قصص فلم يقض له منها واحدة ، فجمعن الفضل بن الربيع وقال : أرجعن خائبات خستات ثم نهض وهو يقول :

عسى وعسى يثني الزمان عنانه • بتصريف حال والزمان عثور

فتفضى لبائات وتشتي حزاز • وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمعه الوزير يحيى بن خالد قال له : أقسمت عليك لما رجعت ، فأخذ منه القصص فوقع عليها .

ثم لم يزل يحفر خافهم حتى تمكن منهم وتولى الوزارة بعدهم ، وفي ذلك يقول أبو نواس :

ما رعى الدهر آل بريك لما • أن رعى ملكهم بأمر فظيع

إن دهرآ لم يرع فمة ليحيى • غير راع ذمام آل الربيع

ثم وزر من بعد الرشيد لابنه الأمين فدخل المأمون ببنداد اخنق فأرسل له المأمون أماتا ففرج فجاء فدخل على المأمون بعد اختفاء مدة فأمنه ، ثم لم يزل خاملاً حتى مات في هذه السنة ، وله ثمان وستون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع ومائتين ﴾

فيها حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شيبث بعد ما حارب به خمس سنين وضيق عليه جداً حتى أُلجأ إلى أن يطلب منه الأمان ، فكتب ابن طاهر إلى المأمون يطلبه بذلك ، فأرسل إليه أن يكتب له أماتا عن أمير المؤمنين . فكتب له كتاب أمان فترّل فأمر عبد الله بتخريب المدينة التي كان متحصناً بها ، ونهب شره . وفيها جرت حروب مع بابك الخرمي فأمر بابك بعض أمراء الأسلام وأحد مقدمي المساكر ، فاشدّد ذلك على المسلمين . وفيها حج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو والي مكة . وفيها توفي ملك الروم ميخائيل بن قنقور (جرجس) وكان له عليهم تسع سنين ، فلكوا عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل .

وفيها توفي من مشايخ الحديث : الحسن بن موسى الأشيب ، وأبو علي الحنفي . وخص بن عبد الله قاضي نيسابور . وعثمان بن عمر بن فارس . وإميل بن عبيد العناني .

﴿ ثم دخلت سنة عشر ومائتين ﴾

في صفر منها دخل نصر بن شيبث ببنداد ، بمته عبد الله بن طاهر فدخلها ولم ينلقاه أحد من

الجندي بل دخلها وحده ، فأُتِل في مدينة أبي جعفر ثم حول إلى موضع آخر . وفي هذا الشهر ظفر المأمون بمجاعة من كبراء من كان بايع إبراهيم بن المهدي فماتهم وجسمهم في المطبق ، ولما كان ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الآخر اجتاز إبراهيم بن المهدي - وكان مخفياً مدة ست سنين وشهوراً متتبعاً في زى امرأة ومعه امرأتان - في بعض دروب بغداد في أثناء الليل ، فقام الحارس فقال : إلى أين هذه الساعة ؟ ومن أين ؟ ثم أراد أن يسكن فاعطاه إبراهيم خاتماً كان في يده من ياقوت ، فلما نظر إليه استراب وقال : إنما هذا خاتم رجل كبير الشأن ، فذهب بهن إلى متولى الليل فأمرهن أن يسفرن عن وجوههن ، فتمنع إبراهيم فكشفوا عن وجهه فلما هو هو ، ففرقه فذهب به إلى صاحب الجسر فسلمه إليه فرفقه الآخر إلى باب المأمون ، فأصبح في دار الخلافة وقابه على رأسه والملحفة في صدره ليراه الناس ، وليعلموا كيف أخذ . فأمر المأمون بالاحتفاظ به والاحتراس عليه مدة ، ثم أطلقه ورضى عنه . هذا وقد صلب جماعة ممن كان سجنهم بسببه لكونهم أرادوا الفتك بالموكلين بالسجن ، فصلب منهم أربعة .

وقد ذكروا أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون أنه على ما كان منه فترقق له عمه إبراهيم كثيراً ، وقال : يا أمير المؤمنين إن تعاقب فبضك ، وإن تعف فبفضك . فقال : بل أعفوا إبراهيم إن القدرة تنهب الخفيضة ، والتدم توبة وبينهما عفو الله عز وجل ، وهو أكبر مما تسأله ، فكبر إبراهيم وسجد شكر الله عز وجل .

وقد امتدح إبراهيم بن المهدي ابن أخيه المأمون بقصيدة بالغ فيها ، فلما سمعها المأمون قال : أقول كما قال يوسف لأخوته (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) وذكر ابن عساكر أن المأمون لما عفا عن عمه إبراهيم أمره أن يقنيه شيئاً فقال : إني تركته . فأمره فأخذ العود في حجره وقال : هذا مقام سرور خربت منازل ودوره * نمت عليه عداته كنبأ ضاقه أميره

ثم عاد فقال :

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت عني * لوى الدهر بي عنها وولى بها عني
فان أباك نضى أباك نضاً عزيزة * وإن أحتقرها أحتقرها على ضغن
وإني وإن كنت السوء بينه * فأني برى موقن حسن الظن
عدوت على نضى ضاد بغفوه * على ضاد العفو مناً على من
فقال المأمون : أحسنت يا أمير المؤمنين حقاً . فرمى العود من حجره ووثب قائماً فزعاً من هذا الكلام ، فقال له المأمون : اجلس واسكن مرحباً بك وأهلاً ، لم يكن فك لشئ تنوهم ، ووالله لا رأيت طول أيحي شيئاً تكرهه . ثم أمر له بشرة آلاف دينار وخلع عليه ، ثم أمر له برد جميع

ما كان له من الأموال والضياع والود فرحت إليه ، وخرج من عنده مكرماً معظماً .

﴿ عرس يوران ﴾

وفي رمضان منها بنى المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل ، وقيل إنه خرج في رمضان إلى مسكر الحسن بن سهل بضم الصلح ، وكان الحسن قد عوفي من مرضه ، قتل المأمون عنده بمن معه من وجوه الأمراء والرؤساء وأكابر بني هاشم ، فدخل بيوران في شوال من هذه السنة في ليلة عظيمة وقد أشعلت بين يديه شموع المنير ، ونثر على رأسه الدر والجوهر ، فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر . وكان عند الجوهر منه ألف درة ، فأمر به فجمع في صينية من ذهب كان الجوهر فيها فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نثرناه لتلقطه الجوارى ، فقال : لا أنا أعوضهن من ذلك . فجمع كله ، فلما جاءت العروس ومعها جنتها زبيدة أم أخيه الأمين - من جملة من جاء معها - فأجلست إلى جانبها فصب في حجرها ذلك الجوهر وقال : هذا نعمة مني إليك وسلي حاجتك ، فأطرقت حياء . فقالت جنتها : كلني سيدك وسلي حاجتك قد أمرك . فقالت : يا أمير المؤمنين أسألك أن ترضى عن عكك إبراهيم بن المهدي ، وأن ترده إلى منزله التي كان فيها ، فقال : نعم ! قالت : وأم جعفر - تعني زبيدة - تأذن لها في الحج . قال نعم ! فغلبت عليها زبيدة بذلتها الأميرية وأطلقت له قرية مقورة . وأما والد العروس الحسن بن سهل فانه كتب أسماه قراه وضياعه وأملاكه في رقاع ونثرها على الأمراء ووجوه الناس ، فمن وقعت بيده رقعة في قرية منها بحث إلى القرية التي فيها نوابه فلحقها إليه ملكا خالصا . وأنفق على المأمون ومن كان معه من الجيش في مدة إقامته عنده سبعة عشر يوما ما يعادل خمسين ألف ألف درهم . ولما أراد المأمون الانصراف من عنده أطلق له عشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعته البلد الذي هو نازل بها ، وهو إقليم فم الصلح مضافاً إلى ما بيده من الاقطاعات . ورجع المأمون إلى بغداد في أواخر شوال من هذه السنة . وفي هذه السنة ركب عبد الله بن طاهر إلى مصر فاستقنفا بأمر المأمون من يد عبيد الله بن السري بن الحكم المتقلب عليها ، واستمادها منه بعد حروب يطول ذكرها . وفيها توفي من الأعيان أبو عمرو الشيباني القنوي واسمه إسحاق بن مراد . ومروان بن محمد الطاطري . ويحيى بن إسحاق والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين ﴾

فيها توفي أبو الجواب . وطلق بن غنام . وعبد الرزاق بن همام الصنعائي صاحب المصنف والمسنَد . وعبد الله بن صالح البجلي .

﴿ وأبو النخاعة الشاعر المشهور ﴾

واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أصله من الحجاز ، وقد كان تمشق جارية للمهدي

أسمها عتبة ، وقد طلبها منه غير مرة فإذا صحح له بها لم تروه الجارية ، وتقول الخليفة : أتعطيني لرجل
دمي الخلق كان يبيع الجرار ؟ فكان يكثر التنزل فيها ، وشاع أمره واشتهر بها ، وكان المهدي
يفهم ذلك منه . وافترق في بعض الأحيان أن المهدي استدعى الشراء إلى مجلسه وكان فيهم أبو
النهاية وشاربن برد الأعمى ، فسمع صوت أبي النهاية . فقال بشار لجليسه : أتم هنا أبو النهاية ؟
قال : نعم . فانطلق يذكر قصيدته فيها التي أولها :

ألا ما سيدنى مالها • أدلت فأجبل إدلالها

قال بشار لجليسه : ما رأيت أجسر من هذا . حتى انتهى أبو النهاية إلى قوله :

أنته الخلقة متقادة • إليه تجير أذيلها

فلم تلك تصلح إلا له • ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره • لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تعلمه نبات القلوب • لما قبل الله أعمالها

قال بشار لجليسه : انظروا أطار الخليفة عن فراشه أم لا ؟ قال : فوالله ما خرج أحد من
الشراء يومئذ بجائزة غيره . قال ابن خلكان : اجتمع أبو النهاية بأبي نواس - وكان في طبقة
وطبقة بشار - قال أبو النهاية لأبي نواس : كم تعمل في اليوم من الشعر ؟ قال : بيناً أو بيتين .
فقال : لكني أعمل المائة والمائتين . فقال أبو نواس : لك عمل مثل قولك :

يا عتب مالي ولك • يا ليقى لم أرك

ولو عملت أنا مثل هذا لعمت الألف والألفين وأنا أعمل مثل قولي :

من كف ذات حر في زى ذى ذكر • لها محبات لو طى وزاء

ولو أردت مثلي لأعجزك الدهر . قال ابن خلكان : ومن لطيف شعر أبي النهاية :

إني صبوت إليك • قى صرت من فرط التصابي

يجد الجليس إذا دنا • ربح التصابي في ثيابي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة . وتوفي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وقيل
ثلاث عشرة ومائتين ، وأوصى أن يكتب على قبره ببغداد :

إني عيشا يكون آخره المو • ت لعيش معجل التنفيس

(ثم دخلت سنة ثلثي عشرة ومائتين)

فيها وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي على طريق الموصل لحاربة بابك الخرمي في أرض
أخر يبعان ، فأخذ جماعة من الملتفتين عليه فبش بهم إلى المأمون . وفي ربيع الأول أظهر المأمون

في الناس بدعتين فظيمنتين إحداهما أعلم من الأخرى ، وهي القول بخلق القرآن ، والثانية تفضيل
 علي بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله ﷺ . وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيراً طاحشاً ،
 وأنهم إنما عظموا . وفيها حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس العباسي . وفيها توفي أسد بن
 موسى الذي يقال له أسد السنة . والحسن بن جعفر . وأبو عاصم النبيل واسمه الضحك بن مخلد . وأبو
 المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي الهمشقي . ومحمد بن يونس الفريابي شيخ البخاري .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين ﴾

فيها ثار رجلان عبد السلام وابن جليس نفعهما المأمون واستحوذا على القطار المصرية ، وأماهما
 طائفة من القيسية واليمانية ، فولى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام ، وولى ابنه العباس نيابة
 الجزيرة والثغور والدواصم ، وأطلق لكل منهما ولعبد الله بن طاهر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف
 دينار . فلم يرب يوم أكثر إطلافاً منه ، أطلق فيه لؤلؤاً الأمراء الثلاثة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف
 دينار . وفيها ولي السند غسان بن عباد . وحج بالناس أمير السنة الماضية . وفيها توفي عبد الله بن
 داود الجريفي . وعبد الله بن يزيد المقرئ المصري . وعبد الله بن موسى العباسي . وعمر بن أبي سلمة
 الهمشقي . وحكى ابن خلكان أن بعضهم قال : وفيها توفي إبراهيم بن ماهان الموصل النديم . وأبو
 الصنمية . وأبو عمرو والشيباني النحوي في يوم واحد ببغداد ، ولكنه صحح أن إبراهيم النديم توفي سنة
 ثمان وثمانين ومائة . قال السهيلي : وفيها توفي عبد الملك بن هشام راوي السيرة عن ابن إسحاق .
 حكاه ابن خلكان عنه ، والصحيح أنه توفي سنة ثمان عشرة ومائتين كما نص عليه أبو سعيد بن
 يونس في تاريخ مصر ﴿ والمكوك الشاعر ﴾

أبو الحسن بن علي بن جبلة الخراساني يلقب بالمكوك ، وكان من الموالي ولد أعمى وقيل بل
 أصابه جبرى وهو ابن سبع سنين ، وكان أسود أبرص ، وكان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً ، وقد أثنى
 عليه في شعره الجاحظ فمن بعده . قال : ما رأيت بدويّاً ولا حضريّاً أحسن إنشاءً منه . فن ذلك قوله :

بأبي من زارني منكماً • حفرأ من كل شيء جزأ

زارأ ثم عليه حسنه • كيف يخفى الليل بدرأ طلما

رصد الخلو حتى أمكنت • ورعى السامر حتى جمعا

ركب الأهوال في زورته • ثم ما سلم حتى رجعا

وهو التناقل في أبي دلف القاسم بن عيسى السعدي :

إنما الدنيا أبو دلف • بين مغزاه ومختصره

فإذا ولي أبو دلف • ولت الدنيا على أثره

كل من في الأرض من عرب • بين يديه إلى حضرة
برنجية نيل مكرمة • يأتسها يوم مقتخره
ولما بلغ المأمون هذه الآيات - وهي قصيدة طويلة - عرض فيها أبا نواس فتطلبه المأمون فهرب
منه ثم أحضر بين يديه فقال له : ويحك فضلت القاسم بن عيسى علينا . فقال : يا أمير المؤمنين أنتم
أهل بيت اصطفاكم الله من بين عباده ، وآتاكم ملكاً عظيماً ، وإنما فضلت على أشكالي وأقراني .
فقال : والله ما أبقيت أحداً حيث تقول :

كل من في الأرض من عرب • بين يديه إلى حضرة
ومع هذا فلا أستحل قتلك بهذا ، ولكن بشرك وكفرتك حيث تقول في عبد ذليل :
أنت الذي تنزل الأيام منزلاً • وتنقل الدهر من حال إلى حال
وملمدحت مدى طرف إلى أحد • إلا قضيت بأرزاق وآجال
ذاك الله يضلّه ، أخرجوا لسانه من قفاه . فأخرجوا لسانه في هذه السنة فلت . وقد امتدح
حميد بن عبد الحميد الطوسي :

إنما الدنيا حميد • وأيديه جسام • فاذا ولي حميد • فعلى الدنيا السلام
ولما مات حميد هذا رثاه أبو السناحية بقوله :

أيا غاتم أما ذراك فواسع • وقبرك ميمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره • إذا كان فيه جسمه يتهم
وقد أورد ابن خلكان لمعك هذا أشماراً جيدة تركناها اختصاراً .

(ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين)

في يوم السبت لحس قين من ربيع الأول منها التقى محمد بن حميد وبابك انخرى لئنه الله ،
قتل انخرى خلقاً كثيراً من جيشه ، وقتله أيضاً وانهمز بقية أصحاب ابن حميد ، فبعث المأمون
إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكرم إلى عبد الله بن طاهر يخبرانه بين خراسان ، ونيابة الجبال
وأذربيجان وأرمينية ومحاربة بابك ، فاختار المقام بخراسان لكثرة احتياجها إلى الضبط ، ولعنف
من ظهور الخوارج . وفيها دخل أبو إسحاق بن الرشيد الفيهار المصرية فانزعها من يد عبد السلام
وابن جليس وقتلها . وفيها خرج رجل يقال له بلال الضبابي فبعث إليه المأمون ابنه السباس في
جماعة من الأمراء فقتلوا بلالاً ورجعوا إلى بغداد . وفيها ولي المأمون على بن هشام الجبل وقم
وأصبهان وأذربيجان . وفيها حج بالناس إسحاق بن السباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .
وفيها توفي أحمد بن خالد الوهبي .

﴿ وأحمد بن يوسف بن القلم بن صبيح ﴾

أبو جعفر الكاتب ولى ديوان الرسائل للمأمون . ترجمه ابن عساکر وأورد من شعره قوله :

قد برزق المرم من غير حيلة صدرت • ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الهامى

لماسنى من غنى يوماً ولا عدى • إلا وقولى عليه الحمد لله

وله أيضاً : إذا قلت فى شئ نعم فأنته • فإن نعم على الحر واجب

وإلا قل لا تستريح بها • لئلا يقول الناس إنك كاذب

وله : إذا المرء أفشى سره بلسانه • فلام عليه غيره فهو أحق

إذا ضاق صدر المرء عن سره • فصدر القى يستودع السر أضيـق

وحسن بن محمد المروزي شيخ الامام أحمد . وعبد الله بن الحكم المصرى . ومعاوية بن عمر .

﴿ وأبو محمد عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع المصرى ﴾

أحد من قرأ الموطأ على مالك وحقه بمنحه ، وكان معظماً ببلاد مصر ، وله بها ثروة وأموال

وافرة . وحين قدم الشافى مصر أعطاه ألف دينار ، وجمع له من أصحابه ألفى دينار ، وأجرى عليه

وهو والد محمد بن عبد الله بن الحكم القى صاحب الشافى . ولما توفى فى هذه السنة دفن إلى جانب

قبر الشافى . ولما توفى ابنه عبد الرحمن دفن إلى جانب قبر أبيه من القبلة . قال ابن خلكان فهى

ثلاثة أقبر الشافى شامياً . وهما قبلته . رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين ﴾

فى أواخر المحرم منها ركب المأمون فى العساكر من بغداد قاصداً بلاد الروم لغزوهم ، واستخلف

على بغداد وأعمالها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلما كان بشكرت تلقاه محمد بن على بن موسى

ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب من المدينة النبوية ، فأذن له المأمون فى

البحول على ابنته أم الفضل بنت المأمون . وكان مقود القصد عليها فى حياة أبيه على بن موسى ،

فدخل بها ، وأخذها معه إلى بلاد الحجاز . وتلقاه أخوه أبو إسحاق بن الرشيد من البهار المصرية قبل

وصوله إلى الموصل ، وسار المأمون فى جحافل كثيرة إلى بلاد طرسوس فدخلها فى جمادى الأولى ،

وفتح حصناً هناك عنوة وأمر بهدمه ، ثم رجع إلى دمشق فترها وعمر دبر مرات بسفح قيسون ، وأقام

بدمشق مدة . وحج بالناس فيها عبد الله بن عبيد الله بن العباس البلسى .

وفىها توفى أبو زيد الانصارى . ومحمد بن المبارك الصورى . وقبيصة بن عقبة . وعلى بن الحسن بن

شقيق . ومكي بن إبراهيم . ﴿ فأما أبو زيد الأنصارى ﴾

فهو سميد بن أوس بن ثابت البصرى القنوى أحد الثقلات الاثبات ويقال إنه كان يرى ليلة

القدر . قال أبو عثمان المازني : رأيت الأصمعي جاء إلى أبي زيد الأنصاري وقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة . قال ابن خلكان : وله مصنفات كثيرة ، منها خلق الإنسان ، وكتاب الابل ، وكتاب المياه ، وكتاب الفرس والترس ، وغير ذلك توفي في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها أو التي بعدها ، وقد جاوز التسعين ، وقيل إنه قارب المائة . وأما أبو سليمان فقد قدمنا ترجمته .

(ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين)

فيها عدا ملك الروم وهو توفيل بن ميخائيل على جماعة من المسلمين قتلهم في أرض طرسوس نحواً من ألف وستائة إنسان ، وكتب إلى المأمون قبداً بنفسه ، فلما قرأ المأمون كتابه نهض من فورهِ إلى بلاد الروم عوداً على بدءٍ ومحبة أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب الشام ومصر ، فافتتح بلداناً كثيرة صلحا وعنوة ، وافتتح أخوه ثلاثين حصناً ، وبث بجي من أكرم في سرية إلى طوانة فافتتح بلاداً كثيرة وأسر خلقاً وحرق حصوناً عدة ، ثم عاد إلى السكر . وأقام المأمون ببلاد الروم من نصف جمادى الآخرة إلى نصف شعبان ، ثم عاد إلى دمشق وقد وثب رجل يقال له عبدوس الفهرى في شعبان من هذه السنة ببلاد مصر ، فقتل على نواب أبي إسحاق بن الرشيد وأتبعه خلق كثير ، فركب المأمون من دمشق يوم الأربعاء عشرة ليلة خلت من ذي الحجة إلى الفيوم المصرية ، فكان من أمره ما سنده

وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقيب الصلوات الخمس ، فكان أول ما بدئ بذلك في جامع بغداد والرافضة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان ، وذلك أنهم كانوا إذا قضاوا الصلاة قام الناس قياماً فكبروا ثلاث تكبيرات ، ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات . وهذه بدعة أحدثها المأمون أيضاً بلا مستند ولا دليل ولا معتمد ، فإن هذا لم يفعله قبله أحد ، ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله ﷺ ليعلم حين ينصرف الناس من المكتوبة ، وقد استحب هذا طائفة من العلماء كابن حزم وغيره . وقال ابن بطال : المذهب الأربعة على عدم استحبابه . قال النووي : وقد روى عن الشافعي أنه قال : إنما كان ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلوات مشروع ، فلما علم ذلك لم يبق للجهر معنى . وهذا كما روى عن ابن عباس أنه كان يجهر في الفاتحة في صلاة الجنازة ليعلم الناس أنها سنة ، ولهذا نظرنا والله أعلم .

وأما هذه البدعة التي أمر بها المأمون قاتها بدعة محدثة لم يعمل بها أحد من السلف . وفيها وقع رد شديد جداً . وفيها حج بالناس الذي حج بهم في العالم الماضي ، وقيل غيره والله أعلم . وفيها توفي جبان ابن هلال . وعبد الملك بن قريب الأصمعي صاحب الفنة والنحو والشعر وغير ذلك . وعبد بن بكار بن

هلال . وهوذة بن خليفة . (وزيدة امرأة الرشيد وابنة عمه)

وهي ابنة جعفر أم العزيز الملقبة زيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية المشهية القرشية ، كانت أحب الناس إلى الرشيد ، وكانت ذات حسن بأهر وجمال طاهر ، وكان له معها من الخطايا والجوارى والزوجات غيرها كثيراً كما ذكرنا ذلك في ترجمته ، وإنما لقبتم زيدة لأن جدّها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول : إنما أنت زيدة ، لبياضها ، فقلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به ، وأصل اسمها أم الميز . وكان لها من الجمال والمال والخير والهيأة والصدقة والبر شئ كثير . وروى الخطيب أنها حجت قبلفت فقبتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف درهم ، ولما هنأت المأمون بالخلقة قالت : هنأت قضى بها عنك قبل أن أراك ، ولئن كنت قتلت ابناً خليفة لقد عوضت ابناً خليفة لم الله ، وما خسر من اعتاض مثلك ، ولا شككت أم ملأت يدها منك ، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ ، وإمناً بما عوض . توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين .

ثم قال الخطيب : حدثني الحسين بن محمد الخلال لفظاً قال : وحدث أبا الفتح القواس قال ثنا صدقة بن هبيرة الموصلي ثنا محمد بن عبد الله الواسطي قال قال عبد الله بن المبارك : رأيت زيدة في المنام قتلت : ما فعل الله بك ؟ قالت غفر لي في أول مولد ضرب في طريق مكة . قلت : فما هذه الصفرة ؟ قالت : دفن بين ظهرائنا رجل يقال له بشر المريسى زفرت عليه جهنم زفرة فاقشعر لها جسدى فهذه الصفرة من تلك الزفرة . وذكر ابن خلكان أنه كان لها مائة جارية كلهن يحفظن القرآن العظيم ، غير من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ ، وكان يسمع لمن في القصر دوى كدوى النحل ، وكان ورد كل واحدة عشر القرآن ، وورد أنها رويت في المنام فسئلت عما كانت تصنعه من المروف والصدقات وما عملته في طريق الحج فقالت : ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله ، وما نقصنا إلا ركعات كنت أركمهن في السحر . وفيها جرت حوادث وأمور يطول ذكرها .

(ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين)

في الحرم منها دخل المأمون مصر وظفر بيمبوس الفهرى فأمر فضربت عنقه ، ثم كر راجعاً إلى الشام . وفيها ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضاً فحاصر لؤلؤة مائة يوم ، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عجمياً فخذعته الروم فأسروه فأظم في أيديهم مغانية أيام ، ثم أضلت منهم واستمر محاصراً لهم ، فجاء ملك الروم بنفسه فأحاط بمحيشته من ورائه ، فبلغ المأمون فسار إليه ، فلما أحس توفيل بقدمه هرب وبعث وزيره صنفل فسأله الأمان والمصالحة ، لكنه بدأ بنفسه قبل المأمون فرد عليه المأمون كتاباً بلبينا مضمونه التقرير والتوبيخ ، وإني إنما أقبل منك الدخول في الخنيفة

وإلا فالسيف والقتل والسلام على من اتبع الهدى . وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان ابن علي . وفيها توفى الحجاج بن منهال . وشرع بن النعمان . وموسى بن داود الضبي والله سبحانه أعلم .
(ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين)

في أول يوم من جمادى الأولى وجه المأمون ابنه العباس إلى بلاد الروم لبناء الطوارة وتعميد عمارتها . وبعث إلى سائر الأقاليم في تجهيز الفعلة من كل بلد إليها ، من مصر والشام والعراق ، فاجتمع عليها خلق كثير ، وأمره أن يجعلها ميلا في ميل ، وأن يجعل سورها ثلاث فراسخ ، وأن يجعل لها ثلاثة أبواب .
(ذكر أول الحنة والفتنة)

في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن . وأن يرسل إليه جماعة منهم ، وكتب إليه يستحثه في كتاب مطول وكتب غيره قد سردها ابن جرير كلها ، ومضمونها الاحتجاج على أن القرآن محدث وكل محدث مخلوق ، وهذا احتجاج لا يواقة عليه كثير من المتكلمين فضلا عن المحدثين ، فإن القائلين بأن الله تعالى يقوم به الأفعال الاختيارية لا يقولون بأن فعله تعالى القائم بذاته المقدسة مخلوق ، بل لم يكن مخلوقا ، بل يقولون هو محدث وليس بمخلوق ، بل هو كلام الله القائم بذاته المقدسة ، وما كان قائما بذاته لا يكون مخلوقا ، وقد قال الله تعالى (ما يأتينهم من ذكر من ربهم محدث) وقال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فالأمر بالسجود صدر منه بعد خلق آدم ، فالكلام القائم بأفان ليس مخلوقا ، وهذا له موضع آخر . وقد صنف البخاري كتابا في هذا المعنى سماه خلق أفعال العباد . والمقصود أن كتاب المأمون لما ورد ببغداد قرئ على الناس ، وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم إليه ، وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم المستنلي ، وبزيد بن هارون^(١) ويحيى بن ميمن وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وإسماعيل بن أبي مسعود . وأحد ابن الدورقي . فبعث بهم إلى المأمون إلى الرقة فطمحنهم بخلق القرآن فأجابوه إلى ذلك وأظهروا موافقته وهم كلهم ، فقدم إلى بغداد وأمر بإشهار أمرهم بين القضاة ، فقبل إسحاق ذلك . وأحضر خلقا من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم ، فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون ، وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك ، فأجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم ، ووقت بين الناس فتنة عظيمة فأن الله وإنا إليه راجعون . ثم كتب المأمون إلى إسحاق أيضا يكتب ثمان يستدل به على القول بخلق القرآن يشبه من الدلائل أيضا لا تحقيق فتحها ولا حاصل لها ، بل هي من المتشابهة

(١) قد ذكر المؤلف وفاة يزيد بن هارون في سنة ست ومائتين ، ثم ذكره هنا في المحضرين فلا وجه إلا أن يكون غالطا هنا أو هناك .

وأورد من القرآن آيت هي حجة عليه . أورد ابن جرير ذلك كله . وأمر نائبه أن يقرأ ذلك على الناس وأن يدعوهم إليه وإلى القول بخلق القرآن ، فأحضر أبو إسحاق جماعة من الأئمة وم أحمد بن حنبل . وقتيبة . وأبو حيان الزيدى . وبشر بن الوليد الكندي . وعلى بن أبي مقاتل . وسعدويه الواسطي . وعلى بن الجعد . وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وابن الحرش ، وابن علي الأكبر ، وبجي ابن عبد الحميد العمري . وشيخ آخر من سلافة عمر كان قاضياً على الرقة ، وأبو نصر التمار ، وأبو معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون . ومحمد بن نوح الجندي بaborي المضروب ، وابن الفرخان ، والنضر بن شميل . وأبو علي بن عاصم ، وأبو الموام البارد ، وأبو شعاع ، وعبد الرحمن بن إسحاق وجماعة . فلما دخلوا على أبي إسحاق قرأ عليهم كتاب المأمون . فلما فهموه قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام الله . قال : ليس عن هذا أسألك . وإنما أسألك أهو مخلوق ؟ قال : ليس بخالق . قال : ولا عن هذا أسألك . قال : ما أحسن غير هذا . وصمم على ذلك . قال : تشهد أن لا إله إلا الله أحداً فرداً لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه ؟ قال : نعم ! قال للكاتب : اكتب بما قال . فكتب . ثم امتنعهم رجلاً رجلاً فأكثرهم امتنع من القول بخلق القرآن ، فكان إذا امتنع الرجل منهم امتنعته بالرقة التي وافق عليها بشر بن الوليد الكندي ، من أنه قال لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فيقول : نعم كما قال بشر . ولما انتهت النبوة إلى امتنعان أحد بن حنبل فقال له : أتقول إن القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله لا أزيد على هذا . قال له : ما تقول في هذه الرقة ؟ قال : أقول (ليس كنهه شيء وهو السميع البصير) فقال رجل من المعتزلة : إنه يقول : سميع بأذن بصير بعين . قال له إسحاق : ما أردت بقولك سميع بصير ؟ قال : أردت منها ما أراد الله منها وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك . فكتب جوابات القوم رجلاً رجلاً وبث بها إلى المأمون . وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مصافحة مكرها لأنهم كانوا يمزنون من لا يجيب عن وظائفه ، وإن كان له رزق على بيت المال قطع ، وإن كان مفتكاً منع من الاقتاء ، وإن كان شيخ حديث رجع عن الاسماع والأداء . ووقفت فتنة صماء ومحنة شتاء وداهية دهياء فلا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ فصل ﴾

فلما وصلت جوابات القوم إلى المأمون بث إلى نائبه يمدحه على ذلك ويرد على كل فرد فرد ما قال في كتاب أرسله . وأمر نائبه أن يمتحنهم أيضاً فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس ، ومن لم يجيب منهم فأبشه إلى عسكر أمير المؤمنين مقيداً محتفظاً به حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه

رأيه ، ومن رأيه أن يضرب عنق من لم يقل بقوله . ففند ذلك عقد النائب بفنداد بجلسا آخر وأحضر أولئك وفيهم إبراهيم بن المهدي ، وكان صاحباً لبشر بن الوليد الكندي ، وقد نص المأمون على قتلها إن لم يجيبا على الفور ، فلما امتحنهم إسحاق أجابا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) الآية . إلا أربعة وهم : أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، والحسن ابن حماد سجاده ، وعبيد الله بن عمر القواريري . فقدم وأرصدهم ليبيت بهم إلى المأمون ، ثم استدعى بهم في اليوم الثاني فامتحنهم فأجاب سجاده إلى القول بذلك فأطلق . ثم امتحنهم في اليوم الثالث فأجاب القواريري إلى ذلك فأطلق قيده . وآخر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسا بوري لأنهما أصرا على الامتناع من القول بذلك ، فأكد قيودهما وجمعهما في الحديد وبيت بهما إلى الخليفة وهو بطرسوس ، وكتب كتابا بالرسالة إليه . فسارا مقيدين في محارة على جبل متعادلين رضى الله عنهما . وجعل الأمام أحمد يدعو الله عز وجل أن لا يجمع بينهما وبين المأمون ، وأن لا يراه ولا يراها . ثم جاء كتاب المأمون إلى نائبه أنه قد بلغني أن القوم إنما أجابوا مكرهين متأولين قوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) الآية . وقد أخطأوا في تأويلهم ذلك خطأ كبيراً ، فإرسلهم كلهم إلى أمير المؤمنين . فاستدعاهم إسحاق وأزهمهم بالسير إلى طرسوس فساروا إليها ، فلما كانوا ببعض الطريق بلغهم موت المأمون فردوا إلى الرقة ، ثم أذن لهم بالرجوع إلى بنداد . وكان أحمد ابن حنبل وابن نوح قد سبقا الناس ، ولكن لم يجتمعا به . بل أهلكه الله قبل وصولهما إليه ، واستجاب الله سبحانه دعاء عبده وولي الأمام أحمد بن حنبل ، فلم يريا المأمون ولا أرحما ، بل ردوا إلى بنداد . وسيأتي تمام ما وقع لهم من الأمر الفظيع في أول ولاية المتصم بن الرشيد ، وتام باقي الكلام على ذلك في ترجمة الأمام أحمد عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائتين وبلغه المستعان .

(وهذه ترجمة المأمون)

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر أمير المؤمنين ، وأمه أم ولد يقال لها مرآجل الباذغيفية ، وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ليلة توفى عمه الهادي ، وولى أبوه هارون الرشيد ، وكان ذلك ليلة الجمعة كما تقدم ، قال ابن عساکر : روى الحديث عن أبيه وهاشم بن بشر ، وأبي معاوية الضرير ، ويوسف بن قحطبة ، وعباد بن الوام ، وإسماعيل بن علية ، وحجاج بن محمد الأعور . وروى عنه أبو حذيفة إسحاق بن بشر . وهو أسن منه . ويحيى بن أكرم القاضي وابنه الفضل بن المأمون ومعه بن شبيب وأبو يوسف القاضي وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي وأحمد بن الحارث الشعبي . أبو البريد . وعمر بن مسعدة وعبد الله بن طاهر بن الحسين ، ومحمد بن إبراهيم السلي ودعبل بن علي الخزازي . قال : وقدم دمشق مرات وأقام بها مدة ، ثم روى ابن عساکر

من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي قال : سمعت المأمون في الشامية وقد أجمري الخلية فجعل ينظر إلى كثرة الناس فقال ليحيى بن أكرم : أما ترى كثرة الناس ؟ قال : حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال : « أخلق كلهم عيال الله فأجمع إليهم أنضمهم ليه » . ومن حديث أبي بكر النابخعي عن الحسين بن أحمد المالكي عن يحيى بن أكرم القاضي عن المأمون عن هشيم عن منصور عن الحسن بن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال : « الحياه من الإيمان » . ومن حديث جعفر بن أبي عثمان الطيالسي أنه صلى المصرب يوم عرفة خلف المأمون بالرفقة فلما سلم كبر الناس فجعل يقول : لا يا غوغاه لا يا غوغاه ، غدا التكبير سنة أبي القاسم ﷺ . فلما كان الند صد المنبر فكبر ثم قال : أنبا هشيم بن بشير ثنا ابن شيرمة عن الشعبي عن البراء بن عازب عن أبي بردة بن دينار . قال قال رسول الله ﷺ : « من ذبح قبل أن يصل فأتما هو لحم قدمه لأهله ، ومن ذبح بعد أن يصل الفداء قد أصاب السنة » . الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، اللهم اصلحني واستصلحني وأصلح على يدي . تولى المأمون الخلافة في الحرم خمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومائة ، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر . وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالنسبة الصحيحة ، وقد بايع في سنة إحدى ومائتين بولاية المهدي من بعده لملي الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وخلع السواد وليس الخضره كما تقدم ، فأعظم ذلك العباسيون من البغاددة وغيرهم ، وخلعوا المأمون وولوا عليهم إبراهيم بن المهدي ، ثم ظفر المأمون بهم واستقام له الحال في الخلافة ، وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غيث المريسي ، فغدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل ، وكان يحب العلم ولم يكن له بصيرة فافتنه فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل ، وراج عنه الباطل . ودعا إليه وحمل الناس عليه قهراً . وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته . وقال ابن أبي الدنيا : كان المأمون أبيض ربعة حسن الوجه قد وخطه الشيب يملوه صفة أعين طويل الحية رقيقه ضيق الجبين ، على خده خال . أمه أم ولد يقال لها مارجل . وروى الخطيب عن القاسم بن محمد بن عباد قال : لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء غير عثمان بن عفان والمأمون ، وهذا غريب جدا لا يوافق عليه ، قد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء . قالوا : وقد كان المأمون يتلو في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختة ، وجلس يوماً لأملاء الحديث فاجتمع حوله القاضي يحيى ابن أكرم وجماعة فأملهم من حفظه ثلاثين حديثاً . وكانت له بصيرة بعلوم متعددة ، قهراً وطباً وشرراً وفرائض وكلاماً ونحواً وغريبه ، وغريب حديث ، وعلم النجوم . وإليه ينسب الزيج المأموني . وقد اختبر مقدار الدرجة في وطنه سنجار فاختلف عمله وعمل الأرائل من الفقهاء . وروى ابن عساكر

أن المأمون جلس يوماً للناس وفي مجلسه الأمراء والعلماء ، فجأت امرأة تنظلم إليه فذكرت أن أخاها توفي وترك ستائة دينار ، فلم يحصل لها سوى دينار واحد . فقال لها المأمون على البسيطة : قد وصل إليك حقلك ، كأن أخاك قد ترك بنتين وأما زوجة واثني عشر أخاً وأختاً واحدة وهي أنت ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : للبنتين الثلاثان أربعائة دينار ، وللأم السدس مائة دينار ، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون ديناراً ، بقي خمسة وعشرون ديناراً لكل أخ ديناران ديناران ، ولك دينار واحد . فحجب العلماء من فطنته وحدة ذهنه وسرعة جوابه . وقد رويت هذه الحكاية عن علي بن أبي طالب . ودخل بعض الثمراء على المأمون وقد قال فيه بيتاً من الشعر براء عظيماً ، فلما أنشده إياه لم يقع منه موقفاً طائلاً ، فخرج من عنده محروماً ، فلقبه شاعر آخر فقال له : ألا أعجبك ! أنشئت المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأساً . فقال : وما هو ؟ قال قلت فيه :

أنهى إمام الهدى المأمون مشتغلاً * بالدين والناس بالدين مشاغلاً

فقال له الشاعر الآخر : ما زدت على أن جملته مجوزاً في محرابها . فهلا قلت كما قال جرير في عبد العزيز بن مروان :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وقال المأمون يوماً لبعض جلسائه : بيتان اثنان لاثنتين ما يلحق بهما أحد ، قول أبي نواس :

إذا اختر الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في لباس صديق

وقول شريح : تهون على الدنيا اللامة إنه * حريص على استصلاحها من يلومها

قال المأمون : وقد ألقاني الزحام يوماً وأنا في الموكب حتى خالطت السوقه فرأيت رجلاً في دكان عليه أثواب خلقة ، فنظر إلى نظري من برحني أو من يتعجب من أمري فقال :

أرى كل مغرور تمنيه نفسه * إذا ما مضى علم سلامة قاتل

وقال يحيى بن أكرم : سمعت المأمون يوم عيد خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على الرسول ﷺ ثم قال : عباد الله ! عظم أمر الفارين وارفع جزاء العالمين ، وطالت مدة الفترتين ، فوالله إنه ليجد لا الهب ، وإنه لحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث والحساب والفصل والميزان والصراط ثم القاب وألثواب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز : ومن هوى يومئذ فقد خلب ، انظر كله في الجنة ، والشر كله في النار . وروى ابن عساكر من طريق الثوريين شميل قال : دخلت على المأمون فقال : كيف أصبحت يا نصر ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : ما الارجاء ؟ قلت دين يوافق الملوك يصيبون به من دينهم ويتقصون به من دينهم . قال : صدقت . ثم قال : يا نصر أتدري ما قلت في صبيحة هذا اليوم ؟ قلت : إني لمن علم التيب لبديد . فقال قلت آياتاً وهي :

أصبح ديني الذي أدين به • ولست منه القداة مستنراً
 حب على بعد النبي ولا • أشتم صديقاً ولا عمراً
 ثم ابن عفان في الجنان مع الـ • أربار ذاك القنيل مصطبها
 ألا ولا أشتم الزبير ولا • طلحة إن قال قاتل غدرا
 وعائش الام لست أشتمها • من يقتديها فنحن منه برا

وهذا المنهج نافي مراتب الشيعة وفيه تفضيل علىّ على الصحابة . وقد قال جماعة من السلف والدارقطني : من فضل علياً على عثمان فقد أزرى بله الجارين والأَنْصار - يعني في اجتهادهم ثلاثة أيام ثم اتفقوا على عثمان وتقدمه على عليّ بعد مقتل عمر - وبعد ذلك ست عشرة مرتبة في التشيع ، على ما ذكره صاحب كتاب البلاغ الأكبر ، والناموس الأعظم ، وهو كتاب ينهى به إلى أ كفر الكفر . وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : لا أوثق بأحد فضلي على أبي بكر وعمر إلا جلوته جلد المغترى . وتواتر عنه أنه قال : خير الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر . فقد خالف المأمون الصحابة كلهم حتى علي بن أبي طالب . وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأنصار ، البدعة الأخرى والطلعة الكبرى وهي القول بخلق القرآن مع ما فيه من الاتهام على تعاطي المسكر وغير ذلك من الأفعال التي تعدد فيها المنكر . ولكن كان فيه شهامة عظيمة وقوة جسيمة في القتال وحصار الأعداء ومصاراة الروم وحصرهم ، وقتل رجالهم وسي نسابهم ، وكان يقول : كان لعمر بن عبد العزيز وعبد الملك حجاب وأنا بنفسى ، وكان يتحرى المذل ويتولى بنفسه الحكم بين الناس والفصل ، جاءت امرأة ضعيفة قد تظلمت على ابنه العباس وهو قائم على رأسه ، فأمر الحاجب فأخذ يده فأجلسه معها بين يديه ، فادعت عليه بأنه أخذ ضيعة لها واستحوذ عليها ، فتناظرا ساعة فجعل صوتهما يملو على صوته ، فزجرها بعض الحاضرين فقال له المأمون : اسكت فان الحق أنصفها والباطل أسكنه ، ثم حكم لها بمحضها وأغرم ابنه لها عشرة آلاف درهم

وكتب إلى بعض الأمراء : ليس المروءة أن يكون بينك من ذهب وفضة وغريمك عار ، وجارك طاوو والعقير جائع . ووقف رجل بين يديه فقال له المأمون : والله لا تقتلك . فقال : يا أمير المؤمنين تأني على فان الرفق نصف العفو ، قال : ويك ويحك لقد حلفت لا تقتلك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك إن تلقى الله حاتنا خير من أن تلقاه قاتلاً . فصاعته . وكان يقول : ليت أهل الجرائم يعرفون أن منهي المنوحي ينهب الخلف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم . وركب يوماً في حراقة فسمع ملاحاً يقول لأصحابه : ترون هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه الأمين - يقول ذلك وهو لا يشعر بمكان المأمون - فجعل المأمون يقسم ويقول : كيف ترون الحيلة حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل

القدر ؟ وحضر عند المأمون هدية بن خالد ليتفدى عنده فلما رفعت المائدة جعل هدية يلتقط ما تثار منها من القليل وغيره ، فقال له المأمون : أما سمعت يا شيخ ؟ قال : بلى ، حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل ماتحت مائدته أمن من القتر » . قال فأمر له المأمون بألف دينار .

وروى ابن عساكر أن المأمون قال يوماً لـ محمد بن عباد بن المهلب : يا أبا عبد الله قد أعطيتك ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف وأعطيتك ديناراً . قال : يا أمير المؤمنين إن منع الموجود سوء ظن بالمبود . قال : أحسنت يا أبا عبد الله ! أعطوه ألف ألف وألف ألف وألف ألف . ولما أراد المأمون أن يدخل بيوران بقت الحسن بن سهل جعل الناس يهدون لأبيها الأشياء النفيسة ، وكان من جملة من يمتز به رجل من الأتباء . فأهدى إليه مزوداً فيه ملح طيب ، ومزوداً فيه أشنان جيد ، وكتب إليه : إني كرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا أذكر فيها ، فوجهت إليك بالبتدأ به ليعتبه وبركته ، وبالحق به لعليه وفظافته . وكتب إليه :

بضاعتى تقصر عن همى * وحمى تقصر عن مالى

فالملح والأشنان يأسدى * أحسن ما يهديه أمئالى

قال : فدخل بها الحسن بن سهل على المأمون فأعجبه ذلك وأمر بالمزودين ففرغاً وملئاً دنانير وبعث بها إلى ذلك الأديب . وولد للمأمون ابنه جعفر فدخل عليه الناس يهنتونه بصنوف التهاى ، ودخل بعض الشراء قال بهنيه بولده :

مد لك الله الحياة مدا * حتى ترى ابنك هنا جدا

ثم يندى مثل ما تندى * كأنه انت إذا تبدي

أشبه منك ظمة وقدا * مؤزرا بجمعه مرذا

قال فأمر له بعشرة آلاف درهم . وقدم عليه وهو يمشى مال جزيل بعد ما كان قد أفلس وشكى إلى أخيه المستعم ذلك ، فوردت عليه خزان من خراسان ثلاثون ألف ألف درهم ، ففرج يسترضها وقد زينت الجلال والأحمال ، ومعه يحمي بن أكرم القاضي ، فلما دخلت البلد قال : ليس من المروءة أن نحموز نحن هذا كله والناس ينظرون . ثم فرق منه أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله فى الركاب لم ينزل عن فرسه . ومن لطيف شعره : -

لساقى كتوم لأسراركم * ودمى نوم لسرى منيع

فلولا دموعى كنت الهوى * ولولا الهوى لم تكن لى دموع

وقد بعث خادماً ليلة من الليالى ليأتيه بجارية فأطال الخادم عندها المكث ، وتمنت الجارية من

الحق إلى حق يأتي إليها المأمون بنفسه ، فأنشأ المأمون يقول :

بمتك مشتاقا فزرت بنظرة • وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا
فناجيت من أهوى وكنت مبعدا • فياليت شرى عن ذنوك ما أغنى
ورددت طرفا في محاسن وجهها • وتمت باستماع نغمها أذنا
أرى أثرًا منه بعينك بيننا • لقد سرقت عينك من عينها حسنا
ولما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعتزال ، فرح بذلك بشر المريسي - وكان بشر
هذا شيخ المأمون - فأنشأ يقول :

قد قال مأموتا وسيدنا • قولاً له في الكتب تصديق
إن عليا أعنى أبا حسن • أفضل من قد أفلت التوق
بعد نبي الهدى وإن لنا • أفعالنا والقرآن مخلوق
فأجابه بعض الشعراء من أهل السنة :

يا أيها الناس لا قول ولا عمل • لمن يقول كلام الله مخلوق
ما قال ذاك أبو بكر ولا عمر • ولا النبي ولم يذكره صديق
ولم يقل ذاك إلا كل مبتدع • على الرسول وعند الله زنديق
بشر أراد به إحقاق دينهم • لأن دينهم والله محموق
يقوم أصبح عقل من خليفتمكم • مقيدا وهو في الاغلال مونوق
وقد سأل بشر من المأمون أن يطلب قاتل هذا فيؤدبه على ذلك ، قال : ويحك لو كان قتيلا
لأدبته ولكنه شاعر فلست أعرض له . ولما تجهز المأمون للفرز في آخر سفره سافر إلى طرسوس
استدعى بجارية كان يحبها وقد اشتراها في آخر عمره ، فضمها إليه فبكت الجارية وقالت : قتلتنى
يا أمير المؤمنين بسفرك ثم أنشأت تقول :

سأدعوك دعوة المضطرب • يثيب على الدعاء ويستجيب
لمل الله أن يكفنيك حربا • ويجمنا كما تهوى القلوب
فضمها إليه وأنشأ يقول متمثلا : -

فيا حسنها إذ ينسل الجمع كحلها • وإذ هي تنرى الجمع منها الأتمل
صبيحة قالت في التاب قتلتى • وقتلى بما قالت هناك تحاول
ثم أمر مسرورا الخادم بالاحسان إليها والاحتفاظ عليها حتى يرجع ، ثم قال : نحن كما قال الأخطل
قوم إذا حاربوا شدوا ما أزرهم • دون النساء ولو باتت بالظهار

ثم ودعها وما فرضت الجارية في غيبته هذه ، ومات المأمون أيضا في غيبته هذه ، فلما جاء نبيه إليها تنفست الصعداء وحضرتها الوفاة وأنشأت تقول وهي في السيق :

إِن الزمان سقانا من مرارته • بعد الخلاوة كاسات فأروانا
أبدى لنا نازلة منه فأضحكننا • ثم اتقنى قارة أخرى فأبكانا
إنا إلى الله فيما لا يزال بنا • من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا تراها ترينا من تصرفها • ما لا يدوم مصافة وأحرانا
ونحن فيها كأننا لا يزالنا • للعيش أجا وما يكون موتانا

كانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر وقيل بعد العصر ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهرًا ، وصلى عليه أخوه المنتصم وهو ولي العهد من بعده ، ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم ، وقيل كانت وفاته يوم الثلاثاء ، وقيل يوم الأربعاء ثمان بقين من هذه السنة . وقيل إنه مات خارج طرسوس بأربع مراحل فجعل إليها فدفن بها ، وقيل إنه قتل إلى أذنة في رمضان فدفن بها فافقه أعلم . وقد قال أبو سعيد الخزوي : —

هل رأيت النجوم أغنت عن الماء • مون شيئا أو ملكه الملسوس
خلفوه بمرصق طرسوس • مثل ما خلفوا أبا بطرسوس

وقد كان أوصى إلى أخيه المنتصم وكتب وصيته بمحضته وبمضرة ابنه الملس وجاعة القضاء والأمراء والوزراء والكتاب . وفيها القول بخناق القرآن ولم يقب من ذلك بل مات عليه واقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يقب منه ، وأوصى أن يكبر عليه الذى يصلى عليه خسًا ، وأوصى المنتصم بتقوى الله عز وجل والرفق بالرعية ، وأوصاه أن يستقدمه ما كان يستقدمه أخوه المأمون في القرآن ، وأن يدعو الناس إلى ذلك ، وأوصاه بعباد الله بن طاهر وأحمد بن إبراهيم وأحمد بن أبي دواد ، وقال شاوره في أمورك ولا تخارقه ، وإياك وبجى بن أكنم أن تصحبه ، ثم نهاه عنه وذم وقال : خانتى وفتر الناس عني فخارقه غير راض عنه . ثم أوصاه بالعالمين خيرا ، أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة

وقد ذكر ابن جرير للمأمون ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة لم يذكرها ابن عساكر مع كثرة ما يورده ، وفوق كل ذى علم عليم .

(ذكر خلافة المنتصم بالله أبى إسحاق بن هارون)

يبيع له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب من سنة

ثمانى عشرة ومائتين ، وكان إذذاك مريضاً ، وهو الذى صلى على أخيه المأمون ، وقد سعى بعض الأمراء فى ولاية العباس بن المأمون فخرج عليهم العباس قاتل : ما هذا الخلف البارد ؟ أنا قد بايئت عى المعتصم . فسكن الناس وهدئت الفتنة وركب البرد بالبيعة للمعتصم إلى الآفاق ، وبالتعزية بالمأمون . فأمر المعتصم بهدم ما كان بناه المأمون فى مدينة طوانة ، ونقل ما كان حول إليها من السلاح وغيره إلى حصون المسلمين ، وأخذ القلعة بالانصراف إلى بلدانهم ، ثم ركب المعتصم بالجند قاصداً بفسداد ومحبة العباس بن المأمون ، فدخلها يوم السبت مستهل رمضان فى أبهة عظيمة ونجمل تام . وفيها دخل خلق كثير من أهل همدان وأصبهان وماسبدان ومهرجان فى دين الخرمية ، فتجمع منهم بشر كثير ، فجهز إليهم المعتصم جيوشا كثيرة آخرهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فى جيش عظيم ، وعقد له على الجبال ، فخرج فى ذى القعدة وقرئ كتابه بالفتح يوم التروية ، وأنه قهر الخرمية وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وهرب بقيتهم إلى بلاد الروم ، وعلى يدي هذا جرت فتنة الامام أحد وضرب بين يديه كما سيأتى بسط ذلك فى ترجمة أحد فى سنة إحدى وأربعين ومائتين . وفيها توفى من الأعيان :

﴿ بشر المريسى ﴾

وهو بشر بن غيث بن أبى كريمة أبو عبد الرحمن المريسى المتكلم شيخ المعتزلة ، وأحد من أضل المأمون ، وقد كان هذا الرجل ينظر أولاً فى شئ من الفقه ، وأخذ عن أبى يوسف القاضي ، وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم ، ثم غلب عليه علم الكلام ، وقد نهى الشافعى عن تعلمه وتماطيه فلم يقبل منه ، وقال الشافعى : لئن يلقى الله العبد بكل ذنب ما عدا الشرك أحب إلى من أن يلقاه بعلم الكلام . وقد اجتمع بشر بالشافعى عند ما قدم بفسداد . قال ابن خلكان : جدد القول بخلق القرآن وحكى عنه أقوال شيعية ، وكان مرجئاً وإليه نسب المريسية من المرجئة ، وكان يقول : إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ، وإنما هو علامة للكفر ، وكان يناظر الشافعى وكان لا يحسن النحو ، وكان يلحن لحناً فاحشاً . وقال : إن أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة ، وكان يسكن درب المريسى ببفسداد . والمريس عقدم هو الخبز الرقيق يمرس بالسمن والتمر . قال : ومريس ناحية ببلاد التوبة تهب عليها فى الشتاء ريح باردة .

وفيها توفى عبد الله بن يوسف الشيبى . وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر النسائى الدمشقى . ويحيى بن عبد الله البجلي .

﴿ وأبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الجهرى الماعرى ﴾

راوى السيرة عن زيد بن عبد الله البكائى عن ابن إسحاق مصنفها ، وإنما نسبت إليه فيقال سيرة ابن هشام ، لأنه فيها زاد فيها وقضى منها ، وحرر أباكن واستدرك أشياء . وكان إماماً فى

الجنة والنحو ، وقد كان مقبلاً بمصر واجتمع به الشافعي حين وردھا ، وتناشدا من أشعار العرب شيئاً كثيراً . كانت وفاته بمصر لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة ، قاله ابن يونس في تاريخ مصر . وزعم السهيلي أنه توفي في سنة ثلاث عشرة كما تقدم قاله أعلم .

(ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين)

فيها ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد ، واجتمع عليه خلق كثير وقاله قواد عبد الله بن طاهر مرات متعددة ، ثم ظهر وا عليه وهرب فأخذ ثم بث به إلى عبد الله بن طاهر فبث به إلى المعتصم فدخل عليه للنصف من ربيع الآخر فأمر به فحبس في مكان ضيق طوله ثلاثة أذرع في ذراعين ، فكش فيه ثلاثاً ، ثم حول لأوسع منه وأجرى عليه رزق ومن يخدمه ، فلم يزل محبوساً هناك إلى ليلة عيد الفطر فاشتغل الناس بالسيد فدل له جبل من كوة كان يأتيه الضوء منها ، فذهب فلم يدرك فذهب إلى أين صار من الأرض .

وفي يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى دخل إسحاق بن إبراهيم إلى بغداد راجعاً من قتال الخرمية ، ومعه أسارى منهم ، وقد قتل في حربه منهم مائة ألف مقاتل . وفيها بث المعتصم عييفاً في جيش كثيف لقتال الزط الذين عاثوا فساداً في بلاد البصرة ، وقطعوا الطريق ونهبوا الفلات ، فكش في قتالهم تسعة أشهر قهرهم وقمع شرهم وأباد خضراهم . وكان القائم بأمرهم رجل يقال له محمد بن عثمان ومعه آخر يقال له محلق ، وهو داهيتهم وشيطانهم ، فأراح الله المسلمين منه ومن شره .

وفيها توفي سليمان بن داود الهاشمي شيخ الامام أحمد . وعبد الله بن الزبير الحيدري صاحب المسند وتلميذ الشافعي وعلي بن عياش . وأبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري . وأبو بشار الهندي .

(ثم دخلت سنة عشرين ومائتين من الهجرة)

في يوم عاشوراء منها دخل عييف في السفن إلى بغداد ومعه من الزط سبعة وعشرون ألفاً قد جاؤا بالأمان إلى الخليفة ، فأنزلوا في الجانب الشرقي ثم نكحهم إلى عين رومة ، فأغاروا الروم عليهم فاجتاحوهم عن آخرهم ، ولم يفلت منهم أحد . فكان آخر العهد بهم . وفيها عقد المعتصم للأقشين وأصح حيدر بن كلوس على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي لئله الله ، وكان قد استفضل أمره جداً ، وقويت شوكته ، واقتشرت أتباعه في أذربيجان وما والاها ، وكان أول ظهوره في سنة إحدى ومائتين ، وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجيحاً ، فسار الأقشين وقد أحكم صناعة الحرب في الأرصاد وحمارة الحصون وإرصاد المدد ، وأرسل إليه المعتصم مع بنا الكبير أموالاً جزيلة ففقه لمن معه من

الجنود والأتباع ، فالتقى هو وبابك فقتلا قتالا شديداً ، قتل الأفشين من أصحاب بابك خلقاً كثيراً
أزيد من مائة ألف ، وهرب هو إلى مدينته فأوى فيها مكسوراً ، فكان هذا أول ما تضرع من
أمر بابك ، وجرت بينهما حروب يطول ذكرها ، وقد استقصاها ابن جرير .

وفيها خرج المعتصم من بغداد قزلاً القاطول فأقام بها . وفيها غضب المعتصم على الفضل بن
مروان بمد المكاتبة العظيمة ، وعزله عن الوزارة وجلبه وأخذ أمواله وجعل مكانه محمد بن عبد الملك
ابن الزيت . وحج بالناس فيها صالح بن علي بن محمد أمير السنة الماضية في الحج .
وفيها توفي آدم بن أبي إياس . وعبد الله بن رجاء . وعفان بن مسلمة . وقانون أحد مشاهير
القراء . وأبو حذيفة الهندي .

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين)

فيها كانت وقعة هائلة بين بنا الكبير وبابك فهزم بابك بنا وقتل خلقاً من أصحابه . ثم اقتتل
الأفشين وبابك فهزمه أفشين وقتل خلقاً من أصحابه بمد حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير .
وحج بالناس فيها نائب مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى العباسي .

وفيها توفي طاهر بن علي . وعبد الله بن سلم القنبي . وعبدان . وهشام بن عبيد الله الرازي .

(ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائتين)

فيها جهز المعتصم جيشاً كثيراً مدحاً للأفشين على محاربة بابك وبث إليه ثلاثين ألف ألف
درهم فقتل للجنود ، فاقنتلوا قتالا عظيماً ، وافتتح الأفشين البلد مدينة بابك واستباح ما فيها ، وذلك
يوم الجمعة لشرع من رمضان . وذلك بمد محاصرة وحروب هائلة وقتال شديد وجهد جهيد .
وقد أطال ابن جرير بسط ذلك جدا . وحاصل الأمر أنه افتتح البلد وأخذ جميع ما فيه من الأموال
مما قدر عليه .

(ذكر مسك بابك)

لما احتوى المسلمون على بلاد المسي بالبحر وحمل دار ملكه ومقر سلطته هرب بمن معه من أهله
وولده ومعه أمه وامراته ، فأنفرد في شرمسة قليلة ولم يبق معهم طعام ، فاجتازوا بمحراث فبث غلامه
إليه وأعطاه ذهباً فقال : أعطه الذهب وخذ ما معه من الخبز ، فظفر شريك المحراث إليه من بعيد
وهو يأخذ منه الخبز ، فظن أنه قد اغتصبه منه ، فذهب إلى حصن هناك فيه نائب للخلقة يقال له
سهل بن سباط ليستمدى على ذلك الغلام ، فركب بنفسه وجاء فوجد الغلام فقال : ما خبرك ؟
فقال : لا شيء ، إنما أعطيتك دنانير وأخذت منه الخبز . فقال : ومن أنت ؟ فأراد أن يعصى عليه
الخبير فألق عليه فقال : من غلمان بابك ، فقال : وأين هو ؟ فقال : هاهو ذا جالس يريد النداء . فسار
إليه سهل بن سباط فلما رآه ترجل يده وقال : يا سيدي أين تريد ؟ قال : أريد أن أدخل بلاد

الروم ، فقال : إلى عند من تنهب أحرز من حصنى وأنا غلامك وفى خدمتك ؟ وما زال به حتى خدعه وأخذه معه إلى الحصن فأنزله عنده وأجرى عليه التفتات الكثيرة والتحف وغير ذلك ، وكتب إلى الأفشين يمله ، فأرسل إليه أميرين لتقبضه ، قتلوا قريباً من الحصن وكتبوا إلى ابن سبطاط فقال : أيقا مكانكما حتى يأتيكما أمرى . ثم قال ليابك : إنه قد حصل لك هم وضيق من هذا الحصن وقد عزمت على انطروج اليوم إلى الصيد ومنا بزة وكلاب ، فان أحبيت أن تخرج معنا لتشرح صدرك وتذهب همك فافعل . قال : نعم ! فخرجوا وبعث ابن سبطاط إلى الأميرين أن كونوا مكان كذا وكذا فى وقت كذا وكذا من النهار ، فلما كانا بذلك الموضع أقبل الأميران بمن معهما من الجنود فأحاطوا بيابك وهرب ابن سبطاط ، فلما رأوه جاؤا إليه فقالوا : رجل عن دابتك ، فقال : ومن أنا ؟ فذكر أنهما من عند الأفشين ، فترجل حينئذ عن دابته وعليه دراعة بيضاء ونخف قصير وفى يده باز ، فنظر إلى ابن سبطاط فقال : قبضك الله فهلا طلبت منى من المال ما شئت كنت أعطيتك أكثر مما يطيلك هؤلاء ! ثم أركبوه وأخذوه معهم إلى الأفشين ، فلما اقتربوا منه خرج فلقاه وأمر الناس أن يصطفوا صفين ، وأمر يابك أن يترجل فيدخل بين الناس وهو ماش ، ففعل ذلك ، وكان يوماً مشهوداً جداً . وكان ذلك فى شوال من هذه السنة . ثم احتفظ به وسجنه عنده . ثم كتب الأفشين إلى المنتصم بذلك فأمره أن يقدم به وبأخيه ، وكان قد مسكه أيضاً ، وكان اسم أخى يابك عبد الله ، فتجهز الأفشين بهما إلى بغداد فى تمام هذه السنة ففرغت ولم يصل بهما إلى بغداد . وحج بالناس فيها الأمير المنتصم ذكره فى التلى قبلها .

وفىها توفى أبو الجمان الحكيم بن نافع . وعمر بن حفص بن عياش . ومسلم بن إبراهيم . وبجى بن صالح الواحلى . (ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين)

فى يوم الخميس ثالث صفر منها دخل الأفشين وصحبته يابك على المنتصم سامرا ، ومعه أيضاً أخو يابك فى تجهيل عظيم ، وقد أمر المنتصم ابنه هارون الوائلى أن يتلقى الأفشين وكانت أخباره تعد إلى المنتصم فى كل يوم من شدة اعتناؤه المنتصم بأمر يابك ، وقد ركب المنتصم قبل وصول يابك بيومين على البريد حتى دخل إلى يابك وهو لا يعرفه ، فنظر إليه ثم رجع ، فلما كان يوم دخوله عليه تأهب المنتصم واصطف الناس ساططين وأمر يابك أن يركب على فيل ليظهر أمره ويصرفه ، وعليه قباء ديباج وقلنسوة حمور مدورة ، وقد هيئوا القيل وخضبوا أطرافه ولبسوه من الحرير والأمتة التى تليق به شيئاً كثيراً ، وقد قال فيه بعضهم :

قد خضب القيل كماداته • يحمل شيطان خراسان
والقيل لا تخضب أعضاؤه • الا لى شأن من الشأن

ولما أحضر بين يدي المعتصم أمر بقطع يديه ورجليه وجز رأسه وشق بطنه ، ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان وصاب جثته على خشبة بسلاماً ، وكان بابك قد شرب الخمر ليلة قتله وهي ليلة الخميس ثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة . وكان هذا الملمون قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره - وهي عشرون سنة - مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان - قاله ابن جرير - وأسر خلقاً لا يحصون ، وكان جملة من استغنوه الأثني عشر من أسره نحواً من مئتين ألفاً وستة إنسان ، وأسر من أولاده مئتين وخمسة عشر رجلاً ، ومن حلائله وحلائل أولاده ثلاثة وعشرين امرأة من الخواتين ، وقد كان أصل بابك من جارية زرية الشكل جداً ، قال به الحال إلى ما آكل به إليه ، ثم أراح الله المسلمين من شره بعد ما اقتن به خلق كثير وجم غفير من الروم الطغام .

ولما قتله المعتصم توج الأثني عشر وقوله وشاحين من جوهر ، وأطلق له عشرين ألف ألف درهم ، وكتب له بولاية السند ، وأمر الشعراء أن يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل من الخير إلى المسلمين ، وعلى تحريبه بلاد بابك التي يقال لها البذل وتركها إليها قيماناً خراباً . فقالوا في ذلك فأحسنوا ، وكان من جعلهم أبو تمام الطائي وقد أورد قصيدته بتأملها ابن جرير وهي قوله :

بذل الجلال البذل فهو ذليل * ما إن بها إلا الوحوش قطيل
لم يقر هذا السيف هذا الصبر في * هيباء إلا عز هذا الدين
قد كان عذرة سودد فافتننا * بالسيف فعل المشرق الأثني
فأعلاها تموى الثعالب وسطها * ولقد ترى بالأمس وهي عرين
هطلت عليها من حجاج أهلها * ديم إمارتها طلتي وشؤون
كانت من المهجات قبل مغازة * عسراً فأضحت وهي منه معين

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث وعشرين ومائتين - أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ملطية من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة ، قتل فيها خلقاً كثيراً من المسلمين ، وأسر مالا يحصون كثرة ، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من الملمات . ومثل بن وقع في أسره من المسلمين قطع آذانهم وأتوفهم وشمل أعينهم قبضه الله . وكان سبب ذلك أن بابك لما أحيط به في مدينة البذل استوصت الجيوش حوله وكتب إلى ملك الروم يقول له : إن ملك العرب قد جهز إلى جمهور جيشه ولم يبق في أطراف بلاده من يحفظها ، فإن كنت تريد للتنمية فانهض سريعاً إلى ما حاولت من بلاده نخفها فانك لا تجد أحداً يمانعك عنها . فركب توفيل بمائة ألف وانضاف إليه الحمرة الذين كانوا قد خرجوا في الجبال وقتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلم يقدر عليهم لأنهم تحصنوا بتلك الجبال فلما قدم ملك الروم صاروا معه على المسلمين فوصلوا إلى ملطية فقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً

وأُسرُوا نساءهم ، فلما بلغ ذلك المتصم اتزعج لذلك جداً وصرخ في قصره بالغير ، ثم نهض من فوره وأمر بتعبئة الجيوش واستدعى القاضي والشهود فأشهدهم أن ما ملكه من الضياع ثلثه صدقة وثلثه لولده وثلثه لمواليه . وخرج من بغداد فسكر غربي دجلة يوم الاثنين ليلتين خلتا من جمادى الأولى ووجه بين يديه مجيماً وطائفة من الأمراء ومهم خلق من الجيش إغاثة لأهل زيطرة ، فأمرعوا السير فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وانشر راجعا إلى بلاده ، وتفاطر الحال ولم يمكن الاستدراك فيه ، فرجعوا إلى الخليفة لأعلامه بما وقع من الأمر ، قال للأمراء : أي بلاد الروم أنعم ؟ قالوا : عمورية لم يمرض لها أحد منذ كان الاسلام ، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية .

﴿ ذكر فتح عمورية على يد المتصم ﴾

لما تفرغ المتصم من بابك وقته وأخذ بلاده استدعى بالجيوش إلى بين يديه وتجهز جهازاً لم يجهزه أحد كان قبله من الخلفاء ، وأخذ معه من آلات الحرب والأحمال والجمال والقرب والهدوب والنفظ والخيل والبغال شيئاً لم يسمع بمثله ، وسار إلى عمورية في جحافل أمثال الجبال ، وبث الأفشين حيدر بن كلوس من ناحية سروج ، وعبي جيوشه تعبئة لم يسمع بمثلهما ، وقسم بين يديه الأمراء المعروفين بالحرب ، فأنهى في سيره إلى نهر اللى وهو قريب من طرسوس ، وذلك في وجب من هذه السنة . وقد ركب ملك الروم في جيشه قصد نحو المتصم فتقاربا حتى كان بين الجيشين نحو من أربعة فراسخ ، ودخل الأفشين بلاد الروم من ناحية أخرى ، فجاءوا في أثره وضلق ذرعه بسبب ذلك إن هو ناجز الخليفة جاءه الأفشين من خلفه فالتقيا عليه فيهلك ، وإن اشتغل بأحدهما وترك الآخر أخذه من خلفه . ثم اقترب منه الأفشين فسار إليه ملك الروم في شرمة من جيشه واستخلف على بقية جيشه قريباً له فالتقيا هو والأفشين في يوم الخميس لحس بقين من شعبان منها ، فثبت الأفشين في ثاقى الحال وقتل من الروم خلقاً وجرح آخرين ، وتقلب على ملك الروم وبلغه أن بقية الجيش قد شردوا عن قرابته وذهبوا عنه وتفرقوا عليه فأمرع الأوبة فاذا نظام الجيش قد انحل ، فغضب على قرابته وضرب عنقه وجاءت الأخبار بذلك كله إلى المتصم فسرده ذلك وركب من فوره وجاء إلى أقره ووافاه الأفشين بن ميه إلى هناك ، فوجدوا أهلها قد هربوا منه فتقووا منها بما وجدوا من طعام وغيره ، ثم فرق المتصم جيشه ثلاث فرق فالتبنة عليها الأفشين ، والميسرة عليها اشناس ، والمتصم في القلب ، وبين كل عسكري فرسخان ، وأمر كل أمير من الأفشين وأشناس أن يجعل لجيشه ميسنة وميسرة وقلبا ومقدمة وساقة ، وأنهم مهمامروا عليه من القرى حرقوه وخربوه وأسرُوا وغنموا ، وسار بهم كذلك قاصداً إلى عمورية ، وكان بينها وبين مدينة أقره سبع مراحل ، فأول من وصل إليها من الجيش أشناس أمير الميسرة محمودة يوم الخميس لحس خون من رمضان

من هذه السنة ، فصار حولها دورة ثم نزل على ميلين منها ، ثم قسم المنصم صبيحة يوم الجمعة بعده ، فصار حولها دورة ثم نزل قريبا منها ، وقد تحصن أهلها تحصنا شديداً وملأوا أبراجها بالرجال والسلاح ، وهي مدينة عظيمة كبيرة جداً ذات سور منيع وأبراج عالية كبار كثيرة . وقسم المنصم الأبراج على الأمراء فقتل كل أمير تجاه الموضع الذى أقطعه وعينه له ، ونزل المنصم قبالة مكان هناك قد أرشد إليه ، أرشده إليه بعض من كان فيها من المسلمين ، وكان قد تنصر عندهم وتزوج منهم ، فلما رأى أمير المؤمنين والمسلمين رجوع إلى الأسلام وخرج إلى الخليفة فأسلم وأعطاه بمكان في السور كان قد هدمه السيل وبنى بناء ضميئاً بلا أساس ، فنصب المنصم المجانيق حول عمورية فكان أول موضع انهدم من سورها ذلك الموضع الذى حلم عليه ذلك الأسير ، فبادر أهل البلد فسدوه بالثشب الكبار المتلاصقة فألح عليها المتجنق فجعلوا فوقها البرادع ليردوا حدة الحجر فلم تكن شيئاً ، وانهدم السور من ذلك الجانب ونفسخ . فكتب نائب البلد إلى ملك الروم يطلبه بذلك ، وبعث ذلك مع غلامين من قومهم فلما اجتازوا بالجيش في طريقهما أنكر المسلمون أمرهما فسألوهما من أنثى ؟ قالا : من أصحاب فلان . لا أمير سموه من أمراء المسلمين . فحلا إلى المنصم فصرخا فاذما معهما كتاب مناطس نائب عمورية إلى ملك الروم يطلبه بما حصل لهم من الحصار ، وأنه عازم على الخروج من أبواب البلد بمن معه بئنة على المسلمين ومناجزهم القتال كائنات في ذلك ما كان . فلما وقف المنصم على ذلك أمر بالغلادين نفلح عليها ، وأن يعطى كل غلام منها بكرة ، فأسلموا من فورهما فأمر الخليفة أن يطاف بهما حول البلد وعليهما الخلع ، وأن يوقفا تحت حصن مناطس فينثر عليهما الهرايم والخلع ، ومعهما الكتاب الذى كتب به مناطس إلى ملك الروم فجعلت الروم تلغنها وتسبها . ثم أمر المنصم عند ذلك بتجديد الحرس والاحتياط والاحتفاظ من خروج الروم بئنة ، فضاعت الروم فرطاً بذلك ، وألح عليهم المسلمون في الحصار ، وقد زاد المنصم في المجانيق والبلبلات وغير ذلك من آلات الحرب . ولما رأى المنصم عجز خندقها وارتفاع سورها ، أعمل المجانيق في مقاومة السور ، وكان قد غنم في الطريق غنائم كثيرة جداً فزرقها في الناس وأمر أن يأكل كل رجل رأساً ويحشى بجله تراباً فيطرحه في الخندق ، ففعل الناس ذلك فتساوى الخندق بوجه الأرض من كثرة ما طرح فيه من الأغنام ثم أمر بالتراب فوضع فوق ذلك حتى صار طريقاً مهيئاً ، وأمر بالبلبلات أن توضع فوقه فلم يخرج الله إلى ذلك . وبينما الناس في الجسر المردوم إذ هدم المتجنق ذلك الموضع المعب ، فلما سقط ما بين اليرجين سمع الناس هدة عظيمة فظنوا أن الروم قد خرجوا على المسلمين بئنة ، فبعث المنصم من نادى في الناس : إنما ذلك سقوط السور . ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، لكن لم يكن ما هدم يسع التحيل والرجال إذا دخلوا . وقرى الحصار وقد وكلت الروم بكل برج من أبراج السور أميراً يحفظه ،

فضضب ذلك الأمير الذى هدمت ناحية من السور عن مقاومة ما يلقاه من الحصار ، فذهب إلى
 بنطلس فسأله نجيعة فاستمع أحد من الروم أن ينجده وقالوا : لا نترك ما نحن موكلون في حفظه .
 فلما يئس منهم خرج إلى المتعم ليجتمع به : فلما وصل إليه أمر المتعم المسلمين أن يدخلوا
 البلد من تلك الثغرة التى قد خلت من القاتلة ، فركب المسلمون نحوها فجعلت الروم يشيرون إليهم
 ولا يقدرّون على دفعهم ، فلم يلتفت إليهم المسلمون ، ثم تكاثروا عليهم ودخلوا البلد قهراً وتتابع
 المسلمون إليها يكبرون ، وفترقت الروم عن أماكنها فجعل المسلمون يقتلونهم في كل مكان حيث
 وجدوهم ، وقد حشروهم في كنيسة لهم هائلة ففتحوها قسراً وقتلوا من فيها وأحرقوا عليهم باب
 الكنيسة فاحترقت فأحرقوا عن آخرهم ، ولم يبق فيها موضع محصن سوى المكان الذى فيه النائب ،
 وهو منطلس في حصن منيع ، فركب المتعم فرسه وجاء حتى وقف بجذاء الحصن الذى فيه منطلس
 فدأه المنادى ويحك يا منطلس هذا أمير المؤمنين واقف تجاهك . قالوا : ليس بمنطلس هنا
 مرتين . فضضب المتعم من ذلك وولى فنادى منطلس هذا منطلس هذا منطلس . فرجع الخليفة
 ونصب السلام على الحصن وطلست الرسل إليه فقالوا له : ويحك انزل على حكم أمير المؤمنين . فتمنع
 ثم نزل متقلداً سيفاً فوضع السيف في عنقه ثم جرى به حتى أوقف بين يدي المتعم فضربه بالسوط
 على رأسه ثم أمر به أن يمشى إلى مضرب الخليفة مهاتاً إلى الوطاق الذى فيه الخليفة نازل ، فأوقف
 هناك . وأخذ المسلمون من عورية أموالاً لا تحصى ولا وصف فخلعوا منها ما أمكن حمله ، وأمر المتعم
 بإحراق ما بقي من ذلك ، وإحراق ما هناك من المجانيق والهباب والآلات الحرب لئلا يتقوى بها
 الروم على شيء من حرب المسلمين ، ثم انصرف المتعم راجعاً إلى ناحية طرسوس في آخر شوال من
 هذه السنة . وكانت إقامته على عورية خمسة وعشرين يوماً .

ذكر مقتل العباس بن المأمون

كان العباس مع عمه المتعم في غزوة عورية ، وكان عجيف بن عنبسة قد ندمه إذ لم يأخذ الخلافة
 بعد أبيه المأمون بطرسوس حين مات بها ، ولامه على مبايعته عمه المتعم ، ولم يزل به حتى أجابه
 إلى الفتك بعمه وأخذ البيعة من الأمراء له ، وجهز رجلاً يقال له الحارث السمرقندى وكان نديماً
 للعباس ، فأخذ له البيعة من جماعة من الأمراء في الباطن ، واستوثق منهم وقدم إليهم أنه على الفتك
 بعمه ، فلما كانوا بدوب الروم وهم قاصدون إلى أقره ومنها إلى عورية ، أشار عجيف على العباس
 أن يقتل عمه في هذا المضيق ويأخذ له البيعة ويرجع إلى بغداد ، فقال العباس : إني أكره أن
 أعطل على الناس هذه الفزوة ، فلما فتحوا عورية واشتغل الناس بالفتنم أشار عليه أن يقتله فوعده
 مضيق الدرب إذا رجعوا ، فلما رجعوا ضل المتعم بالخير فأمر بالاحتفاظ بقوة الحرس وأخذ بالجزم

واجتهد بالعزم ، واستدعى بالحارث السمرقندي فاستقره فأقر له بجملة الأمر ، وأخذ البيعة للعباس بن المأمون من جماعة من الأمراء أسام له ، فاستكرم المعتصم واستدعى ابن أخيه العباس قتيده وغضب عليه وأهانته ، ثم أنهر له أنه قد رضى عنه وعفا عنه ، فأرسله من القيد وأطلق سراحه ، فلما كان من الليل استدعى إلى حضرته في مجلس شرايه واستخلى به حتى سقاء واستحكاكه عن القدي كان قد برره من الأمر ، فشرح له القضية ، وذكر له القصة ، فاذا الأمر كما ذكر الحارث السمرقندي . فلما أصبح استدعى بالحارث فأخلاه وسأله عن القضية ثانياً فذكرها له كما ذكرها أول مرة ، فقال : ويحك إني كنت حريصاً على ذلك فلم أجد إلى ذلك سبيلاً بصدقك إلي في هذه القصة . ثم أمر المعتصم حينئذ ابن أخيه العباس قتيده وسلم إلى الأفشين ، وأمر بجيف وبقية الأمراء الذين ذكرهم فاحتفظ عليهم ، ثم أخذهم بأنواع التفتات التي اقترحها لهم ، قتل كل واحد منهم بنوع لم يقتل به الآخر ، ومات العباس بن المأمون بتعذيب فدفن هناك ، وكان سبب موته أنه أجاع جوعاً شديداً ، ثم جرى بأكل كثير فأكل منه وطلب الماء فنع منه حتى مات ، وأمر المعتصم بلمنه على النبر وسماه الهين . وقتل جماعة من ولد المأمون أيضاً .

وحج بالناس فيها محمد بن داود . وفيها توفي من الأعيان . بابك الخرمي قتل وصلب كما قمنا . وخلفه بن خراش . وعبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد . ومحمد بن سنان العوفي . وموسى ابن إسماعيل . (ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين)

فيها خرج رجل بأمل طبرستان يقال له مازيار بن قارن بن يزداهرمز ، وكان لا يرضى أن يدفع الخراج إلى نائب خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين ، بل يمشي إلى الخليفة ليقبضه منه ، فبعث الخليفة من يتلقى الحل إلى بعض البلاد ليقبضه منه ثم يدفعه إلى ابن طاهر ، ثم أكل أمره إلى أن وثب على تلك البلاد وأظهر المخالفة للمعتصم . وقد كان المازيار هذا ممن يكاتب بابك الخرمي ويعد به النصر . ويقال إن أقوى قوى رأس مازيار على ذلك الأفشين ليحجز عبد الله بن طاهر عن مقاومته فيؤليه المعتصم بلاد خراسان مكانه ، فبعث إليه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب - أخا إسحاق بن إبراهيم - في جيش كثيف فجرت بينهم حروب طويلة استقصاها ابن جرير ، وكان آخر ذلك أسر المازيار وحمله إلى ابن طاهر ، فاستقره عن الكتب التي بعثها إليه الأفشين فأقر بها ، فأرسله إلى المعتصم وما معه من أمواله التي احتفظت للخليفة ، وهي أشياء كثيرة جداً ، من الجواهر والذهب والتيلب . فلما أوقف بين يدي الخليفة سأله عن كتب الأفشين إليه فأفكرها ، فأمر به فحضر بالسياط حتى مات وصلب إلى جانب بابك الخرمي على جسر بغداد ، وقتل عيون أصحابه وأتباعه . وفيها تزوج الحسن بن الأفشين بآرتجة بنت أشناس ودخل بها في قصر المعتصم بسمرقاني جلدي ،

وكان عرساً حافلاً ، ولله المنعم بنفسه ، حتى قيل إنهم كانوا ينجسون لحا العلة بالغالية . وفيها خرج منكجور الأثروسي قرابة الأفشين بأرض أذربيجان وخلع الطاعة ، وذلك أن الأفشين كان قد استنابه على بلاد أذربيجان حين فرغ من أمر بابك ، فظفر منكجور بمال عظيم مخزون لبابك في بعض البهائم ، فأخذ نفسه وأخناه عن المنعم ، وظهر على ذلك رجل يقال له عبد الله بن عبد الرحمن ، فكتب إلى الخليفة في ذلك فكتب منكجور يكذبه في ذلك ، وم به ليقته فاستنع منه بأهل أردبيل . فلما تحقق الخليفة كذب منكجور بث إليه بنا الكبير فخاره وأخذه بالأمان وجاء به إلى الخليفة . وفيها مات مناطق الرومي نائب عمورية ، وذلك أن المنعم أخذه معه أسيراً فاعتقله بسامرا حتى مات في هذه السنة . وفي رمضان منها مات (إبراهيم بن المهدي بن المنصور) عم المنعم ويعرف بابن شكله ، وكان أسود اللون ضخماً فصيحاً فاضلاً ، قال ابن ماكولا : وكان يقال له الصيقي - يعني لسواده - وقد كان ترجمه ابن عساكر ترجمة حافلة ، وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن الرشيد أخيه مدة سنتين ثم عزله عنها ثم أعاده إليها الثانية فأقام بها أربع سنين . وذكر من عدله وصرامته أشياء حسنة ، وأنه أقام للناس الحج سنة أربع وثمانين ، ثم عاد إلى دمشق ، ولما بويح بالخلافة في أول خلافة المأمون سنة ثنتين ومائتين قاتله الحسن بن سهل نائب بغداد ، فهزمه إبراهيم هذا ، قصده حميد الطوسي فهزم إبراهيم وأخفى إبراهيم ببغداد حين قسمها المأمون ، ثم ظفر به المأمون فضا عنه وأكرمه . وكانت مدة ولايته الخلافة سنة وإحدى عشر شهراً واثناً عشر يوماً ، وكان به اختفائه في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين ، فكث تخفياً ست سنين وأربعة أشهر وعشراً . قال الخطيب : كان إبراهيم بن المهدي هذا وافر الفضل غزير الأدب واسع النفس سخي الكف ، وكان معروف بصناعة الفناء ، حافظاً فيها وقد قل المال عليه في أيام خلافته ببغداد فألح الأعراب عليه في أعطياتهم فجعل يسوف بهم ، ثم خرج إليهم رسوله يقول : إنه لا مال عنده اليوم ، وقال بعضهم : فليخرج الخليفة إلينا فليقن لاهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات . وقال في ذلك دعبل شاعر المأمون ينم إبراهيم بن المهدي :

يا مشر الأعراب لا تفلطوا • خنوا عطاياكم ولا تسخطوا

فسوف يعطيك حنينية • لا تدخل الكيس ولا تربط

والمسديت • لقوادكم • وما بهذا أحد يقبط

فكنا برزق أصحابه • خليفة منصه البربط

وكتب إلى ابن أخيه المأمون حين طال عليه الاختفاء : ولي التار عكم في القصاص والمعفو أقرب لتقوى ، وقد جعل الله أمير المؤمنين فوق كل عفو ، كما جعل كل ذي نسب دونه ، فان عفا

فبفضله وإن عاقب فبحقه . فوقع المأمون في جواب ذلك : القدرة تنهب الحفيظة وكفى بالناس إجابة وعفو الله أوسع من كل شيء . ولما دخل عليه أنشأ يقول :

إن أكن مذنباً غفلت أخطأت * فدع عنك كثرة التائب
قل كما قال يوسف لبي ياقو * ب لما أتوه لا تتريب

قال المأمون : لا تتريب . وروى الخطيب أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون شرع يؤذنه على مافصل قال : يا أمير المؤمنين حضرت أبي وهو جنك وقد أتى برجل ذنبه أعظم من ذنبي فأمر بقتله قال مبارك بن فضالة : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تؤخر قتل هذا الرجل حتى أحذثك حديثاً ، قال : قل . قال : حدثني الحسن البصري عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : ليقيم المافون عن الناس من الخلفاء إلى أكرم الجزاء ، فلا يقوم إلا من عفا . قال المأمون : قد قبلت هذا الحديث بقبوله وعفوت عنك يا عيم . وقد ذكرنا في سنة أربع ومائتين زيادة على هذا . وكانت أشعاره جيدة بليغة سامحة الله . وقد ساق من ذلك ابن عساكر جانباً جيداً .

كان مولد إبراهيم هذا في مستهل ذي القعدة سنة ثنتين وستين ومائة ، وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة .

وفيهما توفي سعيد بن أبي مريم المصري . وسليمان بن حرب . وأبو معمر المقعد . وعلي بن محمد المدائني الأخيرى أحد أئمة هذا الشأن في زمانه . وعمر بن مرزوق شيخ البخاري . وقد تزوج هذا الرجل ألف امرأة . (وأبو عبيد القاسم بن سلام البندادي) أحد أئمة الفقه والحديث والقرآن والأخبار وأيام الناس ، له المصنفات المشهورة المنتشرة بين الناس ، حتى يقال إن الامام أحمد كتب كتابه في الفرييب بيده ، ولما وقف عليه عبد الله بن طاهر رتب له في كل شهر خمسمائة درهم ، وأجراها على ذريته من بعده . وذكر ابن خلكان أن ابن طاهر استحسن كتابه وقال : ما ينبغي لنقل يمش صاحبه على تصنيف هذا الكتاب أن نخرج صاحبه إلى طلب المعاش . وأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر . وقال محمد بن وهب المسمودي : سمعت أبا عبيد يقول : مكنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة . وقال هلال بن المثلث الرقي : من الله على المسلمين بهؤلاء الأربعة : الشافعي تفتقه في الفقه والحديث ، وأحمد بن حنبل في السنة . ويحيى بن معين في نفي الكذب . وأبو عبيد في تفسير غريب الحديث . ولولا ذلك لانتعم الناس المهلاك .

وذكر ابن خلكان أن أبا عبيد ولي القضاء بطرسوس ثمانى عشرة سنة ، وذكر له من العبادة والاجتهاد في العبادة شيئاً كثيراً . وقد روى الفرييب عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي

عبيدة ممبر بن المنفى ، وابن الأعرابي ، والفراء والكسائي وغيرهم . وقال إسحاق بن راهويه : نحن نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا . وقدم بغداد وسمع الناس منه ومن تصانيفه . وقال إبراهيم الحاربي : كان كأنه جبل تنفخ فيه روح ، يحسن كل شيء . وقال أحمد بن كامل القاضي : كان أبو عبيدة فاضلاً ديناراً ربانياً علماً متقناً في أصناف علوم أهل الإيمان والافتقار والاسلام : من القرآن واللغة والعربية والأحاديث ، حسن الرواية صحيح النقل ، لا أعلم أحداً طعن عليه في شيء من علمه وكتبه ، وله كتاب الأموال وكتاب فضائل القرآن ومما به ، وغير ذلك من الكتب المنتفع بها رحمه الله . توفي في هذه السنة قاله البخاري . وقيل في التي قبلها بمكة ، وقيل بالمدينة . وله سبع وستون سنة . وقيل جاوز السبعين فافقه أعلم .

ومحمد بن عثمان أبو الجواهر القميشي الكفرتوي أحد مشايخ الحديث . ومحمد بن الفضل أبو النعمان السدوسي الملقب بمارم شيخ البخاري ومحمد بن عيسى بن الطباع . ويزيد بن عبد ربه الجرجسي الحمصي شيخها في زمانه .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين ﴾

فيها دخل بنا الكبير ومعه منكجور قد أعطى الطاعة بالأمان . وفيها عزل المتعمم جعفر بن دينار عن نيابة اليمن وغضب عليه وولى اليمن إيتاخ . وفيها وجه عبد الله بن طاهر بالمزار فدخل بغداد على بطل كاف فصر به المتعمم بين يديه أربعمائة وخمسين سوطاً ثم سقى الماء حتى مات ، وأمر بصلبه إلى جنب بابك ، وأقر في ضربه أن الأفشين كان يكتبه ويحسن له خلط الطاعة ، فغضب المتعمم على الأفشين وأمر بسجنه ، فبنى له مكان كالناراة من دار الخلافة تسمى الكوة ، إنما تسمه قطع ، وذلك لما تحقق أنه يريد مخالفته وانخروج عليه ، وأنه قد عزم على القهبال بلاد الخزر ليستجيش بهم على المسلمين فاجاله الخليفة بالقبض عليه قبل ذلك كله ، وعقد له المتعمم مجلساً فيه قاضيه أحمد ابن أبي ذؤاد المعتزلي ، ووزيره محمد بن عبد الملك بن الزيت ، وقائمه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، قاتهم الأفشين في هذا المجلس بأشياء تدل على أنه يلق على دين أجداده من الفرس . منها أنه غير مختنن فاعتذر أنه يخاف ألم ذلك ، فقال له الوزير - وهو الذي كان ينظره من بين القوم - فأنت تطاعن بالرماح في الحروب ولا تخاف من طعنها وتخاف من قطع قلعة يديك ؟ ومنها أنه ضرب رجلين إماماً ومؤذناً كل واحد ألف سوط لأنهما هدما بيت أصنام فأنفذه مسجداً . ومنها أنه عنده كتاب كليله ودمته مصوراً فيه الكفر وهو على الجواهر والذهب ، فاعتذر أنه ورعه من أهلهم . واتهم بأن الألعاجم يكتبونه وتكتب إليه في كتبها : أنت إله الآلهة من البعيد ، وأنه يقرم على ذلك . فجعل يعتبر بأنه أجرام على ما كانوا يكتبون به أباه وأجداده ، وخاف أن يأمرهم بترك ذلك فيتضع عنهم .

قال له الوزير: ويحك فإذا أقيمت لفرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى؟ وأنه كان يكاتب المازنير بأثر يخرج عن الطاعة وأنه في ضيق حتى ينصر دين المجوس الذي كان قديماً ويظهره على دين العرب، وأنه كان يستطيب المنخقة على المذبوحة، وأنه كان في كل يوم أربعمائة يستدعى بشاة سوداء فيضربها بالسيف نصفين ويمشي بينهما ثم يأكلها، ففقد ذلك أمر المتعمم بقا الكبير أن يسجنه مهاتماً ذليلاً فجعل يقول: إني كنت أتوقع منكم ذلك.

وفي هذه السنة حل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وزوجته أترجة بنت أشناس إلى سامرا. وحج بالناس فيها محمد بن داود.

وفيهما توفي من الأعيان أصبح بن الفرج، وسعدويه، ومحمد بن سلام البيهقي شيخ البخاري، وأبو عمر الجرمي. وأبو دلف المعجل القيسي الأمير أحد الأجواد.

(وسعيد بن مسعدة)

أبو الحسن الأخفش الأوسط البليخي ثم البصري النحوي، أخذ النحو عن سيبويه وصنف كتباً كثيرة منها كتاب في معاني القرآن، وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك، وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الخبيب على الخليل، وسمى الأخفش لصغر عينيه وضعف بصره، وكان أيضاً أدلع، وهو الذي لا يقيم شفتيه على أسنانه، كان أولاً يقال له الأخفش الصغير بالنسبة إلى الأخفش الكبير، أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد المجري، شيخ سيبويه وأبي عبيدة، فلما ظهر على بن سليمان ولقب بالأخفش أيضاً صار سعيد بن مسعدة هو الأوسط، والمجري الأكبر، وعلى ابن سليمان الأصغر. وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين.

(الجرمي النحوي)

وهو صالح بن إسحاق البصري، قدم بغداد وانظر بها الفراء، وكان قد أخذ النحو عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وصنف كتباً منها الفرخ - يعني فرخ كتاب سيبويه - وكان فيها فاضلاً نحوياً بارعاً علماً بالغة حافظاً لها، ديناً ورعاً حسن المنهج، صحيح الاعتقاد وروى الحديث. ذكره ابن خلكان وروى عنه المبرد، وذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان.

(ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين)

في شعبان منها توفي الأفشين في المجلس فأمر به المتعمم فصلب ثم أحرق وفردى رماده في دجلة واحتيط على أمواله وحواصله فوجدوا فيها أصلاً مكحلة بنهب وجواهر، وكتباً في فضل دين المجوس وأشياء كثيرة كان يهتم بها، تدل على كفره وزندقته، وتحقق بسببها ما ذكر عنه من الانتهاء إلى

دين آياته الجوس . وحج بالناس فيها محمد بن داود .
وفيه توفى إسحاق القروى . وإسماعيل بن أبى أوس . ومحمد بن داود صاحب التفسير . وغسان
ابن الربيع . ويحيى بن يحيى القمى شيخ مسلم بن الحجاج . ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين
(وأبو دلف المجلى)

عيسى بن إدريس بن مقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعى بن عبد العزيز بن دلف
ابن جشم بن قيس بن سعد بن مجل بن لحيم الأمير أبو دلف المجلى أحد قواد المأمون والمتهم وإليه
ينسب الأمير أبو نصر بن ماكولا ، صاحب كتاب الاكل . وكان القاضي جلال الدين خطيب
دمشق القزوينى يزعم أنه من سلالة ، ويذكر نسه إليه ، وكان أبو دلف هذا كريماً جواداً ممدحاً ،
قد قصده الشراء من كل أوب ، وكان أبو تمام الطائى من جملة من يشبه ويستمتع نداء ، وكانت
لديه فضيلة فى الأدب والفناء ، وصنف كتباً منها سياسة الملوك ، ومنها فى الصيد والنبزاة . وفى السلاح
وغير ذلك . وما أحسن ما قال فيه بكر بن النطاط الشاعر :

يا طالباً للكيما وعلمه • مدح ابن عيسى الكيما الأعظم
للم يكن فى الأرض إلا درم • ومدحه لا تترك ذاك الدرهم

فيقال : إنه أعطاه على ذلك عشرة آلاف درم ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وكان يستدين ويعطى ،
وكان أبوه قد شرع فى بناء مدينة الكرخ قلت ولم يتمها فأتىها أبو دلف ، وكان فيه تشيع ، وكان يقول :
من لم يكن متغالياً فى التشيع فهو ولد زنا . فقال له ابنه دلف : لست على منهك يا أبة . فقال :
والله لقد ولدت أملك قبل أن أشتريها ، فهذا من ذاك . وقد ذكر ابن خلكان أن ولده رأى فى المنام
بعد وفاة أبيه أن آتياً أتاه فقال : أجب الأمير ! قال فقامت معه فأدخلني داراً وحشة وعرة سوداء
الحيطان مغلقة السقوف والأبواب . ثم أصعدني فى درج منها ثم أدخلني غرفة ، وإذا فى حيطانها
أثر النيران ، وفى أرضها أثر الزماد ، وإذا بأبى فيها وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال لى
كلستهم : أدلف ؟ قلت دلف . فأنتأ يقول :

أبلغن أهلنا ولا تخف عنهم • ما لقينا فى البرزخ الخلق

قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا • فزعموا وحشى وما قد ألقى

ثم قال : أفهت ؟ قلت : نعم ! ثم أنتأ يقول :

هو أنا إذا متنا تركنا • لكان للموت راحة كل حى

ولكننا إذا متنا بشنا • ونسأل بدمه عن كل شى

ثم قال : أفهت ؟ قلت : نعم . واقبعت .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين ﴾

فيها خرج رجل من أهل التنور بالشام يقال له أبو حرب المبرقع البعالي ، تغلق الطاعة ودعا إلى نفسه . وكان سبب خروجه أن رجلا من الجند أراد أن يقتل في منزله عند امرأته في غيبته فافتته المرأة فضر بها الجندى في يدها فأثرت الضربة في معصمها . فلما جاء بعلمها أبو حرب أخبرته فذهب إلى الجندى وهو غافل قتلته ثم تحصن في رؤس الجبال وهو مبرقع ، فلما جاء أحد دله إلى الأمر بالمروق والتهى عن النكر ويمن من السلطان ، فاتبه على ذلك خلق كثير من الحرائث وغيرهم ، وقالوا : هذا هو السفيناني المذكور أنه ملك الشام ، فاستفعل أمره جدداً ، واتبه نحو من مائة ألف مقاتل ، فبعث إليه المنتصم وهو في مرض موته جيشاً نحواً من مائة ألف مقاتل ، فلما قدم أمير المنتصم بمن معه وجددم أمة كثيرة وطائفة كبيرة ، قد اجتمعوا حول أبي حرب ، فغشى أن يواقمه والحالة هذه ، فانتظر إلى أيام حرث الأراضى ففرق عنه الناس إلى أراضيه ، وبقى في شردمة قليلة فهاضه فأسره وفرق عنه أصحابه ، وحمله أمير السرية وهو رجاء بن أيوب حتى قسم به على المنتصم ، فلما المنتصم في تأخره عن مناجزته أول ما قدم الشام ، قال : كان معه مائة ألف أو يزيدون ، فلم أزل أطاوله حتى أمكن الله منه ، فشكره على ذلك .

وفيها في يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول من هذه السنة كانت وفاة أبي إسحاق محمد المنتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور .

﴿ وهذه ترجمته ﴾

هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المنتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي يقال له المثنى لأنه ثمان ولد العباس ، وأنه ثامن الخلفاء من ذريته ، ومنها أنه فتح ثمان فتوحات ، ومنها أنه أظم في الخلافة ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام . وقيل ويومين ، وأنه ولد سنة ثمانين ومائة في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة ، وأنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون سنة ، ومنها أنه خلف ثمانية بنين وثمانى بنات ، ومنها أنه دخل بغداد من الشام في مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين بعد استكمال ثمانية أشهر من السنة بعد موت أخيه المأمون ، قالوا : وكان أمياً لا يحسن الكتابة ، وكان سبب ذلك أنه كان يتردد معه إلى الكتاب غلام فأتى الغلام فقال له أبوه الرشيد : ما فعل غلامك ؟ قال : مات فاستراح من الكتاب ، فقال الرشيد : وقد بلغ منك كراهة الكتاب إلى أن تجعل الموت راحة منه ؟ والله يا بني لا تذهب بعد اليوم إلى الكتاب . فتركه فكان أمياً ، وقيل بل كان يكتب كتابة ضمنية . وقد أسند الخطيب من طريقه عن آله حديثين منكرين أحدهما في ذم بني أمية ودمع بني العباس من الخلفاء ، والثاني في النهي عن الحيلة يوم الخميس . وذكر فيسند

عن المنعم أن ملك الروم كتب إليه كتاباً يهدمه فيه قال للمكتب اكتب : قد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيلم الكفار لمن عقي الفار . قال انطيطيب : غزا المنعم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، فأثكى نكابة عظيمة في العدو ، وفتح عمورية وقتل من أهلها ثلاثين ألفاً وسبى مثلهم ، وكان في سبيه ستون بطريقاً ، وطرح النار في عمورية في سائر نواحيها فأحرقها وجاء بنائها إلى العراق وجاء بيابها أيضاً معه وهو منصوب حتى الآن على أحد أبواب دار الخلافة مما يلي المسجد الجامع في القصر . وروى عن أحمد بن أبي دؤاد القاضي أنه قال : ربما أخرج المنعم ساعده إلى وقال لي : عض يا أبا عبد الله بكل ما تقدر عليه ، فأقول إنه لا تطيب نفسي يا أمير المؤمنين أن أعض ساعدك ، فيقول : إنه لا يضرك . فأكدم بكل ما أقدر عليه فلا يؤثر ذلك في يده . وصر يوماً في خلافة أخيه بمخيم الجند فإذا امرأة تقول : ابني ابني ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : ابني أخذني صاحب هذه الخيمة . فجاء إليه المنعم فقال له : أطلق هذا الصبي ، فامتنع عليه فقبض على جسده بيده فسمع صوت عظامه من تحت يده ، ثم أرسله فسقط ميتاً وأمر بأخراج الصبي إلى أمه . ولما ولى الخلافة كان شهيداً له همة عالية في الحرب ومهابة عظيمة في القلوب ، وإنما كانت نهيمته في الاتفاق في الحرب لاقى البناء ولا في غيره .

وقال أحمد بن أبي دؤاد : تصدق المنعم على يدي ووهب ما قيمته مائة ألف ألف درهم . وقال غيره : كان المنعم إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : دخلت يوماً على المنعم وعنده قينة له تغنيه فقال لي : كيف تراها ؟ قلت له : أراها تقهر بمحقق ، ويحتله برفق ، ولا تخرج من شيء إلا إلى أحسن منه ، وفي صوتها قطع شذور ، أحسن من نظم الدر على النحور . قال : والله لصفنتك لها أحسن منها ومن غنلها . ثم قال لابنه هارون الوائلي ولي عهده من بعده : اسمع هذا الكلام . وقد استغنم المنعم من الأتراك خلقاً عظيماً كان له من الممالك الترك قريب من عشرين ألفاً ، وملك من آلات الحرب والهدوب ما لم يتفق لغيره . ولما حضرته الوفاة جل يقول (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وقال : لو علمت أن عمري قصير ما فعلت . وقال : إني أحدث هذا الخلق ، وجعل يقول : ذهبت الحيل فلا حيلة . وروى عنه أنه قال في مرض موته : اللهم إني أخلفك من قبلي ولا أخلفك من قبلك ، وأرجوك من قبلك ولا أرجوك من قبلي .

كانت وفاته بسر من رأى في يوم الخميس ضحى لسبعة عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة . أعني سنة سبع وعشرين ومائتين . وكان مولده يوم الاثنين لمشرخلون من شعبان سنة ثمانين ومائة ، وولى الخلافة في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وكان أبيض . أصهب العجبة

طويلها مربوعاً مشرب اللون ، أمه أم ولد اسمها ماردة ، وهو أحد أولاد ستة من أولاد الرشيد ، كل منهم اسمه محمد ، وهم أبو إسحاق محمد المنتصم ، وأبو العباس محمد الأمين ، وأبو عيسى محمد ، وأبو أحمد ، وأبو يعقوب ، وأبو أيوب . قال هشام بن الكلبي . وقد ولي الخلافة بعده ولده هارون الواثق . وقد ذكر ابن جرير أن وزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات رثاه فقال :

قد قلت إذ غيبوك واصطقلت * عليك أيدي التراب والطين

أذهب فعمم الحفيظ كنت على لا * دنيا ونعم الظهير للدين

لا جبر الله أمة قدمت * مثلك إلا بمنزل هارون

وقال مروان بن أبي الجنوب - وهو ابن أخي حفصة - :

أبو إسحاق مات ضحى فتنا * وأمسينا بهارون حيننا

لئن جاء الخميس بما كرهنا * لقد جاء الخميس بما هويتنا

(خلافة هارون الواثق بن المنتصم)

ربيع له بالخلافة قبل موت أبيه يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة سبع وعشرين ومائتين - ويكنى أبا جعفر ، وأمّه أم ولد رومية يقال لها قراطيس ، وقد خرجت في هذه السنة قاصدة الحج فماتت بالحيرة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى ، وذلك لأربع خلون من ذى القعدة من هذه السنة ، وكان الذي أقام للناس الحج فيها جعفر بن المنتصم وفيها توفي ملك الروم توفيل بن ميخائيل ، وكانت مدة ملكه ثلثي عشرة سنة ، فملك الروم بعده امرأته تدور . وكان ابنها ميخائيل بن توفيل صغيراً . وفيها توفي :

﴿ بشر الحافي الزاهد المشهور ﴾

وهو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاه بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي ، نزيل بغداد . قال ابن خلكان : وكان اسم جده عبد الله الفيور ، أسلم على يدي علي بن أبي طالب . قلت : وكان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة ، وسمع بها شيئاً كثيراً من حماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وابن مهدي ، ومالك ، وأبي بكر بن عياش ، وغيرهم . وعنه جماعة منهم أبو خيثمة ، وزهير بن حرب ، وسري السقطي ، والعباس بن عبد العظيم ، ومحمد بن حاتم . قال محمد بن سعيد : سمع بشر كثيراً ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ولم يحدث ، وقد أنفى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهادته وورعه ونسكه وتقشفه . قال الأمام أحمد يوم بلغه موته : لم يكن له نظير إلا طاهر بن عبد قيس ، ولو تزوج لم أمره . وفي رواية عنه أنه قال : ماركك بعده مثله . وقال إبراهيم الحربي : ما أنجزت ببغداد أتم عقلاً منه ، ولا أحفظ لسانه منه ، ما عرف له غيبة

لمسلم ، وكان في كل شجرة منه عقل . ولو قسم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء . وذكر غير واحد أن بشراً كان شاطرآ في بده أمره ، وأن سبب توبته أنه وجد رقعة فيها اسم الله عز وجل في آتون حمام فرفضها ورفض طرفه إلى السماء وقال : سيدي اسمك ههنا ملقي يداس ! ثم ذهب إلى عطار فاشتري بدمهم غالية وضمخ تلك الرقعة منها ووضعها حيث لا تتال ، فاحيي الله قلبه وألهمه رشده وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة .

ومن كلامه : من أحب الدنيا فليتها للقل . وكان بشرياً كل الخبز وحده قليل له : أما لك آدم ؟ قال : بلى أذكر العافية فأجعلها أدماً . وكان لا يلبس فلان بل يمشي حافياً ، فجاء يوماً إلى باب فطرته قليل من ذا ؟ قال : بشر الحافي . قالت له جارية صغيرة : لو اشتري فلان بدمهم لأذهب عنه اسم الحافي (١) . قالوا : وكان سبب تركه النمل أنه جاء مرة إلى حذاء فطلب منه شراً كان له فقال : ما أكثر كلفتكم يا فقراء على الناس ؟ فطرح النمل من يده وخلع الأخرى من رجله وحلف لا يلبس فلان أبداً .

قال ابن خلكان : وكانت وفاته يوم عاشوراء ، وقيل في رمضان ببغداد ، وقيل بمر . قلت : الصحيح ببغداد في هذه السنة ، وقيل في سنة ست وعشرين والأول أصح والله أعلم . وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم ، فأخرج بعد صلاة الفجر فم يستقر في قبره إلا بعد السنة . وكان على المدائني وغيره من أئمة الحديث يصيح بأعلا صوته في الجنازة : ههنا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة . وقد روى أن الجن كانت تنوح عليه في بيته الذي كان يسكنه . وقد رآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ولكل من أجبني إلى يوم القيامة . وذكر الخطيب أنه كان له أخوات ثلاث وهن : حجة . ومضفة ، وزبدة . وكلهن عابدات زاهدات مثله وأشد ورعاً أيضاً . ذهبت إحداهن إلى الإمام أحمد بن حنبل فقالت : إني ربما طقت السراج وأنا أغزل على ضوء القمر فهل على عند البيع أن أبيع ههنا من ههنا ؟ قال : إن كان بينهما فرق فيزى للشترى . وقالت له مرة إحداهن : ربما تمر بنا شاعل بن طاهر في الليل ونحن فنزل فننزل الطاق والطاقين والطاقات فغصنى من ذلك . فأمرها أن تصدق بذلك النزل كله لما اشتبه عليها من معرفة ذلك المقدار . وسألته عن اثنين المريض أفييه شكوى ؟ قال لا ! إنما هو شكوى إلى الله عز وجل . ثم خرجت فقال لابنته عبد الله : يا بني اذهب خلفها فاعلم لي من هذه المرأة ؟ قال عبد الله : فنهبت ورامها فاذا هي قد دخلت دار بشر ، وإذا هي أخته حجة .

وروى الخطيب أيضاً عن زبدة قالت : جاء ليلة أخي بشر فنخل برجله في النار وبقيت

(١) في المصرية : ما وجدنا اثنين يشتري بهما فلان ويستريح من ههنا الاسم ؟ .

الأخرى خارج القمار ، فاستمر كذلك ليلته حتى أصبح ، فقيل له فم تفكرت ليلتك ؟ فقال :
تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودى وبشر المجوسى وفى نفسى لأن اسمى بشر ، قلت فى
نفسى : ما الذى سبق لى من الله حتى خصنى بالإسلام من بينهم ؟ فتفكرت فى فضل الله على وحدته
أن هدانى للإسلام ، وجعلنى ممن خصه به ، وألبسنى لباس أحبائه . وقد ترجمه ابن عساکر فأنطب
وأطيب وأطال من غير ملال ، وقد ذكر له أشعاراً حسنة ، وذكر أنه كان يمثل بهذه الأبيات :

تماف التذى فى الماء لا تستطيمه • وتكرع من حوض الذنوب فقتشرب
وتؤثر من أكل الطعام ألقه • ولا تذكر الخنثار من أين يُكسب
وترقد يأسكين فوق تمارق • وفى حشوها تار عليك تلهب
حتى متى لا تستفيق جهالة • وأنت ابن سبعين بدئك تلعب

ومن توفى فيها أحمد بن يونس . وإسماعيل بن عمرو البجلي . وسعيد بن منصور صاحب السنن
المشهوره التى لا يشاركه فيها إلا القليل . ومحمد بن الصباح الدولابى . وله سنن أيضاً . وأبو الوليد
الطيالسى . وأبو الهذيل الملاف المتكلم المعتزلى . والله أعلم .

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين)

فى رمضان منها خلع الواثق على أشناس الأمير ، وتوجه وألبسه وشاحين من جوهر وحج بالناس
فيها محمد بن داود الأمير . وغلا السر على الناس فى طريق مكة جداً ، وأصابهم حر شديد وم
برقة ، ثم أعقبه برد شديد ومطر عظيم ، كل ذلك فى ساعة واحدة ، وزل عليهم وممى مطر لم ير
مثله ، وسقطت قطعة من الجبل عند جرة العقبة قتلت جماعة من الحجاج .

قال ابن جرير : وفيها مات أبو الحسن المدائنى أحد أئمة هذا الشأن فى منزل إسحاق بن إبراهيم
الموصلى . وحبيب بن أوس الطائى أبو تمام الشاعر

قلت أما أبو الحسن المدائنى فاسمه على بن المدائنى أحد أئمة هذا الشأن ، وإمام الأخباريين فى
زمانه ، وقد قدمنا ذكر وفاته قبل هذه السنة . وأما

(أبو تمام الطائى الشاعر)

صاحب الحماسة التى جمعها فى فضل النساء بهمدان فى دار وزيرها . فهو حبيب بن أوس بن
الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى أبو تمام الطائى الشاعر الأديب . وقتل الخطيب عن محمد بن
يحيى الصولى أنه حكى عن بعض الناس أنهم قالوا : أبو تمام حبيب بن تدرس النصرانى ، فهما
أبوه حبيب أوس بدل تدرس . قال ابن خلكان : وأصله من قرية جلم من عمل الجيود بالقرب من
طبرية ، وكان يمشق يعمل عند حائك ، ثم سار به إلى مصر فى شبثته . وابن خلكان أخذ ذلك

من تاريخ ابن عساکر ، وقد ترجم له أبو تمام ترجمة حسنة . قال الخطيب : وهو شامي الأصل ، وكان
بمصر في حياته يسقى الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس بعض الأدياء فاختف عنهم وكان فطناً فهمياً ،
وكان يحب الشعر فلم يزل يمانيه حتى قال الشعر فأجاده ، وشاع ذكره وبلغ المنتعم خبره فحمله إليه
وهو بسر من رأى ، فعمل فيه قصائد فاجازته وقدمه على شعراء وقته ، قدم بغداد فجالس الأدياء
وعشر العلماء ، وكان موصوفاً بالطرف وحسن الأخلاق . وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر أخباراً
بسند . قال ابن خلكان : كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع وغير
ذلك ، وكان يقال : في ملي ثلاثة : حاتم في كرمه ، وداد الطائي في زهد ، وأبو تمام في شره . وقد
كان الشعراء في زمانه جماعة فمن مشاهيرهم أبو الشيص ، ودعبل ، وابن أبي قيس ، وكان أبو تمام من
خيرهم ديناً وأدباً وأخلاقاً . ومن رفيق شره قوله : —

يا حليف الندى يا ممدن الجود • يا خير من حوت التريضا
ليت حماك بي وكان لك الأجر • ر فلا تشككي وكنت المريضا

وقد ذكر الخطيب عن إبراهيم بن محمد بن عرفة أن أبا تمام توفي في سنة إحدى وثلاثين ومائتين
وكذا قال ابن جرير . وحكى عن بعضهم أنه توفي في سنة إحدى وثلاثين ، وقيل سنة ثنتين وثلاثين
فألفه أعلم . وكانت وفاته بالموصل ، وبقيت على قبره قبة ، وقد رثاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات
فقال :

نبأ أني من أعظم الأنبياء • لما ألم بمقلل الأحشاء
قالوا حبيب قد نوى فأجبنهم • ناشدكم لا تبجلوه الطائي
وقال غيره : فجع القريض بفنم الشعراء • وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتا مما فتجاوزا في حفرة • وكذلك كانا قبل في الأحياء

وقد جمع الصولي شعر أبي تمام على حروف المعجم . قال ابن خلكان : وقد امتدح أحمد بن
المنتعم ويقال ابن المأمون بقصيدته التي يقول فيها :

إقدام عمرو في ساحة حاتم • في حلم أحف في ذكاه إيلس

فقال له بعض الحاضرين : أقول هذا لأمر المؤمنين وهو أكبر قدراً من هؤلاء ؟ فانك ما زدت
على أن شبهته بأجلاف من العرب البوادي . فأطرق إطراقة ثم رفع رأسه فقال :

لا تنكر واضربي له من دونه • مثلا شروداً به في الندى والنباس

فألفه قد ضرب الأقل لنوره • مثلاً من المشكاة والنبراس

قال : فلما أخذوا القصيدة لم يجيؤوا فيها هذين البيتين ، وإنما ظلموا أرتجالاً . قال : ولم يشهد
هذا إلا قليلاً حتى مات . وقيل إن الخليفة أعطاه الموصل لما ندمه بهذه القصيدة ، فأقام بها أربعين

يوماً ثم مات . وليس هذا بصحيح ، ولا أصل له ، وإن كان قد هج به بعض الناس كالرخشري وغيره . وقد أورد له ابن عساكر أشياء من شره مثل قوله : —

ولو كانت الارزاق تجري على الحجا • هلكن إذا من جهلن البهائم
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد • ولا المجد في كف امرئ والدرام
ومنه قوله : وما أنا بالنيران من دون غرسه • إذا أنا لم أصبح غبوراً على العلم
طبيب فؤادى مذ ثلاثين حجة • ومنهب همى والمفرج للغم

وفياتوفى أبو نصر الفارابي . والبس . وأبو الجهم . ومسدد . وداود بن عمرو الضبي . ويحيى بن عبد الحميد الحناني . (ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين)

فيها أمر الوائقي بقوبة الدواوين وضربهم واستخلاص الأموال منهم ، لظهور خياناتهم وإسرافهم في أمورهم ، فنهى من ضرب ألف سوط وأكثر من ذلك وأقل ، ومنهم من أخذ منه ألف ألف دينار ، ودون ذلك ، وجاهر الوزير محمد بن عبد الملك لسائر ولاة الشرط بالعداوة فسفوا وجسوا ولفوا شرّاً عظيماً ، وجهداً جيداً ، وجلس إسحاق بن إبراهيم للنظر في أمرهم ، وأقيموا للناس وافترضوا هم والدواوين فضيحة بليغة . وكان سبب ذلك أن الوائقي جلس ليلة في دار الخلافة وجلسوا يسرون عنده ، فقال : هل منكم أحد يعرف سبب عقوبة جدى الرشيد للبرامكة ؟ فقال بعض الحاضرين : نعم يا أمير المؤمنين ! سبب ذلك أن الرشيد عرض له جارية فأعجبها جمالها فساوم سيدها فيها فقال : يا أمير المؤمنين إني أقسمت بكل يمين أن لا أبيعها بأقل من مائة ألف دينار ، فاشترأها منه بها وبث إلى يحيى بن خالد الوزير ليعيث إليه بالمال من بيت المال ، فاعتل بأنها ليست عنده ، فأرسل الرشيد إليه يؤنبه ويقول : أما في بيت مالى مائة ألف دينار ؟ وألح في طلبها فقال يحيى بن خالد : أرسلوها إليه دراهم ليستكثرها ، ولعله يرد الجارية . فبعثوا بمائة ألف دينار دراهم ووضعوها في طريق الرشيد وهو خارج إلى الصلاة ، فلما اجتاز به رأى كوماً من دراهم ، فقال : ما هذا قالوا : نمن الجارية ، فاستكثر ذلك وأمر بخزنها عند بعض خدमे في دار الخلافة ، وأعجبه جمع المال في حواصله ، ثم شرع في تتبع أموال بيت المال فإذا البرامكة قد استهلكوها ، فجعل يهيم بهم تارة يريد أخذهم وهلاكهم ، وتارة يحجم عنهم ، حتى إذا كان في بعض الليالي عمر عنده رجل يقال له أبو المود فأطلق له ثلاثين ألفاً من الدراهم ، فذهب إلى الوزير يحيى بن خالد بن برمك فطلبها منه فأعطاه مائة طوية ، فلما كان في بعض الليالي في السر عرض أبو المود بفلك الرشيد في قول عمر بن أبي ربيعة :

وعدت هند وما كادت تمد • ليت هنداً أبجزت ما تمد
.. واستبدت مرة واحدة • إنما العاجز من لا يستبد

فجعل الرشيد يكره قوله : إنما العاجز من لا يستبد ، ويستجبه ذلك . فلما كان الصباح دخل عليه يحيى بن خالد فأشده الرشيد هذين البيتين وهو يستحسنهما ، فهم ذلك يحيى بن خالد وخاف وسأل عن من أنشد ذلك للرشيد ؟ قيل له أبو المود . فبعث إليه وأعطاه الثلاثين ألفاً وأعطاه من عنده عشرين ألفاً ، وكذلك ولداه الفضل وجعفر ، فما كان عن قريب حتى أخذ الرشيد البرامكة ، وكان من أمرهم ما كان .

فلما سمع ذلك الواثق أعجبه ذلك وجعل يكره قول الشاعر : إنما العاجز من لا يستبد . ثم بطش بالكتاب وهم الهوادين على إثر ذلك ، وأخذ منهم أموالاً عظيمة جداً . وفيها حج بالناس أمير السنة الماضية وهو أمير الحجيج في السنتين الماضيتين .

وفيها توفي خلف بن هشام البزار أحد مشاهير القراء ، وعبد الله بن محمد السندی ، ونعيم بن حاد الخزازي أحد أئمة السنة بعد أن كان من أكابر الجهمية ، وله المصنفات في السنن وغيرها ، وبار بن عبد الله المنسوب إليه النسخة المكفوفة عنه أو منه ، ولكنها عالية الاسناد إليه ، ولكنها موضوعة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين ﴾

في جمادى منها خرجت بنو سليم حول المدينة النبوية فقاتلوا في الأرض فساداً ، وأخافوا السبيل ، وقاتلهم أهل المدينة فهزموها أهلها واستحوذوا على ما بين المدينة ومكة من المناهل والقرى ، فبعث إليهم الواثق بنو الكبير أبو موسى التركي في جيش فقاتلهم في شعبان قتل منهم خمسين فارساً وأسر منهم وأنهمز بقتلهم ، فغضبهم إلى الأمان وأن يكونوا على حكم أمير المؤمنين ، فاجتمع إليه منهم خلق كثير ، فدخل بهم المدينة وسجن رؤسهم في دار يزيد بن معاوية وخرج إلى الحج في هذه السنة ، وشهد معه الموسى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب نائب العراق . وفيها حج بالناس محمد بن دواد المتقدم . وفيها توفي : ﴿ عبد الله بن طاهر بن الحسين ﴾

نائب خراسان وما والاها . وكان خراج ما تحت يده في كل سنة ثمانية وأربعمائة ألف درهم ، فولى الواثق مكانه ابنه طاهر . وتوفي قبله أثناس التركي بقسعة أيام ، يوم الاثنين لأحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من هذه السنة . وقال ابن خلكان : توفي سنة ثمان وعشرين بمرو ، وقيل بنيسابور . وكان كريماً جواداً ، وله شعر حسن ، وقد ولي نيابة مصر بعد العشرين ومائتين . وذكر الوزير أبو القاسم بن المزي أن البطيخ المبدلوى الذي بمصر منسوب إلى عبد الله بن طاهر هذا . قال ابن خلكان : لأنه كان يستطيه ، وقيل لأنه أول من زرعه هناك والله أعلم . ومن جيد شعره :

اغفر زلتى لتحرز فضل الله • كرمنى ولا يفوتك أجرى

لا تكلني إلى التوسل بالمذ * ر لعل ان لا أقوم بعزى
ومن شعره قوله: نحن قوم يلقينا الخلد والنح * ر على اتنا نلين الحديدنا
طوخ ايدي الصبا تصيدنا العي * ن ومن شأنا نصيد الأسود
تملك الصيد ثم تملكنا اليد * ض المصيثلت أعينا وخدودا
تتقى سخطنا الأسود ونخشى * سقط الخشف حين تبدى القودا
فترانا يوم الكرمه أحرأ * رأ وفي السلم لغواني عبيدا
قال ابن خلكان : وكان خزاعياً من موالى طليحة الطلحات الخزاعي ، وقد كان أبو تمام يمدحه ،
فسفل إليه مرة فأضافه الملح بهمدان فصنف له كتاب الحماة عند بعض نسائه [ولما ولده المأمون
نيابة الشام ومصر صار إليها وقد رسم له بما في ديار مصر من الحواصل ، فحل إليه وهو في أثناء الطريق
ثلاثة آلاف ألف دينار ، ففرقها كلها في مجلس واحد ، وأنه لما واجه مصر فطر إليها فاحتقرها وقال :
قيح الله فرعون ، ما كان أخسه وأضعف همته حين تبجح وتعاظم بملك هذه القرية ، وقال : أنا ربكم
الأعلى . وقال : أليس لي ملك مصر . فكيف لورأى ينداد وغيرها ^(١)]
وفيهما توفي علي بن جند الجوهري . ومحمد بن سعد كاتب الواقدي مصنف كتاب الطبقات
وغيره . وسعيد بن محمد الجرمي

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين ﴾

ففيها وقعت مفاداة الأسارى المسلمين الذين كانوا في أيدي الروم على يدي الأمير خاقان الخادم
وذلك في الحزم من هذه السنة ، وكان عدة الأسارى أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين أسيراً .
وفيهما كان مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله وأكرم مثواه
وكان سبب ذلك أن هذا الرجل وهو أحمد بن نصر بن مالك بن الحيثم الخزاعي وكان جده مالك
ابن الحيثم من أكبر القادة إلى دولة بني العباس الذين قتلوا ولده هذا ، وكان أحمد بن نصر هذا له
وجهة ورياسة ، وكان أبوه نصر بن مالك ينشأه أهل الحديث ، وقد يايه العامة في سنة إحدى
ومائتين على القيام بالأمر والنهي حين كثرت الشطار والدعار في غيبة المأمون عن بغداد كما تقدم
ذلك ، وبه تعرف سوية نصر ببغداد ، وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والبيان والعمل الصالح
والاجتهاد في الخير ، وكان من أئمة السنة الأسمرين للمرؤف والنهيين عن المنكر ، وكان ممن يدعو
إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، وكان الواقف من أشد الناس في القول بخلق
القرآن ، يدعو إليه ليلا ونهاراً ، سرا وجهاراً ، اعتاداً على ما كان عليه أبوه قبله وعنه المأمون ، من
(١) سقط من المصرية .

غير دليل ولا برهان ، ولا حجة ولا بيان ، ولا سنة ولا قرآن . قدام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، في أشياء كثيرة دعا الناس إليها . فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد ، واتفق عليه من الألوف أعداد ، وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر هذا رجلان وهما أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي ، وآخر يقال له طالب يدعو أهل الجانب الغربي فاجتمع عليه من الثلاثين ألف كثيرة ، وجماعات غزيرة ، فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخراساني في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والخروج على السلطان لبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن ، ولما هو عليه وأمرأؤه وحاشيته من المماص والتواش وغيرها . فتواعدوا على أنهم في الليلة الثالثة من شعبان - وهي ليلة الجمعة - يضرب طبل في الليل فيجتمع الذين يابسون في مكان اتفقوا عليه ، وأنفق طالب وأبو هارون في أصحابه ديناراً ديناراً ، وكان من جملة من أعطوه رجلان من بني أشرس ، وكانا يتعاطيان الشراب ، فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من أصحابهم واعتقدا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد ، وكان ذلك قبله ليلة ، فقاما يضربان على طبل في الليل ليجتمع إليهما الناس ، فلم ينجي أحد وانخرم النظام وجمع الحرس في الليل فأعلموا نائب السلطنة ، وهو محمد بن إبراهيم بن مصعب ، وكان نائباً لأخيه إسحاق بن إبراهيم ، لنيته عن بغداد ، فأصبح الناس متخطفين ، واجتهد نائب السلطنة على إحضار ذينك الرجلين فحضرهما فاقربهما فأقرا على أحمد بن نصر ، فطلبه وأخذ خادماً له فاستقره فأقر بما أقر به الرجلان ، فجمع جماعة من رؤس أصحاب أحمد بن نصر معه وأرسل بهم إلى الخليفة بسر من رأى ، وذلك في آخر شعبان ، فأحضر له جماعة من الأعيان وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي ، وأحضر أحمد بن نصر ولم يظهر منه على أحمد ابن نصر عتب ، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواقفي لم يمانبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره ، بل أعرض عن ذلك كله وقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام الله . قال : مخلوق هو ؟ قال هو كلام الله . وكان أحمد بن نصر قد استنقل وباع نفسه وحضر وقد تمخط وتنور وشد على عودته ما يسترها فقال له : فما تقول في ربك ، أترأه يوم القيامة ؟ قال : يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك ، قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال رسول الله ﷺ : « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته » . ففتح على الخليل زاد الخليل قال الواقفي : ويحك ! أيرى كابر المحدث المتجسم ؟ ويحويه مكان ويحصره الناظر ؟ أنا أكره رب هذه صفته .

قلت : وما قاله الواقفي لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح والله أعلم . ثم قال أحمد بن

فصره لوائى : وحدثنى سفيان بإحدى يرقه « إن قلب ابن آدم بأصبعين من أصابع الله يقبله كيف شاء » وكان النبي ﷺ يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » . فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويحك ، انظر ما أقول . قال : أنت أمرتني بذلك . فأشفق إسحاق من ذلك وقال : أنا أمرتك ؟ قال : نعم ، أنت أمرتني أن أنصح له . قال اللوائى لمن حوله : ماتقولون في هذا الرجل ؟ فأكثروا القول فيه . قال عبد الرحمن بن إسحاق - وكان قاضياً على الجانب الغربي فمزل وكان مواداً لأحمد بن نصر قبل ذلك - يا أمير المؤمنين هو حلال الدم . وقال أبو عبد الله الأرمي صاحب أحمد بن أبي دؤاد : استقى دمه يا أمير المؤمنين . قال اللوائى : لا بد أن يأتي ما تريد . وقال ابن أبي دؤاد : هو كافر يستتاب لعل به علة أو قص عقل . قال اللوائى : إذا رأيتموني قت إليه فلا يقوم أحد مني ، فأتى أحسب خطي . ثم نهض إليه بالصمصامة - وقد كانت سيفاً لمرو بن مديكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته وكانت صفيحة مسحورة في أسفلها مسورة بمسامير - فلما انتهى إليه ضربه بها على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطح ، ثم ضربه أخرى على رأسه ثم طنبه بالصمصامة في بطنه فقطع صريعاً رحمه الله على النطح ميتاً ، فأنا لله وإنا إليه راجعون . رحمه الله وعفا عنه . ثم انتضى سبيل الممشق سيفه فضرب عنقه وحز رأسه وحمل معترضا حتى أتى به الخطيرة التي فيها يابك اغرمي فصلب فيها ، وفي رجله زوج قيود وعليه سراويل وقبض ، وحمل رأسه إلى بندان فصب في الجانب الشرقي أياماً ، وفي الغربي أياماً ، وعنده الحرس في الليل والنهار ، وفي أذنه رقعة مكتوب فيها : هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخوارجي ، ممن قتل على يدى عبد الله هارون الامام اللوائى بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجبة في خلق القرآن ، ونفى التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المماندة والتصریح ، فأخذ الله الأذى مجله إلى ناره وأليم عقابه بالكفر ، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه .

ثم أسر اللوائى بقتيع رؤس أصحابه فأخذ منهم نحواً من تسع وعشرين رجلاً فأودعوا في السجون وصموا الظلة ، ومنوا أن يزورهم أحد وقيدوا بالحديد ، ولم يجز عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين ، وهذا ظلم عظيم .

وقد كان أحمد بن نصر هذا من أكبر الملأ السالمين الثمانين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسمع الحديث من حماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وهاشم بن بشير ، وكانت عنده مصنفاته كلها ، وسمع من الإمام مالك بن أنس أحاديث جيدة ، ولم يحدث بكثير من حديثه ، وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي ، وأخوه يعقوب بن إبراهيم ويحيى بن معين ، وذكره فيما فترحم عليه وقال : قد ختم الله له بالشهادة ، وكان لا يحدث ويقول إني لست أهلاً لذلك . وأحسن يحيى بن معينثناء

عليه جداً . وذكره الامام أحمد بن حنبل يوماً قال : رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه الله ؛ لقد جاد بنفسه له . وقال جعفر بن محمد الصائغ : بصرت عيناي وإلا فقتنا وسمعت أذناي وإلا فصمتنا أحمد ابن نصر الخراساني حين ضربت عنقه يقول رأسه : لا إله إلا الله . وقد سمعته بعض الناس وهو مصلوب على الجذع ورأسه يقرأ (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) قال : فاقشمر جلدي . ورأه بعضهم في النوم فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلي . ورأى بعضهم رسول الله ﷺ في المنام معه أبو بكر وعمر ، قد مروا على الجذع الذي عليه رأس أحمد بن نصر ، فلما جاوزوه أعرض رسول الله ﷺ بوجهه الكريم عنه فقيل له : يا رسول الله مالك أعرضت عن أحمد بن نصر ؟ فقال : « أعرضت عنه استحياء منه حين قتل رجل يزعم أنه من أهل بيتي » .

ولم يزل رأسه منصوباً من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة إحدى وثلاثين ومائتين - إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فجمع بين رأسه وجثته ودفن بالجانب الشرقي من بغداد بالمقبرة المروقة بالمالكية رحمه الله . وذلك بأمر المتوكل على الله القوي ولي الخلافة بعد أخيه الواثق ، وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكنتاني - صاحب كتاب الحيدة - على المتوكل وكان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة ، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المستعصم وعه المأمون ، فانهم أسأوا إلى أهل السنة وقرّبوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم ، فأمره أن ينزل جثة محمد بن نصر ويدفنه ففعل ، وقد كان المتوكل يكرم الامام أحمد بن حنبل إكراماً زائداً جداً كما سيأتي بيانه في موضعه . والمقصود أن عبد العزيز صاحب كتاب الحيدة قال للمتوكل : يا أمير المؤمنين ما رأيت أو مارفت أعجب من أمر الواثق ، قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن . فوجّل المتوكل من كلامه وساء ما سمع في أخيه الواثق ، فلما دخل عليه الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات قال له المتوكل : في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر . فقال : يا أمير المؤمنين أحرقتني الله بالنار إن قتلته أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً . ودخل عليه هرمة فقال له في ذلك فقال : قطعتني الله إرباً إرباً إن قتلته إلا كافراً . ودخل عليه القاضي أحمد بن أبي دؤاد فقال له مثل ذلك فقال : ضربني الله بالفالج إن قتلته الواثق إلا كافراً . قال المتوكل : فأما ابن الزيات فأما أحرقت بالنار . وأما هرمة فانه هرب فاجتاز بقبيلة خزاعة ففره رجل من الحلي فقال : يا مشر خزاعة بهذا الذي قتل ابن عمك أحمد بن نصر قطعوه . قطعوه إرباً إرباً . وأما ابن أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده - يعني بالفالج - ضربه الله قبل موته بأربع سنين ، وصودر من صلب ماله بمال جزيل جداً كما سيأتي بيانه في موضعه .

وروى أبو داود في كتاب المسائل عن أحمد بن إبراهيم الفوري عن أحمد بن نصر قال : سألت
سفيان بن عيينة « القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، وإن الله يضعك عن يده في الأسواق » .
فقال : أروها كما جاءت بلا كيف .

وفيهما أراد الرائي أن يبيع واستعد لذلك فذكر له أن الماء بالطريق قليل فترك الحج عامدا .
وفيهما تولى جعفر بن ^(١) دينار نائب العين فصار إليها في أربعة آلاف فارس . وفيها عدا قوم من العامة
على بيت المال فأخذوا منه شيئا من الذهب والفضة ، فأخذوا وسجنوا . وفيها ظهر خارجي ببلاد
ريمية فقتله نائب الموصل فكبره وانهمز أصحابه . وفيها قدم وصيف الخادم بمجموعة من الراكدين
من خبيثة في القيود ، كانوا قد أفسدوا في الطرقات وقطعوها ، فأطلق الخليفة لوصيف الخادم خمسة
وسبعين ألف دينار ، وخلع عليه . وفيها قدم خاقان الخادم من بلاد الروم وقد تم الصلح والمعاداة بينه
وبين الروم ، وقدم معه جماعة من رؤس الثغور ، فأمر الواثق بامتناعهم بخلق القرآن وأن الله لا يرى
في الآخرة فأجابوا إلا أربعة فأمر بضرب أعناقهم إن لم يجيبوا بالقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى
في الآخرة . وأمر الواثق أيضا بامتناع الأسارى الذين فودوا من أسر الفرنج بالقول بخلق القرآن
وأن الله لا يرى في الآخرة فمن أجاب [إلى القول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فودى
وإلا ترك في أيدي الكفار ، وهذه بدعة صلحاء شمامه عياضه لا مستند لها من كتاب ولا سنة ولا
عقل صحيح ، بل الكتاب والسنة والعقل الصحيح بخلافها كما هو مقرر في موضعه . والله المستعان ^(٢)]
وكان وقوع المعاداة عندئذ يقال له اللباس ، عند سلوكية بالقرب من طرسوس ، بدل كل مسلم
أو مسلمة في أيدي الروم أو ذمي أو ضمية كان تحت عقد المسلمين أسير من الروم كان بأيدي المسلمين
ممن لم يسلم ، فقصبوا جسرين على النهر فاذا أرسل الروم مسلما أو مسلمة في جسرهم فأنهى إلى المسلمين
كبير وكبير المسلون ، ثم يرسل المسلون أسيرا من الروم على جسرهم فاذا انتهى إليهم تكلم بكلام
يشبه التكبير أيضا . ولم يزالوا كذلك مدة أربعة أيام بدل كل نفس نفس ، ثم بقي مع خاقان جماعة
من الروم الأسارى فأطلقهم للروم حتى يكون له الفضل عليهم .

قال ابن جرير : وفيها مات الحسن بن الحسين أخو طاهر بطبرستان في شهر رمضان . وفيها مات
الخطيب بن وجه الفلاس . وفيها مات أبو عبد الله بن الأعرابي الراوية يوم الأربعاء ثلاث عشرة
خلت من شعبان ، وهو ابن ثمانين سنة . وفيها ماتت أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرضا .
وفيها مات بخاري المفتي . وأبو نصر أحمد بن خاتم راوية الأصمى . وعمرو بن أبي عمرو الشيباني .
ومحمد بن سبلان النحوي . قلت : ومن توفي فيها أيضا أحمد بن نصر الخزاعي كما هدم . وإبراهيم
(١) في المصرية أحمد بن دينار . (٢) زيادة من المصرية ومن نسخة أخرى من الأمانة .

ابن محمد بن عرعر . وأمّية بن بسطام . وأبو تمام الطائي في قول . والمشهور ما تقدم . وكامل بن طلحة . ومحمد بن سلام الجمحي . وأخوه عبد الرحمن . ومحمد بن منهل الضريبر . ومحمد بن منهل أخو حجاج . وهارون بن معروف . والبويطي صاحب الشافعي مات في السجن مقيدا على القول بخلق القرآن فامتنع من ذلك . ويحيى بن بكير راوى الموطأ عن مالك .

(ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين)

فيها عانت قبيلة يقال لها بنو نمير باليمامة فسادا فكتب الواثق إلى بنا السكير وهو مقيم بأرض الحجاز فغارهم فقتل منهم جماعة وأسروهم آخرين ، وهزم بقيتهم ، ثم التقى مع بني تميم وهو في أثنى فارس وم ثلاثة آلاف ، فجزت بينهم حروب ثم كان الظفر له عليهم سحرا ، وذلك في النصف من جمادى الآخرة . ثم عاد بعد ذلك إلى بغداد معهم من أعيان رؤسهم في القيود والأسر جماعة ، وقد قد من أعيانهم في الواقع ما ينيف على أثنى رجل من بني سليم ونمير وصرة وكلاب وفزارة وتعلبة وطى وقيم وغيرهم . وفي هذه السنة أصاب الحجيج في رجوعهم عطش شديد حتى بيعت الشربة بالدينارين الكثيرة ، ومات خلق كثير من العطش . وفيها أمر الواثق بترك جباية أعشار سفن البحر . وفيها كانت وفاة (الخليفة الواثق بن محمد المستم) ابن هارون الرشيد أبي جعفر هارون الواثق . كان هلاكا في ذى الحجة من هذه السنة بيلة الاستسقاء ، فلم يقدر على حضور العيد عامدا ، فاستجاب في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبي دؤاد الأيادي المعتزلى . توفي لست بقين من ذى الحجة ، وذلك أنه قوى به الاستسقاء فأفقد في تنور قد أحى له بحيث يمكنه الجلوس فيه ليسكن وجهه ، فلان عليه بعض الشيء اليسير ، فلما كان من الغد أمر بأن يحمى أكثر من المادة فأجلس فيه ثم أخرج فوضع في حفرة فعمل فيها وحوله أمراؤه ووزراؤه وقاضيه ، فأت وهو محمول فيها ، فاشعروا حتى سقط جبينه على الحفرة وهو ميت ، فمض القاضى عينيه بعد سقوط جبينه ، وولى غسله والصلاة عليه ودفنه في قصر الهادي ، عليهما من الله ما يستحقانه . وكان أبيض اللون مشربا حرة جميل المنظر خبيث القلب حسن الجسم مئ الطوية ، قام العين اليسرى ، فيها نكتة بيضاء ، وكان مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة ، فأت وهو ابن ست وثلاثين سنة ، ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ، وقيل سبعة أيام وثماني عشرة ساعة . فهكنا أيام أهل الظلم والفساد والبعد قليلة قصيرة . وقد جمع الواثق أصحاب النجوم في زمانه حين اشتدت علته ، وإتما اشتدت بعد قتله أحمد بن نصر الخراساني ليلته إلى بين يدي الله ، فلما جمعهم أمرهم أن ينظروا في مولده وما تقتضيه صناعة النجوم كم تدوم أيام دولته ، فاجتمع عنده من رؤسهم جماعة منهم الحسن بن سهل والفضل ابن إسحاق الهاشمي ، وإسماعيل بن نوح . ومحمد بن موسى الخوارزمي الجوسى القنطريلى وسند

صاحب محمد بن المهيم ، وطمة من ينظر في النجوم ، فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عندئذ
فأجمعا على أنه يعيش في الخلافة دهرًا طويلا ، وقدروا له خين سنة مستقبلة من يوم نظروا نظر
من لم يبصر ، فانه لم يشهد قولهم وتقدروا إلا عشرة أيام حتى هلك . ذكره الامام أبو جعفر بن
جرير الطبري رحمه الله .

قال ابن جرير: وذكر الحسين بن الضحك أنه شهد الواقعة بعد أن مات المتعمص بأيام وقد قد
 مجلساً كان أول مجلس قومه، وكان أول ما غنى به في ذلك المجلس أن غنته شارية جارية لإبراهيم بن
 المهدي: ماحدى الحاملون يوم استقلوا * نشت لثواء أم قهق

مادری حاملون وم استقوا • نعتہ للنواء أم لقاء

فليقل فيك يا كياتك ما شت • ن صياحاً في وقت كل مساء

قال : فبكى وبكىنا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه . ثم اندفع بعضهم يفتى :

ودع هيرة إن الركب مرتحل • وهل تطيق وداعا أيها الرجل

فازداد بكاءه وقال : ما سمعت كال يوم قط تمزية بأب وبنى نفس ، ثم أرفض ذلك المجلس . وروى الخطيب أن دمعيل بن علي الشاعر لما تولى الواثق عهد إلى طومار فكتب فيه أبيات شعر ثم جاء إلى الخاجب فدفعه إليه وقال : اقرأ أمير المؤمنين السلام قل : هذه أبيات امتدحك بها دمعيل فلما قضى الواثق إذا فيها :

الحمد لله لا صبر ولا جهد • ولا عزاء إذا أهل الهوى رقبوا

خليفة مات لم يحزن له أحد • وآخر قام لم يفرح به أحد

فرّ هنا ومرّ الشوم يتبعه • وقام هنا فقام الويل والنكد

قال : فنتطلبه الوائق بكل ما يقدر عليه من الطلب فلم يقدر عليه حتى مات الوائق . و روى أيضا أنه لما استخلف الوائق ابن أبي ذؤاد على الصلاة في يوم العيد ورجع إليه بعد أن قضاه قال له : كيف كان عيدكم يا أبا عبد الله ؟ قال : كنا في نهار لا شمس فيه . فضحك وقال : يا أبا عبد الله أما مؤيد بك . قال الخطيب : وكان ابن أبي ذؤاد استولى على الوائق وحمله على التشديد في الحنة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن . قال ويقال : إن الوائق رجع عن ذلك قبل موته فأخبرني عبد الله ابن أبي الفتح أنبأ أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة حدثني حامد بن اللباس عن رجل عن المهدي أن الوائق مات وقد قلب من القول بخلق القرآن . وروى أن الوائق دخل عليه يوما مؤدبه فأكرمه إكراما كثيرا فقيل له في ذلك فقال : هنا أول من فتق لساني به كره الله وأذاني رحمة الله . وكتب إليه بعض الشعراء : —

عجزت دواعي النفس عن طلب الحق • وقلت لهاعني عن الطلب التز

كان أمير المؤمنين بكفة • مدار رحا الأرزاق دائبة تجري
فوقع له في رقبته جفنتك نفسك عن انتهائها ودعتك إلى صونها فخذ ما طلبته هينا وأجزل
له البطاء • ومن شره قوله :-

في المقادير تجري في أعنتها • فاصبر فليس لها صبر على حال
ومن شر الواقع قوله :-

تنح عن القبيح ولا ترده • ومن أوليته حسنا فزده
ستكفي من عدوك كل كيد • إذا كاد العدو ولم تمكنه

وقال القاضي يحيى بن أكرم : ما أحسن أحد من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب ما أحسن
إليهم الواقع : ما ملت وفيهم قدير • ولما احتضر جل يرد هذين البيتين :

الموت فيه جميع الخلق مشترك • لا سوقة منهم يبق ولا ملك
ما حضر أهل قليل في فقارهم • وليس ينفي عن الأملاك ما ملوكوا

ثم أمر بالبسط فطويت ثم ألصق خده بالأرض وجعل يقول : يا من لا يزول ملكك أرجم من قد
زال ملكك • وقال بعضهم : لما احتضر الواقع ونحن حوله غشي عليه فقال بعضنا لبعض : انظروا هل
قضى ؟ قال : قد فوت من بينهم إليه لا أنظر هل هدأ نفسه ، فألق فلحق إلى بيته فرجعت القهقري
خوفا منه ، فتملقت فأبته سبقي بشئ فكيت أن أهلك ، فما كان عن قريب حتى مات وأغلق عليه
الباب الذي هو فيه وبقى فيه وحده واشتغلوا عن تجهيزه بالبيعة لأخيه جعفر المتوكل ، وجلست أنا
أحرس الباب فسمعت حركة من داخل البيت فدخلت فإذا جرد قد أكل عينه التي لحظ إلى بها ،
وما كان حولها من الخدين .

وكانت وفاته بصرم رأى التي كان يسكنها في القصر الماروني ، في يوم الأربعاء لست بقين من
ذي الحجة من هذه السنة - أعني سنة ثنتين وثلاثين ومائتين - عن ست وثلاثين سنة ، وقيل ثنتين
وثلاثين سنة . وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ، وقيل خمس سنين وشهران
واحد وعشرين يوما ، وصلى عليه أخوه جعفر المتوكل على الله والله أعلم .

✽ خلافة المتوكل على الله جعفر بن المتصم ✽

يومع له بالخلافة بعد أخيه الواقع وقت الزوال من يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة ،
وكانت الأثرأ قد عزموا على تولية محمد بن الواقع فاستصروه فتركوه وعدلوا إلى جعفر هذا ،
وكان عمره إذ ذاك ستا وعشرين سنة ، وكان الذي ألبسه خلة الخلافة أحمد بن أبي ذؤاد القاضي ،
وكان هو أول من سلم عليه بالخلافة وبأيمه الخاصة والعامة ، وكانوا قد اعتصموا على تسميته بالمتصم بالله ،

إلى صبيحة يوم الجمعة قال ابن أبي دؤاد رأيت أن يلقب المتوكل على الله ، فاعتقوا على ذلك ، وكتب إلى الأفاق وأمر بإعطاء الشاكرية من الجند ثمانية شهور ، والبنارية أربعة شهور ، ولنيرم ثلاثة شهور ، واستبشر الناس به . وقد كان المتوكل رأى في منامه في حياة أخيه هارون الواثق كأن شيئاً نزل عليه من السماء مكتوب فيه جعفر المتوكل على الله ، فبصره فقبل له هي الخلافة ، فبلغ ذلك أخاه الواثق فسنجته حينئذ أمره .

وفيها حج بالناس أمير الحجيج محمد بن داود . وفيها توفي الحكم بن موسى . وعمر بن محمد .
(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين)

في يوم الأربعاء سابع صفر منها أمر الخليفة المتوكل على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك ابن الزيت وزير الواثق ، وكان المتوكل ينفذه لأمره ، منها أن أخاه الواثق غضب على المتوكل في بعض الأوقات وكان ابن الزيت يزيد غضباً عليه ، فبقى ذلك في نفسه ، ثم كان الذي استرضى الواثق عليه أحمد بن أبي دؤاد فخطى بذلك عنده في أيام ملكه ، ومنها أن ابن الزيت كان قد أشار بخلافة محمد بن الواثق بعد أبيه ، ولف عليه الناس ، وجعفر المتوكل في جنب دار الخلافة لم يلتفت إليه ولم يتم الأمر إلا لجعفر المتوكل على الله ، رغم أنف ابن الزيت . فلما أمر بالقبض عليه سريراً فطلبه فركب بعد غدائه وهو يظن أن الخليفة يموت إليه ، فأنهى به الرسول إلى دار إيتاخ أمير الشرطة فاحتبط به وقيدوا بهموا في الحال إلى داره فأخذ جميع ما فيها من الأموال والآلات والجواهر والجوهرات والجواري والأثاث ، وجعلوا في محله الخصاص به آلات الشرب ، وبموت المتوكل في الحال أيضاً إلى حواصله بسامراً وضياعه وما فيها فاحتاط عليها ، وأمر به أن يمتدح ومنعوه من الكلام ، وجعلوا يساهرونه كلما أراد الرقاد فحس بالحديد ، ثم وضعه بعد ذلك كله في تنور من خشب فيه مسامير قائمة في أسفله فأقيم عليها ووكل به من يمنعه من القعود والرقاد ، فكثرت كذاك أياماً حتى مات وهو كذلك . ويقال إنه أخرج من التنور وفيه ريق فضرب على بطنه ثم على ظهره حتى مات وهو تحت الضرب ، ويقال إنه أحرق ثم دفنت جثته إلى أولاده فدفنوه ، فنبشت عليه الكلاب فأكلت ما بقي من لحمه وجلده . وكانت وفاته لاحدى عشرة من ربيع الأول منها . وكان قيمة ما وجد له من الحواصل نحواً من تسعين ألف دينار . وقد قلنا أن المتوكل سأل عن قتل أحمد بن نصر الخزاعي فقال : يا أمير المؤمنين أحرقت الله بالنار ابن قلة الواثق إلا كفرأ . قال المتوكل : فأنأ أحرقت بالنار .

وفيها في جمادى الأولى منها بعد مهلك ابن الزيت فلعج أحمد بن أبي دؤاد القاضى المعتزلى . فلم يزل مغلوباً حتى مات بعد أربع سنين وهو كذلك ، كما دعا على نفسه حين سأل المتوكل عن

قتل أحمد بن نصر كما تقدم . ثم غضب المتوكل على جماعة من القواديين والعمال ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة جداً . وفيها ولي المتوكل ابنه محمد المنتصر الحجاز واليمن وعقد له على ذلك كله في رمضان منها .

وفيها عدى ملك الروم ميخائيل بن قفيل إلى أمه تدور فاعلمها بالشمس وأزهاها الدير وقتل الرجل الذي اتهمها به ، وكان ملكها ست سنين . وفيها حج بالناس محمد بن داود أمير مكة .

وفيها توفي إبراهيم بن الحاج الشامي . وحيان بن موسى العربي . وسليمان بن عبد الرحمن الحمصي . وسهل بن عثمان المسكري . وعبد بن جماعة القاضي . وعبد بن عائذ الحمصي صاحب المنازى . ويحيى المقابري . ويحيى بن معين أحد أئمة الجرح والتعديل ، وأستاذ أهل هذه الصناعة في زمانه .

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين)

فيها خرج عبد بن البيهت بن حليس عن الطاعة في بلاده أذربيجان ، وأظهر أن المتوكل قد مات والتفت عليه جماعة من أهل تلك الرساتيق ، ولجأ إلى مدينة مرند فحضرها ، وجاءته البعث من كل جانب ، وأرسل إليه المتوكل جيوشاً يقبع بعضها بعضاً ، فصبوا على بلده الجانيق من كل جانب ، وحاصروه محاصرة عظيمة جداً ، وقاتلهم مقاتلة هائلة ، وصبر هو وأصحابه صبراً بليفاً ، وقدم بفنا الشرايين لمحاصرته ، فلم يزل به حتى أسره واستباح أنواله وحريره وقتل خلقاً من رؤس أصحابه ، وأسر سائرهم وانحصرت مادة ابن البيهت . وفي جمادى الأولى منها خرج المتوكل إلى المدائن .

وفيها حج إيتاخ أحد الأمراء الكبار وهو والى مكة ، ودعى له على المنابر ، وقد كان إيتاخ هذا غلاماً خزرياً طليخاً ، وكان لرجل يقال له سلام الأبرش ، فاشتراه منه المصنم في سنة تسع وتسعين ومائة ، ففرض منزله وحظي عنده ، وكذلك الوائق من بعده ، ضم إليه أعمالاً كثيرة ، وكذلك علمه المتوكل وذلك لفر وسيته ورجلته وشهامته ، ولما كان في هذه السنة شرب ليلته مع المتوكل فربده عليه المتوكل فهم إيتاخ بقتله ، فلما كان الصباح اعتذر المتوكل إليه وقال له : أنت أبي وأنت رييتني ، ثم دس إليه من يشير إليه بأن يستأذن للحج فاستأذن فأذن له ، وأمره على كل بلقة يحمل بها ، وخرج القواد في خدمته إلى طريق الحج حين خرج ، وكل المتوكل الحجابة توصيف الخدام عوضاً عن إيتاخ . وحج بالناس فيها محمد بن داود أمير مكة وهو أمير الحجيج من سنين متقدمة .

وفيها توفي أبو خيثمة زهير بن حرب . وسليمان بن داود الشاركوني أحد الحفاظ . وعبد الله ابن عبد الفضل . وأبو ربيع الزهراني . وعلى بن عبد الله بن جعفر المديني شيخ البخاري في صناعة الحديث . وعبد بن عبد الله بن نعيم . ومحمد بن أبي بكر المقدسي . والمعاذ الرسيني . ويحيى بن يحيى القتيبي راوي الموطأ عن مالك .

(ثم دخلت ستة خمس وثلاثين ومائتين)

في جمادى الآخرة منها كان هلاك إيتاخ في السجن ، وذلك أنه رجع من الحج فلقته هدايا الخليفة ، فلما اقترب يريد دخول سلما التي فيها المتوكل بث إليه إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليتلقاه ويوجه الناس وبنى هاشم ، فدخلها في أبهة عظيمة ، قبض عليه إسحاق بن إبراهيم وعلى ابنه مظفر ومنصور وكانيه سليمان بن وهب وقدمه بن زياد النصراني فأسلم تحت العقوبة ، وكان هلاك إيتاخ بالمطش ، وذلك أنه أكل أكلا كثيرا بعد جوع شديد ثم استقى الماء فلم يسق حتى مات ليلة الأربعاء لحس خلون من جمادى الآخرة منها . وبكت ولده في السجن مدة خلافة المتوكل ، فلما ولي المنتصر ولد المتوكل أخرجهما . وفي شوال منها قسم بنا سلما ومعه محمد بن البيهقي وأخوه صقر وخالد ، ونائبه الملاء ومعه من رؤس أصحابه نحو من مائة وثمانين إنسانا فأدخلوا على الجبال ليرام الناس ، فلما أوقف ابن البيهقي بين يدي المتوكل أمر بضرب عنقه ، فأحضر السيف والنطع فجاء السيلانيون فوقوا حوله ، فقال له المتوكل : وبك مادعك إلى ما فعلت ؟ فقال : الشقوة يا أمير المؤمنين ، وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه ، وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولا هما بك ، وهو العفو . ثم اندفع يقول بدبهة :

أبي الناس إلا أنك اليوم قاتل * إمام الهدى والصفح بالره أجل
وهل أنا إلا جيلة من خطيئة * وعفوك من نور النبوة يجبل
فانك خير السابقين إلى العلي * ولا شك أن خير السابقين تعمل

قال المتوكل : إن معه لأدبا . ثم عفا عنه . ويقال بل شفع فيه المعتز بن المتوكل فشغفه ، ويقال بل أودع في السجن في قيوده فلم يزل فيه حتى هرب بعد ذلك ، وقد قال حين هرب : -
كم قد قضيت أمورا كأن أهلها * غيري وقد أخذ الاطلاس بالكظم
لا تميلني فيها ليس يتغنى * إليك عني جرى المقذور بالقلم
سألتف المال في عسر وفي يسر * إن الجواد القى يمل على العدم

وفيهما أمر المتوكل أهل القمة أن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعماهم وثيابهم ، وأن يتطيلوا بالمصبرغ والقلى وأن يكون على عماهم رقع مخالفة لكون ثيابهم من خلفهم ومن بين أيديهم ، وأن يارتوا بالزنانير المخاصرة لثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم ، وأن يحملوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة ، وأن لا يركبوا خيلا ، ولتكن ركوبهم من خشب ، إلى غير ذلك من الأمور الملة لهم المهينة لنفوسهم ، وأن لا يستعملوا في شيء من الأدوية التي يكون لهم فيها حكم على سلم ، وأمر بتخريب كتائبهم المحدثه ، وتضييق منازلهم المقسة ، فيؤخذ منها العشر ، وأن يمثل عما كان مقما من منازلهم

مسجد ، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض ، وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق ، وإلى كل بلد ورستاق .

وفيها خرج رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابوري ، وهو ممن كان يتردد إلى خشية بابل وهو مصلوب فيقعد قريباً منه ، وذلك بقرب دار الخلافة بمصر من رأى ، فادعى أنه نبي ، وأنه ذو القرنين وقد أتبعه على هذه الضلالة وواقه على هذه الجبهة جماعة قليلون ، وهم تسعة وعشرون رجلاً ، وقد نظم لهم كلاماً في مصحف له قبحه الله ، زعم أن جبريل جاءه به من الله ، فأخذ فرفع أمره إلى المتوكل فأمر فضرب بين يديه بالسياط ، فأعترف بما نسب إليه وما هو معمول عليه ، وأظهر التوبة من ذلك والرجوع عنه ، فأمر الخليفة كل واحد من أتباعه التسعة والمشرين أن يصفه فصفوه عشر صفات فضله وعليهم لعنة رب الأرض والسماوات . ثم اتفق موته في يوم الأربعاء ثلاث خلون من ذي الحجة من هذه السنة .

وفي يوم السبت ثلاث بقين من ذي الحجة أخذ المتوكل على الله العهد من بعده لأولاده الثلاثة وهم : محمد المنتصر ، ثم أبو عبد الله المعتز ، واسمه محمد ، وقيل الزبير ، ثم لإبراهيم وسماه المؤيد بالله ، ولم يل الخلافة هنا . وأعطى كل واحد منهم طائفة من البلاد يكون نائباً عليها ويستقرب فيها ويضرب له السكة بها ، وقد عين ابن جرير ما لكل واحد منهم من البلدان والأقاليم ، وعقد لكل واحد منهم لواءين لواء أسود للعهد ، ولواء للعلمة ، وكتب بينهم كتاباً بالرضى منهم ومبايعته لأكثر الأمراء على ذلك وكان بما شهدوا . وفيها في شهر ذي الحجة منها تغير ماء دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام ثم صار في لون ماء المردى فزع الناس لذلك . وفيها أتى المتوكل يحيى بن عمر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من بعض النواحي ، وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة فأمر بضربه فضرب ثمان عشرة مفرقة ثم حبس في المطبق . وحج بالناس محمد بن داود .

قال ابن جرير : وفيها توفي إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر - يعني نائب بغداد - يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة وجعل ابنه محمد مكانه ، وخلع عليه خمس خلع وقفه سيفاً . قلت : وقد كان نائباً في العراق من زمن المأمون ، وهو من الدولة تيمناً لسادته وكبرائه إلى القول بخلق القرآن الذي قال الله تعالى فيهم (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل) الآية . وهو الذي كان يمتحن الناس ويرسلهم إلى المأمون . وفيها توفي :

﴿ إسحاق بن ماعان ﴾

الموصلى القديم الأديب ابن الأديب النادر الشكلى وقته ، المجموع من كل فن يعرفه أبناء عصره ، في الفقه والحديث والجندل والكلام والفقه والشعر ، ولكن اشتهر بالبناء لأنه لم يكن له في الدنيا

نظير فيه . قال المتصم : إن إسحاق إذا غنى يجبل لي أنه قد زيد في ملكي . وقال المأمون : لولا
اشتهاره بالنساء لوليت القضاء لما أعلمه من عفته ونزاهته وأمانته . وله شعر حسن وديوان كبير ،
وكانت عنده كتب كثيرة من كل فن . توفي في هذه السنة وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها .
وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة حافلة وذكر عنه أشياء حسنة وأشعاراً رائعة وحكايات مدحشة يطول
استقصاؤها . فن غريب ذلك أنه غنى يوماً يحيى بن خالد بن برمك فوقع له بألف ألف ووقع له ابنه
جعفر بمثلها ، وابنه الفضل بمثلها ، في حكايات طويلة .

وفيهما توفي شرح بن يونس . وشيبان بن فروخ . وعبيد الله بن عمر القواريري . وأبو بكر بن
أبي شيبة أحد الأعلام وأئمة الإسلام وصاحب المصنف الذي لم يصف أحد مثله قط لا قبله ولا بعده .

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين)

فيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وما حوله من المنازل والحدود ، ونودي
في الناس من وجدنا بعد ثلاثة أيام ذهب به إلى المطبق . فلم يبق هناك بشر ، وانخذ ذلك الموضوع
من رعة تحرث وتستغل . وفيها حج بالناس محمد بن المنتصر بن المتوكل . وفيها توفي محمد بن إبراهيم
ابن مصعب ممة ابن أخيه محمد بن إسحاق بن إبراهيم ، وكان محمد بن إبراهيم هذا من الأمراء
الكبار . وفيها توفي الحسن بن سهل الوزير والد بوران زوجة المأمون التي تنقسم ذكرها ، وكان من
سادات الناس ، ويقال إن إسحاق بن إبراهيم الملقب توفي في هذه السنة لله أعلم . وفيها توفي أبو سعيد
محمد بن يوسف الروزي فجأة ، قولى ابنه يوسف مكانه على نيابة أرمينية . وفيها توفي إبراهيم بن المنذر
الحرابي . ومصعب بن عبد الله الزبيري . وهديبة بن خالد القيسي . وأبو الصلت المروى أحد
الضعفاء .

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين)

فيها قبض يوسف بن محمد بن يوسف قائب أرمينية على الطريق الكبير بها وبته إلى نائب
الخليفة ، وافق بعد بئته إليه أن سقط تلج عظيم على تلك البلاد ، فتحزب أهل تلك الطريق وجاؤا
فحاصروا البلد التي بها يوسف فخرج إليهم ليقاتلهم فقتلوه وطائفة كبيرة من المسلمين القيين معه وهلك
كثير من الناس من شدة البرد ، ولما بلغ المتوكل ما وقع من هذا الأمر الفظيع أرسل إلى أهل تلك
الناحية بفنا الكبير في جيش كثيف جداً قتل من أهل تلك الناحية ممن حاصر المدينة نحواً من
ثلاثين ألفاً وأسر منهم طائفة كبيرة ، ثم سار إلى بلاد ألبان من كور البُسُرْجَان وسلك إلى مدن
كثيرة كبار ومهد الممالك ووطد البلاد والنواحي . وفي صفر منها غضب المتوكل على ابن أبي دؤاد
القاضي المعتزلى وكان على المظالم ، فزله عنها واستدعى يحيى بن أكرم فولاه قضاء القضاة والمظالم
أيضاً . وفي ربيع الأول أمر الخليفة بالإحتياط على ضياع ابن أبي دؤاد وأخذ ابنه أبا الوليد محمد

خفيه في يوم السبت ثلاث خلون من ربيع الآخر ، وأمر بمصادرته فمسل مائة ألف وعشرين ألف دينار ، ومن الجواهر النفيسة ما يقيم بشرين ألف دينار ، ثم صول على ستة عشر ألف ألف درهم . وكان ابن أبي ذؤاد قد أصابه الفالج كما ذكرنا ، ثم نفى أهله من سامرا إلى بغداد مهانين قال ابن جرير قتال في ذلك أبو العتاهية :

لو كنت في الرأي منسويا إلى رشد • وكان عزمك عزماً فيه توفيق

لكان في الفقه شغل لو قمت به • عن أن تقول كتاب الله مخلوق

ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم • ما كن في الفرع لولا الجبل والموق

وفي عيد الفطر منها أمر المتوكل بإزالة جنة أحمد بن نصر الخزاعي والجمع بين رأسه وجسده وأن يعلم إلى أوليائه ، فخرج للناس بذلك فرحاً شديداً ، واجتمع في جنازته خلق كثير جداً ، وجعلوا ينسجون بها وبأعواد نمشة ، وكان يوماً مشهوداً . ثم أتوا إلى الجنب القدي صلب عليه فجعلوا ينسجون به ، وأرهب العامة بذلك فرحاً وسروراً ، فكتب المتوكل إلى نائبه يأمره بدعهم عن تماطى مثل هذا وعن الغلاة في البشر ، ثم كتب المتوكل إلى الألق بالذبح من الكلام في مسألة الكلام والكف عن القول بمخلوق القرآن ، وأن تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالتطيق مأواه إلى أن يموت . وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير ، ثم أظهر إكرام الامام أحمد بن حنبل واستدعاءه من بغداد إليه ، فاجتمع به فأكرمه وأمر له بمجازة سنية فلم يقبلها ، وخلع عليه خلمة سنية من ملابسه فاستحيا منه أحد كثير آفلسها إلى الموضع الذي كان نازلاً فيه ثم نزعها نزعاً عنيفاً وهو يكي رحمه الله تعالى . وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طعمه الخاص ويظن أنه يأكل منه ، وكان أحمد لا يأكل لهم طعاماً بل كان صائماً مواصلاً طويلاً تلك الأيام ، لأنه لم يتيسر له شيء يرضى أكله ، ولكن كان ابنه صالح وعبد الله يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشيء من ذلك ، ولولا أنهم أسرعوا الأوبة إلى بغداد لخشي على أحمد أن يموت جوعاً ، وارتفعت السنة جداً في أيام المتوكل عفا الله عنه ، وكان لا يولي أحداً إلا بمشورة الامام أحمد ، وكان ولاية يحيى بن أكرم قضاء القضاة موضع ابن أبي ذؤاد عن مشورته ، وقد كان يحيى بن أكرم هذا من أئمة السنة ، وعلماء الناس ، ومن المظلمين للفقهاء والحديث واتباع الأثر ، وكان قد ولي من جهته حبان بن بشر قضاء الشرقية ، وسوار ابن عبد الله قضاء الجانب الغربي ، وكان كلاهما أعوراً . قال في ذلك بعض أصحاب ابن أبي ذؤاد :

رأيت من المجائب قاضين • هما أحذوت في الظاهرين

هما اقتضا المصنفين قدراً • كما اقتضا قضاء الجانبين

ويحسب منهما من هر رأساً • لينظر في موارث ودين

كَأَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ عَلَيْهِ دَنَا • فَتَحَتْ بَرَّالَهُ مِنْ فَرْدِ عَيْنِ

هَذَا قَالَ الزَّيْمَانُ بِهَلَاكِ بَحْيِ • إِذْ اقْتَتَحَ الْقَضَاءُ بِأَعُودِ بْنِ

وَعَزَا الصَّاقَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى بْنِ بَحْيِ الْأَرْمَنِ . وَحَجَّ بِالنَّاسِ عَلَى بْنِ عَيْسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ أَمِيرِ الْحِجَازِ . وَفِيهَا تَوَفَّى حَاتِمُ الْأَصَمِ . وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ حَمَادٍ . وَعَبِيدُ اللَّهِ ابْنُ مَعَاذِ الْمَنْبَرِيِّ . وَأَبُو كَلَمٍ الْفَضِيلُ بْنُ الْحَسَنِ الْجَمْعَرِيُّ .

(ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ)

فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا حَاصِرُ بَنِي مَدِينَةِ تَغْلَيْسَ وَعَلَى مَقْعَتِهِ زَيْبُكَ الْتُرْكِيُّ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ صَاحِبُ تَغْلَيْسَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فَقَاتَلَهُ فَأَسْرَ بَنِي إِسْحَاقَ فَأَمَرَ بَنِي بَضْرِبَ عَنْقَهُ وَصَلَبَهُ ، وَأَمَرَ بِإِلْقَاءِ النَّارِ فِي النَّفْطِ إِلَى نَحْوِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ بَنَاتِهَا مِنْ خَشَبِ الصَّنُوبَرِ ، فَأَحْرَقَ أَكْثَرَهَا وَأَحْرَقَ مِنْ أَهْلِهَا نَحْوَ ثَمَانٍ مِنْ خُسَيْنِ أَلْفَا ، وَطَفَّتِ النَّارُ بِمَدِينَةٍ ، لِأَنَّ نَارَ الصَّنُوبَرِ لَا يَبْقَاهَا . وَدَخَلَ الْجَنْدُ فَأَسْرَوْا مِنْ بَقِيٍّ مِنْ أَهْلِهَا وَاسْتَلْبِوهُمُ حَتَّى اسْتَلْبِوْا الْمَوَاشِيَ . ثُمَّ سَارَ بَنِي إِلَى مَدَنٍ أُخْرَى مِنْ كَلَنْ يَمَالَى أَهْلِهَا مَعَ مَنْ قَتَلَ ثَائِبَ أَرْمِينِيَّةَ يَوْسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَوْسُفَ ، فَأَخَذَ بَنَاءَهُ وَعَاقِبَ مِنْ تَجَرٍّ عَلَيْهِ .

وَفِيهَا جَاءَتْ الْفَرَنْجُ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثَةِ مَرَكَبٍ قَاصِدِينَ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ دِمَاسَطَ ، فَدَخَلُوهَا فَجَاءَ قَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا وَحَرَقُوا الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ وَالْمَنْبَرَ ، وَأَسْرَوْا مِنَ النِّسَاءِ نَحْوَ ثَمَانَةِ امْرَأَةٍ ، مِنَ الْمُسْلِمَاتِ مِائَةً وَخَمْسَةَ عَشْرِينَ امْرَأَةً ، وَسَاطَرْنَ مِنْ نِسَاءِ الْقَبِطِ ، وَأَخَذُوا مِنَ الْأَمْتَةِ وَالْمَالِ وَالْأَسْلِحَةِ شَيْئًا كَثِيرًا جَدًّا ، وَفَرَّ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي كُلِّ جِهَةٍ ، وَكَانَ مِنْ غَرَقَ فِي بَحِيرَةِ تَغْيَسَ أَكْثَرُ مَنْ أُسْرُوهُ ، ثُمَّ رَجَعُوا عَلَى حِمْيَةٍ وَلَمْ يَرْضَ لَهُمْ أَحَدٌ حَتَّى رَجَعُوا بِبِلَادِهِمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الصَّاقَةُ عَلَى ابْنِ بَحْيِ الْأَرْمَنِ . وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ الْأَمِيرُ الْقَتْلِيُّ حَجَّ بِهِمْ قَبْلَهَا .

وَفِيهَا تَوَفَّى إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ أَحَدُ الْأَعْلَامِ وَعُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَالْمُجْتَهِدِينَ مِنَ الْأَنْبَاءِ . وَبَشَرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْقَتْلِيُّ الْخَنْفِيُّ . وَطَالُونُ بْنُ عَبَّادٍ . وَمُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ الزَّيْتِ . وَمُحَمَّدُ بْنُ الْبَرَجَانِيِّ . وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ السَّقَلَانِيُّ . (ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ)

فِي الْحَرَمِ مِنْهَا زَادَ الْمُتَوَكِّلُ فِي التَّغْلِيطِ عَلَى أَهْلِ الْقِدَمَةِ فِي التَّمْيِيزِ فِي الْبَلَسِ وَأَكَّدَ الْأَمْرَ بِتَخْرِيبِ الْكِنَانِيسِ الْمُحَدَّثَةِ فِي الْإِسْلَامِ . وَفِيهَا نَفَى الْمُتَوَكِّلُ عَلَى بْنِ الْجَهْمِ إِلَى خُرَاسَانَ . وَفِيهَا أَتَقَى شَمَائِلُ النَّصَارَى وَيَوْمَ النَّيْزُورِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَهُوَ يَوْمُ الْأَحَدِ لِمُسْرِينَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ . وَزَعَمَتِ النَّصَارَى أَنَّ هَذَا لَمْ يَنْفَقْ مِنْهُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فِي هَذَا الْعَامِ . وَغَزَا الصَّاقَةُ عَلَى بْنِ بَحْيِ الْمَذْكَورِ . وَفِيهَا حَجَّ بِالنَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ دَاوُدَ وَالْيَ مَكَّةَ .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَفِيهَا تَوَفَّى أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَّادٍ الْأَيْدِيُّ الْمَنْزَلِيُّ .

قلت . ومن توفى فيها داود بن رشيد . وصفوان بن صالح مؤذن أهل دمشق . وعبد الملك بن حبيب
الفتية المالكي ، أحد المشاهير . وعثمان بن أبي شيبة صاحب التفسير والسند المشهور . ومحمد بن مهران
الرازي . ومحمود بن غيلان . ووهب بن نغيه . وفيها توفى :

(أحمد بن عاصم الانطاكي)

أبو علي الواعظ الزاهد أحد الساد والزهاد ، له كلام حسن في الزهد ومعاملات القلوب ، قال
أبو عبد الرحمن السلمي : كان من طبقة الحارث المحاسبي ، وبشر الحلقى . وكان أبو سليمان النمارقي
يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته . روى عن أبي معاوية الضرير وطبقته ، وعنه أحمد بن
الحواري ، ومحمود بن خالد ، وأبو زرعة الدمشقي . وغيرهم . روى عنه أحمد بن الحواري عن غلده
ابن الحسين عن هشام بن حسان قال : مررت بالحسن البصري وهو جالس وقت السحر فقلت : يا أبا
سيد منلك يجلس في هذا الوقت ؟ قال : إني توحأت وأردت نفي عن الصلاة فأبى علي ، وأرادتني
علي أن تمام فأبى عليها . ومن مستجاد كلامه قوله : إذا أردت صلاح قلبك فاستمن عليه بحفظ
جوارحك . وقال : من النسيمة الباردة أن فصلح ما بقي من عمرك فيفرك ما مضى منه . وقال :
يسير اليقين بخروج الشك كله من قلبك ، ويسير الشك بخروج اليقين كله منه . وقال : من كان باقاً
أعرف كان منه أخوف . وقال : خير صاحب لك في دنياك الهمة ، يقطعك عن الدنيا ويوصلك إلى
الآخرة . ومن شعره :

همت ولم أعزم ولو كنت صادقاً • عزمت ولكن الفطام شديد
ولو كان لي عقل وإيمان موفن • لما كنت عن قصد الطريق أحميد
ولو كان في غير السلوك مطامعي • ولكن عن الأقدار كيف أميد
ومن شعره أيضاً :

قد بقينا مذهبين حيارى • نطلب الصديق ما إليه سبيل
فدواعي الهوى تخف علينا • وخلاف الهوى علينا قهيل
قد الصديق في الأمكن حتى • وصفه اليوم ما عليه دليل
لا نرى خاتماً فيلزمنا الخوف • ولنا نرى صادقاً على ما يقول

ومن شعره أيضاً :

هون عليك فكل الأمر ينقطع • ونخل منك ضلبي الهمة يتدفع
فكل م له من بدمه فرج • وكل كرب إذا ماضق يتسع
إن البلاد وإن طال الزمان به • الموت يقطعه أو سوف ينقطع

وقد أطل الحافظ ابن عساكر ترجمته ولم يؤرخ وفاته ، وإنما ذكرته هنا تريباً والله أعلم .

(ثم دخلت سنة أربعين ومائتين)

فيها عدا أهل حمص على علمهم أبي الفيث موسى بن إبراهيم الرافقي لأنه قتل رجلاً من أشرفهم
قتلوا جماعة من أصحابه وأخرجوه من بين أظهرهم ، فبث إليهم المتوكل أميراً عليهم وقال للسفير
معه : إن قبوله وإلا فأعلنى . فقبلوه فعمل فيهم الأعاجيب وأهاتهم غاية الأهانة . وفيها عزل
المتوكل يحيى بن أكرم القاضي عن قضاء القضاة وصادره بما مبلغه ثمانون ألف دينار ، وأخذ منه
أراضي كثيرة في أرض البصرة ، وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي
على قضاء القضاة . قال ابن جرير : وفي الحرم منها توفي أحمد بن أبي دؤاد بعد ابنه بشرين يوماً .

(وهذه ترجمته)

هو أحمد بن أبي دؤاد واسمه الفرج - وقيل دعي ، والصحيح أن اسمه كنيته - الإيادي المعتزلي .
قال ابن خلكان في نسبه : هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن
عباد بن سلام بن عبد هند بن عبد نعيم بن مالك بن فيض بن متعة بن برجان بن دوس الهذلي بن
أمية بن حذيفة بن زهير بن إيلاد بن أدين بمد بن عدنان . قال الخطيب : ولى ابن أبي دؤاد قضاء
القضاة للمعتصم ، ثم للواثق . وكان موصوفاً بالجود والسخاء وحسن الخلق وفور الأدب ، غير أنه
أعلن بمنه الجبمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى في الآخرة .
قال الصولي : لم يكن بعد البرامكة أكرم منه ، ولولا ما وضع من نفسه من محبة المحنة لاجتمعت عليه
الأنس . قالوا : وكان مولده في سنة ستين ومائة ، وكان أسن من يحيى بن أكرم بشرين سنة . قال
ابن خلكان : وأصله من بلاد قنسرين ، وكان أبوه تاجراً ينفذ إلى الشام ثم وفد إلى العراق وأخذ
ولده هذا معه إلى العراق ، فاشتغل بالعلم وصحب هياج بن الملا السلي أحد أصحاب واصل بن عطاء
فأخذ عنه الاعتزال ، وذكر أنه كان يصحب يحيى بن أكرم القاضي يأخذ عنه العلم . ثم مردله
ترجمة طويلة في كتاب الوفيات ، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال : -

رسول الله والخلفاء منا • ومنا أحمد بن أبي دؤاد

فرد عليه بعض الشعراء فقال :

قل للناخرين على نزار • وهم في الأرض سادات العباد

رسول الله والخلفاء منا • ونيراً من دعي يحيى إيلاد

ومنا إيلاد إذا أقرت • بدعوة أحمد بن أبي دؤاد

قال : فلما بلغ ذلك أحمد بن أبي دؤاد قال : لولا أني أكره العقوبة لعقبت هذا الشاعر عقوبة

ما فعلها أحد . وعفا عنه . قال الخطيب : حدثني الأزهرى ثنا أحمد بن عمر الواعظ حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك حدثني جرير بن أحمد أبو مالك قال : كان أبي - يعني أحمد بن أبي دؤاد - إذا صلى رفع يديه إلى السماء وخُلب ربه وأنشأ يقول :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما • فيج الأمور بقوة الأسباب

واليوم حاجتنا إليك وإنما • يدعى الطبيب لساعة الأوصاب

ثم روى الخطيب أن أبا تمام دخل على ابن أبي دؤاد يوماً فقال له : أحسبك عاتباً ، قال : إنما يستب علي واحد وأنت الناس جميعاً . قال له : أتى لك هذا ؟ قال : من قول أبي نواس :
وليس على الله بمستكر • أن يجمع العالم في واحد
وامتنحه أبو تمام يوماً قال :

لقد أنست مساوى كل دهر • محاسن أحمد بن أبي دؤاد

وما سافرت في الأساق إلا • ومن جدواك راحلي وزادي

نعم القطن عندك والأمانى • وإن قلقت ركابي في البلاد

فقال له : هذا المعنى تعرضت به أو أخذته من غيرك ؟ قال : هولى ، غير أنى أحت بقول أبي نواس :

وإن جرت الألفاظ يوماً بمحنة • لغيرك إنساناً فانت ألقى نفي

وقال محمد بن الصولي : ومن مختار مدح أبي تمام لأحمد بن أبي دؤاد قوله :

أحمد إن الحاسدين كثير • ومالك إن عد الكرام نظير

حلت محلاً فاضلاً متقادماً • من المجد والفخر القديم نفور

فكل غنى أو فقير فاته • إليك وإن قال السماء فقير

إليك تنهى المجد من كل وجهة • يصير فما يمدوك حيث يصير

وبدر إداد أنت لا ينكرونه • كذلك إداد اللام بدور

فنجبت أن تدعى الأمير تواضاً • وأنت لمن يدعى الأمير أمير

فما من يد إلا إليك ممدّة • وما روضة إلا إليك تشير

قلت : قد أخطأ الشاعر في هذه الأبيات خطأ كبيراً ، وأغش في المبالغة فحشا كثيراً ، ولعله إن اعتقد هذا في مخلوق ضعيف مسكين ضال مضل ، أن يكون له جهنم وساعات مصيراً . وقال ابن أبي دؤاد يوماً لبعضهم : لما لم لا تأتاني ؟ قال له : لأني لو سألتك أعطيتك ممن صلتك . قال له : صدقت . وأرسل إليه بخمسة آلاف درهم .

وقال ابن الأعرابي : سألت رجلاً ابن أبي دؤاد أن يحمله على غير قال : يا غلام اعطه غيراً وبتلاً

ورفؤنا وفرما وجارية . وقال له : لو أعلم من كذب غير هذا لأعطينك . ثم أورد الخطيب بأسانيد
عن جماعة أخباراً تدل على كرمه وفصاحته وأدبه وحلمه ومبادرته إلى قضاء الحاجات ، وعظيم منزلته
عند الخلفاء . وذكر عن محمد المهدي بن الوائقي أن شيخاً دخل يوماً على الوائقي فلم يرد عليه
الوائقي بل قال : لا سلم الله عليك . قال : يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك مملك . قال الله تعالى
(وإذا حينئذ بنحية نفخوا بأحسن منها أو ردوها) فلا حينئذ بأحسن منها ولا رددتها . فقال ابن أبي
دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل منكلم . قال : ناظره . قال ابن أبي دؤاد : ما تقول يا شيخ في القرآن
أخلق هو ؟ قال الشيخ : لم تتصفى ، المسألة لي . قال : قل . قال : هذا الذي تقوله عليه رسول الله
ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ أو ما علموه ؟ قال ابن أبي دؤاد : لم أعلموه . قال : فانت علمت ما لم
يعلموا ؟ فنجعل وسكت . ثم قال أفأنت بل علموه ، قال : فلم لا دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت ، أما
يسمك ما وسعهم ؟ فنجعل وسكت وأمر الوائقي له بمائة دينار فلم يقبلها . قال المهدي :
فدخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول : أما وسعك
ما وسعهم ؟ ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار ورده إلى بلاده ، وسقط من عييه ابن أبي دؤاد
ولم يمتحن بعده أحداً . ذكره الخطيب في تاريخه بإسناد فيه بعض من لا يعرف ، وساق قصته
مطولة . وقد أنشد ثعلب عن أبي حجاج الأعرابي أنه قال في ابن أبي دؤاد :

نكست الدين يا ابن أبي دؤاد • فأصبح من أطاعك في ارتداد
زعمت كلام ربك كان خلقاً • أما لك عند ربك من ممد
كلام الله أنزله بعلم • على جبريل إلى خير العباد ^(١)
ومن أمسى يبابك مستضيئاً • كمن حلّ الفلاة بنير زاد
لقد أطرفت يا ابن أبي دؤاد • بقولك إنني رجل يلاذي

ثم قال الخطيب : أنبأ القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال : أنشدنا المصافي بن
زكريا الجري عن محمد بن يحيى الصولي لبعضهم بهجو ابن أبي دؤاد :
لو كنت في الرأي مفسوباً إلى رشد • وكان عزمك عزماً فيه توفيق
وقد قدمت هذه الأبيات .

وروى الخطيب عن أحمد بن الموفق أبو يحيى الجلاء أنه قال : ناظرني رجل من الواقعية في خلق
القرآن فتألفي منه ما أكره ، فلما أمسيت أتيت امرأتى فوضعت لي المشاء فلم أقدر أن أأكل منه شيئاً ،
فكنت فرأيت رسول الله ﷺ في المسجد الجامع وهناك حلقة فيها أحمد بن حنبل وأصحابه ، فجعل
رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية (فإن يكفر بها هؤلاء) ويشير إلى حلقة ابن أبي دؤاد (وقد وكلنا
١) . كننا في الأصل والوزرة غير مستقيم .

بها قوماً ليسوا بها بكافرين) ويشير إلى أحد بن حنبل وأصحابه . وقال بمضمون : رأيت في المنام كأن
قائلاً يقول : هلك الأئمة أحد بن أبي دؤاد . قلت له : وما سبب هلاكه ؟ قال : إنه أغضب الله
عليه فغضب عليه من فوق سبع سموات . وقال غيره : رأيت ليلة مات ابن أبي دؤاد كأن النار
زفرت زفرة عظيمة فخرج منها لمب قتلت : ما هذا ؟ قيل هذا أنجرت لابن أبي دؤاد .

وقد كان هلاكه في يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة ، وصلى عليه ابنه العباس ودفن
في داره ببغداد وعمره يومئذ ثمانون سنة ، وابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقي طريحاً
في فراشه لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده ، وحرم لغة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك .
وقد دخل عليه بمضمون : قال : والله ما جئتكم عائداً وإنما جئتكم لأعزيك في نفسك وأحد الله
أقوى سجنك في جسدي الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن ، ثم خرج عنه داعياً عليه بأن
يزيده الله ولا ينقصه مما هو فيه ، فإزداد مرضاً إلى مرضه . وقد صودر في العام الماضي بأموال جزيلة
جداً ، ولو كان يحمل العقوبة لوضعا عليه المتوكل . قال ابن خلكان : كان مولده في سنة ستين ومائة .
قلت : فلي هذا يكون أسن من أحد بن حنبل ومن يحيى بن أكرم الذي ذكر ابن خلكان أن ابن
أكرم كان سبب اتصال ابن أبي دؤاد بالخليفة المأمون ، فخطى عنده بحيث إنه أوصى به إلى أخيه
المعتصم ، فولاه المعتصم القضاء والمظالم ، وكان ابن الزيات الوزير ينفذه ، وجرى بينهما منازعات
وهجو ، وقد كان لا يقطع أمراً بدونه . وعزل ابن أكرم عن القضاء وولاه مكانه ، وهذه الحنة التي
هي أس ما بعدها من الحن ، والفطنة التي فتحت على الناس لب الفتن .

ثم ذكر ابن خلكان ما ضرب به الفالج وما صودر به من المال ، وأن ابنه أبا الوليد محمد
صودر بألف ألف دينار ومائتي ألف دينار ، وأنه مات قبل أبيه بشهر . وأما ابن عساكر فانه بسط
القول في ترجمته وشرحها شرحاً جيداً . وقد كان الرجل أديباً فطيماً كريماً جواداً ممدحاً يؤثر المطاء
على المنع ، والفرقة على الجمع . وقد روى ابن عساكر بإسناده أنه جلس يوماً مع أصحابه ينتظرون
خروج الوائقي فقال ابن أبي دؤاد إنه ليمجني هذان البيتان :

ولي نظرة لو كان يُجبلُ ناظرٌ • بنظرته أتقى لقد حيلت مني

فان ولدت ما بين تسمة أشهر • إلى نظر ابنائنا فان ابنها مني

ومن توفي فيها من الأعيان أبو نود إبراهيم بن خالد الكلبي أحد القضاة المشاهير . قال الأمام
أحمد : هو عندنا في سلاح الثوري . وخليفة بن خياط أحد أئمة التلويح وسويد بن سعد المدائني
وسويد بن نصر . وعبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون أحد قضاة المالكية المشهورين . وعبد الواحد
ابن غيث . وقتيبة بن سعيد شيخ الأئمة والسنة . وأبو الميمون عبد الله بن خالد كاتب عبد الله بن

ظاهر وشامره ، كان علماً باقنة وله فيها مصنفات عديدة أورد منها ابن خلكان جملة ، ومن شعره
يحمد عبد الله بن طاهر :

يا من يحاول أن تكون صفاته • كصفات عبد الله أنصت واطمع
فلا نصحتك في خصال والقي • حج الحجيج إليه فاطمع أو دع
أصدق وعف وبر وأصبر واحتمل • واصنع وكاف دار واحلم واشجع
والطف ولين وتأن وارفق واتدد • واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي • وهديت لتهيج الأسد المبيع
﴿ وأما سحنون المالكي صاحب المدونة ﴾

فهو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن جندب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي ،
أصله من مدينة حمص ، فاستقل به أبوه مع جندها بلاد المغرب فأقام بها ، وانتهت إليه رئاسة منذهب
مالك هنالك ، وكان قد تفقه على ابن القاسم ، وسببه أنه قدم أسد بن الفرات صاحب الامام مالك
من بلاد العرب إلى بلاد مصر فسأل عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك عن أسئلة كثيرة فأجابها
عنها ، فقبلها عنه ودخل بها بلاد المغرب فانتسبها منه سحنون ، ثم قدم على ابن القاسم مصر فأعاد
أسئلته عليه فزاد فيها وقصص ، ورجع عن أشياء منها ، فرتبها سحنون ورجع بها إلى بلاد المغرب ،
وكتب معه ابن القاسم إلى أسد بن الفرات أن يرض نسخة على نسخة سحنون ويصلحها بها
فلم يقبل ، فدعى عليه ابن القاسم فلم يلتفت به ولا يكتبه ، وصارت الرحلة إلى سحنون ، وانتشرت
عنه المدونة ، وساد أهل ذلك الزمان ، وتولى القضاء بالقيروان إلى أن توفي في هذه السنة عن ثمانين
سنة رحمه الله وإيادنا .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين ﴾

في جمادى الأولى أو الآخرة من هذه السنة وثب أهل حمص أيضاً على علمهم محمد بن عبيدويه
فأرادوا قتله ، وساعدهم نصارى أهلها أيضاً عليه ، فكتب إلى الخليفة يطلبه بذلك ، فكتب إليه يأمره
ببناهضتهم ، وكتب إلى متولى دمشق أن يمدد بجيش من عنده ليساعده على أهل حمص ، وكتب
إليه أن يضرب ثلاثة منهم مروفين بالشر بالسياط حتى يموتوا ، ثم يصلهم على أبواب البلد ، وأن
يضرب عشرين آخرين منهم كل واحد ثلثائة ، وأن يرسلهم إلى ساحرا مقيدتين في الحديد ، وأن
يخرج كل نصراني بها ويهدم كنيسها العظمى التي إلى جانب المسجد الجامع ، وأن يضيها إليه ،
وأمر له بخمسين ألف درهم ، وللأشراء الذين ساعدوه بصلات سنية . فاستل ما أمره به الخليفة
ففيها أمر الخليفة المتوكل على الله بضرب رجل من أعيان أهل بغداد يقال له عيسى بن

جعفر بن محمد بن عاصم ، فحضر ضرباً شديداً مبرحاً ، يقال إنه ضرب ألف سوط حتى مات .
وذلك أنه شهد عليه سبعة عشر رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسان الزبدي أنه يشتم أبا بكر وعمر
وعائشة وحفصة رضي الله عنهم . فرجع أمره إلى الخليفة فجاء كتاب الخليفة إلى محمد بن عبد الله بن
طاهر بن الحسين قائم بغداد يأمره أن يضربه بين الناس حد السب ، ثم يضرب بالسياط حتى
يموت ويلقى في حجلة ولا يصل عليه ، ليرتفع بذلك أهل الإلحاد والمماندة . ففعل معه ذلك قبحه
الله ولعنه . ومثل هذا يكفر إن كان قد قنف عائشة بالإجماع ، وفيمن قنف سواها من أمهات المؤمنين
قولان ، والصحيح أنه يكفر أيضاً ، لأنهن أزواج رسول الله ﷺ ورضي عنهن .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة اهتضت الكواكب ببغداد وتناثرت ، وذلك ليلة الخميس ليلة
خلت من جمادى الآخرة . قال : وفيها مطر الناس في آب مطراً شديداً جداً . قال : وفيها مات من
الذواب شيء كثير ولا سيما البقر . قال : وفيها أغارت الروم على عين زربة فأسروا من بها من الزط
وأخذوا نساءهم وذراريهم ودوابهم . قال : وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم في بلاد طرسوس
بمحصرة قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد ، عن إبن الخليفة له في ذلك ، واستتابته ابن أبي الشوارب .
وكانت عدة الأسرى من المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين رجلاً ، ومن النساء مائة وخمسة وعشرين
امراً ، وقد كانت أم الملك تدور لها الله عرضت النصرانية على من كان في يدنا من الأسارى ،
وكانوا نحواً من عشرين ألفاً فن أجابها إلى النصرانية وإلا قتلته ، قتلته اثني عشر ألفاً وتصر
بعضهم ، وبقى منهم هؤلاء الذين فودوا وهم قريب من التسعمائة رجلاً ونساء .

وفيها أغارت البجة على جيش من أرض مصر ، وقد كانت البجة لا يفزون المسلمين قبل ذلك ،
لهذه كانت لهم من المسلمين ، فتقضوا المدينة وصرحوا بالخلاف . والبجة طائفة من سودان بلاد
المغرب ، وكذا النوبة وشنون وزغريه ويكسوم وأمم كثيرة لا يعلمهم إلا الله . وفي بلاد هؤلاء مغان
الذهب والجوهر ، وكان عليهم حل في كل سنة إلى ديار مصر من هذه المغان ، فلما كانت دولة
المتوكل امتنعوا من أداء ما عليهم سنين متتحدة ، فكتب قائم مصر - وهو يعقوب بن إبراهيم
الباغيسي مولى الهادي وهو المعروف بقوصرة - بذلك كله إلى المتوكل ، فنضب المتوكل من ذلك
غضباً شديداً ، وشاور في أمر البجة فقيل له : يا أمير المؤمنين إنهم قوم أهل إيل وإيدية ، وإن بلادهم
بمدينة ومطشة ، ويحتاج الجيش القاهبون إليها أن يتزودوا لمقاتلهم بها طعاما وماء ، فصد ذلك عن
البيت إليهم ، ثم بلغه أنهم يغيرون على أطراف الصيد ، ويخشى أهل مصر على أولادهم منهم ،
فجيز لحربهم محمد بن عبد الله التقي ، وجعل إليه نيابة تلك البلاد كلها التاخة لأرضهم ، وكتب إلى
عمال مصر أن يمينوه بكل ما يحتاج إليه من الطعام وغير ذلك ، فتخلص وتخلص معه من الجيوش

الذين انضموا إليه من تلك البلاد حتى دخل بلادهم في عشرين ألف فارس وراجل ، وحمل معه الطعام والأدام في مراكب سبعة ، وأمر الذين هم بها أن يلجوا بها في البحر فيوافوه بها إذا توسطت بلاد البجة ، ثم سار حتى دخل بلادهم وجاوز معادنتهم وأقبل إليه ملك البجة - واسمه علي بابا - في جمع عظيم أضعاف من مع عبد بن عبد الله القسي ، وهم قوم مشركون يعبدون الأصنام ، فجعل الملك يطاول المسلمين لعله تنفذ أزوارهم فيأخذونهم بالأيدي ، فلما نفذ ماعدت المسلمين طمع فيهم السودان فيفسر الله وله الحمد بوصول تلك المراكب وفيها من الطعام والتمر والزيت وغير ذلك مما يحتاجون إليه شيء كثير جداً قسمه الأمير بين المسلمين بحسب حاجاتهم ، فليس السودان من هلاك المسلمين جوعاً فشرعوا في التآهب لقتال المسلمين ، ومركبهم الابل شبيهة بالهجن زعرة جداً كثيرة النفار ، لا تكاد ترى شيئاً ولا تسمع شيئاً إلا جعلت منه . فلما كان يوم الحرب عمد أمير المسلمين إلى جميع الأجراس التي معهم في الجيش فجعلها في رقاب الخيول ، فلما كانت الوقعة حمل المسلمون حملة رجل واحد ، فنفرت بهم إبلهم من أصوات تلك الأجراس في كل وجه ، وتفرقوا شذو مذرو ، واتبهم المسلمون يقتلون من شلوا ، لا يمتنع منهم أحد ، فلا يعلم عدد من قتلوا منهم إلا الله عز وجل . ثم أصبحوا وقد اجتمعوا رجالة فكبسهم القسي من حيث لا يشعرون قتل عامة من بقي منهم وأخذ ملكهم بالأمان ، وأدى ما كان عليه من الحل ، وأخذ منه أسيراً إلى الخليفة . وكانت هذه الوقعة في أول يوم من هذه السنة ، فولاه الخليفة على بلاده كما كان ، وجعل إلى ابن القسي أمر تلك الناحية والنظر في أمرها والله الحمد والمنة .

قال ابن جرير : ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة في جمادى الآخرة . قلت : وهذا الرجل كان نائباً على الغيار المصرية من جهة المتوكل . وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد ابن داود ، وحج جعفر بن دينار وهو والي طريق مكة وأحدث الموسم ، ولم يتعرض ابن جرير لوقعة أحد من المحدثين في هذه السنة ، وقد توفى من الأعيان الأمام أحمد بن حنبل . وجبارة بن النسل الحنفي . وأبو ثوبة الحلبي . وعيسى بن حاد سجادة . ويعقوب بن حميد بن كاسب . ولندكر شيئاً من

(ترجمة الأمام أحمد بن حنبل)

فبقول وإيالة المستمان : هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن ملازن بن شيخان بن فحل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن حهل بن النيت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام - أبو عبد الله الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي ، هكنا ساق نسبه

الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي في الكتاب الذي جمعه في مناقب أحمد عن شيخه الحافظ أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرک، وروى عن صالح ابن الامام أحمد قال: رأى أبي هذا النسب في كتاب لي قال: وما تمنع به؟ ولم ينكر النسب. قالوا: وقسم به أبوه من مريد وهو حمل فوضعت أمه ببغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه. قال صالح عن أبيه: فقتبت أذني وجعلت فيها لؤلؤتين فلما كبرت دفنتهما إلى فيمتها بثلاثين درهما. وتوفي أبو عبد الله أحمد بن حنبل يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمه الله.

وقد كان في حديثه يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث، فكان أول طلبه للحديث وأول سماعه من مشايخه في سنة سبع وثمانين ومائة، وقد بلغ من العمر ست عشرة سنة، وأول حجة حجها في سنة سبع وثمانين ومائة، ثم سنة إحدى وتسعين. وفيها حج الوليد بن مسلم، ثم سنة ست وتسعين، وجاور في سنة سبع وتسعين، ثم حج في سنة ثمان وتسعين، وجاور إلى سنة تسع وتسعين سافر إلى عند عبد الرزاق إلى اليمن، فكتب عنه هو ويحيى بن ميمون وإسحاق بن راهويه. قال الامام أحمد: حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا، أنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهما. قال: وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماش فجعلت أقول: يا عباد الله دلوني على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق. قال: وخرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لينة، ولو كان عندي تسعون درهما كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري وخرج بعض أصحابنا ولم يمكن الخروج لأنه لم يمكن عندي شيء.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه عن حملة: سمعت الشافعي قال: وعدني أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر فلم يقدم. قال ابن أبي حاتم: يشبه أن تكون خفة ذات اليد منته أن يفي بالعدة. وقد طاف أحمد بن حنبل في البلاد والأقاليم، وسمع من مشايخ مصر، وكأوا يجلونه ويحترمونه في حال سماعه منهم، وقد سرد شيخنا في تهذيبه أسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم، وكذلك الرواة عنه. قال البيهقي بعد أن ذكر جماعة من شيوخ الامام أحمد: وقد ذكر أحمد بن حنبل في المسند وغيره الرواية عن الشافعي، وأخذ عنه جملة من كلامه في أنساب قريش، وأخذ عنه من الفقه ما هو مشهور، وحين توفي أحمد وجدوا في تركته رسالتي الشافعي القديمة والجديدة.

قلت: قد أفرد ما رواه أحمد عن الشافعي وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثا، ومن أحسن ما رواه عن الامام أحمد عن الشافعي عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: «نسة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يربصه

إلى جسده يوم يموت . وقد قال الشافعي لأحمد لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلى بغداد سنة تسعين^(١) ومائة وعمر أحمد إذ ذاك نيف وثلاثين سنة . قال له : يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به أذهب إليه حجازياً كلن أو شامياً أو عراقياً أو يمنياً - يعني لا يقول بقول قهله الحجاز الذين لا يقولون إلا رواية الحجازيين ويتزولون أحاديث من سوام منزلة أحاديث أهل الكتاب - وقول الشافعي له هذه المقالة تعظيم لأحمد وإجلال له وأنه عنده بهذه المثابة إذا صح أو ضعف يرجع إليه . وقد كان الإمام أحمد بهذه المثابة عند الأئمة والعلماء كما سيأتي ثناء الأئمة عليه واعترافهم له بمكانة في العلم والحديث ، وقد بعد صيته في زمانه واشتهر اسمه في شيعته في الآفاق .

ثم حكى البيهقي كلام أحمد في الإيمان وأنه قول وعمل ويزيد وينقص ، وكلامه في القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنكاره على من يقول : إن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن . قال : وفيها حكى أبو عمار وأبو جعفر أخبرنا أحمد شيخنا السراج عن أحمد بن حنبل أنه قال : ألفت حديث . واستدل بقوله (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) قال : فاللفظ كلام الآدميين . وروى غيرهما عن أحمد أنه قال : القرآن كيف ما تصرف فيه غير مخلوق ، وأما أضالنا فهي مخلوقة . قلت : وقد قرر البخاري في هذا المعنى في أضال المباد وذكره أيضاً في الصحيح ، واستدل بقوله عليه السلام : « زينوا القرآن بأصواتكم » . ولقد قال غير واحد من الأئمة : الكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاري . وقد قرر البيهقي ذلك أيضاً .

[وروى البيهقي من طريق إسماعيل بن محمد بن إسماعيل السلمي عن أحمد أنه قال : من قال : القرآن محدث فهو كافر . ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد أنه أجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) . قال : يحتمل أن يكون تنزيهه إلينا هو المحدث ، لا الله كنهه هو المحدث . وعن حنبل عن أحمد أنه قال : يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن ، وهو ذكر رسول الله ﷺ أو وعظه لإمام . ثم ذكر البيهقي كلام الأمام أحمد^(٢) في رؤية الله في القمار الآخرة ، واحتج بحديث صهيب في الرؤية وهي زيادة ، وكلامه في نفى التشبيه وترك الخوض في الكلام والتمسك بما ورد في الكتاب والسنة عن النبي ﷺ وعن أصحابه [وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السالك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى : (وجاء ربك) أنه جاء ثوابه . ثم قال البيهقي : وهذا إسناد لا اعتبار عليه]^(٣) وقال الأمام أحمد : حدثنا أبو بكر بن عيش ثنا علم عن زر عن عبد الله - هو ابن مسعود -

(١) تختم أن الرحلة الثانية لشافعي كانت سنة ثمان وتسعين ومائة .

(٢) ، (٣) زيادة من المصرية .

قال : ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآوه سيئاً فهو عند الله سيئ . وقد رأى الصحابة جيداً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه إسناده صحيح . قلت : وهذا الأثر فيه حكاية إجماع عن الصحابة في تقديم الصديق . والأمر كما قاله ابن مسعود ، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة . وقد قال أحمد حين اجتاز بمصر وقد حمل إلى المأمون في زمن الحنة ودخل عليه عمرو بن عثمان الحمصي فقال له : ما تقول في الخلافة ؟ قال : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ومن قدم علياً على عثمان قد أزرى بأصحاب الشورى لأنهم قدموا عثمان رضي الله عنه .

(فصل في ورعه وتشفه وزهده رحمه الله ورضي عنه)

روى البيهقي من طريق المزي عن الشافعي أنه قال للرشيد : إن اليمين يحتاج إلى قاض ، قال له : اختر رجلاً توله إياها . فقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه : ألا تقبل قضاء اليمين ؟ فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً وقال للشافعي : إني إنما أختلف إليك لأجل العلم المزهّد في الدنيا ، فأنكرني أن ألقى القضاء ؟ ولولا العلم لما أكلت بعد اليوم . فاستحى الشافعي منه . وروى أنه كان لا يصلي خلف عمه إسحاق بن حنبل ، ولا خلف بنيه ولا يكلمهم أيضاً ، لأنهم أخذوا جائزة السلطان . ومكث مرة ثلاثة أيام لا يجد ما يأكله حتى يمض إلى بعض أصحابه فاستقرض منه دقيقتاً فصرف أهل حاجته إلى الطعام فمجلوا وعجنوا وخبزوا له سرياً فقال : ما هذه المجلة ! كيف خبزتم ؟ قالوا : وجدنا تور بيت صالح مسجوراً فخرنا لك فيه . فقال : ارضوا ، ولم يأكل وأمر بسد بابيه إلى دار صالح . قال البيهقي : لأنّ صالحاً أخذ جائزة السلطان ، وهو المتوكل على الله . وقال عبد الله ابنه : مكث أبي بالسكر عند الخليفة سنة عشر يوماً لم يأكل فيها إلا ربع مد سوقاً ، يظفر بعد كل ثلاث ليال على سفة منه حتى رجع إلى بيته ، ولم يرجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر . وقد رأيت موقيه دخلاً في حقيقته . قال البيهقي : وقد كان الخليفة يبعث إليه المائتة فيها أشياء كثيرة من الأنواع وكان أحمد لا يقتاتل منها شيئاً . قال : وبعث المأمون مرة ذهباً يقسم على أصحاب الحديث فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل فإنه أبي .

وقال سليمان الشاذكوتي : حضرت أحمد وقد رهن سطلا له عند طاي باليمن ، فلما جاءه بفكاكه أخرج له سطلين فقال : خذ متاعك منهما . فاشقبه عليه أيهما له فقال : أنت في حل منه ومن الشكك ، وتركه وذهب . وحكى ابنه عبد الله قال : كنا في زمن الواثق في ضيق شديد ، فكتب رجل إلى أبي : إن عندي أربعة آلاف درهم ورتبتها من أبي وليست صدقة ولا زكاة ، فإن رأيت أن أتقبلها . فامتنع من ذلك ، وكرر عليه فأبى ، فلما كان بعد حين ذكرنا ذلك قال أبي : لو كنا قبلناها كانت ذهبت وأكلناها ، وعرض عليه بعض التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة جملها

باسمه فأبى أن يقبلها وقال : نحن في كفاية وجزاك الله عن قصديك خيراً . وعرض عليه تاجر آخر ثلاثة آلاف دينار فاستمع من قبولها وقام وتركه . وضدت فتنة أحمد وهو في اليمن فرض عليه شيخه عبد الرزاق ملء كفه دنانير فقال : نحن في كفاية ولم يقبلها . وسرقت ثيابه وهو باليمن فجلس في بيته ورد عليه الباب وقدمه أصحابه فجاءوا إليه فسألوه فأخبرهم فرضوا عليه ذهباً فلم يقبله ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ليكتب لهم به فكتب لهم بالأجر رحمه الله . وقال أبو داود : كانت مجالس أحمد بمجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، وما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط . وروى البيهقي أن أحمد سئل عن التوكل قال : هو قطع الاستشراف باليأس من الناس ، قيل له : هل من حجة على هذا ؟ قال : نعم ! إن إبراهيم للمرى به في النار في المنجنيق عرض له جبريل فقال : هل لك من حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، قال : فسل من لك إليه حاجة . قال : أحب الأمرين إلى أحبهما إليه . وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الصفار قال : كنا مع أحمد بن حنبل بسر من رأى قلنا : ادع الله لنا قال : اللهم إنك تعلم أنك على أكثر مما نحب فأجملنا على ما نحب دائماً . ثم سكت . قلنا : زدنا قال : اللهم إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسموات والأرض (اتقيا طوعاً أو كرهاً قالنا آتيننا طائفتين) اللهم وقتنا لمرضاتك ، اللهم إنا نفوذ بك من الفقر إلا إليك ، ونفوذ بك من القدر إلا لك ، اللهم لا تكثر لنا فطني ولا تقل علينا فنفسى ، وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلائنا لنا في دنيانا ، وغنى من فضلك . قال البيهقي : وفي حكاية أبي الفضل التميمي عن أحمد : وكان يدعو في السجود : اللهم من كل من هذه الأمة على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إلى الحق ليكون من أهل الحق . وكان يقول : اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد ﷺ فداء فأجعلني فداء لهم . وقال صالح بن أحمد : كان أبي لا يدع أحداً يستقي له الماء للوضوء ، بل كان يلى ذلك بنفسه ، فإذا خرج القلوع ملأ ن قال : الحمد لله . فقالت : يا أبة ما القائمة بفلك ؟ قال : يا بني أما سمعت قول الله عز وجل (أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين) والأخبار عنه في هذا الباب كثيرة جداً . وقد صنف أحمد في الزهد كتاباً حافلاً عظيماً لم يسبق إلى مثله ، ولم يلحقه أحد فيه . والمظنون بل المقطوع به أنه إنما كان يأخذ بما أمكنه منه رحمه الله .

وقال إسماعيل بن إسحاق السراج : قال لي أحمد بن حنبل : هل تستطيع أن تريق الحارث الحاسبي إذا جاء منزلك ؟ قلت : نعم ! وفرحت بفلك ، ثم ذهبت إلى الحارث قلت له : إني أحب أن تحضر العيلة عندي أنت وأصحابك . قال : إنهم كثير فأحضر لهم التمر والكسب . فلما كان بين المشامين جازوا وكان الإمام أحمد قد سبقهم فجلس في غرفة بحيث يرام ويسمع كلامهم ولا يروته ، فلما صلوا المشاء الآخرة لم يصلوا بعدها شيئاً ، بل جازوا فجلسوا بين يدي الحارث سكوناً

مطرق الرأس ، كأنما على رؤسهم الطير ، حتى إذا كن قريبا من نصف الليل سأل رجل مسألة فشرع الحارث يتكلم عليها وعلى ما يتعلق بها من الزهد والورع والوعظ ، فجعل هذا يبكي وهذا يئن وهذا يزعم ، قال : فصعدت إلى الأمام أحمد إلى الفرة فإذا هو يبكي حتى كاد ينشئ عليه ، ثم لم يزالوا كذلك حتى الصباح ، فلما أرادوا الانصراف قلت : كيف رأيتم هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ قال : ما رأيتم أحداً يتكلم في الزهد مثل هذا الرجل ، وما رأيتم مثل هؤلاء ، ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمع بهم . قال البيهقي : يحتمل أنه كرهه له محبتهم لأن الحارث بن أسد ، وإن كان زاهداً ، فإنه كان عنده شيء من علم الكلام ، وكان أحمد يكره ذلك ، أو كره له محبتهم من أجل أنه لا يطبق سلوك طريقهم ومأم عليه من الزهد والورع . قلت : بل إنما كره ذلك لأن في كلامهم من التفتش وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع والتدقيق والمحاسبة الحقيقة البليغة ما لم يأت بها أحد ، ولهذا لما وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث المسمى بالرعاية قال : هذا بدعة . ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب : عليك بما كان عليه مالك والثوري والأوزاعي والليث ، ودع عنك هذا فإنه بدعة . وقال إبراهيم الحربي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب فسم له على ما يجب . وقال : الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها إلا الأكابر . وقال : الفقر أشرف من الغنى ، فإن الصبر عليه مرارة وانزعاجه أعظم حالا من الشكر . وقال : لا أعدل بفضل الفقر شيئاً ، وكان يقول : على العبد أن يقبل الرزق بعد البأس ، ولا يقبله إذا تقدمه طمع أو استشراف . وكان يحب التثقل من الدنيا لأجل خفة الحساب . وقال إبراهيم قال رجل لأحمد : هذا العلم تعلمته لله ؟ فقال له أحمد : هذا شرط شديد ولكن حبيب إلى شيء فجمعته . وفي رواية أنه قال : أما لله فمميز ، ولكن حبيب إلى شيء فجمعته . وروى البيهقي أن رجلاً جاء إلى الإمام أحمد فقال : إن أمي زمنة مقعدة منذ عشرين سنة ، وقد يشتقي إليك لتدعو لها ، فكأنه غضب من ذلك وقال : نحن أحوج أن تدعو هي لنا من أن ندعو لها . ثم دعا الله عز وجل لها . فرجع الرجل إلى أمه فدفق البلب فخرجت إليه على رجلها وقالت : قد وهبني الله العافية . وروى أن سائلاً سأل فأعطاه الإمام أحمد قطعة فقام رجل إلى السائل فقال : هبني هذه القطعة حتى أعطيك عوضها ، ما تساوى درهما . فأبى فراه إلى خمسين درهما وهو يأتي وقال : إني أرجو من بركتها ما يرجوه أنت من بركتها . ثم قال البيهقي رحمه الله :

(باب ذكر ما جاء في محبة أبي عبد الله أحمد بن حنبل)

في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب ، وقلة ميلاته بما كان منهم في ذلك إليه وصبره عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم ، وكان أحمد علماً بما ورد بمنزل حاله من

الآيات المتلوة ، والأخبار المأثورة ، وبلغه ما أوصى به في المنام واليقظة فرضى وسلم بإيماناً واحتساباً ،
 وفاز بخير الدنيا ونعيم الآخرة ، وهياه الله بما آتاه من ذلك ليخوخ أعلى منازل أهل البلاء في الله من
 أوليائه ، وألحق به محبيه فيما قال من كرامة الله تعالى إن شاء الله من غير بلية وبلغه التوفيق والمصمة .
 قال الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ،
 ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقال الله تعالى (واصبر على
 ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) في سواها في معنى ما كتبنا . وقد روى الامام أحمد المتنح في
 مسنده قائلا فيه : حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عاصم بن بهدلة سمعت مصعب بن سعد يحدث
 عن سمسمة قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأتبياء » ثم الأمثل
 فالأمثل ، يبتلى الله الرجل على حسب دينه ، فإن كان رقيق الدين ابتلى على حسب ذلك ، وإن كان
 صلب الدين ابتلى على حسب ذلك ، وما يزال البلاء بالرجل حتى يمسي على الأرض وما عليه
 خطيته . وقد روى مسلم في صحيحه قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا أيوب عن أبي قلابة عن
 أنس . قال قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة من كن فيه قد وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله
 أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يوقن في النار أحب إليه من أن يرجع
 إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » . أخرجه في الصحيحين .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا أحمد بن حنبل ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان بن عمرو السكسكي
 ثنا عمرو بن قيس السكوني ثنا عاصم بن حميد قال : سمعت معاذ بن جبل يقول : « إنكم لم تروا إلا
 بلاء وفتنة ، ولن يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الأفسس إلا شعا » . وبه قال معاذ : « لن تروا من
 الأئمة إلا غلظة ولن تروا أمراً يهولكم ويشد عليكم إلا حضر بعده ما هو أشد منه » . قال البغوي :
 سمعت أحمد يقول : اللهم رضا . وروى البيهقي عن الربيع قال يمشي الشافعي بكتاب من مصر
 إلى أحمد بن حنبل ، فأتيته وقد اغتزل من صلاة الفجر فدفعت إليه الكتاب فقال : أقرأه ؟ قلت :
 لا ! فأخذه فقرأه فدمعت عيناه ، قلت : يا أبا عبد الله وما فيه ؟ قال : يدكر أنه رأى رسول الله
 ﷺ في المنام قال : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وأقرأ عليه مني السلام وقل له :
 إنك ستمتنح وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجيبهم ، يرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة . قال
 الربيع : قلت حلاوة البشارة ، فطلع قبضه الذي على جبهه فأعطانيه ، فلما رجعت إلى الشافعي
 أخبرته فقال : إني لست أجمعك فيه ، ولكن بالله بلقاء وأعطينيه حتى أتبرك به .

﴿ ذكر ملخص الفتنة والحنة مجموعاً من كلام أئمة السنة أمابهم الله الجنة ﴾

قد ذكرنا فيما تقدم أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المنزلة فأزاعوه عن طريق الحق

إلى الباطل ، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفى الصفات عن الله عز وجل . قال البيهقي : ولم يكن في
 الخلفاء قبله من بنى أمة وبني العباس خليفة الأعلى منهج السلف ومتهاجم ، فلما ولي هو الخلافة
 اجتمع به هؤلاء فخلعوه على ذلك وزينوا له ، واتفق خروجه إلى طرسوس ولزوا الروم فكاتب إلى نائبه
 ببنداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ، واتفق له ذلك
 آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثمانى عشرة ومائتين . فلما وصل الكتاب كما ذكرنا استدعى
 جماعة من أئمة الحديث فسلم إلى ذلك فامتنعوا ، قهدهم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكرمهم
 مكرهين : واستمر على الامتناع من ذلك الامام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجندى يسابورى ،
 فغلا على يسير وسيرا إلى الخليفة عن أمره بذلك ، وهما مقيدان متعلدان في عمل على يسير واحد
 فلما كانا ييلاد الرحبة جاءهما رجل من الأعراب من عبادهم يقال له جابر بن عمر ، فسلم على الامام
 أحمد وقال له : يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فأياك أن
 تجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا ، فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله فاصبر على
 ما أنت فيه ، فانه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل ، وإنك إن لم تقتل تمت ، وإن عشت عشت
 حيداً . قال أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذى يدعوننى
 إليه . فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بحر حلة جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه
 ويقول : يمز على يا أبا عبد الله إن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك ، وأنه يقسم بقرابته من
 رسول الله ﷺ لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقنتلك بذلك السيف . قال : فجئى الامام أحمد
 على ركبتيه ورمى بطرفه إلى السماء وقال : سيدى غر حطك هذا الفاجر حتى نجرأ على أوليائك
 بالضرب والقتل ، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته . قال : فجاءهم الصريح
 بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل . قال أحمد : ففرحنا ، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي
 الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد ، وأن الأمر شديد ، فردونا إلى بنداد فى سفينة مع بعض
 الأسارى ، وقاتل منهم أذى كثير ، وكان فى رحليه القيود ، ومات صاحبه محمد بن نوح فى الطريق
 وصلى عليه أحمد ، فلما رجع أحمد إلى بنداد دخلها فى رمضان ، فأودع فى السجن نحو من ثمانية
 وعشرين شهراً ، وقيل ثيفاً وثلاثين شهراً ، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم . وقد كان
 أحمد وهو فى السجن هو الذى يصل فى أهل السجن والقيود فى رحليه .

(ذكر ضربه رضى الله عنه)

(بين يدي المعتصم عليه من الله ما يستحقه)

لما أحضره المعتصم من السجن زاد فى قيوده ، قال أحمد : فلم أستطع أن أشفى بها فربطتها فى

النسكة وحملها بيدي ، ثم جازى بداية فحملت عليها فكنت أن أسقط على وجهي من قتل القيود
وليس معي أحد يسكني ، فلم الله حتى جئنا دار المنصم ، فأدخلت في بيت وأغلق على وليس
عندي سراج ، فأردت الضوء ففكت يدي فاذا إنا فيه ماء فتوضأت منه ، ثم قمت ولا أعرف القبلة ،
فما أصبحت إذا أنا على القبلة والله الحمد . ثم دعيت فأدخلت على المنصم ، فلما نظر إلى وعنده ابن
أبي دؤاد قال : أليس قد زعمت أنه حدث السن وهذا شيخ مكمل ؟ فلما دتوت منه وسلت قال لي :
أدنه ، فلم يزل يدينني حتى قربت منه ثم قال : اجلس ! فجلست وقد أفتقني الحديد ، فكثت ساعة
ثم قلت : يا أمير المؤمنين إلى م دعا إليه ابن عمك رسول الله ﷺ ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله
إلا الله . قلت : فاني أشهد أن لا إله إلا الله . قال : ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس
ثم قلت : فهذا الذي دعا إليه رسول الله ﷺ . قال : ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه ، وذلك
أن لم أفهمه كلامه ، ثم قال المنصم : لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أترض إليك ، ثم قال :
يا عبد الرحمن ألم أترك أن ترض الحنة ؟ قال أحد : قلت ، الله أكبر ، هذا فرج للسليين ، ثم قال :
فاظرو يا عبد الرحمن ، كله . فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ فلم أجبه ، فقال المنصم : أجبه
قلت : ما تقول في العلم ؟ فسكت ، قلت : القرآن من علم الله ، ومن زعم أن علم الله مخلوق قد
كفر بالله ، فسكت فقالوا فيما بينهم : يا أمير المؤمنين كفرنا وكفرنا ، فلم يلتفت إلى ذلك ، فقال
عبد الرحمن : كان الله ولا قرآن ، قلت : كان الله ولا علم ؟ فسكت . فجعلوا يتكلمون من ههنا
وههنا ، قلت : يا أمير المؤمنين اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به ، فقال :
ابن أبي دؤاد : وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا ؟ قلت : وهل يقوم الاسلام إلا بهما . وجرت مناظرات
طويلة ، واحتجوا عليه بقوله (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) وبقوله (الله خالق كل شيء)
وأجلب بما حاصله أنه علم مخصوص بقوله (تدمر كل شيء بأمر ربها) فقال ابن أبي دؤاد : هو والله
يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع ، وهنا قضائك والعقهاء فلسهم ، فقال لهم : ما تقولون ؟ فأجابوا
بمثل ما قال ابن أبي دؤاد ، ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضاً في اليوم الثالث ، وفي ذلك
كله يدور صوته عليهم وتقلب حجته عليهم . قال : فاذا سكتوا فتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد ،
وكان من أجملهم بالعلم والكلام ، وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم لهم بالقتل ، فجعلوا
ينكرون الآثار وردون الاحتجاج بها ، وسمعت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحداً يقولها ، وقد
تكلم معي ابن غوث ^(١) بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا قائمة فيه ، قلت : لا أدري
ما تقول ، إلا أني أعلم أن الله أحد صمد ، ليس كمثل شيء ، فسكت عني . وقد أوردت لهم حديث

الرؤية في الدار الآخرة غايلوا أن يضعفوا إسناده ويلفتوا عن بعض المحدثين كلاماً يسلفون به إلى الطعن فيه ، وهيهات ، وأنى لهم التناول من مكان بعيد ؟ وفي غبون ذلك كله يتلطف به الخليفة ويقول : يا أحد أجبني إلى هذا حتى أجلك من خاصتي ومن يظاً بساطي . فأقول : يا أمير المؤمنين يأتوني بآية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله ﷺ حتى أجيبهم إليها .

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى (يا أبا له تميد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئاً) وقوله (وكلم الله موسى تكليماً) وقوله (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) وقوله : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) ونحو ذلك من الآيات . فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل . وقال له إسحاق بن إبراهيم قائب بغداد : يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تغفل سبيله وتغفل خليفتين ، فند ذلك حى واشتد غضبه ، وكان أليهم عريكة ، وهو يظن أنهم على شيء . قال أحد فند ذلك قال لي : لئنك الله ، طمعت فيك أن تحييني فلم تحييني ، ثم قال : خذوه واخلموه واسحبوه . قال أحمد : فأخذت وسحبت وخلعت وجى بالمعاقبين والسياط وأنا أنظر ، وكان معي شرار من شعر النبي ﷺ مصرورة في ثوبي ، فجدوني منه وصرت بين المعاقبين ، قتلت : يا أمير المؤمنين الله الله ، إن رسول الله ﷺ قال : « لا يحمل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بأحدي ثلاث » وتلت الحديث ، وأن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم » : فم تستحل دمي ولم آت شيئاً من هذا ؟ يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين الله كوقوفي بين يديك ، فكأنه أسك . ثم لم يزالوا يقولون له : يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر ، فأمر بي فممت بين المعاقبين وجى بكرسى فأقت عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأى الخشبتي فلم أفهم ، فتخلعت يداي وجى بالضرايين ومعهم السياط فجعل أحدم يضربني سوطين ويقول له - يعنى المعتصم - : شد قطع الله يديك ، ويجى الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك ، فضربوني أسواطاً فأغى على وذهب عقل مراراً ، فإذا سكن الضرب يعود على عقل ، وقام المعتصم إلى يدعوني إلى قولهم فلم أجبه ، وجعلوا يقولون : ويحك ! الخليفة على رأسك ، فلم أقبل وأعدوا الضرب ثم عاد إلى فلم أجبه ، فأعدوا الضرب ثم جاء إلى الثالثة ، فعداني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب ، ثم أعدوا الضرب فذهب عقل فلم أحس بالضرب وأربعة ذلك من أمرى وأمر بي فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت ، وقد أطلقت الأقياد من رجل ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين ، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله ، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً ، وقيل ثمانين سوطاً ، لكن كان ضرباً مبرحاً

شديد جداً . وقد كان الامام أحمد رجلاً طويلاً رفيقاً أحراراً كثير التواضع رحمه الله .
ولما حل من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم ، أتوه بسويق ليفطر من الضعف
فامتنع من ذلك وأتم صومه ، وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال له ابن مبيعة القاضي :
وصليت في ذلك ! فقال له أحمد : قد صلى عمر وجرحه يشب دماً ، فسكت . وروى أنه لما أقيم
ليضرب انقطع تكلمه سراويله فغشى أن يسقط سراويله فتكشف عورته فحرك شفتيه فدعا الله
فنادى سراويله كما كان ، وروى أنه قال : يا غياث المستغيثين ، يا إله العالمين ، إن كنت تعلم أنني قائم
فك بحق فلا تنك لي عورة .

ولما رجع إلى منزله جاءه الجراحي قطع لحماً ميتاً من جسده وجعل يدأويه والنائب في كل وقت
يسأل عنه ، وذلك أن المتعم ندم على ما كان منه إلى أحمد فلما كثرت ، وجعل يسأل النائب عنه
والنائب يستعلم خبره ، فلما عوف فرح المتعم والمسلون بذلك ، ولما شفاه الله بالمغاية بقي مدة
وإيهامه يؤذيها البرد ، وجعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة ، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى
(وليعلموا وليصنعوا) الآية . ويقول : ماذا ينفعك أن يمتب أخوك المسلم بسببك ؟ وقد قال تعالى
(فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) وينادي المندى يوم القيامة : « ليقم من
أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :
« ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله عبداً بغوا إلا عزاً ، ومن تواضع لله رضي الله »
وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يحميوا بالكلية أربعة ^(١) : أحمد بن حنبل وهو رئيسهم ، ومحمد بن
نوح بن ميمون الجندى يسابورى ، ومات بالطريق . ونعيم بن حاد الخزاعي ، وقد مات في السجن ،
وأبو يعقوب البريعلى وقد مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن . وكان مثقلاً بالحديد .
وأحمد بن نصر الخزاعي وقد ذكرنا كيفية مقتله .

﴿ ذكر ثناء الأئمة على الامام أحمد بن حنبل المعظم المبجل ﴾

قال البخارى : لما ضرب أحمد بن حنبل كناً بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسى يقول :
لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان أحدوته . وقال إسماعيل بن الخليل : لو كان أحمد في بني إسرائيل
لكان نبياً . وقال المزني : أحمد بن حنبل يوم الحنة ، وأبو بكر يوم الردة ، وعمر يوم السقيفة ، وعثمان
يوم الحار ، وعلى يوم الجمل وصفين . وقال حرمة : سمعت الشافعى يقول : خرجت من العراق فما
ترك رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أتقى من أحمد بن حنبل . وقال شيخ أحمد يحيى بن سعيد
القطان : ما قدم على بغداد أحد أحب إلى من أحمد بن حنبل . وقال قتيبة : مات سفيان الثوري
وملت الورع ، ومات الشافعى وماتت السنن ، ويموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع . وقال ابن أحمد

ابن حنبل قام في الأئمة مقام النبوة . قال البيهقي - يعني في ضربه على ما أصابه من الأذى في ذات الله - وقال أبو عمر بن النحاس - وذكر أحمد يوماً - قال رحمه الله : في الدين ما كان أبصره ، وعن الدنيا ما كان أبصره ، وفي الزهد ما كان أخبره ، وبالصلحين ما كان ألحقه ، وبالفاشين ما كان أشبهه ، عرضت عليه الدنيا فأبأها ، والبذع فتفأها . وقال بشر الخافي بعد ما ضرب أحمد بن حنبل : أدخل أحمد الكبير فخرج ذهباً أحر . وقال الميموني قال لي علي بن المديني بعد ما امتحن أحمد وقيل قبل أن يمتحن : يا ميمون ما قام أحد في الاسلام ما قام أحمد بن حنبل . فصجبت من هذا عجبا شديداً وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة علي بن المديني فقال : صدق ، إن أبا بكر وجد يوم الردة أنصاراً وأعواناً ، وإن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان . ثم أخذ أبو عبيد يطرئ أحمد ويقول : لست أعلم في الاسلام مثله . وقال إسحاق بن راهويه : أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه . وقال علي بن المديني : إذا ابتليت بشيء فاقضائي أحمد بن حنبل لم أبال إذا لتيت ربي كيف كان . وقال أيضاً : إني اتخفت أحمد حجة فيما بيني وبين الله عز وجل ، ثم قال : ومن يقرى على ما يقرى عليه أبو عبد الله ؟ وقال يحيى بن معين : كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيته في عالم قط ، كان محدثاً ، وكان حافظاً ، وكان عالماً ، وكان ورعاً ، وكان زاهداً ، وكان عاقلاً . وقال يحيى بن معين أيضاً : أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل ، والله ما أقوى أن نكون مثله ولا نطبق سلوك طريقه . وقال القهلي : اتخفت أحمد حجة فيما بيني وبين الله . وقال هلال بن المعلل الرقي : من الله على هذه الأمة بأربعة : بالشافعي فهم الأحاديث وفسرها ، وبين مجملها من مفصلها ، والخاص والعام والناسخ والمنسوخ . وبأبي عبيد بن غريبها . ويحيى بن معين في الكنف عن الأحاديث ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة لولا هؤلاء الأربعة هلك الناس . وقال أبو بكر ابن أبي داود : أحمد بن حنبل مقدم على كل من يحمل يده قفاً وعبرة - يعني في عصره - وقال أبو بكر محمد بن عبد بن رجاء : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأيت من رأى مثله . وقال أبو زرعة الرازي : ما أعرف في أممنا أسود الرأس أفقه منه . وروى البيهقي عن الحاكم عن يحيى بن محمد السعري قال : أشدنا أبو عبد الله البوسندي في أحمد بن حنبل رحمه الله : —

إن ابن حنبل ان سألت إيماناً • وبه الأئمة في الأنام تمسكوا
خلف النبي محمداً بعد الأئمة • خلفوا الخلف بعده واستهلكوا
حنو الشراك على الشراك وإتما • يحضو المثال مثله المستمسك

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . وروى البيهقي عن

أبي سعيد الماليني عن ابن عدى عن أبي القاسم البقوى عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن بقية بن الوليد عن معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن المنرى ح . قال البقوى : وحدثني زياد بن أيوب حدثنا بمصر عن معاذ بن إبراهيم بن عبد الرحمن المنرى ح . قال البقوى قال قال رسول الله ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » . وهذا الحديث مرسل وإسناده فيه ضعف . والعجب أن ابن عبد البر صححه واحتج به على عدالة كل من حل العلم ، والامام أحمد من أئمة أهل العلم رحمه الله وأكرم مثواه .

﴿ ذكر ما كان من أمر الامام أحمد بعد الهنة ﴾

حين خرج من دار الخلافة صار إلى منزله فدوى حتى برأ الله الحمد ، ولزم منزله فلا يخرج منه إلى جمعة ولا جماعة ، وامتنع من التحديث ، وكانت غلته من ملك له في كل شهر سبعة عشر درهما ينقها على عياله ويتقنع بذلك رحمه الله صابرا محتسبا . ولم يزل كذلك مدة خلافة المنعم ، وكذلك في أيام ابنه محمد الواثق ، فلما ولي المتوكل على الله الخلافة استبشر الناس بولايته ، فانه كان محبا للسنة وأهلها ، ورفيع الهنة عن الناس ، وكتب إلى الآفاق لا ينكلم أحد في القول بخلق القرآن ، ثم كتب إلى نائبه ببغداد - وهو إسحاق بن إبراهيم - أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه ، فاستدعى إسحاق بالامام أحمد إليه فأكرمه وعظمه ، لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إياه ، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن فقال له أحمد : سؤاكت هذا سؤال تمت أو استرشاد . فقال : بل سؤال استرشاد . فقال : هو كلام الله منزل غير مخلوق ، فسكن إلى قوله في ذلك ، ثم جهزه إلى الخليفة إلى سر من رأى ثم سبقه إليه . وبلغه أن أحمد اجتاز بابنه محمد بن إسحاق فلم يأت به ولم يسلم عليه ، فغضب إسحاق بن إبراهيم من ذلك وشكاه إلى الخليفة فقال المتوكل : يرد وإن كان قد وطئ باطلا ، فرجع الامام أحمد من الطريق إلى بغداد . وقد كان الامام أحمد كلها لمحبيته إليهم ولكن لم يكن ذلك على كثير من الناس وإنما كان رجوعه عن قول إسحاق بن إبراهيم الذي كان هو السبب في ضربه . ثم إن رجلا من المبتدعة يقال له ابن البلخي وثى إلى الخليفة شيئا فقال : إن رجلا من العلويين قد أوى إلى منزل أحمد بن حنبل وهو يبايع له الناس في الباطن . فأمر الخليفة نائب بغداد أن يكبس منزل أحمد من الليل . فلم يشروا إلا والمشاعل قد أحاطت بالدار من كل جانب حتى من فوق الأسطحة ، فوجدوا الامام أحمد جالسا في داره مع عياله فسألوه عما ذكر عنه فقال : ليس عندي من هذا علم ، وليس من هذا شيء ولا هذا من نبي ، وإني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السر والعلانية ، وفي عسري ويسري ومنشطى ومكرهى ، وأثره على ، وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق ، في الليل والنهار ، في كلام كثير . ففكشوا منزله حتى مكأن الكتب وبيوت النساء والأسطحة وغيرها فلم يروا شيئا . فلما بلغ

المتوكل ذلك وعلم براهته مما نسب إليه فلم أنهم يكذبون عليه كثيراً ، فبعث إليه يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة - وهو أحد الحجبة - بشرة آلاف درهم من الخليفة ، وقال : هو يقرأ عليك السلام ويقول : استغفر الله ، فمتمتع من قبولها . قال : يا أبا عبد الله إني أخشى من ردك إليها أن يقع وحشة بينك وبينه ، والمصلحة لك قبولها ، فوضعا عنده ثم ذهب . فلما كان من آخر الليل استدعى أحد أهله وبني عمه وعياله وقال : لم أنتم هذه الليلة من هذا المال ، فجلسوا وكتبوا أسماء جماعة من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ، ثم أصبح فقرها في الناس مابين الحسين إلى المائة والمائتين ، فلم يبق منها درهما ، وأعطى منها لأبي أيوب وأبي سعيد الأشج ، وتصدق بالكيس الذي كانت فيه ، ولم يسط منها لأهله شيئاً وهم في غاية الفقر والجهد ، وجاء بنو ابنه فقال : اعطني درهما . فنظر أحد إلى ابنه صالح فنناول صالح قطعة فأعطاهما الصبي فسكت أحمد . وبلغ الخليفة أنه تصدق بالجائزة كلها حتى كيسها ، فقال علي بن الجهم : يا أمير المؤمنين إنه قد قبلها منك وتصدق بها عنك ، وماذا يصنع أحمد بالمال ؟ إنما يكفيه رغي . فقال : صدقت .

فلما مات إسحاق بن إبراهيم وابنه محمد ولم يكن بينهما إلا القريب ، وتولى نيابة بغداد عبد الله ابن إسحاق ، كتب المتوكل إليه أن يحمل إليه الامام أحمد ، فقال لأحمد في ذلك قال : إني شيخ كبير وضعيف ، فرد الجواب على الخليفة بذلك ، فأرسل يعزم عليه لتأنيتي ، وكتب إلى أحمد : إني أحب أن آس قربك وبالنظر إليك ، وبحصل لي بركة دعاك . فصار إليه الامام أحمد - وهو عليل - في بنيه وبعض أهله ، فلما قارب المسكر تلقاه وصيف الخادم في موكب عظيم ، فسلم وصيف على الامام أحمد فرد السلام وقال له وصيف : قد أمكنك الله من عدوك ابن أبي دؤاد . فلم يرد عليه جواباً ، وجعل ابنه يدعو الله للخليفة ولوصيف . فلما وصلوا إلى المسكر بسر من رأى ، أنزل أحمد في دار لستانخ ، فلما علم بذلك ارتحل منها وأمر أن يستكرى له دار غيرها . وكان رؤس الأمراء في كل يوم يحضرون عنده ويبلغونه عن الخليفة السلام ، ولا يدخلون عليه حتى يلقون ما عليهم من الزينة والسلاح . وبعث إليه الخليفة بالمغارش الوطنية وغيرها من الآلات التي تليق بتلك القادر العظيمة ، وأرأى منه الخليفة أن يقيم هناك ليحدث الناس عوضاً عما فاتهم منه في أيام الحنة وما بعدها من السنين المتطاولة ، فاعتذر إليه بأنه عليل وأسنانه تتحرك وهو ضعيف . وكان الخليفة يبعث إليه في كل يوم مائدة فيها ألوان الأطعمة والفاكهة والتلج ، مما يقاوم مائة وعشرين درهماً في كل يوم ، والخليفة يحسب أنه يأكل من ذلك ، ولم يكن أحد يأكل شيئاً من ذلك بالكلية ، بل كان شامخاً يطوى ، فسكت بحماية أيام لم يستطع بطعام ، ومع ذلك هو مريض ، ثم أقسم عليه وله حتى شرب قليلاً من السويق بمدة ثمانية أيام . وجاء عبيد الله بن يحيى بن خاتن بمال جزيل من الخليفة جائزة له فتمتع

من قبله ، فأخ عليه الأمير فلم يقبل . فأخنها الأمير ففرقها على بنيه وأهله ، وقال : إنه لا يمكن ردها على الخليفة . وكتب الخليفة لأهله وأولاده في كل شهر بأربعة آلاف درهم ، فأنعم أبو عبد الله الخليفة ، وقال الخليفة : لا بد من ذلك ، وما هذا إلا لولائك . فأمدك أبو عبد الله عن مما نمته ثم أخذ يوم أهله وعه ، وقال لهم : إنما بقي لنا أيام قلائل ، وكأنتا قد نزل بنا الموت ، فاما إلى جنة وإما إلى نار ، فنخرج من الدنيا ويطوننا قد أخذت من مال هؤلاء . في كلام طويل يعظم به . فاحتجوا عليه بالحديث الصحيح « ما جاءك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرف تخفه » . وأن ابن عمر وابن عباس قبلوا جوائز السلطان . فقال : وما هذا وذاك سواء ، ولو أعلم أن هذا المال أخذ من حقه وليس بظلم ولا جور لم أبال .

ولما استمر ضعفه جعل المتوكل يبعث إليه باين ماسويه المتطبب لينظر في مرضه ، فرجع إليه فقال : يا أمير المؤمنين إن أحد ليس به علة في بدنه ، وإنما علته من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة . فسكت المتوكل ثم سألت أم الخليفة منه أن ترى الامام أحمد ، فبعث المتوكل إليه يسأله أن يجتمع بإنه المعتز ويدعوه له ، وليكن في حجره . فتمنع من ذلك ثم أجاب إليه رجاء أن يجبل يرجوعه إلى أهله ببغداد . وبعث الخليفة إليه بخدمة سنية ومركوب من مراكه ، فامتنع من ركوبه لأنه عليه ميثرة نمور ، فجيئ ببغل لبعض التجار فركبه وجاء إلى مجلس المعتز ، وقد جلس الخليفة وأمه في ناحية في ذلك المجلس ، من وراء ستور رقيق . فلما جاء أحمد قال : سلام عليكم . وجلس ولم يسلم عليه بالامرة ، فقالت أم الخليفة : الله الله يا بني في هذا الرجل توده إلى أهله ، فان هذا ليس بمن يريد ما أنتم فيه . وحين رأى المتوكل أحمد قال لأمه : يا أمه قد تأنست الفار . وجاء الخادم ومعه خذمة سنية مبطنة وثوب وقلنسوة وطيلسان ، فألبسها أحمد بيده ، وأحمد لا يتحرك بالكيفية . قال الامام أحمد : ولما جلست إلى المعتز قال مؤدبه : أصلح الله الأمير هذا القدي أمر الخليفة أن يكون مؤدبك . فقال : إن علمني شيئاً تعلمته ، قال أحمد : فتمجبت من ذكائه في صفه لأنه كان صغيراً جداً فخرج أحمد عنهم وهو يستنفر الله ويستعذ بالله من مقتله وغضبه .

ثم بعد أيام أذن له الخليفة بالانصراف وهباً له حراقة فلم يقبل أن ينحدر فيها ، بل ركب في زورق فدخل بغداد محتجفاً ، وأمر أن تباع تلك الخذمة وأن يتصدق بشئها على الفقراء والمساكين . وجعل أياماً يتألم من اجتماعهم بهم ويقول : سلمت منهم طول عمرى ثم ابتليت بهم في آخره . وكان قد جلع عندهم جوراً عظيماً كثيراً حتى كاد أن يقتله الجوع . وقد قال بعض الأمراء للمتوكل : إن أحمد لا يأكل لك طعاماً ، ولا يشرب لك شراباً ، ولا يجلس على فرشك ، ويحرم ما تشربه . فقال : والله لو نشر المتصم وكلني في أحمد ما قبلت منه . وجلست رسل الخليفة تعد إليه في كل يوم تستعلم أخباره

وكيف حاله . وجعل يستغني في أموال ابن أبي دؤاد فلا يجيب بشئ ، ثم إن المتوكل أخرج ابن أبي دؤاد من سر من رأى إلى بغداد بعد أن أشهد عليه نفسه ببيع ضياعه وأماله وأخذ أمواله كلها . قال عبد الله بن أحمد : وحين رجع أبي من سامرا وجدنا عيينه قد دخلنا في موقيه ، وما رجعت إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر ، وامتنع أن يدخل بيت قرابته أو يدخل بيتنا فيه أو يقتنع بشئ مما هم فيه لأجل قبولهم أموال السلطان .

وكان سير أحمد إلى المتوكل في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ثم مكث إلى سنة وفاته وكل يوم إلا ويسأل عنه المتوكل ويوفد إليه في أمور يشاوره فيها ، ويستشيره في أشياء تقع له . ولما قدم المتوكل بغداد بعث إليه ابن خاقان ومعه ألف دينار ليقرقها على من يرى ، فامتنع من قبولها وقرقها ، وقال : إن أمير المؤمنين قد أعفاني عما أكره فردها . وكتب رجلا رقعة إلى المتوكل يقول : يا أمير المؤمنين إن أحمد يشتم آباءك ويرميهم بالزندقة . فكتب فيها المتوكل : أما المأمون فإنه خلط فسلط الناس على نفسه ، وأما أبي المنعم فإنه كان رجل حرب ولم يكن له بصير بالكلام ، وأما أخى الواثق فإنه استحق ما قبل فيه . ثم أمر أن يضرب الرجل القتي رفع إليه الرقعة مائتي سوط ، فأخذ عبد الله بن إسحاق ابن إبراهيم فضربه خمسمائة سوط . فقال له الخليفة : لم ضربته خمسمائة سوط ؟ فقال : مائتين لطاعتك ومائتين لطاعة الله ، ومائة لكونه قفف هذا الشيخ الرجل الصالح أحمد بن حنبل .

وقد كتب الخليفة إلى أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال لعنت ولا امتحان ولا عناد . فكتب إليه أحمد رحمه الله رسالة حسنة فيها آثار عن الصحابة وغيرهم ، وأحاديث مرفوعة . وقد أودعها ابنه صالح في الخنة التي ساقها ، وهي مروية عنه ، وقد نقلها غير واحد من الحفاظ .

(ذكر وفاة الامام أحمد بن حنبل)

قال ابنه صالح : كان مرضه في أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودخلت عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول وهو محموم يقتفس الصعداء وهو ضعيف ، فقلت : يا أبت ما كان غداؤك ؟ قال : ماء الباقلا . ثم إن صالحا ذكر كثرة عجي الناس من الأكابر وعموم الناس لميادته وكثرة حرج الناس عليه ، وكان معه خريفة فيها قطيعات ينفق على نفسه منها ، وقد أمر ولده عبد الله أن يطالب سكان ملكه وأن يكفر عنه كفارة بين ، فأخذ شيئا من الأجرة فاشترى تمرا وكفر عن أبيه ، وفضل من ذلك ثلاثة دراهم . وكتب الامام أحمد وصيته :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العبادين ، وأن يعبدوه في

الحامدين ، وأن ينصروا جماعة المسلمين ، وأوصى أنى قد رضى الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، وأوصى لعبد الله بن محمد المعروف ببوران على نحواً من خمسين ديناراً وهو مصنف فيها فيقضى ماله على من غلة الدار إن شاء الله ، فإذا استوفى أعطى ولده صالح كل ذكر وأثنى عشرة دراهم . ثم استدعى بالصبيان من ورثته فجعل يدعوهم ، وكان قد ولد له صبي قبل موته بخمسين يوماً فسماه سميماً ، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض فدعا ، فالتزمه وقبله ثم قال : ما كنت أصنع بالولد على كبر السن ؟ قيل له : ذرية تكون بك يدعون لك . قال وذلك إن حصل . وجعل يحمده الله تعالى . وقد بلغه في مرضه عن طلوس أنه كان يكره أنين المريض فتركه إلا أنين فلم يئن حتى كانت الليلة التي توفي في صبيحتها أن ، وكانت ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، فأن حين اشتد به الوجع . وقد روى عن ابنه عبد الله وروى عن صالح أيضاً أنه قال : حين احتضر أبى جعل يكثر أن يقول : لا بعد ، لا بعد ، قلت : يا أبة ما هذه اللفظة التي تليج بها في هذه الساعة ؟ قال : يا بني إن إبليس واقف في زاوية البيت وهو عاض على أصبعه وهو يقول : فنى يا أحمد ؟ فأقول لا بعد لا بعد - يعنى لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد - كما جاء في بعض الأحاديث قال إبليس : يارب وعزتك وجلالك ما أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم . قال الله : وعزتى وجلالى ولا أزال أغفر لهم ما استغفرونى .

وأحسن ما كان من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضؤ فجعلوا يوضؤونه وهو يشير إليهم أن خلوا أصابعى وهو يذكر الله عز وجل في جميع ذلك ، فلما أكلوا وضؤوه توفي رحمه الله ورضى عنه . وقد كانت وفاته يوم الجمعة حين مضى منه نحو من ساعتين ، فاجتمع الناس في الشوارع وبث محمد بن طاهر حاجبه ومعه غلمان ومعهم مناديل فيها أكفان ، وأرسل يقول : هذا نياية عن الخليفة ، فانه لو كان حاضراً لبث بهذا . فأرسل أولاده يقولون : إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما يكره وأبوا أن يكفئوه بتلك الأكفان ، وأثنى بشوب كل من قد غزله جاريته فكفئوه واشتروا معه عوز لفافة وحنوطاً واشتروا له راوية ماء وامتنعوا أن يسلوه بماء بيوتهم ، لأنه كان قد هجر بيوتهم فلا يأكل منها ولا يستمير من أمتهم شيئاً ، وكان لا يزال منتصباً عليهم لأنهم كانوا يقتالون ما رتب لهم على بيت المال ، وهو في كل شهر أربعة آلاف درهم . وكان لهم عيال كثيرة وهم قراء . وحضر غسله نحو من مائة من بيت الخلافة من بنى هاشم ، فجعلوا يقبلون بين عبيته ويدعون له ويرجون عليه رحمه الله . وخرج الناس بنمته وانخلأ في حوله من الرجال والنساء ما لم يعلم عددهم إلا الله ، وغائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف في جملة الناس ، ثم تقدم فزى أولاد الامام أحمد فيه ، وكان هو الذى أم الناس في الصلاة عليه ، وقد أعاد جماعة الصلاة عليه عند القبر وعلى القبر بعد أن دفن من أجل

ذلك ، ولم يستقر في قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر وذلك لكثرة الخلق .

وقد روى البيهقي وغير واحد أن الأمير محمد بن طاهر أمر بحزر الناس فوجدوا ألف ألف وثلاثة
ألف ، وفي رواية وسبعمائة ألف سوى من كان في السفن . وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زرعة يقول
بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف الناس فيه حيث صلوا على الامام أحمد بن حنبل
فبلغ مقاسه ألفي ألف وخمسمائة ألف . قال البيهقي عن الحاكم سمعت أبا بكر أحمد بن كامل القاضي
يقول سمعت محمد بن يحيى الزنجاني سمعت عبد الوهاب الوراق يقول : ما بلغنا أن جرماً في الجاهلية
ولا في الاسلام اجتمعوا في جنازة أكثر من الجمع الذي اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل . قال
عبد الرحمن بن أبي حاتم سمعت أبي يقول حدثني محمد بن العباس المكي سمعت الوردكاني - جاز أحمد
ابن حنبل - قال : أسلم يوم مات أحمد عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، وفي بعض
النسخ أسلم عشرة آلاف بدل عشرين ألفاً فافقه أعلم .

وقال البارقي : سمعت أبا سهل بن زياد سمعت عبد الله بن أحمد يقول سمعت أبي يقول : قولوا
لاهل البدع بيننا وبينكم الجنائز حين تمر . وقد صدق الله قول أحمد في هذا ، فإنه كان إمام السنة
في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت
إليه . ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان . وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي مع زعمه
وورعه وتقديره ومحاسنته نفسه في خطراته وحركاته ، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس .
وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً ، فله الأمر من قبل ومن بعد .
وقد روى البيهقي عن حجاج بن محمد الشاعر أنه قال : ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم
أصل على الامام أحمد . وروى عن رجل من أهل العلم أنه قال يوم دفن أحمد : دفن اليوم سادس
خمس ، وم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز وأحمد . وكان عمره يوم مات سبعاً
وسبعين سنة وأياماً أقل من شهر رحمه الله تعالى .

(ذكر ما روي له من المنامات الصالحة وما رأى هو لنفسه)

وقد صح في الحديث : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » . وفي رواية « إلا الرؤيا الصالحة يراها
المؤمن أو ترى له » . وروى البيهقي عن الحاكم سمعت علي بن عشاء سمعت جعفر بن محمد بن الحسين
سمعت سلمة بن شبيب يقول : كنا عند أحمد بن حنبل وجاءه شيخ ومعه عكازة فسلم وجلس فقال :
من منكم أحمد بن حنبل ؟ فقال أحمد : أما ما حلجتك ؟ فقال ضربت إليك من أربعمائة فرسخ ،
أريت الخضر في المنام فقال لي : سر إلى أحمد بن حنبل وسل عنه وقل له : إن ساكني العرش والملائكة
راضون بما صبرت نفسك لله عز وجل . وعن أبي عبد الله محمد بن خزيمة الاسكندراني . قال : لما

مات أحمد بن حنبل اغتممت غما شديداً قرأته في المنام وهو يقبض في مشيته قتلته : يا أبا عبد الله أي مشية هذه ؟ قال : مشية الخدم في دار السلام . قتلته : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرتى وتوحيى والبسنى نملين من ذهب ، وقال لى : يا أحمد هنا بقواك القرآن كلامى ، ثم قال لى : يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغت عن سفیان الثورى وكنت تدعوهن في دار الدنيا ، قتلته : يا رب كل شئ ، بقدرتك على كل شئ اغفر لى كل شئ حتى لا تسألنى عن شئ . قال لى : يا أحمد هذه الجنة قم فادخلها . فدخلت فإذا أنا بسفیان الثورى وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة ، ومن شجرة إلى شجرة ، وهو يقول (الحمد لله الذى أوردنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) . قال قتلته : ما فعل البشر الحاقى ؟ قال يخ بخ ، ومن مثل بشر ؟ تركته بين يدى الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول : كل يا من لم يأكل ، واشرب يا من لم يشرب ، وأنعم يا من لم ينعم ، أو كما قال . وقال أبو محمد بن أبى حاتم عن محمد بن مسلم ابن وارة قال : لما مات أبو زرعة رأيت في المنام قتلته : ما فعل الله بك ؟ قال قال الجبار : الحقوه بأبى عبد الله وأبى عبد الله وأبى عبد الله ، مالك والشافعى وأحمد بن حنبل . وقال أحمد بن خرزاد الانطاكى : رأيت في المنام كأن القيلة قد قلمت وقد برز الرب جل جلاله ، لفصل القضاء ، وكأن منادياً ينادى من تحت العرش : أدخلوا أبا عبد الله وأبا عبد الله وأبا عبد الله الجنة . قال قتلته : ما فعل الله بك ؟ قال : مالك ، والثورى ، والشافعى وأحمد بن حنبل . وروى أبو بكر بن أبى خيثمة عن يحيى بن أبوب القاسم قال : رأيت رسول الله ﷺ في النوم وهو قائم وعليه ثوب منقلى به وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين يلبان عنه . وقد تقدم في ترجمة أحمد بن أبى دؤاد عن يحيى الجلاء أنه رأى كأن أحمد بن حنبل في حلقة بالمسجد الجامع وأحمد بن أبى دؤاد في حلقة أخرى وكان رسول الله ﷺ واقف بين الحلقتين وهو يتلو هذه الآية (فان يكفر بها هؤلاء) ويشير إلى حلقة ابن أبى دؤاد (وقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين) ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه

(ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائتين)

فيها كانت زلازل هائلة في البلاد ، فيها ما كان بمدينة قوس ، تهمت منها دور كثيرة ، ومات من أهلها نحو من خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً . وكانت باليمن وخراسان وطرس والشام وغيرها من البلاد زلازل منكرة . وفيها أغلقت الروم على بلاد الجزيرة فأنهبوا شيئاً كثيراً وأسروا نحواً من عشرة آلاف من القدرارى . فأتاه الله وإنا إليه راجعون . وفيها حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن إبراهيم الامام بن محمد بن على نائب مكة .

وفيها توفي من الأعيان الحسن بن على بن الجهم قاضى مدينة المنصور .

﴿ وأبو حسان الزياتي ﴾

قاضى الشريعة ، واسمه الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد البغدادي ،
 سمع الوليد بن مسلم ، ووكيع بن الجراح ، والواقدي ، وخلقا سوام . وعنه أبو بكر بن أبي الدنيا وعلى
 ابن عبد الله الفرغاني الحافظ المعروف بطفل ، وجماعة . ترجمه ابن عساکر في تاريخه . قال : وليس
 هو من سلالة زياد بن أبيه ، إنما تزوج بعض أجداده بأم ولد لزياد ، فقبل له الزياتي . ثم أورد من
 حديثه بسنده عن جابر « الحلال بين والحرام بين » . الحديث . وروى عن الخطيب أنه قال :
 كان من العلماء الأفاضل من أهل المعرفة والثقة والأمانة ، ولي قضاء الشريعة في خلافة المتوكل ، وله
 تاريخ على السنين ، وله حديث كثير . وقال غيره : كان صلحا دينيا قد عمل الكتب ، وكانت له
 معرفة جيدة بأيام الناس ، وله تاريخ حسن ، وكان كريما مفضلا . وقد ذكر ابن عساکر عنه أشياء
 حسنة ، منها أنه أنفذ إليه بعض أصحابه يذكر له أنه قد أصابته ضائعة في عيد من الأعياد ، ولم يكن
 عنده غير مائة دينار ، فأرسلها بصرتها إليه ، ثم سأل ذلك الرجل صاحب له أيضا وشكا إليه مثلما
 شكى إلى الزياتي ، فأرسل بها الآخر إلى ذلك الآخر . وكتب أبو حسان إلى ذلك الرجل الأخير
 القدي وصلت إليه أخيرا يستقرض منه شيئا وهو لا يشعر بالأمر ، فأرسل إليه بالمائة في صرتها ، فلما
 رآها تعجب من أمرها وركب إليه يسأله عن ذلك فذكر أن فلانا أرسلها إليه ، فاجتمعوا الثلاثة
 واقتسموا المائة الدينار رحمهم الله وجزاهم عن مروتهم خيرا .

وفيها توفي أبو مصعب الزهري أحد رواة الموطأ عن مالك ، وعبد الله بن ذكوان أحد القراء
 المشاهير . ومحمد بن أسلم الطوسي . ومحمد بن رمح . ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي أحد أئمة
 الجرح والتعديل . والقاضي يحيى بن أكرم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين ﴾

في ذى القعدة منها توجه المتوكل على الله من العراق قاصداً مدينة دمشق ليجعلها له دار إقامة
 ومحلة إقامة فأدركه عيد الأضحى بها ، وتأسف أهل العراق على ذهاب الخليفة من بين أظهرهم ، فقال
 في ذلك يزيد بن محمد المهلبی :

أظن الشام تشمت بالعراق * إذا عزم الامام على انطلاق

فان يدع العراق وساكنيها * فقد تبلى المليحة بالطلاق

وحج بالناس فيها الذي حج بهم في التي قبلها وهو نائب مكة .

وفيها توفي من الأعيان كما قال ابن جرير :

﴿ إبراهيم بن العباس ﴾

متولى ديوان الضياع . قلت : هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول المصري الشاعر الكاتب ،

وخرجهم محمد بن يحيى الصولى ، وكان جده سول بكر ملك جرجان وكان أسمة منها ، ثم تمجن ثم أسلم على يدى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، ولا إبراهيم هذا ديوان شمر ذكره ابن خلكان واستجد من شمره أشياء منها قوله :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى • ذرعا وعند الله منها مخرج
ضائق فلما استحكمت حلقاتها • فرجت وكنت أظنها لا مخرج
ومنها قوله : كنت السواد لقلقى • فبكى عليك الناظر
من شاء بمدك فليت • فليك كنت أحذر
ومن ذلك ما كتب به إلى وزير المستنعم محمد بن عبد الملك بن الزيات :

وكنت أخى بإخاء الزمان • فلما تى صرت حربا عوانا
وكنت أدم إليك الزمان • فأصبحت منك أدم الأمانا
وكنت أعدك لثنائيل • فها أنا أطلب منك الأمانا
وله أيضا : لا تمننك خفض العيش في دعة • نزوع فنى إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حلت بها • أهلا بأهل وأوطانا بأوطان

كانت وفاته بمنتصف شعبان من هذه السنة . بسر من رأى . والحسن بن محمد بن محمد بن الجراح خليفة لإبراهيم بن شعيان . قال : ومات هاشم بن فيجور فى ذى الحجة . قلت : وفيها توفى أحد بن سعيد الراملى . والحارث بن أسد المحاسبي . أحد أئمة الصوفية . وحرمله ابن يحيى التجيبي صاحب الشافعى . وعبد الله بن معاوية الجمي . ومحمد بن عمر المدنى . وهارون ابن عبد الله الحماني . وهناد بن السرى .

(ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين)

فى صفر منها دخل الخليفة المتوكل إلى مدينة دمشق فى أبهة الخلالة وكان يوماً مشهوداً ، وكان عازماً على الإقامة بها ، وأمر بنقل دواوين الملك إليها ، وأمر ببناء القصور بها فبقيت بطريق داريا ، فأقام بها مئة ، ثم إنه استوحشها ورأى أن هواها بارد فندى ومادها تهيل بالنسبة إلى هواه العراق ومائه ، ورأى الهواء بها يتحرك من بعد الزوال فى زمن الصيف ، فلا يزال فى اشتداد وغبار إلى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً هيباً ، وغلت الأسعار وهو بها لكثرة الخلق القدين معه ، واتعطت الأجلاب بسبب كثرة الأمطار والثلوج ، فغضب منها ثم جهز بنا إلى بلاد الروم ، ثم رجع من آخر السنة إلى سمرقند بعد أن أقام بدمشق شهرين وعشرة أيام ، فخرج به أهل بغداد فرحاً شديداً . وفيها أتى المتوكل بالحرية

التي كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ فرح بها فرحاً شديداً ، وقد كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ يوم العيد وغيره ، وقد كانت لتجاشى فورها الزبير بن العوام ، فورها الزبير النبي ﷺ ، ثم إن التوكل أمر صاحب الشرطة أن يحملها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ . وفيها غضب التوكل على الطيب بختيشوع وغناه وأخذ ماله . وحج بالناس فيها عبد الصمد المتقدم ذكره قبلها . وافق في هذه السنة يوم عيد الأضحى وخمس فطر اليهود وشمانين النصراني وهذا عجيب غريب .

وفيها توفي أحمد بن منيع . وإسحاق بن موسى الخطمي . وحيد بن مسعدة . وعبد الحميد بن سنان . وعلي بن حجر . والوزير محمد بن عبد الملك الزيت . ويعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق . ﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين ﴾

فيها أمر التوكل ببناء مدينة الماحوزة وحفر نهرها ، يقال إنه أُنقِ على بنائها وبناء قصر الخلافة بها الذي يقال له « القلوة » أُنق ألف دينار . وفيها وقعت زلازل كثيرة في بلاد شتى ، فمن ذلك بمدينة إسطاكية سقط فيها ألف وخمسة دارة ، وأنهدم من سورها نيف وتسعون برجاً ، وسحمت من كوى دورها أصوات مزججة جداً فخرجوا من منازلهم سراعاً يهرعون ، وسقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال له الأقرق فسلك في البحر ، فهاج البحر عند ذلك وارتفع دخان أسود مظلم متن ، وغار نهر على فرسخ منها فلا يدرى أين ذهب . ذكر أبو جعفر بن جرير قال : ومع فيها أهل تنيس ضجة دائمة طويلة مات منها خلق كثير . قال : وزلزلت فيها الرها والرقعة وحران ورأس العين وخص ودمشق وطرسوس والمصيصة ، وأذنة وسواحل الشام ، ورجفت اللاذقية بأهلها فابقي منها منزل إلا أنهم ، وما بقي من أهلها إلا اليسير ، وذهبت جيلة بأهلها . وفيها غارت مُشاش - عين - مكة حتى بلغ ثمن القربة بمكة ثمانين درهماً . ثم أرسل التوكل فأُنق عليها مالا جزيلا حتى خرجت . وفيها مات إسحاق بن أبي إسرائيل وسوار بن عبد الله القاضي . وهلال الرازي .

وفيها هلك ﴿ فنجاح بن سلة ﴾ وقد كان على ديوان التوقيع . وقد كان حظيا عند التوكل ، ثم جرت له حكاية أفضت به إلى أن أخذ التوكل أمواله وأملاكه وحواصله ، وقد أورد قصته ابن جرير مطولة . وفيها توفي أحمد بن عبدة الضبي ، وأبو الحليس القواس مرقى مكة ، وأحمد بن نصر التيسابوري . وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وإسماعيل بن موسى ابن بنت السدي . وذو النون المصري ، وعبد الرحمن بن إبراهيم دجيم ، ومحمد بن رافع ، وهشام بن عمار ، وأبو تراب النخشي .

﴿ وابن الراوندي ﴾

الزنديق ، وهو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الراوندي ، نسبة إلى قرية ببلاد طاشان

ثم نشأ ببغداد ، كان بها يصنف الكتب في الزندقة ، وكانت لديه فضيلة ، ولكنه استعملها فيما يضره ولا ينفعه في الدنيا ولا في الآخرة . وقد ذكرناه ترجمة مطولة حسب ما ذكرها ابن الجوزي في سنة ثمان وتسعين ومائتين وإتماماً ذكرناه هنا لأن ابن خلكان ذكر أنه توفي في هذه السنة ، وقد تلبس عليه ولم يجرحه بل مدحه فقال : هو أبو الحسين أحمد بن إسحاق الراوندي العالم المشهور ، له مقالة في علم الكلام ، وكان من الفضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشرة كتاباً ، منها فضيحة المعتزلة ، وكتاب التاج ، وكتاب الزمردة ، وكتاب القصب ، وغير ذلك . وله محاسن ومحاضرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب قلبها عنه أهل الكلام . توفي سنة خمس وأربعين ومائتين ، برجة مالك بن طوق التغلبي ، وقيل ببغداد . قلت ذلك عن ابن خلكان بحرفه وهو غلط . وإتماماً أرخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين كما سيأتي له هناك ترجمة مطولة .

﴿ ذوالنون المصري ﴾

نوبان بن إبراهيم ، وقيل ابن الفيز بن إبراهيم ، أبو الفيز المصري أحد المشايخ المشهورين ، وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات ، وذكر شيئاً من فضائله وأحواله ، وأرخ وفاته في هذه السنة ، وقيل في القى بعدها ، وقيل في سنة ثمان وأربعين ومائتين فالف أعلم . وهو مسدود في جملة من روى الموطأ عن مالك . وذكره ابن يونس في تاريخ مصر ، قال : كان أبوه نوبياً ، وقيل إنه كان من أهل اخميم ، وكان حكيماً فصيحاً ، قيل وسئل عن سبب توبته فذكر أنه رأى قبره عمياء نزلت من وكرها فالتفت لها الأرض عن سكرتين من ذهب وفضة في إحداهما فمسح وفي الأخرى ماء ، فأكلت من هذه وشربت من هذه . وقد شكى عليه مرة إلى المتوكل فأحضره من مصر إلى العراق ، فلما دخل عليه وعظه فأبى بكاء ، فردّه مكراً . فكان بعد ذلك إذا ذكر عند المتوكل يثقل عليه

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين ﴾

في يوم عاشوراء منها دخل المتوكل الماحوزة فقتل بقصر الخلافة فيها ، واستدعى بالقراء ثم بالمطربين وأعطى وأطلق ، وكان يوماً مشهوداً ، وفي صفر منها وقع الفناء بين المسلمين والروم ، ففدى من المسلمين نحو من أربعة آلاف أسير . وفي شعبان منها أمطرت بغداد مطراً عظيماً استمر نحواً من أحد وعشرين يوماً ، ووقع بأرض بلخ مطر ماؤه دم عبيط . وفيها حج بالناس محمد بن سليمان الزنبي ، وحج فيها من الأعيان محمد بن عبد الله بن طاهر وولي أمر الموسم .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن إبراهيم الهورقي . والحسين بن أبي الحسن المروزي . وأبو عمرو الهورقي . أحد القراء المشاهير . ومحمد بن مصفى الحمصي .

﴿ ودعبل بن علي ﴾

ابن رزين بن سليمان الخزاعي ، مولاهم الشاعر الماजन البليخ في المسح ، وفي الهجاء أكثر . حضر يوماً عند سهل بن هارون الكاتب وكان يجيئاً ، فاستدعى بغداده فإذا ديك في قصعة ، وإذا هو ناس لا يقطعه سكين إلا بشدة ، ولا يعمل فيه خرس . فلما حضري بين يديه قد رأسه فقال لطلباخ وبلك ، ماذا صنعت ؟ أين رأسه ، قال : ظننت أنك لا تأكله فألقيته ، قال : وبلك ، والله إنني لأعيب علي من يلقي الرجلين فكيف بالرأس ، وفيه الخواص الأربع ، ومنه يصوت وبه ، فضل عينيه وبهما يضرب الثقل ، وعرفه وبه يتبرك ، وعظمه أهني العظام ، فإن كنت رغبت عن أكله فأحضره . قال : لا أدري أين هو ؟ قال : بل أنا أدري ، هو في بطنك فانتك الله . فهجاه بأبيات ذكر فيها بخله ومسكه .

﴿ أحمد بن أبي الحواري ﴾

واسمه ^(١) عبد الله بن ميمون بن عياش بن الحارث أبو الحسن التغلبي الطفلفاني ، أحد العلماء الزهاد المشهورين ، والعباد المذكورين ، والأبرار المشكورين ، ذوى الأحوال الصالحة ، والكرامات الواضحة ، أصله من الكوفة وسكن دمشق ونفجرج بأبي سليمان الداراني رحمهما الله . وروى الحديث عن سفيان بن عيينة ووكيع وأبي أسامة وخلق . وعنه أبو داود وابن ماجه وأبو حاتم وأبو زرعة الهمشقي ، وأبو زرعة الرازي وخلق كثير . وقد ذكره أبو حاتم فأنى عليه . وقال يحيى بن معين : إنني لأظن أن الله يسقى أهل الشام به . وكان الجنيدي بن محمد يقول : هو ريحانة الشام .

وروى ابن عساکر أنه كان قد عاهد أبا سليمان الداراني ألا يفضبه ولا يخالفه ، فجاء يوماً وهو يحدث الناس قال : يا سيدي هنا قد سحروا التنور فإذا تأمر ؟ فلم يرد عليه أبو سليمان ، لشغله بالناس ، ثم أعادها أحد ثمانية ، وقال له في الثالثة : اذهب فأقم فيه . ثم اشتغل أبو سليمان في حديث الناس ثم استفاق فقال لمن حضره : إنني قلت لأحمد : اذهب فأقم في التنور ، وإنني أحسب أن يكون قد فعل ذلك ، فقوموا بنا إليه . فذهبوا فوجدوه جالساً في التنور ولم يحترق منه شيء ولا شمة واحدة . وروى أيضاً أن أحمد بن أبي الحواري أصبح ذات يوم وقد ولفه ولد ولا يملك شيئاً يصلح به الولد ، فقال لخلقه : اذهب فاستنن لنا وزنة من دقيق ، فبينما هو في ذلك إذ جاءه رجل بمائتي درهم فوضعهما بين يديه ، فدخل عليه رجل في تلك الساعة قال : يا أحمد إنه قد ولفك الولد ولا ولا أمك شيئاً ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : يملولاي هكذا بالمجلة . ثم قال للرجل : خذ هذه الدراهم ، فأعطاه إياها كلها ، ولم يبق منها شيئاً ، واستندان لأهله دقيقاً . وروى عنه خادمه أنه خرج قننر لأجل الرباط فزالته الهدايا فعد إليه من بكرة التهار إلى الزوال ، ثم فرقها كلها إلى وقت

الترويب ثم قال لي : كن هكذا لا ترد على الله شيئاً ، ولا تنصر عنه شيئاً .

ولما جاءت الحنة في زمن المأمون إلى دمشق بخلق القرآن عين فيها أحمد بن أبي الحواري وهشام ابن عمار ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن ذكوان ، فكلهم أجابوا إلا ابن أبي الحواري فجلس بدار الحجارة ، ثم هدد فأجاب تورية مكرها ، ثم أطلق رحمه الله . وقد قام ليلة بالثرير وكرو هذه الآية (إياك نعبد وإياك نستعين) حتى أصبح . وقد ألقي كتبه في البحر وقال : نعم الدليل كنت لي على الله وإليه ، ولكن الاشتغال بالدليل يمد معرفة المدلول عليه والوصول إليه محال . ومن كلامه لا دليل على الله سواء ، وإنما يطلب العلم لا دأب الخليفة . وقال : من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه . وقال : من نظر إلى الدنيا نظر لإرادة وحسب لما أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه . وقال : قلت لأبي سليمان في ابتداء أمرى : أوصنى ، فقال : اتستوص أنت ؟ قلت نعم إن شاء الله تعالى . فقال : خالف نفسك في كل مراداتها فاتها الأمانة بالسوء ، وإياك أن تنصر إخوانك المسلمين ، واجعل طاعة الله ذكراً ، وانخوف منه شعراً ، والاخلاص له زاداً ، والصدق حسنة ، وأقبل منى هذه الكلمة الواحدة ولا تغارقها ولا تنفل عنها : من استحيى من الله في كل أوقاته وأحواله وأضالته ، بلغه الله إلى مقام الأولياء من عباده . قال فجعلت هذه الكلمات أمامي في كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها . والصحيح أنه توفي في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاثين ومائتين ، وقيل غير ذلك فله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين ﴾

في شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكل على الله على يد ولده المنتصر ، وكان سبب ذلك أنه أمر ابنه عبد الله المميز الذي هو ولي العهد من بعده أن يخطب بالناس في يوم جمعة ، فأذاها أداء عظيماً بليغاً ، فبلغ ذلك من المنتصر كل مبلغ ، وحنق على أبيه وأخيه ، فأحضره أبوه وأهائه وأمر بضربه في رأسه وصفعه ، وصرح بعرله عن ولاية العهد من بعده أخيه ، فاشتد أيضاً حنقه أكثر مما كان . فلما كان يوم عيد الفطر خطب المتوكل بالناس وعنده بعض ضعف من علة به ، ثم عدل إلى خيام قد ضربت له أربعة أميال في مثلها ، فنزل هناك ثم استدعى في يوم ثالث شوال بنعمائه على عادته في صحره وحضرته وشربه ، ثم تمالأ ولده المنتصر وجماعة من الأمراء على الفتك به فسنخوا عليه ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال ، ويقال من شعبان من هذه السنة ، وهو على السباط فابتدروه بالسيف فقتلوه ثم ولوا بعده ولده المنتصر .

﴿ وهذه ترجمة المتوكل على الله ﴾

جعفر بن المتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المتصور البلياس ، وأم المتوكل أم ولد يقال لها

شجاع ، وكانت من سروات النساء سنها وحزناً . كان موته بقم الصلح سنة سبع ومائتين ، وبيع له بخلافه بعد أخيه الواثق في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة لسنة ثنتين وثلاثين ومائتين . وقد روى الخطيب من طريقه عن يحيى بن أكرم عن محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حرم الرفق حرم الخير » . ثم أنشأ المتوكل يقول :

الرفق بمن والآفة سعادة • فاستأن في رفق تلاق نجاها

لا خير في حزم بغير روية • والشك وهن إن أردت سراها

وقال ابن عساكر في تاريخه : وحدث عن أبيه المعتصم ويحيى بن أكرم القاضي . وروى عنه على ابن الجهم الشاعر ، وهشام بن عمار القمشي ، وقدم المتوكل دمشق في خلافته وبنى بها قصرأ بارض داريا . وقال يوماً لبعضهم : إن الخلفاء تنفض على الرعية لتطيعها ، وإني ألين لهم ليجبوني ويطيعوني . وقال أحمد بن مروان المالكي : ثنا أحمد بن علي البصري قال : وجه المتوكل إلى أحمد بن المنفل وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم إليه إلا أحمد بن المنفل . فقال المتوكل لمبيد الله : إن هذا لا يرى بيعتنا ؟ قال : يا أمير المؤمنين بلى ! ولكن في بصره سوء . قال أحمد بن المنفل : يا أمير المؤمنين ما في بصرى سوء ، ولكن زهتك من عذاب الله . قال النبي ﷺ : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه . وروى الخطيب أن علي بن الجهم دخل على المتوكل وفي يده درقان يقلبهما فأنشده قصيدته التي يقول فيها : —

وإذا مررت ببئر عروة فاستقي من ملها

فأعطاه التي في يمينه وكانت تساوي مائة ألف . ثم أنشده :

بسر من رأى أمير • تفرف من يحمر البحار

يرجى ويخشى لكل خطيب • كأنه جنة وقار

الملك فيه وفي بنيه • ما اختلف الليل والنهار

يداه في الجود ضربان • عليه كلتاها تقار

لم تأت منه الخمين شيئاً • إلا أنت منه اليسار

قال : فأعطاه التي في يساره أيضاً . قال الخطيب : وقد رويت هذه الأبيات لملي بن هارون البحرى في المتوكل . وروى ابن عساكر عن علي بن الجهم قال : وضفت فتحة حظية المتوكل بين يديه وقد كتبت على خدماها بالعالية جعفر فتأمل ذلك ثم أنشأ يقول :

وكتابة في الخلد بالسك جعفرًا • بنفسى تحت السك من حيث أنرا
لئن أودعت سطرًا من السك خندا • لقد أودعت قلبي من الحب أسطرًا
فيامن منالها في السريرة جعفر • نفا الله من سقيا ثناياك جعفرًا
ولمن لمسلوك بملك يمينه • مطيع له فيما أسر وأظفرا

قال ثم أمر التوكل عراباً فغنت به . وقال الفتح بن خاقان : دخلت يوماً على التوكل فإذا هو مطرق
مفكر قلت : يا أمير المؤمنين مالك مفكر ؟ فوالله ما على الأرض أطيّب منك عيشاً ، ولا أنعم منك
بالا . قال : بلى أطيّب منى عيشاً رجل له دار واسعة وزوجة صالحة وميشة حاضرة ، لا يمر فنا فتؤذيه ،
ولا يحتاج إلينا فتزدريه . وكان التوكل محبباً إلى رعيته فأما في نصرة أهل السنة ، وقد شبهه بعضهم
بالصديق في قتله أهل الردة ، لأنه نصر الحق وردّه عليهم حتى رجعوا إلى الدين . وبمر بن
عبد العزيز حين رد مظالم بني أمية . وقد أظهر السنة بعد البدعة ، وأخذ أهل البعق وبدعتهم بعد
انتشارها واشتبارها فرحه الله . وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور قال قلت :
التوكل ؟ قال : التوكل . قلت : فما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لي . قلت : بماذا ؟ قال : بقليل من
السنة أحييتها . وروى الخطيب عن صالح بن أحمد أنه رأى في منامه ليلة مات التوكل كأن رجلاً
يصعد به إلى السماء وقائلاً يقول :

ملك يقاد إلى ملك عادل • متفضل في الغفوليس يجائر

وروى عن عمرو بن شيان الحلبي قال : رأيت ليلة التوكل قائلاً يقول : -

يا قائم المين في أوطان جثان • أفض دموعك يا عمرو بن شيان
أما ترى الفتنة الأرجاس ما ضلوا • بالهاشمي وبالفتح بن خاقان
وافى إلى الله مظلوماً فضج له • أهل السموات من مثني ووجدان
وسوف يأتيكم من بعده قتن • توقوها لما شأن من الشأن
فابكوا على جعفر وابكوا خليفتكم • قد بكاه جميع الأنس والجنان

قال : فلما أصبحت أخبرت الناس برؤيى فجاء نبي التوكل أنه قد قتل في تلك الليلة ، قال ثم
رأيت بعد هذا بشراً وهو واقف بين يدي الله عز وجل قلت : ما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لي .
قلت بماذا ؟ قال : بقليل من السنة أحييتها . قلت فما تصنع هنا ؟ قال : أنتظر ابني محمداً أخاصه
إلى الله العظيم العظيم الكريم

وذكرنا قريبا كيفية مقتله وأنه قتل في ليلة الأربعاء أول الليل لأربع خلت من شوال من هذه
السنة - أعني سنة سبع وأربعين ومائتين - بالتوكلية وهي الماحوزية ، وعلى عليه يوم الأربعاء ،

ودفن بالجفرية وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام . وكان أسمر حسن العينين نحيف الجسم خفيف المراضين أقرب إلى القصر والله سبحانه اعلم .

(خلافة محمد المنتصر بن المتوكل)

قد تقدم أنه تملأ هو وجماعة من الأمراء على قتل أبيه ، وحين قتل بويح له بالخلافة في الليل ، فلما كان الصباح من يوم الأربعاء رابع شوال أخفت له البيعة من العامة وبث إلى أخيه المعتز فأحضره إليه فبايحه المعتز ، وقد كان المعتز هو ولي العهد من بعد أبيه ، ولكنه أكرهه وخاف فسلم وبايع . فلما أخفت البيعة له كان أول ما تكلم به أنه اتهم الفتح بن خاقان على قتل أبيه ، وقتل الفتح أيضاً ، ثم بث البيعة له إلى الآفاق . وفي ثاني يوم من خلافته ولي المظالم لأبي عمرة أحمد ابن سعيد مولى بني هاشم قال الشاعر :

يا ضيعة الاسلام لما ولي • مظالم الناس أبو عمره

صير مأمونا على أمة • وليس مأمونا على بعمره

وكانت البيعة له بالتوكلية ، وهي المأخوذة ، فأقام بها عشرة أيام ثم تحول هو وجميع قواده وحشمه منها إلى سلما . وفيها في ذي الحجة أخرج المنتصر عنه علي بن المعتصم من سلما إلى بغداد ووكل به . وحج بالناس محمد بن سليمان الزينبي . وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن سعيد الجوهري . وسفيان بن وكيع بن الجراح ، وسلة بن شبيب .

(وأبو عثمان المازني النحوي)

واسمه بكر بن محمد بن عثمان البصري شيخ النحاة في زمانه ، أخاه من أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، وأخذ عنه أبو العباس المبرد واكثر عنه ، وللمازني مصنفات كثيرة في هذا الشأن . وكان شبيهاً بالفتاه ورعاً زاهداً ثقة مأموناً . روى عنه المبرد أن رجلاً من أهل القمة طلب منه أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ويعطيه مائة دينار فامتنع من ذلك . فلامه بعض الناس في ذلك فقال : إنما تركت أخذ الأجرة عليه لما فيه من آيات الله تعالى . فاتفق بعد هذا أن جارية غنت بحضرة الزائق :

اظلم إن مصابكم رجلاً • رد السلام فحيه ظم

فاختلف من بحضرة الزائق في إعراب هذا البيت ، وهل يكون رجلاً مرفوطاً أو منصوباً ، وهم نصب ؟ أهوامهم أو ماذا ؟ وأصرت البلورية على أن المازني حفظها هذا حكناً . قال فارس الخليلي إليه ، فلما مثل بين يديه قال له : أنت للمازني ؟ قال : نعم . قال من مازن تميم أم من مازن ربيعة أم مازن قيس ؟ قلت من مازن ربيعة . فأخذ يكلمني بلفتي ، قال : يا حيك ! وهم يقبلون الباء ميالاً والميم ياء . فكرهت أن أقول مكر قلت : بكر ، فأجبه إعراضاً عن المكر إلى الجكر ، وعرف ما أردت .

قال : على م انتصب رجلاً ؟ قلت : لأنه معمول المصدر بمصابكم فأخذ الزبدي يمارضه فلهذا المازني بالحجة فأطلق له الخليفة ألف دينار و رده إلى أهله مكرماً . فحوزه الله عن المائة الدينار . لما تركها الله سبحانه ولم يمكن القدي من قراءة الكتاب لأجل ما فيه من القرآن . ألف دينار عشرة أمثلاً . روى المبرد عنه قال : أقرأت رجلاً كتاب سيويوه إلى آخره ، فلما انتهى إلى آخره قال لي : أما أنت أيها الشيخ فجزاك الله خيراً ، وأما أنا فوالله ما فهمت منه حرفاً . توفي المازني في هذه السنة وقيل في سنة ثمان وأربعين .

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين)

فيها أغزى المنتصر وصيفاً التركي الصائفة لقتال الروم ، وذلك أن ملك الروم قصد بلاد الشام ، فشد ذلك جهاز المنتصر وصيفاً وجيزه معه ثققات وعددا كثيرة ، وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن يقيم بالفرج أربع سنين ، وكتب له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق كتاباً عظيماً فيه آيات كثيرة في التحريض للناس على القتال والترغيب فيه . وفي ليلة السبت لسبع شعبان من صفر خلع أبو عبد الله المتمر والمؤيد إبراهيم أنفسهما من الخلافة ، وأشهدا عليهما بذلك ، وأنها عاجزان عن الخلافة ، والمسلمين في حل من بيعتهما ، وذلك بعد ما تهددهما أخوهما المنتصر وتوعدهما بالقتل إن لم يخلعا ذلك ، ومتصوده تولية ابنه عبد الوهاب بأشارة أمراء الأتراك بذلك . وخطب بذلك على رؤس الأشهاد بحضرة القواد والقضاة وأعيان الناس والعوام ، وكتب بذلك إلى الأفاق ليعلموا بذلك ويخطبوا له بذلك على المنابر ، ويتوالى على محال الكتابة ، والله غالب على أمره ، فأراد أن يسلبها الملك ويحبسه في وقته ، والأقدار تكذبه وتحالفه ، وذلك أنه لم يستكمل بعد قتل أبيه سوى سنة أشهر ، ففي أواخر صفر من هذه السنة عرضت له حلة كان فيها ختفه ، وقد كان المنتصر رأى في منامه كأنه يصعد سلماً فبلغ إلى آخر خمس وعشرين درجة . فقصعها على بعض المبرزين قال : نلى خمسا وعشرين سنة الخلافة ، وإذا هي مدة عمره قد استكملها في هذه السنة . وقال بعضهم : دخلنا عليه يوماً فإذا هو يبكي وينتحب شديداً ، فسأله بعض أصحابه عن بكائه فقال : رأيت أبي المتوكل في منامي هذا وهو يقول : ويحك يا محمد قتلتي وظلمتني وغصبتي خلافتي ، والله لا أمتع بها بعدى إلا أياماً يسيرة ثم مصيرك إلى النار . قال : فما أملك عيني ولا جزعي . فقال له أصحابه من الترابين الذين يفرقون الناس ويقتنونهم : هذه رؤيا وهي تصدق وتكذب ، قم بنا إلى الشراب لينهب همك وحزنك . فأمر بالشراب فأحضر وجاء نملؤه فأخذ في الخمر وهو متكسر الهمة ، وما زال كذلك مكسوراً حتى مات .

وقد اختلفوا في علته التي كان فيها هلاكه ، فقيل داء في رأسه قطر في أذنه دهن فلما وصل

إلى دماغه عوجيل بالموت ، وقيل بل ورمت معدته فأنتهى الوردم إلى قلبه فلبث ، وقيل بل أصابته
 ذبحة فاستمرت به عشرة أيام فلبث ، وقيل بل فصد الحجام بقصد مسموم فلبث من يومه . قال ابن
 جرير : أخبرني بعض أصحابنا أن هذا الحجام رجع إلى منزله وهو محموم ففدا تلميذاً له حتى يفصده
 فأخذ مبيض أستاذة فقصده به وهو لا يشعر وأنسى الله سبحانه الحجام فاذكر حتى رآه قد قصده به
 وتحكم فيه السم ، فأوصى عند ذلك ومات من يومه . وذكر ابن جرير أن أم الخليفة دخلت عليه وهو في
 مرضه الذي مات فيه فقالت له : كيف حالك ؟ فقال : ذهبت مني الدنيا والآخرة ، ويقال إنه
 أنشد لما أحبط به وأيس من الحياة :

فأفرحت ففسي بدنيا أصبتها • ولكن إلى الرب الكريم أصير

فلبث يوم الأحد لحسن مدين من ربيع الآخر من هذه السنة ، وقت صلاة العصر ، عن خمس
 وعشرين سنة ، قيل وستة أشهر . ولا خلاف أنه إنما مكث بالخلافة ستة أشهر لا يزيد منها . وذكر
 ابن جرير عن بعض أصحابه أنه لم يزل يسمع الناس يقولون - العامة وغيرهم حين ولي المنتصر - إنه
 لا يمكث في الخلافة سوى ستة أشهر ، وذلك مدة خلافة من قتل أباه لأجلها ، كما مكث شيرويه بن
 كسرى حين قتل أباه لأجل الملك . وكذلك وقع ، وقد كان المنتصر أعين أفنى قصيراً مهيباً جيد
 البدن ، وهو أول خليفة من بني العباس أبرز قبره بأشارة أمه حبشية الرومية .
 ومن جيد كلامه قوله : والله ما عز ذو باطل قط ، ولو طلع القمر من جبينه ، ولا ذل ذو حق قط
 ولو أصفق العالم عليه .

بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء الماشر من البداية والنهاية ويليها الجزء الحادى عشر
 وأوله خلافة أحمد المستنير بالله . والله نسأل المنة والتوفيق .



فهرس المجلد العاشر من البداية والنهاية

صفحة	مصحفة	مصحفة
٢	٢٥	خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق اجتماع جماعة من الدعوة إلى بني العباس عند إبراهيم بن محمد الامام .
٤	٢٦	عقد الوليد البيعة لابنيه الحكم ثم عثمان على أن يكونا ولي العهد من بعده .
٥	٢٨	وفاة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ويحيى ابن زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه .
٦	٢٩	سنة ست وعشرين ومائة . وفيها كان مقتل الوليد بن يزيد . ترجمته صفة مقتله وزوال دولته .
٧	٣٠	ما ذكره الطبري في كيفية قتل يزيد بن الوليد اقله الناقص الوليد بن يزيد الفاسق .
١١	٣١	خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان
١٣	٣٢	مباينة أهل فلسطين يزيد بن سليمان بن عبد الملك .
١٣	٣٣	خطبة يزيد بن الوليد في أهل دمشق
١٤	٣٤	أعمال يزيد بن الوليد من العزل والتولية
١٦	٣٥	وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وترجمته رحمه الله .
١٧	٣٦	وفاة خالد بن عبد الله بن يزيد
٢١	٣٧	سنة سبع وعشرين ومائة . وما فيها من الأعمال . وفي مستهلها كان الخليفة إبراهيم
٣٨	٣٨	ابن الوليد بن عبد الملك بوصية أخيه يزيد الناقص .
٣٩	٣٩	دخول مروان الحمار دمشق وولايته الخلافة
٤٠	٤٠	وعزل إبراهيم بن الوليد عنها
٤٢	٤١	خروج الضحاك بن قيس الشيباني على الخليفة وسبب خروجه .
٤٤	٤٢	مقتل إبراهيم بن محمد الامام أخى السفاح (خلافة أبي العباس السفاح) أول خليفة من خلفاء الدولة العباسية
٤٤	٤٣	ذكر مقتل مروان بن محمد بن مروان
٤٦	٤٤	صفحة مقتل مروان
٤٦	٤٥	شيء من ترجمة مروان الحمار

مصحفة	مصحفة
٤٨	ذكر ملورد في اقضاء دولة بنى أمية
٧٥	وابتداء دولة بنى العباس من الأخبار
٥٢	النبوية وغيرها .
٥٣	ذكر استقرار أبي العباس السفاح واستقلاله
	بالخلافة وما اعتمده في أيامه من السيرة
	الحسنة
٥٥	من توفي من الأعيان في هذه السنة
٥٦	سنة ثلاث وثلاثين ومائة
٥٧	سنة أربع وثلاثين ومائة
٥٨	سنة خمس وثلاثين ومائة
٦١	سنة ست وثلاثين ومائة
٦٣	وفاة أبي العباس السفاح وترجمته
٦٧	خلافة أبي جعفر المنصور
٧٣	سنة سبع وثلاثين ومائة
٧٤	وفيها كان خروج عبد الله بن علي بن
	عبد الله بن عباس على ابن أخيه المنصور
٧٤	غضب أبي جعفر المنصور على أبي مسلم
	الخراساني وقتله إياه . وما دار بينهما من
	الحديث ، وكيف قتل .
٧٤	ترجمة أبي مسلم الخراساني مؤسس الدولة
	العباسية .
٧٣	وفي هذه السنة خرج سفيان يطالب بدم
	أبي مسلم الخراساني .
٧٣	سنة ثمان وثلاثين ومائة . وما فيها من
	الأحداث والحروب وغير ذلك .
٧٤	خلافة الداخل من بنى أمية إلى بلاد
	الأندلس وهو عبد الرحمن بن معاوية بن
	هشام بن عبد الملك بن مروان
٧٤	سنة تسع وثلاثين ومائة
مصحفة	مصحفة
٧٥	وفيها وسع المنصور المسجد الحرام
٥٥	سنة أربعين ومائة
٥٥	سنة إحدى وأربعين ومائة
٧٦	خروج طائفة يقال لها الراوندية على خليفة
	المسلمين وخروج المنصور إليهم بنفسه
	ونصره عليهم
٧٦	مبايعة أبي جعفر المنصور بولاية العهد من
	بمنه لابنه محمد المهدي
٧٧	سنة ثنتين وأربعين ومائة
٧٨	وفيها خلع عبيدة بن موسى نائب السند الخليفة
٨٠	وفاة حمرو بن عبيد القدرى وذكر ترجمته
٨٠	سنة ثلاث وأربعين ومائة
٨٠	سنة أربع وأربعين ومائة وفيها :
٨٠	حبس أبو جعفر آل الحسن بن علي بن
	أبي طالب رضى الله عنهم لخروج محمد
	وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن
٨١	سنة خمس وأربعين ومائة . وفيها كان
	قتل آل حسن بن الحسن وفي أرجلهم
	القيود من حبس المدينة إلى حبس العراق
٨٦	فصل في ذكر مقتل محمد بن عبد الله
	ابن الحسن
٨٧	ذكر خروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بن
	الحسن بالبصرة
٩١	ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن
	بالبصرة وكيف قتل
٩٥	ذكر من توفي من الأعيان من آل البيت
	في هذه السنة منهم عبد الله بن حسن بن
	حسن بن علي بن أبي طالب وأخوه حسن
	ابن حسن . وأخوه لأمة عبد الله الملقب

تصنيف	تصنيف
١٥٠ سنة ثمان وستين ومائة	أحمد بن هارون الرشيد
١٥١ سنة تسع وستين ومائة . وفيها كانت وفاة	سنة خمس وعثمانين ومائة
المهدي بن منصور وترجمته .	١٨٦ سنة ست وعثمانين ومائة . ومن توفي فيها من
١٥٧ خلافة موسى الهادي بن المهدي	الأعيان المشاهير
١٥٨ سنة سبعين ومائة . وفيها كانت وفاة موسى	سنة سبع وعثمانين ومائة . وفيها كان ملك
الهادي	البرامكة .
١٥٩ شئ من ترجمة موسى الهادي	١٩٤ كيفية قتل البرامكة ونزاجهم
١٦٠ خلافة هارون الرشيد بن المهدي	١٩٨ وفاة الفضل بن عياض
١٦٢ سنة إحدى وسبعين ومائة	١٩٩ سنة ثمان وعثمانين ومائة .
٠٠٠ سنة ثنتين وسبعين ومائة	٢٠١ سنة تسع وعثمانين ومائة
٠٠٠ سنة ثلاث وسبعين ومائة ومن توفي فيها من	٢٠٢ وفاة الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب
مشاهير الأعيان	الامام أبي حنيفة
١٦٥ سنة أربع وسبعين ومائة	٢٠٣ سنة تسعين ومائة
٠٠٠ سنة خمس وسبعين ومائة	٢٠٤ وفاة يحيى بن خالد بن برمك
١٦٦ سنة ست وسبعين ومائة	٢٠٦ سنة إحدى وتسعين ومائة
ومن توفي فيها من الأعيان	٠٠٠ سنة ثنتين وتسعين ومائة
١٧١ سنة سبع وسبعين ومائة	٢٠٧ من توفي في هذه السنة من الأعيان
٠٠٠ سنة ثمان وسبعين ومائة	٢٠٩ وفاة العباس بن الأحنف الشاعر
١٧٣ سنة تسع وسبعين ومائة	٢١٠ وفاة الفضل بن يحيى البرمكي
١٧٤ وفاة الامام مالك رضى الله عنه وترجمته	٢١٢ سنة ثلاث وتسعين ومائة
١٧٥ سنة ثمانين ومائة ومن توفي فيها من الأعيان	٢١٣ وفاة الخليفة هارون الرشيد وترجمته
وأشهرهم سيويه شيخ النخلة	٢٢٢ خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد
١٧٧ سنة إحدى وعثمانين ومائة . وفيها كانت	٢٢٣ اختلاف الأمين والمأمون
وفاة عبد الله بن المبارك	٢٢٤ سنة أربع وتسعين ومائة
١٧٩ سنة ثنتين وعثمانين ومائة . وفيها كانت وفاة	٢٢٦ سنة خمس وتسعين ومائة
القاضي أبي يوسف	٢٢٧ وفاة أبي نواس الشاعر المشهور وترجمته حياته
١٨٣ سنة ثلاث وعثمانين ومائة . وفيها كانت وفاة	٢٣٥ سنة ست وتسعين ومائة
موسى بن جعفر الكاظم	٢٣٦ ذكر خلع محمد الأمين بن هارون الرشيد
١٨٤ سنة أربع وعثمانين ومائة . وفيها كانت وفاة	وكيف أفضت الخلافة إلى أخيه المأمون بن

صحيفة	صحيفة
٢٦٥ سنة إحدى عشرة ومائتين . وفيها توفى أبو النخعي الشاعر	هارون الرشيد
٢٦٦ سنة ثلث عشرة ومائتين	٢٣٨ سنة سبع وتسعين ومائة
٢٦٧ سنة ثلاث عشرة ومائتين . وفيها توفى المعكوك الشاعر	٢٤٠ سنة ثمان وتسعين ومائة . وفيها قتل محمد الأمين الخليفة
٢٦٨ سنة أربع عشرة ومائتين	٢٤١ ترجمة الخليفة محمد الأمين بن هارون
٢٦٩ سنة خمس عشرة ومائتين	٢٤٤ خلافة عبد الله المأمون بن هارون
٢٧٠ سنة ست عشرة ومائتين	٥٠٠ سنة تسع وتسعين ومائة
٢٧١ وفاة زبيدة امرأة هارون الرشيد وبنت عمه	٢٤٥ سنة مائتين من الهجرة النبوية
٥٠٠ سنة سبع عشرة ومائتين	٢٤٧ سنة إحدى ومائتين . وفيها كانت بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي لما بايع المأمون
٢٧٢ سنة ثمان عشرة ومائتين	للملح الرضى بالخلافة من بعده
٥٠٠ ذكر أول الحنة والفطنة	٢٤٨ سنة ثنتين ومائتين . وفيها تزوج المأمون
٢٧٣ فصل في كيفية امتحان الناس في القول بخلق القرآن الخ	بيوران بنت الحسن بن سهل
٢٧٤ وفاة الخليفة المأمون وترجمته	٢٤٩ سنة ثلاث ومائتين . وخلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي ودعوا له للمأمون
٢٨٠ خلافة المعتصم بالله بن هارون	٢٥٠ سنة أربع ومائتين . وفيها توفى الامام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي
٢٨١ وفاة بشر بن غياث المريسي شيخ المعتزلة	٢٥١ ترجمة الامام الشافعي
٢٨٢ سنة تسع عشرة ومائتين	٢٥٥ سنة خمس ومائتين . وفيها توفى أبوسليمان الداراني
٢٨٣ سنة إحدى وعشرين ومائتين	٢٥٩ سنة ست ومائتين
٥٠٠ سنة ثنتين وعشرين ومائتين	٥٠٠ سنة سبع ومائتين . وفيها كانت وفاة طاهر ابن الحسين نائب العراق
٢٨٤ سنة ثلاث وعشرين ومائتين	٢٦١ سنة ثمان ومائتين
٢٨٦ فتح حمورية على يد المعتصم الخليفة	٢٦٢ وفاة السيدة فقيسة رضي الله عنها وترجمتها
٢٨٨ ذكر مقتل العباس بن المأمون	٢٦٣ سنة تسع ومائتين
٢٨٩ سنة أربع وعشرين ومائتين	٥٠٠ سنة عشر ومائتين
٢٩١ وفاة أبي عبيد القاسم بن سلام	٢٦٥ عرس يوران بنت الحسن بن سهل والعفو عن إبراهيم بن المهدي
٢٩٢ سنة خمس وعشرين ومائتين	
٢٩٣ سنة ست وعشرين ومائتين	
٢٩٤ وفاة أبي دلف السجلي	

صفحة	مصحف	صفحة	مصحف
٢٩٥	سنة سبع وعشرين ومائتين .	٠٠٠	سنة إحدى وأربعين ومائتين
٠٠٠	وفاة الخليفة المنصور وترجمته	٣٢٥	وفاة الامام أحمد بن حنبل وترجمته
٢٩٧	خلافة هارون الرشيد بن المنصور	٣٢٨	فصل في ريع الامام أحمد وتشفه وزهد
٠٠٠	وفاة بشر الحافي الزاهد وترجمته	٣٣٠	ما جاء في محنته رضى الله عنه
٢٩٩	سنة ثمان وعشرين ومائتين . وفيها توفى	٣٣١	ملخص الفتنة والحقة
	أبو تمام الطائي الشاعر	٣٣٢	ذكر ضربه رضى الله عنه بين يدى المنصور
٣٠١	سنة تسع وعشرين ومائتين	٣٣٥	ذكر ثناء الأئمة على الامام أحمد
٣٠٢	سنة ثلاثين ومائتين	٣٣٧	ذكر ما كان من أمر الامام أحمد بعد الحقنة
٣٠٣	سنة إحدى وثلاثين ومائتين . وفيها كان	٣٤٠	ذكر وفاة الامام أحمد
	حبس وضرب حتى لم يقل من الأئمة والعلماء	٣٤٢	ذكر ما روى له من المنازل الصالحة وما
	يخلق القرآن واشتداد أمر الفتنة		رأى هو لنفسه
٣٠٨	سنة فنتين وثلاثين ومائتين وفاة الخليفة	٣٤٣	سنة فنتين وأربعين ومائتين
	الرائق بن المنصور وترجمته	٠٠٠	ومن حوادثها وقوع زلازل هائلة في البلاد
٣١٠	خلافة المتوكل على الله جعفر بن المنصور	٣٤٤	وفاة أبي حسان الزياتي . وأبي مصعب
٣١١	سنة ثلاث وثلاثين ومائتين		الزهري أحمد رواة الموطأ
٣١٢	سنة أربع وثلاثين ومائتين	٠٠٠	سنة ثلاث وأربعين ومائتين . ومن توفى
٣١٣	سنة خمس وثلاثين ومائتين		فيها من الأعيان إبراهيم بن العباس
٣١٥	سنة ست وثلاثين ومائتين	٣٤٥	سنة أربع وأربعين ومائتين وحوادثها
٠٠٠	سنة سبع وثلاثين ومائتين	٣٤٦	سنة خمس وأربعين ومائتين وحوادثها
٣١٧	سنة ثمان وثلاثين ومائتين	٣٤٧	سنة ست وأربعين ومائتين
٠٠٠	سنة تسع وثلاثين ومائتين	٣٤٩	سنة سبع وأربعين ومائتين وترجمة المتوكل
٣١٨	وفاة أحمد بن حنبل الانطاكي		على الله الخليفة
٣١٩	سنة أربعين ومائتين .	٣٥٢	خلافة محمد المنتصر بن المتوكل .
٣١٩	وفاة أحمد بن أبي حوادة وترجمته	٣٥٣	سنة ثمان وأربعين ومائتين . وفيها توفى
٣٢٣	وفاة سحنون المالكي صاحب المدونة		المنتصر

